الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية : أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية

قسم: الدعوة والإعلام والاتصال

الخطاب الإسلامي في الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر

-دراسة تحليلية للجرائد: "Liberté" "El Moudjahid" "El Watan"

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الدعوة والإعلام والاتصال

-الجزء الأول و الثاني -

من إعداد الطالبة:

مفيدة بلهامل

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الله بوجلال

لجنة المناقشة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
1-الرئيس	أ.د. لعويرة عمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
2-المقرر والمشرف	أ.د.عبد الله بوجلال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
3-العضو	أ.د. أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
4-العضو	د.سعيد بومعيزة	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر
5-العضو	د.أحمد عظيمي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر
6-العضو	د.بوعلي نصير	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنـــــة الـجامعية: 2007-2008

6-فهرس الموضوعات

المقدمة 1-52

الجانب النظري

الفصل الأول: الخطاب والخطاب الإسلامي في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: مفهوم الخطاب في اللغة العربية 54

المطلب الأول: الخطاب ومشتقاته في القرآن الكريم وكتب التفسير 54-59

المطلب الثاني : الخطاب في السنة النبوية وأصول الفقه 59-61

المطلب الثالث: الخطاب في المعاجم ودوائر المعارف 61-67

المبحث الثاني: دلالة الخطاب في الاصطلاح 68-86

المطلب الأول: مصطلح الخطاب في اللغات والثقافة الأجنبية 69-73

المطلب الثاني: مصطلح الخطاب من وجهة نظر حداثية عربية ومناقشتها 73-83

المطلب الثالث: دلالة مصطلح الخطاب في اللغة والثقافة العربية 83-86

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي المصطلح والمفهوم 87-88

المطلب الأول: تعريفات للخطاب الإسلامي 88-91

المطلب الثاني: الخطاب الإسلامي: مصطلحات غربية وطروحات شاذة 91-113

المطلب الثالث: تأصيل مفهوم الخطاب الإسلامي 113-119

الفصل الثاني: الخطاب الإسلامي، النشأة والمسيرة والتطور

المبحث الأول: مقاربات في نشأة الخطاب الإسلامي. 122-146

المطلب الأول: قراءات إسلامية 122-134

المطلب الثاني: القراءة الاستشراقية: المنهج الجدلي، دورات الأزمات والاستحابات الأصولية 135-138

المطلب الثالث: بين القراءة الإسلامية والقراءة الاستشراقية 138-143

المطلب الرابع: القراءة الاستشراقية بين الاسترجاع والاستشراف 143-146

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر بين مسألتي التخلف والنهضة 147

المطلب الأول: الخطاب الإسلامي الحديث وسؤال التخلف 147-153

المطلب الثاني: توجهات الخطاب النهضوي الإسلامي 153-161

المطلب الثالث: الجوامع المشتركة للخطاب النهضوي الإسلامي 161-173

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي المعاصر من التحرر الفكري إلى التعبئة السياسية للأمة 178

المطلب الأول: قراءات في فشل النهضة في الوطن الإسلامي 178-181

المطلب الثاني: سيادة الخطاب الاستعماري وتحول الغرب إلى حالة داخلية 182-189

المطلب الثالث: الخطاب الإسلامي ومسوغات العمل السياسي 189-195

الفصل الثالث: الخطاب الإسلامي تحت الاحتلال الفرنسي في الجزائر: بين سياسات التغييب ومسيرة الانبعاث الصعب (ة)

المبحث الأول: فرنسا وسياسات تغييب الخطاب الإسلامي في الجزائر 202-220

1-تهديم مؤسسة الوقف في الجزائر 204

2-سياسة تهديم المساجد ومؤسسات التعليم العربي 205

3-سياسة نهب المكتبات الجزائرية ودفن التراث العلمي الجزائري 207

4-فرنسا ومحاربة العلماء في الجزائر 207

5-سياسة الاحتلال الفرنسي، ومناهج التعليم البديلة 208

6-استراتيجية "خضوع العرب" 214-211
7-سياسة الادماج والتجنيس 216-214
8-سياسة الفرنسة والرومنة ومحاربة اللغة العربية والعروبة 220-216
المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي تحت الاحتلال الفرنسي وخيار المقاومة الحضارية 280-221
المطلب الأول: الخطاب الإسلامي وجبهات المواجهة 227-221
المطلب الثاني: المقاومة الحضارية والدينية، الخيار الحاسم 259-228
المبحث الثالث: فرنسا وصناعة النخبة البديلة في الجزائر 280-260
المطلب الأول: النخبة: النظرية والواقع في البلدان المستعمرة 268-260
المطلب الثاني: نتائج سياسة الفرنسة.. وبداية سياسة الفرنكفونية في الجزائر 280-268

الفصل الرابع:الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة بين النصوص الاشتراكية والتعددية

المبحث الأول: قراءة في التحول البديل إلى أين؟ وبيد من؟ 282
المطلب الأول: خطاب جديد لما بعد الاستقلال 285-282
المطلب الثاني: برنامج طرابلس... الانقلاب العقائدي الحتمي 286-285
المطلب الثالث: حتى ثورة التحرير المباركة...مراجعة جذرية 288-286
المطلب الرابع: الطليعة الواعية؟! و صياغة المشروع الحضاري للجزائر المستقلة 291-288
المبحث الثاني: مسيرة ترسيم الاشتراكية في الجزائر تشريعا وتنفيذا 292
المطلب الأول: من دستور 1963م إلى التصحيح الثوري في 1965م 294-292
المطلب الثاني: ميثاق ودستور الاشتراكية الجزائرية 1976م 307-294
المطلب الثالث: ميثاق ودستور 1986م: بين رهان النصوص وقصور الاستجابة 320-307
المبحث الثالث: التحول الجديد وخيار التعددية 334-321
المطلب الأول: دستور 1989م: موقع الخطاب الإسلامي والاختيار الجديد 326-321

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: دستور 1996م: التعددية الجزائرية 334-326

الفصل الخامس: الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة وتأثيره السياسي

المبحث الأول: الخيار الاشتراكي والبعد الديني للجزائر 359-336
المطلب الأول: الخطاب الرسمي وطبيعة دور جماعات الضغط في الجزائر المستقلة 351-343
المطلب الثاني: الخطاب الاشتراكي والسياسة الدينية في الجزائر المستقلة 360-351
المبحث الثاني: مظاهر النشاط الإسلامي في الجزائر الاشتراكية 361-360
المطلب الأول: مواقف فردية 362-361
المطلب الثاني: بيان الإبراهيمي: ضد الانحراف العقدي والسياسي 363-362
المطلب الثالث: جمعية القيم ومجلة التهذيب 367-363
المطلب الرابع: في مواجهة اليسار الجزائري 372-368
المطلب الخامس: مشروع "مالك بن نبي الإسلامي" 379-373
المطلب السادس: ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي 396-379
المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي في الجزائر التعددية 397
المطلب الأول: أسباب التحول إلى التعددية وسقوط نظام الحزب الواحد في الجزائر 398
المطلب الثاني: التعديلات الدستورية التعددية، وتنظيم الحياة الحزبية في الجزائر 415-410
المطلب الثالث: خريطة الأحزاب، والأحزاب الإسلامية في الجزائر 421-415
المطلب الرابع: الانتخابات التعددية الجزائرية وقوة الصوت الإسلامي 445-422

الفصل السادس: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر المستقلة

المبحث الأول: لغة الإعلام في الجزائر المستقلة، قرار غير معلن 458-447
المبحث الثاني: الإرث الاستعماري وأولويات التحرر الإعلامي 465-459
المبحث الثالث: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، خطوة مستمرة 466

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-أول جريدة يومية للجزائر المستقلة باللغة الفرنسية "EL Moudjahid" 467-465
2-خمس يوميات وطنية في الجزائر المستقلة واحدة فقط باللغة العربية 470-467
3-تأخر قرار وتنفيذ تعريب اليوميتين الجهويتين: "النصر" و"الجمهورية" 472-470
4-بين الصحافة المكتوبة الفرنسية والمكتوبة بالعربية في الجزائر، تكوينا وتدريبا 476-472
5-سياسة توزيع الصحافة في الجزائر وموقع الصحافة المكتوبة بالفرنسية فيها 480-477
المبحث الرابع: اللغة العربية في قوانين الإعلام بعد 1967م في الجزائر 489-481
1-قانون الإعلام 1982م 485-482
2-قانون الإعلام 1990م: تنويه غير ملزم 489-485
المبحث الخامس: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر التعددية بين الكتابات الفرنسية والجزائرية 507-490
1-المهمة الجديدة، من النضال اللغوي، إلى النضال الديمقراطي فرنكفونيا 494-490
2-الكتابات الجزائرية: لغة الخشب ديمقراطيا 507-494

الجانب التطبيقي

الفصل السابع: الدراسة التحليلية للجرائد موضوع البحث

المبحث الأول: التعريف بمنهج الدراسة وتساؤلاتها 510-509
المبحث الثاني: تحديد مجتمع البحث وعينته 517-511
المبحث الثالث: التعريف بالجرائد موضوع البحث 551-518
المطلب الأول: التعريف بجريدة "Liberté" 524-518
المطلب الثاني: التعريف بجريدة "EL Moudjahid" 536-525
المطلب الثالث: التعريف بجريدة "El Watan" 550-537
المبحث الرابع: تحديد فئات التصنيف ووحدات التحليل 551

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: الفئات الخاصة بالمضمون 555-551

ثانيا: الفئات الخاصة بالشكل 556-555

ثالثا: وحدات التحليل والقياس 557-556

رابعا: تصميم استمارة التحليل 561-557

الفصل الثامن: عرض نتائج موضوعات الخطاب الإسلامي

المبحث الأول: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "Liberté" 656-563

المبحث الثاني: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Moudjahid" 567-565

المبحث الثالث: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Watan" 570-567

المبحث الرابع: موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد الثلاث موضوع البحث 572-570

الفصل التاسع:عرض نتائج فئات ماذا قيل؟

المبحث الأول: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في الجرائد موضوع البحث 590-574

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في الجرائد موضوع البحث 602-51

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي في المجال الديني في الجرائد موضوع البحث 623-603

المبحث الرابع: الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد موضوع البحث 638-623

المبحث الخامس: الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في الجرائد موضوع البحث 655-639

المبحث السادس: الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في الجرائد موضوع البحث 666-656

الفصل العاشر: عرض نتائج فئات كيف قيل للخطاب الإسلامي؟

المبحث الأول: نتائج فئة الموقع في الجرائد الثلاث موضوع البحث 725-667

المبحث الثاني: نتائج فئة الشكل الصحفي في الجرائد الثلاث موضوع البحث 691-673

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: نتائج فئة وظيفة المضمون في الجرائد الثلاث موضوع البحث 699-692
المبحث الرابع: نتائج فئة تحقيق المضمون في الجرائد الثلاث موضوع البحث 705-700
المبحث الخامس: نتائج فئة الاتجاه في الجرائد الثلاث موضوع البحث 717-706
المبحث السادس: نتائج فئة المرجع في الجرائد الثلاث موضوع البحث 725-718
خلاصة واستنتاجات 756-726
الخاتمة 761-556
الملاحق 777-762

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــــــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتحدد إطار هذه الدراسة بالعناوين التالية:

1-التعريف بموضوع الدراسة

تتناول هذه الدراسة موضوع الخطاب الإسلامي في الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، وتقوم بذلك عبر تحليل ثلاثة عناوين من الجرائد الجزائرية يربط بينها العامل اللغوي الفرنسي هي على التوالي كل من جريدة "Liberté" و "El Moudjahid" و"El Watan " وهي نماذج من الصحافة التي أصبحت تعرف بالخاصة، أو بالمستقلة وبهذه الصفة حملت شعارات حرية التعبير والإعلام بعد إقرار التعددية السياسية في الجزائر الذي أقره دستور 1989م، والذي تضمن بدوره أول نصوص التعددية الإعلامية في الجزائر في إحدى مواده وتولى قانون الإعلام لسنة 1990 ثم 1992م بتفسيره وشرحه ليصبح ساري المفعول منذ تاريخ صدوره.

وإذا كان واضحا للجميع انتماء جريدة "El Moudjahid" لحزب جبهة التحرير الوطني قبل تحولها إلى العمومية من جديد، فإنه لم يطل الوقت بوضوح انتماء كل من جريدتي " Liberté" التي ظهرت في 27 جوان 1992م، و"El Watan" التي ظهرت في 6 أكتوبر 1990م، لما أصبح يعرف بالتيار الديمقراطي أو اللائكي في الجزائر، والتي تنضم تحت وصفه أكثر الأحزاب الفاعلة في هذا الاتجاه وخاصة حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية RCD من جهة، وحزب "جبهة القوى الاشتراكية" FFS، والتي أصبحت علامة على هذا التيار عند الباحثين والمحللين وهو ما تؤكده الدراسة موضوع البحث.

وقد تؤكد هذه المعطيات أن مفهوم الاستقلالية الإعلامية يتحدد في الاستقلالية عن تمويل الدولة المباشر ليتحول إلى تمويل الأحزاب التي تصدر هذه الجرائد، والتي لا تظهر بطبيعة الحال بهذه الصفة الرسمية الواضحة خاصة بعد تحول الصحف –المستقلة– إلى مؤسسات اقتصادية ضخمة بعدد مكاتبها داخل الوطن وخارجه، وشبكة مراسليها عبر عواصم العالم، لكن أيضا عبر ملحقاتها وعناوينها المتعددة، وهياكلها المتنوعة من إدارة ودور طباعة ونشر، وشركات توزيع، ثم بكثرة عمالها في مختلف التخصصات وبرؤوس أموال تتزايد بإطراد مع تطور الجريدة واضطلاعها بهذه المهام الكثيرة في إطار التعددية السياسية أساسا، والإعلامية تعبيرا، وهو ما يدفع إلى اختيار

مصطلح الصحافة الحزبية لكونه الأنسب منطقيا لوصف هذه الصحافة المتزامن مع توسع الديمقراطية في العالم، والتي تعد أهم مؤشراته، كما اتضح تدريجيا منذ نهاية الثمانينيات من القرن المنصرم.

والبحث محدد بدراسة ثلاثة من الجرائد الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وهي نماذج من عشرات العناوين الأخرى التي ظهرت في الجزائر بعد إقرار التعددية الإعلامية، ملأت الفضاء الإعلامي الجزائري بشكل متسارع وملفت للانتباه على مستوى عدد العناوين أو قياسية الزمن الذي تجاوزت فيه مرحلة النشوء إلى مرحلة الاتساع والانتشار حتى فاقت في عدد سحبها عميدة الصحف الجزائرية وأقواها في فترة الحزب الواحد جريدة "El Moudjahid" نفسها، التي سجلت تراجعا وانكماشا كما سنشرحه في حينه، ثم مقارنة مع الصحف العربية في الجزائر مجتمعة، وإذا كان"زهير إحدادن"قد وصف الوضع الإعلامي في الجزائر بالوضع النشاز أثناء فترة الحزب الواحد بناء على ما لاحظه من كثرة العناوين باللغة الفرنسية حينها مقارنة بالعناوين العربية التي كانت تصدرها الحكومة، فإن الوضع بعد التعددية لا يقل عنه نشازا ليس على مستوى عددها الكبير، سحبا وتوزيعا وعناوين، وإنما على مستوى خطابها الإعلامي عموما، الذي امتازت به هذه الصحافة ومنها العناوين المختارة للدراسة والتي تحمل الكثير من الدلالات الدينية والحضارية والثقافية، تعرض الدراسة موضوع البحث لجوانب مختلفة منها عبر فصولها ومباحثها النظرية والتطبيقية.

وكما حددت الدراسة عناوين الجرائد التي ستكون موضوع التحليل، فإنها حددت أيضا إطارها الزمني الذي اضطرت الباحثة فيه إلى اعتماد سنة 2002م، بداية من شهر مارس وانتهاء بشهر أكتوبر تحديدا منها، وذلك لظروف تعرض لتفصيلها في الصعوبات التي واجهتها ووجهت اختيارها بناء على ذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-أسباب اختيار الموضوع ودوافعه

أ-رغبة الإطلاع والإحاطة بمختلف الدراسات والبحوث والأدبيات والكتابات المتيسرة حول الموضوع التي تتناول على التوالي الخطاب الإسلامي والصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر -كلما وجدت-.

ب-رغبة الإحاطة بخلفيات الأحداث والظروف التي شهدتها الجزائر المستقلة في بعدها التاريخي والسياسي والإعلامي كواجب يمليه علي ضميري والتي على ضوئها يمكن الإجابة عن أسئلة مشروعة ومحيرة ماذا حدث؟ كيف حدث؟ لماذا حدث؟ وماذا بالإمكان بعد وعي ما حدث تجنب أن يحدث من جديد؟

جـ-دراسة محتوى الخطاب الإسلامي المنشور في الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر.

د-الإطلاع على مواقف واتجاهات وطروحات وأفكار ما يسمى بالقطب الديمقراطي في الجزائر عبر الصحافة المكتوبة بالفرنسية.

3- تحديد إشكالية البحث، وعرض تساؤلات الدراسة وفرضياتها

يتحدد موضوع هذا البحث في دراسة الخطاب الإسلامي في الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ضمن فترة غنية بالأحداث السياسية والأمنية والثقافية والإعلامية، تتمثل أهمها في بدايات التحول من النظام الاشتراكي والحزب الواحد إلى النظام الديمقراطي والتعددية ضمن ما عرفته الساحة الدولية ثم المحلية، تبعا لذلك من تغير في هذا الاتجاه، وأقرته النصوص الرسمية في الجزائر سياسيا وإعلاميا.

وتعد الصحافة المستقلة أو الحزبية أهم تمظهرات تكريس التعددية الإعلامية في الجزائر، وقد اختارت الباحثة الصحافة المكتوبة بالفرنسية لدراسة الخطاب الإسلامي فيها عبر ثلاثة عناوين هي على التوالي جريدة: "Liberté" و"El Moudjahid" و"El Watan"، وتحليل رسالتها الإعلامية في هذا المجال خاصة فيما يتعلق منه بالهوية الوطنية أساسا في بعديها الإسلامي والعربي وما يرتبط بذلك من الأبعاد الدينية والحضارية والثقافية والتربوية.

وتعتقد الباحثة أن مفهوم التعددية الذي تتبناه هذه الصحافة لا يمكن تحديده والوقوف عليه إلا بدراسة خطابها الإعلامي وتحليله خاصة وأن ظهورها في الساحة الإعلامية الجزائرية كان مثيرا للجدل وملفتا للانتباه من أكثر من اعتبار:

-في عدد العناوين الكثيرة التي ظهرت باللغة الفرنسية مقارنة بالتي ظهرت باللغة العربية.

-في جرأة خطابها وكثرة ضجيجها حول قضايا هي أيضا مثيرة للجدل.

-في العامل اللغوي –الفرنسي- الذي تكتب به وتروج لخطابها عبره ضمن محددات دستورية واضحة فيما يخص اللغة العربية وكونها اللغة الوطنية والرسمية للدولة الجزائرية والشعب الجزائري من جهة، وتوجهها إلى جمهور قد لا يتناسب لعدده القليل مع عددها الكبير عناوين مقارنة بعدد أقل من الصحف العربية إزاء جمهور جزائري عريض معرب في عمومه بغض النظر عن واقع الأمية في الجزائر.

-أن الصحافة الخاصة أو المستقلة أنشأها صحافيون كانوا في الأساس صحافيون في الصحافة العمومية، فقد كان صحافيوا الجرائد مثل "Liberté" و"El Watan" و"Le Matin" وغيرها مثلا هم صحافيون من جريدة "El Moudjahid" قبل تحولها من صحيفة عمومية إلى صحيفة حزبية هي الأخرى، كما هو معروف وسنين في ثنايا البحث، ولكن هناك مفارقة كبيرة في تحول خطابهم فيها إلى جرأة ملفتة على منابر الصحف الجديدة سواء في نوعية المواضيع والمضامين التي تطرحها أو في مواقفها واتجاهاتها فيما يتعلق منها برموز الهوية الجزائرية الإسلامية العربية في مختلف أبعادها وما يترجم منها في المجتمع من قيم أخلاقية وعلاقات اجتماعية ومعاملات سلوكية، ميز الجزائريين فيها تمسكهم بأحكام الإسلام وآدابه طوال تاريخهم القديم والحديث والمعاصر.

وتنطلق الباحثة من خلفية فكرية في هذا الموضوع غذتها المتابعة للساحة الثقافية والحضارية عموما في الجزائر –قراءة وتدوينا- وعبر الصحافة الجزائرية المكتوبة منها بالعربية وبالفرنسية في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينات أكدت لديها ملاحظة الاختلاف الذي يصل إلى حد التناقض في الخطاب الإعلامي بين الصحف المكتوبة بالعربية من جهة، والصحف المكتوبة بالفرنسية من

جهة أخرى، فيما يتعلق بقضايا الهوية الوطنية في بعدها الإسلامي والعربي وما يرتبط بها من قيم أخلاقية في المجتمع الجزائري.

أ-مضامين التناقض ووسائل التعبير عنها في الجزائر المستقلة

حين كانت النصوص الرسمية الجزائرية تكرس مبادئ الانتماء وخصوصية الذات الجزائرية عبر مواد الميثاق والدستور: الإسلام دين الدولة الجزائرية، اللغة العربية اللغة الوطنية الرسمية للدولة الجزائرية...

وحين كانت مناهج التعليم الجزائري تربي الجزائريين على مبادئ: **الإسلام ديني، العربية لغتي، الجزائر وطني**. وتضع الجزائريين على موعد متجدد مع الانتماء الإسلامي العربي للجزائر عبر

شعب الجزائر مسلـــم وإلى العروبة ينتســـب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجـــا لـــه رام المحال من الطلـــب

وحين كان التلفزيون الجزائري، والإذاعة الوطنية يُشنفان أسماع الجزائريين بأغنية

أمحمد مبروك عليك الجزائر رجعت ليك...

حينها ... كان على المتابع أن يقرأ كل ذلك وغيره ضمن إرادة حضارية وثقافية تعمق الانتماء بكل ما يحمله من معاني ورموز تمجد ذلك الانتماء.

لكن حين كان المسرح الوطني يعرض مسرحية "محمد خذ حقيبتك" " Mohammed Prends ton Cabat" لكاتب ياسين[1].

وحين تنقل جريدة "L'Algérie Actualité" عن الكاتب نفسه: الصواريخ التي لا تنطلق "Les Fusées qui ne partent pas" إشارة إلى مآذن المساجد ومناراتها، وغمزا لرد ابن

---

[1]-عرضـــت هـــذه المسرحية أيضا في قسنطينة في جويلية 1978م، وذلك في الحي الجامعي للطلبة بالقصبة سابقا. وقد ذكر بعـــض مـــن حضر العرض للباحثة أنه تحول بعد دقائق من بدئه إلى أعمال شغب من طرف الطلبة المتفرجين برفضهم المسرحية ومنعهم استمرارها بعدما رفعت فيها كتابات تصف الرسول ﷺ بالكذاب [هكذا].

باديس على وزير داخلية فرنسا في تهديده له بقوله نحن لدينا دبابات، فرد ابن باديس بأن الجزائريين أيضا يملكون دبابات... هي مساجدهم.

فحينما كان على المتابع أن يقرأ ذلك ضمن إرادة رفض لذلك الانتماء، وموقف يتبناه قطاع من الجزائريين، سجله أيضا التاريخ المعاصر للجزائر، لكن رغم نشازه في المحيط العريض للجزائريين، إلا أن صوته قد علا، وضجيجه قد كثر عبر وسائل وأساليب وكانت الصحافة المكتوبة بالفرنسية منبره.

ب-معربون ومفرنسون، وحوار الطرشان

كان الغريب فيما سجلته حيثيات الصراع بين ما عرف منذ سبعينيات القرن العشرين في الجزائر بالمعربين والمفرنسين، وكانت الصحافة منبرا له كذلك، هو أنه لم يكن أي فريق من الفريقين يطلع على ما يكتبه الفريق الآخر في اللغة التي يكتب بها هؤلاء وأولئك، وهو ما سماه عبد الله شريط "بحوار الطرشان" دليلا على انعدام ساحة الحوار والتلاقي والنقاش والتي لو توفرت لقللت من مساحة الخلاف وجسرت الهوة بين الفريقين، بما قد لا يكون له من الآثار السلبية فيما بعد، والتي تعيش الجزائر معطياتها منذ نهاية الثمانينيات... خاصة وقد ارتبط الخلاف بشخصية ثقافية وسياسية لها علاقة مباشرة بالخطاب الرسمي، المعبّر عنه في الجزائر، وهي "مصطفى الأشرف" وزير التربية الوطنية في ذلك الوقت الذي كانت الصحافة المكتوبة بالفرنسية تحديدا منبره من جهة، وبشخصية ثقافية عامة هي "عبد الله شريط"، الأستاذ في الجامعة والكاتب، والذي كانت الصحافة المكتوبة بالعربية تحديدا منبره من جهة أخرى.

وعبّر "عبد الله شريط" عن ذلك الجو عامة في جهة، وعرض لموقف "مصطفى الأشرف" في اللغة العربية التي يصفها بالعجز وعدم الصلاحية في تعليم العلوم ومن ثم عدم ضرورتها في ذلك أساسا وجاء في كتابه الذي ألفه في الموضوع رده على الوزير بقوله:

«في الأخير أريد أن أقول لمصطفى الأشرف أنني سأكون ممتنا له شخصيا إذا بدأ يكتب مباشرة باللغة العربية حتى ولو كان ذلك يتعبه خاصة حين يكتب عن العربية وعن المعربين، لأنه حينها فهو يتوجه للمعربين بالحديث معهم وعنهم أنفسهم، لكن حين يكتب بالفرنسية فإنه

يتحدث عن المعربين بالتوجه إلى آخرين، ثم بكونه وزيرا كان يمكن أن يظهر قدرا أكبر من التفهم وإحساس أكثر بالمسؤولية بالتوجه في الوقت نفسه للمفرنسين والمعربين المجتمعين حوله أخويا ومحندين جميعا في قطاع من النشاط مملوء بالأشواك، وأيضا بالثعابين وأحيانا بالعقارب، وكان سيحركهم جميعا نحو معركة، أين يساهم كل منهم بما يستطيع ويدربهم على العمل الجماعي عبر الاجتماعات العامة التي ستسمح لهؤلاء وهؤلاء إلى التكامل المتبادل، ويكون قد أعطى لكل واحد الشعور بأنه يساهم في عمل بناء وطني وفي تنمية شعب بكامله... ويمكن أن يردم الهوة التي تفرق بين الاتجاهين وتحويله في بعض سنوات إلى خط ربط بين المعربين والمفرنسين للعمل لرفع مستواهم الثقافي والعلمي...»[1].

جـ-مساحة الخلاف بين إرادة التوسع وواقع المحدودية:

وقد كان بالإمكان الإبقاء على الخلاف الثقافي والحضاري فيما يتعلق منه بالإسلام والعربية محدودا على الأوساط التاريخية فقط، وعلى الدوائر الثقافية فحسب، بحكم واقع الأمية من جهة وقوة الخطاب الرسمي المعبر عنه عبر مختلف النصوص الرسمية للدولة، كما كان مأمولا أن تجسر هوة ذات الخلاف بضرورة الوعي التاريخي والحضاري واستيعاب أهداف الاستعمار القديم وسدا لأهداف الاستعمار الجديدة، لكن استمراره وعلو صوته تدريجيا عبر وسائل تعبيرية مختلفة تعد الصحافة المكتوبة بالفرنسية أهم منابره، ثم تنفذ أصحابه عبر مستويات مختلفة من المسؤولية عبر دوائر القرار جعل منه تيارا يكبر في الجزائر وأصبحت له مسميات وعناوين متنوعة يبرزها الخطاب السياسي أحيانا والصحافة الجزائرية عموما، ثم المؤلفات المختلفة، ومنها الأكاديمية التي بدأت تملأ سوق الكتاب في الجزائر، فقد ظهرت مصطلحات مثلا حزب فرنسا، الأندماجيون الجدد، مافيا السلطة، الفرنكفونيون، الفرنكوفيل التيار الفرنكوشيوعي... أصحاب الامتياز.. التيار اللائكي، القطب الديمقراطي...

وساهمت كتابات "أحمد بن نعمان" حول سياسة التعريب في الجزائر، وفرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، ثم كتاباته حول المغالطات الحزبية حول الهوية الوطنية خاصة فيما يتعلق منها

---

[1]-Abdellah Cheriet, Opinion sur la politique de l'enseignement et de l'arabisation, SNED, Algérie, 1983.

بعلاقة الثقافة بالدين، وعلاقة الثقافة باللغة، وعلاقة الهوية بالثقافة، ساهم كل ذلك على التعرف على ذلك التيار بالتعريف به وعرض طروحاته ومغالطاته وأهدافه وكذا أصحابه، ومنابره التي تتأتي الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر على رأسها، وقد يلاحظ المتابع للساحة الجزائرية، بناء على كل ذلك أن ما كان صراعا بين معربين ومفرنسين قد تحول إلى صراع بين إسلاميين ولائكيين مع استمرار حالة "حوار الطرشان" أيضا...

د-حرية التعبير... والتجرئ على الإسلام والعربية

إذا كانت سياسة نظام الحزب الواحد قد حدّت من توسع مساحة التناقض الذي كان يغذيه البعض، فإن جو الانتقال إلى الديمقراطية واستغلال حرية التعبير والصحافة والتعددية السياسية والإعلامية قد يسمح لهؤلاء بإعلان خطابهم ومواقفهم وطروحاتهم بشكل غير مسبوق، فيما يتعلق بالهوية الوطنية في بعديها الإسلامي والعربي، التي كان قد فصل فيها بيان أول نوفمبر في بداية الثورة المباركة في 1954م، ثم في النصوص الرسمية للجزائر المستقلة، مما دفع إلى وضعها من جديد موضع الجدل منذ 1988م، وخاصة بعد 1991م بمختلف الوسائل وكانت الصحافة المكتوبة بالفرنسية، منبرا لهذا الخطاب وأصحابه الذين يصنفهم "أحمد بن نعمان" في ثلاث تيارات:

1-شيوعي أممي (لا قومي ولا وطني ولا إسلامي).

2-وطني ليبرالي مستغرب لغة وثقافة (لا عربي ولا قومي ولا إسلامي).

3-وطني انعزالي فاشي عرقي جهوي (مستغرب لغة وثقافة، لا عربي ولا قومي ولا إسلامي)[1].

وإذا كانت نظريات حرية التعبير والديمقراطية في مجال الإعلام والاتصال تضع الصحافة الفرنكفونية محورا للتغيير الديمقراطي فيما يسميه أصحابها بالدول المعنية بالدمقرطة في العالم العربي والإسلامي، فإن الصحافة المكتوبة بالفرنسية وهي منبر التيار الديمقراطي في الجزائر وهي من ثم السجل الحي للمواقف والطروحات والأشكال التعبيرية المختلفة مرجعا أساسيا لكل باحث

---

(1)-أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1996م، ص145.

للإحاطة من جهة ثم لمتابعة تطور تلك المواقف والطروحات والمرجعيات... والأهم بين هذا وذاك الوقوف على كيفيات تطبيق نظريات حرية التعبير التي يركز أصحابها –الغربيون– على كسر الطابوهات وإخضاع كل المجالات للرأي والنقد والنقاش بما فيها الأديان والعقائد والأخلاق والقيم، في صحافة خاصة أو مستقلة، وهي المكتوبة بالفرنسية في موضوع بحثنا، يصفها أصحابها الجزائريون بأنها «صحافة تتابع الأحداث وتصنع الأحداث في الجزائر»[1].

وعلى ضوء ما تقدم تطرح الدراسة العديد من التساؤلات بعضها يتضمنها جانبها النظري، وبعضها الآخر جانبها التطبيقي، وتحاول الإجابة عنها هنا وهناك.

تساؤلات الجانب النظري:

1-ماهي جذور الخطاب الإسلامي في الجزائر، كيف نشأ، وكيف تطوّر؟

2-ما هي مسوغات تحول الخطاب الإسلامي من التنظير الحضاري والفعل الثقافي إلى استدعاء الأمة وتعبئتها سياسيا تبعا لذلك؟

3-كيف كانت سياسة الاحتلال الفرنسي في تغييب الخطاب الإسلامي الجزائري وصناعة الخطاب البديل فيها؟

4-ما هي أهم سمات المقاومة الدينية والحضارية في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، وما هي نتائجها؟

5-ما موقع الخطاب الإسلامي في النصوص الرسمية للجزائر المستقلة في فترة الحزب الواحد وبعد التحول إلى التعددية؟

6-ما هي تجليات الخطاب الإسلامي في مرحلة التعددية السياسية في الجزائر؟

---

[1]-M'hamed Rabahi, La presse Algérienne , Journal d'un defi, Chihab éditions, Alger, 2002, P11.

تساؤلات الجانب التطبيقي

1-ما هي عوامل تطور الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر؟

2-ما موقعها في الفضاء الإعلامي الجزائري مقابل الصحافة المكتوبة بالعربية وما أسباب ذلك؟

3-ما هي موضوعات الخطاب الإسلامي في عينة الجرائد موضوع البحث؟

4-أين موقع الخطاب الإسلامي في عينة الجرائد موضوع البحث؟

5-ما هي اتجاهات الجرائد موضوع البحث من الخطاب الإسلامي؟

6-ما هي وسائل تحقيق المضمون الإعلامي في الجرائد موضوع البحث إزاء الخطاب الإسلامي؟

7-ما هي وظائف مضمون الجرائد موضوع البحث إزاء الخطاب الإسلامي؟

8-ما هي مراجع المضمون في الجرائد موضوع البحث في تناولها للخطاب الإسلامي؟

9-ما هي الأشكال الصحفية التي تناولت الخطاب الإسلامي في الجرائد موضوع البحث؟

10-ما هي أوجه التقارب والاختلاف بين الجرائد موضوع البحث في معالجتها للخطاب الإسلامي؟

وتحاول الدراسة التحقق من الفرضيات التالية:

-هناك عدم تفريق بين الإسلام والخطاب الإسلامي،

-رفض الخطاب الإسلامي يتعدى رفض الإسلام السياسي في الصحافة الفرنكفونية في الجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-أهداف البحث وأهميته

إذا كانت أهداف البحث تنبع أساسا من الرغبة في تحقيق الدوافع التي تقف وراء بذل الوسع من الجهد والصبر وتوفير الضروري من الوقت واختيار ما يناسب من المناهج والأساليب، فإن الدراسة تهدف إلى تحقيق أهداف عامة وخاصة، وتتمثل في الإجابة على تساؤلات البحث والتحقق من فرضياته سواء في جانبه النظري أو التطبيقي، والوصول إلى نتائج علمية مفيدة سواء في توجيه الباحثين إلى ضرورة اختيار مثل هذه المواضيع، وبحثها من زوايا أخرى والوصول عبرها إلى نتائج أخرى بما يؤكدها ويثريها، أو في إمكانية اعتمادها كمصدر أو مرجع للمزيد من البحوث بما يساهم في إثراء البحث العلمي خصوصا، والبحث عن الحقيقة عموما.

5-منهج البحث وأدواته

يعرف البحث العمي عادة بأنه الجهد العلمي المنظم الذي يهدف إلى الكشف عن معلومات جديدة في تطوير المعارف الإنسانية وتطوير آفاقها[1].

ويقصد من وصف الجهد العلمي "بالمنظم" في هذا التعريف "المنهج" الذي تواطأت التعريفات على اعتباره: طائفة من القواعد العامة التي تنظم المعلومات والأفكار من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية[2].

ولما كانت غاية كل باحث من بحثه هو الوصول إلى الحقيقة العلمية، فإن المنهج هو طريقة في تنظيم معلوماته وأفكاره التي لا بد أن تعتمد على أساس منطقي أو تاريخي.. علمي، وأن تخضع لمفاهيم مقنعة أو متعارف عليها علميا تساعد على الوصول إلى الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها.

وموضوع بحثنا نموذج من البحوث الإعلامية التي ترتبط عادة بالفروع المختلفة من العلوم الإنسانية، حيث يشمل الخطاب الإسلامي من جهة والصحافة الجزائرية (المكتوبة بالفرنسية) من جهة أخرى، الأمر الذي يستدعي الاستعانة بمناهج متكاملة ومنسقة مع بعضها لبحث هذا

---

[1]-أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م، ص18.

[2]-عبد الحميد الهرامة، ورقات في البحث والكتابة، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 2002م، ص30.

الموضوع وهو ما درج الباحثون في المناهج على وصفه "بالمنهج المتكامل"[1]، فضلا عن استخدام العديد من الأدوات والأساليب المنهجية الملائمة لموضوع الدراسة أساسا والتي تساهم في عرضه وتقديمه على أفضل صورة للقارئ والمستفيد عموما.

وعلاوة على نوع الدراسة موضوع البحث، فإن تنوع فصولها ومن ثم تنوع مادتها العلمية فضلا عن قسميها النظري والتطبيقي، فقد تطلب كل ذلك استخدام عدة مناهج معينة للإجابة عن مختلف أسئلة البحث من جهة، والتحقق من فرضياته من جهة أخرى، حيث كان استخدام أكثر من منهج أكثر من ضروري للإحاطة بمختلف زوايا الموضوع وتتبع معطياته.

فقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي والمسحي أساسا، واستعانت بالمناهج الكيفية مثل: المنهج الاستقرائي والاستنباطي والاستردادي في تحليل وتفسير البيانات في مختلف فصول الدراسة، كما استخدمت منهج تحليل المحتوى لتحليل مضامين الصحف موضوع البحث.

والوصف عملية بحثية تدخل في كثير من المناهج ويستخدم المنهج الوصفي في تسجيل الملاحظات على الظواهر والأحداث المدروسة ورصد العلاقات وتصنيفها وبيان خصائصها[2]، ويعتمد هذا المنهج عادة على جمع المعلومات والحقائق ودراستها دراسة وصفية تقوم على المقارنة والتحليل والتصنيف والتفسير بغية الوصول إلى نتائج وأحكام عامة، وقد استعانت به الباحثة في مختلف فصول الدراسة النظرية والتطبيقية بالاهتمام بوصف مختلف المعطيات والأحداث والإحاطة بمختلف جوانبها بما يسمح لإعطاء صورة متكاملة.

أما المنهج الاستدلالي فقد استخدمته الباحثة للبرهنة والاستدلال على العديد من القضايا التي أثارها موضوع البحث والتي يفيد المنطق في توضيحها أو الدفاع عنها بغية الوصول إلى نتائج بصددها. كما استعانت الباحثة بالمنهج الاستنباطي وهو المنهج الذي يستخدم عادة في ترتيب القضايا والأفكار والحوادث ضمن المجادلات الفكرية والمناقشات العلمية والمحاورات السياسية وغيرها واعتمدت عليه الباحثة في استنتاج وترجيح الأفكار التي كانت مثارا للجدل عبر تتبع

---

[1]-عبد الحميد الهرامة، ورقات في البحث والكتابة، ص37.

[2]- علي عبد المعطي محمد، أساليب البحث العلمي، ص79.

الأحداث والمعلومات والمراحل ذات الصلة بالموضوع.

واستعانت الباحثة بالمنهج الاستقرائي عبر تتبع جزئيات الموضوع في أفكاره ومعلوماته وقضاياه قصد وضع الفروض التي تفسر علاقتها وطبيعتها وتحليلها وذلك بهدف الوصول إلى حكم عام ينطبق عليها.

أما المنهج الاسترادادي، فقد اعتمدت عليه الباحثة في عرض أحداث الماضي قصد التحقق من مجرى أحداث الحاضر، وفي تحليل القوى والمشكلات التي صاغت هذا الحاضر خاصة فيما يتعلق بسياسات الاحتلال الفرنسي إزاء الإسلام واللغة العربية في الجزائر، وصناعة النخب المتغربة وواقع مجموعات الضغط في الجزائر المستقلة.

وبالإضافة إلى هذه المناهج التي استخدمتها الباحثة في مختلف الفصول النظرية للدراسة، فقد اعتمدت على منهج تحليل المحتوى في القسم التطبيقي من البحث وذلك بتطبيق مختلف الخطوات العلمية المعتمدة في هذا المنهج من تحديد لعينة البحث الزمانية والموضوعية، وتصميم لاستمارة التحليل وتحديد لفئات التحليل ووحداته والقراءة الكمية والنوعية للمادة موضوع البحث والتحليل من أجل الإجابة على أسئلة "هارولد لاسويل" الخمسة من يتحدث؟ ماذا يقول؟ بأية وسيلة؟ لمن وبأي تأثير والتي اكتفت الباحثة بالأسئلة الثلاثة الأولى منها في الدراسة موضوع البحث. وسيكون الحديث عن منهج تحليل المحتوى وخطواته المختلفة وطريقة تطبيقها في بحثنا في قسمه التطبيقي بشكل مفصل.

وعلاوة على المناهج العلمية التي استعانت بها الباحثة، فقد كان اهتمامها باستخدام مختلف أدوات البحث المنهجية المعتمدة علميا، حيث قسمت دراستها إلى مقدمة وقسمين أحدهما نظري والآخر تطبيقي، وقسمت كل قسم إلى فصول ومباحث ومطالب.

واعتمدت الباحثة في توثيق المادة العلمية على أكثر المناهج استخداما في البحوث العلمية بداية من اسم الكاتب ثم عنوان الكتاب ثم معلومات النشر مكانا وسنة وغيرها، بالإضافة إلى الاهتمام بإخراج الرسالة على أفضل وجه خطا وترتيبا خاصة فيما يتعلق بالاقتباسات العلمية والاستشهاد بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ومتابعة ذلك بملاحق وفهارس للأشكال

والجداول.

6-الدراسات السابقة:

تكتسب إشكالية الدراسة أهمية خاصة في ضوء الوعي بالتراث العلمي الأكاديمي ومختلف الأدبيات في مجال دراستنا، حيث يسهم هذا التراث بدور كبير في بلورة تساؤلات البحث وتحديد ملامحه ومحاور اهتماماته بالتركيز على خصوصياته، ويمكن الإشارة مباشرة هنا إلى أن الدراسات التي استطلعتها الباحثة لا ترتبط بصورة مباشرة بموضوع البحث الذي نحن بصدده والذي ارتبط بهدف أصيل وهو: دراسة الخطاب الإسلامي في الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، ومع ذلك فالاطلاع على هذه الدراسات قد دعا إليه اهتمامها بمحورين من محاور موضوع الدراسة وهما الإسلام والقضايا الإسلامية من جهة والصحافة من جهة أخرى أو إحدى وسائل الإعلام الأخرى كما هو الحال بالنسبة لدراسة مارلين نصر.

وقد قسمت الباحثة الدراسات السابقة إلى دراسات جزائرية ودراسات أجنبية (غير جزائرية) ورتبت تناولها حسب الفترة الزمنية التي عالجتها الأسبق فالأسبق، واعتمدت الباحثة في استطلاع الدِّراسات السابقة على منهج وصفي يتناول:

1- تقديم الدراسة عنوانا وباحثا.

2- التعريف بالدراسة بأبوابها وفصولها ومطالبها -إن وجدت-. والإشارة إلى أهميتها وأهدافها التي حدَّدها صاحبها ثم تناول إشكاليتها وتساؤلاتها أو فرضياتها كلما وجدت. ومنهجية البحث بعد تحديد العينة قدر الإمكان وإنهاء هذا العرض بخاتمة البحث بالتركيز على نتائج الدراسة.

3- التركيز على ما استفيد من الدّراسة بالنسبة لموضوع البحث في نهاية الفصل.

أولا –الدراسات الجزائرية

1– مفهـــوم الاشـــتراكية في التجربة التنموية الجزائرية، دراسة تحليلية لخطب الرئيس بومدين 1965–1978م، أحمد بن مرسلي[1]:

تدخـــل الدراســـة ضمن نوع الدراسات العلمية التحليلية لمواد الاتصال الجماعي، لدراسة أبعاد الإجراءات المرتبطة بالتجربة الجزائرية وعلاقتها ببناء الاشتراكية في الجزائر من خلال تحليل مضمون خطب الرئيس بومدين التي كانت الحقل المرجعي الأساس لإنتاج المفاهيم المختلفة حول الموضوع" وتسليط الضوء على مرحلة هامة من تاريخ الشعب الجزائري بعد الاستقلال بحكم أن الجزائر من الدول التي تبنت الطرح الاشتراكي في حل مشكلة التخلف بعد أن قادت حركة تحرير مســـلحة ضـــد السيطرة الأجنبية ومن ثم تساهم الدراسة في بحث مفهوم الاشتراكية في الجزائر وتحديـــد الشـــروط الموضوعية لانتقال المجتمع الجزائري من حالة التخلف إلى حالة التنمية وكذا تحديد الإجراءات الملائمة والواجب القيام بها لضمان التغيير داخلها نحو بناء الاشتراكية.

وتكمن أهمية الدراسة في تناول تجربة اشتراكية خاصة في مجتمع متميز بعوامله الذاتية النابعة من ماضيه التاريخي وحاضره المعاش في إطار الظروف الدولية الموروثة عن الفترة الاستعمارية بغية التعرف على مفهوم التغيير الاجتماعي الذي طبقته الجزائر للوصول إلى هذا الهدف وبعبارة أخرى «دور القـــوى الاجتماعـــية المسيطرة سياسيا في البلدان المتخلفة بعد الاستقلال في تحديد نموذج الإجـــراءات الفوقية على القاعدة الاقتصادية والتحكم في أبعاده المختلفة والإشراف على تطبيقه ميدانيا حتى بلوغ الأهداف»[2].

ولأن موضـــوع بـــناء الاشتراكية في الدول المتخلفة مثل الجزائر غير مرتبط بتغيير القاعدة الاقتصـــادية فقط، وتحسين الظروف الاجتماعية فحسب وإنما أيضا بالتحولات السياسية الفوقية

---

(1) –أحمد بن مرسلي، مفهوم الاشتراكية في التجربة التنموية الجزائرية، دراسة تحليلية لخطب الرئيس بومدين 1965-1978 م، رسالة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 1995م.

(2) – أنظر المرجع نفسه ص 9 "نقلا عن:

Temine, Œuvres, t42, Oct 1917-mars 1923, Ed sociales, Paris, Ed du progrés, Moscou 1977, p 587..

التي تضمن القرار السياسي المناسب لإجراء البناء المذكور فإن الدراسة هدفت إلى:

1- التعرف على مفهوم الرئيس بومدين لكل من جهاز الحزب ومؤسسة الدّولة، ودورهما في عملية بناء الاشتراكية في الجزائر انطلاقا ممّا تجسّد في الواقع الميداني للبلاد وعلاقة ذلك بتمكين المنتج المباشر (العامل-الفلاح) من التحكم سياسيا في نشاطه الإنتاجي.

2- التعرف على مفهوم الرئيس بومدين للقرارات السياسية والاقتصادية الفوقية التي كانت في الجزائر موضوع إجراءات لفائدة تطبيق الاشتراكية في الجزائر وعلاقة ذلك بما أنجز ميدانيا على مستوى طبيعة الجوانب الاقتصادية التي مسّها التغيير الاشتراكي وموقع المنتج المباشر في هذا التغيير.

3- التعرف على الجوانب الاجتماعية للتغيير الاشتراكي في الجزائر ومفهوم الرئيس بومدين لمضمونها الاجتماعي وعلاقة ذلك بالواقع العملي.

وقد صاغ الباحث مشكلة بحثه في ثلاث فروض:

1- إن الاشتراكية في مفهوم بومدين ليست من عمل الجماهير الجزائرية وإنما من صنع قيادته التي وصفها بالثورية ومن ذلك فإن هيئات الحزب وأجهزة الدّولة بالنسبة إليه مجرد أدوات سياسية في خدمة قرارات قيادته بالسّهر على نشرها داخل الجماهير والحرص على ضمان تنفيذها بصورة صارمة وفعالة في الحيز الواقعي.

2- إن ربط الرئيس بومدين مصير تحقيق الاشتراكية في الجزائر بالحرص التام على تنفيذ قرارات قيادته في الميدان جعلته يعتمد بالدرجة الأولى على الفئات الجزائرية التكنوقراطية ذات الاهتمام بالكفاءة الإدارية والأجهزة البيروقراطية ذات الخبرة الرأسمالية الموروثة عن الدّولة الاستعمارية مما أدى إلى إقرار نموذج اقتصادي ارتبط من حيث المصلحة بالفئات والأجهزة المذكورة وقام تحت غطاء ملكية الدّولة لوسائل الإنتاج على وظيفة التراكم الرأسمالي بعيدا عن إشراف المنتج المباشر على نشاطه الإنتاجي»[1].

---

[1] – انظر: أحمد بن مرسلي، المرجع السابق، ص 41 -42.

3- إن المضـــمون الاجتماعي للاشتراكية في الجزائر في مفهوم الرئيس بومدين لا يتمثل في تمكـــين المنـــتج المباشر من إخضاع الإنتاج السّلعي والخدماتي لسلطته المباشرة استجابة لحاجات المجـــتمع ورغـــبات أفـــراده وإنمـــا ارتبط بضرورة توفير تضامن كل الجزائريين لمشروع السلطة الاقتصـــادي بعـــيدا عـــن الصراعات الطبقية ومن ذلك فإن ذكره للعدالة الاجتماعية وتعريفه للاستغلال لم يتجاوز تصوّراته المثالية النابعة من ثقافته العربية الإسلامية والتعبير عن قناعة القائد التاريخي المؤمن بصلاحية قراراته لكل العباد بدون تحيز طبقي»[1].

وقـــد اخـــتار الباحـــث في دراسة مفهوم الاشتراكية في التجربة التنموية الجزائرية الأبعاد السياســـية والاقتصادية والاجتماعية كمحاور أساسية لمعالجة موضوع البحث لكون ما تضمنته هـــذه الأبعاد من عناصر فرعية شكلت الخطوات الأساسية العملية لتطبيق الاشتراكية في الجزائر على المستوى النظري (الطرح الرسمي) والمستوى الواقعي (التطبيق الميداني) ثم لكون هدفها في آن الوقت المحاور الأساسية التي ارتبط بها تناول الرئيس بومدين لموضوع الاشتراكية في الجزائر وإنتاج معانيها المختلفة في شكل مفاهيم تعريفية محدّدة لطبيعتها وأهدافها.

وبناء على ما تقدّم فقد أخضع الباحث جميع خطب الرئيس بومدين التي ظهرت في الفترة الممـــتدة مـــن 19 جوان 1965م إلى 28 نوفمبر 1978م للتحليل لأن الإجراءات العملية لتطبيق الاشتراكية في الجزائر وهي محور التحليل لم تظهر كلها في مرحلة معينة من عمر التجربة الجزائرية وإنمـــا تم تطبـــيقها على مراحل متتالية في إطار متكامل الهدف وقد بلغت مادة التحليل (مجتمع البحث) 425 خطابا على مدى أربعة عشر (14) سنة[2].

أما منهج البحث فقد اعتمد الباحث في ذلك على تحليل خطب الرئيس بومدين على:

1- المـــنهج المســـحي باعتـــباره المـــنهج الذي يمكن الباحث من مسح المفاهيم المختلفة للاشـــتراكية ودراســـتها كما تجلت في خطب الرئيس والتعرف على معانيها وتحديد خصائص

---

[1] - أحمد بن مرسلي: المرجع السابق، ص 42.

[2] - أبعـــد الباحث عددا من خطابات الرئيس بومدين وهي التي لم يكن لها علاقة بموضوع الاشتراكية كالتي تعلق الحديث منها مثلا بموضوع الصحراء الغربية...الخ. أنظر ص 43.

مدلولاتها كمفاهيم تعبر عن طرح معين للاشتراكية في إطار الواقع الجزائري المتميز بظروفه الخاصة كما اعتمد أيضا على تحليل المضمون بهدف الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر بمادة التحليل وللحصول على بيانات محدّدة تتعلق بتطور مفاهيم الاشتراكية في الجزائر عبر خطب الرئيس "بومدين" خلال الفترة موضوع البحث.

وقد قسم الباحث موضوعه إلى مقدمة وخمس فصول، تناول في الفصل الأول الجوانب النظرية والمنهجية للدراسة وخصص الفصل الثاني لدراسة شخصية الرئيس "بومدين" عبر ثلاث مباحث عرضت على التوالي للخلفية الاجتماعية والثقافية والتجربة السياسية للرئيس، بينما تناول الفصل الثالث البعد السياسي للتجربة الاشتراكية في الجزائر وذلك عبر مبحثين الحزب في مطلبين عرض فيهما لجبهة التحرير الوطني والمنظمات الجماهيرية وللدولة في ثلاث مطالب عرض فيها الهيئات التنفيذية ثم الهيئات المنتخبة فالجيش الوطني الشعبي.

وتناول الفصل الرابع البعد الاقتصادي للتجربة الاشتراكية في الجزائر في مبحثين بحث الأول القطاع الصناعي في مطلبين هما التأميم، ثم التصنيع وبحث الثاني القطاع الفلاحي في مطلبين أيضا هما التسيير الذاتي ثم الثورة الزراعية. وتناول الفصل الخامس البعد الاجتماعي للتجربة الاشتراكية في الجزائر في طرح الرئيس بومدين في مبحثين درس الأول الجانب الاجتماعي في مطلبين هما العدالة الاجتماعية والاستغلال الاجتماعي ودرس الثاني الجانب الثقافي في مطلبين أيضا هما التعليم ثم الدين.

وأنهى الباحث دراسته بخاتمة عامة ضمنها نتائج بحثه يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- أن التجربة الاشتراكية في الجزائر لم تخرج عن شخصية الرئيس بومدين وقناعته وأفكاره الدينية وخبرته القيادية خلال ثورة التحرير المسلّحة، ومن ثم فالاشتراكية في الجزائر ليست من صنع الجماهير الجزائرية وإنما هي من صنع قيادته خيارا وقرارا.

2- أن تحقيق الاشتراكية في الجزائر اعتمد على تنفيذ القرارات الفوقية، ففي غياب البرنامج السِّياسي الواضح، وانعدام القوى الاجتماعية الفاعلة، وخبرة الرئيس بومدين العسكرية اعتمد تطبيق الاشتراكية ميدانيا على العناصر التكنوقراطية والأجهزة البيرقراطية ذات الأصول

البورجوازية اجتماعيا وذات الخبرة الرأسمالية الموروثة عن دولة الاحتلال، التي هيمنت على مجال التنمية في الجزائر بتخطيط البرامج الاقتصادية وتنفيذها في الواقع لصالحها الخاص، فيم بقي الشعب بهيئاته المنتخبة بعيدا عن مراكز اتخاذ القرار خيارا وتخطيطا وتنفيذا مما أدى في نهاية التجربة إلى هيمنة الأوساط البورجوازية على جهاز الدّولة ومن خلاله على القرار السّياسي في البلاد.

3- لم يعط البعد الثقافي في التجربة الاشتراكية في الجزائر الاهتمام الذي كان يجب أن يشمله حيث لم يخرج التعليم عن مهمة ترقية الإطارات الفنية للتنمية الاقتصادية من خلال نشره على نطاق واسع استجابة للنقص الكبير في هذا المجال وسعيا من القيادة السياسية إلى إنجاز تنمية اقتصادية سريعة تخرج البلاد من حالة الجمود الشاملة التي ميزت البلاد بعد الاستقلال.

4- انحصر مفهوم الرئيس بومدين للدين الإسلامي وهو عقيدة الجزائريين ودين الدّولة الجزائرية في قيم العدالة الاجتماعية والقضاء على الاستغلال الاجتماعي، أما تحقيق هذه القيم فلم تكن -حسب الدراسة- سوى شعارات رفعها الرئيس في إطار إبرازها ضمن صميم القيم الإسلامية التي تدعو إلى العمل والمساواة بين المواطنين في الوطن الواحد. ولما كان الرأي العام الجزائري حساسا جدا تجاه أمور عقيدته الإسلامية فقد تم استغلال الإسلام لإضفاء الشرعية الدينية على القرارات الفوقية وذلك للحيلولة دون انسياق الجزائريين وراء الإشاعات المرّوجة ضد قرار تأميم الأراضي وقرار الثورة الزراعية من جهة وللهجوم على أصحاب الملكيات العقارية الكبيرة تحت شعار "الأرض لمن يخدمها".

وتفيدنا هذه الدّراسة بتقديم الخلفية السّياسية والاجتماعية والثقافية للجزائر منذ فترة ما بعد الاستقلال 1965م إلى غاية 1978م، وهي فترة تمهد للفترة موضوع بحثنا والتي سيتم التحوُّل فيها من النظام الاشتراكي الموجّه إلى النظام اللّبرالي والتعددية من جهة وستكون نتيجة واقعية لتجربة تنموية حصرت حتمية التقدّم في الأولويات الاقتصادية على حساب الأولويات الحضارية والدّينية والثقافية حتى أنها وظفت الدّين الإسلامي لإضفاء الشرعية على القرارات الفوقية وفي تعبئة الشعب الجزائري لتقبلها فيم لم يساهم فيها قرارا أو تخطيطا وهذه خلفية هامة في تفهم مآلات تلك الأولويات ونتائجها في الواقع الجزائري سواء من طرف القيادة أو من طرف الشعب.

ولمـــا كان الإعلام عموما والصحافة المكتوبة في هذه الفترة لسان القيادة وصوتها السّياسي وواسطتها للاتصال بالجماهير الجزائرية في التعبئة شرحا وتبريرا فمن سياسة الحزب الواحد سوف تركز دراستنا موضوع البحث على الصحافة والمكتوبة بالفرنسية منها تحديدا في معالجتها لإحدى معطيات الساحة الفكرية والسّياسية الجزائرية في فترة التعدّدية.

2- L'usage des Medias en question, la presse Algerienne face au debat de Mai 1976 sur L'avant-projet de la charte Nationale, Mostfaoui Belkacem[1]:

وقـــد تمحـــور البحث حول: معالجة الصحافة الجزائرية لحملة الشرح والنقاش للمشروع التمهيدي للميثاق الوطني سنة 1976م عبر تحليل مضمون رسائل الجمهور.

وقسم الباحث موضوعه إلى مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة.

القسم الأول وعنونه بـــ: نقاش ماي كطريقة للاتصال السياسي في فترة استثنائية وعرض فـــيه إلى مفهوم الاتصال السياسي عموما ثم ربطه ببعده الجزائري عبر فصلين خص الأول منهما بمســـألة الإجمـــاع كمبدأ محدّد للسياسة الإعلامية الجزائرية وخص الثاني بتعامل الجزائريين إزاء الصـــحافة حين يتاح لهم مجال حرية التعبير خلال شهر ماي 1976م الذي وصفه الباحث "بماي حرية التعبير" ثم عرض إلى الحدود الموضوعية لمشاركة شعبية حقيقية في النقاش بواسطة الصحافة المكـــتوبة، وقـــد رصد الباحث 860 رسالة نشرتها أربع جرائد. منها 290 في جريدة "المجاهد" (بالفرنسية) و134 رسالة في جريدة "الشعب" و142 رسالة في جريدة "الجمهورية" و294 رسالة في جريدة "النصر".

القســـم الثاني: وعنونه صاحبه بـــ: انفجار سجل موضوعاتي مغلق وعرض فيه عبر ثلاثة فصول إلى تحولات الصحافة خلال عملية النقاش كاختبار معبّر عن طبيعة السياسة الإعلامية من جهة وكسبيل لكسب المصداقية. ثم تناول الباحث رسائل الجمهور كوسيلة للتعبير عن الرأي العام وحلّـــلها في الظـــروف العادية ووصفها بالصمّاء عن صوت الشعب وذلك بعد مقارنة لما نشرته

---

(1)-Mostfaoui Belkacem, L'usage des Medias en question, la presse Algerienne face au debat de Mai 1976 sur L'avant-projet de la charte Nationale, OPU, Alger, 1982.

جـــريدة "المجـــاهد" خلال شهر ديسمبر 1975م وشهري جانفي وفيفري 1976م لينتهي إلى أن رسائل الجمهور التي نشرتها المجاهد في ماي 1976م تحمل آراء أو أفكار جديدة تماما.

القســـم الثالث: وعرض فيه الباحث إلى مفهوم حرية التعبير والوظائف المنوطة إلى وسائل الإعـــلام الجماهيرية في رسائل القراء التي نشرتها الصحافة في ماي 1976م وقد عالج الباحث فيه تقنية تحليل المضمون لرسائل القراء وكذا تحليل فئات الوحدات الإعلامية في هذه الرسائل لينتهي إلى تصور هو محصّلة بيانية لما بعد النقاش. من أجل اتصال سياسي ديمقراطي.

القســـم الرابع: وسماه الباحث بـــ ما بعد النقاش أو آثار الاتصال السياسي. تطرق فيه إلى طروحات الميثاق الوطني لسنة 1976م فيما يتعلق بحرية التعبير والاتصال السياسي ووسائل الإعلام الجماهيرية ثم إلى نتائج عمل الصحافة ونوعيتها.

أمـــا خاتمة الدراسة فضمنها الباحث الإجابة عن التساؤلات التي طرحها البحث بالتحليل والتعليق والاقتراح.

وتفيدنا الدراسة بالاطلاع على طبيعة السّياسة الإعلامية في الجزائر كوسيلة للتعبير وعلاقتها بالـــرأي العـــام الجزائري في سنوات 1975-1976م من جهة ولتأكيد أهمية الصحافة كوسيلة للاتصال السّياسي وهي وظيفة من الوظائف العديدة المنوطة بوسائل الإعلام.

3- الخطاب الإيديولوجي عبر الصحافة الجزائرية الصادرة باللغة العربية من سنة 1962 -1988م، دراسة تحليلية في المقال الافتتاحي، أحمد حمدي[1]:

قسّم الباحث موضوعه إلى مقدمة وأربعة أقسام، سمى قسمه الأول بالإطار المنهجي وتناوله عبر خمس عناصر هي على التوالي: إشكالية البحث وفرضياته، منهج البحث وأدواته، والدراسات السابقة وأسباب اختيار الموضوع وأهدافه وصعوبات البحث.

وقـــد اســـتخدم الباحث منهجية وصفها بأنها متعدّدة الطرق والتقنيات رأى أن كلا منها

---

[1]-أحمد حمدي، الخطاب الإيديولوجي عبر الصحافة الجزائرية الصادرة باللغة العربية من سنة 1962-1988م، دراسة تحليلية في المقال الافتتاحي، أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، معهد علوم الإعلام والاتصال، 1999.

كفيل بتحقيق الدقة وتزويد دراسته بجميع الحقائق والبيانات المطلوبة، كالمنهج التاريخي والدراسة المونوغرافية لصحف العينة، ومنهج تحليل المضمون، والمنهج المقارن. واختار الباحث 134 عددا لعينة راعى في اختيارها تمثيلها لخصائص مجتمع البحث.

أما القسم الثاني وسماه الباحث بالإطار النظري فتناول الفصل الأول منه ثلاثة مباحث هي على التوالي: تطور مفهوم الخطاب، وتطور مفهوم الايديولوجيا، والخطاب الأيديولوجي والاتصال، ليتحدث الفصل الثاني عن الخطاب الأيديولوجي في الجزائر وذلك عبر ثلاثة مباحث أيضا هي: الخطاب التقليدي والخطاب الاندماجي ثم الخطاب الوطني.

في عرضه لما سماه «بالخطاب التقليدي الجزائري: قال الباحث بأنه مر بعدة أشكال حصرها في دراسته في كل من الخطاب الطرقي والخطاب الإصلاحي، ونخلص في نهاية المبحث بأن الخطاب التقليدي الجزائري "شكل رافدا مؤثرا في مجرى ومسيرة الخطاب الإيديولوجي الجزائري، حيث ساهم في ترسيخ قيم أساسية يمكن اعتبارها الحجر الأساس لهذا الخطاب، إضافة إلى بلورة ما أصبح يعرف في الأدبيات السياسية الجزائرية بالثوابت الوطنية كالدين واللغة والوحدة الوطنية»[1].

لقد وصف أحمد حمدي الخطاب التقليدي "بالخطاب المتوارث"..."وبأنه نتاج بيئته"، وبأنه «سابق الوجود عن الخطابات الأخرى التي عرفتها الجزائر»[2] كما صنفها وهي الخطاب الاندماجي والخطاب الوطني وهو تحليل يوحي في أهم ما يوحي به أن الخطاب التقليدي والذي يعني الباحث به –الخطاب الإسلامي- لا غير كما تدل عليه الدّراسة، قد فقد مبرّرات وجوده في ظل الخطابات الحديثة في فترة الدراسة على الأقل.

وسمى الباحث القسم الثالث من الدراسة بالإطار المرجعي وقسّمه بدوره إلى ثلاثة فصول تناول كلٌ منها صحيفة من صحف العينة: صحيفة "المجاهد" بوصفها صحيفة الحزب، وصحيفة "الشعب" بوصفها حكومية، وصحيفة "الثورة والعمل" بوصفها صحيفة العمال وتمت معالجتها عبر ثلاث مباحث لكل منها الإطار التاريخي والإطار القانوني ثم المعالجة الإعلامية فيها.

---

[1] – أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 138.

[2] –المرجع نفسه، ص 125.

وعالج القسم الرابع من البحث وهو الإطار التطبيقي –كما سماه صاحبه– عبر خمسة فصول وثلاثـــة عشر مبحثا وستة وثلاثين مطلبا، تناول الفصل الأول المقال الافتتاحي كوعاء للخطاب الايديولوجـــي وعبر أربعة مباحث تناول على التوالي تعريف المقال الافتتاحي وخصائصه والمقال الافتتاحي وإنتاج الخطاب الايديولوجي ثم فئات الموضوعات والتغطية الجغرافية فيه.

وتناول الفصل الثاني خطاب الهوية من خلال المقال الافتتاحي عبر وحدات خطاب الهوية في المبحث الأول واتجاهات خطاب الهوية في المبحث الثاني منه.

وتناول الفصل الثالث خطاب النسق من خلال المقال الافتتاحي عبر وحدات خطاب النسق في المبحث الأول واتجاهات خطاب النسق في المبحث الثاني منه.

كمـــا تناول الفصل الرابع خطاب الرؤيا من خلال المقال الافتتاحي عبر وحدات خطاب الرؤيا في المبحث الأول واتجاهات خطاب الرؤيا في المبحث الثاني منه.

بيـــنما تناول الفصل الخامس أهداف الخطاب الايديولوجي الجزائري ووظائفه عبر أهداف الخطـــاب الايديولوجـــي في المبحـــث الأول، وأساليب تحقيق وظائف الخطاب الايديولوجي في المبحـــث الثاني ثم دراسة الجمهور المستهدف في المبحث الثالث منه، وقد تم عرض ذلك عبر كل جريدة على حدة لتقارن النتائج بين الصحف الثلاث لاحقا.

وقـــد خلص الباحث إلى أن الخطاب الايديولوجي الجزائري عبر الصحافة الصادرة باللغة العربـــية ومن خلال المقال الافتتاحي قد ساهم في ترسيخ مفردات وقيم مستمدة من موروثات الـــثورة والحركة الوطنية ولكن بأدوات فنية منخفضة الفعالية، وقد كان الاتجاه الغالب من حيث الجمهور المستهدف هو فئة الجمهور العام، الأمر الذي يؤكد الاعتقاد بأن الصحافة الجزائرية بالرغم من تنوّع الوصاية عليها هي صحافة عاكسة لتصورات وأراء وأوامر وتعليمات القيادة السياسية.

وما يمكن الاستفادة منه من هذا البحث هو التأكيد على دور الصحافة في المجتمع وتأثيرها فـــيه مـــن حيث القضايا التي تختارها وتركز عليها، ومن حيث المعالجة التي تهدف من خلالها إلى ترســـيخ أفكار أو قيم معينة وتوجيه الجمهور المستهدف إلى اعتناقها أو تبنيها حتى يصبح التعامل معها كأنها من قبيل المسلّمات التي ليست موضوعا للمساءلة، أو على العكس من ذلك توجيه هذا

الجمهور إلى التخلي عنها أو معاداتها أو على الأقل التعامل معها باللامبالاة والتجاهل.

وقد تناول البحث الفترة الزمنية الممتدة بين 1962-1988م وهي الفترة التي وضعت فيها الدّولـــة يدها على وسائل الإعلام عموما والصحافة على وجه الخصوص بمقتضى توجه الحكومة الجزائرية لرفع احتكار الصحافة الفرنسية خصوصا والأجنبية عموما على قطاع الإعلام في الجزائر وبالتالي رفع التبعية الإعلامية باعتبار الإعلام قطاع من قطاعات السيادة الوطنية وبمقتضى القوانين وفي إطـــار الاختيارات الاشتراكية المحدّدة في الميثاق الوطني والدستور[1]، ومن تم كانت صحافة هذه الفترة تعكس أراء وأوامر وتعليمات القيادة السياسية الجزائرية، أما موضوع بحثنا فهو يتناول الفترة التاريخية الموالية وهي الفترة التي أقرَّت فيها التعدّدية التي تمثل المعنى السِّياسي والإعلامي... وهـــي تعني خروج قطاع الإعلام –قانونيا- من الوصاية الرَّسمية، فهل كانت الصحافة الجزائرية، المكـــتوبة باللغة الفرنسية منها في هذه الفترة تعكس هذا الخيار ميدانيا في تناولها للقضايا موضوع الانشـــغال والمرتبطة بالتعددية ومنها الخطاب الإسلامي وعليه، ما هي المفردات والقيم والأدوات والحجج التي استخدمتها هذه الصحافة في معالجتها للخطاب الإسلامي من جهة والتي من شأنها ومـــن هدفهـــا الـــتأثير في المجتمع الجزائري عموما وفي الجمهور المستهدف خصوصا، في الفترة موضوع البحث.

---

(1) -Belcacem ahcene, Djaballah, Aspect du nouvel ordre International de L'information études et documents, Alger, OPU, 1980, p43.

ثانيا- الدراسات الأجنبية (غير الجزائرية)

1- الخطـــاب الديني في الصحف المصرية خلال الفترة ما بين عامي 1882-1914م، إعداد محمد أحمد محمد يونس[1].

في تحديـــده لمفهـــوم الخطـــاب الديني يتبنى الباحث معايير تصنيف الدكتور عبد الوهاب المســـيري[*] للخطاب الإسلامي، ووفقا لهذا التصنيف فإن الخطاب الديني المقصود بالدّراسة هو الخطـــاب الإسلامي القديم باعتبار معيار المرحلة التاريخية حيث يتناوله في الصحافة المصرية خلال الفترة ما بين عامي 1882-1914م كما يندرج تحته كل من الخطاب الفكري والخطاب السياسي باعتـــبار معـــيار حملة الخطاب، إذ أن بعض فصائل الخطاب الديني في الصحافة قد غلب عليها الجانب الفكري فيم غلب الجانب السياسي على البعض الآخر.

واحـــتار الباحث لدراسة هذا الخطاب في عدد من الصحف عرَّف بعضها بصحف الاتجاه الإسلامي وعرَّف الأخرى بالصحف العامة وهي: اللواء، المنار، المؤيد، الجريدة والأهرام.

وحدّد الباحث مشكلة دراسته فيما يلي:

1- الحاجة العلمية للتعرف على ملامح الخطاب الديني في الصحف المصرية في الفترة ما بين 1882-1914م.

2- بحث التباين الشديد -الملاحظ- بين المقولات السائدة في مختلف الصحف موضوع البحث وعلاقة هذا التباين بنمط ملكية الصحيفة ونوع القوى أو التيارات أو الأحزاب التي ترتبط بها من جهة ثم علاقته بنوع الصحيفة عامة أو متخصصة.

3- الكشـــف عـــن المرتكزات الدينية السائدة في مختلف المقولات أو التصوُّرات السائدة حول قضـــايا مختلفة ودورها في صياغة هذه القضايا بطريقة تساعد القارئ على الإمساك بالخطاب الديني للصحيفة.

---

(1) -محمـــد أحمـــد محمـــد يونس، الخطاب الديني في الصحف المصرية خلال الفترة ما بين عامي 1882-1914م، أطروحة دكتوراه في الصحافة، جامعة القاهرة، 2000م.

(*)-سنعرض إلى هذا التصنيف ومعاييره في فصل من فصول دراستنا لاحقا.

4- خصائص الخطاب الديني في الصحافة المصرية والمقولات الأساسية التي ركز عليها والحجج التي استند إليها في القضايا التي شكلت محاور الجدل الفكري والصحفي خلال فترة البحث.

وهدفت الدراسة أساسا إلى تحديد المقولات الأساسية التي تشكل في مجملها الخطاب الديني في الصحافة المصرية خلال الفترة 1882-1914م وذلك عبر أهداف فرعية حدّدها الباحث فيما يلي:

1- ملامح الخطاب الديني في صحف الدراسة حول قضية الاستبداد.

2- ملامح الخطاب الديني في صحف الدراسة حول قضية الشورى.

3- ملامح الخطاب الديني في صحف الدراسة حول قضية الإصلاح الديني.

4- ملامح الخطاب الديني في صحف الدراسة حول قضية تحرير المرأة.

5- ملامح الخطاب الديني في صحف الدراسة حول قضية الوطنية المصرية.

6- ملامح الخطاب الديني في صحف الدراسة حول قضية العلاقة بالآخر.

7- ملامح الخطاب الديني في صحف الدراسة حول قضية الجامعة الإسلامية.

وانتهى الباحث إلى عرض نتائج بحثه في الخاتمة ونلخصها فيما يلي:

1- غلبة الطابع الدفاعي على الخطاب الديني حول العلاقة بالآخر في صحف الدراسة وتوزعت أطروحات هذا الدفاع بين الرد على محاولات الغرب (العدو) في تشويه صورة الإسلام والمسلمين وكشف مطامعه في العالم الإسلامي من ناحية وبيان كيفية التعامل مع نموذجه الحضاري (الغرب المعلّم) من ناحية أخرى.

2- أن الخطاب الديني في الصحف المصرية حول قضية الشورى كان في مجمله داعما ومفسّرا لمطالب الحركة الوطنية المصرية بالمجلس النيابي والدستور في حين أن هذا الخطاب لم يبلور آلية لتطبيق الشورى مستمدة من التراث الإسلامي أو من التجربة الإسلامية وإنما اتجه إلى تقديم التفسير الديني لجواز الأخذ بنموذج المؤسسات الديمقراطية الغربية لتطبيق الشورى، وذلك

لعوامل عديدة كانت تعيشها الحركة الوطنية المصرية في فترة البحث فسَّرها الباحث مجملا في انشغالها بقضية الجلاء والاستقلال، ووجود النموذج الغربي الجاهز المنتصر، مع وجود حالة من الانبهار لدى المغلوب ثم اتجاه مدرسة التجديد الإسلامي –في مصر– إلى الابتعاد عن السياسية.

3- تبين وجود تأثير الخط الفكري والانتماء الحزبي لصحف الدراسة على خطابها الديني تجاه القضايا محل التحليل.

4- تبيّن وجود تأثير لنوعية الصحيفة (عامة/متخصصة) على خطابها الديني تجاه القضايا محل الدراسة وذلك عبر مستويات الاهتمام والمعالجة وأنماطها.

5- اتفاق جميع صحف الدراسة في الهجوم على الاستبداد وقد أخذت هذه القضية حيزا كبيرا من اهتمام الصحف وتنوّع طروحاتها.

6- إجماع جميع صحف الدراسة على أن الشورى أساس نظام الحكم في الإسلام وإمكانية تطبيق الشورى من خلال المجالس النيابية وإن اختلفت الزوايا التي نظرت منها كل صحيفة إلى القضية.

7- عرضت صحف الدراسة رؤيتين حول علاقة الدين بالوطنية بين التفاعل والترابط بينهما وبين ضرورة استبعاد الدين من مقومات الوطنية وتباين الحجج التي تستند إليها كل منها على اعتبار وجود الأقباط في مصر، ثم علمانية صحف الدراسة.

8- حرص جميع صحف الدراسة على تأكيد الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط والوقوف ضد الطائفية.

9- اختلاف صحف الدراسة حول طروحات الجامعة الإسلامية في الطرح والحُجج والمعالجة.

10- كشف غالبية صحف الدراسة عن احتياج الأمة إلى الإصلاح الديني مع عرض لزوايا التشخيص وشروط الإصلاح والتأكيد على دور العلماء فيه ثم وسائله ومجالاته.

11- اتفاق جميع صحف الدراسة في الدعوة إلى تعليم المرأة وربط هذه القضية بإصلاح الأمة وتقدمها مع تباين مواقف الصحف في مسألتي الحجاب وعمل المرأة خارج البيت بين التأييد والاحتجاج والمعارضة.

ومـــا يستفاد من هذه الدراسة هو تحديد بعض المقولات الأساسية والمركّز عليها والحجج التي استندت عليها في القضايا التي شكّلت الخطاب الديني في الصحافة المصرية من جهة والتأكيد عـــلى تأثير الخط الفكري والانتماء الحزبي للصحف بالإضافة إلى نوعية الصحيفة نفسها عامة أو خاصة في معالجتها للخطاب الديني المصري ومن ثم فالدراسة موضوع البحث ستركز من جهتها على الوعاء اللغوي-الفرنسي- لغة الصحافة موضوع الدراسة- في تأثيره سواء في تحديد أولويات الصـــحيفة والقضـــايا المعالجـــة فيها أو الحجج التي تستند عليها ومقولاتها الأساسية في معالجتها للخطاب الإسلامي في الجزائر في الفترة موضوع البحث.

2- L'image du monde arabo- musulman et la politique Française à travers la presse quotidienne en 1920, Salwa Khaddar zarzar[1]:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الصورة التي ترسمها الصحافة الفرنسية عن العالم العربي والإسلامي وتقدّمها لجمهور القراء وبعبارة أخرى دور الصحافة الفرنسية في تشكيل الرأي العام الفرنسي في 1920م إزاء العالم العربي والإسلامي عبر الصورة التي تصنعها له وتوجهه إليها.

واعـــتمدت الدِّراسة تقنية تحليل المضمون للمعلومات التي تعرضها مقالات هذه الصحافة للجمهور خلال سنة 1920م عن دول شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب) وكذا دولة سوريا باعتـــبار هذه الدول مستعمرات فرنسية وذلك للمكانة الهامة التي تحتلها هذه الدول في السياسة الاستعمارية الفرنسية، وخاصة في سياستها الخارجية ضمن علاقاتها بالقوى العالمية.

وتكمـــن أهمـــية الدِّراسة في معرفة الميكانيزمات الإيديولوجية والسياسية التي كانت تحرك اتجاهـــات ومواقف الصحافة الفرنسية إزاء هذه المنطقة الحيوية بالنسبة لدولة فرنسا الاستعمارية لكـــن أيضـــا كيفـــية عرض الصحافة الفرنسية لدول وشعوب هذه المنطقة –المدروسة- وصفا وانطباعا وتوجيها لجمهور القراء.

وتـــنطلق الدراسة من تساؤل عام هو: هل الصحافة اليومية الفرنسية هي تعبير صادق عن

---

[1]-Salwa Khaddar zarzar, L'image du monde arabo- musulman et la politique Française à travers la presse quotidienne en 1920, Université Tunis1.

مشاعر وآراء قرائها أو أن الأجدر القول بأنها تساهم بفعالية في تشكيل هذه الآراء والمشاعر؟!.

واتخـــذت الدراســـة ستة جرائد يومية فرنسية موضوعا للبحث والتحليل تختلف مبدئيا في خطها السياسي وخطابها الإيديولوجي وهي: "le petit parisien"، "l'écho de paris"، " le temps"، "le populaire"، "l'humanité"

قسمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام:

1-(القســـم النظري) تناولت فيه الباحثة دراسة اليوميات موضوع البحث وركزت فيها على طرق التحليل في كل جريدة على اعتبار أنها عناصر هامة في قيادة الرأي العام وذلك بتحليل نمط تفكير أهم كُتّاب هذه الصحف ومن ثم مقاربة ردود أفعالهم وفهم خلفياتهم إزاء القضايا التي يختارونها للنشر ويوجهون الرأي العام الفرنسي إليها في طروحاتهم ووجهات نظرهم.

2- ركـــزت الباحثة فيه على تناول ردود أفعال مختلف اليوميات موضوع البحث حول السياسة الفرنسية إزاء عدد من القضايا المتعلقة بالمستعمرات في شمال إفريقيا وفي المشرق العربي – سوريا تحديدا- حيث رصدت مواقع الاتفاق والاختلاف بالمناقشة والتحليل.

3- عالجـــت الباحثة فيه جوانب وزوايا الصورة التي عرضتها اليوميات الفرنسية موضوع البحـــث عن قضايا المستعمرات وشعوبها لتجتمع في الصورة المحصّلة عن العالم العربي والإسلامي موضوع البحث.

وعرضت الباحثة في خاتمة البحث إلى النتائج المفصّلة عن كل قسم، يجدر الوقوف عند أهمها.

1- بغض النظر عن أهم الاختلافات بين الصحف موضوع البحث في استعمال التركيب اللغوي الـــذي تعـــبّر بـــه كل يوم عن أيديولوجيتها الاستعمارية فإن هناك اتفاق تام بين كل هذه اليوميات حول المبادئ التي تتأسس عليها الشرعية الاستعمارية.

2- الاتفـــاق الـــتام بـــين كـــل اليوميات الفرنسية موضوع البحث على عدم إنهاء الاحتلال والاخـــتلاف في اقـــتراح سبل أكثر نجاعة في تعميق هذا الاحتلال بين توفير بعض الحقوق السياســـية للأهالي المسلمين –سكان المستعمرات- والتمثيل السياسي بالبرلمان الفرنسي عند

بعضها والحد من الحقوق السياسية أو منع الأهالي من كل الحقوق لدى البعض الآخر.

3- الاتفاق التام بين كل اليوميات الفرنسية موضوع البحث على بحث مستقبل الوضع القانوني والسياسي للمستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا في السياسة الفرنسية على اعتبار أنها من الشؤون الداخلية للدولة الفرنسية فاقترحت بعض اليوميات تخصيص وزارة واحدة تسمى بوزارة شمال إفريقيا واقترحت اليوميات الأخرى أن تدمج قضايا شمال إفريقيا مع قضايا جميع المستعمرات في وزارة واحدة تسمى بوزارة المستعمرات.

4- الاتفاق التام بين كل اليوميات الفرنسية موضوع البحث على مناقشة حقوق فرنسا الشرعية في سوريا مع التشجيع على التدخل المباشر والطموح فيها.

وفي القسم الثالث من الدراسة حاولت الباحثة إعادة بناء الصورة التي عملت اليوميات الفرنسية موضوع البحث رسمها عن العربي المسلم –الأهلي- "Indigène" والتي تثابر في تقديم تفاصيلها لجمهور القراء في فرنسا والقراء عموما...

أ- أعادت اليوميات موضوع البحث تركيب تاريخ "الأهالي" في شمال إفريقيا بالصورة التالية:

- انعدام الوحدة بين شعوب هذه المنطقة.
- ارتباط الأهالي بالدين (بدون اسم) وبالتقاليد الإسلامية.
- الأهالي كسالى ومخمولين وغير طموحين.
- شدة التنوّع العرقي بين السكان.

ب-أما بالنسبة لما تسميهم اليوميات الفرنسية بالنخبة الإسلامية في منطقة شمال إفريقيا فهم "مثقفون"يختلط عندهم حب الوطن بحب فرنسا باستثناء لدى صحيفة "l'humanité" و"le populaire" اللّتان تقدّمان صورة للشعب السوري على أنه شعب غني، حاد في الدفاع عن استقلاله.

هذه هي مجمل الصورة لنتيجة دراسة اتجاهات الصحافة اليومية الفرنسية، وترجمة طموحاتها وطموحات كتابها- ومواقفهم إزاء البلدان الأجنبية عنهم ولكنها في النهاية هي المحصلة المنطقية

للسياسة الاستعمارية الفرنسية في شمال إفريقيا والمشرق العربي.

ما يمكن الإفادة منه من هذه الدّراسة هو بحث ملامح الخط الفكري القيمي الذي توصلت إليه وخصّته نتائجها في الصحافة الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وذلك عبر معالجتها للخطاب الإسلامي في الجزائر كخلفية قيمية سواء عبر تقديم الحجج أو في تحديد بعض القضايا أو اعتماد بعض الأحكام النمطية التي صنعتها الصحافة الفرنسية في 1920م والتي لم يطرأ عليها أي تغيير حتى نهايات القرن العشرين رغم تباعد الحقبة الزمنية وهو ما تؤكده دراسة مارلين نصر إحدى الدراسات السابقة لموضوعنا والتي تخطت وسيلة الصحافة إلى الكتاب المدرسي في 1985م وحيث تنتقل الصورة القيمية من خط فكري لقادة الفكر إلى سياسة دولة وفكر شعب استغلت فيه وسائل الإعلام المختلفة في تشكيل رأيه العام وتوجيهه عبر مركزية غربية عامة وهي فرنسية خاصة لموضوع بحثنا بحكم الاستعمار الفرنسي للجزائر من جهة وبحكم اتجاهات الصحافة الفرنسية حول سكان المستعمرات عموما وسكان شمال إفريقيا خصوصا، هذا من جهة ومن جهة أخرى عبر "النخبة" المثقفة باللغة الفرنسية في مفهوم الاستعمار والتي يختلط عندها حب الوطن بحب فرنسا. لغةً وحضارةً ودينًا وانتماءا.

3- القضايا الإسلامية في الصحافة المصرية، محمد منصور محمود هبة[1]:

هدفت هذه الدراسة إلى عرض القضايا الإسلامية وتحليلها عبر خمس صحف مصرية مقسمة بين صحف قومية "وهي الأهرام" و"روز اليوسف" وصحف حزبية وهي "الأحرار" و"الشعب" و"الأهالي" المتباينة في النشأة والتكوين والتوجهات، ثم المقارنة بينها، في مرحلة السبعينيات من القرن العشرين والتي تعد تجسيدا واضحا لما سماه الباحث بالصحوة الإسلامية في المجتمع المصري والتي كانت محصّلة طبيعية لعدة متغيرات في مقدمتها استيقاظ قوى اجتماعية تطالب بالعودة إلى الدين وتحكيم الشريعة الإسلامية وحماية الذاتية الثقافية للمجتمع الإسلامي لتواجه محاولات التغريب والأمركة التي تعرضت لها المجتمعات الإسلامية ومنها —مصر- وبكثافة شديدة —خاصة

---

[1]-محمد منصور محمود هبة، القضايا الإسلامية في الصحافة المصرية، رسالة دكتوراه في الإعلام، قسم الصحافة، جامعة القاهرة، 1996م.

في حقبة السبعينيات عبر مجموعة من "الحملات الصحفية المتلاحقة والدراما التلفزيونية والأفلام السينمائية التي تمجّد المجتمع الغربي وخاصة المجتمع الأمريكي، وتنقل صورا ساحرة للحياة في المجتمعات الغربية وتبرز مفاهيمها وقيمها باعتبارها النموذج الذي ينبغي الالتزام به»[1].

وتم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وتسعة فصول وخاتمة:

تناول الباب الأول العلاقة المتبادلة بين النظام السياسي والتيار الإسلامي في مصر في الفترة ما بين 1958-1970م، واختص به الفصل الأول وفي الفترة بين 1970-1981م اختص بها الفصل الثاني.

وتناول الباب الثاني العلاقة المتبادلة بين النظام السّياسي والصحافة المصرية، عرض الفصل الثالث فيه إلى النظام السّياسي والصحف القومية، وعرض الفصل الرابع إلى النظام السّياسي والصحف الحزبية، وتناول الباحث بعدها القضايا الإسلامية في كل جريدة على حدة بالتفصيل في الباب الثالث وذلك على التوالي وبداية من الفصل الخامس في "الأهرام" والفصل السادس في جريدة "روز اليوسف" والفصل السابع في جريدة "الأحرار" والفصل الثامن في جريدة "الأهالي" والفصل التاسع في جريدة "الشعب" ومن القضايا التي كانت محل العرض والمتابعة والتحليل عبر هذه الصحف: الاهتمام بالتغطية الإخبارية الثابتة لممارسة الشعائر الدينية، استثمار المناسبات الدينية، دور المؤسسة الدينية ومكانة قيادتها مثل مؤسسة الأوقاف، والمؤتمرات العلمية وغيرها. التعامل مع النص القرآني، تطبيق الشريعة الإسلامية، دعم القضية الأفغانية، قضية القدس...

وفي خاتمة الدراسة وفي ضوء أهدافها قام الباحث بالمقارنة بين الصحف موضوع البحث وذلك على مستويين أحدهما وفق الإطار الزمني للموضوع. والثاني على مستوى الصحف ويستهدف من ذلك الكشف عن ثوابت المعالجة الصحفية ومتغيراتها حسب الحقبة الزمنية ثم تحديد أولويات القضايا المعالجة في كل فترة، ثم القضايا التي شهدت استمرارية في المعالجة ومدى ما طرأ عليها من تغيُّر وثبات وكذلك إبراز ما تفرَّدت به معالجات كل صحيفة على حدة في ضوء المعالم

---

[1] حماد إبراهيم، صورة الولايات المتحدة في الصحافة المصرية اليومية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة. 1996م، ص ص 770-842.

الأساسية للسياسة التحريرية التي حكمت المعالجة بالصحفية في إطار الفترة الزمنية.

وما يمكن الإفادة من هذه الدراسة بالإضافة إلى الاطلاع على المنهجية المتبعة فيها هو نوعية القضايا الإسلامية في الجرائد موضوع البحث التي تكشف عن أولويات المعالجة الصحفية فيها في الحقبة الزمنية إطار البحث في مصر وكيف أفاد منها الباحث في تقديم صورة العلاقة المتبادلة بين النظام السياسي والتيار الإسلامي في مصر من جهة والنظام السياسي والصحافة المصرية من جهة أخرى. وستركّز الدراسة موضوع البحث على بعض هذه الجوانب في خصوصيتها الجزائرية ثم في الحقبة الزمنية إطار البحث في الجزائر.

4- حركة الاتجاه الإسلامي في تونس 1970-1987م، علية العلاني[1]:

تهـــدف هـــذه الدراسة إلى «فهم تطور التيار الأصولي بعرض مواقفه والكشف عن حياته الداخلية وأساليب تحركه»[2]. وذلك بالاعتماد على النصوص الداخلية للحركة بصفة أساسية عبر "مجلة المعرفة" و"مجلة الحبيب" "ومجلة المجتمع"، ثم الاعتماد على الشهادات الحية لبعض قادة الحركة الإسلامية في تونس وكذا بعض الشخصيات السياسية، والرموز الدينية الزيتونية.

وقـــد ركـــز الباحث على الجانب التاريخي السردي في معظم فصول بحثه وعلى مضمون الخطاب الإسلامي في تونس أثناء الفترة البورقيبية والمعوّقات الذاتية والموضوعية التي منعت الحركة من تجسيد مشروعها الفكري والسياسي في تونس. وانطلقت الدراسة من إشكالية صاغها الباحث في ثلاث تساؤلات هي:

1- لماذا ظهرت حركة الاتجاه الإسلامي؟ وعرض في بحث هذا الموضوع إلى تأثيرات الوضع الداخلي والوضع العربي.

2- كيف ظهرت هذه الحركة؟ وعرض فيها إلى تطوّر حركة الاتجاه الإسلامي في تونس من تشـــكل الدعوي البسيط إلى التجذر المجتمعي عبر القطاع التربوي والتعليمي ثم انتقالها إلى

---

[1]- علية العلاني. حركة الاتجاه الإسلامي في تونس 1970-1987م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى. 1993م.

[2]- نفس: المرجع نفسه. ص 7 من المقدمة.

المؤسسات المدنية والعسكرية.

3- لماذا لم تتمكن الحركة من فرض بديلها المجتمعي؟

وقسم الباحث موضوعه للإجابة على هذه التساؤلات إلى مقدمة ومدخل عام لدراسة ما سماه بالظاهرة الإسلامية والحركات الإسلامية ثم إلى قسمين عرض في الأول منهما عبر فصلين إلى الإطار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي ظهرت فيه الحركة ثم إلى ظروف تأسيسها وبداية انتشارها التنظيمي وخلفيات هذا الانتشار مركّزا في المرحلة ما بين 1970-1980م على تحليل صحافة الحركة وأهم القضايا التي طرحتها للنقاش والرأي والتي تحولت فيها من إطار الشعائرية إلى الطابع السباسي المنظم.

أما القسم الثاني فخصصه الباحث للحديث عن الحركة بين 1979-1987م وعلاقتها بالسلطة في تونس التي تنوّعت بين المواجهة والانفراج وعبر خمس فصول مرحلية تناول فيها الباحث المؤتمر التأسيسي للحركة، وانتشارها التنظيمي وتجذرها الاجتماعي من خلال المحاكمات التي عالجها الباحث بالتصنيف الاجتماعي والاقتصادي والديمغرافي وكذا الجغرافي للمحاكمين ثم بالمقارنة بين محاكمات 1981م و1987م.

والفصل الخامس خصصه الباحث لبحث علاقة الحركة الإسلامية في تونس بالتيارات الإسلامية التونسية سواء تلك التي كانت في الداخل أم بالخارج.

وتناولت خاتمة البحث الإجابة عن تساؤلاته خاصة الأول والثاني منها وانتهت الباحثة إلى:

1- أن حركة الاتجاه الإسلامي في تونس قد شدّت الأنظار إليها كحركة جماهيرية مدّة عقدين من الزمن (السبعينيات والثمانينيات) ومما زاد من صلابتها وتماسك جهازها التنظيمي هو سلسلة المحاكمات والقمع الذي سلّط عليها.

2- أن حركة الاتجاه الإسلامي في تونس قد حاولت نشر بديلها المجتمعي من خلال الانغراس داخل النسيج المؤسساتي للمجتمع وخاصة في القطاع التربوي والتعليمي بمراحله المختلفة ثم في النقابات والأحزاب بالإضافة إلى التعاطف الشعبي الذي حظيت به في انتخابات 1987م

لكـــن ذلك كله لم يشفع لها في فرض وجودها أو خطها السياسي لأسباب كثيرة أهمها حسب الباحث الأخطاء الكثيرة التي وقعت فيها الحركة مثل:

أ- تـــبني الحـــركة لاستراتيجية التصعيد الغريبة عن طبيعة المجتمع والمواطن التونسي بالإضافة إلى ازدواجية خطابها بين الديمقراطية والشمولية.

ب- ازدواجية قيادتها بين العلنية والسرّية وهو ما كان من شأنه إثارة التساؤلات لدى الرأي العام والتحفظ من بعض الأطراف السياسية حيث صنفها الكثير منهم خارج المنظومة الديمقراطية.

لكن الدّراسة لم تجب عن التساؤل الثالث من الإشكالية والذي تركته مجالا مفتوحا للبحث وهـــو حقيقة جماهيرية الحركة وهل شعبيتها جاءت نتيجة اقتناع عريض للجماهير أم أنها جاءت بسبب تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تونس أثناء فترة البحث.

ومـــما يلاحظ على الدراسة هو عدم ضبط الكثير من المصطلحات وخلفياتها فقد استعمل الباحـــث طـــيفا واسعا منها كمرادفات لموضوع البحث حركة الاتجاه الإسلامي فنجد ما يلي: ظاهـــرة الإســـلام السياسي والإسلام الاحتجاجي الحركة الإسلامية (ص6) الظاهرة الإسلامية، التنظيمات الأصولية (ص28) الصحوة الإسلامية، المد الأصولي، الإيديولوجية الإسلامية (ص11) التيار الإسلامي الاحتجاجي (ص25)..

لقـــد تناولت الدراسة تطوّر ما سمته بالتيار الأصولي في تونس اعتمادا على نصوصه الخاصة وعبر الصحافة الناطقة باسمه أساسا بالإضافة إلى الاعتماد على الشهادات الحية لبعض قياداته...أما الدراســـة موضـــوع بحثـــنا فإنها ستتناول "الخطاب الإسلامي" في الجزائر اعتمادا على الصحافة الجزائـــرية المكتوبة باللغة الفرنسية في تناولها لهذا الخطاب عبر قضايا ومقولات وحجج...الخ في حقبة زمنية تبدأ من حيث انتهت الدراسة التونسية.

5- "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية" مارلين نصر[1]:

هـــدف هـــذا البحـــث إلى دراسة صورة العرب والإسلام كما تبدو في الكتب المدرسية الفرنسية المتخصصة وهي كتب القراءة والتاريخ والجغرافيا والتربية المدنية، وقد جرى البحث عن هـــذه الصورة في الأجزاء والفصول التي قد تم إقرارها صراحة في البرنامج المدرسي الذي وضعته وزارة التعليم الفرنسية للمرحلة الابتدائية والثانوية بقسميها الأول والثاني.

وتناولـــت الدراســـة بالإضـــافة إلى كلمة "عربي" كل النصوص التي تتحدّث عن العالم الإسلامي أو المسلمين أو الإسلام بصفة عامة أو بارتباطها الصريح بالعالم العربي.

وعلّلت الباحثة دراستها لكتب المرحلة الابتدائية بالإضافة إلى كتب المرحلة الثانوية بضمان شمولية البحث وتتبع النواحي الثابتة والمتغيّرة عند إجراء المقارنة بينها وبين كتب المرحلة الثانوية، والأهـــم مـــن ذلك لاعتبار أهمية كتب المرحلة الابتدائية في تكوين وتثبيت الصّوَر والأحكام في أذهان تلاميذ لا يزالون في مرحلة مبكرة من عمرهم يسهل فيها التأثير عليهم.

ونظرا لتعدد الكتب المدرسية الفرنسية بسبب تعدّد دور النشر، وسّعت الباحثة نطاق العينة لتشمل أربعة كتب على الأقل لأربعة ناشرين واختارت من بين دور النشر الأكثر أهمية وهي التي تغطـــي أكثر من 60% من سوق الكتاب المدرسي في فرنسا وهي: "Hachette" و"Natham" و"Magnard" و"Bordas" وأحيانا "Belin".

والمقصـــود مـــن التنويع في دور النشر وبالتالي في المؤلفين من اليمين ومن اليسار هو بحث انعكـــاس الاتجاهات الثقافية والسياسية للناشر على موضوع البحث وبالتالي الإجابة عن السؤال: هـــل علمانية جميع دور النشر المختارة ستؤثر على نظرتهم إلى العرب والإسلام أكثر من اتجاههم السياسي الخاص بالحياة السياسية الفرنسية؟

ولم ترم الباحثة من اعتمادها على قياس النـــزعة لدى مؤلفي الكتب المدرسية إلى التمحور العـــرقي لديهم، ومع الإقرار بطبيعة اندفاعهم إلى تقدير الذات وتقييمها إيجابيا إلا أن ذلك لا يمنع

---

[1]-مارلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1995م.

التأكيد على تأثير هذه النـــزعة على النظرة إلى الآخر.

وقـــد حدّدت الباحثة حجم عينتها على ضوء هذه المتغيرات في 75 كتابا جمعتها من بين الكتب المدرسية المستعملة خلال عام 1986م في فرنسا على أساس آخر ما تم نشره أو أعيد نشره بالنسبة إلى كل فصل وإلى كل عدد.

وفي ضوء المتغيّر المتعلّق بشكل الخطاب وبمنتجه فيما تتضمنه المادة التعليمية موضوع البحث تنوّعـــت صورة العرب والإسلام بين خيالية أدبية وتاريخية حقيقية أو معاصرة وحاولت الباحثة الإجابـــة عن هل هذه الصورة تتوافق أم تختلف؟ هل تتكامل أو تتعارض؟ هل يختلف الخيال عن الواقع؟

وشملـــت دراســـة هـــذه الصـــورة الإطار المكتوب وغير المكتوب للنص أي مرفق النص "Le contexte" الـــذي تســـمّيه الباحثة بالجهاز السيميائي واعتمدت في دراستها لانتاج هذه الصـــورة عـــلى مستويين المستوى المعدّ أو المبلور وهو ما أعدّه مؤلفوا الكتب المدرسية موضوع البحث وعرضوه، والمستوى الكامن الذي يتعدى القراءة المجرّدة والتحليل البياني إلى تفكيك كل من النصوص ومرفقاتها كما استخدمت قواعد التحليل الموضوعي والتحليل الكمّي.

ولأن الدّراســـة تتعلق بنص تربوي لا يكتفي بتقديم المعلومة ويسعى إلى التكوين والتثقيف ويهدف إلى تنمية القدرات الفكرية للمتلقي –التلميذ– نزولا وحرصا على تطبيق توجهات وزارة التعليم الفرنسية، فقد افترضت الباحثة مبدئيا خلو الخطاب المدرسي (النص والمرفق) حول العرب والإسلام من الانفعال والانحياز ومن الأحكام المسبَّقة بل واتصافه بالحياد والعدالة وعدم العداء.

وفي دراسة عملية إنتاج الصورة ركّزت الباحثة على دور مؤلفي الكتب في ترتيب وتهذيب المـــواد المختـــارة التي تنتج الخطاب المدرسي وافترضت اتباع هؤلاء عن وعي أو دونه أسلوبين مختـــلفين في صياغة الصورة أحدهما "الأنا" أو الفاعل الفرنسي "والآخر" أو الفاعل العربي تحديدا ومـــن ثم تمـــت المقارنـــة بين الأساليب والوسائل المستعملة لكل منهما على حدة، والتي تشمل الأحكام والصفات والتقديرات العامّة والمتكرّرة ذات الدلالة الإيجابية أو السّلبية.

وفي فصل دراستها الختامي لخّصت الباحثة النتائج التي توصّلت إليها عبر ثلاث محاور.

1- السّمات الرئيسية العامّة لصورة العرب والإسلام كما تبدو من تحليل النصوص ومرفقاتها في عينة البحث من كتب المرحلة الابتدائية والثانوية بقسيمها.

أ- يقـــدم الخطاب المدرسي الفرنسي للعرب صورة ماضوية بينما يختزل حاضر العرب في مشاكل الهجرة والعنصرية واستهلاك البترول في فرنسا.

ب- الخطـــاب المدرســـي الفرنسي لا ينظر إلى العرب باعتبارهم جماعة ذات كيان خاص ومجال قائم بذاته وإنما هم بدون مكان ولا أرض وليس لهم حيّز جغرافي محدّد وهم لا يحدّدون إلا بالعلاقة مع جماعة خارجية، وإذا أشار إليهم فباعتبارهم شاردين، بدو رحّل، يوجدون في ريف أو مخيّم للاجئين أو في صحراء قاحلة.

جـــ- الخطاب المدرسي الفرنسي لا يعتبر الإسلام حضارة وإلا فهو حضارة أدنى من غيرها مـــع تقلـــيص مقصود للعالم الإسلامي إلى المكوّن العربي فيه فحسب دون ذكره بالاسم: فيم لا تعترف كتب الجغرافيا بمفردة "العالم العربي" لا في النصوص ولا في الخرائط ولا في الرسوم.

2- السّـــمات الـــتي تخص علاقات العرب بالجماعات والشعوب الأخرى مثل الفرنسيين الذين يمثلون مركز الاهتمام للكتب المدرسية محل البحث.

أ- يقـــدّم الخطاب المدرسي الفرنسي علاقة العرب المسلمين بالفرنسيين وبغيرهم على أنها علاقـــة مجابهة ونزاع عسكري ويركّز على الحدث السياسي والعسكري وقت الحرب أكثر من علاقات التبادل في فترات السّلم.

ب- أن العنصـــر العربي الإسلامي هو البادئ بالعدوان والمتسبب فيه حتى عندما يكون في موقـــف الدّفاع عن النفس والمعتدى عليه، بينما يقدّم الفرنسي والإسرائيلي في موقف المدافع عن النفس أو الرّاد على الاستفزاز أو المتدخل لمنع اعتداء محتمل.

جـــ- أن المجابهة تنتهي دائما للآخر على العربي وعلى المسلم، فالآخر هو المنتصر، والغالب والســـائد، والمتفوّق، أما العربي والمسلم فهو دوما المنهزم، التابع، المتمّرد، الخاضع، الدوني... ولا

تحظى انتصارات العرب والمسلمين بأدنى اهتمام لدى مجموع المؤلفين للكتب المدرسية الفرنسية.

د- يتجه الخطاب المدرسي الفرنسي إلى طمس هويّة الفاعل العربي والشخصية العربية فيم يبالغ في تأكيد هوية الفاعل الفرنسي والشخصية الفرنسية وتختلف أشكال إغفال هوية الشخصيات العربية في كتب التاريخ والجغرافيا والقراءة والتربية المدنية في المرحلة الابتدائية مع خفض حدّتها في المرحلة الثانوية.

هـ- يتضمن الخطاب المدرسي الفرنسي قوالب يكوّن عبرها صورة العرب والإسلام تتخذ ثلاثة أشكال هي:

- قوالب وصفية من نوع: العرب يتصفون
- قوالب موقعية تتعلق بوضع العرب ومركزهم والأدوار التي تنسب إليهم.
- قوالب بنيوية تجعل العرب والمسلمين دائما في علاقة تعارضية مع غيرهم.

وبالمقارنة بين المرحلة الابتدائية والثانوية فقد توصّل البحث إلى أن:

- هناك قوالب معادية للعرب وللمسلمين اندثرت، وقوالب أخرى هي محل خلاف.
- هناك قوالب لا تزال راسخة وهذه تمثل النواة الصلبة في تكوين صورة العرب في الكتب المدرسية الفرنسية مثل أوصاف الدونية، الهزيمة، ونهاية المجابهة مع الفرنسيين دوما بالهزيمة أو الموت أو الاستسلام أو الهروب أو الفشل.

و- أن الخطاب المدرسي الفرنسي المعادي للعنصرية لا يهدف إلى الإقناع بدحض القوالب المعادية للعرب والمسلمين و إنما يتوقف فقط عند إبراز لا أخلاقية الاتجاه العنصري وافتقاد أطروحاته لأي أساس علمي.

3- سجّل البحث الاختلافات بين الناشرين التي قد تعمل على التقليل من مبالغة النظرة الفرنسية المتمحورة حول الذات القومية نحو العرب والمسلمين.

مـــن الضروري الإقرار بأن كلّ دراسة من الدراسات السابقة قد ارتبطت بأهداف خاصة ومـــناهج بحثـــية متبايـــنة، ولا شـــك في أن ما توصلت إليه من نتائج كان متسقا مع الأهداف والتســـاؤلات التي حدّدها الباحثون لأنفسهم، غير أن مراجعة هذه الدراسات وعلاقتها بالدّراسة موضوع البحث تكشف عن جملة من الملاحظات العامة والخاصة حسب عدد منها:

1- ارتبطـــت هذه الدراسات بحيز مكاني وزماني محدّد بخصوصية المحلية الوطنية وبأهداف زمنية مرحلية داخل ذلك الحيز المكاني وعليه تأتي خصوصية وأصالة الدراسة موضوع البحث من حيث دراسة الخطاب الإسلامي في الصحافة الجزائرية من حيث الحيز المكاني والزماني الخاص بها.

2- لم تعـــر الدراسات السابقة زاوية ضبط المصطلحات وخصوصيتها الزمانية من حيث ظهورهـــا وخلفياتها ومن يقف وراء صياغتها بالمصطلح المعبّر عنها، فنجد دراسة أحمد حمدي": الخطـــاب الايديولوجي عبر الصحافة الجزائرية باللغة العربية، وفي تناوله للخطاب الإسلامي فإنه يصـــفه "بالخطاب المتوارث" ثم نجده يصنفه تحت عنوان الخطاب التقليدي ضمن أنواع الخطابات التي عرفتها الجزائر وهي الخطاب الاندماجي، والخطاب الوطني. ثم حكم عليه بأنه فقد مبرّرات وجوده في فترة الدراسة، وهو ما يستدعي مراجعة هذا الحكم ويتطلب ضبطا واعيا للمصطلحات قـــيد البحـــث لما لذلك من أهمية من الناحية الأكاديمية العلمية ليس فقط في تحديد المفاهيم وإنما خاصة في تحديد مرجعية المصطلح.

3- رادفـــت دراســـة "الخطاب الديني في الصحف المصرية" بين الخطاب الديني والخطاب الإسلامي دون مبرّر علمي وذلك بصورة مطّردة في البحث وهو ما يستدعي ضبطا دقيقا وتفريقا بـــين الديني الذي يتناول الصفة المشتركة بين الأديان السماوية إذا تعلّق الأمر بالمقارنة بين ما هو ديـــني وما هو غير ديني أو الذي يتناول خصوصية الوصف لقضايا وشؤون دينية عن أخرى غير الدينـــية في الشأن الدّولي، لكن الأمر لا يستدعي تعميم هذه الصفة على خصوصية الخطاب أو القضية الإسلامية ابتداء.

4- في دراسة "حركة الاتجاه الإسلامي في تونس" استخدم الباحث عددا من المصطلحات كمرادفات لمصطلح الخطاب الإسلامي دون ضبط المدلول لا في فقرات الموضوع ولا في هوامشه،

فنجد مثلا: الاتجاه الإسلامي، الإسلام الاحتجاجي، الإسلام الأصولي، الحركة الإسلامية، التيار الإســـلامي، الإسلام السياسي وهو ما يستدعي ضرورة ضبط وتحديد بعض الفروق الدلالية بين مختلف الاستعمالات عند تناولها في دراسة أكاديمية.

5- تدخل دراسة، صورة الإسلام في الكتاب المدرسي الفرنسي"، في الدراسات الإعلامية التي تبحث في علاقة "الآخر" "بالأنا" والتي عرفت رواجا ملحوظا منذ بداية العقدين الأخيرين من القـــرن المنصـــرم، والتي تتفق معظمها حول تاريخية ولادة الخطاب الإسلامي إلى بداية الحملات الاستعمارية الغربية على الوطن الإسلامي، ومن ثم تحديد طبيعة الخطاب في موقفه من "الأخر" — الغـــرب في معطـــياته الصليبية، واللاتينوإغريقية، فإن البحث موضوع الدراسة ونظرا لخصوصية وطـــبيعة الاحـــتلال الفرنسي للجزائر في بعده الديني والثقافي ستتبع ملامح تأثير الوعاء اللغوي الفرنســـي والـــثقافة الفرنســـية في صياغة الخطاب الصحفي المكتوب باللغة الفرنسية والمشكل للخطاب الإسلامي فيه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

7- صعوبات البحث وآليات تجاوزها عبر مراحل الإنجاز

تنوعت صعوبات هذا البحث وتعددت فكان منها ما يتعلق بطبيعة البحث موضوع الدراسة من حيث جدته، وانعدام الدراسات العلمية في مجاله، ومنها ما يتعلق بظروف البحث العلمي في الجزائر التي يواجهها الباحثون عموما وخاصة في مجال البحوث الإعلامية، وأخيرا ما يتعلق بظروف الباحثة ذاتها، ويمكن أن نجمل كل ذلك فيمايلي:

1-من أولى جوانب الصعوبة التي واجهت الباحثة في هذه الدراسة هو حساسية بعض موضوعاتها التي ترتبط معظمها بالأحداث المعاصرة التي عاشتها الجزائر، منذ الثمانينيات، بالإضافة إلى الأحداث التاريخية والسياسية للجزائر المستقلة عموما، ثم انعدام المادة العلمية الجزائرية في كثير من زوايا هذه الأحداث، إلا ما يختصر منها حصرا في المادة الإعلامية التي تعرض لجانب منها للتحليل والدراسة، كما تكمن حساسية بعض المواضيع بارتباطها من أكثر من جهة ليس بالأشخاص والأسماء وإنما بأصول الإسلام نفسه وأحكامه الشرعية المختلفة والتي لاحظت الباحثة جرأة الكتابات الصحفية باللغة الفرنسية منها الجرائد موضوع البحث، في عدم الإكتراث بعرضها بما لا يضعها في إطارها من التقديس والوقار، ومع إيمان الباحثة العميق بالموضوعية والحياد إلا أن مثل هذه المواضيع، مثل الصلاة، تحريم شرب الخمر، عدم توقير الرسول ﷺ، أو التجاهل الكلي للبعد الإسلامي للجزائر وغيرها كما سيوضحه في الجانب التطبيقي، خاصة لا يمكن أن يتعامل معها بالحياد، لأن الموضوعية حينها تعني أن تعرض للقضية وتحللها وتكشف وجه المحظور فيها، وتنسبه إلى صاحبه بالتوثيق الواضح موقفا ومضمونا وتوقيعا.. وفيما عدا ذلك فقد اعتمدت الباحثة كثير من المصادر والمراجع خاصة التي تتعلق بالندوات والمؤتمرات العلمية العربية، التي تناولت الأزمة الجزائرية من مختلف الجوانب لتعضد بها أراءها أو تبرر علميا ما تتبناه منها بالتحليل والنموذج والنقاش... وتؤمن الباحثة أنها بذلك قد أدت بعض ما عليها من التفسير بالقلم واللسان بعد أضعف الإيمان.

-تعد الدراسة التي تتقدم بها الباحثة أول دراسة علمية حول الموضوع الذي اختارته للبحث الخطاب الإسلامي في الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، وهذا النوع من البحوث ذات

الطابع الريادي يضمر عادة صعوبات انعدام المادة العلمية في الموضوع، وكذا صعوبات ذات أبعاد تطبيقية فضلا عن ندرة البحوث الإعلامية بصفة عامة، نظرا لحداثة هذا المجال أصلا، كما هو معروف، ومنذ البداية واجهت الباحثة مشكلة انعدام المادة العلمية، حيث إمكانية الاستهداء بدراسات سابقة جزائرية أو عربية أو أجنبية للموضوع في فترة البحث الأولى 88-1996م، التي كانت الباحثة قد حددتها كإطار زماني لدراستها، وذلك سواء في جانبها النظري أو التطبيقي قبل أن تعدل عنها اضطرارا إلى فترة أخرى بسبب ذلك كما سأوضحه لاحقا.

-يعد مصطلح الخطاب الإسلامي نفسه مصطلحا معاصرا وجديدا ظهر في عدد من الكتابات الأجنبية أساسا في فترة التحول الديمقراطي عالميا ومحليا ليعبر عن اتجاهات ذلك التحول في الدول الإسلامية، كما بدأ ينتشر ليعوض مصطلحات كثيرة وفي آن واحد مثل الصحوة الإسلامية، والدعوة الإسلامية، وحتى الإسلام نفسه في الغرب عموما قبل أن تستبدل هذه بمصطلح الخطاب الإسلامي أحيانا أيضا في بعض الأدبيات العربية على ندرتها خاصة عند التمييز بينه وبين الخطاب العلماني اللائكي في الدول الإسلامية نفسها.

أما صعوبات الجانب التطبيقي وقد كانت مصدر عناء كبير للباحثة على مختلف الأصعدة، وقد صاحبها حتى المرحلة الأخيرة من البحث، وتمثلت في شقين من الصعوبات.

1-انعدام الأرشيف المتعلق بالجرائد موضوع البحث، أو عدم ترتيبه بحيث لا يصلح لاختيار عينة علمية منه لكثرة ثغراته وعدم وجود أعداد كثيرة ضمنه، ثم وهو الأهم منع تصويره أو اقتنائه وجعله في متناول الباحث الذي يطلبه بوسائله الخاصة، أو اقتنائه شراء، ومن ثم وجوب العمل عليه في عين المكان بأرشيف بعض المؤسسات الإعلامية أو المكتبات التي هو موجود فيها، وقد عانت الباحثة من كل هذه الصعوبات جملة وتفصيلا، سواء ما تعلق من ذلك بالجرائد التي اختارتها موضوعا للبحث، أو للفترة التي حددتها حيزا زمنيا لدراستها، وقد اضطرت الباحثة لتعدل عما اختارته من جرائد لانعدام أرشيفها إلى آخرى لتوفره، ومن ثم أن تعدل عن فترة البحث من الأولى 1988-1996م إلى سنة 2002م فقط بسبب كل ذلك.

8- عرض خطة البحث

قسمت الباحثة دراستها إلى مقدمة وقسمين وعشرة فصول وأربعة وأربعين مبحثا وسبع وأربعين مطلبا وخاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت على الإطار المنهجي للدراسة تعريفا بموضوعها وعرضا لدوافع وأسباب اختياره، وتحديدا لإشكالياته وتساؤلاته وفروضه، ثم أهدافه وأهميته ومنهجه وصولا إلى الدراسات السابقة التي تناولت جوانب منه أو كان لها به علاقة من أي جانب ما فيه وأخيرا الصعوبات التي واجهتها الباحثة وجهودها لتجاوزها مع الإشارة إلى أن الباحثة وفي عرضها تساؤلات الدراسة وفروضها من جهة، وكذا في عرضها لمنهجها قد قسمت الحديث عنها فيما يتعلق منها بالجانب النظري أولا ثم الجانب التطبيقي ثانيا، الذي تفصل الحديث فيه في الدراسة التطبيقية من البحث.

وقسمت الباحثة دراستها إلى قسمين يتعلق الأول بالجانب النظري، الذي قسمته إلى ستة فصول عرضت فيها إلى دراسة مختلف زوايا الموضوع، حيث اهتم الفصل الأول بدراسة كل من الخطاب والخطاب الإسلامي في اللغة والاصطلاح، وشمل ذلك قراءتهما في اللغة العربية واللغات والثقافة الأجنبية بعد أن عرض لمفهوم الخطاب مفهوم في الثقافة العربية الإسلامية، وذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب التفسير والأصول وكذا في معاجم وموسوعات العربية ثم عرض العديد من المصطلحات الغربية للخطاب الإسلامي، قبل الانتهاء إلى تأصيل مفهومه بتقديم التعريف الإجرائي الذي تتبناه الدراسة في مختلف فصوله ومباحثه ومطالبه.

أما الفصل الثاني فقد عرضت الباحثة فيه إلى الخطاب الإسلامي في نشأته ومسيرته وتطوره في الوطن الإسلامي، وبدأت ذلك بمقاربات في نشأته عبر المبحث الأول من الفصل، وتناولتها المطالب الثلاثة للمبحث على التوالي واستدعى المبحث مطلبا رابعا لترجيح القراءة الإسلامية في مقابل القراءة الاستشراقية.

وتناول المبحث الثاني من هذا الفصل الخطاب الإسلامي في العصر الحديث، حيث أهمية ذلك ببيان موقعه بين واقع التخلف وهاجس النهضة في العالم الإسلامي، من جهة وأهمية بيان

موقعه في معترك القرار الحضاري للأمة ومستقبلها ضمن خصوصيتها.

أما المبحث الثالث وعبر مطالبه الثلاثة فقد تناول مسيرة تحول الخطاب الإسلامي المعاصر من موقع التنظير ثم الفعل الحضاري والثقافي إلى العمل السياسي في العالم الإسلامي، وفهم مسوغات ذلك عبر أسباب فشل مشروع النهضة الذي تناوله المطلب الأول من المبحث، ثم سيادة الخطاب الاستعماري بتحول الغرب إلى حالة داخلية وتسلط النخبة المتغربة في العالم الإسلامي، وهو ما تناوله المطلب الثاني من المبحث، وأخيرا باجمال مسوغات تحول الخطاب الإسلامي إلى التعبئة السياسية للأمة بدل التنظير الفوقي الذي لا يجد طريقه إلى التطبيق بسبب النخبة البديلة عن علماء الأمة في القيام بذلك قرارا وتنفيذا وفرضا قسريا.

وننتقل مع كل من الفصل الثالث والرابع والخامس على التوالي إلى الخطاب الإسلامي في الجزائر، حيث تناول الفصل الثالث الحديث عن الخطاب الإسلامي في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي الذي انتهج مختلف السياسات لتغيبة منها عبر أهداف الاحتلال الديني والحضاري للجزائر وعرضت الباحثة لشرح ذلك عبر عشر سياسات كان من شأنها قبر الإسلام ولغته إلى الأبد في الجزائر وهو ما تضمنه المطلب الأول من المبحث الأول من هذا الفصل وفي المقابل عرضت الباحثة لمسيرة الخطاب الإسلامي في الجزائر لإفشال سياسات الاستعمار الفرنسي والانبعاث من جديد وآلياته في ذلك حفاظا على دين الشعب الجزائري ولغته تحديدا، واستخداما لأساليب العصر ومنها أساليب الفرنسيين أنفسهم من صحافة ومظاهرات وعرائض والهجرة خارج الجزائر انتظارا لتغيّر الظروف وحفاظا على الإسلام والعربية، وكان هذا موضوع المطلب الثاني قبل أن تعرض الباحثة لعوامل ووسائل المقاومة الحضارية والدينية المنهجية في الجزائر، قبل جمعية العلماء وبعدها، وكانت هذه موضوع المطلب الثالث من هذا المبحث.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل، فقد عالج مسألة النخبة المتغرّبة في الجزائر وعملية صناعتها فرنسيا لتحل محل الإدارة والفرنسية نفسها بعد أن بات من الواضح اقتراب نهاية الاحتلال وفشل سياسته في الجزائر، وقد كانت هذه النخبة موضوع المطلب الأول تنظيرا وواقعا في الدول المستعمرة ثم موضوع المطلب الثاني، الذي تناول مراحل تكوينها وتصنيفها فرنسيا في

الجزائر، ثم عرض المطلب الثالث للحديث عن تجدد واستمرار صناعة النخبة البديلة عموما وفي الجزائر خصوصا حيث كان هو الرهان المستمر على نجاح الاستعمار الجديد.

وتناول المبحث الثالث من هذا الفصل نتائج سياسة الفرنسة في الواقع الجزائري والتي تمثلت على التوالي في عزل الخطاب الإسلامي عمليا، وكذا إضعاف اللغة العربية وتهديد العامية بالزوال وهما موضوعا المطلب الأول والثاني والتي تمثل بداية للفرنكفونية في الجزائر المستقلة في بعديها الديني واللغوي تحديدا.

وتناولت الباحثة الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة أثناء الاشتراكية وبعد التحول إلى التعددية، وذلك في الفصل الرابع والخامس من القسم النظري للدراسة، أما الفصل الرابع فقد عالج الخطاب الإسلامي عبر النصوص الرسمية للجزائر المستقلة في الفترة الاشتراكية والتعددية، وذلك عبر مباحث أربعة هي على التوالي:ما بعد انطلاق الثورة المباركة، والخطاب الجديد لما بعد الاستقلال، وعرض المطلب الأول لمناقشة التحول في خطاب الاستقلال لمبادئ الدولة الجزائرية بعد بيان أول نوفمبر الذي أعلنه قادة الثورة في 1954م، ثم تناول المطلب الثاني "برنامج طرابلس" الذي قرر حتمية الانقلاب العقائدي في إيديولوجية الثورة الجزائرية، وتناول المطلب الثالث لبعض نصوص "برنامج طرابلس" التي قدمت مراجعة للثورة الجزائرية نفسها مصطلحا وأهدافا، وتناول المطلب الرابع الحديث عما يقصده "برنامج طرابلس" بالطليعة الواعية ودور هذه الطليعة في صياغة المشروع الحضاري للجزائر المستقلة.

أما المبحث الثاني، فعرض لموقع الخطاب الإسلامي في مختلف النصوص الرسمية قبل إقرار الاشتراكية رسميا في الجزائر وبعدها، بداية من دستور 1963م، ثم التصحيح الثوري في 19 جوان 1965م، ثم عبر نصوصها من الميثاق الوطني لسنوات 1976م-1986م، وكذا في دساتير السنوات نفسها.

وتناول المبحث الثالث موقع الخطاب الإسلامي عبر نصوص دساتير التعددية في الجزائر تحت عنوان "التحول الجديد وخيار التعددية"، وتناول المطلب لأول منه موقع الخطاب الإسلامي عبر نصوص دستور 1989م، ثم تناول المطلب الثاني ذلك عبر نصوص دستور 1996م.

وقد تناول الفصل الخامس الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة وتأثيره السياسي وعبر ثلاثة مباحث عرضت الباحثة فيها على التوالي إلى: الخيار الاشتراكي في الجزائر، ومسألة الإجابة عن موقع الإسلام في مستقبل الجزائر، وهو ما عالجته مطالب المبحث الأول في الخطاب الرسمي وطبيعة دور جماعات الضغط في الجزائر، ثم الخطاب الاشتراكي والسياسة الدينية في الجزائر المستقلة عبر ترسيم المؤسسة الإسلامية من جهة، وتوظيف المفاهيم الإسلامية لشرعنة عملية التنمية بالمنظور الاشتراكي من جهة أخرى. أما المبحث الثاني من هذا الفصل، فعرضت فيه الباحثة إلى مظاهر النشاط الإسلامي في الجزائر الاشتراكية، وقد عالجت ذلك في ستة مطالب أشارت في كل منها إلى مجال من مجالات ذلك النشاط وشخصياته ومؤسساته، وكانت كما يلي: مواقف فردية، وبيان "الإبراهيمي": ضد الانحراف العقدي والسياسي، وجمعية القيم ومجلة التهذيب، وفي مواجهة اليسار الجزائري، ومشروع "مالك بن نبي" الإسلامي، وأخيرا ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي.

وعالج المبحث الثالث الخطاب الإسلامي في الجزائر التعددية، عبر أربعة مطالب تناول الأول منها أسباب التحول إلى التعددية وسقوط نظام الحزب الواحد، والذي عرض إلى البيئة الدولية العوامل الإقليمية والعوامل الداخلية، التي تمثلت أهمها في مشكلة المشاركة الشعبية في سياسة الدولة والمجتمع، ومشكلة عدالة التوزيع، ثم في مشكلة الشرعية في الجزائر. وتناول المطلب الثاني التعديلات الدستورية التعددية وتنظيم الحياة الحزبية في الجزائر، بينما عرض المطلب الثالث إلى خريطة الأحزاب في الجزائر ومنها الأحزاب الإسلامية، وعالج المطلب الرابع الانتخابات التعددية الجزائرية وقوة الصوت الإسلامي فيها.

وقد تناول الفصل السادس معالجة موضوع الصحافة الكتوبة بالفرنسية في الجزائر المستقلة، عبر النصوص الرسمية وواقع هذه الصحف في الجزائر أثناء الحكم الاشتراكي، وبعد التحول إلى التعددية الإعلامية وكذا عبر الأدبيات والكتابات في هذا الموضوع القليلة أو لنادرة عموما، الأجنبية منها والجزائرية وتناولت مباحث هذا الفصل على التوالي لغة الإعلام في الجزائر، الذي يجيب عن هل هناك قرار معين في هذا المجال رسميا، عبر تتبع توجه واقع الإعلام لغويا في الجزائر، والذي يرجح كفة الفرنسية فيه وهو ما يفصله كل من المبحث الثاني الذي عالج معطيات

الإرث الاستعماري وأولويات التحرر الإعلامي والمبحث الثالث الذي عالج عبر العناوين الصحفية التي صدرت في الجزائر والحظوة التي بذلت للمكتوبة منها بالفرنسية خاصة فيما يتعلق بعدد السحب، ومساحة التوزيع، وبالأولوية في الصدور، وذلك عبر ذكر نماذج وتوثيق ذلك من الكتابات في هذا المجال، وتناول المبحث الرابع موضوع اللغة العربية عبر قوانين الإعلام الصادرة في الجزائر تحديدها وشرحها والتعليق عليها فيم عالج المبحث الخامس علاقة الصحافة المكتوبة بالفرنسية بالديمقراطية، وعبر ذلك بسياسة الفرنكفونية في الدول المعنية بالدمقرطة، وهذا عبر الكتابات الأجنبية من جهة ثم تمظهر ذلك في واقع هذه الصحافة ميدانيا، وهذا عبر الكتابات الجزائرية نفسها والتي تتبنى هذا التوجه وتحمل شعاره عبر العناوين المكتوبة بالفرنسية في الجزائر فيما بعد التعددية، ومنها العناوين المختارة لموضوع البحث ويتعلق الأمر خاصة بجريدتي " Liberté" و"EL Watan".

هذا عن القسم النظري للدراسة، أما القسم التطبيقي فقد تم تقسيمه إلى أربعة فصول من جهة وإلى مباحث اختلف عددها من فصل إلى آخر خاصة تلك المتعلقة بعرض النتائج والتي تستجيب في ذلك إلى عدد فئات التحليل في موضوعات الخطاب الإسلامي. تم في نتائج فئات ماذا قيل؟ وأخيرا في نتائج فئات كيف قيل؟

أما الفصل السابع فقد عرض عبر مباحثه الأربعة على التوالي إلى التعريف بمنهج تحليل المضمون الذي اختارته الباحثة لتحليل الجرائد موضوع البحث، وهو موضوع المبحث الأول، ثم تحديد مجتمع البحث وعينيته وطريقة اختيار العينة والإطار الزماني للبحث، وقدمت الباحثة جداول لعينة كل جريدة موضوع البحث، وذلك في المبحث الثاني، ثم تعريف بالجرائد موضوع البحث على التوالي جريدة "Liberté" "EL Moudjahid" "El Watan" بتناول تاريخها وظروف صدورها وطبيعة الجهة التي أصدرتها من جهة، إلى جانب عرض مفصل لمختلف أقسامها وصفحاتها كما قدمت الباحثة في جداول توضيحية لمختلف المواضيع التي تتناولها كل جريدة مع معلومات إحصائية، وتناول المبحث الرابع إلى تحديد فئات التصنيف ووحدات التحليل والتي سمحت بتصميم استمارة البحث وجداول التفريغ.

أما الفصل الثامن والتاسع والعاشر من الدراسة التطبيقية فتناولت عرض نتائج على التوالي: موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث وقد اختص كل مبحث بعرض نتائج كل جريدة على حدة فيما تناول المبحث الرابع عرض النتائج الكلية في الجرائد الثلاثة، وكان هذا موضوع الفصل الثامن خاصة، أما الفصل التاسع فتناول عبر ستة مباحث، وهي فئات موضوعات الخطاب الإسلامي، بعرض كل مبحث لفئة من الموضوعات عبر الجرائد الثلاثة وتتولى ذلك مطالب بعدد الجرائد –ثلاثة– ثم مطلب رابع لعرض النتائج الكلية للموضوع المحدد في الجرائد الثلاثة، وهكذا مع كل موضوع، وتقدم الباحثة ذلك في جداول خاصة بكل جريدة ثم بجدول للنتائج الكلية للفئة المدروسة أولا ثم تعرض ذلك في شكل موضح للبيانات في نهاية عرض النتائج الكلية لكل فئة من الموضوع.

وتناول الفصل العاشر عرض نتائج فئات كيف قيل؟ للخطاب الإسلامي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث، وعالج ذلك عبر ستة مباحث بعدد الفئات الستة المدروسة وهي على التوالي: فئة الموقع، والشكل الصحفي، وظيفة المضمون، وسيلة تحقيق المضمون، الاتجاه والمرجع، وبطبيعة الحال يتم عرض نتائج كل فئة عبر كل جريدة على حدة ثم يقدم عرض للنتائج الكلية لكل فئة في الجرائد الثلاثة موضوع البحث، وهو ما تتولاه مطالب كل مبحث، ثم تعرض الباحثة قراءة ذلك عبر أشكال توضيحية للنتائج الكلية لكل فئة للجرائد الثلاثة.

وتنهي الباحثة دراستها بخلاصة واستنتاجات عامة تعرض فيها نتائج بحثها عبر الإشارة إلى الإجابة على تساؤلات البحث في قسمة النظري أو التطبيقي من جهة، ثم الإجابة عن التحقق من الفروض التي طرحتها الدراسة من عدمه، ثم بخاتمة تربط بين استنتاجات الدراسات وأفكار لآفاق بحوث مقترحة لطلاب العلم، وللإفادة العلمية والأكاديمية تعضد الباحثة دراستها بملاحق مختلفة عن صور للجرائد موضوع البحث أو للموضوعات التي تستدل بها في ثنايا الدراسة لتأكيد قراءتها وتحليلها وعرضها لمختلف القضايا– الفئات المدروسة، وكذا لاستمارة البحث ودليلها وجداول التفريغ ، ثم تعرض قوائم فهرسية على التوالي للآيات التي تم الاستشهاد بها في ثنايا الدراسة، وكذا للأحاديث النبوية ثم فهارس للأشكال التي عرضها البحث وللجداول التي تمت دراستها وقراءة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بياناتها ثم فهارس المصادر والمراجع التي اعتمدتها الباحثة لتوثيق مادتها العلمية، وفي الأخير فهرس الموضوعات وعناوين أقسام الدراسة وفصولها ومباحثها ومطالبها.

وبعد أن أعانني الله على إكمال فصول هذه الدراسة الذي أحمده على ذلك حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، أتقدم بشكري إلى الأستاذ الدكتور عبد الله بوجلال على متابعته سير البحث وقراءته وتوجيهاته المنهجية التي أمدني بها طيلة ذلك، حتى خرج على الشكل الذي هو عليه، راجية أن يستفيد منه طلاب العلم، ويجعله الله في ميزان حسناتي -آمين-.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القســـــم النظـــري

الفصل الأول: الخطاب والخطاب الإسلامي في اللغة والاصطلاح

الفصل الثاني: الخطاب الإسلامي، النشأة والمسيرة والتطور

الفصل الثالث:الخطاب الإسلامي تحت الاحتلال الفرنسي في الجزائر: بين سياسات التغييب ومسيرة الانبعاث الصعب (ة)

الفصل الرابع: الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة بين النصوص الاشتراكية والتعددية

الفصل الخامس: الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة وتأثيره السياسي

الفصل السادس: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر المستقلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

الخطاب والخطاب الإسلامي في اللغة والاصطلاح

المبحث الأول: مفهوم الخطاب في اللغة العربية

المبحث الثاني: دلالة الخطاب في الاصطلاح

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي المصطلح والمفهوم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخطـــاب- كلمة عربية لها مدلولها داخل منظومة اللغة العربية بنسقها المفاهيمي، وداخل النظام المعرفي العربي، ومن ثم توجّب تأصيل مفهومه في مجاله التداولي الأصلي أي في لغته الأم – اللغـــة العربية- قبل تأصيله في المجال المعرفي الحديث الذي ترجم منه واستعمل فيه، ويقتضي ذلك تحديد مختلف معاني الكلمات المؤلفة من المادة –الاصْل- مادة (خ.ط.ب) عبر ما يلي:

المبحث الأول: مفهوم الخطاب في اللغة العربية

المطلب الأول: الخطاب ومشتقاته في القرآن الكريم وكتب التفسير

1- الخطاب ومشتقاته في القرآن الكريم:

ترددت مادة –خ.ط.ب- في القرآن الكريم في اثنتي عشرة[1] مرة موزعة على إحدى عشر آية، بصيغ عديدة يوضحها الجدول التالي –وبناء على ترتيب النزول في المصحف الشريف

السورة	رقم الآية	صيغة الورود	نوعها	نص الآية الكريمة
1- البقرة	235	"خِطبة"	مصدر	-قـــال الله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم...﴾
2- هود	37	"تخاطبني"	فعـــل مضارع	-قـــال الله تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾.
3- يوسف	51	"خطبكنّ"	مصدر	- قـــال الله تعالى: ﴿قال ما خطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء...﴾
4- الحجر	57	"خطبكم"	مصدر	- قـــال الله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾
5- طه	95	"خطبك"	مصدر	- قـــال الله تعـــالى: ﴿قال فما خطبك ياسامري﴾

[1]-محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط 1945م، ص295.

6- المؤمنون	27	"تخاطبني"	فعل مضارع	- قال الله تعالى: ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾.
7- الفرقان	63	"خاطبهم"	فعل ماضي	- قال الله تعالى: ﴿وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾.
8- القصص	23	"خطبكما"	مصدر	- قال الله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾
9- ص	20	"الخطاب"	مصدر	- قال الله تعالى: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾.
- ص	23	"الخطاب"	مصدر	- قال الله تعالى: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾.
10- الذاريات	31	"خطبكم"	مصدر	- قال الله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾.
11- النبأ	37	"خطابا"	مصدر	قال تعالى: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمان لا يملكون منه خطابا﴾.

الجدول رقم 1: مادة "خطب" في القرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قـــراءة الجـــدول تقول أن "الخطاب" قد ورد في القرآن الكريم في عدد من الصيغ أكثرها المصدر تسع مرات وذلك كالتالي:

بصيغة "الخطاب" ثلاث مرات، واثنتان منها معرفة "الخطاب" والثالثة نكرة "خطابا" بصيغة "الخطـــب" خمس مرات كلها مصاغة على ضمائر: المخاطب، المفرد، المثنى، الجمع بنوعيه المؤنث والمذكر: خطبك، خطبكما، خطبكم (مرتان)، خطبكن.

بصيغة الفعل: ثلاث مرات: واحدة في الفعل الماضي خاطبهم، والأخريين في الفعل المضارع تخاطبني (مرتان).

وعلـــيه فقد تم رصد الصيغ الآتية للخطاب، الخطب، الخطبة، المخاطبة. والتي عرض إليها المفسرون قديما وحديثا عبر ما احتواه من كتب التفسير.

2- الخطاب في كتب التفسير:

يـــرادف "الخطـــاب" في كتب التفسير لفظ المخاطبة، والخطبة وهو الكلام، القول، البيان الســـطان، الشـــأن، الأمـــر، الرأي، ولا يخرج عن هذه الألفاظ عموما مع بعض الإيضاحات نستخلص منها مواضيع الخطاب ومجالاته.

يقول "الزمخشري" (ت 528هـــ) في تفسيره لـــ: فصل "الخطاب" في الآية 20 من سورة — ص- هو الحكمة، وهي كل كلام وافق الحق، وقيل الكلام البين، والكلام المخلص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه «وفصل الخطاب: هو الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والـــباطل. والصـــواب والخطـــأ. وهـــو كلامه -كلام سيدنا داود —عليه السلام— في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات»[1].

وعـــن الخطاب في "عزني في الخطاب" الآية 23 من سورة —ص- قال "الزمخشري": «أراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل، ومحاجّة في ذلك محاجّة حريص على بلوغ مراده»[2].

---

[1]- أبـــو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط 1354هـــ، ج 3 ، ص ص 312-322.

[2]- المصدر نفسه، ص 323.

وعلّق صاحب الانتصاف[1] (ت 683هـ) بقوله: «الخطاب" يمكن أن يكون من المخاطبة ومن الخطبة ومعناه: أتاني بما لم أقدر على ردّه من الجدال»[2].

وعنّ "الخطاب" في سورة النبأ في قوله تعالى: (...**الرّحمن لا يملكون منه خطابا**) قال "الزمخشري" «لا يملكون التكلّم بين يديه»[3].

ويذهب "الألوسي" (ت 1270هـ) إلى المعاني نفسها في تفسيره المعروف "روح المعاني"[4].

أما "الشوكاني" (1173-1250هـ) في تفسيره للخطاب في الآية (... **لا يملكون منه خطابا**) فقال "أي لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه، وقيل الخطاب: «الكلام، أي لا يملكون أن يخاطبوا الرّب سبحانه إلا بإذنه»[5].

وقال القرطبي (ت 671هـ) في فصلّ الخطاب: «الفصل هو القضاء، بيان الكلام، البيان الفاصل بين الحق والباطل، وقيل هو الإيجاز يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل كما علّق بأن "المعنى في هذه الأقوال متقارب»[6].

وفي تفسيره لـ: "عزّني في الخطاب" قال: «أي غلبني، إن تكلّم كان أفصح منّي وإن حارب كان أبطش مني»، ثم أضاف: «غلبني بالبيان، وغلبني بالسلطان»[7].

وقد نحت التفاسير الحديثة أيضا إلى اعتبار الخطاب والمخاطبة والخطابة والخطبة مرادفات لنفظ واحد، وهي تعني عندهم أيضا: الكلام، القول، الرأي، البيان فنجد في تفسير "التحرير

---

(1) – هو الإمام ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير المالكي، قاضي الاسكندرية، توفي في 683هـ، وتفسيره الانتصاف يوجد على حاشية تفسير "الكشاف" في الطبعة المذكورة سابقا.

(2) – الزمخشري، المصدر السابق، ج3، ص 323.

(3) – المصدر نفسه، ص 179.

(4) – أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المطبعة المنيرية، القاهرة، دت، ج 30، ص 19.

(5) – محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فنّي الدّراية والرّواية من علم التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، دت، ج5، ص 370.

(6) – أبو عبد الله بن محمد أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب للطباعة والنشر، القاهرة 1967م، ج 15، ص 126.

(7) – المصدر نفسه، ص ص 174-175.

والتـــنوير" تعريفا متميزا للخطاب يقول فيه "محمد الطاهر بن عاشور". «الخطاب: الكلام الموجّه لحاضر لدى المتكلّم أو كالحاضر، المتضمن إخبارا أو إنشاء مدح أو ذم»[1].

و"الخطـــاب" في تفســـيره للآيـــة (...**فصل الخطاب**) هو: «بلاغة الكلام، وجمعه للمعنى المقصـــود بحيـــث لا يحـــتاج سامعه إلى زيادة تبيان، ووصف القول بالفصل وصف بالمصدر أي فاصل...» ثم قال المفسّر: «أن داود عليه السلام أوتي من أصالة الرأي وفصاحة القول ما إذا تكلّم جاء بكلام فاصلٍ بين الحق والباطل شأن كلام الأنبياء والحكماء»[2].

وعـــن "عزني في الخطاب" أورد المفسِّر لفظ "المخاطبة" للتعبير عن لفظ "الخطاب" ثم أورد لفـــظ "الكـــلام" وقـــال: عـــزّني في الخطاب: «غلبني في مخاطبته أي أظهر في الكلام عزّة عليّ وتطاولا»[3].

والخطاب عند "سيد قطب" هو الرأي والقول، فقد ورد في "الظلال" عن (فصل الخطاب): «قطعـــه والجـــزم فيه برأي لا تردد فيه»[4] أما عن (عزني في الخطاب) فقال: «أي شدّد علي في القول وأغلظ»[5].

ونخلص إلى تعريف الخطاب في كتب التفسير:

1- الخطـــاب والخطـــبة والخطابة والمخاطبة مفردات للفظ واحدٍ له معاني متعدّدة هي: الكلام، القول، البيان، الرأي، القضاء، السلطان.

2- الخطاب كلام موجّه لحاضر لدى المتكلم أو كالحاضر، أو كلام بين متكلّم ومستمع أو متلق له حاضر عنده أو أمامه أو بعيدًا عنه لأنه في حكم المتلقي عنه.

3- يتضمن الخطاب إخبار (إعلانا، إعلاما أو إبلاغا) أو طلبا أو إنشاء مدح أو ذم.

4- يكـــون الخطـــاب في القضـــايا والحكم وتدابير الملك والمنشورات، كما يكون في القضاء والمنّمات.

---

[1] - محمـــد الطاهـــر بـــن عاشور، تفسير، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج30، ص 50.

[2] - المصدر نفسه، ج23، ص 229.

[3] - المصدر نفسه، ج23، ص 235.

[4] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط2، م7، ج23، ص 95.

[5] - المصدر نفسه، ج23، ص ص 95-96.

5- هناك خطاب صحيح وخطاب فاسد، وخطاب حق، وخطاب باطل، وخطاب صواب وخطاب خطأ وخطاب غالب وخطاب مغلوب.

6- هناك خطاب البيان وخطاب السلطان، وخطاب المقال وخطاب الحال.

المطلب الثاني : الخطاب في السنة النبوية وأصول الفقه

1- الخطاب في السنة النبوية:

تردد لفظ "الخطاب" والخطبة في كتب السيرة والحديث بكثافة على درجة يصعب معها الإحصاء ففي "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي"[1] وعلى مدى خمس صفحات نسجّل حضورا غزيرا لمادة –خ.ط.ب- عبر الإحالات المستفيضة، فكل مناسبة أو عيد أو غزوة أو ظاهرة من الظواهر المختلفة إلا واقترنت في ذكر حديث الرسول ﷺ بالخطبة بمادة خ.ط.ب أو بأحد مشتقاتها.

ولم ترتبط خطب الرسول ﷺ بالخطبة الدينية المقصود منها خطبتي "الجمعة" والعيدين وصلاة الاستسقاء، كما ادّعى مؤلفوا "دائرة المعارف الإسلامية"[2] وإنما ارتبطت بالخطبة مطلقا فقد كان الرسول ﷺ يخطب الناس في الأحداث والمسائل العامة وعند المناسبات دائما ولم يكن لهذا علاقة بالصلوات «بل هي خطب للفصل بين الناس، وتعليمهم، وإبلاغهم الوحي، وذلك بوصفه عليه السلام رسولا وحاكما وقاضيا وهذا بديهي عند كل خبير بشؤون المجتمع الإسلامي حينئذ»[3].

2- الخطاب في أصول الفقه:

"الخطاب توجيه الكلام لمن يفهم"[4] هكذا عرفه الشيخ بخيت. وقد نقل العلماء "الخطاب" من الدلالة على الحدث المجرّد عن الزمن إلى الدلالة على الاسمية فأصبح في عرف الأصوليين "بدل

---

(1) - تأليف جماعي، المعجم المفسر لألفاظ الحديث النبوي، طبعة ليدن، 1943م، ج4، ص ص 44-48.

(2) - فنسينك وغيره، دائرة المعارف الإسلامية، وزارة المعارف المصرية، القاهرة، 1933م، م8، ص ص 370-376.

(3) - المصدر نفسه، م8، ص 373.

(4) - الشيخ بخيت، سلّم الوصول لشرح نهاية السؤال، المطبعة السلفية، عالم الكتب، بيروت، دت، ص 113.

عـــلىَ مـــا خوطـــب به هو الكلام"[1] وقد عرفه الآمدي بـــ: «الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئا»[2] غير أنه رأى أن هذا التعريف لا يتسم بالدقة نظرا لأنه يشمل أيضا "الكلام" الذي يقصد «المـــتكلّم بـــه إفهام المستمع، لأن المعقول من قولنا أنه مخاطب لنا أنه قد وجّه الخطاب نحونا ولا معنى لذلك إلا أنه قصد إفهامنا ولأنه لو لم يقصد إفهامنا لكان عبثا»[3].

والخطاب عند "الآمدي" هو «اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه»[4].

أما "الخطاب" عند الإمام السُّبكي (ت 756هـــ) فهو «ما وجه من الكلام نحو الغير لأفادته»[5].

ويـــرى إمام الحرمين "الجويني" (ت 178هـــ) أولا بأن: «الكلام والخطاب والتكلّم والتخاطب والـــنطق واحـــدٌ في حقيقة اللُّغة، وثانيا أن الكتابة والعبارة يسميان كلاما مجازا لأنه يفهم بهما الكلام»[6].

ويؤكد الإمام "الجويني" على قيمة النص فيثبت أن معنى النص هو «المعنى المفهوم بنفسه ويقوم مقـــام النص ويقدّم على الألفاظ والظواهر، وهو يثبت بذلك موقفا منهجيا له قيمته بالنسبة لتناول النصوص وتحليلها وهو عدم إعطاء مكانة للعبارات دون المعنى وبذلك فهو يعرض رؤية أكثر تقدّما من تحليل المضمون الذي يتوقف عادة عند رصد المحتوى الظاهر للمضمون رصدا كميا»[7].

ولقـــد درج علماء الأصول على استخدام "الخطاب" بالمفهوم الشرعي (الخطاب الشرعي) الذي قسّموه إلى ثلاثة فروع تتناول على التوالي خطاب الله تعالى، خطاب الرسول ﷺ. وخطاب الأمة وهو ما سنعرض إليه لاحقا، ونستفيد من التعاريف المذكورة للخطاب ما يلي:

---

[1] - إدريـــس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994م، ص 21، (نقلا عن الكفاية في الجدل).

[2] - سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ج1، ص 136.

[3] - المرجع السابق، ص 22.

[4] - المرجع السابق، ج1، ص 136.

[5] - شـــيخ الإســـلام عـــلي بن عبد الكافي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ج1، ص 44.

[6] -إدريس حمادي ، المرجع السابق، ص26.

[7] - المرجع نفسه، ص 29.

أ- أن الخطاب هو الكلام والنطق، والتخاطب، كما أنه يجمع بين الكلام المنطوق والكلام المكتوب.

ب- يفترض في الخطاب وجود خطيب من جهة ومخاطب من جهة أخرى، مهيء للسمع أو للفهم.

جـ- القصد من الخطاب هو الإفادة والإفهام لهذا المخاطب أو المخاطبين (بفتح الطاء).

المطلب الثالث: الخطاب في المعاجم ودوائر المعارف

1- الخطاب في المعاجم والقواميس العربية:

في تعريفه "للخطاب" عرض "ابن منظور" في لسان العرب، إلى مختلف اشتقاقات مادة (خ.ط.ب).

مثل الخطاب، والمخاطبة، والخطبة، مقدما تعريفا واحدا لها: «مراجعة الكلام، أو هي الكلام، يقال: خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، ويخطب خطابة»[1].

والخطبة عند "ابن منظور": اسم الكلام الذي يتكلّم به الخطيب، يقال خطب على القوم خطبة -بكسر الخاء- أو خُطبة بضم الخاء -مصدر لفعل خطب، وهي مثل الرسالة التي لها أول ولها آخر.

«والخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجّع ونحوه»[2] وقال: «المخاطبة مفاعلة من الخطاب ومشاورة»[3].

ويفهم من هذا عملية المحاورة والمناقشة وحتى المشلاّة في عرض الآراء والرد عليها، تمحيصا لها وإقناعاً للمتلقي أو تأكيدا بشأنها، كما يعبّر عن الفعل الاتصالي الشفوي أو المكتوب الذي تقع في المحاجّة والنقاش في أي شأن من شؤون الأمة ومصالحها، ولذلك فالخطب عند ابن منظور «هو الشأن الذي يستدعي الخطاب»[4].

وربط "الفيروز آبادي" الخطاب والخطبة بالخطبة المنبرية وجاء في قاموسه «خطب الخاطب

---

(1) - أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، دار المعرفة، القاهرة، دت، م6، من خ إلى د، ص 1194.

(2) - المرجع نفسه، ص 1195.

(3) - المرجع نفسه، ص 1194.

(4) - محمد ابن منظور، المصدر السابق، ص 1194.

على المنبر خَطابة –بفتح الخاء– وخُطبة بضم الخاء –وذلك الكلام خطبة أيضا أو هي الكلام المنثور والمسجّع ونحوه، وقال رجل خطِب حسن الخطبة»[1].

وجاء في المعجم المفصّل في اللغة والأدب: «أن الخطاب في النحو حالة من حالات الكلام»[2].

ولا تتوقف المعاجم الفلسفية عند حدود اللغة والمرادفات لألفاظ الخطاب والخطابة والخطبة وإنما تتعدّاها إلى الغرض منها وأنواعها وأقسامها، ففي كتاب التعريفات "للجرجاني" والذي أورد فيه لفظ "الخطابة" –إذ لا يوجد فيه لفظ الخطاب– قال: «الخطابة عند المنطقيين قياس مركب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادِهم كما يفعله الخطباء والوعاظ»[3].

أما "جميل صليبا" فيعتبر الخطبة أو الخطابة علما للبلاغة ويؤكد على الغرض منها ثم يتناولها عند الأدباء والمناطقة ثم عند "أرسطو" متوقفا عند تقسيمه لها في كتابه الذي يحمل عنوان الخطابة "Rhethorique"[4].

يقول "جميل صليبا": الخطابة هي علم البلاغة، وليس الغرض منها تعليم الكلام البليغ فحسب ولكن الغرض منها عرض الأفكار بأسلوب مقنع، ويرى أن للخطابة ثلاثة أقسام عند الأدباء ويضيف هو إليها قسمين آخرين كما يلي:

1- الاختراع: وهو الكشف عن الأدلة والبراهين.
2- الترغيب: وهو معرفة النظام الذي تتسلل فيه الأدلة.
3- البيان: وهو صياغة كل دليل من تلك الأدلة بكلام واضح بين.
4- حسن الإشارة.

---

(1) – محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، القاموس المحيط، المطبعة الميرية، مصر، ط2، 1301هـ، فصل الخاء، باب الباء، ج1، ص ص 62-63.

(2) – ميشال عاصي، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت 1987م، م1 (أ-ز)، ص 602.

(3) – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، معجم فلسفي منطقي صوفي فقهي لغوي نحوي، تحقيق عبد المنعم، دار الرشاد، 1991م، ص 111.

(4) – كتاب الخطابة لأرسطو مؤلف من ثلاثة أقسام، ترجمه إلى العربية إسحاق وإبراهيم بن عبد الله، وقام بشرحه الفيلسوف العربي أبو نصر الفارابي.

5- الذاكرة[1].

والملاحظ أن التعريف الذي أورده "جميل صليبا" للخطابة عند المناطقة هو التعريف نفسه الذي أورده "الجرجاني" في التعريفات سابقا مع اعتبار الخطابة والخطاب يشتركان في التعريف الواحد.

ويستعمل "صليبا" لفظا آخر للخطابة والخطاب وهو "الأقاويل الخطابية" التي يلتمس بها إقناع الإنسان بأي رأي كان، وأن تميّل ذهنه إلى أن يسكن إلى ما يقال له ويصدّق به تصديقا ما إما أضعف أو أقوى ويضيف «الخطابة كالجدل تشتمل على ما يسميه "الفارابي" بالبرهان" وتتوقف عليه في درجة إيقاع الإقناع»[2].

ونخلص إلى أن الخطاب والخطابة والخطبة مترادفات للفظ واحد في معاجم اللغة والفلسفة، ولا تتوقف هذه عند تعريفها بالكلام الذي يلقيه الخطيب على المنبر المسجدي أو الإعلامي أو السياسي أو غيره في شأن يستدعي الخطاب فيه، يلقى على مستمع أو مستمعين ويهمهم في أمور دنياهم أو أخراهم، يتغيا الإقناع والتعليم، ومن ثم فهو يعرض البراهين والأدلة بأسلوب بليغ وكلام بيّن حتى يسكُن المستمع إلى ما يلقى إليه ويوجه إلى اتخاذ موقف ساقه إليه صاحب الخطاب. «فالخطاب لا يتحقق إلى بالمشاركة كما يؤكده "محمد سمير اللبيدي»[3].

2- الخطاب في دوائر المعارف والموسوعات:

جاء في دائرة المعارف الإسلامية[4] التي ألفها مجموعة من المستشرقين في تعريفها "الخطبة" على أنها كلمة عربية وهي "الخطاب" [هكذا] وحاولت الدائرة على مدى ست صفحات ربط الخطبة بالصلاة فقط في الدين الإسلامي وقصرها على الخطبة الدينية فحسب والتي تسبق صلاة

---

[1] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والإنجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ج1، ص 531.

[2] - المصدر نفسه، ص531.

[3] - محمد سمير اللبيدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، قصر الكتاب، دار الثقافة، بيروت، الجزائر، ص75.

[4] - دائرة المعارف الإسلامية، ألفها مجموعة من المستشرقين هم: فنسينك، هوتسما، أرنولد، هفننج بروفنسال، باسيه، هارتمان، جب؛ كل واحد منهم اهتم بموضع اختصاصه في الدائرة، وقد صدرت باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية وترجمها إلى اللغة العربية كل من أحمد الشنتاوي، محمد نابت الفندي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، وراجعتها وزارة المعارف المصرية لتصدرها سنة 1933م في عشر مجلّدات، وقام عدد من المفكرين والكتاب العرب بالتعليق على مواد الدائرة ومنهم: محمد عمارة، ومحمود شاكر للرد على المغالطات الكثيرة التي تعج بها الدائرة.

الجمعة أو تلحق صلاة العيدين وكذا صلاتي الكسوف والخسوف والاستسقاء. ومن ثم فقد فصّلت في ذكر شروطها وطريقة إلقائها والفرق فيما بينها، كما عرضت إلى أشهر الخطباء في الإسلام.

وذهبت الدائرة إلى القول «أن الخطبة بمعناها الاصطلاحي لم ترد في القرآن وأنها مقتبسة من عادات قديمة ومن ديانات سابقة»[1].

وردّ الدكتور "محمد شاكر" على ما ورد في الدائرة واصفا ما يتعلق منه بالخطاب والخطبة «بالتناقض والادّعاء والوهم»[2] وأشار إلى أن لفظ خطبة بمعناها الاصطلاحي قد ورد في الآية الحادية عشر من "سورة الجمعة" والتي نزلت بشأن خطبة الجمعة وهو ما تثبته الأحاديث الصحيحة إذ أن هذه قد حدّدت تحديدًا واضحا منذ الإسراء والمعراج لم يزد و لم ينقص منها شيء مما لا علاقة له البتة بالديانات السابقة والعادات القديمة.

وقد أصبحت الخطبة جزءا أساسيا في حياة المسلمين و لم ترتبط بشعيرة الصلاة فقط كما كان الرسول ﷺ «يخطب الناس في الأحداث والمسائل العامة وفي المناسبات المختلفة و لم تكن لهذا علاقة بالصلوات»[3].

ويضيف "محمد شاكر" في مكان آخر: «إن الخطبة مطلقا سواء أكانت للجمعة أم للعيدين أم غيرهما إنما هي تعليم وتبلغي وإرشاد وتنظيم في كل شؤون المسلمين من عبادة ومن خلق ومن نظم للحكم ومن فصل القضاء في وقائع فردية، ومن تحريض على الجهاد وتنظيم للجيوش والسرايا وتعليم الأفراد، وإجابة سائل مستفيد فهي تشمل كل هذا وغيره»[4].

وللخطاب والخطابة تعريف واحد في "دائرة المعارف العربية" ففي شرح لفظ "خطابة" ترد الدائرة القارئ إلى لفظ "الخطاب"، "راجع خطاب" وتعرفها كما يلي: «الخطاب في اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نُقِلَ إلى: الكلام الموجّه نحو الغير للإفهام»[5].

---

(1) - فنسينك، دائرة المعارف الإسلامية، تعليق جماعي، وزارة المعارف المصرية، مصر، 1933م، م8، ص ص 370-376.

(2) - المصدر نفسه، ص 374.

(3) - المصدر نفسه، م8، ص 373.

(4) - المصدر نفسه، م8، ص ص 374-375.

(5) - بطرس البستاني، دائرة المعارف "Encyclopédie arabe"، دار المعرفة، بيروت، دت، م7، ص 409.

يركـــز "بطـــرس البستاني" صاحب الدائرة العربية للمعارف على عنصر التأثير في موضوع الخطاب حيث يقول بان "الخطاب" هو من أعظم الآلات السّياسية والدينية والعلمية فإنه الواسطة للتأثير في العقول والقلوب، فكأنه سوط يُساق به إلى الأعمال أو قيد يقيَّد به الناس عنها

ويضيف: «بأن للخطاب في الأديان والسياسة حوادث ذات أهمية جاءت بانقلابات عظيمة وتغيّرت به أحوال كثيرين»[1].

ولعـــلَّ الأهمية الكبرى التي يتميز بها الخطاب في إحداث التغيير في المستمعين وسوقهم إلى الآراء أو الأعمـــال التي يستهدفها أصحابه تفسِّر اهتمام الدّراسات والبحوث المعاصرة بموضوع الخطاب سواء كان مرتجلا أم مكتوبا ولا سيّما في المجالس العامّة والجرائد[2] وغيرهما وتجاوز ذلك الاهـــتمام مضمون الخطاب إلى شخصية الخطيب ليكون موضع دراسات عميقة نظرية ثم تطبيقية فيما بعد.

ويقصر "عبد الوهاب الكيالي" تعريفه للخطاب على الميدان السياسي عرضا دون الحيد إلى ســـواه على اعتباره بيانا ليشترك في تعريفه اللغوي مع مختلف المصادر الواردة سابقا. ويقول: «هو البيان أو الخطاب الذي يلقيه الملك أو الملكة على البرلمان والشعب في حفلة التنصيب، ضمن إطار من الهيبة والمراسيم المتبعة، ويشتمل على برنامج العمل الذي سيُتبع في حكم المملكة في عهد هذا الملـــك أو هـــذه الملكـــة ويتضـــمن عرضـــا بتوجيه الخطوط الكبرى لسياسة الدّولة الداخلية والخارجية»[3].

ويتوقف "محمد فريد وجدي" عند أهمية الخطبة والخطابة عند العرب الذين برعوا فيها قديما حتى جعلوها إحدى عاداتهم في الملمّات والحوادث: واصفا إياها بأنها «قوة تتكشّف الإقناع الممكن في كـــل واحـــد من الأشياء المفردة عند اليونان أي تقتضي بذل المجهود في استقصاء فعل الإقناع ومـــن ثم هي تناسب صناعة الجدل في اشتراكهما في مخاطبة الغير وفي تعاطي النظر في جميع طرق الإثبات»...

---

[1] - بطرس البستاني، دائرة المعارف، المصدر السابق، م7، ص ص 408-409.

[2] - المصدر نفسه، م7، ص 409.

[3] - عـــبد الوهـــاب الكـــيالي وآخـــرون، موسوعة السّياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ج2، ص 615.

ويربط "وجدي" الخطابة بالجدل أيضا في عدم اقتصارها على مجال واحد وإنما تنظر في جميع الموجودات وجميع العلوم إذ توجد لجميع هذه العلوم مشاركة لها بنحو ما»[1].

وتحقق الخطابة منفعتين أولاهما: حث المذنبين على الأعمال الفاضلة؛ وثانيهما: أنها وهي تنظر في طرق الإثبات وتقديم البراهين لإحداث الإقناع فإنها مع تعدد أصناف الناس فطرة واستعدادا من جهة ومع تغيّر الزمن من جهة أخرى، «تبني ذلك على تحصيل جميع المقدّمات المشتركة بينهما وبين المخاطب (المستمع المقصود بالإقناع) النظرية منها والحسيّة حتى يقع التصديق»[2].

وهكذا فإن معاجم اللغة والسياسة والمنطق ودوائر المعارف لا تفرّق بين لفظ الخطاب والخطابة والخطبة، وأن وجوه الخطاب تتعدد بتعدد العلوم ومجالات النشاط البشري ثم بتطور وتشعب الحياة الاجتماعية؛ فقد أصبح لفظ الخطاب يحمل مدلولات عدة، فكل خطاب وهو يطرح مدلوله فإنما يقوم بفعل اتصالي مع الآخر – المتلقي أو المتلقين- ويحمل جملة من القضايا والمعلومات والأفكار ضمن سلسلة عقلية متدرّجة من البراهين النظرية منها والحسية وبواسطة لغة وألفاظ يفهمها هذا المتلقي.

وسواء كان المتلقي حاضرا لدى أو أمام صاحب الخطاب حين تلقيه لخطابه مباشرة أم كان بواسطة وسيلة تحقق غرض التلقي والفهم والمشاركة عند المتلقي أو جمهور المتلقي.

ونظرا لأن غاية كل خطاب هي التغيير عموما بإقناع الآخر، وذلك بحمله على الإتباع والاستجابة لوجهة النظر أو للرّأي الذي يقصد صاحب الخطاب تحقيق الإقناع بشأنه فإنه يجتهد في تقديم البراهين والأدلة بالإفادة من كل ما تيّسره العلوم النظرية والتطبيقية قصد إيقاع التغيير المنشود.

وإذا كانت الخطبة أو الخطابة قد ارتبطت بالثقافة العربية ثم الثقافة الإسلامية فإنها مع ظهور الإسلام تميزت بالدعوة إلى الإسلام كنظام شامل لتغيير واقع البشرية إلى الأفضل معاشا ومآلا وقد استوعبت مسماه الدعوة الإسلامية وهي سمة المجتمع المسلم الجديد في الجزيرة العربية في مقابل الحضارات وأنظمة الحكم والحياة في الشعوب الإسلامية آنئذ، وإذا كانت وسيلة الإسلام التبليغية هي الخطابة أو الخطبة أو الخطاب في المدلول العربي الإسلامي وذلك في كل حوادث الأمة

---

(1) – محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، لبنان، بيروت، دت، ج3، ص 709.

(2) – المصدر نفسه، ص 710.

وملماتها ومناسباتها فإنه يمكن تصنيف الخطابة أو الخطاب إلى كل مجال يلقى فيه ومن ثم الخطاب السياسي، والخطاب التعليمي، والخطاب الاقتصادي والخطاب العسكري، والخطاب الثقافي، وهكذا...و.

وقد كان من المفترض أن تستوعب الخطابة أو الخطاب من الزمن التطوّر المطّرد في تقنيات الإعلام والاتصال وبحوث التأثير، وتحيط بمختلف النظريات ذات الصلة في المجالات التي تتصدى لها زمانا ومكانا حتى تتمكن من إيصال رسالتها على الشكل واللغة التي يفهمها كل جيل في كل عصر دون تغير في وجه الخطاب ومضمونه المبدئي وهدفه، لكن اعترى الأمة الإسلامية ما اعتراها من انحطاط تحت ضغط عوامل داخلية وخارجية فأثر على شعوبها وقادة الرأي فيها وبالتالي على خطابها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: دلالة الخطاب في الاصطلاح

اعتمد الفكر النقدي العربي الحديث مصطلح "الخطاب" ليحمل دلالة المصطلح النقدي الغربي "Discours" في اللغة الفرنسية و"Discourse" في اللغة الإنجليزية[1]، إلا أن هذا الخيار يبقى مرهونا بمدى نجاح المترجم في سبر مختلف العلاقات ونقاط التقاطع بين المصطلحين داخل المنظومتين اللغويتين –العربية والأجنبية– ومدى نجاحه في المواءمة بين نظامين من الدلالة غير متجانسين. فإذا سلمنا بصحة أطروحة علماء السيميائيات والانطولوجيا اللسانية التي تقول: «إن كل منظومة لغوية بمفرداتها وتراكيبها ونحوها، تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم وكيفية تصورهم له وبالتالي في طريقة تفكيرهم»[2].

وإذا كان الخطاب كما أفادتنا اللغة العربية كلمة أصلية فيها وليست غربية عنها وبالتالي فإنها تحل داخل منظومتها اللغوية خصائص رؤية أهلها للعالم وتصوراتهم وطرق تفكيرهم، فإن التعامل مع مصطلح من هذا النوع يراد أن يحمل محتوى معرفيا مغايرا لما يحمله يتم من خلال ما يصفه الباحث التونسي "المختار الفجاري" بثنائية الاستيعاب والصهر: استيعاب هذا المحتوى المعرفي وهضمه ثم صهره داخل نظام المعرفة العربي[3] وهو ما من شأنه مجانبة السقوط في فخ التمزق الشقي بين الأصالة والمعاصرة وتلفيقية التوفيق.

ونحن في بحثنا لدلالة مصطلح "الخطاب" نقوم بذلك أولا في اللغات والثقافة الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية)، لأن الحقول المرجعية الجديدة والعديدة التي تتقاسم هذا المصطلح في واقع الدراسات الحداثية كالمدرسة البنيوية، والتفكيكية، وما يرتبط بهما من مناهج بحثية كالمنهج الأسلوبي[4] أو الألسني[5] والسيميائي[6]...إلخ جعلت ظلال هذه المدارس والمناهج تلف هذا

---

(1) - وقد تبناه ملتقى ابن رشيق –مثلا– الذي انعقد بالجزائر في ماي 1980م، أنظر: سيد قطب، الخطاب والايدولوجيا، محمد حافظ دياب، موفم للنشر، الجزائر، 1991م، ص.7.0

(2) - Langage et connaissance, Adam Schaff, Anttropos, Paris, 1967, p5.

(3) - انظر: تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، الفكر العربي المعاصر، ع100-101، 1993م، ص 29.

(4) - سمي أيضا بعلم اللغة، وعلم الأسلوب، والأسلوبية، ويعرف "بأنه البحث العلمي للطرائق المستعملة في التعبير، ويشمل كل ما يتعلق باللغة من أصوات وكلمات وصيغ وتراكيب، وصرف ونحو ودلالة...الخ.

أنظر: أميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، عربي، إنجليزي، فرنسي، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1987م، ص 277-278.

(5) - الألسنية هو العلم الذي يدرس أصواتا وتراكيب وصرفا ودلالة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بهدف تقديم وصف موضوعي كامل ومحدّد لها. أنظر: ميشال عاصي، أميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في اللغة والأدب (نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء فقه، اللغة، أدب، نقد أدبي)، دار العلم للملايين، لبنان، دت، م2، س ي، ص279.

(6) - سيميولوجيا، منها السيمياء والمنهج السيميائي، من الكلمة اليونانية سيميون، التي تعني الإشارة، وسيميولوجيا هو العلم الذي يدرس الأنظمة والإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة، وقد ظهر هذا العلم على يد بيرس في القرن 19م، وأشار إليها دوسوسير في مطلع القرن 20م، وبشر بولادته وجعل اللغة جزء منه، انظر: المرجع السابق، تحليل الخطاب الأدبي، على ضوء المناهج النقدية الحداثية دراسة في نقد النقد، ص 59.

المصطلح أكثر فأكثر ندرسه من خلال رؤيته بذاته حين يتداوله المختصون بشدّه إلى مجال اختصاصهم الضيق دون سواه، ثانيا: حداثية عربية ومناقشتها وأخيرا نبحث دلالته في اللغة العربية كنظام قائم

المطلب الأول: مصطلح الخطاب في اللغات والثقافة الأجنبية

يقابل مصطلح "الخطاب" في اللغة العربية مصطلحي "Discours" في اللغة الفرنسية و "Discourse" في اللغة الإنجليزية.

وتقدم له المعاجم الأجنبية مثل "Micro-Robert"[1] و "le petit Robert"[2] عددا من **التعاريف** والمرادفات نحو: الكلام، المحاضرة، المحاورة، الموعظة، البحث، الرسالة...

وجاء في "le petit Robert"، أن الخطاب بمعنى البرنامج، وهو بيان أو خطاب العرش وهو خطاب أو بيان الافتتاح، وقد استعمل في سنة 1927م على أنه كتابات تعليمية تتناول موضوعا ما بطريقة منظمة أما في سنة 1613م فعني به التعبير الشفوي للفكر... وأضاف القاموس **بأن** هناك خطاب تعليمي، وخطاب تربوي، وخطاب لغوي»[3].(*)

ويستخدم مصطلح الخطاب كمرادف "للنص" في بعض اللغات الأوروبية وذلك لأن هذه اللغات لا تتوفر على لفظ يقابل لفظتي "Discours" الفرنسية و"Discourse" الإنجليزية، ويشير اللغوي الفرنسي "جوليان قريماس"[4] "Greimas Julien" بناء على ذلك إلى أن كلمة "خطاب" وكلمة "نص" تستعملان للدلالة على ممارسات خطابية غير لغوية كالأفلام والطقوس المختلفة

---

(1) -Micro Robert. Dictionnaire du Français, Paris 1985. pp 313-314.

(2) -Le petit Robert. Dictionnaire Alphabétique et analogique de la langue Française. Paris, Ed 1992. p 549.

(3) حدد الطريقة نفسها في تناول كلمة الخطاب "Discours" في:

Dictionnaire du Français, 37000 mots, ed Hachette, 1995, p340.

(*) ترجمة الباحثة.

(4) قريماس (الجيردس جوليان Greimas. A. Julien) لغوي فرنسي. وأحد رواد مدرسة باريس البنيوية الفرنسية. امتاز بأعماله في المعنى والدلالة، وكيفية إدراكهما، عمل أستاذا بمدرسة الدراسات التطبيقية العليا في العلوم الاجتماعية بباريس. له مؤلفات ودراسات عديدة منها: "علم الدلالة البنيوية" و"Sémantique structurale" و"في المعنى" "Du sens". وله قاموس سيميائي وضعه مع جوزيف كورتيس بعنوان: "Dictionnaire raisonné de la théorie du langage".

و"القصص المرسومة"[1].

وإذا تتبعنا تاريخ مصطلح "الخطاب" في الثقافة الأجنبية الإنجليزية –الأمريكية تحديدا– والفرنسية فإننا نجد أن ظهور هذا المصطلح ارتبط بحقل الدراسات اللغوية في الغرب ونما وتطوّر في ظل التفاعلات التي عرفتها هذه الدراسات ولا سيما بعد ظهور كتاب "فرديناند دو سوسير" "Ferdinand de Saussure"[2] عالم الألسنية العامة بسويسرا بعنوان "دروس في علم اللغة العام" الذي كان محصّلة محاضراته الشفوية التي ألقاها في الفترة الممتدة بين 1906-1911م، ونشرها طلبته بعد وفاته في 1916م، والذي تضمّن المبادئ العامة والأساسية التي جاء بها "دوسوسير"، وأهمها[3].

وقد كان هدف "دوسوسير" مع من تلاه من رواد الألسنية التقليدية هو توفير صرامة علمية أكبر لوصف البنيات الشكلية للغات. أي الاهتمام بدراسة الدال "Signifiant" الذي هو البناء الشكلي للغة وإهمال المدلول "Signifié" الذي ترى هذه المدرسة أنه من اختصاص التحليل السيميائي.

ومن ثم ارتبطت دراسة مضمون "الخطاب" بأبحاث تحليل المحتوى منذ فترة الثلاثينيات إلى الخمسينيات من القرن المنصرم، وأثبتت الدّراسات التطبيقية على مواد الصحافة خلال هذه الفترة، القصور الواضح الذي ساد بحوث تحليل المحتوى والتي وصفت بالسطحية لأنها لم تحل مشكلة تحليل شروط إنتاج الخطاب وفق بنائه اللغوي، وصُبّ الاهتمام فقط على الجانب الكمّي الشكلي منها، مما عضّد اتجاه الشك في قدرة تحليل المضمون في أن يكون أسلوبا متكاملا في البحث المتعمّق، ومن ثم وجب العمل لتجاوز هذا الضعف وذلك عن طريق الاهتمام أيضا بالمدلول داخل الخطاب كظاهرة فردية.

---

(1)-Greimas (A.J) et Courtes (Joseph), Semantique, dictionnaire raisonne de la théorie du language, Paris, 1979, voir Discours p 102.

(2) - فرديناند دوسوسير "Ferdinand de saussure"، (1857-1913) يعرف بعالم الألسنية العامة أو التقليدية السويسري، ظهر كتابة في الألسنية العامة في 1916 وترجم إلى اللغة العربية في تونس بعنوان: "دروس في اللسانيات العامة" عن الدار العربية للكتب بتونس، وبعنوان "محاضرات في الألسنية العامة ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، عن المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986، بالجزائر.

أنظر: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، عمر مهيبل، ديوان المطبوعان الجامعية، الجزائر، ط2، 1993م، ص ص 20-21.

(3) -عزام محمد، المرجع السابق، ص 37.

وتـــبرز في هذا المجال مساهمات المدرسة الأمريكية عبر دراسات "هاريس" (ز-س) (z-s harris)[1] والمدرســـة البنـــيوية الفرنسية عبر دراسات كل من "رومان جاكوبسون" (Robert Jakobson) و"إميـــيل بنفنسيت" (Emil Benvensite)[2] والتي سجلت كلها عودة قوية إلى بحـــث المعنى (المدلول) بل وإعادة النظر في التعريفات القديمة "للخطاب" ووضع مفاهيم جديدة بديلة عنها تساير التوجهات الحديثة في الموضوع[3].

فقـــد تجـــاوزت المدرســـة الأمريكية مفهوم "الخطاب" عند المدرسة التقليدية والتي رادفته بـــالكلام وأرادته ظاهرة فردية، إلى وحدة لغوية ذات أبعاد أكبر من الجملة مثل النص والرسالة والمـــنطوق –أو المقـــول– وكانت مساهمة "هاريس" حاسمة في هذا الاتجاه حيث كان "أول من اقترح دراسة «الخطاب عبر التحليل اللساني: لأن المعتبر في هذه الحالة هو مجموع قواعد تسلسل وتتابع الجمل المكوّنة لمقول –المنطوق–»[4].

أما المدرسة الفرنسية فانطلقت من مقابلة مصطلحي "خطاب" و"منطوق" بناء على أنه إذا تناولت النص دراسة لجوانبه البنيوية اللُغوية فإن ذلك يجعل منه منطوقا، لكن إذا خضع هذا النص إلى دراسة لغوية تستهدف جوانب شروط إنتاجه والميكانيزمات الخطابية المتحكمة فيه أو المكيفة له، فإنه في هذه الحالة يعد "خطابا".

فالخطاب عند "بنفنسيت" مثلا هو «كل مقول يفترض متكلّما ومستمعا تكون لدى الأول

---

(1) – هاريس (زليق سابوتاي)، (z-s harris)، هو لغوي أمريكي من أصل روسي، معروف بوصف منظر المدرسة الأمريكية فيما يسمى بتحليل الخطاب، عمل أستاذا بجامعة بنسيلفانيا، وهو تلميذ اللغوي الأمريكي المعروف نوم تشومسكي.

(2) – بنفنسيت (أميل) (Emil Benvensite) هو لغوي فرنسي، عربي المولد (ولد غلب 1902 1976م، ساهم في تنظير لتحليل الخطاب، وله دراسات متعددة في اللغويات منها "مسائل في اللسانيات العامة"، (générale problèmes de linguistique) في جزئين.

(3) – تبلورت هذه التوجهات عبر مساهمات دراسات العديد من الباحثين في التخصصات اللغوية وأيضا "وخاصة –تخصصات علـــم النفس، علم الاجتماع، وعلوم السياسة، وعلوم الإعلام بالإضافة إلى تخصصات أخرى ذات الصّلة، والتي عرفت جهود أصـــحابها ومن ثم نتائجها النور والفعالية في ندوة (Allerton House Conference) في منطقة (Illinoi) بالولايات المتحدة في 1955م أنظر: أحمد بن مرسلي، أساليب تحليل الخطاب في علوم الإعلام والاتصال، المجلة الجزائرية للاتصال، جامعة الجزائر، ع15، جانفي-جوان 1997م، ص 33 (نقلا عن:

Roger Muchielle, L'analyse de contenu des documents et des communications)

(4) – إبراهيم صحراوي، في مفهوم الخطاب، والخطاب الأدبي، المؤتمر العلمي الثالث حول تحليل الخطاب العربي، كلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 10-12 ماي 1997م، ص 2.

نية التأثير في الثاني بصورة ما»[1].

ومحصّـــلة الأبحاث ومن ثم التعريفات التي انبثقت عن هذه المدارس هي أن الأوساط العلمية المهتمّة بتحليل الخطاب تستخدم "المنطوق" أو "المقول" للإشارة إلى الوحدات اللغوية التي تتجاوز في أبعادها الجملة في إطار لغوي محض، وأما مصطلح "خطاب" فتستخدمه للدّلالة على المنطوق عندما يخضع إلى بحث جوانب شروط إنتاجه.

وعـــلى الرغم من استعادة "الخطاب" كثيرا من أدوات التحليل المستخدمة في اللغة إلا أنه يختلف عنها كلية، لأن الخطاب هو الصورة المتجلية للغة في الاتصال بواسطة الجملة (وليس بنسق من الرموز الشكلية في اللغة) والتي بها نخرج من مجال اللغة كنظام من الرموز وندخل في محيط آخر يتمثل في اللغة كأداة اتصال المعبَّر عنه بمصطلح "خطاب".

ولذلك يمكن إضافة مفهوم آخر "للخطاب" بمقابلته بمفهوم "اللغة" كمجموعة متناهية من العناصر فيكون "الخطاب" عندها مجالا للإبداع، تتشكل فيه وبطريقة غير ملحوظة سياقات تعطي قيما جديدة للغة»[2].

ومن الواضح أن الإبداع هنا يمارس على الرصيد اللُّغوي، فتكون القيم الجديدة متمثلة فيما يضاف إليه من الألفاظ الجديدة أو استعمالات متكرِّرة لألفاظ سابقة في مقامات وسياقات جديدة أيضا يفرضها التطوّر الطبيعي للحياة وما تستلزمه الاحتياجات التعبيرية المتشعّبة للفرد والتي تتسع باتســـاع الاكتشافات العلمية وغير العلمية في مختلف الميادين، وتتعقد علاقاته بغيره من العوامل المكوّنـــة المحـــيطة في مخـــتلف المستويات، وعادة ما يصدر هذا الإبداع عن طريق أولئك الذين «بإمكانهم التأثير على الرأي العام اللغوي وتوجيه المتحدّثين بهذه اللغة أو تلك إلى هذه الوجهة أو تلك ويتجاوز المدى التواصلي التبليغي لهذه الجهات المحيط الاجتماعي المهني الضيق ليمس شرائح وطبقات اجتماعية مختلفة»[3].

ويتجلى من التعريفات المقدَّمة للخطاب أن مجال بروزه هو الاتصال «كمصطلح يفيد تبادل

---

(1) - إبراهيم صحراوي، المرجع السابق، ص 2.

(2) - المرجع نفسه، ص 2-3.

(3) - المرجع نفسه، ص3.

المعـــاني بـــين طرفين ذوي فهم مشترك»[1] وهو يتكوّن وفق ذلك من بناء لغوي محكم التركيب يعمل على نقل المعاني –شروط الإنتاج– التي هي موضوع التحليل بين طرفي الاتصال.

ومـــن هنا فإن عملية الربط المتوازن بين هذين العنصرين (اللغة والمعنى) المكونين للخطاب تجعـــل هذا الأخير سهل التحليل وذلك «بالتركيز على الخصائص التكوينية الداخلية الخاصة بكل خطاب مع الاستعانة بأساليب وتقنيات نظرية الإعلام عموما»[2].

وهكـــذا فإنـــنا نلاحظ أن مدلولات المصطلح تتعدّد لكنها لا تتعارض في تعاريفها له بأنه ممارسة لملكة اللغة، غير أنها تختلف من زاوية النظر إلى هذه الممارسة بمعنى «أن الاختلاف لا يمس اللفظة بل يمس شكل المضمون الذي تحديه هذه اللفظة»[3].

المطلب الثاني: مصطلح الخطاب من وجهة نظر حداثية عربية ومناقشتها

لقـــد اجـــتهد بعض الكتاب في ردّ الخطاب إلى نسقه التداولي والمفاهيمي الأصيل في اللغة العربـــية بصـــفة أساسية وهدف هؤلاء التعرف على خصائص نظام الخطاب العربي ومن ثم الإسلامي، أي إلى التعرف على قوانين تفسيره من ناحية وشروط إنتاجه من ناحية أخرى وهو ما كـــان من شأنه تسهيل عملية صهر المصطلح الأجنبي الحديث Discours بمفهوم خصب كما يتحدد معناه داخل نظام اللغة العربية.

ونجد في المقابل بعض الكتاب في ربطهم الخطاب بحقل الحداثة يجتهدون في جعل هذا الحقل هو الأساس الأوحد في كشف كنه الخطاب.

فالعلاقة بين الخطاب والمداخل اللّسانية الحداثية عند "كمال عمران" (التونسي) قد أفسحت المجـــال الخصب إلى تفهم المرتكزات التي يبني عليها الكلام وإلى إدراك الخصائص اللّغوية الفاعلة فـــيها، هـــذا مـــن جهة ومن جهة أخرى فإن القرينة المرجعية للخطاب والتي تجعله متجذرا في الابســـتمولوجيا يشـــد موضـــوع هذا المصطلح إلى الدراسات الغربية لأن الخطاب -كما يقول- «يتأســـس عـــلى المرجع، والمرجع ينبع من الواقع. فالعلاقة بين الكلام والواقع متغيّرة لأن اللغة

---

(1) - أحمد بن مرسي، أساليب تحليل الخطاب في علوم الإعلام والاتصال، المرجع السابق، ص 316 نقلا عن:
Pierre Salle, Yves Simon, Alain cota, l'expression et la communication dans la vie sociale et professionnelle, Dunon, Paris 1971, p4.

(2) -Laurance Bardin, Analyse de contenu, P.U.F, 1977, p44.

(3) - المرجع السابق، ص3.

متطوّرة حية ولأن الواقع ينمو ويتحرك فتصبح المسألة فلسفية "لا في المعنى المزعج كما رسخ في الذهن العربي الإسلامي –كما يقول- بل في سياق التأمل والنقد والإيضاح»[1]. والمرجعية بالنسبة للخطاب هي الأساس في بلورته ونحت مكوّناته وإدراجه ضمن عملية التواصل بعد بلورته ضمن عملية التلفظ ثم في إحالته على المحيط الذي يحف به والذي ينتج منه عناصره الفاعلة.

ويلح "كمال عمران" على نفي الصلة بين مصطلحي الخطاب والخطابة، ويذهب في ذلك مذهبا موغلا في التفرّد فيصف الذين يقولون به بالخلط، والذين يتصورون أية صلة بينهما بالتوهُّم. ويعلّل ذلك بأن الانتقال من ظاهرة الخطابة إلى ظاهرة الخطاب انتقال من كون تقليدي إلى كون حداثي والخطاب يتحرك فيما يسميه بالكون الحداثي الذي يحدّد أبعاده ضمن المداخل اللّسانية الحداثية كما يلي:

1- البعد الذي ينحت صلة الخطاب باللغة فهو في هذا الإطار كلام إلا أنه كلام يجري مجرى الفعل ويجد له في حيز العملية مكانة أولى.

2- البعد الذي يرتبط فيه الخطاب بعملية التلفظ فيصبح مركزا لمركبات متلاحقة تصوغ الرسَّالة وتضع لها علامات في البداية وأخرى في النهاية.

3- الخطاب هو كل ملفوظ يضم عددا من الجمل ويسهر على الترابط بينهما من حيث التلاحق بين الجمل ومن حيث طريقة الترتيب والقرن[2].

وتكون حركة الخطاب ضمن هذه المداخل في تسلسل يبدأ بصلة الخطاب باللغة حيث يقوم "الخطاب" مقام اللغة كما يمارسها المتكلّم ثم تتضمنه إحدى الجمل أو المجموع من الجمل هي هنا وحدات ترتبط بعملية التلفظ وصياغة الرِّسالة وأخيرا يتجاوز الخطاب عملية التنضيد الواعي والموضوعي للوحدات ويخرج عن الشواغل اللّسانية إلى وظيفة الكلام نفسها ليتمثل هذه المرة الصلّة بين اللغة والمجتمع وينتقل بالتالي من قانون التواصل اللغوي إلى قانون الاتصال.

وعليه فإن الخطاب الذي يتحرك في الكون الحداثي كما يقول "كمال عمران" فإنما هو يتحرك في «دائرة التعبير المتسارع في كل قطاعات الحياة الإنسانية وفي كل أشكالها الاجتماعية

---

[1] - كمال عمران، في تحديد مفهوم الخطاب، ، المجلة العربية للثقافة، س14، ع28، مارس 1995م، ص 65.

[2]-المرجع نفسه، ص63.

والاقتصادية والسياسية والفنية والأخلاقية...»[1].

ولم يغفل "كمال عمران" التنويه بدور وسائل الاتصال في هذا التسارع ولا الدَّور الخطير الذي اضطلعت به اللغة في هذا السِّياق «حتى أضحت كائنا يتمتع بالهوية وبالذاتية». وفي المقابل فإن الخطابة عند "عمران" تتحرك في الكون التقليدي الذي يتحرك بدوره –كما يقول– «في دائرة لغوية لا حظ لها في إنتاج المعرفة وفي تحقيق الاتصال إلا حظ الآلة والوسيلة»[2].

إن مصطلح الخطابة عند "كمال عمران" يرادف الخطبة والدَّرس الديني تحديدا، ورغم اعتراف "عمران" بأن الخطابة قد أنشأت عالما بيانيا أبهر سحر اللغة لكنه أبقاها –كما يقول– «أداة طيعة تخدم العلوم الشرعية أو العلوم المقاصد» ورغم انبهاره الذي سجّله إزاء ثراء المدارس اللغوية النحوية في اللغة العربية واختلاف تخريجاتها التي بلغت حدَّ الاحتدام، وكذا مستوى المناظرات في الرقي باللغة إلا أن كل ذلك لم يخرج حسبه عن الآداب التي كانت تسهر على مناخ علمي راق وأقصى ما بلغه ذلك الثراء أنه «كان يحمل نواة التفكير فقط في قضايا اللغة الكبرى».

وإمعانا في التفريق بين الخطاب والخطابة دعا "عمران" إلى عدم الاستمرار في الخلط بينهما لأن الخطابة كما يقول علامة من علامات حسن البيان والخطاب «نسيج لساني هائل»[3].

لاشك أن مرحلة الانحطاط والجمود التي مر بها الوطن العربي والإسلامي طويلا قد كانت صدى طبيعيا لانحلال مجد العرب السياسي ونضوب معينهم الفكري وانهيار وضعهم الاقتصادي، لكن الثورات التحريرية التي اجتاحته محاولة استخلاصه من وهده ذلك الجمود وبعث الروح في الحركة الأدبية والفكرية والنقدية من جديد فأخذت هذه في الانتعاش تحاول ما استطاعت أن تستجيب لما تفرضه عليها حياة العصر من مستلزمات فكل ما في عالم اليوم يشير إلى ضرورة التغيير ومراجعة القديم.

وقد عرفت الدراسات النقدية والبلاغية وما يتصل بهما من مسائل نقاشا وجدالا واحتداما ظهرت فيها تيارات عديدة من النظريات والمبادئ والمذاهب والنزعات وهذه علامة صحة ودليل على مدى ثراء النشاط الأدبي والفكري والفلسفي في العصر الحديث.

---

(1)-كمال عمران، المرجع السابق، ص63.

(2)-المرجع نفسه، ص62.

(3) - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والربط ملزم بمتابعة التطوّر والتغيير المستمر فيما يتصل بمجال اختصاصه لكن الأهم هو أن يكـــون على وعي كامل بما يقدّمه هذا التطوّر من وسائل تعينه على حل مشكلات الاختصاص خدمة للحقيقة المجرّدة وخدمة لأمته وتطويرها حتى تسجّل مساهماتها من خلاله في التطور الإنساني العام فيما يحقق الحياة الأفضل والأسلم والأسعد للجميع»[1].

وبـــناء عـــلى ما تقدّم فإن الصّلة بين الخطاب والخطابة، وحصر الخطابة في الدّرس الديني فحســـب ثم جعلها من علامات حسن البيان فقط، وجعل الخطاب نسيجا لسانيا هائلا... كلام نظري يميزه قصور التحليل والتطبيق فالكاتب وهو يحصر الخطابة في الدرس الديني تحديدا ينطلق من مسلّمة استشراقية بنى عليها نتائجه ولا مجال هنا للرد على الكاتب فقد أثبتنا ترادف اللفظان اســـتعمالا وتعريفا في المبحث السابق وذلك على مستوى القواميس اللُّغوية والفلسفية والسياسية وأشـــرنا إلى أن الخطابة –لفظا- كانت أوسع انتشارا وأكثر استعمالا في التقاليد الخطابية العربية نظـــرا لمكانتها في المجتمع العربي والإسلامي كأداة أساسية من أدوات التواصل والتبليغ وهو على النقـــيض ممـــا حكـــم بـــه الكاتب حين نزع عن الخطابة «أي خط لإنتاج المعرفة وفي تحقيق الاتصال»[2].

يقـــول "ابن القيم" –رحمه الله- وقد يقع في وهم كثير من الجهال أن الشريعة لا احتجاج فـــيها وأن المرســـل بهـــا صلوات الله عليه لم يكن يحتج على خصومه ولا يجادلهم، ويظن جهال المنطقـــيين وفـــروخ الـــيونان أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها وأن الأنبياء دعوا الجمهـــور بطريق الخطابة والحجج للخواص وهم أهل البرهان يعنون أنفسهم ومن سلك طريقهم وكل هذا من جهلهم بالشريعة والقرآن. فإن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث العالم فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلا صحيحا على ذلك إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأوضح بيان وأتم معنى»[3].

ويـــزيد "ابن وهب" في كتابه "البرهان" المسألة توضيحا ليس في مضمون الخطابة في إنتاج المعـــرفة وتحقيق الاتصال وإنما أيضا في اتحاد الخطاب والخطابة من حيث البناء يقول: ومصطلح

---

(1) - محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص أ.

(2) - كمال عمران، المرجع السابق، ص 62.

(3) - ابن القيم الجوزية، مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والدراية، ج1، ص 145.

"الخطاب" كل كلام استعمله المسلمون قصد التأثير والإقناع وفي مقدمة ذلك الخطابة التي هي من الخطـــاب والتي كان لها الدور الأكبر في هذا المجال حيث استعملها المسلمون في الدعوة إلى الله ووعـــظ الناس وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم في المعاش والمعاد، كما استعملوها في إصلاح ذات الـــبين وإطفـــاء نار الحرب وحماية الدماء وتشييد الملك وتأكيد العهد وفي عقد الإملاء،... وفي الإشادة بالمناقب ولكل ما أريد ذكره ونشره وشهرته بين الناس.

ويضـــيف: «ولعلّ اتساع استعمال الخطابة في هذه المجالات يرجع إلى كونها صناعة تفيد الإقـــناع لتركّبها في مقدّمات مقبولة»[1]. والخطابة في اصطلاحات الأصوليين أحد أنواع القياس المـــنطقي الخمسة وهي البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة. «وهي التي تكون مقدماتها مقبولة يحصل بها غلبة الظن فتتبع النفس بها وتركن إليها مع حضور نقيضها بالبال أو قبول النفس لنقيضها، وفائدة الخطابة أن يميل السامع إلى ما يراد منه ويركن إليه ويقوى ذلك بفصاحة الكلام وعذوبة الألفاظ وطيب النغمة»[2].

فالخطابة كالخطاب كلام يجري مجرى الفعل وعبارة عن رسالة مركبة من مقدّمات متتابعة منســـجمة تنـــتهي إلى نتائج هي فحوى ذلك الكلام، وهي ببساطة جملا مرتبة، وفي هذا المجال نتســـاءل ماذا أضافت الأبعاد الثلاثة التي ساقها الكاتب ليجعلها مجال تحرك الخطاب حداثيا فيم جعل مجال تحرك الخطابة الكون التقليدي.

أما الادعاء بأن الخطابة «إنما هي أداة طيعة لخدمة العلوم الشرعية أو العلوم المقاصد»[3] فإذا كانـــت مقاصـــد الشريعة لا تنتج المعرفة فعن أي مقاصد يتحدث الباحث، وإذا كان محور هذه المقاصد هو الدين والنفس والنسل والعقل والمال والعرض فعن أي معرفة بل وأي فائدة تخرج عما تفصّله الشريعة كما جاء في القرآن الكريم ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[4].

ومعلـــوم أن المقاصد هي التي يتعرّف بها على تعليلات الأحكام التشريعية التكليفية الثابتة مـــنها والمتغـــيّرة، الكلية منها والجزئية، الأصلية منها والفرعية، القطعية منها والظنية، المحكم من

---

(1) – عبد الرحمن الرحموني، أسس الإقناع في الخطاب الإسلامي، مجلة المشكاة، ع10، س3، 1409هـ، 1989م، ص36 (نقلا عن: البرهان لابن وهب، ص 150).

(2) – محمود حامد عثمان، القاموس القويم في اصطلاحات الأصوليين، دار الحديث، ط1، 1996م، ص 197.

(3) – كمال عمران، المرجع السابق، ص 62.

(4) – الأنعام: 38.

أدلتها والمتشابه ، وتحديد المصالح والمفاسد الدنيوية منها والأخروية... بما تمتلئ بعرضه وشرحه وتفصيله كتب الفقه و الأصول والتفسير...الخ في القرآن الكريم أساسا وفي السنة النبوية في جانبها التشريعي تاليا

ويؤكد الباحث المغربي "بن سالم حميش" خطأ اعتبار العلوم الفقهية –مثلا– مجرد علوم بيانية تقوم أصولها على مجرد استثمار النص أو استنباط الأحكام من الألفاظ قائلا: فالأمور كانت ربما على هذا النحو من الناحية المبدئية فقط. أما ما عدا هذه الناحية أو من الناحية التاريخية فإنه من الصعب جدا غض البصر عن دور نص الواقع في انبناء التشريع وتشكل العقل الفقهي ولا أدل على ذلك من قيام فقه موازٍ له مفاهيمه التحريبية الخاصة به وفعاليته الاجتماعية الأكيدة. إنه فقه العرف والعمل والنوازل الذي لم يعاكس الفقه الأصولي أو المشهور بقدر ما زكى وطوّر تيارا فقيها عرف طور ريادته مع "مالك" و"ابن حنيفة" و"أبي يوسف يعقوب"[1].

ويضيف في موضع آخر –زيادة لتأكيد علاقة الفقه بالواقع– فيقول: من العسف أن ندعي أن الفقة لا يقوم إلا على أسٍّ واحد هو أسُّ البيان أو الدال حسب تعبير اللسانيين، فالفقه كمنضومة خطابية دلالية لا تكتمل إلا بأسّها الثاني أي المدلول أو قل مجموع المضامين المحمولة الايديولوجية والاجتماعية، وهذا المدلول يُعمل البيان ويتخفى وراءه بقدر ما يسعى إلى تمرير ضرورته وشموليته فهو مقصود الدلالة أو فحواها الذي يوجب على البحث فرزه وإظهار علاقته بالواقع أم علما أو رؤيا، وهنا بالذات على مستوى الدال تبرز هذه المضامين الضخمة إلى بعضها يشحنها الرمز وهي العبادات وبعضها الآخر يعمرها المجتمع وهي المعاملات[2].

ولعل كتاب "الشيخ القرضاوي" الذي نشره مركز البحوث الإسلامية[3] فيه ما يفي بالغرض وأكثر للرد في هذا المجال، لكن يبدو أن زهد الحداثة العربية في الغالب في ضرورة الإطلاع على هذا التراث حال دون بناء الاجتهاد على الوعي به وتطوير ما يحتاج منه إلى تطوير على ضوء الجديد في البحوث الحداثية بما يخدم الحقيقة العلمية إيمانا بأن أي "دراسة نظرية لا يمكن أن تصيب هدفها وتبلغ غايتها إلا بالتطبيق وذلك بالتمييز والتذوق وطول المصاحبة وممارسة

(1) – بن سالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام، الاجتهادات والتاريخ، تقديم مكسيم رودنسون، محمد عزير الحباني، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1413هـ/1993م، ص 18.

(2) – المرجع نفسه، ص 182.

(3) – يوسف القرضاوي، أنظر السنة... مصدر للمعرفة والحضارة، مركز البحوث الإسلامية، قطر 1966م.

التحليل وفق منهج يقوم على النظرة الشاملة والموضوعية[1].

ومن ثم فالحماس لمذهب أو نظرية جديدة لا يتم إلا بالدراسة الجادة العميقة التي لا تغفل النظرة الموضوعية الشاملة التي تفسح صدرها لكل المعارف ومن ثم «يكون السلاح الحقيقي ليس في كثرة ما يتحصّل من معرفة بقدر ما هو القدرة على الاستفادة من هذه المعرفة وتكييفها مع اختلاف الأوقات واتجاهات رياح الفكر والنقد»[2].

وقد أثبت "المختار الفجاري" في دراسة معمقة لنظام الخطاب في التفكير النقدي العربي أن العرب قد ضبطوا قوانين الخطاب واستنبطوا نظامه إلا أن فلاسفة الخطاب باعترافهم –كما يقول– «لم يكونوا على إطلاع تام على التفكير اللغوي عند العرب»[3].

وعاب "عبد السلام المسدّي" على فكر الحداثة الغربي وخاصة اللّسانيات الغربية جهلها بالتفكير العربي القديم وهو يرى إمكانيات تطور أكبر للّسانيات في الوقت الحالي لو أنها اطلعت على هذا التفكير «بل لعلها كانت قد أدركت ما قد لا تدركه إلا بعد أمد»[4].

ويستدرك "الفجاري" بعد تحليله بالقول بأن هذا لا يعني بأن العرب القدامى قد سبقوا فكر الحداثة إلى ضبط نظام الخطاب وإنما تمكنوا من إدراك منزلة التفكير المجرد في شأن الكلام باعتباره ظاهرة بشرية تقتضي الفحص الموضوعي بغية الكشف عن نواميسها العامة التي تقوم مقام الكليات الذهنية أو المقولات المنطقية»[5].

أما الحكم على الخطابة بأنها من علامات حسن البيان فحسب فحكم على الشكل دون المضمون وبالتالي فهو حكم منقوص لأنه فصل بين الشكل والمضمون في الحكم على النص الواحد، وهي قضية كانت محل نقاش استمر طويلا بين النقاد سواء في أوروبا أو عند روّاد الفكر النقدي العربي، ولئن جاز الاختلاف فيها قديما فلا يجوز الاختلاف فيها حديثا بعدما فصّلت النظريات المختلفة في الموضوع أوروبيا وعربيا.

---

(1) – محمد زكي العشماوي، المرجع السابق، ص ج.

(2) – المرجع نفسه، ص أ.

(3) – المختار الفجاري، المرجع السابق، ص 33.

(4) – عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1981م، ص 23.

(5) – المرجع نفسه، ص 33.

وللإشـــارة فـــإن الخطابة كانت تتساوى مع الشعر والمنطق وفلسفة الأخلاق عند مدرسة اللغويـــين الأوروبـــية، وتؤكد دراسات المؤرخين العرب لنشأة البلاغة العربية[1] تساوي مفهوم الخطابـــة بمفهوم البلاغة عند المتقدّمين. وكانت الخطابة قد طغت قديما بسبب الاهتمام بأساليب الجدل والمحاجّة والمناظرة، وكانت محورا تدور حوله معظم الملاحظات البلاغية والنقدية وذلك في جميع ألوانها السياسية والدينية.

ومذهب الذين أسّسوا للبيان العربي وعلى رأسهم "الجاحظ"(150-255هـــ) وهو أول من ألّـــف في هذا المجال[2] وأحد كبار رجال المعتزلة وعلماء الكلام يقول: «لا يكون المتكلّم جامعا لأقطار الكلام متمكنا في الصناعة يصلح للرياسة حتى يكون يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة والعالم عندنا هو الذي يجمعهما»[3].

أمـــا أوروبيا فقد كانت نظرية الخيال "لكولودج" أشد حسما للخلاف بين أنصار الفصل بـــين الشـــكل والمضـــمون، وبعدها نظرية علم الجمال لصاحبها "بندتو كروتشيه"، وقد أثبتت النظريتان خطورة هذا التقسيم على النقد الأدبي والبلاغي والذي يعود عليه بالضرر البالغ وتباعد بـــين الدارسين وبين الفهم الصحيح لطبيعة اللغة، «فالفهم لرمزية اللغة التي هي في الوقت نفسه علامـــات على وجود شيء ورموز تتضمن شحنا من المشاعر والإحساس وبمعنى آخر هي عبارة عن فكر خالص مجرد وشعور وإحساس تتضمنهما الكلمات فيها»[4].

وقيمة الشكل الخارجي للنص الواحد لا أهمية له في ذاته لأن قيمته في اتحاده اتحادا عضويا مـــع ســـائر العناصر التي يشملها النص الواحد». ثم إن طبيعة اللغة لا تمكنها من نقل الموضوع

---

(1) – أنظر: – أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، بيروت –لبنان.

– عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت .دت.

– شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1990م.

– محمـــد زغلـــول ســـلام، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1993م.

(2) – أبـــو عـــثمان عمـــرو بن بحر الجاحظ، أنظر: البيان والتبيين، شرح وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط5، 1990م.

(3) – أبـــو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، شرح وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج1، ص 124.

(4) –زكي العشماوي، المرجع السابق، ص 241.

فحسب وإنما أيضا قادرة على نقل شخصية المتكلّم الذي يعرض موضوعه ونواياه"[1].

وأما عربيا فقد كانت "نظرية النظم" "للجرجاني" بعد القرن الرابع الهجري علامة بارزة في الدراسات النقدية العربية حيث قضت على كثير من المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة قبلها وتعتبر منهجا جديدا وطريقة جديدة في دراسة النصوص ونقدها، يقول عنها الناقد "محمد زكي العشماوي": أنه «إذا كان في تاريخ النقد العربي والبلاغة العربية شيء يقارب ما انتهى إليه الفكر الحديث في الدراسات النقدية والبلاغية فهو منهج "عبد القاهر الجرجاني" الذي قدّم إضافات جوهرية هي كما يلي:

1- توحيده بين اللغة والشعر والتقاء فلسفة الفن بفلسفة اللغة عنده.

2- قضاؤه على ثنائية اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون في النص الواحد

3- قضاؤه على الفصل بين التعبير العاري والتعبير المزخرف أو بين التعبير والجمال.

4- قدّم منهجا لغويا تطبيقيا في دراسة النصوص ونقدها[2].

فقد صرف "الجرجاني" همّه للدّفاع عن قضية المعنى وفكرة النظم والصّياغة لإيقاف تيار اللفظية على التفكير النقدي من قبله وقد ثار على مناهج سابقيه وزلزل الثقة بها وشّك فيها ونبّه على خطورة منهجها في مفهوم اللغة و دراسة النصوص كما كشف عيوبها ونقائصها ومآلاتها وذلك في مناقشات جلدية ونظرية وتطبيقاته وتحليلاته للنصوص.

وما يهمنا من ما قدمه الجرجاني هو نظرته للغة وللنحو.

فهو أن قيمة الألفاظ تكمن في خدمة الموقف الذي يثار ومن ثم كانت هذه الألفاظ وسيلة رمزية لإثارة المواقف وليست هدفا في ذاتها «ونجاح الألفاظ ليس في شكلها الخارجي وإنما جمالها ونجاحها في قدرها على توليد المواقف المطلوبة أو في الإفصاح عن المعنى المراد أداؤه»[3].

وقد ردت نظرة "الجرجاني" للنحو الاعتبار للغة وأحلتها المحل اللائق بها، فالنحو عنده «ليس هذا العلم الذي يبحث في أواخر الكلمات ولا هو جملة القواعد الجافة ولا هو هذا الشيء الذي لا مكان له في البلاغة ولا في الفن وإنما النحو عنده هو العلم الذي يكشف لنا عن المعاني

---

(1) – زكي العشماوي، المرجع السابق، ص ص 242-245.

(2) – المرجع نفسه، ص 302.

(3) – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1989م، ص 136.

ومـــا المعـــاني إلا الألوان النفسية المتباينة التي ندركها علاقات الكلام بعضه ببعض مما يجعل منها نسيجا حيا من الصور والمشاعر»[1].

فالمـــنهج الشـــكلي لا يمكـــنه أن يحقـــق الأغـــراض التي تهدف إليها النصوص في إدراك الخصوصـــيات والفروق والأسرار التي تكون بين كلام وآخر وكذلك في التثقيف والتعليم وتربية الأذواق[2].

وقد ساعدت نظرية "الجرجاني" في النظم ومفهومه الرحب للمعنى والتقاء فلسفة اللغة عنده بفلســـفة الفن على النشأة المنهج اللغوي الذوقي في دراسة النصوص وتحليلها والحكم عليها لأول مرة في تاريخ النقد العربي وهو أن يحكم بالجودة أو الرداءة على النص بكل خصائصه ومكونته في الشكل والمعنى ومن هنا تكون الأحكام أكثر دقة والتزاما بالموضوعية والمنهجية، وهو المنهج الذي يكشـــف عن ذوق الأمة وتجاربها وخبراتها في ميادين الأدب واتجاهاتها كما هو «السبيل لإرضاء حاجات الناس العاطفية والروحية والوجدانية لا الوقوف في دراسة النص عند حدود الشكل مما يقتل الذوق ويميت الحس وينفر الدارس»[3].

ولابـــد من الإشارة إلى أن البنيوية الغربية نفسها قد وقعت في مأزق انغلاقها الشكلي وهو ما حدا بأقطابها أنفسهم محاولة الخروج عليها ونقدها من هؤلاء الفرنسي "رولان بارت"، و"فليب سولرز"، و"جوليا كريستيفا"، و"جاك دريدا"، وغيرهم من أعلام السيمياء والتفكيك[4]، ناهيك عن خصومها الذين جعلوها هدفا لانتقاداتهم منذ البداية[5].

فإذا كانت البنيوية قد منحت العلوم الإنسانية -الموضوعية- وإنها قادت من جانب آخر إلى نتيجة هامة هي فقدان هذه الدراسات خصوصيتها وتوهجها فأنها ظلت أسيرة النموذج اللغوي وبهذا وقعت حسب الناقد والألسني "جوناثاني كللر" في مأزق الوضعية والمعيارية الجامد[6].

---

(1) - عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص308.

(2) - محمد زكي العشماوي، المرجع السابق، ص350.

(3) - المرجع نفسه، ص356.

(4) -عزام محمد، المرجع السابق، ص70.

(5) - أمـــثال: روجـــيه قارودي في كتابه: البنيوية فلسفة موت الإنسان: ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1985م.

(6) - محمد عزام، المرجع السابق، ص70، نقلا عن: الشعرية البنيوية، جوناثان كللر، لندن 1977م.

ومنذ منتصف الستينيات وما بعدها شاعت شكوك حول ضعف الكفاية المنهجية للبنيوية في شتى حقولها المعرفية وسرعان ما تحولت هذه الشكوك إلى تيار نقدي يحاول نقد البنيوية المجردة ونموذجها اللغوي الذي عممته على العلوم الإنسانية وقد كانت لأحداث 1968م في فرنسا الأثر الحاسم في وقف المد البنيوي[1] مما جعل البنيويون يعيدون النظر في مواقفهم ومنهجهم الذي خرجت منه مناهج نقدية عديدة.

وبقي إلى أن نشير إلى أن الخطاب البياني ليس حكرا على نصوص الحضارة والفلسفة وخفاء أسلوب التعمية والتمويه في هذه النصوص يزيدها ونفوذا[2].

المطلب الثالث: دلالة مصطلح الخطاب في اللغة والثقافة العربية

تبتعد الدلالة العربية لمصطلح الخطاب عن الشواغل الشكلية للكلمة وتصرف اهتمامها لمضمون الخطاب ووظيفته وما يميزه في واقع من يوجه إليهم مع الاتفاق على حدّة المصالح بالمعنى الذي يتداول في الوقت الراهن.

فنجده عند "محمودا إسماعيل": «يفيد معنى الكلام المنطوق والمكتوب، والوعاء الذي يحوي هذا الكلام في نسق متميز محكوم بآليات وقواعد»[3].

فنجده عند "عليوش": «مجموع التعابير الخاصة التي تتحد بوظائفنا الاجتماعية ومشروعها الإيديولوجي»[4].

أما عند "السيد محمد حسن الأمين" فيعني: «مجموعة من الركائز والمميزات والنيران التي يعتمدها اتجاه أو تيار عقيدي أو فكري أو سياسي أو اجتماعي أو أدبي أو فني... للتعبير عن ذاته والترويج لها»[5].

وهو عبارة عن «وصف المضمون الفكري الذي تشير إليه لغة فرد أو جماعة وما يحمله هذا

---

(1) –محمد عزام، المرجع السابق، ص7.

(2) – المختار الفجاري، المرجع السابق، ص32

(3) – محمود إسماعيل، الخطاب الأصولي المعاصر، الآليات والقسمات، لبنا للنشر، مصر، 1996م، ص11.

(4) – سعد عليوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، 1985م، ص83.

(5) – السيد محمد الأمين، رؤية في تشكيل الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة المنطلق، ع108 -109 صيف،خريف 1994م، ص25.

المضمون من رسالة الآخرين، ويتضمن هذا الوصف في العادة تحليل اللغة المستعملة في الخطاب، ومدى دلالاتها عند المخاطبين ومدى الاتساق الداخلي لأصحاب الخطاب الواحد، ومدى توافق هذا الخطاب مع المواقف العملية لأصحاب ومستوى الخلاف والتميز الذي يحققه هذا الخطاب عن أشكال الخطابات الأخرى»[1].

ويطلـــق الخطاب على كلام الخطيب، وهو الكلام الذي يلقيه شخص ما على جمهور من المستمعين وعادة ما يكون هذا الشخص مسؤولا أو مقدما على الجمهور بصورة أو بأخرى[2].

مع ملاحظة الجديد الذي يقدمه كل تعريف عن الذي سبقه، فالخطاب هو عملية تواصلية بين جهتين إحداهما صاحبة الخطاب والأخرى متلقية، وتتعمق أهمية مضمون الخطاب كلما انتقلنا مـــن الفردية إلى الجماعية من جهة وكلما كان للخطاب هدف يريد تحقيقه عن طريق استجابة الجهـــة المستقبلة لهذا الخطاب سواء سلبا أو إيجابا من جهة أخرى، ولذلك قد لا يتوقف هدف الجهـــة صاحبة الخطاب عن التعبير عن ذاتها والترويج لها وإنما تتعداها إلى تحقيق الهدف من وراء ذلك التعبير وذلك الترويج خاصة إذا افترضنا أن الجهة صاحبة الخطاب فردا كانت أو جماعة هي مسؤولة أو مقدمة على الجهة المتلقية بصورة أو بأخرى إما بالسلطة أو بالعلم والثقافة أو بالسن أو بكل ذلك أو بغير ما ذكر مما يوحي بأهمية مضمون الخطاب وأهمية الغرض الذي وضع من أجله، ولهذا السبب فإن الخطاب حسب "المختار الفجاري" «مصطلح اقترن بالسلطة مباشرة في الثقافة العربـــية حـــتى غدا في الذهنية العامة كل كلام يصدر من أعلى الهيئات في الدولة وخاصة القائد الأول» فهو عنده: «الكلام الحامل لرسالة المعتمد على سلطة ما لتبليغها للناس، وهذا ما يجسمه الرسول قديما -كما يقول- ويجسمه الرؤساء حديثا»[3].

وفي تناوله لمصطلح الخطاب يضبط "المختار الفجاري" دلالته في الثقافة العربية والإسلامية في ثلاث مستويات:

1- الشأن أو الغرض.

2-الكلام الحامل لشأن أو لغرض.

---

(1) - عبد الصبور فاضل، الخطاب الإسلامي في ظل العولمة، مجلة الوعي الإسلامي، ع389 ماي1998م، ص38.

(2) - إبراهيم صحراوي، المرجع السابق، ص6.

(3) - المختار الفجاري، المرجع السابق، ص32.

3 سلطة لإخبار الشأن أو الغرض.

مع ملاحظة أنه وهو يضبط المستويات لم يتعد حدود الصيغ المختلف للفظ الخطاب في القرآن الكريم، كما أنه لم يحد عن الدلالات التي استنطقها "ابن منظور" في كل منها.

أ- ففي الشأن أو الغرض الذي يكاد يختص به المصدر المشتق من مادة "خطبة" بسكون العين، فهو الشأن أو الغرض صغر أو عظم، وهو سبب الأمر أي الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال.

وقد ورد-الخَطْب- في القرآن الكريم في سياق الاستفهام والاستخبار في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ...﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ﴾[3] وقوله: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ..﴾[4].

والمهم في عرض هذه الآيات هو في إجابة المرسلين في سورة الحجر وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي إنا أرسلنا لهدف وغرض معين هو تطهير الأرض من المفسدين إما بإصلاحهم وإرجاعهم إلى الصواب وإما بسحقهم وتسليط عذاب أليم عليهم كما جاء في السورتين: (الحجر، والذاريات)

يقول "الفجاري": «فبالإضافة إلى اقتران الخطْب باعتباره شانا وغرضا بمصطلح الرسالة في الآيتين- سورة الحجر 57- سورة الذاريات 31- وبالتالي بمصطلح الخطاب فقد بينت الآيتان على أن دلالة "الخطْب" لا تحمل فقط الأمر العادي أي الشأن اليومي لأفراد من الناس وإنما تحمل أمرا خارقا للعادي وشأناً عظيمًا هو شأن كل الناس، وهذا الشأن العظيم هو بالتعبير الجديد المشروع الحضاري وهو بتعبير القرآن "الرسالة". فالرسالة ليست مجرد كلام فحسب بل هي كلام حامل لمشروع، والرسالة السماوية هي مخلص للبشرية من العذاب الذي تردت فيه بسبب خيارها الوضيعة»[5].

ب- وفي الكلام الحامل لشأن أو غرض وتشترك في الدلالة عليه الأفعال خطب وحاضب

---

(1) - يوسف 51.

(2)- الحجر 57- الذاريات 31.

(3) - طه 95.

(4) - القصص 23.

(5)-المختار الفجاري، المرجع السابق، ص 30 .

والمصادر المشتقة منها – خطبة وخطاب- فالأفعال تدل على الكلام والمصادر تدل على الغرض المحمول في فعل المخاطبة وهذا ما استخلصه الباحث من جميع الصيغ التي أوردها صاحب اللسان في هذا المجال في"أن الخطاب وهو كلام حامل بالبداهة لغرض ما سواء كان شفهيا أو كتابيا فإن الإفادة التي تقدمها المادة في هذا المستوى هو ذكر- فصل الخطاب-" وأما بعد "وهو ما يبرز أن للخطاب جوهر وعرض، "فأما بعد" ترد في الرسالة المكتوبة أو الرسالة الشفهية لتنبه القارئ أو المستمع على جوهر الموضوع أي المقصود من "الرسالة" أو الغرض الأساسي منها" في حين يكون ما جاء قبل –أما بعد- فهو من العوارض العارضة[1].

ج- سلطة إنجاز الشأن أو الغرض، فقد ذكر في القرآن الكريم الفعل خاطب مرتين في كل من سورة "الفرقان" و"هود" وهو يقصد مجرد الكلام، إلا أن لفظة الخطاب وردت ثلاث مرات مرتان في سورة "ص" وواحدة في سورة "النبأ" والجديد في المعنى في هذا المستوى هو الذي تقدم لفظة الخطاب في سورة"ص" وهو سلطة إنجاز الشأن أو الغرض، ففصل الخطاب كما يقول بعض المفسرين هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، أو أن يفصل بين الحق والباطل كما يقول البعض الآخر مما يدُّل على أنَ الخطاب له قدرة تعبوية فهو سلطة مؤثرة على السامعين[2]، وهي سلطة الحجة والبرهان الساطع والدليل القاطع كما يفهم من اللسان، وما السلطات الخارقة التي سخرها الله تعالى لنبيه داوود –عليه السلام- والتي عبر عنها القرآن الكريم: ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[3]. بمعنى: «مكناه من السلطة الكافية التي ضمناها خطابة لاستمرار حكمه في الأرض»[4].

ونخلص مع الكاتب إلى محصلة مفادها أن الخطاب هو على التوالي الغرض الأساسي من الرسالة المعبر عنها، والمشروع الحضاري أو مشروع التغيير، والسلطة الكفيلة لإنجاز هذا المشروع وهو ما حاولت التعريفات السابقة أن تقدم مفهوما له لكنها ركزت على الجزء منه دون الكل عبر زوايا اهتمام محددة فيم كان الأولى الاهتمام بكل الزوايا وهي صاحب الخطاب، مضمون الخطاب، وسلطة تنفيذ هذا الخطاب.

---

(1) –المختار الفجاري، المرجع السابق، ص31

(2) – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) –ص 20.

(4) – المختار الفجاري، المرجع السابق، ص31.

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي، المصطلح والمفهوم

الخطـــاب الإسلامي من المصطلحات التي راجت في السنوات الأخيرة، ويفتقر مفهومه إلى التحديد الدقيق كحال غيره من المفاهيم التي رافقته.

وقـــد أخذ الحديث عن الخطاب الإسلامي اهتماما واسعا وملحوظا في الصحافة ووسائل الإعـــلام الغربـــية أولا ثم العربـــية لاحقا بعد ما كان الاهتمام به في مراكز البحوث والجامعات والمعـــاهد والمؤسســـات الغربية المتخصصة في الظواهر السّياسية والاجتماعية التي تناولته بالبحث والمعالجـــة والتصـــنيف، ويعود لهذه المراكز الدّور في تحديد مفاهيمه أهدافه واتجاهاته[1] وقياداته ليخرج مـــنها جاهزا للانتشار وتتلقفته وسائل الإعلام تبني عليه الأحكام وتمده بالمدائح...من التاريخ أو من الواقع أو من الخيال.

وتتـــنوعّ وجهات النظر حول تعريف مصطلح الخطاب الإسلامي وظروف نشأته ومسألة صياغته، وكذا تصنيفاته ومستوياته ومساحاته واتجاهاته...الخ، فقد شكّك البعض في وجود هذا الخطاب مفهوما وواقعا وأفرغ الجهد لتأييد فكرته، في حين تناول البعض الآخر الحديث عن أزمة الخطـــاب الإســـلامي واجتهد في وضع ما يمكن به تجاوز تلك الأزمة وزوالها. واهتم فريق ثالث بموقـــع الخطاب الإسلامي في الخطاب التقدمي العربي من جهة وموقف هذا الأخير منه من جهة أخـــرى، وذهب فريق رابع إلى الحديث عن موقف المسلمين من الخطاب الإسلامي على اختلاف أطيافهم وتنوّع اتجاهاتهم...

ومن المفيد الإشارة إلى أن جل المفاهيم التي يقدمها هؤلاء وأولئك إنما تتحدّث عن الخطاب الإســـلامي في العصـــر الحديث والراهن وكل ما يدور حول هذا المفهوم صياغة وحكما وواقعا وغـــيره. وهـــو ما بنى عليه البعض فوهم أن الخطاب الإسلامي بعث من عدم ولا صلة له بتاريخ الأمـــة وبالتالي بواقعها مما يفقده مبررات الوجود كطرف من الواقع الإسلامي فيما تنتشر فيه من

---

[1] - يذكر موسى زيد الكيلاني أنه حين دعي لإلقاء محاضرة في جامعة جورج تاون بأمريكا حول موضوع اختارته هو: "الحركة الأصولية في العالم العربي" تبين أن عدد الكتب التي تناولت الموضوع تزيد عن 732 كتابا باللغة الإنجليزية وحدها منذ عام 1979م فقط حتى وقت إلقائه محاضرته في 1990م وأن في الأردن 72 مؤلفا عن الحركة الإسلامية في الأردن وفلسطين أغلبها مترجمة عن الإنجليزية أو وضعها غير العرب منهم: مارتن كريمر، منون الكحن، روبرت ساتلوف، أنظر: الحركات الإسلامية، دراسة وتقييم، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، دت، ص4.

أفكـــار وتـــيارات وتوجهات ومشاريع... ونلمس ذلك حتى في بعض المصطلحات البديلة والتي يختـــارها هـــؤلاء أو يستحدثونها له بناء على فهمهم. ولذلك فإنه من الأهمية بمكان تناول مسألة الـــتعريفات في طرحها الإسلامي الأصيل حتى يمكن تصويب وتصحيح مثل هذه الأحكام خاصة حيـــما تطرح في الساحة الإسلامية وتجد من يدفع فيها بغفلة وجهل في كثير من الأحيان.

المطلب الأول: تعريفات للخطاب الإسلامي

بدايـــة نشـــير في مسألة التعريفات للخطاب الإسلامي أن المراجع لم تهتم بتقديم تعاريف لـــلخطاب الإســـلامي بقدر ما كان اهتمامها منصبا حول الحديث عما يدور حول وعن الدعوة الإسلامية والحركة الإسلامية والتيار الإسلامي عبر المؤتمرات والندوات واهتمامات السياسة العالمية في العقود الأخيرة، وهي وإن فعلت أحيانا ما لم يكن مقصودا لذاته وما يجب التنقيب عنه وفرزه من بين أمشاج المادة العلمية فهي لا تعتمد هذا المصطلح بهذا التعبير "الخطاب الإسلامي" وإنما في المصطلحات الأخرى. وقد اجتهدنا في تلخيص أو استخراج ما أمكن لاعتماده فيما يلي مع التنبيه أنه انطلقنا من المفهوم الحضاري والشامل تدريجيا نحو المفهوم الحديث والراهن.

- الخطاب الإسلامي هو خلاصة محاور منهج إلهي المصدر إنساني الموضوع، يحكم شؤون إنسان مخلوق...لخالق واحد... يحيا في عالم مخلوق لذات الخالق الواحد... ويمضي برسالة الخلافة من ربـــه في عمران عالمه وفق بنود عقد وعهد الاستخلاف استعدادا للقاء ربه يوم المعاد والحساب والجزاء[1].

وتتمـــثل وظـــيفة هذا المنهج في وضوح الرؤية الإسلامية التي تيسّر الإجابة الإسلامية على تســـاؤلات هذا الإنسان من أين جاء؟... وكيف يحيا؟... وإلى أين المصير؟[2] فهو إذن خطاب منهج شمولي شمولية رسالة الإسلام. ومتميز تميز رسالة الإسلام.

تعريف يحدّد الخطاب الإسلامي منهجا ومحاور ووظيفة، ويجيب عن سؤال الوجود منطلقا وحياة ومصيرا، يقدّمه المسلم في خطابه عارفا بوضعه ومكانته كمخلوق لخالق تعالى، وبوظيفة الخلافة التي يتولاها مجتهدا في تيسير ذات الإجابة في كل عصر وفي كل جيل بما يلائم من أساليب ووســـائل وحوادث محافظا على ميثاق الخلافة خوفا ورجاء وطمعا في الخالق الذي سيلقاه محاسبا

---

[1] - محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م، ص25.

[2] - المرجع نفسه، ص25.

مجازيا.

اجـــتهد "محمد عمارة" في استنباط معالم ذلك المنهج من فترة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– كدليل على:

أ– تطبيق الإسلام بعد التطبيق النبوي المعصوم، تحت قيادة بشر غير معصوم.

ب– خصوصـــية الالـــتزام بالمنهج النبوي وتطبيقه قبل أن تطرأ عليه الطوارئ بعد أحداث الفتنة الكبرى في أواخر عهد عثمان بن عفان ﷺ.

جـــــ– أن التطبـــيق كان بعد اكتمال بناء دولة الإسلام وخروجها من بساطة واقع دولة الرسول ﷺ إلى تعقيدات واقع البلاد المفتوحة ذات المواريث الحضارية القديمة —بعد هزيمة الفرس والـــروم– وهو ما نشط العقل المسلم المجتهد واستفزه كي يستنبط الأحكام الجديدة من مقاصد الشريعة وكلياتها للواقع الجديد[1].

- الخطـــاب الإسلامي هو الخطاب الذي «يعني بالطرح الفكري والعملي لقضايا المسلمين على أســـاس المصلحة الإسلامية العليا والنظرة الموضوعية دونما تأثر بالضغوط الخارجية أو التأثيرات المختلفة مذهبية وقومية»[2].

- ويقـــترب هـــذا الـــتعريف مـــن وصف الخطاب الإسلامي بـــ«الرؤى التي يضعها المفكرون الإســـلاميون عـــبر مضامين واضحة خالية من التعقيد تدعو إلى الإسلام الصحيح والخالي من المقحمات والمدخلات، ويقصد من ذلك.

أ– الأخذ بالمعين الرئيس —القرآن الكريم والسنة الصحيحة في تحديد الوجهة ورسم المسار.

ب– التركيز على سيرة السَّلف الصالح لأخذ العظة والعبرة وجعلها الأساس والمنطلق في التغيير.

جـــــ– الحرص على التعبير عن المدركات العقلية نحو أهمية الإسلام في وضع تلك التصوّرات على ما ينسجم ويتلاءم وطبيعة البيئة المحيطة»[3].

- والخطـــاب الإســـلامي «يتـــبنى الشخصية المسلمة ويساهم في تشكيل البنية الثقافية للأمة

---

[1]–محمد عمارة، المرجع السابق، ص 24.

[2]–فؤاد جابر كاظم، الخطاب الإسلامي المعاصر، رؤية نقدية، مجلة الثقافة الإسلامية ع66، 1416هـ/1996م، ص181.

[3]–إسماعيل نوري الربيعي، الخطاب الإسلامي من نطاق الهيمنة إلى وعي الذات، المجلة الثقافية، ع32، شوال 1414 هـ/أفريل 1994م –محرم 1414هـ/يوليو 1994، ص–ص 34–35.

الإسلامية، يوظف كل الوسائل لإيصال فكرته وإرسال معلوماته بخطط مرسومة تخترق الجمهور وتناقش اهتماماته وتعيد تشكيلها من جديد بأساليب تعي التحديات والأزمة التي يعيشها الوطن الإسلامي حتى يستطيع المواجهة»[1].

- ويصيغ باحث تعريفه بالإشارة إلى أن الخطاب الإسلامي: «يدل على السّمات المشتركة بين جميع الأدبيات المعبّرة عن الإسلام ماضيا وحاضرا»[2].

- ويقول باحث آخر أن الخطاب الإسلامي هو «تنزيل مفاهيم الإسلام ومقولاته وأحكامه على واقع الناس أفرادا وجماعات ومجتمعات للانتقال بهم من التفريط إلى الالتزام، ومن الالتزام الجزئي إلى الالتزام الكلّي الشامل بالإسلام علما وعملا ودعوة وجهادا»[3].

وبغض النظر عن الاختلاف الكثير أو القليل في صياغة هذا المفهوم المعاصر فإن حدوده تبين بلا شك كثيرا من جوانبه العامة سواء من ناحية الصياغة أو من ناحية المفهوم.

والنظرة الأولية لموضوع الخطاب الإسلامي تبين المدى الزمني التي صيغ له هذا المفهوم والمشاكل التي تكمن وراءه، وعليه فإنه يمكننا أن نلاحظ أن هذه التعاريف قد ركزت على ما يلي:

أ- أن الخطاب الإسلامي يهتم بقضايا المسلمين حصرا ويتبنى الشخصية المسلمة تعميما وتكوينا حتى يلتزم المسلم بدينه.

ب- أنه أصيل ينطلق من الإسلام قرآنا وسنة صحيحة وسيرة السلف الصالح وتجارب الأحياء المسلمة المتلاحقة في تحديد الوجهة ورسم المسار.

جـ- أنه شمولي يجمع بين الطرح الفكري والعملي في الرؤى والتصورات والتفسير.

د- أنه واقعي ينسجم مع البيئة المحيطة ويعي التحديات الداخلية والخارجية.

هـ- أنه تفاعلي، تواصلي فهو ينزل إلى واقع الناس يناقش مشاكلهم ويعيد تشكيل

---

[1]- أحمد التلقي، الخطاب الإسلامي وإشكالية العقل المسلم، مجلة منار الإسلام، ع5، س 24، جمادى الأولى 1419 هـ/سبتمبر 1998م، ص 92.

- محمد حسن الامين، رؤيه في تحليل الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة المنطلق، ع 184 - 185، ص 25

[3]- الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي وموقف المسلمين منه، (سلسلة مفاتيح الدعوة)، دار الامتياز، قالمة، الجزائر، ط1، 1990م، ص3.

اهتماماتهم ويستجيب إلى حل تلك المشاكل بالصورة التي تتلاءم والظرفية الزمانية والمكانية المحيطة.

من الضروري التنبيه إلى أن التعاريف المدرجة أعلاه تخرج كلها من البيئة الإسلامية وبالتالي فهي تنطلق بالإضافة إلى الإحاطة بفهمها للإسلام وهو الفهم الصحيح لا شك في ذلك من حيث كونه نظاما يجمع الدين والدولة ويشمل في ذلك النفس والاجتماع والسياسة والتربية والاقتصاد والروح... الخ من جهة فإنه على المستوى نفسه ينطلق من بداهة تحدد الخطاب الإسلامي من حيث كونه اجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان، وبناء على ذلك فانطلاق من غير هذا المنطلق وذات هذه البداهة هو قصور يقدح في وعي من يتصدّى لهذا المصطلح صياغة ودراسة سواء أكان القصور مقصود أو غير مقصود وهو ما نتوقف للحديث عنه فيما يلي.

المطلب الثاني: الخطاب الإسلامي: مصطلحات غريبة وطروحات شاذة

إذا خصّصنا الحديث عن الدراسات الغربية الأجنبية فإن الخطاب الإسلامي فيها يكاد ينحصر على بعد واحد وهدف واحد هو البعد والهدف السّياسي وذلك تماشيا مع مصالحها وأهدافها التي تعتقد أن ما تسميه "بالأصولية الإسلامية" يمثل إحدى المؤثرات التي تقف أمام تحقيق هذه الأهداف وتعيق تحقيق تلك المصالح، والواقع أن مثل هذه الدراسات والبحوث تكون في نطاق معبّرة عن رؤية أحادية تنطلق من التصور الغربي بصفة عامة وما يحيط هذا التصوّر من تشويه وتحريف ساهم فيه الكثير من المستشرقين قديما وحديثا.

ويذكر "محمد حافظ دياب" أن القراءة الاستشراقية قد قدّمت وحدها «قراءة 30 ألف كتاب حول الخطاب الإسلامي والتي ترى إليه بدرجات متفاوتة من الانحياز ضمن مدخلات تعرب المرجعي بداية من "أرناست رينان" وحتى الآن»[1] بعد ما آلت سيادة المدارس الاستشراقية إلى المدرسة الأمريكية.

والقراءة الاستشراقية للخطاب الإسلامي «مدجنة، وإن هي لا تخلو من جهد تنظيري فإنها حاولت وتحاول تأسيس الاستمرارية بواسطة ما هو خارج عنها وتكوين مفهومات ناتجة عن استمولوجية غربية لها منطقها الخاص وتاريخها المميز وبطانتها الايديولوجية المحدّدة، وبهذا تكرّس سيرورة التقليد والغربنة وهو ما يمكن أن يحول دون إمكانية تفتح قراءة موضوعية للخطاب»[2]،

---

[1] - محمد حافظ دياب، سيد قطب، الخطاب والايديولوجيا، الجزائر، مومم للنشر، 1991م، ص 12.

[2] - المرجع نفسه، ص 13.

ناهيك عن أن تكون دقيقة أو منصفة.

ولم تسنح الكتابات الغربية الحديثة من هذا النقص ولا من تلك الأحادية وذلك التشويه خاصة عندما تكون على صيغة دراسات صحفية أو إعلامية –وما أكثرها في موضوعنا والتي يهمها التركيز على الإثارة على حساب الدقة سواء في التحليل أو دقة مصادر الكتابة.

ويصبُّ في السّياق نفسه بعض الدراسات والبحوث التي تصدر عن بعض الباحثين والكتّاب العرب الذين ينطقون من تبنّي وجهة النّظر الغربية القديمة الحديثة حيث نسمع فيها-دون عناء- صوت الاستشراق منهجا ونقرأ أسلوب الإثارة وسيلة في مختلف مراحل الطّرح[1].

ويضاف إلى ذلك الدّراسات العربية التي تنطلق من مواقف انطباعية بتحدها أصحابها بسبب الخلاف الفكري أو بسبب مواقف سياسية محدّدة تعارض الطّرح الإسلامي. وهذه وإن نجت من تأثير الاستشراق غاية ووسيلة فإنها تبقى تحت نقيصة قصور الوعي وضبابية الرؤية فتنضمّ في عدم الموضوعية والدّقة إلى الدّراسات الغربية في تناولها للخطاب الإسلامي.

والجدير بالتّنبيه هو رواج هذا الصّنف من الدّراسات والتي تبقى صاحبة الحضوة في التّداول الواقعي إن على مستوى المصطلح أو على مستوى المضمون والهدف، ولتحل بالتالي ليس فقط محل المصطلحات السليمة والصحيحة وإنما أيضا تحمل معها كل الغموض وشحنات الخلفيات المختلفة في الاستعمال اليومي وكذا في المجال الفكري على الساحة العالمية عموما وعلى السّاحة الإسلامية على وجه الخصوص مما يعيق كل محاولة جادّة لفهم الموضوعي للإسلام ومن ثمّ للخطاب الإسلامي.

أ- التركيز على البعد السياسي للخطاب:

ففي كتاب سماه صاحبه "الإسلام في ثورة، الأصولية الإسلامية في العالم العربي"[2] أورد

---

[1]-انظر : تركي علي الربيعو، الحركات الإسلامية في منظور الخطاب التقدمي العربي، مجلة الاجتهاد، ع 15-16، س4، ربيع - صيف 14713هـ/1992م، تحليل حول الموضوع.

[2]-أصل الكتاب باللّغة الإنجليزية وعنوانه: Richard.Harir Dekmejian, Islam in revolution, Fundamentalism in the Arab world, syracuse university Press, 1985.
وقام سعيد عبد الوارث بترجمته إلى اللغة العربية بعنوان، الأصولية في العالم العربي، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1992م.

المؤلف سبعة عشر مصطلحا لوصف الإسلام وما عبّر عنه هو "بالظاهرة الإسلامية" وهذه المصطلحات هي: الإحياء، إعادة الميلاد، التزمت، الأصولية، دعوة الإصرار، الصحوة، الإصلاح، الانبعاث، التجديد، النهضة، استعادة الحيوية النضالية، الحركية، الثقة بعودة جديدة للعصر الذهبي، المهدية، العودة إلى الإسلام، الزحف الإسلامي ويعلّق المؤلف على ذلك بأن «هذه المصطلحات في جملتها ذات فائدة في وصف الظاهرة الإسلامية لكنها تعني أن الإسلام في حال من الغفوة وهو لا يتطابق مع الحقيقة»[1].

وتبلغ درجة الخلط غير المبرّر ذروتها عند الكاتب عندما يفسّر عدم مطابقة تلك المصطلحات للحقيقة فيقول:

أ-«لقد قاوم الإسلام بنجاح عملية العزل والتغليف التي فرضت على النصرانية في الغرب وهي المقاومة التي تشكّل مبعث الصراع القائم بين الدولة والدين في العالم الإسلامي»[2].

ب-«لأن الانبعاث الإسلامي في الأوضاع الحالية ظاهرة معقدّة لأنها في الوقت نفسه ذات طبيعة روحية واجتماعية واقتصادية وسياسية...»[3].

جـ-«لأنها "تولّدت من ضعف البصيرة في مجال التصور للعلماء أو لرجال الحكم في الغرب- (المشغول بالمشاكل الاقتصادية المتنامية والاهتمامات الأمنية وكذلك عمى البصيرة بسبب ما أحدثته المادية الغربية والماركسية...)- الذين مالوا إلى استبعاد قوة الإسلام على استعادة الحياة أو إلى التقليل من شأنها"[4] فلم يعرها الغرب اهتماما... اعترافا بتمام سيطرتهم على مقدّرات العالم الإسلامي»[5].

ويختار "ديكميجيان" من بين كل المصطلحات التي رصدها مصطلح "الأصولية" فقط ويبرّر ذلك بأنه الأنسب من حيث أنه «يشير إلى البحث عن أصول العقيدة وعن أسس الدولة الإسلامية وقواعد نظام الحكم الشرعي" ثم أن "هذا التركيب يؤكد على البعد السياسي للحركة

---

[1]-هرير ديكميجان، المرجع السابق، ص 20-21.

[2]-المرجع نفسه، ص 22-23.

[3]-المرجع نفسه، ص 26.

[4]-المرجع نفسه، ص 21 .

[5]-المرجع نفسه، ص 22، تعليق المترجم سعيد عبد الوارث، (والتسطير مقصود من الباحثة).

الإسلامية أكثر من جانبها الديني»[1].

ويصرّ الكاتب على هذا الاختيار ويسجّله بل ويبرّره أيضا رغم أنه يسجّل اعترافه بالمقابل «أن مؤيدي الأصولية الإسلامية يشيرون إلى أنفسهم عادة باسم الإسلاميين أو الأصليين أي الحقيقيين».

وأكثر من ذلك فإن الكاتب اختار مصطلح "الأصولية" والأصولي واستخدمهما في كل كتابه كمرادف للإسلام والإسلامي أو الإسلاميين»[2].

واختيار الكاتب «للأصولية يتماشى مع بواعث دراسته وأهدافها التي تصبُّ في بواعث وأهداف الدّاعين إليها والواقفين وراءها دعوة وتمويلا وحشدا للباحثين فيها[3]، لكن ذلك الاختيار يفتقد الدّقة من حيث الواقع والحقيقة والتاريخ، وتعوزه الموضوعية من حيث سقوطه المفرط في المركزية الغربية وفي أحادية البعد الغربي في كتابة وتفسير التّاريخ البشري وحتى التّاريخ الدّيني الإسلامي منه والذي لا يجمع بينه وبين التّاريخ الكنسي علاقة من قريب أو من بعيد، ومن ثم قصوره اللاّمبرر في حصر ما سمّاه بالظّاهرة الإسلامية في البعد السياسي مع إقراره مرارا بتعقدها وشمولها للكثير من المظاهر والأشكال حيث كانت في الوقت نفسه ذات طبيعة روحية واجتماعية واقتصادية وسياسية .... ليتأكّد عندنا خلط الطّرح الغربي بل والخلط المتعمد خاصة حين يعلن الكاتب عن المصطلح التّامن عشر وهو- محوّر الاهتمام والدراسة- «فالتّحدي

---

[1]- هرير ديكميجان، المرجع السابق، ص 21.

[2]- يقول موسى زيد الكيلاني: إذ الأصوليين المسلمين يرفضون تسميتهم بهذا الاسم لأنه سبب المشاكل لرجال الدين المسيحيين من قبل حيث أطلقته عليهم الأغلبية الغربية ومن هذه المشاكل –سواء أكانت هذه التسمية صحيحة أم خاطئة إلصاق تهمة التطرف الغبيض وضيق الأفق لرجال الدين المسيحيين، انظر: المرجع السابق، ص 20، وفي المقابل يضيف في ص 21- وفضلوا تسميتهم بأفراد الحركات الإسلامية.

[3]- الكاتب "هرير ديكميجان، ولد في 1933م، تخرّج من جامعة كولومبيا وعمل محاضرا في شؤون الشرق الأوسط في مكتب الخدمات الخارجية و مستشارا في وكالة التطور الدولي في وزارة الخارجية الأمريكية.

وأصل الدراسة تقرير قدّمه الكاتب إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فحوّل لإعادة النظر والتوسيع حتى يكون إطارا للعمل وتحليلا شاملا ليضم المعطيات الجديدة عن التطورات الأخيرة في المنطقة العربية بعد السبعينات وهو في شكله النهائي محصّلة عمل وبحث (18) متخصصا في مجالات التأليف والاستقراء والتحليل والإحصاء والتعليق من مركز البحوث، وقد ركزت الدراسة بحثها لـ 90 جمعية وجماعة إسلامية على: 1- اختبار الجذور التاريخية للانبعاث الإسلامي. 2- الأشكال التي تظهر به في إطار أزمة المجتمع الإسلامي المعاصر وتحديدا منها "الإسلام السيّاسي" ومضامينه الثورية ...

الإسلامي-كما يقول —جاء مفاجئا ومشؤوما بالنّسبة للغرب»[1] بهذه الصراحة والوضوح.

وبـــناء على ما تقدم فإنه لا بدّ من التّأكيد على أن اتّجاه تبيئة مصطلح الأصولية في وصف البعث الإسلامي الذي يعبّر عنه الخطاب الإسلامي طرحا ودعوة وتعليما ونشاطا ... هو اتّجاه نشـــاز بكل المقاييس في الاستعمال العربي وفي المحيط العربي الإسلامي حيث تلفّه ظلال كثيفة لا يمكن تبريرها بحسن النية ولا بعدم القصد ولا بالغفلة لخطورة مرامي ذلك الاتّجاه كما صرّح به صـــاحب الدراسة نفسه في علاقة الإسلام بالغرب وخاصة في ظروف الأمة والوطن الإسلامي الرّاهنة ثم معبّة استدراج تبنّي طروحات الغرب في فصولها المتلاحقة ونتائجها المحصّنة في مستقبل علاقة المسلم بدينه ومستقبل الإسلام نفسه وهذا ما سوضّحه فيما يلي.

جـــاء في موســـوعة العلـــوم الاجتماعية أن مصطلح الأصولية «في بيئته الأصلية فرقة من البروتستانت تؤمن بالعصمة الحرفية لكلّ كلمة في (الكتاب المقدس) ويدّعي أفرادها التّلقي المباشر عن الله ويعادون العقل والتّفكير العلمي ويميلون إلى استخدام القوّة والعنف لفرض هذه المعتقدات الفاسدة»[2].

فالأصولية كلمة تحمل آفاقًا فكرية ونفسية متعددة الملامح وتتعدى الحدود الشّكلية اللّغوية وهـــي من نوع الكلمات التي تطلق عليها الباحثة "زينب عبد العزيز" "الكلمات المصيرية"-معلّلة ذلـــك بأن هذه الكلمات «تقوم ببلورة المعطيات الرّمزية وتؤدي إلى استشفاف المعطيات التّقنية الكامنة في مصائر الأفراد والشّعوب وتحدّد مستقبلها ومصائرها»[3].

وإذا كـــان قـــد جـــرى العرف على أن الكلمات تعرف بمعناها أو بمضمونها، فإن هناك كلمات لا يمكن إدراك حقيقتها إلا بمعرفة جذورها والمناخ الذي نشأت فيه والأحداث الأساسية الـــتي واكبت نشأتها خاصة إذا كانت هذه الكلمات ذات خلفيات وأبعاد دينية أو سياسية يراد طمس معالمها الأصلية لاستخدامها في أغراض معينة مثلما هو الحال بالنسبة لكلمة الأصولية. وقد قامـــت الباحثة بدراسة قاموسية وموسوعية مسهبة امتدت على (217صفحة) لكلمة الأصولية وثنائـــياتها كالعصـــرية والحداثة، وكان الغرض منها سبر مصادرها وتاريخ ظهورها وما ارتبط

---

[1] -هرير ديكميجيان، المرجع السابق، ص 22.

[2]- James Ban, Encyclopedie of social sience, Religion Fundamentalism, current affairs bulletin, june, 1982, pp 24-30.

[3]-زينب عبد العزيز، هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، الحداثة والأصولية، القاهرة، دار الأنصار، 1996م ، ص9.

بأسباب انتشارها عبر قرون من الزمن وعبر حركة تأليف وترجمة وبحث ومناقشات وجدال عمّ أوروبا عامة وامتد إلى أمريكا وذلك في لغتها الفرنسية "Integrisme"ولغتها الإنجليزية " Fundamontalism" وعبر مصادر غربية بحته بداية من القواميس والموسوعات[1] وكتب المفكرين والتنويرين والحداثين الأوروبيين، نختار منها المؤشرات ذات الدّلالة الخاصّة في موضوع بحثنا وذلك فيما يلي:

-"Integriste" أصولي، أي تمامي (من تام) إشارة إلى الشخص الذي يريد إخضاع الدولة للكنيسة وأصبحت تعني ابتداء من منتصف القرن العشرين أنه الخصم للحداثة ومدافع عن البقاء على الأصول بتمامها وعلى العقيدة والتراث الكنسي الكاثوليكي بكامله. ثم أدخلت على المجال الإسلامي حوالي عام 1975م وتعلق الكاتبة قائلة: «لعل هذا النموذج البسيط لتطور معنى الكلمة يوضح كيف يتم التلاعب بالألفاظ، وما نود الإشارة إليه هنا إدخال العبارات على الإسلام»[2].

-"Integrisme" (أصولية) كلمة ترجع إلى عام 1913م وهي خاصة بالفكر الكاثوليكي المعاصر، وتشير إلى موقف الكاثوليك الذين يرفضون أي تطور للمسيحية

- وكانت جريدة "لوموند""Le Monde" أول من استخدمها "إشارة إلى صحوة الأصولية الإسلامية"؟*.."في عدد 6 ديسمبر 1978م"-تعلق الكاتبة-وعلامة التعجب-التي توردها موسوعة بعد هذا الاستشهاد لاشك لها معناها المندهش".

- واستخدمها الكاتب ج-زيجلر في كتابه "الاستيلاء على إفريقيا"(*) قائلا: «الشيخ البنا هو زعيم حركة أصولية دينية»[3]، وفي هذا إشارة واضحة إلى كيفية دخول المصطلح إلى المجال الإسلامي ومن طرف من أو لا، أما " الاستيلاء على إفريقيا" فالمقصود من الكتاب وصاحبه تنبيه الرأي العام الأوروبي أن الأصولية الإسلامية تستولي على قارة إفريقيا التي أعلن شعار يقضي

1-اعتمدت الكاتبة على سبيل المثال لا الحصر على المصادر الآتية: قاموس اللاهوت الكاثوليكي الصادر في 1962م، موسوعة لاروس الكبرى، ط. 1975م، موسوعة روبير لتاريخ اللغة الفرنسية 1992م، موسوعة universalis ، ط. 1975م، موسوعة بورداس الدينية الفلسفية، ط 1980م، القاموس التاريخي للبابوية، الأصولية الكاثوليكية، احتضار الكاثوليكية 1905م، le modernisme dans l'église Vatican II et l'évolution de l'église ، موسوعة الكاثوليكية الأمس اليوم وغدا الصادرة عام 1956م، (و التسطير مقصود من الباحثة).

2-زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص 69، (نقلا عن قاموس روبير لتاريخ اللغة الفرنسية).

3-المرجع نفسه، ص 70.

تصيرها عام 2000م مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

-"Integrisme" تعني «مذهبا يحاول الحفاظ بأي ثمن على الأصول وعلى الأجزاء التي يمكن أن ينظر إليها على أنها بالية من الدين، وهو مذهب ديني يشير إلى الانفصال الذي لا رجعة فيه القائم بين ما هو روحي وما هو دنيوي».

وبأنها طريقة معنية للإحساس بالكاثوليكية... إنها طريقة وموقف يحدّدان أسلوب ما للحفاظ على مواقع الكاثوليكية" -ولا تعليق لنا على عبارة "أسلوب ما"!...-[1].

أما "Fundamontalism" (أصولية) فكلمة اشتقت عام 1920م وتمثل تيار ديني يلتزم بالتفسير الحرفي للنصوص الإنجيلية أي يتمسك بالأساس-"Fondamontal"-وابتداء من 1980م استخدمت هذه العبارة إلى ديانات أخرى(*) وتعلق الكاتبة بأن «إدخالها على الإسلام مقصود ومستحدث».

-"Fundamontalism " تعني تيارا لاهوتيا محافظا أصله بروتستانتي نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الأولى[2].

وفي الفترة من عام 1895م إلى عام 1910م خبت حركة الأصوليين وإن ظلت حيوية في بعض التشيرية للبلدان غير المسيحية"(*)

وقد نشأ تيار الأصولية ومن ثم مصطلح الأصولية أساسا في الخطاب الأوروبي وعند بلوغ معركة وصراع الكنيسة ضد العلم والحداثة والتنوير إلى ذروتها الطاحنة. ومعلوم أن هذه الحرب قد انعقدت من بين الآباء والقساوسة والأساقفة والرهبان النبلاء والدارسين في الإكليروس من داخل الكنيسة نفسها أي من قلب الكنيسة وعلى أعتاب المذبح ناهيك عن تيار العصرية والتنوير والحداثة بأقطابه من المفكرين والعلماء والفلاسفة والنقاد من جهة وجماهير الناس في المجتمع الأوروبي عموما.

وبدأ الصراع بموجة التشكيك والنقد والاتهام وانتهت إلى الاكتشافات العلمية التي تثبت القاعدة الصلبة لتيار الحداثة في زلزال أركان الكنيسة ورجالها بشكل صارخ، صريح ومعلن .

---

[1]-ريب عبد الغزير، المرجع السابق، ص ص71-72، (نقلا عن قاموس روبير لتاريخ اللغة الفرنسية).

[2]-المرجع نفسه، ص ص70-71.

وقد بدأت الأحداث قبل وأثناء الثورة الفرنسية (1789م) لتتطور بعدها بسرعة في موقفها من ثروات الكنيسة وأملاكها وأنظمتها حيث تم إلغاء امتيازاتها في 1789/8/4م واقترح تأميم ثروات رجال الكنيسة والاستيلاء عليها كحل للأزمة الاقتصادية آنذاك فقد كان هؤلاء -من المفترض- مجرد مديرين لها وتم بعد ذلك وضع ممتلكات الكنيسة تحت تصرف الدولة في 11/12/ 1789م وتحول رجالها إلى موظفي دولة وما تلا ذلك من إلغاء الوجود الكنسي وإقامة دستور مدني وتم إجبار رجال الكنيسة على القسم بالولاء للدولة والملك وامتدت المعركة إلى خارج فرنسا كإيطاليا وبلجيكا وألمانيا وبريطانيا ...مما أدى إلى تصدع الكنيسة الكاثوليكية بشروخ تزايدت وتعمقت بعدها أكثر فأكثر.

وزاد المذهب الليبرالي تعميق التحرر من أية تبعية للمجتمع الديني وتحرير الإنسان من سلطة الله وشرعه وتنزيله (اللاهوتي الكنسي) وانتهى إلى ترك الحرية للإنسان (المسيحي) أن يكون مسيحيا كيفما شاء حتى وإن كف عن التدين"

وامتدت الأزمة بعد أن ساهمت فيها كل التيارات الفكرية المعاصرة في ذلك الوقت وكان كل قرن يطرح جديده وعناده وحقائقه ويزيد البنيان الكنسي شرخا يصعب رأبه..

وكان القرن 19 في مجمله قد قلب موازين بعض المعتقدات رأسا على عقب بعد أن تبور فيه علم النقد

- الحداثة بمناهجها المختلفة- وأطلق عليها علم الحقائق الجديدة في مواجهة الحقائق القديمة للمسيحية التقليدية، ولم يحدث أن اهتزت المسيحية كعقيدة قائمة على فرض الإيمان بعيدا عن المنطق مثلما اهتزت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

وقد تطور علم نقد الأناجيل[1] في كل أوروبا عبر القواميس والمؤتمرات والموسوعات والمؤلفات لكن تيار المواجهة الذي انتهجته الكنيسة لمنع الموجة قد انعكس عليها بالسلب فما إن

---

[1]- يعود الفضل في تطور علم نقد الأناجيل إلى الأب ريشارد سيمون (1638-1712م)، ويسمى حاليا: la critique de l'exégèse" وهو العلم الذي يهدف إلى تحديد صحتها وأصالتها ومصداقيتها بعيدا عن أية أساطير لاهوتية مسبقة ومن كتبه في الموضوع: "التاريخ النقدي للعهد القديم" التاريخ النقدي للعهد الجديد" وكشف فيها التناقضات والتحريف وعدم التوافق الزمني للأحداث الواردة فيها. أنظر:

Le comparatisme en Histoire des religions. (Actes du colloque international de Strasbourg 18-20 septembre 1996, sous la direction de François boespflug et François duman, les éditions du cerf, Paris, 1997, pp-47-52.

بلغ القرن العشرون عقده الثالث حتى كانت الكتب بالآلاف وخرج البحث من الإطار الكنسي ليتجه إلى مجالات أخرى كعلم الاجتماع وعلم الأخلاق والقانون والفن وعلم التاريخ وحتى إلى الحفريات والعلوم التجريبية..وكان هذا يعني بالنسبة للكنيسة أنه يتعين عليها أن تغير تراثها الكهنوتي "المنسوج" ليتأقلم مع الواقع المعاصر وذلك عن طريق التصويب وإن لم يكن التصويب كافيا فعن طريق التغيير الجذري أو التخلي عما هو متوارث»[1].

وأهم ما تقدم به علماء الحداثة لنقد ومواجهة التراث الكهنوتي الكنسي هو رفضهم للطابع الإلهي المنزل للإنجيل بعهديه وإدانتهم لمضمونه التاريخي بكل ما يتضمنه من فجوات وكل الأساطير الشعبية التي حاول رجال الكنيسة ملء هذه الفجوات بها و لم تصمد أمام الاكتشافات التي تمت في الشرق من حفائر ونصوص وبرديات تؤكد مصادر المسيحية كما هي عليه ونسيجها الأساس الذي تقوم عليه عبارة عن أصداء يسهل تحديد مصادرها التاريخية الحقيقية...لذلك أجمع العلماء على أن الإنجيل بعهديه عبارة عن مجموعة كتب إنسانية كتبها بشر على مر العصور وأنه لا بد من وضعها في إطارها التاريخي التي صيغت فيه ومن هنا فلا يمكن اعتبارها منزلة بأي حال من الأحوال»[2].

واهتم علماء التنوير بمحاربة التعتيم الكنسي متهمين رجال الكنيسة بالطغيان والاستبداد وبخداع الشعوب ليس فقط بفرض الاعتقاد في الأساطير التي ثبت عدم إلاهيتها ولا شرعيتها وإنما أيضا بفرض عدم انتقادها وخاصة فيما يتعلق بألوهية المسيح-ابن مريم- والبعث كما هو في الإنجيل وفكرة الخليقة كما توردها الأناجيل وفكرة الفداء (فداء المسيح لجميع البشر). وخاصة معصومية البابا من الخطأ لأنه كما تقول الكنيسة-عبر مؤتمراتها ومجمعها الرسولية...لأنه ممثل الله على الأرض! وبعدها كل الأسرار التي ينحصر علمها على قلة من رجال الكنيسة ولا يحق لأحد غيرهم الحديث فيها أو عنها أو الإطلاع عليها ناهيك عن انتقادها .

وأمام هذا الوضع الحرج الذي وجدت الكنيسة ورجالها أنفسهم فيه، حيث لم يعد ينطلي كذبها وهيلمانها وأسرارها على أي عقل وحيث لم تعد تفلح تدابير الحيلة والمراوغة والصمت، اختارت المواجهة والتي باشرتها بإجراءات متنوعة خاصة بعد أن

---

[1]- زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص 79.

[2]- المرجع نفسه، ص 51.

أ- بدأت عملية مراجعة واسعة للنصوص الإنجيلية لا من قبل البروستانت وحدهم وإنما من بين رجال الكهنوت الكاثوليكي أنفسهم مما يعني أن الأزمة مروعة والقلق شديد.

ب- بدأت حركة انسحاب جماعي وهجران للكنائس في صفوف رجال الدين وطلبة الاكليروس وذلك«حتى لا تزيد خيبة أمل الأتباع وحتى لا تتمادى فجيعة العلماء وحتى لا تزداد السخرية من العقيدة المسيحية»[1] كما جاء على لسان أحد الآباء.

أما إجراءات الإدانة فتنوعت وزادت قسوتها مع اتساع موجة النقد وتأكد صحة الاتهامات عبر التوسع المهول للموارد العلمية والتقنية الدامغة وتمادت وغت نحو القمع والتعذيب وحتى الإعدام.

أ- الإدانة عبر المؤتمرات وما يسمى بالخطب الرسولية التي يلقيها البابوات في مختلف المناسبات الكنسية فكانت منابر لقراءة القوائم بأسماء الكتّاب والكتابات التي يحرّم البابا قراءتها ومن ثم منع تداولها بمصادرتها وتنحية أصحابها من مناصبهم أو نفيهم أو القبض عليهم...

ب- إجراءات ما سمّي بمحاصرة عدم الطاعة داخل الكنائس بمنع المناقشات بين الميالين لتيار التحرّر وعدم إعطاء الفرصة لهم بها ولا بإقامة الحلقات إلا بإذن صريح من المسؤول الكنسي...والتحريم على الرهبان الانضمام إلى الأحزاب السياسية والوطنية والديمقراطية.

جـ- إنشاء ما عرف "بمحاكم التفتيش" منذ سنة 1559م وما عرف أيضا بلجنة "الأندكس" "Index"[2] لإدانة كل أعمال التنوير بوضعها في فهرس الكتب المحرّمة والتي يحرّم البابا على أتباعه الاطلاع عليها وقد بقي العمل بهذه القائمة تحت هذا الاسم حتى 1908م ليصبح "لجنة الكرسي الرسولي" ثم أعيد تغيير اسمها عام 1965م بلجنة "عقيدة الإيمان" وذلك تمويها لاسم محاكم التفتيش الذي ارتبط في أذهان الناس بأسوإ وسائل القمع والتعذيب وفي الأخير استبدلت السجان والأسماء في 1966م بفرض القسم على رجال الإكليروس بعدم المساس بهذه "المحرمات" والغريب أن الكنيسة تصر ولا تزال أن البابا معصوم من الخطأ لأنه ممثل الله على الأرض ولا ندري إلى متى بعد...!

---

(1) - زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص 78.

(2) - يعرّف "Index" بـ: سجل رسمي للكتب الممنوعة (المحرمة) على الكاثوليك، وقد تم وضعه في القرن الرابع عشر والذي لم تعد له السلطة قانونيا منذ ديسمبر 1965م انظر:

Dictionnaire encyclopedique pour la maitrise de la langue française, la culture classique et contemporaine, ed ; Larousse, 1998, p800.

د- ولم يكتف التيار السلطوي في الكنيسة بمجرد الإجراءات القمعية التقييدية، فقد تم إنشاء اللّجان التي أطلق عليها اسم "لجان التيقظ" السِّرية النشاط ويقول أحد الآباء في كتابه "الحداثة في الكنيسة" «أنه كانت تجري عمليات إعدام جماعية بين رجال الإكليروس... وإن استخدام هذا العقاب الرادع كان أكثر انتشارا في إيطاليا». وكانت نتيجة الحملة البابوية على موجة الانتقاد والاتهام وكشف الأسرار باستخدام كل الوسائل والأساليب أن أطلق الكثيرون عبارة "عهد الرعب" أو "عهد الرعب الأسود"[1] إشارة إلى انتشار عمليات الإعدام العشوائية بينما وصفها المعتدلون بأنها فترة ذات إجراءات متفرِّدة القسوة.

وبعد، فإن الاطلاع على تاريخ "الأصولية" المحمل بكل هذه الوقائع والحقائق من مضانّ، أهلها والمتعلقة بالدين الكنسي ورجاله وصراعه على مر القرون الماضية[*] ولا تزال كما هو مفهوم من الاقتباسات أعلاه في تمظهرات أخرى مع تغيير الوجهة والمواقع أي في الدول غير المسيحية يؤكدّ بأن الزجّ بهذا المصطلح في الخطاب العربي الإسلامي مستحدث ومقصود لكي يلبس عليه ما حدث في الجانب الآخر. مع أنه بكل الموضوعية والنزاهة والواقعية إسقاط في غير مكانه ولا علاقة للدين الإسلامي ولا للخطاب الإسلامي ولا للمسلمين به من قريب أو من بعيد.

إن القرآن الكريم لم ولن يتعرض للتحريف صدقا وتحقيقا لأن الله تعالى هو الذي تكفل بحفظه وأعلن ذلك في الآية التاسعة من سورة الحجر في قوله سبحانه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[2].

والإسلام لم يعرف أي معركة بين النص المنزَّل (القرآن الكريم) وبين التقدم العلمي، فالقرآن الكريم قائم على الربط بين الدين بكل أبعاده الروحية من عبادات وأخلاق وبين الأبعاد الدينية في مجالاتها من تنظيم وتشريع، وهو يدعو إلى العلم والتعلّم كما يدعو إلى العبادة والتقوى في وحدة متكاملة متماسكة لا انفصام لها وفيها ولا تناقض بين مختلف جوانبها الروحية والمادية بل لقد كرّم الله العلماء ووضعهم في مرتبة بعد الأنبياء[3] وبدأ التنزيل بـ (إقرأ باسم ربك

---

[1]-زينب عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 65-66.

[2]-الحجر، 9.

[3]-أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول. انظر: عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الطباعة المنيرية، دت، ج1، ص45.

الذي خلق، خلق الإنسان من علق)[1].

ولـــيس في القرآن الكريم أجزاء يمكن أن ينظر إليها على أنها بالية ويخاف أن تكتشف فيلجأ إلى الإعدام حفاظا على الأسرار؟!...

إن الـــذي يجـــب عدم غض النظر عنه أنه إذا كانت دواعي الغرب لإقحام هذا المصطلح "الأصـــولية" في الخطـــاب العربي الإسلامي والعمل على نشره وذيوعه حتى يجري على الصحف والألسنة وفي الأسماع، إذا كانت هذه الدواعي معروفة عداء الكفر أولا والجهل أخيرا فما دواعي من يستخدمه من "أهل الثقافة"[2] عندنا من العرب والمسلمين؟ وهل في هذا خدمة للعلم والحقيقة المجرّدة؟.

ب- شبهة الخلط بين الدين الإسلامي والخطاب الإسلامي:

ولم ينحصـــر الغموض والخلط في التركيز على البعد السياسي في الخطاب الإسلامي غربيا وعربـــيا فقـــط وإنما امتد إلى الخلط الواضح بين الخطاب الإسلامي وبين الدين الإسلامي، وهي الحلقـــة الـــتي أتمّ بها الغرب مشروعه حتى يضفي الأوصاف التي يلبسها الخطاب الإسلامي على الإسلام نفسه، فكما يصف الخطاب الإسلامي بالمتطرف والمتزمت وعدم العقلانية، والعنيف نجده يصف الدين الإسلامي بالإسلام المتطرف، والإسلام غير العقلاني...الخ، في مقابلات لغوية لا نجد لهـــا أي أساس من الموضوعية والعلمية، ويذهب لخلق الكثير من الإسلامات بدل الإسلام الواحد وذلك اعتمادا على التحليل الكهنوتي والعلماني فنسمع عن «إسلام رسمي، وإسلام محافظ، وإسلام أصولي، وإسلام تقليدي، وإسلام صوفي...»[3].

---

[1]-العلق، 1-2.

[2]-تجري الإشارة إليهم عادة في بعض الدراسات بالعلمانيين ووصفهم بعميان العصر أنظر: أحمد بن نعمان حضرا، حقيقة عميان العصر، نظرات في الاتجاه العلماني وموقفه من الإسلام، مجلة البيان، ع 96، دت، ص 40 .

ويشار إليهم أحيانا بالتقدميين العرب وهو والوصف الذي يشمل جماعة اليسار العربي والماركسيين والقوميين والناصريين، أنظر: الحركات الإسلامية في منظور الخطاب التقدمي العربي، تركي علي الربيعو، المرجع السابق، ص 181.

ويشار إليهم أحيانا بوصف الظلاميين العرب ويجمعهم منهج التعامل مع "نور الإسلام" كما تعامل "التنويريون الغربيون" مع ظلام العصور الوسطى، أنظر: عبد الحليم عويس، الظلاميون العرب، وقضية تزوير النص باسم التنوير، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد التاسع، ع33، 1423هـ/2002م، ص 14.

[3]-أنظر هرير ديكميجيان، المرجع السابق، ص ص 44-47.

ويعـــج الخطـــاب الغـــربي الحديث والمعاصر بالحديث عن الإسلام ذو الجنسيات المختلفة فيتحدث عن الإسلام الجزائري، والإسلام المصري، والإسلام الإيراني، وقد بنى الغرب أساس هذا التقسيم على العلاقة التحالفية والخضوع له، والاستجابة الكاملة لخطابه السياسي والفكري وهذا هو المعيار الحقيقي في تقسيم المسلمين إلى "معتدلين" و"متطرّفين".

وتســـتوي في الحكم الغربي على المسلمين الدول والأحزاب والحركات والمثقفون والكتاب ممن لا يتعاملون مع الغرب على أساس الاستجابة المطلقة لإرادته في التطرف أو الاعتدال.

يقـــول باحث يمني: «ليس عجيبا أن تظهر مصطلحات سياسية غربية، يحاول مروّجوها من خلالها افتعال الخلافات أكثر مما يحاولون إثبات شيء ما»[1].

وقد صاغ الغرب هذه المصطلحات وغيرها- ذات الصلة- وكلها اصطلاحات سياسية أو إعلامية يتداولها صناع القرار مثلما يتداولها الكتّاب والمفكّرون الغربيون، وتكفي مراجعة الخطاب الغـــربي (الفكـــري والسياسي والإعلامي) في العقدين الأخيرين من القرن المنصرم لنعرف حجم التعبـــئة السياســـية والفكرية التي قام بها الغرب لتحليل وتفسير ما سمّوه "بالإرهاب" وبالإسلام المتطرف حسب زعمهم.

وقـــد سبقت الإشارة إلى صفة العمل الجماعي الذي يقوم به الغرب على مستوى كل دولة أو عـــلى المستوى الدّولي. وسواء على مستوى الحكومات وصناع القرار (وزارات الخارجية) أو على مستوى التحليل والدّراسة الذي تقوم به مراكز البحث بل وحتى في الجهود الفردية التي يقوم هـــا الباحـــثون والكتاب حيث تصبُّ هذه الجهود في هدف واحد وهو كشف وتحليل وصياغة خطـــاب غربي واحد إزاء ظاهرة الإسلام، -كما يصفونها- حركات وأحزابا ودولا بل وأفكارا وأشخاصا...

ومـــن ثم فإنـــه لا يمكـــن أن نجد فهما عقلانيا للإسلام ولا لأشكال التعبير عنه (الخطاب الإســـلامي) حيث لا يختلف الفهم الفرنسي مثلا عن الفهم الإنجليزي عن الفهم الأمريكي، وإنما نجد فهما واحدا وعقلية واحدة في تصوّر الإسلام، فإذا كان الإعلام الغربي يصوّر الإنسان العربي بأنـــه إرهابي فإن الأمر قد تطوّر حديثا إلى تعديل بسيط وهو أنت مسلم فإذن أنت إرهابي «وهو

---

[1]-فؤاد جابر كاظم، المرجع السابق، ص 188.

تعديل بسيط لكنّه خطير تمّ التمهيد له بسلسلة من عمليات غسل الدماغ الغربي المتدرّجة»[1].

وقد تنبّه ونبّه عدد من الباحثين والكتاب في السّاحة العربية والإسلامية إلى خطورة هذا الخلط المتعمّد، بل وشيوع استعماله في الخطاب الإعلامي وعلى لسان بعض الكتاب العرب... حتى أن بعضهم جعل بداية تعريفه للخطاب الإسلامي مباشرة هو الإشارة إلى التفريق بين الخطاب الإسلامي والإسلام حيث يقول: «الخطاب الإسلامي ليس هو كلام الله وإنما هو اجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان، ومن ثم فهو كثير ومتعدّد، وتاريخ المسلمين هو تعبير عن هذه الكثرة»[2].

وينبّه كاتب آخر بقوله: بأن الخطاب الإسلامي هو كل قول نشأ حول الإسلام للتعريف به أو الذود عنه أو الدعوة إليه مضيفا: «بأن هذا التعريف يميز بين الخطاب الإسلامي وبين الإسلام كدين يعلو عن الظرفية التاريخية الزمانية أو المكانية ويخرج عن عبارة مثل "الخطاب القرآني" أو "الخطاب النبوي" مع الفهم لمن يستعملها في دلالتهما العربية الخاصة»[3].

كما ذهب عبد الصبور فاضل[*] إلى الفصل بين "الخطاب الإسلامي" وبين "خطاب الإسلام" وبين "خطاب الإسلاميين" ويقول: «إن المقصود بالخطاب الإسلامي ليس هو خطاب الإسلام" ممثلا في نصوص الوحي من القرآن والسنة وإنما هو "خطاب الإسلاميين" في التعبير عن الرّسالة التي يوجهونها إلى الآخرين في شأن من الشؤون».

لكن عبد الصبور فاضل يثير إشكالا آخر في فهمه "لخطاب الإسلاميين" وهو قوله: «والإسلاميون أفرادا وجماعات من المسلمين يتميزون عن غيرهم بقراءة خاصة للإسلام ربما تختلف عن قراءة غيرهم من سائر المسلمين من وجهة نظرهم»[4].

---

(1)-فؤاد جابر كاظم، المرجع السابق، ص 181.

(2)-عبد الوهاب المسيري، إشكاليات الخطاب الإسلامي، موقع Islam-online ، دعوة ودعاة.

(3)-جمعة المغربي، إبراهيم عبد الله، حول الخطاب الإسلامي، (ندوة اسكندنافية الثانية عشر التي عقدت حول الخطاب الإسلامي في كوبنهاقن في ماي 1996)، الرائد، ع 181 س 1996، ص 54.

(*)-باحث تونسي.

(4)- عبد الصبور فاضل، الخطاب الإسلامي في ظل العولمة، مجلة الوعي الإسلامي، ع 389، محرم 1119هـ/1998م، ص 19.

وبـــنى الباحث على ذلك «أن هذا المفهوم ينطوي على فصل واضح بين الدين والدّولة أو بـــين الحياة والدين ومن شأنه أن يخلق أنواعا شتى من الإسلاميين كل له رؤيته وفلسفته ومنهجه تجاه الأصول العامة التي أرساها الإسلام، والتي يجب الأخذ بأصولها والاجتهاد في فروعها وهو ما ابتليـــت بـــه الأمة الإسلامية في فترات انحسار قوتها، فأركان الإسلام وما يتصل بها من غيبيات ليســـت هي موضع خلاف أو اجتهاد أما الفرعيات فقد أعطى الإسلام رخصة الاجتهاد للعقل ممـــثلة في إعمال العقل بالبحث والنظر والاستدلال للوصول إلى الحقيقة والغاية النبيلة المجرّدة من كل هوى بما ينفع الناس في دنياهم وأخراهم»[1].

من الواضح أن الخطأ الذي وقع فيه الباحث لا يكمن في عدم سلامة المقدمات التي توصل لا محالة إلى عدم سلامة النتائج، وإنما في عدم تحديد المعاني في مجال تداولها العلمي الإسلامي وأهمية ذلـــك في ملاحظـــة صـــيرورة الغمـــوض والخلط الذي يكتنف العدد غير القليل من الأبحاث والدّراسات ونتابع ذلك في مثالنا فيما يلي:

أ- إن الإسلاميين أفرادا وجماعات يتميزون بقراءة خاصة للإسلام.

ب- قراءة البعض تختلف عن قراءة غيرهم من سائر المسلمين.

جـــ- أنواع شتى من الإسلاميين كل له رؤيته وفلسفته ومنهجه تجاه الأصول العامة التي أرساها الإسلام والتي يجب الأخذ بأصولها والاجتهاد في فروعها!!

د- هذا المفهوم ينطوي على فصل واضح بين الدين والدّولة...

إن مـــن يسميهم الباحث في نصه "بالإسلاميين" هم –في العادة- العلماء وفقهاء الدين في التعبير الإسلامي، وهم بوصف آخر أهل الاختصاص الذين توكل إليهم دون غيرهم بحكم الفقه والعـــلم والتخصّـــص في العلـــوم الشـــرعية، مهمّـــة الاجـــتهاد في القضايا التي تهم المسلمين، والاجتهاد[*] مرتبة علمية لا يبلغها الجميع ومن ثم فلا يجوز للجميع ولذلك فلا يمكن الحديث عن المجتهد إلا بعد فهم واستيعاب معنى المجتهد وشروط الاجتهاد الذي هو محور كتب أصول الفقه.

---

[1]-عبد الصبور فاضل، المرجع السابق، ص 20.

[*]- الاجتهاد: لغة هو الجهد والمشقة والطاقة والاجتهاد في اصطلاح الأصوليين هو: بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط، أنظر: بدر الدين بن بهادر بن عبد الله الشافعي الزركشي، البحر المحيط، تحقيق جماعي، دار الكتب، 1994م، ج2، ص 197.

يقـــول "الغزالي" –رحمه الله– المجتهد وله شرطان: أحدهما أن يكون محيطا بمدارك الشرع متمكنا من استثارة الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره، والشرط الثاني أن يكـــون عدلا مجتنبا للمعاصي القادحة في العدالة وهذا يشترط لجواز الاعتماد على فتواه فمن ليس عدلا فلا تقبل فتواه[1].

فاخـــتلاف المجـــتهدين هو اختلاف في تمييز الراجح من المرجوح والقوي من الضعيف من الأدلـــة المســـتثمر مـــنها... وهـــو ما عبّر الكاتب عنها محقا بـــ "إعمال العقل بالبحث والنظر والاستدلال للوصول إلى الغاية النبيلة المجرّدة من كل هوى بما ينفع الناس في دنياهم وأخراهم[2].

وبعـــد الإقـــرار بأنه لا اجتهاد مع النّص والذي يقوم به الاتفاق، فإن الاختلاف في نتائج القضايا الجديدة والحوادث المستجدّة وما يسمى "بفقه النوازل"، فهو إقرار بأن ما يسميّه الباحث بـــــ "خطـــاب الإســـلاميين" هو اجتهادهم داخل الزمان والمكان، فهو من حيث العلاقة بين المخاطـــب (بكسر الطاء) والمخاطَب (بفتحها) علاقة تواصل وتفاعل في مكان وزمان محدّد ومن هـــنا عدم قابلية الخطاب للتكرار لأنه بهذا المعنى فهو ينتمي إلى التاريخ و"بالتالي «فهو إذن حدث تـــاريخي يمكـــن أن يـــراجع ولكنه يستحيل أن يتكرّر»[3] وهو ما يميّز "الخطاب الإسلامي" عن الإسلام كدين يعلو عن الظرفية التاريخية الزمانية والمكانية.

ومـــن جهـــة أخرى فإن اختلاف المجتهدين الذين يسميهم الباحث بـــ "الإسلاميين" هو اختلاف تنوع بتنوّع بيئات المجتمعات الإسلامية، ورفع للحرج عن المسلمين ثم هو مرتبط بتنوع القضـــايا موضـــوع الاجتهاد فحتى لو جاء خطاب ما متواصلا مع الخطاب السّابق عنه فإنه لن يكـــون تكـــرار له بل سيأتي –على الأقل– إعادة إنتاج لهذا الخطاب ولكن بحساسية مختلفة هي حساســـية الـــزمن والمســـتجدات التي تقف وراء الشعور بأن الخطاب الجديد لم يعد قادرا على الاســـتجابة للمعطـــيات المستجدّة فيتحتم –حالئذ– أن يصار إلى إعادة إنتاجه أو تأهيله بعناصر

- فيه كلفة وجهد "وصار اللفظ في عرف العلماء مخصوصا ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة أنظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول: ، دار الفكر، دط، م2، ص 350.

[1]- المرجع نفسه، ص نفسها.

[2]- عبد الصبور فاضل، المرجع السابق، ص 20.

[3]- جمعة المغربي، إبراهيم عبد الله، مجلة الرائد، المرجع السابق، ص 52.

الاستجابة لتلك المستجدات»[1].

والحقيقة أننا لا ندري كيف فهم الكاتب منه الفصل بين الدين والدّولة الذي أشار إليه مع أنه أقرّ بأن القصد من الاختلاف إنما هو في الفروع موضوع الاجتهاد وليس في الأصول التي لا اجتهاد فيها.

فخطاب "غير الإسلاميين" الذين أشار إليهم الباحث وهو «الخطاب الذي يقول به أفراد وجماعات لا تحب أن تنتسب إلى جماعات الإسلاميين ويتوّزع طيف هؤلاء بدءا بمن يدعّي أنه أولى بالإسلام من الإسلاميين ومرورا بمن لا يعي معنى الانتساب إلى الإسلام، وهو انتهاءً عند من ينكر شأن الدين جملة في القضايا العامة»[2].

ونخلص إلى أنه من الواضح أن المجتمع الإسلامي تتوزعه كل الأصناف التي ذكرها الباحث بداية بمن يدّعي أنه أولى بالإسلام من الإسلاميين وانتهاءً عند من ينكر شأن الدين في الحياة العامة، لكن لا يمكن بحال وصف هؤلاء بالمجتهدين أو وصفهم تحت أي وصع قريب من هذا الوصف، ناهيك عمن وضعهم الكاتب بغير الإسلاميين أصلا... وإنما فقط تصدق الصفة على الإسلاميين الذين توفرت فيهم شروط الاجتهاد المحدّدة أصوليا. ومعلوم أن ما ابتليت به الأمة الإسلامية في فترات انحسار قوتها هو التجرؤ على القول في الإسلام بغير علم فكانت الدعوة من ثم إلى غلق باب الاجتهاد من الأساس حفاظا على الدين من أن يلصق به أو فيه ما ليس منه سواء ممن هم دون مستوى الاجتهاد أو ممن يناصبون الإسلام العداء بقصد أو بغفلة أو بجهل أو ممن يحسبون على الإسلام ممن ارتدوا عنه حقيقة وبقوا ينتسبون إليه ظاهرا.

ونظرا للأهمية القصوى لهذه المسألة تجدر الإشارة إلى أن وثيقة إعلان المبادئ التي التقى عليها عدد من المفكرين الإسلاميين، وصاغها الكاتب والقانوني أحمد كمال أبو المجد في ديسمبر 1981م وتبناها مركز دراسات المستقبل الإسلامي في ندوته التي انعقدت في الجزائر في صائفة 1991م. قد ركزت على هذه القضية ونبهّت إلى ضرورة التمييز بين حكم الله تعالى وتشريع المسلمين وجاء في البند الرابع للوثيقة ما يلي: "إن من الضروري أن يستقر في فهم الداعين إلى الإسلام وتطبيقه على المجتمعات المعاصرة التمييز بين حكم الله وتشريع المسلمين، فحكم الله هو

---

[1]- محمد حسن الأمين، المرجع السابق، ص 24.

[2]- عبد الصبور فاضل، المرجع السابق، ص 19.

أمـــره ســـبحانه المتعلّق بأفعال عباده والثابت في النص القرآني أو الحديث النبوي أمّا تطبيق هذا الحكـــم على الوقائع الحادثة فهو حكم المسلمين أو تشريع المسلمين، وهو تشريع تتعدد فيه الآراء والاجتهادات..

وأضاف: «بأن التيار الإسلامي أو الداعين إلى تطبيق الإسلام على أساس هذا الفهم ليسوا مـــتحدّثين باسم الإسلام، ولا هم أوصياء على الناس باسمه، إذ ليس للإسلام متحدثون رسميون، وليس في تصوره للإنسان وحريته ومسؤوليته ما يسمح بفرض وصاية على أحد وإنما هم أصحاب فكـــر يعرضونه على الناس وسلوك يعيشون به بينهم، وسبيلهم إلى نشر هذا الفكر، وإشاعة هذا الســـلوك هـــو الحوار المتكافئ مع ممثلي التيارات الفكرية والاجتماعية، حوار بالتي هي أحسن لا تضيق معه العقول عن فكرة ولا تضيق معه الصدور عن أحد من أصحابها»[1].

وفي قـــراءة للفقه السيّاسي الإسلامي يزيد الدكتور حسن الترابي المسألة توضيحا فيقول: «والفقه –كما هو معلوم– ومهما كانت أصول الإسلام ثابتة أزلية صالحة لكل زمان ومكان، إنما هـــو كسب المسلمين في فهم تلك الأصول الموحاة وتطبيقها على كل واقع بعينه. والفقه من ثم يحكمـــه القصور البشري لواضعيه والحد الظرفي لموضعه، فلا يخلد ولا يصلح بتفاصيله لكل مجتمع خالف من بعده...»[2].

فمســـألة عدم الخلط بين الدين الإسلامي دين الله، وبين الخطاب الإسلامي فهم المسلمين وتطبيقهم لأحكامه في الزمان والمكان قد بُتّ فيها منذ البداية لكن البعض يعود إليها ليس لزيادة الجديد وتأكيد التنبيه وإنما بغرض البلبلة والفتنة الفكرية وغالبا بسبب الجهل والغفلة وكان الأجدر العودة إلى مضان الأمر عند أهل الاختصاص وكتب الاختصاص بدلا من إثارتها بصيغ يبدو منها الطرح الغربي والهدف الغربي في موضوع لا إشكال فيه البتة إسلاميا.

جـــ– الخطاب الإسلامي والخطاب الديني:

يقسّـــم الباحث التونسي "كمال عمران" أشكال الخطاب إلى أربعة أشكال يجعل الخطاب

---

[1]–حماعي، قضايا المستقبل الإسلامي، كتاب غير دوري، يصدره مركز دراسات المستقبل الإسلامي تحت إدارة محمد الهاشمي الحامدي، دار المستقبل، بئر خادم، الجزائر، 3 محرم 1413هـ/ تموز 1992م، ص– ص. 47-48.

[2]–حسن الترابي، قراءة أصولية في الفقه السياسي الإسلامي، (ملف بحوث ودراسات)، مجلة التجديد، س2، ع3، فبراير 1998م/ شوال 1418هـ، ص 79.

الديني شكلا منها وهي على التوالي «الخطاب العلمي، الخطاب الفلسفي، الخطاب الإيديولوجي، والخطاب الديني»[1].

ويهمنا من بين هذه الأشكال الخطاب الديني الذي يموقعه الباحث ضمن الحقل الإسلامي، ويقسمه بدوره إلى:

أ- الخطاب الديني السماوي المحض

ب- الخطاب القداسي.

جـ الخطاب الديني الإسلامي (البلاغ الإسلامي)

يجتهد الكاتب في تحت حدود كل مصطلح من هذه المصطلحات التي وضعها تحت عنوان واحد تشير إليه –الخطاب الديني، فالخطاب القداسي كما يقول: "ليس هو خطاب ديني سماوي محض بل هو منه. والخطاب الديني الإسلامي لا ينأى عن كل أشكال الخطاب الأخرى – المذكورة أعلاه- فهو متصل بها بل وتتجذّر بعض مكوّناته فيها، ويضيف: «وتحليل الخطاب الديني الإسلامي يكون ضمن الخطاب الديني السّماوي وبين الخطاب القداسي»[2].

الخطاب القداسي:

أما الخطاب القداسي عند الكاتب فلا يراد به القرآن الكريم والسنة في المعرفة الإسلامية بل هو «الإنتاج البشري المتعامل معهما، وهو غير محنّط بل يمكن بلورته حتى ضمن الخروج عن الميتافيزيقا إلى الواقع البشري»[3] لأن معنى القدسية فيه في الواقع محدود بإضفاء الطابع القداسي على تأويلات بشرية.

ويعتقد الكاتب بضرورة أن ترقى الدراسات الإسلامية إلى مستوى الأعمال المخبرية حتى يمكن الوقوف على جوانب الخطاب الإسلامي.

الخطاب الديني الإسلامي:

يضع الكاتب هذه التسمية على سبيل التجوز ويرى أنه من الأنسب الاستعاضة عنها بـ

---

[1]-كمال عمران، المرجع السابق، ص ص. 66-69.

[2]-المرجع نفسه، ص 70.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"البلاغ الإسلامي" لأن الخطاب الديني الإسلامي غير موجود في نظر الكاتب فهو غائب أو مفقود ولذلك يبقى مشروعا يجري البحث عن إيجاده مستقبلا.

ويكمن سبب انتفاء وجوده في ما "يحف الخطاب" من عناصر ومكوّنات لم تتوفّر على الوجه الواضح في المدوّنة الإسلامية التقليدية الراهنة". وفي غياب هذا الخطاب يجتهد الكاتب في وضع الأرضية العلمية للبحث عنه وذلك بالتركيز على البحث على عنصرين هامين في إيجاده وهما: المرجع والمخيال ثم الصلة بينهما.

فأما البحث عن المرجع فيبرّره الكاتب بعلاقته بالواقع من حيث البنية الاجتماعية ولأن الواقع الإسلامي اليوم تتعدد فيه المجتمعات الإسلامية وتتركز خاصة في العالم الثالث.

وأما المخيال فلأنه هو «جماع التصوّرات والمفاهيم الذهنية والرمزية كما تتحدّد في مرحلة من المراحل»[1] من جهة ولأنه وليد البنية الذهنية من جهة أخرى ولذلك فإنه الأداة أو الآلية التي تبلور المنظومة الذهنية أو الفكرية بصفة أعمّ. ويتأكدّ المخيال بوصفه مصدرا للمعرفة وصورة للتفكير.

والمحصّلة في أن البحث عن الخطاب الإسلامي أو عن "البلاغ الإسلامي" الذي يفضل الكاتب تسميته بذلك كبديل عنه هو إحالة على المخيال كما نشأ وترعرع في ظل الحياة الاجتماعية التقليدية، ولأنه انتقل إلى صورة أخرى مختلفة في الحياة المعاصرة فيكون هذا نافذة إلى الوعي بما تغيّر.

ويمكن قراءة الفروق بين الخطاب القداسي من جهة والخطاب الديني الإسلامي من جهة أخرى في الشكل التوضيحي التالي:

---

[1]-كمال عمران، المرجع السابق، ص70.

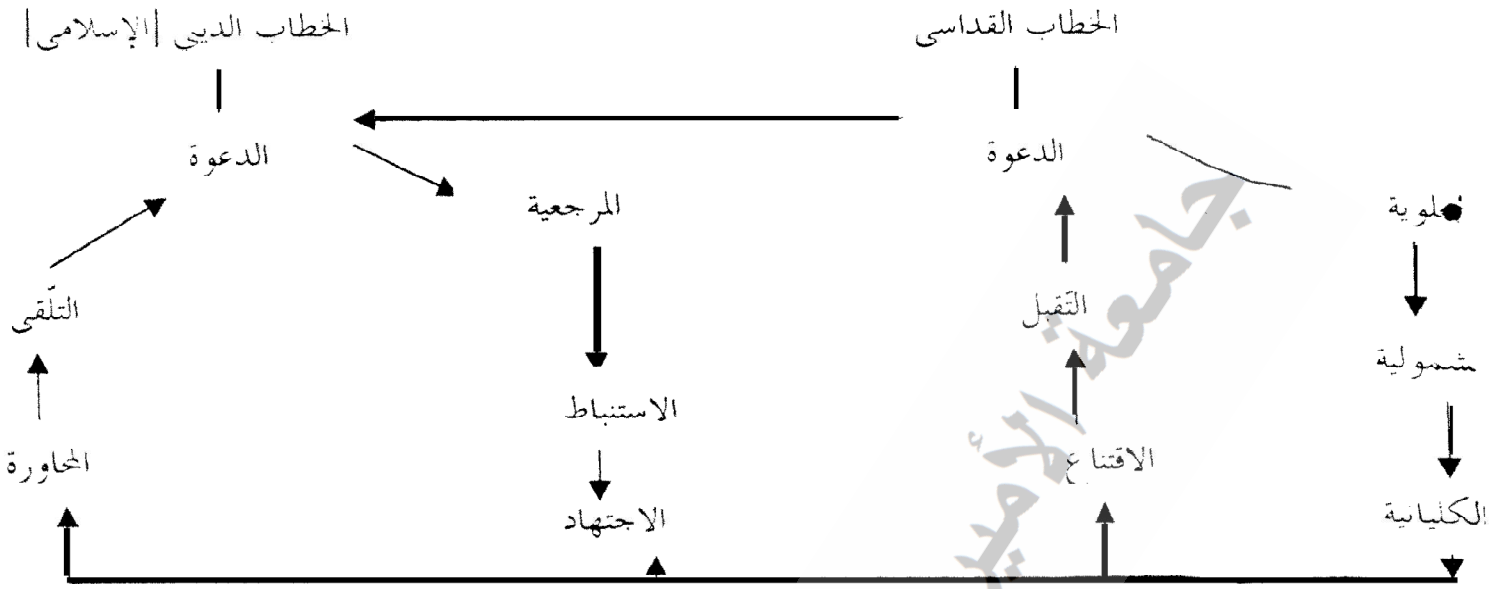

الشكل رقم (1): الفرق بين الخطاب القداسي والخطاب الديني الإسلامي عند "كمال عمران"

الخطاب القداسي	الخطاب الديني (الإسلامي)
1- الخطاب القداسي هو وليد ما أضفي عليه من قدسية، والدعوة فيه تنهض على العلوية باعتبار التسليم المطلق والهروب عن الاضطلاع بالمسؤولية كما سطّرها الوحي	1- الخطاب الإسلامي هو إنتاج للمعرفة متواصل والدعوة هي نواته إذ هو مؤسّس على بث الرسالة وعلى التبليغ لكنها لا تنهض على علوية فالمسألة تعود إلى فهم وضعية الإنسان فوق الأرض من حيث أنه مكلّف بدور الانطلاق من الوحي للاضطلاع بأعباء الآدمية
2- الإنسان يكتفي بالتسليم والتطبيق فهو مجرد منفذ وطاعته عمياء وتقبله ساذج	2- الإنسان مشارك في بلورة الوجود وطاعته ناضجة وتلقيه واع.
3- يبنى الفكر على التمجيد المتغني بالشمول والاقتناع	3- الفكر جهد مضني وتعامل مطّرد بين النص الديني والواقع المتغيّر، وإعمال للعقل في الاستنباط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- كليانية تزعم امتلاك الحقيقة المطلقة.	4- مقبل على المحاورة ومجتهد في طلب الحقيقة
5- هو خطاب سكوني، ثبوتي، مشدود إلى الخطابة وإلى البلاغ	5- ظاهرة علمية تحط الرحال في عملية التواصل وتفترض المغايرة في طلب الحقيقة وفي المسالك المفضية إليها.

جدول رقم (1): بين الخطاب القداسي والخطاب الديني الإسلامي

والبحث عن الخطاب الإسلامي –المشروع المستقبلي- هو حتمية فرضتها الأزمة التي نجمت عن الارتياح للقديم الذي طغى على العنصر الثقافي في الواقع العربي الإسلامي، ومن ثم فالعملية تكمن في العدول عن الخطاب المشدود إلى الخطابة وإلى البلاغ إلى الخطاب بوصفه ظاهرة علمية وفي الانتقال من الخطاب السكوني والثبوتي إلى الخطاب المتحرّك المتجدّد، وعن الخطاب القداسي وما أضفِيَ عليه من قداسَة إلى الخطاب الإسلامي الذي هو إنتاج للمعرفة متواصل.

لقد تموضَع الكاتب في مرحلة مخصوصة من مراحل التاريخ الإسلامي والتفكير الإسلامي ومن ثم من الخطاب الإسلامي المعبّر عنه، وهذه المرحلة هي مرحلة عصر النهضة الحديثة في البلاد العربية والإسلامية والتي يصفها «بأنها أخطر مرحلة على الإطلاق»[1] ولذلك ورغم إفراغه الوسع في التشخيص لم يكد يراوح المقابلة بين ماضٍ وحاضر انطلاقا من نقطة تموضعه الوحيدة التي اختارها المؤشر والمحطّة والزمن في الوقت نفسه.

ولعلنا برصدنا لبعض معطيات تلك المقابلة نعلل استعصاء الاعتراف بخطاب إسلامي راهن والتأكيد على غيابه وانعدامه وتكرار الإلحاح على وجوده في عالم المستقبل بل أن عملية البحث عنه هي عمل مستقبلي إلا إذا سلمنا أن الخطاب الإسلامي الذي ينشده الكاتب هو الخطاب النّد للخطاب الآخر أو ربما الخطاب الغالب وهذا لا يدخل في الإفراط في تمجيد الذات أو المثالية وإنما فحسب اعتمادا على موضوعية ميزان المثبِّطات والعوائق وتراكماتها مع مرور الزّمن وغياب الحلول وضبابية الأهداف وتفرق الجهود ورغم اختلاف المصطلحات في اجتهاد الكتاب حول مصطلح "الخطاب الإسلامي" فإنه يمكن بسهولة ملاحظة توافق الطرح مع اختلاف زوايا التوجس

[1]- كمال عمران، المرجع السابق، ص 70.

المحمّله أكثر بظلال ذات مرجعية غربية، "فالخطاب القداسي" عند كمال عمران" الذي جمع تحته الحقل الإسلامي والحقل غير الإسلامي، هو نفسه "خطاب الإسلاميين" عند عبد الصبور فاضل أو بالأحرى اجتهادات الإسلاميين في الزمان والمكان الذي هو بهذا التحدد غير محنّط –بتعبير الكاتب– لكن إضفاء الطابع القداسي هو الذي جعله لا ينزل إلى واقع الناس ويحور مرتبة بين الناس والتعامل مع خطاب الإسلام الذي يتمثل في القرآن الكريم والسنة الصحيحة أي هو الخطاب الديني السّماوي المحض.

ولم يشر أي من الباحثين أن ما سماه الأول بخطاب الإسلاميين وسمّاه الثاني بالخطاب القداسي في الحقل الإسلامي إنما يقصدون منه في اللغة والثقافة الإسلامية بالإجماع وهو التعبير الأصيل لهذا الوصف.

المطلب الثالث: تأصيل مفهوم الخطاب الإسلامي

يأتي الإجماع في تقسيم الأصوليين لأنواع الخطاب الشرعي ترتيبا بعد خطاب الله تعالى ثم خطاب الرسول –صلعم– ثم الإجماع الذي يسمونه بخطاب الأمة.

أ–**خطاب الله تعالى**: وهو أكبر من يخاض فيه لأنه قضية أجمعت الأمة كافة على التسليم به حتى المعاندين في فجر المبعث وأيقنوا أنه ما من عربي يخطئه أن يميز بين هذا القرآن وقول البشر لسبب رئيسي هو عجزهم عن الإتيان بمثله رغم التحدي.

وقد وصفه الرسول ﷺ: «*إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوّج فيقوّم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد*»[1].

فالقرآن الكريم كما يقول إدريس حمادي: «على المستوى النفسي والمعرفي: حبل الله والنور المبين، والشفاء النافع لا يعوّج فيقوّم، ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه إذ التقادم لا يفعل فيه كما يفعل فيما ينتجه الفكر البشري». و«على المستوى الآني والمآلي: فهو عصمة لمن تمسك به، ونجاة لم تبعه، ولا غرابة في ذلك فهو وحي أوحاه الله تعالى إلى محمد ﷺ ليكون دالا على

---

[1]– أخرجه الترميذي عن علي كرم الله وجهه. انظر: الإمام الحافظ بن عربي المالكي، صحيح الترمذي، عرضه الأحوزي بشرح صحيح البخاري، أبواب فضائل القرآن الكريم، دار العلم للملايين، دت، ج11، ص30.

نبوّته وهداية للبشرية. والحديث يغري بالالتحام بكتاب الله ليتخذ أنيسا وسميرا لمن يريد أن تتطهّر نفسه ويستقيم فكره فيفوز بالسعادة دنيا وآخرة»[1].

ونقرأ تعريف الشاطبي (ت 790) لكتاب الله: «إن الكتاب قد تقرّر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملّة وينبوع الحكمة وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه لأنه معلوم من دين الأمة. وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الإطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها واللّحاق بأهلها أن يتخذه سميره وأنيسه وأن يجعله جليسه على مرّ الأيام واللّيالي نظرا وعملا لا اقتصارا على أحدهما...»[2].

وقد اعتمد علماء الشريعة في إثبات مصداقية هذا الخطاب وحجيته على ركنين قويين هما ثبوته تواترا إلى النبي ﷺ حفظا وكتابة وثبوت صدوره عن الله جلت قدرته بطريق الإعجاز.

ب- خطاب الرسول ﷺ

قال الشاطبي: "كل ما أخبر به الرسول ﷺ من خبر هو كما أخبر به وهو حق وصدق معتمد عليه فيما أخبر به عنه سواء علينا انبنى عليه في التكليف حكم أم لا. كما أنه إذا شرع حكما أو أمرا أو نهيا فهو كما قال عليه -الصلاة والسلام- فذلك معتبر محتج به ويبنى عليه في الاعتقادات والأعمال جميعا لأنه ﷺ مؤيد بالعصمة (وما ينطق عن الهوى)[3] وحتى ولو صدر منه اجتهاد "فاجتهاده معصوم من الخطأ بلا خلاف لأنه إما أنه لا يخطئ البتة أو لا يقر على خطأ إن فرض"[4].

جـ- خطاب الأمة:

وهو ما يدعي في الاصطلاح الأصولي بالإجماع الذي وعرّفوه «باتفاق الفقهاء المجتهدين في عصر على حكم». وخطاب الأمة بهذا ملزم للجميع «وحجة يجب العمل بها على المجتهد وغير

---

[1]- إدريس حمادي، المرجع السابق، ص 32.

[2]- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة: (إبراهيم بن موسى اللّخمي الغرناطي المالكي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ -2003م، م2، ج 3-4، ص 257.

[3]- النجم 03.

[4]- المرجع نفسه، م2، ج3-4، ص 60.

المجتهد»[1] ولا يعتبر هذا إضفاء للقداسة على هذا الخطاب وإنما شهادة للخطاب بالتزكية والإلزام لتوفّره على ما لا يتوفر عليه رأي الفرد أو اجتهاده من شروط تستلزم حجيته. وتوفر في الإجماع شرطان هما:

أ- أن العقل فيه يعمل جماعيا، والعقل الجماعي يستطيع اكتناه ما لا يستطيعه العقل الفردي، إن على مستوى الذاكرة أو على مستوى الاستقراء والاستنتاج فضلا عن الاطلاع الواسع على الاجتهادات الفقهية، والسوابق القضائية في مختلف العصور، زيادة على المعرفة بالواقع بجميع أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية... الذي هو محط أنظار الشريعة الإسلامية التي ما جاءت إلا لتقويمه وإصلاحه، فالشريعة ليست مجرد قواعد نظرية تعمل في فراغ»[2]، وبتخلف هذا الشرط يصبح اجتهاد الفرد غير ملزم للجماعة لأنه غير مشهود له بالتزكية والإلزام من الله تعالى في مثل قوله ﴿... وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ..﴾[3] ولا من الرسول ﷺ في مثل قوله: (لا تجتمع أمتي على خطأ)[4] وهو ما يمنع هذا الاحتهاد من بلوغ درجة الخطاب بسبب غياب الأهواء والذاتية عن الجماعة وشبهة عدم غيابها من احتهاد الفرد.

ب- أن العقل الجماعي يعمل في ظل الشريعة الإسلامية، وهو ما يكفل له بالترشد والابتعاد عن الأهواء وبانطلاقه من أصول قرّرها الشارع الحكيم، أو من قاعدة جلب المصالح وحفظها ودرء المفاسد وإزالتها التي تشهد لها نصوص لا حصر لها يكون العقل فيها إنما ينظر من وراء الشرع. لا من وراء ما يستهدفه من أغراض خاصة ضيقة.

«... فالمجتهدون إذا لم يهتدوا بهدى الشريعة فإن ما ينتجونه بعقولهم لا يعد اجتهادا فضلا عن أن يعدَّ خطابا "لأن الإجماع ليس أصلا مستقلا بذاته لأنه لو كان كذلك فإنه يقتضي إثبات شرع زائد بعد النبي ﷺ إذا كان لا يرجع إلى أصل من الأصول المشروعة»[5].

والتجانس الذي يحققه العمل في ظل هدي الشريعة يكون هو الخيط الرابط الذي يوحّد بين

---

(1)-محمد فتحي الدريني، المناهج الأصولية، الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1997م، ص 635.

(2)-المرجع نفسه، ص 636.

(3) – النساء، 115.

(4)-أخرجه ابن ماجة في أبواب الفتن وباب لزوم الجماعة، انظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترمذي باختصار المسند، إشراف: زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، ج2، 1988م، ص232.

(5)- محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1988م، ج1، ص282.

عقـــول المجـــتمعين، كما يجعل أقوالهم جميعا تستند إلى ما عرفوه من محمد ﷺ وسمعوه منه. كما يجعـــل عقلـــية الجماعة ترتفع إلى مستوى يعلو على مستوى عقلية أي فرد منهم. وهذا ينشأ من اشتراك الجميع في موضوعات جديدة تتصف بالرقي. «وينشأ كذلك من حرص كل فرد على أن يـــبرز عـــلى الآخرين في هذا الميدان وهذا يؤدي إلى تنشيط لا تؤدي إليه الحالات الانفرادية». وبفضـــل هذين الشرطين يصبح الإجماع خطابا قائما بذاته تستنبط منه الأحكام كما تستنبط من الكـــتاب والسنة، ويصبح في إسناده إلى النص مثل علم أفاد من علوم شتى ساعة تكوينه حتى إذا أداها استوى قائما بذاته أخذت العلوم الأخرى تفيد منه كعلم أصول الفقه —مثلا—[1] .

وتكمـــن علاقة خطاب الأمة بالخطاب الإسلامي في استمرارية شريعة الله تعالى في الأرض لتحقـــيق خلافة الإنسان فيها، والإنسان المسلم دون غيره تحديدا لإيمانه بها ولعدم خروجه عنها- جماعـــة- اجتهادا وخطابا، فإذا كانت هذه الشريعة خطابا للأمة إن على مستوى الخطاب نفسه تكلـــيفا أمرا ونهيا...، أو على مستوى الاستثمار فليس هناك من بسّن من الأحكام ويكشف عن الدلائـــل الخفية المرشدة لها لضبط الوقائع المتجدّدة في الحياة الإنسانية إلا علماء هذه الأمة إذ هم ورثـــة الأنبياء في العلم «فعلى يدهم جماعة يمكن أن يستمر الخطاب انطلاقا من مقاصده، وعلى يدهم فرادى يمكن أن يستمر الخطاب انطلاقا من ألفاظه أو معانيه»[2].

وإذا كان خطاب الرسول ﷺ في جوهره ليس إلا امتداد لخطاب الله تعالى بطريق «تفصيل مجملـــه، وبيان مشكله، وبسط مختصرة»[3] فإن الإجماع في جوهره ليس إلا امتداد للخطابين معا، خطاب الله تعالى، وخطاب الرسول ﷺ بالمنهج نفسه الذي سلكه الرسول ﷺ في بيان ما أنزل إليه مـــن ربّه لأنه كما يقول أبو حامد الغزالي «إذا كان المتفق عليه أن لا حكم إلا لله وأنه لا حكم للرســـول ولا للسيد على العبد ولا لمخلوق على مخلوق بل كل ذلك حكم الله تعالى ووضعه، لا حكـــم لغيره»[4]، ثم قوله: «قول الرسول ﷺ ليس بحكم ولا ملزمٍ، بل هو مخبر عن الله تعالى أنه حكـــم بكـــذا وكذا، فالحكم لله تعالى وحده»[5] فإنه يلزم بداهة على هذا الاتفاق أن الخطابين

---

[1]-إدريس حمادي، المرجع السابق، ص42.

[2]-المرجع نفسه، ص 44.

[3]- أبو إسحاق الشاطبي، المرجع السابق، م2، ج3-4، ص 258.

[4]- أبو حامد الغزالي، المرجع السابق، م1، ج1، ص 108.

[5]- المصدر نفسه، ج1، ص 110.

راجعان إلى خطاب الله تعالى.

وبناء على ما تقدم فإن خطابات الأمة لا تفضي في سيرها التصاعدي إلى القطيعة بين أنواع الخطاب خاصة إذا علمنا أن هذه الخطابات تصدر عن أشخاص يشترط في كل فرد منهم من جملة ما يشترط «العلم بأقوال أهل العلم قديما وحديثا وبما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه»[1] بل إن المجتهد لا يعد مجتهدا إلا إذا استطاع أن «يرد سائر أقوال المجتهدين ومقلديهم في سائر الأدوار إلى الكتاب والسنة ولا يصير عنده جهل بمترع قول واحد منها لو عرض عليه»[2].

وتعبّر الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3] على تماسك أنواع الخطابات واستمراريتها.

يقول الإمام الرازي عن الشهادة في الآية الكريمة والتي خص بها الله تعالى الأمة الإسلامية على غيرها لأنها تقتضي أنه تعالى جعل كل واحد من المسلمين عند اجتماعه مع غيره بهذه الصفة، وعندنا أنهم في كل ما اجتمعوا عليه فإن كلّ واحد منهم يكون عدلا في ذلك بل إذا اختلفوا فعند ذلك قد يفعلون القبيح"[4] أما الشهادة في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5] فهي إما أن تكون «عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم" وحينها يكون مفهومها واحدا في حق الله تعالى وفي حق الملائكة وفي حق أولي العلم، وإما أن تكون عبارة عن الإظهار والبيان» ومفهوم الإظهار والبيان هو مفهوم واحد في حق الله تعالى وفي حق الرسل وفي حق أولي العلم فظهر أن مفهوم الشهادة واحد على هذين الوجهين»[6].

وإذا كانت شهادة الرسول ﷺ في الدنيا هي التبليغ والبيان فإن شهادة الأمة التي هي امتداد لشهادة الرسول ﷺ لا تخرج عن هذين النوعين من الإشهاد ومن أجل عموم في النوعين لم يصرّح

---

(1)- محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ص 509.

(2)- أحمد علي الشعراني، الميزان الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط2، ج1، ص 37.

(3)- البقرة، 143.

(4)- أبو الفضل محمد بن الحسين بن علي التميمي البكري التميمي الطهرسي فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ط 1414هـ-1993م، ج4، ص 99.

(5)- آل عمران، 18.

(6)- فخر الدين الرازي، المصدر السابق، ج7، ص204.

الله بما وقع به الإشهاد وبذلك يكون معنى الآية أن كلّ عصرٍ شهيد على من بعده، فقول الصحابة حجة وشاهد على التابعين، وقول التابعين حجة وشاهد على من بعدهم وإذا جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم»[1].

ومن الأصوليين من يعطي لفكرة الإجماع أو لخطاب الأمة بعدا غير هذا ويتمثل في ما أطلقوا عليه تحقيق المناط أي تحديد المصالح الدنيوية في القضايا الشائكة التي لا يستطيع رأي الفرد الواحد أن يحسم فيها ويستشهد هؤلاء بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2] حيث يرون أن إعادة كلمة "أطيعوا" تدل على تغاير الطاعتين كأن تجعل الأولى طاعة ما نزل الله، هي القرآن الكريم، والثانية طاعة الرسول ﷺ فيما يأمر به اجتهاده.

ويرى هؤلاء أن عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الرسول ﷺ من غير تكرير العامل (أطيعوا) يدل على أنهما من جنس واحد. وأن طاعة أولي الأمر في اجتهادهم تحل محل طاعة الرسول ﷺ في اجتهاده، بعد وفاته. وأن هذه الطاعة ملزمة للأمة كافة لا لعصمة ولي الأمر، فإن العصمة في الاجتهاد غير ثابتة للأنبياء بدليل عتاب الله تعالى لهم في كتابه «فكيف يكون مختلفهم من أولي الأمر من المزية ما ليس لهم» ولكن لأن المصلحة لا تتحقق إلا بذلك[3].

وأما المجال الذي يجتهد فيه أولو الأمر فيقصره العلماء على القضايا الدنيوية التي ترتبط بمسائل السِّلم والحرب والتجارة والإدارة والسياسة الداخلية والخارجية، واستدلوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[4].

يقول صاحب المنار «إذا علمت أن اجتهاد أولي الأمر هو الأصل الثالث من أصول الشريعة الإسلامية فاعلم أن اجتهادهم خاص في المختار عندنا بالمعاملات القضائية والسياسية والمدنية دون العبادات والأحكام الشخصية إذا لم ترفع إلى القضاء، وإنه ينبغي أن يبنى على قاعدة جلب المصالح وحفظها ودرء المفاسد وإزالتها»[5].

---

[1]- القرطبي، المصدر السابق، ج2، ص 156.

[2]- النساء، 59.

[3]- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، ط3، 1367هـ، ج5، ص ص 220-221.

[4]- النساء، 83.

[5]- المصدر نفسه، ج5، ص 211.

ويقول أيضا: «أن المراد بالأمر، أمر الأمة الدنيوي...لا أمر الدين المحض الذي مداره على الوحي دون الرأي. إذ لو كانت المسائل الدينية كالعقائد والعبادات والحلال والحرام مما يقرر بالمشاورة لكان الدين من صنع البشر، وإنما هو وضع إلاهي ليس لأحد فيه رأي لا في عهد النبي ﷺ ولا بعده»[1].

فمثل مسائل الأمن و الخوف و الأموال والإدارة والسياسة الداخلية والخارجية...هي التي يكون لأراء أولي الأمر فيها مجال على امتداد المكان والزمان. و لم يضع الشارع الحكيم لها ضوابط معينة لأن مثلها يأبى الرضوخ للضوابط القارة المعينة، لأنها تختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية في الزمان والمكان...»[2].

وقد نزلت آيات الشورى في القرآن الكريم لتؤكد على مجالات الشورى والاجتهاد الجماعي والتي تدخل فيما يتجدد عبر الزمان والمكان حسب أحوال الأمة، ولتنوه بمكانة الشورى بين المسلمين كما في قوله تعالى ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾[3].

ودلّت مواقف الرسول ﷺ على استشارته لصحابته وخاصة منهم أهل الرأي والمكانة والراسخون في العلم حيث كان يستشيرهم في أمور الأمة كلها إلا ما يتنزل عليه فيها الوحي ببيانه فينفذه حتما.

ودلّت الآثار على اقتفاء الخلفاء الراشدين لهديه ﷺ في استشارة أهل العلم من الصحابة والقضاء بما اجتمع عليه رأيهم في القضية موضوع الشورى وهكذا الجيل بعد الجيل.

والخلاصة هي أنه إذا كانت طاعة الله تعالى هي العمل بما تضمنّه كتابه الكريم من النصوص التي لا تحتمل الرأي، وكانت طاعة الرسول ﷺ هي العمل بما تضمّنته أقواله التشريعية العامة الموثوق نسبتها إليه، فان أولي الأمر هم العلماء وأهل النظر الذين يعرفون في الأمة بكمال الاختصاص في بحث الشؤون وإدراك المصالح والغيرة عليها، وتكون طاعتهم هي بالأخذ بما يتفقون عليه في «المسألة ذات النظر والاجتهاد أو يترجح فيها عن طريق الأغلبية أو قوة البرهان»[4].

---

[1]- محمد رشيد رضا، المصدر السابق، ج4، ص200.

[2]- المصدر نفسه، ج4، ص201.

[3] - الشورى، 38.

[4]- أحمد زكي تفاحة، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م، ص 462.

فالخطـــاب الإســـلامي هو التأسيس المتجدّد «للمهمة الإسلامية العظمى وهي تجديد دنيا المسلمين بالإحياء لفكر الإسلام في مختلف ميادين الحياة حتى يعود لهذه الأمة مكانها الطبيعي الذي أراده الله لهـــا، مكان صدارة الدنيا وإمامة العالم والشهود الحضاري على الناس أجمعين»[1] تحقيقا لقولـــه تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق، ص6.

[2] - البقرة، 143.

الفصل الثاني:

الخطاب الإسلامي، النشأة والمسيرة والتطور

المبحث الأول: مقاربات في نشأة الخطاب الإسلامي.

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي الحديث بين مسألتي التخلف والنهضة

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي المعاصر من التحرر الفكري والثقافي إلى التعبئة السياسية للأمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعرض هذا الفصل إلى نشأة الخطاب الإسلامي ومسيرة تطوره وذلك عبر تقديم مقاربات إسلامية وأخرى غربية والرد عليها، ثم يتناول مسألة وعي الخطاب الإسلامي بقضية التخلف واجتهاداته في إحداث النهضة في الوطن الإسلامي، كما يبحث هذا الفصل كيف تحول الخطاب الإسلامي من الانشغال بالتحرير الفكري والثقافي للأمة الإسلامية إلى استدعائها وتعبئتها سياسيا.

المبحث الأول: مقاربات في نشأة الخطاب الإسلامي.

تميل الكثير من الدراسات التي تناولت الحركة الإسلامية في تحديدها لنشأة الخطاب الإسلامي إلى مرحلة الاستعمار العالمي التي اجتاحت الوطن الإسلامي والتي خضع له فيها كل أقطاره في زمن طال أو قصر ولا يزال بعضها إلى اليوم. وقد أشارت بعض الدراسات بوضوح إلى أنها تقصد الخطاب الإسلامي المعاصر فيم لم يُشر البعض الآخر إلى هذا البعد الهام في الحديث عن المنطلقات والأسس والعوامل... وهو ما يفسّر تركيزها على الجانب السّياسي فقط من الخطاب الإسلامي واستغراقها فيه وحصرها عليه وبصمها بالتالي بأحادية زاوية التحليل وعدم وضوح الرؤيا أو تحاملها في خلفياتها ومرجعيتها.

وتنطلق بعض الدراسات في المقابل من وعيها للخطاب الإسلامي على أنه اجتهادات المسلمين في الزمان والمكان بما يشمل الاجتهاد من معنى، ويشمل بعدي الزمان والمكان من مجالات ومراحل وبيئات وشعوب وانشغالات وتحديات...الخ، والتي يوضع الاهتمام السياسي فيها كعنصر من جملة العناصر في مكانه ودرجته من الأهمية دون أن يطغى أو يغطي على العناصر الأخرى داخل النظام وينسجم معها في إطار معطيات المرحلة. فإذا كانت قراءة هذه المعطيات في مرحلة السبعينيات العربية- وأواسط السبعينيات من القرن المنصرم تحديدا —وما بعدها سياسية بامتياز فهل يصدق ذلك على كل المراحل، وعلى المراحل والبيئات الماضية! وماذا عن البداية؟ هذا ما نحاول بحثه فيما يلي.

المطلب الأول: قراءات إسلامية

أولا: قانون النشأة والمسيرة والتطوّر:

في ورقة تقويمه لفكر التيار الإسلامي المعاصر يتحدث "محمد عمارة"عن التطوّر المنهجي والطبيعي لحياة هذا التيار ويرجعه إلى القانون الذي يحكم الظواهر الفكرية ومساراتها —كما يقول: «وهو قانون النشأة والمسيرة والتطوّر، رغم الاختلاف بين الظواهر في التفاصيل والجزئيات والملابسات والنجاحات والإخفاقات... والذي تستوي فيه تيارات الفكر الإنساني والرّسالات التي أوحاها الله سبحانه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام»[1].

[1]- قدّم هذا البحث في ندوة وزارة المعارف الكويتية عن مستجدّات الفكر الإسلامي والمستقبل التي انعقدت بالكويت في-

ويحـــدّد "عمارة" معالم ذلك القانون بالعقل والجسم والقوى الضاربة ثم يطبق هذا القانون على التيار الإسلامي؛ فالوحي الذي يصفه بدليل العمل، وبجيل الصحابة الذي يصنعه الرسول ﷺ على عينه يتكوّن العقل الذي يجسّد الوحي أو يجسد دليل العمل واقعا وسلوكا وتبشيرا، وبالبلاغ والبـــيان تتســـع دائرة المؤمنين والأتباع ليصبح للعقل جسم تتفاوت مراتب أعضائه ودرجاتها في التجســـيد والتعبير عن حقائق ومقاصد ذلك البلاغ وأخيرًا في مواجهة التحديات التي تجابه العقل والجســـد –كـــيان الرســـالة وأمـــتها– تتخلّق قواها الضاربة وهي الدّولة والجيش المجاهد لهذه التحديات[1].

وقـــد كـــان لتشـــعب التحديات التي واجهت العقل والجسد في مسيرة التيار الإسلامي بـــين الخلـــل الداخـــلي والأخطـــار الخارجـــية الشرسة في كثير من الأحيان محطات مستمرة للمراجعة ودعوات للتجديد والإصلاح والاجتهاد والتي كانت دائمة ودائبة في محاولاتها إيقاظ الأمة وتجديد حضارتها.

وبـــناءا على هذا الطرح يقسّم "عمارة" –تطوّر حياة الخطاب الإسلامي إلى محطات حاسمة قبل الوصول إلى طوره الراهن وذلك كما يلي:

أ– من مرحلة الفتوحات إلى الدّولة المملوكية:

وتمـــيزت هـــذه المرحلة بسرعة اتساع الفتوحات الإسلامية وتعدد الأقوام والأجناس التي اعتنقت الإسلام والتي كانت أسرع من «الفرصة اللّازمة لتنمية القدرات الضرورية لتنمية الوحدة في هـــذه الأقـــوام والأجـــناس»[2]. مما مهّد الخميرة الصالحة لبذور الخلل الداخلي الذي تمثل في دعوات الشعوبية والزندقة واستقلال الأطراف عن مركز الخلافة مضافا إليها التحديات الخارجية البيزنطـــية والصليبية والتترية مما دعا إلى عسكرة الدّولة لمواجهة زيادة وحدّة كل تلك التحديات، لكـــن العســـكرة وهي تحمي الوجود الإسلامي فإنها سجّلت «بداية التراجع في ميادين حضارة

-فيفري 1992م، وتضمنها كتاب المستقبل الإسلامي، المرجع السابق ص ص 80-91، للاستفاضة حول الموضوع انظر بحثه ضمن كتاب الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي، جماعي، تحرير وتقديم، عبد الله فهد النفيسي، مكتبة مدبولي، القاهرة ط1، 1989م، وانظر أيضا مقدمة كتابه: معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م.

[1]- محمد عمارة، نحو إعادة صياغة الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 81.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الإسلام»[1].

ب- مرحلة الغزوة الاستعمارية الحديثة وما بعدها:

والتي بدأت بعد سقوط الأندلس بسقوط آخر معاقل الإسلام فيها غرناطة في 1492م بالالتفاف حول الوطن الإسلامي واقتطاع الأقاليم من أطرافه وبوشرت المرحلة بحملة "نابليون بونابارت" على مصر في 1798م-1801م.

وتضيف هذه الغزوة المسلّحة بفكر النهضة الأوروبية مع قوة الثورة الصناعية إلى تحدّي التخلّف الموروث في الوطن الإسلامي تحديا جديدا هو هيمنة التغريب حيث تعم بلوى احتلال الغرب للأراضي الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1917م) وتسقط الخلافة العثمانية 1924م وما أعقبها من ظهور -نخبة التغريب- من أبناء الأمة داخل الوطن الإسلامي والتي قامت أحزاب منها ترى في تقليد الغرب واستلهام كامل نموذجه الحضاري السّبيل الوحيد إلى التحرّر السّياسي من استعماره العسكري.

ما ميّز التيار الإسلامي في إحيائه على يد جمال الدين الأفغاني (ت 1838م) هو فكرة الجامعة الإسلامية الذي تبلور حوله، لكن عودة الخطاب الإسلامي كانت في حركة صفوة وخطاب نخبة وعلماء وقادة فحسب وهو ما أوجب استدعاء الأمة للدخول في ميدان المواجهة حين هددّت هويتها وعلى يد بعض من أبنائها أنفسهم، وتسجل هذه المرحلة ظهور التنظيمات الإسلامية المتواصلة التي كانت أوعية تنظيمية لمواجهة التحديات المختلفة لتتجاوز حدود الصفوة إلى نطاق الجمهور في الوطن الإسلامي وقد تعددّت الحركات الإسلامية بتعدّد الأوطان الإسلامية وبرزت القسمات المحلّية واكتسبت الممارسات الإسلامية الخبرة والحيوية في مجالات نشاطاتها ممّا لم يكن متاحا للتيار الإسلامي في مرحلة الصّفوة. وعن طريق التنظيمات الجماهيرية يسجّل انضمام الجسم الإسلامي إلى العقل الإسلامي من جهة ويسجّل في الوقت نفسه تخلق أنياب وأظافر لهذا الجسم حين تعرضت بعض شرائحها إلى قسوة المحنة وبشاعة الامتحان، واتخذت شكلين أولهما سماه «بفصيل الغضب والرّفض والاحتجاج»[2] والذي ميزته كتابات سيد قطب

---

[1]-محمد عمارة، نحو إعادة صياغة الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 82.

[2]- المرجع نفسه، ص 81.

(1906-1966م)[1]، خاصة، وقد انتهج طريقة اعتزال الواقع والعمل على تغييره بالعنف المسلّح ويجمع بين طروحاته الحكم على المجتمعات الإسلامية ونظمها وحكوماتها بالجاهلية والكفر.

والشكل الثاني وهو الفصيل الذي لم يلجأ إلى العنف وسماه "فصيل التقييد"[2] الذي ظل متميزا تاريخيا عن تيار الجامعة الإسلامية وهو الذي ارتبط تصاعد رفضه أو هبوطه بمقدار ما واجهت بيئاته من تغريب أو تجديد.

فعمر الخطاب الإسلامي -إذاً- يمتد إلى فترة الوحي وهي فترة تكوّن العقل الإسلامي على هدى القرآن الكريم والسنة النبوية، تأتي فترة يتقهقر فيها العقل الإسلامي حتى يكاد يخبو لأسباب داخلية وخارجية لينهض أو يبعث من جديد على يد صفوة ونخبة ثم ينتشر في الجسم الإسلامي عبر جماهير الأمة ليعم الساحة الإسلامية ويغدو أبرز ظواهر العصر الفكري الذي يحسب حسابها كل دارس أو مخطط للفكر والواقع في أرض الإسلام.

ولا يبتعد حديث ندوة اسكندنافيا -الثانية عشر- حول الخطاب الإسلامي عما ذهب إليه "عمارة" في مرحلة تكون العقل الإسلامي كطور من أطوار حياة الفكر وبالتالي الخطاب

---

[1]- تعد كتابات سيد قطب وخاصة منها: "المستقبل لهذا الدين"، و"هذا الدين" و"معالم في الطريق" أهم الأطر المرجعية والمصدرية لكثير من الجماعات الإسلامية التي نشأت بعد وفاته خاصة مثل جماعة الجهاد، والجماعة التي استهوت اسمها "الهجرة والتكفير"، ويمثل كتابه "معالم في الطريق" خاصة رؤية نوعية للمجتمع والعلاقات القائمة في إطاره، ونفيه لجاهليته ووسائل ذلك، ويمكن تحديد أهم أفكار الكتاب فيما يلي:

أ- أن أساس النظام الاجتماعي (المصري) يعيش وضعية الجاهلية التي تتمثل في الاعتداء على سلطان الله في الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية وهي الحاكمية.

ب- أن الجاهلية المعاصرة (جاهلية القرن العشرين) تقوم على ادعاء حق وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع بمعزل عن المنهج الإلاهي.

جـ- نشأت نتيجة هذه الجاهلية جاهلية أخرى هي جاهلية التصورات والعقائد والتقاليد والثقافة والفنون والآداب والشرائع والقوانين...

د- الحل في نظر -صاحب المعالم- صاغه في سؤال كيف يتم البعث؟ يطرح من خلاله: على الصعيد الحركي والتنظيمي مفهوم العزلة في فترة الحضانة حتى يتحاشى التأثر بجاهلية المجتمع وترجع إلى الجيل القرآني الفريد.

هـ- يطرح الكتاب طرق تغيير الواقع من جذوره.

ويُذكر أن كتاب المعالم قد ألفه صاحبه في السجن الذي كان له أثرًا في طرحه تشخيصا وحلاً. انظر سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1983م.

[2]- محمد عمارة، نحو إعادة صياغة معالم الفكر الإسلامي، المرجع السابق، ص 84.

الإسلامي وطور نشأته تحديدا، في أنه من المستحيل الحديث عن الخطاب الإسلامي دون الحديث عن الأساسين المتينين اللّذين نشأ عليهما وهما –الكتاب والسنة– أو في معزل عنهما، فعلى القرآن الكريم والسنة النبوية توحّد المسلمون واجتمع شملهم واستطاعوا في زمن قياسي أن يوصلوا الإسلام إلى كثير من مناطق العالم، وبالوحي بشقيه الإلاهي والنبوي صيغت «شخصية المسلم فأصبح يرى العالم من خلال المعجم القرآني والدلالات النبوية التي ربّاه الرّسول ﷺ عليها»[1] وعلى أساسي القرآن والسّنة قامت أضخم عملية لتدوين الخطاب الإسلامي في العصر الذي سمّي بعصر التدوين حفاظا على الشخصية الإسلامية من الضياع.

ويقول باحث آخر بأن الخطاب القرآني هو الذي كان وراء تحول المجتمع العربي من مجتمع جاهلي إلى مجتمع متحضر قاد الإنسانية ردحا من الزمن في طريق الخير والأمن والسلام لما تتميز به «الكلمة القرآنية من شمولية وواقعية وتكامل فاستطاع العقل الذي دُعي لأول مرة ليقوم بدوره كاملا أن يرتبها وينظمها ويوظّفها التوظيف الإيجابي»[2] فكان الإنسان المسلم النموذج الذي جعله الله شاهدا على بقية الخلق ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

ونشأ الخطاب الإسلامي تدوينا وكتابة عندما خشي المسلمون التأثير السّيء للمنازعات التي دبت بين المسلمين لاختلافهم في فهم الإسلام مذاهب شتى وتشبث كل طائفة بفهم معيّن للوحي، من جهة ومن جهة أخرى حفاظا على الإسلام من أن تختلط به موروثات الأعاجم الذين اعتنقوه من فرس وروم وغيرهم والذين حرص بعضهم على التقريب بين موروثهم وبين معاني الدين الجديد الذي اعتنقوه، وقد لخص "فهمي هويدي" ذلك بـ«ذهاب عصر الصحابة وتدهور حال الأمة الإسلامية وتكاثر الأعاجم، فضعفت اللغة وضعف معها التوجه إلى مقاصد الشريعة...» [4].

وانبرى المسلمون ليحيطوا هذا الدين بسياج من المعارف والعلوم تحفظه من غلو الغالين

---

[1]- جمعة المغربي، إبراهيم عبد الله، حول الخطاب الإسلامي، مجلة الرائد، ع 181، المرجع السابق، ص 55.

[2]- محمد الصالح بن عمر عزيز، أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة الوعي الإسلامي، ع 321 جمادى الأولى 1413 هـ/نوفمبر 1992م، ص 82.

[3]- البقرة 143.

[4]- فهمي هويدي، القرآن والسلطان، هموم إسلامية معاصرة، دار الشرق، بيروت 1981م، ص 53-54.

ومن انتحال المفسدين فنشأ الخطاب الإسلامي بألوانه المختلفة خطابا شرعيا نقليا مستمدا من الكتاب والسنة عبر أصناف من العلوم يحصيها ابن خلدون في مقدمته المشهورة ابتداء من علم التفسير وعلم القراءات وعلوم الحديث وعلم الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام وانتهاءا عند الإشارة إلى العلوم اللسانية التي يحصي منها: علم اللغة وعلم النحو وعلم الأدب وهي العلوم التي دأب المسلمون على تسميتها بعلوم الآلة والتي بدونها لا يمكن معرفة الأصول الإسلامية فضلا عن الكشف عن أسرارها. وأصبحت هذه المعارف قابلة للتعليم كما أصبحت المساجد بحلقات العلم فيها بمثابة الجامعات في تخريج العلماء في جميع أنواع المعارف لتتأكد أصالة الخطاب الإسلامي في كونه خطابا إنسانيا حول الشرع يهدف إلى الحفاظ عليه وتحصينه والذود عنه.

جـ- اتصال محاولات الإصلاح والتجديد في التاريخ الإسلامي:

نلمس حقيقة مهمة حاملي الخطاب الإسلامي المتجددة من جهة واتصال محاولات الإصلاح والتجديد في التاريخ الإسلامي من جهة أخرى من تبشير الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة باستمرار ظهور القائمين بالحق والمدافعين عنه أو بعبارة أخرى استمرار ظهور العلماء والمجددين أو الدعاة في كل عصر وفي كل جيل وسيظل إلى يوم القيامة مثل حديث الرسول ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها»[1].

وحديثه ﷺ «مثل أمتي مثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله»[2].

فمهمة العلماء والمجددين وتعاونهم العلمي في كل عصر هي القيام بعملية عرض الإسلام ومحاسنه وتعليماته بأسلوب يقوي إيمان أبناء عصورهم من جديد بالإسلام وحقائقه الثابتة وعقائده الأبدية ويبني في نفوسهم الثقة بفضلها وحاجة البشرية والمدنية إليها.

كما تنبئ الأحاديث بأن الفرصة التي أكرمت بها الأمة الإسلامية للعمل في هذه الدنيا سوف لا تخلو لمحة من لمحاتها كلها من القائمين بالحق والمدافعين عنه والمجاهدين في سبيله. واستقراء التاريخ الإسلامي يشهد حقيقة أنه لم يخل عصر من العصور الإسلامية من أولئك العلماء الراسخين في العلم «لمتذوقين للشريعة الإسلامية المطّلعين إطلاعا دقيقا على عقلية

---

[1]-أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، البخاري، عبد الله بن محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الطباعة المنيرية، دت، ج1، ص46-47.

[2]-أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، ص91.

الأحيال الجديدة والاتجاهات والملابسات التي تعيشها، والذين راقبوا هذا العرض الجديد العصري للإسلام مراقبة أمينة حتى لا يواكبه انحراف عن الصراط المستقيم وعدول عن الجادة التي وضع عليها سيدنا محمد ﷺ هذه الأمة وحتى لا يختلف هذا الذوق الديني والفهم الديني والفقه الديني»[1].

وظلت عملية العرض الجديد للإسلام تتم عبر التاريخ الإسلامي بطريقة حكيمة لم تحدث بين الجيل المسلم المعاصر وبين العقائد والحقائق والقيم والمثل الإسلامية تلك الفجوة العميقة الواسعة التي وقعت في تاريخ اليهودية والمسيحية وقد فسر ذلك "حسن الترابي" بقوله: «إن المسلمين قد جرت عليهم أقدار الله الاجتماعية بنحو من الظواهر في تاريخ علل التدين النصرانية فلم يسلموا من تلك الأمراض في تدينهم لكن الله لطف بهم فيما نزل منها إذ عصمهم بأصول دينية محفوظة للنص كثيفة الأحكام ألا يغلوا في الانحراف، فعقيدة التوحيد البينة في القرآن الكريم وشمول التعاليم الإسلامية لكل شؤون الحياة ووضوح النموذج التاريخي للحياة التي سنها الرسول ﷺ داعيا ومجاهدا وحاكما كل ذلك ما كان ليتيح مجالا كبيرا لاستشراء علل اللادينية السياسية على النحو الذي حدث في تاريخ أوروبا، لكن عوامل الابتلاء عرضت المسلمين لشيء من هذه العلل»[2].

ثانيا: قانون الدَّورة الحضارية: النهضة، الأوج والأفول

ويلتقي تحليل "محمد عمارة" بتحليل "مالك بن نبي" (1905-1973م) قبله ليس بمنطوق قانون النشأة والمسيرة والتطور وإنما بقانون الدورة الحضارية النهضة والأوج والأفول التي تتمثل في المراحل الثلاث لأي حضارة أو لأي ناتج حضاري والمتكوّن عادة من الإنسان والتراب والزمن.

وقد اعتمد "بن نبي" على نتائج عالم سبقه هو عبد الرحمان "ابن خلدون" الذي كان قد توصل إلى اكتشاف قانون الدورة التاريخية أي اكتشاف منطق التاريخ في مجرى أحداثه والذي يعود لـ "ابن خلدون" ليس السبق في اكتشافه فقط ولكن أيضا في صياغة المنهج الذي يقوم عليه، وكان ذلك قبل علماء أوروبا بقرون والذين لم يبدؤوا محاولاتهم في هذا المجال إلا مع بداية

---

[1]- أبو الحسن علي حسن الندوي، التفسير السياسي عند المودودي وسيد قطب، دار آفاق الغد، القاهرة، ط2، 1980م، ص 62.

[2]- حسن الترابي، قراءة أصولية في الفقه السياسي الإسلامي، المرجع السابق، ص 92.

القـــرن التاسع عشر الميلادي[1] إلا أن "ابن خلدون" قد وقف به مصطلح عصره عند ناتج معين من منتوجات الحضارة وهو الدولة، ولذلك فقد سمى قانونه بقانون الدورة التاريخية[2] والذي ما هو في الواقع إلا قانون الدورة الحضارية كما أصبحت تسمى بذلك فيما بعد.

ولمـــا طبق "بن نبي" هذا المنهج بالمفهوم الحضاري على دورة كاملة للحضارة الإسلامية، فسر مراحل الدورة التاريخية بمراحل الدورة الحضارية فمرحلة النهضة هي مرحلة الروح، ومرحلة الأوج أو القوة هي مرحلة العقل ومرحلة الأفول والانحطاط هي مرحلة الغرائز.

ومفـــيد أن ننـــبه إلى أن النهضـــة الحضارية للمسلمين وبالتالي معنى الحضارة في المفهوم الإســـلامي والـــذي يتداولـــه علماء ومفكروا الإسلام، ينفرد بمعنى متميز عما يقر في كثير من الأذهـــان مـــن معنى التحضر الذي يتحدد بحدود التحضر الغربي السائد، فالحضارة هي «ترقي الإنســـان في ذاتـــه بالفضيلة والعلم والأخوة الإنسانية الشاملة، وترقية واستثمار للكون وطاقاته بوســـائل التعمير المحققة لخيره المادي، وكل ذلك في إطار الخلافة في الأرض التي جعلها الله غاية لوجوده»[3].

وعلى هذا المفهوم فإن المسلمين لو نهضوا حضاريا على شاكلة التحضر الغربي الراهن الذي يقتصـــر عـــلى الترقي العمراني المادي، كما يقول "النجار": «إنهم لو نهضوا على هذه الشاكلة لظلـــت قضـــية التحضـــر الإســـلامي مطروحة بنفس القوة بل لعلها بمضاعفات إضافية هي الـــتي يطـــرحها اليوم أهل الحضارة الغربية فيما يحيق بهذه الحضارة من عوامل التدمير للإنسان نفسه»[4].

---

[1] - وقد كان ذلك على يد المؤرخ الفرنسي جيزو في نظرية الروح والتقاليد الجرمانية، ثم على يد كسرلنج بعده بقرن كامل ويأتي بعدهما كارل ماركس بنظريته في العامل الاقتصادي ثنائي الأساس: الحاجة والوسيلة، وبعده الميلسوف الألماني أوسفالد شبنجلر بنظرية العبقرية، ثم الإنجليزي البير جون هالفورد بنظرية الجغرافيا العسكرية السياسية وانتهاءا عند جون أرنولد توينبي المؤرخ الإنجليزي الشهير.

[2] - انظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل المسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، 1986م، ص 62.

[3] - عبد المجيد النجار، النهضة الإسلامية، العوائق والعوامل، ندوة مستقبل الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدّولية والأزمة الخليجية، المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث شيكاغو، 1991م، ص 434.

[4] - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

أ- الخطاب الإسلامي من لدن آدم عليه السلام إلى بعثة الرسول ﷺ

ينطلق "مالك بن نبي" من أن أصل كل حضارة - بمفهومها الإسلامي- هو العقيدة الدينية والتي تكون في صورة وحي يهبط من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجا. وبناء على هذا الأساس فإن الحديث يمتد بنا في التاريخ البشري بعيدا إلى الماضي وإلى أول الحضارات الإنسانية التي كان أساسها الدين أي إلى زمن بعثة سيدنا آدم عليه السلام وكل الرسل والأنبياء الذين جاؤوا من بعده يدعون إلى عقيدة التوحيد وبالتالي أتباعهم وحوارييهم وصولا إلى زمن بعثة الرسول محمد ﷺ برسالة القرآن خاتمة الرسالات السماوية باعتبار أن الدين من لدن آدم عليه السلام إلى لدن محمد ﷺ هو الإسلام بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1] ثم باعتبار الإعلان عن اكتمال الدين -الإسلام- وبالتالي ختام الرسالات السماوية إلى الأرض بدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[2].

ومن نافلة الإشارة إلى أن دليل العمل- كما يسميه "عمارة" قبل محمد ﷺ لم يكن القرآن الكريم بطبيعة الحال وإنما كان هو والكتب السماوية السابقة عليه كزبور داوود عليه السلام وصحف إبراهيم عليه السلام وتوراة موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام(*) ولذلك جعل الله تعالى دليل اكتمال إيمان المسلمين يكمن في إيمانهم بكل الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾[3].

وعليه فكما كانت الرسل تترى وكانت الرسالات تتتابع كانت الحضارات تتتابع مستهدية بالوحي أي برسالة كل رسول لاحق وكانت عملية الإصلاح تتحدد على يد كل نبي يرد بها قومه إلى الطريق المستقيم من جديد -عقيدة التوحيد الصافية- ويقوم كل شعب وكل جيل فيه بدوره في رسالة الحضارة بداية من طور النهضة وهي مرحلة الروح التي تتولى ضبط الغرائز فيرتفعون بها من قانون الطبيعة، ثم تنتشر بهم في الأصقاع بمقدار إشعاعها فيهم، ثم يكون

---

(1)- آل عمران، 19.

(2) - المائدة، 3.

(*) كانت دليل العمل، في مضمونها السماوي المحض وذلك قبل أن تتعرض للتحريف على يد اليهود والنصارى..

(3)- البقرة، 285.

المـــرور التدريجي إلى مرحلة الأوج والقوة وهي مرحلة العقل أين يبدأ ضعف الروح في التحكم والضـــبط لانفـــلات الغرائـــز لكن هذه تبدأ في التحرر شيئا فشيئا إلى أن تصل الحضارة طور الانحطـــاط ومرحلة الأفول وهي المرحلة الأخيرة التي تسود فيها الغرائز وحدها وتنفلت تماما من ســـلطان الروح عليها مؤذنة بنهاية دورة هذه الحضارة ومعلنة في المقابل عن حضارة جديدة أي ضرورة استدعاء الدين والروح لأداء مهمة التوجيه والضبط من جديد. ولا يكون ذلك في الجيل نفسه من البشر -الذي تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة تماما- وإنما في جيل جديد تبعث فيه الروح بعثا جديدا أصيلا كما تم ذلك في بداية الدورة السابقة.

ولذلـــك نجد القرآن الكريم يدعو المؤمنين بالتأمل فيما مضى من سير الأمم حتى يدركوا كما يقول "مالك بن نبي": «الكتلة المخصبة من الإنسان والوقت والتراب»[1].

ومـــرحلة ما قبل الحضارة تختلف عن مرحلة ما بعد الحضارة عند "مالك بن نبي" فالأولى يســـميها بمرحلة "ليل الحضارة" أما الثانية فيسميها بمرحلة "ما بعد الحضارة"[2] وإنسان ما بعد الحضـــارة لم يعـــد يصلح لأي دور حضاري لأنه في الحقيقة قد فقد شرارة التحصيب ومركب الحضـــارة وعنصـــر الديـــن وبالتالي لم يعد قابلا لإنجاز"عمل محضر" إلا إذا تغير هو نفسه عن جذوره الأساسية[3].

ب- الخطاب الإسلامي أثناء وحتى وفاة رسول الله ﷺ

وبالنسبة للخطاب الإسلامي وتطبيقا لذات المنهج فإن الحديث عن الدين أو العقيدة الدينية هنا هو الإسلام برسالة أي رسالة القرآن الكريم الذي بُعث بها محمد ﷺ فهي دليل العمل الجديد في فـــترة حياته ﷺ وبالنسبة للأمة الإسلامية بعده فالعناصر الخامدة في جزيرة العرب من إنسان حامل أمّي وتراب بائر وزمن ضائع والتي لم تكن تؤدي دورا في التاريخ، فلما نزلت كلمة "إقرأ" وتجـــت الـــروح بغار حراء .....ولدت حضارة الإسلام، ووثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ حيث ظلت قرونا طوالا تحمل للعالم حضارة جديدة وتقوده إلى الروح والتمدن.

وتحول العرب بشرارة الروح بعد الركود «إلى دعاة إسلاميين تتمثل فيهم خلاصة الحضارة

---

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 52.

[2]- المرجع نفسه، ص 70.

[3]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1985م، ص83.

الجديدة، يدفعون بروحها وثبة واحدة إلى تلك القمة الرفيعة التي انتشرت منها حياة فكرية واسعة مستجددة نقلت من علوم الأولين ما نقلت وأدخلت علوما جديدة حتى إذا ما بعدت درجة معينة انحدرت القيم الفكرية التي أنتجتها دمشق وبغداد وقرطبة وسمرقند» [1].

فالمرحلة الأولى من الخطاب الإسلامي كانت دينية محضة روحية خالصة ظلت روح المؤمنين فيها هي العامل النفسي الرئيسي من ليلة حراء إلى أن وصلت القمة الروحية للحضارة الإسلامية وطوت تحت ظلالها وهي تنتشر أفقيا من المحيط الأطلسي إلى حدود الصين شعوبا وأعراقا وأجناسا وأراضٍ ولغات...

مفيد أن نؤكد أيضا أن هذه الوثبة لم تكن من صنع السياسيين ولا هي من صنع السياسة ولا كان للسياسة فيها دخل ولا مأرب بل كانت من وبين أناس يتسمون بالبساطة ورجال تجمعهم البداوة غير أن أنظارهم «قد توجهت في تلك اللحظات إلى ما وراء أفق الأرض أو إلى ما وراء الأفق القريب فتجلت لهم آيات في نفوسهم وتراءت لهم أنوارها في الآفاق» [2].

ج- الخطاب الإسلامي بعد مرحلة النبوّة:

مفهوم الفكرة الدينية في حال عدم توفرها في الوحي المُنزل والدين السماوي تقوم أسسها على الأقل -كما يقول "مالك بن نبي"-، في «توجيه الناس إلى معبود غيبي بالمعنى العام ولو كان غيبيًا من نوع زمني أي في صورة مشروع اجتماعي يعيد الأمل مثل بناء مجتمع جديد يضع حجره الأول جيل وتواصل بناءه الأجيال المتتابعة»[3].

وبالنسبة للخطاب الإسلامي وبعد وفاة الرسول ﷺ. وحيث لا رسول بعده، وحيث لا وحي بعد القرآن الكريم؛ فإن ما يسميه "مالك بن نبي" بالفكرة الدينية -المركب الحضاري- تتمثل في العودة إلى الدين في شروطه وقوانينه الأصلية حين يتم استدعاء الروح لأداء مهمتها في تحصيب عناصر الحضارة والشهود الحضاري من جديد والتي هي في استعداد فطري لدخول الدورة الحضارية الجديدة في حياة المسلمين ما إن توفرت تلك الروح.

---

[1]-مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص52.

[2]-المرجع نفسه، ص51.

[3]- المرجع نفسه، ص25.

وقـــد أدرك "بن نبي" أن العودة إلى الدين تكون في العودة إليه في شروطه وقوانينه الأصلية ولذلـــك نجده يقرر: «إنه لتفكير سديد ذلك الذي يرى أن تكون الحضارة كظاهرة اجتماعية إنما يكـــون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى. كان هذا صادرا عن عقيدة قوية ولسان يستمد من سحر القرآن تأييده ليذكر الناس بحضارة الإسلام في عصوره الزاهرة»[1] ومـــن ثم ندرك سر التحذير الرباني للمؤمنين عن مخالفتهم هذه الشروط وتلك القوانين لما قال في القـــرآن الكريم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] ولأنه في حالة المخالفة يمكن وصف الفكرة الدينية –المشروع الحضاري والاجتماعي– بأي وصف آخر لكن لا يمكن وصفها بالإسلامية.

لا يكف المسلمون عن التذكير بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3] ويعـــتقد كثير منهم بأن الآية تُخليهم ليس عن مسؤولية تعليم الدين وتطبيقه وإنما عن مسؤولية الدعـــوة إلـــيه والعمل على تجديده ونشره، ومن ثم وجب التنبيه إلى دور كل مسلم في أداء هذا الواجب وهذه المهمة.

والخطـــاب الإسلامي الذي يتجدد بدليل قول الرسول ﷺ: «*إن الله يبعث على رأس مائة كـــل سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها*» يدخل به المسلمون في دورات حضارية تامة لكن يمكن وصفها هنا بأنها دورات شبه حضارية –بمعنى أنه تدب فيهم الحركة، فالصحوة مدة قد تطول أو تقصر ليعودوا إلى الغفوة من جديد لكن دون أن تموت العقيدة فيهم نهائيا ودون أن تنطفئ شرارة الـــروح تمامـــا ولكـــن في المقابل دون أن تكون اليقظة في المستوى الذي يعيد الحياة والحضارة الإســـلامية سيرتها الأولى عنفوانا وروحا وحياة...ويمكن أن نصف الخطاب الإسلامي في مراحل الغفوة والنوم بالخطاب الصامت أو خطاب العامة، والأغلبية العظمى من المسلمين الذين يمارسون العـــبادات الإسلامية الصحيحة، ويتبعون تعاليم الدين ويأتمرون بما تفرضه الشريعة، صلاة وصوماً وحجـــاً وعمرة وبعبارة أخرى خطاب الإسلام الوراثي كما يفسره "ابن باديس" –رحمه الله–[4]

---

[1]–مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص51.

[2]– النور، 63.

[3]– الحجر،9.

[4]– أنظر: عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، ج4، ط1، 1985م، ص ص 123-124.

ويسميه "المودودي" بالإسلام التقليدي أو اللاشعوري في مقابل الإسلام الاختياري الشعوري[1].

ويمكن وصفه بخطاب الوهن كرد فعل على قوة التحديات في بعض المنعطفات الخطيرة التي تهدّد مباشرة الذات الإسلامية أو بخطاب اللامبالاة الذي يعود بدوره إما لجهل الفرد بمسؤولية الانتماء للدين ومن ثم تقاعسه عن أداء واجبه نحوه أو كمعطى تكويني في طبيعة قطاع كبير من أفراد الأمة أنفسهم.

ونلاحظ فعل التجدد وعودة المجدّد بين الفترة والفترة تقل أو تزيد بقليل عن القرن كما يدل عليه حديث -على رأس كل مائة سنة-، وإذا كان الدين قد خص الله به رسلا يصطفيهم من بين عباده، وأن عملية تجديد الرسالة السماوية قد خص بها الله الأنبياء بين رسول ورسول فإنه بعد الرسول ﷺ حيث لا رسول ولا نبي بعده، مهمة التجديد لأمر الدين يختص بها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فيها وهي تجديد عملية عرض الإسلام ومهمة الدّعوة إليه تعميما وتنبيها ودفعا وتذكيرا وجهادا.

ونـدرك من ثم تنبيه الرسول ﷺ «*تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضيعوا بعدي أبدا. كتاب الله وسنتي*»[2] وتقرير الصحابي "مالك بن أنس" «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

أما ما يعيد للفكرة الإسلامية شرارتها وقوتها هو عقيدة الدعاة وإيمانهم بالقانون الإلاهي الذي أودعه الله في فطرة الإنسان المؤمن، والذي يسميه "مالك بن نبي" "بالنص المبدئي للتاريخ التكويني"[3] وهو نص الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[4] مقرّرا بأن هذا المبدأ القرآني سليم في تأثيره التاريخي إذ أن مبدأ المسلم وفطرته مما زاده في أولى خطواته الحضارية في بداية دورتها تكون له بمثابة مفعول كلمة "إقرأ" من حديد كما تلقاها الرسول ﷺ وانتشرت بها الزمرة المؤمنة الأولى تفعل مفعولها وتنقلها من الركود إلى الحركة ومن

---

[1]-أنظر: أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدّة،1404هـ/1984م، ص 133

[2] – أخرجه ابن ماجه، باب: المناسك. انظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند، مكتب التربية العربي لدول الخليج، م2، ص185-188.

[3]-مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 53.

[4]-الرعد،11.

الخمـــول إلى اليقظة ومن السبات إلى الحياة ولذلك كانت دعوة العلماء دوما للمسلم حين قراءة القـــرآن الكـــريم أن يقرأه كأنما يتنـــزّل عليه هو، فحين تعلن رحلة الحضارة ويعد الزاد –الروح والمبدأ– يتحرك التاريخ، وحين ينطلق رحل الفطرة تنطلق الحضارة..

المطلب الثاني: القراءة الاستشراقية: المنهج الجدلي، دورات الأزمات والاستجابات الأصولية

إن الجهل بالإسلام أساسا وغياب حقيقة ربانية التكفل بحفظ الإسلام وحيًا، وعدم إدراك مفهوم البعث الإسلامي المتجدّد عبر القرون من جهة ثم حضور عامل التحضر الدائم في المسلمين مـــن جهة أخرى هو الذي أحدث الخلل في العقلية الغربية "في استبعاد قوة الإسلام على استعادة الحـــياة أو التقليل من شأنها "كما اعترف بذلك تقرير "هرير ديكميجيان" وجماعة الباحثين معه، المـــرفوع إلى الحكومة الأمريكية واصفا ذلك الحكم بالخلل في مجال التحليل، وضعف البصيرة في مجال التصور وكذلك بعمى البصيرة الغربية..."[1].

وبـــناء عـــلى ذات الحكم الموصوف بعمى البصيرة –تنادي الغرب بالتحذير والتهويل لما وصفوه بالصحوة واليقظة الإسلامية والتي ما هي في الواقع إلا دورة جديدة من البعث الإسلامي، حاصـــية الإســـلام كدين خاتم وخاصية المسلمين حين يهتدون إلى البدايات السليمة، وقد اعتبر الغرب ذلك "تحديا إسلاميا" و"حاءهم مفاجئا ومشؤوماً"[2].

ولذلـــك فقد أسس المستشرق "ديكميجيان" دراسته لتاريخ الحركات الإسلامية على ضوء مـــا سمّـــاه بالمنهج الجدلي الذي لا تمليه الحقيقة التاريخية فقط –كما يقول– بل تمليه أيضا النظرة الشخصـــية والـــنظرة العالمية للحركة الإسلامية اليوم من جهة ومن جهة أخرى «لأن الأصوليين الإســـلاميين المعاصـــرين يـــرون أنفســـهم فعلا خلفاء مباشرين وأتباعا مقلدين للقادة المناضلين ولحركات الانبعاث والتحديد الماضية»[3].

ويقـــرّر "ديكميجـــيان" أنه من المعالم البارزة للحركات الأصولية توجهها الدوري الذي يـــتكوّن من فترات متتابعة من الإغفاء والانبعاث، ومن الممكن أن نكتشف بوضوح نمطا عليًّا من

---

[1]–هرير دكميجيان، المرجع السابق، ص 26.

[2]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المرجع نفسه، ص 28.

خلالـــه تتســـاوق مظاهـــر الانـــبعاث الديني مع فترات الأزمات الحادة الروحية والاجتماعية والسياسية"[1].

فالانبعاث الإسلامي المتجدّد لا تعود إلى طبيعة الدين الإسلامي وبصفة عامة تأثير الدين في الكون عند "ديكميجيان" وإنما تعود إلى فترات الاضطراب الشديد، أي عندما كان الخطر يتهدّد وجود الأمة الإسلامية ذاته وتماسكها الروحي أو أيا منهما.

وتدليلا على منهجه وتطبيقا على التاريخ الإسلامي، يستعرض المستشرق ما سماه –بدورات الأزمـــات والاســـتجابات الأصولية–، من عصر الرسول ﷺ وصولا إلى الدورة المعاصرة –كما يسميها– من الانبعاث الإسلامي والتي تتوافق حسبه مع قاعدة منهجه وتحليله وسنلخص بدورنا هذا التحليل عبر الجدول التالي:

[1] – هرير دكميجيان، المرجع السابق، ص28.

طبيعة الأزمة	الاستجابة الأصولية وصاحبها
1- سقوط الأمويين	ظهـــور: عمر بن عبد العزيز (ت 720م) -أبو حنيفة (699-767م) -مالك بن أنس (714-798م) وكذا الشيعة والثورة العباسية 750م.
2- ضعف العباسيين	ظهـــور: ابـــن حنبل (780-855م) -الشافعي (767-854م) الشيعة الإسماعيلية القرامطة في 890م -عبد الله المهدي (ت 909م).
3- ســـقوط الأمويـــين بالأندلس	ظهور: ابن حزم (ت 1064م)
4- ســـقوط الفاطميين وهجوم الصليبيين	ظهور: صلاح الدين الأيوبي (1171-1187م)
5- ســـقوط العباسيين وانتصارات الترك والمغول	ظهور: النووي (ت 1277م)، ابن تيمية (ت 1328م)، ابن القيم (ت 1350م)، ابن كثير (ت 1373م).
6- الغزو المغولي التركي والفتنة	ظهور: الحلبي (ت 1325م)- المشعشع (ت 1462م) -الشاه إسماعيل (ت 1542م)
7- ضعف العثمانيين	ظهور حركة محمد بن عبد الوهاب (1703-1791م)، الحركة السنوسية (1800...) بليبـــيا وشمال إفريقيا- المهدية بالسودان (1800...)-السّلفية (1890...) المتمثلة في جمال الدين الأفغاني (1838-1897م). -ومحمد عبده (1849-1905م) -ومحمد رشيد رضا (1865-1935م).
8- بيـــئة الأزمـــات المعاصـــرة في العـــالم الإسلامي	-الإخـــوان المســـلمون (1928--- مـــن قياداته: حسن البنا (1906-1966م) - والمودودي. -الثورة الإسلامية في إيران والانبعاث الشيعي ومن قياداته -آية الله الخميني (1902-1989م) -وباقر الصدر () -وعلي شريعاتي (1922-1987م). -الانبعاث السّني ومن قياداته -فرج -سعيد حوّى -الترابي، -التلمساني عمر (1904-1986م)، الصادق المهدي[... -

الجدول رقم (2): دورات الأزمات والاستجابات الأصولية حسب المستشرق "هرير ديكميجيان"[1]

[1] - هرير ديكميجيان، المرجع السابق، ص ص 28-29.

إن –القـــراءة الاستشراقية وبالتالي الغربية– للجدول تؤول إلى أن كل مرحلة من الضعف تـــؤدي إلى إطـــلاق استجابة إحيائية تتمثل في حركة عودة إلى الجذور الإسلامية بقيادة شخصية آســـرة، وأن بعـــض هؤلاء القادة يتخذون صورة المجدّد الذي يحيي العقيدة بينما يحاول آخرون إحـــداث تغيير اجتماعي أو سياسي عن طريق ما يسميه المستشرق "بحركات خلاص"[1] نضالية أشـــبه بـــدور المهدي المنقذ الذي يبعثه الله... وهؤلاء وأولئك يستمدون الشرعية من الاستشهاد بالقرآن الكريم –أو السنة النبوية.

أمـــا القراءة الإسلامية التي قد تتفق في الشرح، تختلف عن القراءة الغربية في العنوان فبدل الاســـتجابة الجدلـــية للأزمات، هو الديناميكية الحية في الحضارة الإسلامية والتي يثبتها استقراء الـــتاريخ الإسلامي فالمتتبع لحركة هذا التاريخ «يجد أن الحضارة والتمكن والمجد كان على شكل تموجـــي بحيث تحمل كل موجة جديدة وعهد مشرق بداية من موجة الذروة في الخلافة الراشدة صعودا لينحدر مع الدولة الفاطمية، ليصعد على أيدي السلاجقة ثم على يد المماليك ثم على أيدي الأتـــراك ويـــنحدر الخط بعدها إلى الآن ليشهد الجيل الراهن على هذا الانحدار الذي بلغ أسفل درجاته»[2].

المطلب الثالث: بين القراءة الإسلامية والقراءة الاستشراقية:

إن معـــيارية التحلـــيل الغربي التي تختلف عن التحليل الإسلامي شكلا ومضمونا نجدها في تركيز الثقافة الغربية على عناوين الانتصارات والسقوط، وقيم القوة في معناها المتوحش والمنفلت عـــن الأخلاق تماما بينما نجد التحليل الإسلامي يركز على قيم الفساد والصلاح وعلى أن الفساد يســـتدعي الإصلاح دائما وما تلك الدورات التي يسميها "ديكميجيان" "بدورات الأزمات" في التحلـــيل الإســـلامي إلا ضعف وتآكل وخروج عن الدين سلوكا أو تعطيل الإسلام حضورا أو اعـــتماد مرجعية غيره في واقع الأمة في قليل أو كثير من الأسس بشكل سافر في كثير من مراحل الـــتاريخ الإسلامي مما كان يستدعي الرجوع والإصلاح والدعوة إلى اعتماد أحكام الإسلام من جديـــد ولذلك فإن التحليل الإسلامي لا يرجع لديناميكية وتجدد العودة إلى الإسلام بالدعوة إلى

---

[1] – الخلاص مصطلح من الثقافة اليهودية والنصرانية وتعني عودة المسيح المنتظر للخلاص.

[2] – انظر: تيسير العيادي، الحركة الإسلامية في حلبة الصراع العقائدي والحضاري: دروس وعبر من أزمة الخليج والتحولات الدولية الراهنة، ندوة مستقبل الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدولية والأزمة الخليجية، المرجع السابق، ص 367.

تطبيقه إلى التفسير الجدلي للتاريخ وإنما إلى ما يسميه البعض إلى سنة تعاقب الحضارات، والبعض بسنة التداول وعملية الاستبدال أو سنة التدافع بالمصطلح القرآني الذي يعتمده فريق غيرهم.

أ- سنة تعاقب الحضارات:

تقول الباحثة "تيسير العيادي" بأن عملية استقراء التاريخ البشري تفيد "أن تعاقب الحضارات من أمة إلى أمة كانت سنة الله في خلقه وأن كل حضارة تنهض على أنقاض حضارة أخرى عندما تستنفد هذه ذخائرها وتنحرف عن خط مشروعها النهضوي وتصبح غير قادرة على تمثيل سلطان الحق والعدل وقادرة على دحض الباطل وإحباث التغير عندما يبدأ الخط الانحداري في حضارة ما بأذن الله تعالى بزوالها وقيام حضارة أخرى أقوى وأقدر على تسلّم القيادة بدليل قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] إلا أن الحضارة الإسلامية قد يصيبها -وقد أصابها- الانحطاط، الذي مسها في عمرها الطويل وتأرجحت بين خطي الصعود والنزول لكن لا يحل بها الأفول أو الطي الكامل للتاريخ لها كما حدث لحضارات عريقة كالحضارة الأشورية والفارسية والرومانية إلخ، وكما طوى التاريخ شعوبا بأكملها لم تكن تدين بالإسلام مثل القبائل الأمريكية كما يقول "مالك بن نبي" «لقد أصبحت أحاديث وتمزقت كل ممزق ودفنها التاريخ في طياته حيث استقرت في ضميره نسيا منسيا»[2] وفي المقابل كُتب للقبائل البربرية العربية الخلود بما أوتيت من روح رفعتها فوق الهاوية حيث هوى غيرها من الشعوب الأخرى، وحيث لم تنفع لها خطبها ولا معتقاتها وسحر بيانها قبل الإسلام أن توصف بغير ما وصفها به القرآن الكريم من جاهلية ليقرر "مالك بن نبي" مقابلة القتال في سبيل البقاء والقتال من أجل الخلود ويستدل بذلك على خلود الإسلام ورسالته وكونه درعا لمن يتمسكون به «من أن تحطمهم الأيام أو يذوبوا في بوتقة المستعمر بتقمصون شخصيته»[3].

وتستدل الباحثة المصرية بذلك على «خلود الإسلام وعالميته وصلاحيته لكل زمان ومكان»[4] عن طريق عملية التجدد والدعوة إلى التجديد كلما طرأ على ممارسة المسلمين

---

[1] - البقرة، 251.

[2] - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 21.

[3] - المرجع نفسه، ص نفسها.

[4] - تيسير العيادي، المرجع السابق، ص 368.

للإســـلام جمود أو انحراف انطلاقا من أساس تكفل الله بحفظ رسالته وتبشيره ببعث من يجددها على يده.

ب- سنة التدافع والتداول:

يعـــتمد كثير من المفكرين الإسلاميين مصطلح التداول كسُنَّة للتغيُّر من حال إلى حال في حال الحضارات وتاريخ البشر تداولا من القوة إلى الضعف ومن الانتصار إلى الانهزام ومن الغفوة إلى الـــيقظة وهو ما يؤصّل قرآنيا بسنة التدافع بين قوى الخير مقابل قوى الشر، دعاة الحق مقابل دعـــاة الباطل، بمعنى أنه ناموس كوني فطر الله خلقه وملكوته عليه كقانون يعبّر عنه البعض دوام الحـــال من المحال، وكما أن هذا القانون الرباني الملهم يفسّر تجديد التأمل والمراجعة والاعتبار فإن تحققـــه المـــتكرّر والذي سيظل يتكرّر إلى قيام الساعة بشروط كل زمان ومكان وجيل (زمان، تراب، إنسان) فإنه يفسّر بأن الحكمة منه هو عملية التمحيص المستمر لجوهر الإنسان والانتخاب المتواصـــل لأحسن ما فيه لتقديمه لقيادة خلافة الأرض وجدارته في هذا التكليف وهذه المسؤولية، «فالحكمـــة الإلاهية من وراء ذلك الصراع والتدافع –تخبئ الخير العميم للبشرية المتمثل في إقرار الحـــق ودفع الباطل حيث أنه لا سبيل أن تنعم البشرية بهذا الخير إلا عن طريق الدخول في صراع يطلـــق ذخائـــر الطاقات ويستنبط قوى الكون وأسراره الدفينة ثم تكون الغلبة في الأخير للطرف الأصـــح والأكفأ للقوامة على البشرية بعد أن استكمل الصراع سبك جوهره واستحاش أنبل ما فـــيه وأكـــرمه ودفعها إلى سلم الكمال المقدّر له»[1] ولذلك كان قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

ومـــن ثم فقد فهم من قول الرسول ﷺ «*تركتكم على المحجة البيضاء*»[3]. على أنه «نص يدل على وجوب التنقيب المستمر لتظل الفكرة ناصعة البياض بحيث لا يلصق بها ما من شأنه أن يكـــون غريبا عنها وبحيث يتم إبعاد كل ما يؤدي قربه من الفكرة إلى احتمال الالتصاق بالفكرة

---

[1]-تيسير العيادي، المرجع السابق، ص 382.

[2] - الحج، 40.

[3] – أخرجه ابن ماجة، باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ. انظر: محمد ناصر الألباني، المرجع السابق، م1، ص6.

نفسها»[1]، وبمعنى آخر تجديد الاجتهاد في عرض الإسلام والدفاع عنه ضد ما ظهر في عصرنا - ولازال- من إلصاق التهم ونشر الأباطيل والشبهات حول الإسلام. هذا الاجتهاد الذي لم يخل من الصواب لكن لم يسلّم من الخطأ داخل المنظومة الإسلامية وفي الواقع الإسلامي والمجتمعي والذي تطوّر فيما بعد إلى عملية تغييب وتعطيل للإسلام مما استدعى الاجتهاد ليس من أجل تصويب الخطأ إنما تصويبا لمسار حيث اختلفت معطيات ومن ثم أدوات المواجهة.

ولذلك فإن مفهوم الدين كما يقول "حسن الترابي" «**بمعنى الحق** هو هدى رباني أزلي مطلق لا يحده الزمان ولا المكان، لكن الدين **بمعنى التحقيق** إنما هو كسب بشري وسعي للتوحيد بين مثال التكليف الأزلي وحال الابتلاء الواقع فهو متأثر بالضرورة بظروف الزمان والمكان فالدين -من حيث هو تديّن- كسب حادث تاريخي يبلى بالتقادم ويلزم تجديده كلما انقلبت ظروف الزمان ليتصل أصله عبر المواقف الإيمانية المتجدّدة ويدوم جوهره من خلال الصور العصرية تعبيرا عما هو ثابت وتكليفا لما هو مرن من معانيه وأشكاله»[2].

جـ- سنة الاستبدال:

وهو المصطلح الآخر الذي يتبناه الطرح الإسلامي في قراءاته لما تسميه القراءة الغربية للاستجابات الأصولية على دورات الأزمات، وينطلق من أن الإسلام دين عالمي ومنهج حياة كامل له أدواته ووسائله وعناصره وحَمَلَتُهُ ودعاته من جماعات وحركات وعلماء ودعاة وجماهير ومدارس وكاتبين ومفكرين... وغيرهم، وكل هذه العناصر والأدوات إنما هي كائنات حية يصيب كلا منها ما يصيب أي كائن حي من صحة ومرض وشيخوخة بل موت وفناء ولكن الإسلام ذاته باق ويمكن أن يحل العناصر البديلة بدليل قوله تعالى ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[3].

وعملية الاستبدال كما يقول "طه جابر العلواني"[4] سنة من سنن الله تعالى قائمة لا ترتبط

---

[1] - أياد هلال، أثر أزمة الخليج في الحركات الإسلامية، ندوة مستقبل الحركة الإسلامية، المرجع السابق، ص 141.

[2] - حسن الترابي، البعد العالمي للحركة الإسلامية: التجربة السودانية، الحركة الإسلامية،رؤية مستقبلية، المرجع السابق،ص 77

[3] - محمد، 38.

[4] - مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أحد أطراف الدعوة إلى عقد ندوة: مستقبل الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدّولية والأزمة الخليجية في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1991م.

بالتولّي وحده بل ترتبط بمتطلبات ظهور الدين وتمكينه، وشيخوخة الكائنات الحية وطروء حالات الضعف والمرض عليها حالات مسلّم بها في الأفراد والأمم والدول والشعوب والأقطار والفئات الاجتماعية نتيجة تطاول الأمد وقسوة القلوب واتباع أو تقليد سنن الغير فلم يكتب لشيء من تلك المخلوقات الخلود، أما الإسلام فقد كتب الله له الخلود والبقاء ولذلك أوجد فيه قابلية التجدد[1].

ومن ثم فكلما تطاول الزمن يواجه بسنة التجديد يحفظ للإسلام قوته وعنفوانه والتدفق المستمر حتى يتم له الظهور على الدين كله، فيكون بناء اللاحق على السابق يقي الجماعات والدول والمؤسسات من السقوط والفناء السريع ويمكنها من مواجهة الجديد بعوامل التغيير... وإذا بدا على الوسيلة عوامل الضعف فيجري تجديدها مادامت قابلة للتجديد حتى إذا انتهى عمرها الزمني و لم تعد قابلة للتجديد طواها قانون وسنة الاستبدال.

والحقيقة أن ما يضعه الاستشراق بين دفتي الانتصار والهزيمة، والصعود والسقوط في رصده لدورات الأزمات ومن ثم الاستجابة التي يسميها بالأصولية لا تصلح أن تسْقَط على التاريخ الإسلامي استرجاعا ولا استشرافا وإنما هي في القراءة الإسلامية من قبيل الفتن التي واجهت الوطن الإسلامي وأمة الإسلام سواء أكانت من داخل المجتمع الإسلامي نفسه أو حلت عليه من خارجه، وتعد هذه الفتن كما يقول "مالك بن نبي" من قبيل «السَّوط الذي يبعثه الله على أي شعب استسلم للنوم، ليوقظه»[2]، وهي من قبيل «المنبهات الحضارية التي تحمل الأمم الحية للعكوف على ذاتها والقيام بالمراجعة الكاملة لمواريثها الفكرية ومواقفها العلمية لامتحان القيم والأفكار، والثقافات التي تحكم حياة الناس وتنتظم وتغرز سلوكهم، وتصنع اهتماماتهم في محاولة لتحديد أسباب القصور ومواطن التقصير»[3].

وهذه المنبهات الحضارية هي تحديات توقظ الشعوب والأمم من سباتها، «وتصنع الحضارة، وتشكل التحولات الكبرى في مسيرة الحياة، وتقضي على الصور المشوّهة والكيانات الرخوة في

---

[1] – طه جابر العلواني، ندوة: مستقبل الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدّولية والأزمة الخليجية في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1991م، الكلمة الختامية، المرجع السابق، ص 504.

[2] – مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 150.

[3] – عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 1991، ص 99.

حياة الشعوب وتحفزها للإقلاع من جديد»[1]. ولذلك فإن القراءة الإيمانية الإسلامية لا تجعل من هـذه الفـتن والأزمات مثبطات عن العمل أو كوابح للانطلاق وإنما عسى أن يكون فيها الخير مصداقا لقوله تعالى ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

وعلـيه فإحـباطات الماضي وخيباته عند الأمم الحية لا تقضي على إمكانات المستقبل وما يسـميه "عمر عبيد حسنة" "بخميرة النهوض والإمكان الحضاري"، وإنما تؤكد عليها وتشير إليها وتثير فاعليتها.

المطلب الرابع: القراءة الاستشراقية بين الاسترجاع والاستشراف

وبناء على ما تقدم نخلص إلى:

أ- من الخطأ أن نبدأ استقراء التاريخ الإسلامي بما بدأ منه "ديكميجيان" وهو أزمة "سقوط الأمويين" فتاريخ الفتنة والأزمات في المجتمع الإسلامي قد بدأ قبل ذلك التاريخ وتحديدا بعد وفاة الرسول ﷺ، بفتنة الردّة، ودعوات النبوّة الكاذبة التي استهدفت عقيدة الأمة وعالم أفكارها مرورا بالفتـنة الكبرى مقتل سيدنا عثمان ﷺ وفتنة التحكيم ومقتل سيدنا علي ﷺ وامتدت بعدها إلى سقوط الأندلس وما خلفته من إصابات فكرية أدت إلى الرفض والخروج الذي لا تزال آثاره ممتدة إلى اليوم، إضافة إلى سلسلة الفتن الخارجية كالغزو المغولي، والصليبي والاحتلال العالمي، وسقوط فلسطين... وصولا إلى أزمة الخليج في نسختها الأولى والثانية.

لقد نبهت كل فتنة إلى المراجعة، وحرضت كل أزمة على زيادة التشبث بالعقيدة والدفاع عـنها، وأحيت كل مصيبة المعزة بين المسلمين لنصرة الإسلام والوعي بطبيعة عدوّهم، وأكسبت كـلها الكيان الإسلامي العريض خبرة المواجهة وتسديد الخطى إلى السليم من التفكير والمنهجي مـن الخطى والأصوب من الوسائل وما الصحوة الإسلامية والخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر إلا مظهـر جـاد نحو تجديد أمر الأمة الإسلامية عبر مختلف فصائلها للمراجعة والمواجهة بشرط القراءة السليمة، لهذه المنبهات، والإدراك الرشيد لمواطن الخلل، ومن ثم التخطيط الواعي للنهوض الحضاري الذي يساهم في تحقيق الأمن والسعادة للبشر.

---

[1] - عمر عبيد حسنة، المرجع السابق، ص 99.

[2] - النساء، 19.

ب- ولا شك أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي خص بها الله الأمة الإسلامية حين يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

وقد كانت لها وسيبقى لها أيضا وظيفتها الأساسية في حفظ توازن المجتمع الإسلامي، وإبعاده عن الانحرافات الفكرية والسلوكية، وذلك من خلال تأمين الضغوط الاجتماعية والسياسية على الفكر المنحرف، والسلوك الشاذ والقضاء عليه أو تحجيم دوره في الفعل الاجتماعي.

وتشكل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «أحد مراكز القوى في ديمومة الإسلام وبقائه مؤثرا في عمق الشخصية الفردية والاجتماعية وكذا في مسار حضارة الأمة المسلمة»[2].

وتتشعب صلة هذه الفريضة بفئات المجتمع المختلفة أفرادا وجماعات حكاما وشعوبا بداية من أولي الأمر وأولي العلم ثم دور سائر الأفراد في المجتمع، تجمعهم نصوص الآيات القرآنية ونصوص الأحاديث الصحيحة التي تحث على أداء هذه المهمة كل على مستواه، فمن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[3] إلى قوله ﷺ: «*من رأى منكم منكرا فل يغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان*»[4].

ولقد خفت صوت هذه الفريضة خلال فترات من حياة الأمة الإسلامية وخاصة فترة الاحتلال الصليبي للوطن الإسلامي وانتشار أفكاره في تسوية صورة علاقة الإنسان بالله، وصلة الإسلام بالبناء الاجتماعي وحركته العامة وفي المقابل ضعف الخطاب الإسلامي تحت العهد الاستعماري والتغريبي فإن عودة المسلمين إلى الإسلام التي وصفها العرب "بالظاهرة" و "المد"

---

[1] – آل عمران، 110.

[2] -نوري حاتم، دور المجتمع في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجلة التوحيد، ع 86، س 15، رمضان 1417 هـ/شباط 1997م، ص 86.

[3] -الحج، 41.

[4] -أخرجه الترمذي في باب الفتن، (ما جاء في تغيير المنكر باليد أو اللسان أو القلب)، انظر: صحيح الترمذي، عرضه الأخوزي، بشرح صحيح البخاري، دار العلم للملايين، دت، ج9-10، ص18-19.

وكـــذا "العودة المشئومة" المتمثلة في الأغلبية العظمى من المسلمين الذين لا ينتمون إلى أي منظمة ولا إلى أي حـــزب كما يقول "زيد الكيلاني" «وبدؤوا يمارسون العبادات الإسلامية الصحيحة ويملـــئون المساجد ويتبعون تعاليم الدين ويأتمرون بما تفرضه الشريعة عليهم "كالحجاب" اللباس الشـــرعي للمرأة وإطلاق اللحية، للرجال، ويؤدون الحج والعمرة، وعددهم يتضاعف باستمرار ويحـــاولون إيجاد طريقهم نحو الله بطريقة أو بأخرى»[1] وهؤلاء هم الاحتياطي البشري الضخم للأمة الإسلامية وهذا دليل ليس على حياة الأمة الإسلامية فحسب، وإنما على فعالية وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا.

حـــــ- وتـــبقى القـــراءة الاستشراقية والغربية عموما قراءة صراعية ويغلب عليها صفة النخبوية والسياسية الفوقية، حيث لا يهمهم إلا رصد ما حدث في أروقة الحكم أو رجال العلم والفقه وبعبارة أخرى طبقة أولى الأمر بشقيها السلطة السياسية والسلطة العلمية.

ولا غـــرابة في هـــذا الاهتمام ما دامت هذه الطبقة هي التي قام ويقوم رهان الغرب على اســـتغلالها والـــتأثير عليها باحتوائها أولا ثم توجيه تفكيرها لاحقا، مطية لتمرير مشاريعه وبث مبادئه عبرها نحو الشعوب الإسلامية العريضة، وقد درجت النخب العربية والإسلامية التي تتبنى التحلـــيلات الغربية والاستشراقية في مختلف جنسياتها على هذا الاهتمام وذلك الرهان مثلما هو واضـــح في طروحات الخطاب التقدمي العربي[2] في تناوله للحركات الإسلامية وتفسير ظهورها عـــلى خلفـــية التفسير السيكولوجي العصبي أو على خلفية انحطاط البورجوازية العربية، أو على خلفية تراجع المشروع الوطني وأخيرا على خلفية التفسير السوسيولوجي للظاهرة الدينية[3].

وفي المقـــابل تـــتجاهل القراءة الاستشراقية تماما فئة الشعوب الإسلامية وتقرر إبعادها من ســـاحة الفعـــل والتفاعل على الرغم من أنها الأغلبية الغالبة من حيث العدد ومن حيث أهداف مشـــاريع التعـــبير الاســـتجابة فلم يعرض لتحليل مواقفها كما لم تحظ بالاهتمام على مختلف المســـتويات وقـــد نبهت دراسة "فادي إسماعيل" إلى هذا الموضوع وأشارت إلى أنه «إذا اقتصر

---

[1]-موسى زيد الكيلاني، المرجع السابق، ص 22.

[2]-من أصحاب هذا الخطاب نذكر محمود أمين العالم، سعد الدين إبراهيم، صادق جلال العظم، سمير أمين، عبد الله العروي، لطفي الخولي، غالي شكري، خلدون حسن النقيب، ندم البيطار، الحاج وراق...الخ.

[3]-أنظر دراسة، تركي علي الربيعو، الحركات الإسلامية في منظور الخطاب التقدمي، مجلة الاجتهاد، المرجع السابق، ص ص 175-207.

الـــتفكير في مسألة النهضة على النخبة الفكرية ومواقفها فهذا الأمر وإن كان ضروريا فإنه ليس كافـــيا، لأنـــه مرتبط بتحليل مركبات ذهنية ونيات ورغبات وإرادات ومثل عليا ونماذج ثقافية أكـــثر مما هو مرتبط بتحليل الواقع الموضوعي التاريخي المجتمعي وإن المجتمع الأهلي يبقى الركيزة للفعل التاريخي ويشكل أرضيته وقاعدته الصلبة»[1].

وفي إطـــار هـــذا الفهم وردا على القراءة الاستشراقية ومن هم على منهجها كيف نقرأ موقـــف الجماهير الإسلامية وجنازة الإمام "أحمد بن حنبل"، في خروج المدينة بأكملها لتوديعه بعد وفاته، وفي المقابل كيف نقرأ موقف التونسيين في جنازة "الطاهر حداد" الذي لم يخرج فيها بتشييعه إلا عدد قليل جدا من أهله وأصدقائه وكيف نقرأ موقف الجماهير الجزائرية من الاحتلال الفرنســـي بعيدا عن الانتفاضات والثورات التي ملأت فترة القرن الثامن عشر الميلادي، وأخيرا كـــيف نقرأ نتائج الانتخابات في نسخها التعددية عبر الدول الإسلامية بداية من الأردن ومصر والجزائر ....إلخ.

إن الجمـــاهير المســـلمة قـــد مثلت الرد الصامت والمقاومة الصامتة على محاولات المسخ ومشـــاريع التغريب وقد دافعت عن مقوماتها الحضارية بأشكال مختلفة بصمت غالبا لكن بفعالية حاسمـــه أيضا ضد الفساد حينا وضد الطغيان تارة وضد التغريب مرة وضد التشويه مرة أخرى بالتشبث بتراثها وتاريخها.

[1]-فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص 92.

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر بين مسألتي التخلف والنهضة

المطلب الأول: الخطاب الإسلامي الحديث وسؤال التخلف

إن المسافة الزمنية التي تفصل بين الخطاب الإسلامي الحديث والخطاب الإسلامي المعاصر هي المسافة نفسها التي تفصل بين التساؤل القديم لماذا تقدّم الآخرون وتأخر المسلمون؟ والذي لم يعد يستحكم في الإشكالية الثقافية الراهنة، وبين التساؤل الحديث لماذا لم يتقدم تقدّ المسلمون بعد؟ ويزيد هذا التساؤل الأخير إلحاحا باستحضار عاملين اثنين هما:

1-« أن المسلمين يحملون بين ظهرانيهم عامل التحضر وهو الذي أحدث الدّورة الحضارية الإسلامية الأولى التي انقضت منذ حوالي سبع قرون.

2- أن الوطن الإسلامي يعيش منذ أكثر من قرن حالة من الوعي بالتخلف والطموح إلى التحضر وهو ما تمثل في مشاريع وحركات وتوجهات إصلاحية متتالية ولكل الأمة الإسلامية لم تستجب لهذه الطموحات، فلم تحدث البداية الحضارية بل يرى البعض أنها لا تزال في خط الانحدار حيث يساءل هؤلاء ما إذا كان العرب يتقدمون بخطوات سريعة أو بطيئة إلى الأمام أم أنهم بالعكس من ذلك يغالبون بدون أمل، الخطى التي تنزلق بهم إلى الوراء»[1].

أ- صدمة اللقاء مع الغرب:

ويذهب بعض الكتاب والمفكرين إلى أن دخول الاستعمار إلى الوطن الإسلامي تكون بداية الميلاد للخطاب الإسلامي فيما يبدو أنه بداية دورة حضارية جديدة بل ويكاد يتفق هؤلاء حتى على التسمية والوصف لهذه اللحظة بالصدمة وباللقاء المؤلم..

فحين يتحدث عبد المجيد النجار عن توجهات النهضة الإسلامية يجعل نشوءها بعد «صدمة الالتقاء بين العالم الإسلامي وبين الحضارة الغربية متمثلة في الأساس بغزوة نابليون لمصر في 1789م»[2]. وحين يتناول "جمادي الرديسي" الخطاب الإسلامي حول الحداثة يستعمل مصطلح الصدمة واللقاء المؤلم بين الإسلام والغرب ويصفه بالتمزق العميق الذي أحدثته صدمة الحداثة

---

[1]-محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1994م، ص 7.

[2]-عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 436.

ويقول: «إذا كان لا بد من تاريخ ذي قيمة رمزية انبثقت فيه الحداثة في خطاب الفكر الإسلامي فإن العام 1789م عندما وصل بونابارت إلى مصر... وكان ذلك يعني بالفعل نهاية للتاريخ، أي نهاية الثقافة الإسلامية الكلاسيكية التي تدخل في أزمة مأساوية...»[1].

وحين يتناول فادي إسماعيل الحديث عن التجربة التاريخية التي تشكلت خلالها خيارات الغالب في مواجهة المغلوب أو خيارات النخبة في مواجهة الجماهير الإسلامية يتناولها من حيث لحظة الاصطدام والوعي بالغرب[2].

أما عبد الوهاب المسيري فيتبنى ذات التاريخ ليقسّم عنده بين ما يسميه بالخطاب الإسلامي القديم والخطاب الإسلامي الجديد، فالأول: ظهر مع دخول الاستعمار العالم العربي وحاول أن يقدّم استجابة إسلامية لظاهرتي التحديث والاستعمار، وقد ظل مهيمنا حتى منتصف الستينات.

والثاني ظهر بدأ هامشيا لكن معالمه بدأت تتضح تدريجيا في منتصف الستينات ويقصد به الخطاب الإسلامي الجديد، وهو ما سنعرض للتعليق عليه لاحقا.

ب- وعي التخلف مع ابن خلدون:

وفي المقابل يذهب بعض المفكرين إلى الاعتقاد بأن «قطيعة كاملة مع الأصول لم تحدث في الفكر الإسلامي الحديث إلا في دوائر محدودة جدا وأن الطرح الصحيح لهذا الفكر يكمن في القول إن الهواجس الحديثة قد ظلت مطلّة باستمرار في القطاع الكبير من تجلياته على وجوه الفكر العربي الكلاسيكية المختلفة أما أولئك الذين أداروا ظهورهم للأصول وطرحوا مفهوم النهضة العربية الحديثة على أسس مقطوعة الصلة بالأصول فليسوا من الزاوية الواقعية إلا نوابت لا يمكن اعتمادها لمنطلقات عربية شمولية»[3].

ومن ثم فإنه لا يمكن الحديث وفهم الخطاب الإسلامي الحديث وكذا المعاصر إلا إذا تم استيعاب مبادئ البدايات الثقافية العربية الإسلامية ومقوماتها وتطوراتها منذ العصور الأولى وكل

---

(1)-حمادي الرديسي، الخطاب الإسلامي حول الحداثة، الكلية المحزأة، ترجمة فؤاد شاهين، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 92-93، سنة 1998م، ص 34.

(2)-فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص 37.

(3)-فهمي جدعان، أسس التقدّم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1981م، ص 8.

محاولـــة لبتر هذا الفكر الإسلامي الحديث بالبدء من هذه الواقعة التاريخية الحديثة أو تلك لابد أن تؤول بصاحبها إلى سوء فهم وتقدير لهذا الفكر، ولذلك فإننا نجد فهمي جدعان يتحدث مدفوعا بهـــذا الاعتقاد محقا —عن أزمنة حديثة عربية إسلامية دون الكلام على "عصر حديث" قد يكون حمـــالا لكثير من سوء التقدير كما يقول —وهو ما يعني تجنب الوقوع في رديئة الرفع الراديكالي لتجذر الإنسان العربي الحديث في تاريخ ثقافي- اجتماعي ذي ماضي سحيق وذي بنى ذاتية معقدّة كـــل التعقـــيد ومتبايـــنة الوجوه والتوجهات عبر فترات لم تتسم دوما بطابع الديمومة المتجانسة والاستمرار الذي لا انقطاع فيه أو تقطعا.

ويعـــني أيضـــا أن الوطـــن الإسلامي الحديث قد تجلى فعلا في وجوه زمنية ومكانية متباينة ومتنوّعة وسمت إلى حد بعيد نمط وطبيعة المشكلات والموضوعات التي طرحت في كل زمان وفي كل مكان. وبناء على هذا التقدير فإن "فهمي جدعان" يقرّر أن الأزمنة الحديثة العربية الإسلامية «تـــبدأ مـــع ابن خلدون(1332-1406م) لا مع مدافع نابليون»[1] التي أصبحت عادة لدى الكـــثيرين في جعلها بداية اليقظة سواء في مصر أو في الوطن الإسلامي عموما من السمات العميق الذي كان يلفهما.

ويقسّـــم "جدعـــان" على ضوء ذلك المراحل الثقافية الاجتماعية التي مرّ بها تاريخ الإسلام والمسلمين أي الخطاب الإسلامي —إلى عصرنا الراهن إلى أربعة مراحل أساسية هي:

1- مرحلة التنوير الديني وبناء الحضارة.

2- مرحلة التوقف الحضاري والتوازن.

3- مرحلة اختلال التوازن والانحطاط.

4- مرحلة اليقظة والنهوض.

ويهمـــنا مـــن هذا التقسيم المرحلة الرابعة التي تبدأ من نهاية القرن الثامن الهجري حيث يضع فكـــر ابـــن خلـــدون نهاية أو حدّا لحالة الانحطاط الفكري الحضاري وذلك بفضل وعيه لواقعه الانحطـــاط وبحـــثه بحـــثا علـــميا عن الأسباب الواقعية المشخصة لها، كما مثل بداية اليقظة والنهوض بسبب هذا "الوعي" ذاته الذي أصبح الهمّ الأكبر لدى جميع المفكرّين الذين جاؤوا من بعـــده ومـــا كانـــت الواقعة الثقافية الضخمة التي رافقت احتلال الغرب للشرق والتي يسميها

[1]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 8-9.

"جدعـــان" «واقعة الاتصال بالمدنية الغربية»[1] إلا عاملا مساهما في تطوير وتنمية ذلك "الوعي" وتلـــك "الـــيقظة" وقد خلّفت حالة من التوتر الثقافي والعقلي النامي بإطراد وصراعا مازال فيه "البحث عن الذات" وتحديد الهوية الشاغل الأكبر إلى أيامنا الراهنة.

جـــ-قضية الموقف من الحضارة الغربية:

إن الانطـــلاق من واقعة الاتصال بالمدنية الغربية كتاريخ ليقظة المسلمين ليس في مصر فقط وإنمـــا في الوطـــن الإسلامي، وبالتالي ميلاد الخطاب الإسلامي الحديث يوهم القارئ بأن القضية موضـــوع التحديد تكمن في موقف هذا الأخير –الخطاب الإسلامي- مما كان يسمى بالحضارة والتحديث والعصرنة قديما واصطلح على تسميته فيما بعد بالحداثة الغربية فالقضية لا تكمن البتة في تحديد موقف الخطاب الإسلامي من الحداثة الغربية وذلك لتميزه وخصوصية وثبات موقفه من الغرب مبدئيا، وهو ما ردّ به المفكر جمال الدين عطيه[2] وأجمله في النقاط التالية:

أ- وحدة المنظومة الإسلامية وتأثيرها في ثبات الخطاب الإسلامي إزاء الغرب

فموقف الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر من الحضارة الغربية ومن الحداثة لم يتغيّر بدخول الحضـــارة الإســـلامية مرحلة الأزمة أو باحتكاكه بالعلمانية الجزئية أو الشاملة أو بإطلاعه على نظـــريات الحداثة وما بعد الحداثة. وموقف الفكر الإسلامي موقف مبدئي من هذه الوسائل كما أنـــه موقف موحدّ وما نلمسه من اختلافات على الصعيد الجزئي ناتج عن اختلاف الرؤية لمعايير الأحـــد والـــرفض، والتي هي في الأصل محل اتفاق، ونقاط الثبات في الشريعة وشروط المصلحة والضـــرورة وغيرهـــا ليست محل خلاف وإنما يكون الخلاف في تنزيل هذه الشروط على الواقع. ومن هنا كانت أهمية بلورة آليات التطبيق ونظام الأولويات وهي مسائل نابعة من داخل المنظومة الإسلامية وليست نتيجة احتكاك بنظريات الحضارة الغربية.

ب- خصوصية الخطاب الإسلامي لارتباطه بالرّسالة الإسلامية والخطاب الإلاهي فالخطاب الإســـلامي الحديث والمعاصر ليس جزء من التيار العالمي بل هو استمرار لرسالة الإسلام التي هي جـــزء من سلسلة الخطاب الإلاهي إلى البشرية عبر الرسل والأنبياء، وما يمر به هذا الخطاب من

---

[1]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص9.

[2]-وهي مداخلة على ورقة عبد الوهاب المسيري حول معالم ومشكل الخطاب الإسلامي وخاصة في تحديد بدايته من طرف المسيري بالحملة الفرنسية على مصر، أنظر موقع، Islam-Online محور دعوة ودعاة

مراحل له أسبابه الذاتية، فقد مرّ بمرحلة اعتذارية في بداية الهجمة الاستعمارية والاستشراقية الشرسة، ثم بدأ بمرحلة التثقيف الجماهيري العام، ثم دخل أخيرا في مرحلة البناء التخصّصي لمعالم الحضارة الإسلامية في مجتمع معاصر، ومازالت أمامه مرحلة الخطاب العالمي التي لم يتناولها إلا القليلون.

والخطاب الإسلامي في تجدّده في مجال المنهج –وأصول الفقه أحد أجزائه– أو فروع الفقه والعلوم الاجتماعية إنما ينطلق من تسلسل ذاتي يحرص على التأصيل وتحقق المقاصد واحترام القيم واتباع الأولويات... كلّ ذلك بمنطق إسلامي، وآليات إسلامية مؤصلة من الكتاب والسنة ومتميزة عن نظائرها في التيار العالمي.

جـ– اختلاف الخبرة الإسلامية عن الغربية في قضية ثبات النص المقدّس:

فمشكلة استعادة الثبات للنص المقدّس مشكلة غربية، حيث اهتز عندهم النص المقدّس وبدأوا يحاولون تثبيته[1]، ولكنها مشكلة غير قائمة أصلا في الفكر الإسلامي، وما المحاولات المتأخرة من بعض الشرقيين[2] من ذوي العقول الغربية[3] إلا محاولة خلق مشكلة حيث لا مشكلة، وهي

---

[1]–الرجاء العودة إلى المبحث السابق، عند الحديث عن أصول وتاريخ مصطلح الأصولية تحديدا.

[2]–يقول عبد الحليم عويس: إن إعادة قراءة النص التي تعني إنتاج النص إنتاجا يوافق فكرية القارئ واتجاهاته، بصرف النظر عن دلالات النص الحقيقية وذلك عن طريق تأويل النص تأويلا قد ينقله من اليمين إلى اليسار، ومن الإلحاد إلى الكفر، حيث يصبح النص بدلالته المعجمية وبتعبيره عن قائله وعصره... أمرا ثانويا لا قيمة له... بل أمرا مرفوضا أحيانا...!!

انظر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 14..

ويقول محمد عمارة عن هذه الإعادة للقراءة وهذا الإنتاج الجديد للنص أنه تزوير من أعجب ما عرفت الحضارات من تزوير ومصادرة للعقول والعصور في التعبير عن رؤيتها وضميرها وقهرها كي تكون معبّرة عن رؤية غيرها وضميره وضميعة غير ضميعتها دون اعتبار للمنطق والعقل والحق!!

انظر: محمد عمارة، الإسلام بين التزوير والتنوير، دار الشروق، مصر، ط1، 1995م (الخاتمة).

[3]–ومن الأسماء المعروفة في هذا الاتجاه بعد مرحلة التزوّد نذكر

* أدونيس (علي أحمد سعيد): ومن كتبه –النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت. 1990م.

الثابت والمتحول: دار العودة، بيروت، 1980م (جزئين).

* حسن حنفي (المصري) ومن كتبه في الموضوع: –جمال الدين الأفغاني، المائوية الأولى 1897-1997م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1999م.

–التراث والتجديد (كتابه الجامع للمقدمات النظرية لمشروعه في أنسنة الدين)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.

– طرائق التأويل"les méthodes d'exégèse" ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

*–علي حرب (المغربي) ومن كتبه في الموضوع: – نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1995م.

* –نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1995م.–

بدايات "الاستشراق الشرقي" بعد أن فشل الاستشراق الغربي في دسائسه وهي لا تمثل مشكلة في الفكر الإسلامي المعاصر على الإطلاق، وقد تكفّلت علوم السنة بحفظ نصوصها. وتكفلت قواعد اللّغة بتفسيرها، كما تكفلّت أصول الفقه ببيان طرق الاستنباط منها ولا توجد في الفكر الإسلامي مشكلة اسمها استعادة الثبات للنص المقدّس.

د- الخطاب الإسلامي المعاصر لم يفقد الرؤية الشاملة للإسلام في أي من مراحله التاريخية بداية من "رفاعة الطهطاوي" فيما لخصه في كتابه "تخليص الإبريز في تاريخ باريز"[1] ومحمد عبده (-، 1905م) الذي انتقد بعمق الحضارة الغربية والتي وصفها بحضارة الذهب والفضة والجنيه واللّيرة والبهرج والفخفخة التي لا علاقة لها بالإنجيل وروحانياته والتي تتميز عنها الحضارة الإسلامية بالوسطية الجامعة بين المادة والروح[2].

هـ- أسلمة الحداثة قضية حداثية ارتبطت بالخطاب الجديد وقضية "الأسلمة" جاءت متأخرة بواسطة الفصائل المتأخرة من تيار الصّحوة الإسلامية وهذا التيار بريء من الإعجاب بالحداثة الغربية.

فللخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر موقف مبدئي من الحداثة الغربية انطلاقا من وحدة المنظومة الإسلامية أساسا والتي يجتمع الجميع حول أصولها وحتى فروعها باعتبار آليات التطبيق ونظام الأولويات النابعة من ذات المنظومة، وهو جزء من سلسلة الخطاب الإلهي عبر الرسل والأنبياء منفصل عن التيار العالمي ومتميز عنه في طروحاته الغربية الغريبة عنه مضمونا ومنهجا

-*نصر حامد أبو زيد (المصري)، ومن كتبه في الموضوع:-مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان. ط2، 1995م.

-.الخطاب الديني، رؤية نقدية، دار المنتخب العربي، القاهرة، 1992م

* محمد عركون (الجزائري) ومن كتبه في الموضوع: -تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.

- الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، ليدن، 1992م.

ويبدو أن "محمد عركون" قد عاد إلى شيء من الحق بعد أن رأى سقوط مقولاته الداعية إلى لاهوت العقل وحده، انظر في: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 15.

[1]-تخليص الإبريز في تاريخ باريز هو الكتاب الأول الذي كتبه رفاعة رافع الطهطاوي وهو في باريز التي أقام بها خمس سنوات (1826-1831م) انظر الطهطاوي: الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، بيروت، 1977م.

[2]-ينظر في الموضوع: كتابه الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، طبعة القاهرة، 1993م ومحمد عبده (الأستاذ الإمام)، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق، محمد عمارة، ط، بيروت 1972م والقاهرة 1993م.

وأهدافـــا... وقد تجلى سابقا كما يتجلى حديثا عبر اهتمامات فصائل الصحوة الإسلامية المرتبطة بخصوصيات الزمان والمكان.

المطلب الثاني: توجهات الخطاب الإسلامي النهضوي:

لقد فصلنا سابقا تحديد البداية التاريخية للآراء والمشاريع التي طرحت سؤال التخلف ومن ثم محاولة الإجابة عليه ليس على مستوى التنظير فحسب وإنما على مستوى التطبيق أو العمل أيضا، ويبدو منطقيا أن المستويين يتبلوران بصفة متعاقبة ترتيبا بمستوى التنظير أولا يعقبه مستوى العمل والتطبـــيق مع ما يمكن أن يكون هناك من تداخل في المواقع بعد مرحلة الانطلاق بوقت قد يقصر أو يطـــول على اعتبار ما يتوفّر من عوامل تساعد على التطبيق وتسير به حثيثا من مرحلة التبلور والـــتطوّر إلى التخلق في جسم محدّد المعالم ليعرف فيما بعد بحدوده ومفكّريه ومجالاته التي يوجّه إليها الاهتمام هي بذاتها دون غيرها فيما يمكن تسميته بالتشخيص أو الوصفة أو الحلّ المقترح ومن ثم بأوعيته التنظيمية المتمثلة في المؤسسات التي تجسّده وتتولى تنفيذه.

وتعترض الباحث صعوبة في مسألة اعتبار تلك المشاريع التي تمثلت في الثورات والانتفاضات التي عرفها الوطن الإسلامي من قبيل المشاريع التي بحثت سؤال التخلّف ومن ثم بحث وضع حد له في هـــذه الثورات ونقصد منها مثلا ثورة "المهدي بالسودان" وثورة "السنوسي" بليبيا (1843-1859) وثـــورة "الأمـــير عـــبد القـــادر بالجزائر" وثـــورة "عبد الكريم الخـــطابي" بالمغـــرب... وفيم إذا كان يجب قصر تلك الآراء والمشاريع على الفكر الإصلاحي المباشر والمبني عـــلى الأصـــول الإسلامية كأســـاس للانطلاق أو حتى الفكر الذي شطّ في الإصلاح حتى الخـــرف عـــن هـــذه الأصول جملة وتفصيلا مثل فـــكر "طه حسين"[1] وفكـــر "علي عبـــد الـــرزاق"[2] (1888-1966م) وغيرهما.

ومـــن الجديـــر أن ننبّه أولا أننا سنعتمد في تصنيفنا لتوجّهات الخطاب الإسلامي النهضوي

---

[1]- وخاصة عن كتابه "في الشعر الجاهلي" الذي نشره في 1926م، المصادر إلى اليوم، ويدان طه حسين بسبب شططه في العقلانية وكذلك لعلمانيته وليبراليته، وقد عبر كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" الذي نشره سنة 1938م عن المرحلة التغريبية الخالصة من حياته. انظر: غالي شكري، لماذا غاب الفكر الكبير؟، مجلة القاهرة، ع 121، ديسمبر 1992م، ص 5.

[2]- عن كتابه "الإسلام وأصول الحكم" الذي صدرت طبعته الأولى عام 1925م على عهد الملك فؤاد في مصر وقد كان علي عبد الرزاق قاضيا شرعيا، وكان أزهريا، وكتابه المذكور كان سببا في محاكمته من طرف علماء الأزهر، والتي انتهت بفصله من القضاء ومصادرة كتابه الذي يظل كذلك إلى اليوم.

الحديث والمعاصر الآراء والمشاريع الإسلامية أي التي أنتجها العقل المسلم عموما ويعني هذا أننا لن نـــدرج في الحديث في هذه التوجهات الإجابات العربية المسيحية لمسألة التحلّف وهو ما اعتمده كثير من الكتاب العرب وخاصة المحدثون منهم[1] الأمر الذي يوقع البحث والباحث في إشكالية

المرجعـــية في كـــل اتجاه حين تذهب هذه الأخيرة إلى الشطط في وصف "الآخر" المسلم من مـــنطلق مسيحي الخلفية. فحين يطرح السؤال إسلاميا: كيف السبيل للدخول في العصور الحديثة وفي الوقـــت نفســـه عدم التخلّي عن الهوية الثقافية؟ تصبح المسألة إسلامية بحتة بين طرفي المعادلة مسألة وإجابة، لأن الهوية الثقافية موضوع التشبث والتمسك ليست في الواقع والحقيقة إلا الهوية الإســـلامية تحديـــدا لا غـــير، وعلـــيه فإيراد بعض الأسماء المسيحية على أنها من جسم الخطاب الإســـلامي أو تبني تحليلات لأسماء مسيحية[2] في القضية يبعد الطرح والموقف أصلا عن حقيقته والمراد منه.

وننبه ثانيا إلى أن المقصود من أصحاب الآراء والمشاريع هم من تجمع بينهم كلهم اشتراكهم في الاعـــتقاد بأن الإسلام من حيث هو دين وثقافة وحضارة ينبغي أن يقوم بدور فعّال في توجيه الحـــياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للفرد في مجتمع محدّد أو للأمة في مجمل التجمعات البشرية عـــلى الأرض مع ملاحظة أن هذا "الدور الفعال" يتفاوت أهمية وبلورة من مفكر إلى آخر أو من جماعـــة إلى أخرى فهو كما يصفه "جدعان" «شامل متفرّد لدى البعض، ومحدود مرن متساهل لـــدى الـــبعض الآخر، وهو إصلاحي معتدل عند فريق، راديكالي متشدّد لدى فريق آخر»[3]، والمهـــم أن تجارب هؤلاء وأولئك وآرائهم تدخل في صميم الفعاليات الإسلامية، وتقدّم إسهاما قويا مستلهما من الدور الذي اعتقدوا أن الإسلام مدعو لأن يحتله في قضية النهضة للإجابة بالتالي عن سؤال التخلف.

---

[1]- من هؤلاء محمد عابد الجابري في كتابه "الخطاب العربي المعاصر" مثلا حيث يتحدث في فصله الأول: الخطاب النهضوي، وتحديدا عن الأصالة والمعاصرة في مقابلة غير مبرّرة بين العقل السلفي -المسلم- والعقل الليبرالي المسيحي المثل في سلامة موسى. وغيره سواء عند التوصيف أو عند الحكم... انظر الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، م1994، الفصل الأول

[2]-المقصود منهم خاصة مسيحي مصر من الأقباط أو مسيحي لبنان، ونذكر منهم لويس عوض، فيليب حتي، سلامة موسى، فرح أنطون، شبلي شميّل. لطفي السيد، جابر عصفور...الخ.

[3]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 10.

ويمكّننا عرض الآراء والحركات الإصلاحية التي هدفت إلى النهوض الحضاري بالمسلمين منذ أواسط القرن التاسع عشر من رصد أربعة توجهات نهضوية أساسية تقوم على محور واحد ولكنها تتداخل من حيث الزمن كما تتداخل من حيث القائلين بها وسنبني هذا التصنيف على إبانة الجوهر العام لكل توجه ثم نسبته إلى القائلين به ثم بيان ظروفه والدوافع إليه وأخيرا بيان طرق تحقيقه ونسبته.

أ-خطاب التقليد والاتباع:

يمكن وصفه بخطاب ما بعد الصّدمة التي أسفرت عن انهزام المسلمين أمام الأوروبيين بعد غزو نابليون لمصر، واحتلال الجزائر... والذي تلاه انهزام نفسي تمثل في الانبهار بمنجزات التحضر الغربي التي وقع بها الانتصار أو اعتقد أنه كان كذلك.

وتقوم الآراء في هذا الخطاب على أن النهضة الحضارية الإسلامية محكومة بشرط أساسي هو اتباع الطرق والوسائل المادية والتنظيمية والإدارية التي تقوم عليها الحضارة الغربية، فلن يتم قيام حضارة للمسلمين إلا باهتدائهم إلى هذه الطرق والتنظيمات التي تقف وراء التحضر الغربي.

وأهم المنظرين لهذا الخطاب رفاعة "الطهطاوي المصري"، و"خير الدين التونسي" (1822-1889م)[1] وقد ظهر هذا التوجه منذ أواسط القرن 19 الميلادي.

ويختلف مستوى التقليد من منظر إلى آخر فهو من الإغراق عند الطهطاوي الذي دعا إلى الأخذ بالتنظيم الأوروبي في غفلة عن حذوره الثقافية المخالفة للثقافة الإسلامية بل وأتباع أحيانا اتباع نظم ثقافية غربية تتناقض بصفة مباشرة تعاليم الإسلام (مثل آرائه في الاختلاط والرقص)[2]. وأيضا علمانيته وغلوه في تمجيد العقل والعلم وجعلهما مرادفان للمدنية والتقدم والقوة دون النظر

---

[1]-أصله شركسي وولد بجبال القوقاز 1822م وقع أسيرا في إحدى الوقائع العثمانية ضد روسيا فاشتراه مبعوث أحمد باي (باي تونس وقدم به على تونس ليربى في قصر الباي وكان عمره 17 سنة) انخرط في الخيالة في 1840م وترقى في رتبها حتى أصبح أمير لوائها، تقلب في المناصب العليا للدّولة في تونس، فعيّن وزيرا للبحر، وترأس المجلس الأكبر (البرلمان)، واختير سفير لتونس في مهمات دبلوماسية إلى الخارج وترأس ما عرف بالكوميسيون (لجنة شرح قواعد عهد الأمان) كما عين للوزارة الكبرى 1873-1877م)، وبعدها رحل إلى الأستانة وعينه السلطان العثماني صدرا أعظم للدولة العثمانية 1878-1879 م) وله مؤلف أساسي هو: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) وكتابات بالفرنسية جمعت في مذكرات. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام،

[2]-عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 436.

إلى السياق التاريخي –الحضاري والتي كان لها كما يقول "فادي إسماعيل" «وظيفة غير بريئة وشكلت عناصر اختراق متقدّمة خلقت فجوات داخل بنيان الدولة والمجتمع العثماني – الإسلامي– وشكلت رأس جسر لتعبر عليه سياسات الغرب لاحقا»[1].

في حين نجد أن "خير الدين التونسي" كان أكثر وعيا في توجهه الاتباعي للغرب، حيث دعا إلى عرض كل ما يراد اتباعه من النظم والوسائل على قانون الشريعة الإسلامية.

ويلاحظ أن الحركة الإصلاحية التي قادها "جمال الدين الأفغاني" وامتدت عبر" محمد عبده" و"رشيد رضا" بعده فإنها وإن دعت إلى شيء من الاقتباس من وسائل التحضر الغربي إلا أنها لم تجعل من الإتباع محورا أساسيا للنهضة.

ويمكن استنتاج أن توجه "الطهطاوي" قد تطوّر إلى مغالاة "طه حسين" ومن على منهجه[2] وأن توجه "خير الدين التونسي" قد تطوّر إلى اعتدال "الأفغاني" ومن على منهجه.

والذي يجب التأكيد عليه بالنسبة لهذا الخطاب هو انه لم يبق حبيس النظر شأن الخطابات والتوجهات الأخرى بل إنه شهد طريقا إلى الإنجاز والتنفيذ بما توفر له من سلطان سياسي حيث طبقت أفكار "الطهطاوي" في إصلاحات "محمد علي باشا" ووفرت لمشروع هذا الأخير كل المسوغات الفقهية والدفاع عن سياسات السلطة وطبقت أفكار "خير الدين التونسي" في مشروعه الإصلاحي الذي استوزر من أجل تطبيقه في تونس قبل الاحتلال.

وفي كلا المشروعين وقعت الاستعانة بالخبراء الأجانب وأسست المدارس الحربية والمدنية على النمط الغربي كما أسست المصانع الحربية والمدنية على النمط الغربي أيضا وأخذت بعض النظم الإدارية[3]. ولكن التنفيذ لم يبلغ مداه الكامل الذي تظهر به نتيجته القطعية بما طم البلاد الإسلامية من المد الاستعماري أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

---

[1]–فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص 90.

[2]–فكر طه حسين ومن على منهجه كان دعوة إلى الإغراق في الإتباع كما هو مسجل في كتابه مستقبل الثقافة في مصر، ومن ثم لا نعتبره فكرا نهضويا من منطلق إسلامي..

[3]–حين تولى «خير الدين التونسي» الوزارة الكبرى في الفترة ما بين 1873-1877م كانت له إنجازات هامة أبرزها: تنظيم الوزارات والإدارات، تنظيم القضاء، تنظيم الفلاحة والتجارة والاقتصاد، تنظيم الأداءات، تنظيم الأحباس، وتنظيم التعليم... أنظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، ط3، 1969م.

ب- خطاب الوحدة والتحرّر:

وتقـــوم الآراء هي هذا الخطاب على أن السبب الأصلي في تخلف المسلمين يكمن فيما نشأ بيـــنهم من فرقة سياسية وفكرية ومذهبية، وما نتج عن ذلك من تكبيل للإرادة وللفكر بضروب الاستبداد والظلم وأصناف الجمود والتقليد وبناءًا على ذلك فإن الطريق إلى النهوض الحضاري لا يكـــون إلا بوحـــدة الأمة وحدة سياسية وفكرية على أساس من التحرر السياسي من الاستبداد الخـــارجي والداخلي، والتحرر الفكري من الجمود بالانطلاق في الاجتهاد، وقد كان الربط بين التوحـــيد والـــتحرّر قائمـــا بوضوح عند أغلب المنظرين لهذا التوجه وذلك باعتبار التلازم بين الاســـتبداد وبين الفرقة وبإفضاء أحدهما إلى الآخر في الاتجاهين سواء على المستوى السياسي أو الفكري.

وفـــيم يعتـــبر البعض أن الوحدة والتحرر من أسباب النهضة فإن البعض الآخر قد جعلوهما المحـــور والأساس له. وأهم هؤلاء "جمال الدين الأفغاني" (1838-1897م) الذي يلخص مشروعه في "الجامعـــة الإســـلامية"[1] وأهـــم من يمثل هذا الاتجاه تركيز على التحرير السياسي ومقاومة الاستبداد وإحياء الشورى والأمن الفردي عبد الرحمن الكواكبي (1848-1902م) وعبد الله نديم (1845-1896م) كمـــا بدا في كتابيهما "طبائع الاستبداد"[2]. "وسلافة النديم"[3] وأن أهم من يمـــثله تركـــيزا على التحرر الفكري من الجمود والتقليد وتوحيد الأمة على الصعيد المذهبي العام الإمـــام "محمـــد عـــبده" (1849-1905م) و"شكيب أرسلان" (1869-1946م) و"عبد العزيز الـــثعالبي" و"عـــبد الحميد بن باديس" (1889-1940م)، و"محمد الطاهر بن عاشور" (1879-1970م) وغيرهم...

وقد استمر هذا الخطاب في البروز بعد هؤلاء بحسب ما يتاح له من الظروف حتى أنه لا تكاد تخلو منه دعوة إصلاحية نهضوية بل وتكاد بعض من الحركات الإسلامية أن تجعل من الدعوة على

---

[1]-انظر: نصر الدين عبد الحميد نصر، الدراسة حول فكرة الجامعة الإسلامية والمؤيدين والمعارضين لها بدءًا من تطوّر الفكرة في مصر خلال القرن 19 الميلادي بريادة السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده حيث تلازما في إصدار جريدة "العروة الوثقى" التي كانت الصوت المسموع في تلك الفترة لهذه الدعوة، وعلاقة حركات الإصلاح الإسلامي بفكرة الجامعة الإسلامية من عام 1882 إلى عام 1914م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، 1984م.

[2]-عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقويم أسعد السمرائي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1976م.

[3]-عبد الله النديم، سلافة النديم، المطبعة الجامعية، القاهرة، 1951م.

الوحدة والتحرّر أولى اهتماماتها سواء على المستوى التربوي الخاص أو على مستوى الخطاب العام

وقد كانت ظروف الاستبداد السياسي المتمثل في السيطرة الاستعمارية وفي الانفراد بالحكم في الدّولة العثمانية دافعا قويا لنشوء وتطور هذا الخطاب بضاف إلى ذلك واقع التشتت في كلمة المسلمين أواخر القرن التاسع عشر الميلادي والذي استفحل بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924م كما يضاف إليه أيضا واقع التجزئة الفكرية كما كان حاضرا على صعيد الأفكار المبثوثة بقوة ضمن الخطابات الأخرى.

أما عن كيفيات إنجاز وتنفيذ هذا الخطاب فسيكون عن طريق النضال السياسي مائلا نحو الثورة عند الأفغاني ومائلا نحو اللّين والتدرج كما هو عند "الكواكبي" وهذا على صعيد التحرّر السّياسي، أما على صعيد التحرر والوحدة الفكرية فسيكون بفتح باب الاجتهاد والدعوة إليه وبالاستفادة من إنجازات الحضارة الغربية كما عند الإمام "محمد عبده" و"محمد رشيد رضا" لكن هذا الخطاب لم يتوفر له سلطان سياسي ينفذ به ولذلك فقد بقي دعوة إلى النهضة من خلال نضال فكري كان له بعض الآثار في الواقع ولم يحقق المدى الذي تصوّره له أصحابه في الواقع.

جـ- خطاب التعبئة الإيمانية:

تقوم الآراء في هذا الخطاب على أن السبب الأساسي في تخلف المسلمين هو سبب إيماني يتمثل في الابتعاد عن الدين -الإسلام- انحرافا في التصوّر وضعف في اليقين وتنطعا في السلوك بحيث لم يعد المسلم يصدر في حياته الفكرية والسلوكية عن توجه كامل نحو الله وابتغاء مرضاته، وبناء على ذلك فإن الطريق الأساسي إلى النهضة الحضارية هو عودة المسلم إلى الانخراط بكل وجوده انخراطا كليا في الإيمان الكامل والتوجه إلى الله تعالى عن وعي في كل ما يفكر وما يعمل وبتعبير آخر إن هذا الخطاب يجعل المنطلق إلى النهضة هو تعبئة النفوس بالإيمان.

ولم يكن البعد الإيماني غائبا في الخطابات الأخرى إلا أن هذا الخطاب قد جعله المنطلق الأساسي والمبدئي للنهضة وأعطاه امتداد شاملا في أفراد الأمة وشاملا في تصرف المسلم.

وأهم من يندرج تحت هذا الخطاب "حركة الإخوان المسلمين" في مصر، وفي امتداداتها المختلفة، وعبر تنظيرات روّادها، الإمام حسن البنا (1906-1949م)، والشهيد سيد قطب (1906-1966م) ويضاف إليها الحركة الإسلامية الشيعية في إيران كما نظّر لها الإمام آية الله

الخميني (1902 -1989م)[1] وباقر الصدر وغيرهما.

وأمـــا عن ظروف نشوء هذا الخطاب فتعود إلى أجواء فشل خطاب التقليد والإتباع، وكذا خيـــبة خطاب التحرر والوحدة أوائل القرن العشرين وشهد ما يشبه الانجراف من نطاق الدائرة الإسلامية إلى نطاق الدائرة الثقافية الغربية كمنطلق للتحضر الإسلامي فكان انبعاث هذا الخطاب كرد فعل تأصيلي على التوجه الاتباعي التقليدي عموما حيث تنادى الجميع بأنه لا ينقذ الأمة من التخلف إلا هزّة إيمانية شاملة وعميقة تشبه الهزة التي أحدثت الدورة الحضارية الأولى، وقد بلغت هذه الرؤية ذروة تنظيرها عند سيد قطب في المعالم وفي أقواله عن الجاهلية المعاصرة[2].

وأمـــا عـــن ســـبل إنجاز وتنفيذ هذا الخطاب في الواقع الإسلامي فسيكون عن طريق التربية الشـــاملة ولذلك استحدثت لهذا التنفيذ الأوعية التنظيمية الحركية التي تمكنت من تحقيق آثار بالغة في التعبـــئة الإيمانية إلا أنه لم يتمكن من السلطان السّياسي سوى ما تحقق في إيران والتي لم تظهر نتائجه واضحة بعد...

د- خطاب التصحيح المنهجي للفكر الإسلامي:

تقوم الآراء في هذا الخطاب على أن السبب الأصلي في تخلف المسلمين هو الانحراف في الفكر أي في منهجـــية الـــتفكير فتعامل العقل المسلم مع الكون والحياة وطرقه في الفهم والمعرفة أصابها الخلل فأصبح عقلا غير منتج وأصبح بالتالي لا يلبي أغراض الحياة الإسلامية ومن ثم كان التخلف والاستمرار فيه وبناءً على ذلك فإن النهوض الحضاري لا يتم إلا بتصحيح منهجي للفكر الإسلامي.

وهـــذا الخطاب وإن كان ملحظا مهما عند بعض المفكرّين الإسلاميين من مختلف التوجهات الإصـــلاحية الأخـــرى إلا أن التركيز على التصحيح الفكري في بعده المنهجي[3] كعامل أساسي

---

[1]-يرجى الإطلاع على مشروع الإمام الخميني، الرجوع إلى: عادل رؤوف، الإمام الخميني، الخطاب، الدّولة، الوعي، قراءة في مقومات مشروعه الثوري الإسلامي، المركز العراقي للإعلام والدّراسات، سوريا، ط1، 2001م (خاصة في الفصل الثاني، الثالث، السابع).

[2]-أنظر: سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1983م، ص 63 وما بعدها.

[3]-ظهرت عديد المؤلفات ضمن هذا التوجه ببحثه والتنبيه إليه والدعوة إلى بذل المجهود في الاهتمام به على يد بعض المفكرين الإسلاميين منهم مثلا كتب عبد المجيد النجار وخاصة منها: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان ط 1، 1992م، في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية، تنزيلا على الواقع الراهن، دار الزيتونة للطباعة والنشر، المغرب، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1994م وأيضا للمفكر محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، المرجع السابق.

للنهضة الحضارية لم يظهر في توجه عام إلا في فترة متأخرة بالنسبة للتوجهات الأخرى.

وأبرز من يندرج في هذا الخطاب هو مالك بن نبي كما تبينه كتبه: شروط النهضة، ومشكلة الثقافة[1]، ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي[2] بالإضافة إلى قادة المعهد العالمي للفكر الإسلامي[3] في مجمل أدبياته وكتابات القائمين عليه والمتعاونين معه أمثال "الشيخ محمد الغزالي" -رحمه الله- "الشيخ محمد الطاهر بن عاشور" و كذا "الشيخ يوسف القرضاوي" و"الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي" والأستاذ "حسن الترابي"، ونضيف أيضا المفكر الهندي "وحيد الدين خان" خاصة في كتابه قضية البعث الإسلامي[4].

أما نشوء هذا الخطاب فقد ظهر تصويبا و تكميلا لخطاب التعبئة الإيمانية من حيث الحاجة إلى تفصيلات عملية في مشروع النهضة والتي لا تتم إلا بمنهجية فكرية راشدة فهما وتخطيطا وبرمجة، وقد عمق هذا الخطاب ما سبق التفطن إليه من أهمية المنهجية الفكرية في التحضر الغربي وإنجازاته، ولهذا السبب نجد أكثر من ينظر لهذا التوجه هم من الذين لهم فهم عميق للثقافة والحضارة الغربية.

وعن سبيل إنجاز هذا الخطاب فسيكون عن التربية بالمعنى الموسّع وذلك عبر حركة التأليف والنشر وعبر المؤسسات التعليمية والأكاديمية ويقدّم المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن كنموذجي رائد في هذا المجال حيث حدّد مهامه في:

1- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.

2- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية من خلال جهود إسلامية

---

(1) - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، ط1، 1959م.

(2) -مالك بن نبي، صراع الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر، دمشق، 1985م.

(3) -المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشأت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن 15 هـ (1401هـ-1989م) وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية والإسلامية والغربية وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

(4) -وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، ترجمة محسن عثمان الندوي، مراجعة عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1984م.

العلوم الإنسانية والاجتماعية ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.

3- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياتها.

قد أطلق المعهد العالمي للفكر الإسلامي مشروع وفكرة إسلامية المعرفة منذ تأسيسه في 1981م وكذا المجلة التي تحمل هذا العنوان والذي تريد منه طورا جديدا في مسيرة الإصلاح الفكري والمنهجي وذلك عن طريق:

أ- إعادة صياغة المعرفة الإنسانية وفق الرؤية الكونية التوحيدية من خلال الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون.

ب- الإصلاح المنهجي للفكر الإسلامي وإعطاء الاجتهاد مفهومه الشامل باعتباره يمثل التفاعل المستمر لعقل الإنسان المسلم مع الوحي الإلهي سعيا لتحقيق مقاصده وأحكامه وتوجهاته فكرا وسلوكا ونظما ومؤسسات في إطار الأوضاع الاجتماعية والتاريخية المتغيرة.

حـ- العمل لتطوير البديل المعرفي الإسلامي في العلوم الإنسانية والاجتماعية على أساس من التمثل المنهجي للرؤية الكونية التوحيدية والقيم الأساسية والمقاصد العليا للإسلام من ناحية، والتمثل العلمي النقدي لمعطيات الخبرة العلمية والعملية الإنسانية في عمومها وشمولها من ناحية أخرى.

د- تحرير الإنجاز العلمي والمعرفي الإنساني من الإيحاءات الفلسفية الدهرية التي ألبستها إياه المدارس الفكرية الكبرى للعقل[1].

المطلب الثالث: الجوامع المشتركة للخطاب النهضوي الإسلامي

ولا يقصد من هذا التصنيف عزلة كل خطاب عن الآخر تحديدا وطرحا وانشغالا وشخصيات وإنما تكمن الغاية منه في عملية توصيف لأهم ما ميز الساحة الإسلامية من توجهات على مدى أكثر من قرن من الزمن، مع التأكيد على تداخل الطروحات ووجهات النظر، ليس على مستوى إنجاز مشاريع التغيير فقط وإنما على مستوى الفكر الإسلامي الفرد الذي تتقاسم

---

[1]-عرفان عبد الحميد فتاح، إسلامية المعرفة ومنهجية التثاقف مع الغرب، مجلة إسلامية المعرفة، س2، ع5، صفر 1417 هـ/يوليه 1996م، ص ص 8-32. وكذلك مجلة التجديد، السنة الأولى، ع1، يناير 1997م/رمضان 1417م، ص 14.

طـــرحه مع المفكرين الآخرين في أكثر من زاوية على اعتبار الوعي والنضج والمراجعة وأيضا على اعتبار انشغالات المرحلة وتوجهاتها العامة وضغوط الساحة الإسلامية المحلية والإقليمية ثم التدخل الأجنبي المستمر على مختلف المستويات وإن كان في المحصّلة هو التوجه العام لكل خطاب بمنظريه مرحلة زمنية معينة إلا ما كان منه في التصنيف الأخير –توجه التصحيح المنهجي الفكري- الذي نجده جليا عبر الدراسات والندوات والمؤتمرات منذ نهاية الثمانينات من القرن المنصرم فيما تنادت به فصائل الصحوة الإسلامية على أكثر من صعيد وفيما يبدو فيه المراجعة العامة لنتائج التوجهات الســـابقة والتنبـــيه إلى ضـــرورة الاهتمام بمنهجية التفكير الإسلامي نفسه من حيث التعامل مع طـــروحات وإنجازات الغرب والمواقف إزاءها وذلك على مستوى الحركة الإسلامية داخل الدّول الإســـلامية نفســـها، ولكن خاصة على مستوى الحركة الإسلامية التي عاشت ولا تزال –تعيش خـــارج الوطن الإسلامي وتحديدا في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ويمكننا أن نركز على الجوامع المشتركة بين توجهات الخطاب النهضوي الإسلامي على ما يلي:

1- الخطاب النهضوي الإسلامي والوعي بالأزمة:

منذ أن وضع فكر "ابن خلدون" نهاية أو حدًّا لحالة الانحطاط الفكري الحضاري وذلك بفضل وعـــيه لواقعة الانحطاط وبحثه له وتشخيصه لأسبابه، أصبح الوعي بالانحطاط أو الوعي بالتخلف وتشخيصه همّ كل من جاؤوا بعده كما أصبح في المقابل سؤال النهضة الهاجس الذي كان يتكرر عـــبر كل المفكرين والذين كانوا يجتهدون في صياغته كل حسب واقعه ومعطيات مرحلته، فقد صـــاغه "شكيب أرسلان" في لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم؟[1]. وصاغه "مالك بن نبي" في كيف نعد منتوجات الحضارة؟[2] أو كيف نصنع الحضارة؟! وصاغه "يوسف القرضاوي" في أين الخلل[3]؟! وصاغه "الجابري" لماذا لم نتقدم بعد؟![4]...الخ وقد أصبح السؤال ضاغطا وأصبحت ضرورة التحديث ملحة مع الزمن ليس بسبب خيبات الأمل في عدم مرور الخطاب إلى التطبيق إلا فـــيما ندر، وتعب المجتمع الإسلامي من وعود النهضة فقط وليس سبب اليأس من تحقيق النهضة وإنمـــا يعود ذلك لإيمان المفكر الإسلامي بالتقدم والنهضة بمفهومها الإسلامي، -لا الغربي- من

---

[1]-شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط3، 1358هـ.

[2]-مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص40.

[3]-يوسف القرضاوي، أين الخلل، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2، 1986م.

[4]-محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص8.

جهة وإيمانه بضرورة المراجعة المستمرة وإعادة صياغة الأولويات في الأسباب التي يبدو أن الاهتمام بها لم يكن في المستوى المطلوب.

ويستعير "الرديسي"، الباحث المغربي من الفلسفة الغربية للتعبير عن هذه الحركية الفكرية بين النكوص والاندفاع للبحث عن سبل النهضة المتجددة في الخطاب الإسلامي وتحديدا على مستوى المصطلح فيما يصفه بانطولوجيا الانخطاط وضرورة الانعتاق محلّلا ذلك بتموقع الخطاب الإسلامي في نقطة الاختيار بين هشاشة الحال الراهنة التي لا يكون بإمكان الفكر أن يعطي إلا وفق النمط السببي الضعيف في الحاضر أو لم يعد يملك مسالك تهدف إلى التغيير وبين النظرية النقدية[1] وتتمثل في مختلف المحاولات التي تتغيّا النهوض نقدا للواقع وتشخيصا للخلل واقتراحا لحل أو حلول وهما الخطان اللذان حركا ويحركان التاريخ الثقافي للوطن الإسلامي خلال أكثر من قرن يقول "الرديسي" أنه قد جرى التعبير عنها عبر ثلاث حقبات هي النهضة والثورة واليقظة الإسلامية[2] بهذا الترتيب-على خلاف في التحليل مع "الجابري" ليس في مراحل التعبير فقط وإنما حتى على مستوى المصطلح نفسه على الأقل كما طرح ويطرح إسلاميا كما سنرى لاحقا.

وهذا الوعي بالتأخر كما يسميه "العروي"[3] أو الحس بالتأزم كما يصفه "طه جابر العلواني"[4] قد رافق طروحات الخطاب النهضوي الإسلامي دوما وذلك منذ لحظة اليقظة والتي ساهم في تبلورها وتعميق الإحساس بها العامل الخارجي المتمثل في الاحتلال الغربي والمنجزات الغربية المعبرة عن محتوى التقدم والحضارة كما كان قد تم عرضه من طرف المحتل على أنه سبب لذلك.

وكان الوعي الإسلامي بالانخطاط يتعمق مع الواقع الإسلامي، فكلما ارتفع الإحساس بالتخلف والرفض للواقع المعيش كلما ازداد ضغط السؤال والبحث عن المخرج كلما زاد أيضا مستوى الطموح النهضوي لدى المسلمين وقد عبر عن ذلك "العلواني" في الواقع الراهن حين قال «فما اتفقت كلمة مثقفي الأمة في عصرنا على شيء مثل اتفاقها على أن الأمة في سائر شعوبها

---

[1]-حمادي الرديسي، المرجع السابق، ص 37.

[2]-المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]-عبد الله العروي، المرجع السابق ص 22.

[4]-طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظام الخطاب الإسلامي في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص 31.

وفي مقدّمتها الشعب العربي تعيش أزمة فكرية تتمثل في شكل غياب ثقافي وتخلف علمي وكسوف حضـــاري وتتجســـد في عجز الحضور الفكري المعاصر عن إيصال مضمون الخطاب الإسلامي السليم ومحتواه قرآنا وسنة وشريعة وأخلاقا وإن اختلفوا في تحديد الأسباب ووسائل العلاج»[1].

وقد صبغ هذا الشعور المطرد الخطاب الإسلامي بخصائص وميزات لازمته في مختلف مراحله وحتى الآن من حيث هو:

أ- خطـــاب غائي، محمّل بفكرة النهضة بمعنى التحديد وليس بمعنى العصر التاريخي كما هو الحال في الغرب وهو خطاب مدفوع بالإيمان بالتقدم.

ب- خطاب مبرمج: بمعنى أن محاولات النهضة تتعمق غالبا بطروحات إيجابية لهذه الغاية أو تلك بحيث إننا لا نخطئ إذا نعتناه بالخطاب التأريخي.

ج- خطـــاب مسهب[2]، مكرر يبتغي التقدم والنهضة ويجعل نصب عينيه البحث عن سبل ذلك في محـــاولات تتعاقب على الإجابة تباعا على السؤال نفسه هذا السؤال الذي تعاد صياغته كل مرة بطريقة خاصة أو بمنظور خاص.

فمـــنذ أواخـــر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الميلاديين ميز الخطاب الإسلامي الطابع الدفاعي والسجالي التسويغي (أو الاعتذاري) ولم يكن ذلك كسمة جوهرية فيه وإنما كان إخـــراجا عرضـــيا اضطر رموزه لبلورته في تلك الصورة تبعا لإمكانيات الواقع والحاجات المقننة للدفـــاع عـــن الهوية[3] فمن "محمد عبده" إلى "رشيد رضا" وامتداد إلى "مصطفى السباعي" عبر الخطـــاب الإسلامي عن عمق الأزمة وهول صدمة الاحتلال من جهة والانبهار بمنجزات الغرب الحاضر وجها لوجه على أرض الواقع الإسلامي ثم ما فتئ بعدما خفقت حالة الانبهار أن ظهرت مؤشرات بداية الاستيعاب لتلك الصدمة وبالتالي بداية التعامل معها بمرونة وواقعية

وقـــد تطاول الزمن لهذا النوع من الخطاب الدفاعي التسويغي حتى منتصف السبعينيات من القرن المنصرم وبدا أنه نجح في أداء وظيفته في تأكيد الذات الإسلامية ومواجهة محاولات الطمس

---

[1]-طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظام الخطاب الإسلامي في الفكر الإسلامي المعاصر، المرجع السابق، ص31.

[2]-حمادي الرديسي، المرجع السابق، ص 37.

[3]-حسن جابر، المرجع السابق، ص 33.

العربـــية المتصلة فضلا عن مواجهة حالات الانصياع الحضاري التي أصيبت بها كتل من المثقفين والمفكـــرين داخـــل الجبهة العربية الإسلامية نفسها تلك الحالات التي يصفها "الطيب برغوث" بالأورام المفاهمية والشذوذات المركبة" ويصف أصحابها بالمصابة في علاقاتها بماضي الأمة الإسلامية وحاضـــر الأمم الغربية والتي يصعب عليها التفطن إلى هذا الاستلاب المتعاكس لأنه أصبح يشكل قناعات نفسية وفكرية وسلوكية لديها[1].

و يصـــفها المودودي بالاضطراب الفكري العجيب الذي كانت نتيجته أن تزعزعت جذور العقـــائد الإسلامية في قلوب كثير من أبناء المسلمين الذين سافروا إلى أوروبا أو تتلمذوا على يد مفكريها مما أورث عندهم التنكر لتلك العقائد بل والاشمئزاز منها وأوقع الكثير منهم فريسة لردة فكـــرية وحضارية[2] وذهب "سيد قطب" بوصفها بجاهلية القرن العشرين[3] ولئن تمكنت مواقف الخطـــاب الإسلامي وكتاباته من حماية المجتمع من الذوبان وبناء سياج منع عموم الردة الحضارية والفكـــرية وأبقى جذوة الدفاع حيتا في قلوب الأمة إلا أنه مع نهاية السبعينيات قد بدت عليها علامات التقادم والقصور والشيخوخة وفقدت قوتها في التأثير حيث لم تعد صالحة لمخاطبة أجيال الحـــركة الإســـلامية الـــتي تخطت مرحلة الدفاع التسويغي ومن ثم عجزت عن انتزاع المقبولية والصـــلاحية لـــدى قطاعات كبيرة و لم يعد الخطاب الدفاعي يشفي تشوفها لتغيير الأوضاع التي مازالت معطيات الواقع فيها تشير إلى تجذر الأزمة وتفرع مجالاتها بل وتنكر أبناء الأمة ومللهم من وعـــود النهضـــة التي لم تتحقق بعد والتي لا يبد و أن تحقيقها قريب أو مقدور عليه ومن ثم بقي الخطاب الإسلامي مادة ثقافية يتم تداولها بلا روح قياسا بالحماس الذي شحن به بدايات القرن.

وقد جاءت الثورة الإيرانية في إطار مؤسسات الدولة التي انبثقت عنها بعد الثمانينات لتفرض مـــنطقها الخـــاص ولـــتداهم ثوابت الخطاب الإسلامي القديم[4] وهو ما استدعى إعادة النظر في الأهـــداف من جديد على أن هذه المراجعة لا تزال تدور في أروقة الجامعات وبعض المراكز وعلى منابر مؤتمرات النخبة والصفوة كطبيعة أي نشأة جديدة حيث لم تنتشر بعد في جسم الأمة وعبر جماهيرهـــا لتصبح تيارا عاما تتخلق له الملامح والحدود المميزة مما يجعله يراوح المثالية والبعد عن

---

[1]-الطيب برغوث، المرجع السابق، ص 5.

[2]-أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ص 10.

[3]-سيد قطب، المرجع السابق، ص 88-89.

[4]-حسن حابر، المرجع السابق، ص 33

الواقعـــية بشـــهادة كثير من المحللين ويعود ضغط سؤال النهضة من جديد بناء على زيادة ضغط الرفض للواقع المتردي للمسلمين من جديد أيضا.

وفي تشـــيرية مـــتفائلة تتبنى مقاربة للواقع الإسلامي يصف الباحث "حسن جابر" الخطاب الإســـلامي الراهن بالتقارب الكبير في الرؤية والتصورات بين قياداته الفكرية والسياسية في الوطن الإســـلامي ذلـــك عـــلى الرغم من اختلاف التجربة والخلفية والمذهبية فضلا عن المناخ الثقافي والـــتربوي الأمـــر الـــذي يؤكد -كما يقول- علمية ما بدأوا يتفقون عليه دون أن تجري بينهم حوارات مباشرة أو محاولات تقريب لوجهات النظر مما يستشرف له تأسيس تيار إسلامي عالمي يحمـــل الهموم والتصورات والتطلعات عينها وهي مرحلة لم يسبق للعالم الإسلامي أن زخر بمثلها منذ قرون مديدة[1].

2- النهضة في الخطاب الإسلامي بين المشروع والممنوع:

إن الإجابـــة على سؤال التخلف قد جرى التعبير عنه عند الباحث المغربي "حمادي الرديسي" عبر ثلاث فترات أو حقبات وبهذا الترتيب: النهضة الثورة اليقظة الإسلامية[2].

والسؤال الذي يمكن طرحه هل ذلك يعني أن المرور إلى فترة الثورة مثلا كان بعد أن تحققت النهضـــة مشروعا وإنجازا والمرور إلى فترة اليقظة الإسلامية كان هو أيضا بعد أن حققت الثورة أهدافهـــا المعلنة على الأقل وهو ما يوحي به طرح "الرديسي" ؟، لكن هذا الأخير لم يدع تحقيق شـــيء مـــن ذلك بل أكد بأن النهضة لم تتحقق وبالعكس اتسعت الهوة بين فترة الوعي بالتأخر والممارسة أكثر من ذي قبل وتعب الفكر العربي الإسلامي من وعود النهضة مما أدى إلى تحوله إلى فكـــر سياسي أكثر عدوانية يقترح الثورة كخطوة حاسمة لتحقيق النهضة[3] وكان الأمر نفسه لما قبل النهضة الإسلامية حسبه والتي تمتد إلى أواخر السبعينيات من القرن الماضي فإنها زادت في فترة الحلم بتحقيق النهضة غير المحققة والتي لم تحققها الثورة أيضا .

أما بالنسبة للحقبة الثالثة للوعي المأسوي الإسلامي، والتي يسميها الباحث باليقظة الإسلامية فإنها كانت مشروع مزدوج الأهداف فقد حمل في الوقت نفسه مسؤلية المشروع الذي دشنته فترة

---

[1]-حسن جابر، المرجع السابق، ص 34.

[2]-حمادي الرديسي، المرجع السابق، ص 39.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

عصـــر النهضـــة على المستوى الثقافي وأيضا على المستوى السياسي وقد تمثل فيما سمي بالإسلام الجذري والهجومي والثوري وبالتالي الدعوة الملحة إلى تطبيق الإسلام بمعاييره الأصلية.

وحـــتى هـــذه الحقبة لم يتم تحقيق أهداف لا النهضة ولا الثورة وينحصر النجاح فحسب في ناحيتين:

1 - إعـــادة تنشيط مثل النهضة وإدخال الحركة الإسلامية في مشروع القرن التاسع عشر من جهة إشكالية الانخطاط وروح الإصلاح وإرادة القوة..

2- إعـــادة تنشيط الإرث الفقهي الحقوقي الكلاسيكي التي ستخرج منه الحركة الإسلامية مقولات الفكر وبراهينها الأساسية[1].

ويـــبقى السؤال ملحا عن سبب استخدام مصطلحات النهضة والثورة واليقظة الإسلامية بهذا الترتيب والتحقيب رغم أن أيا منها لم يتحقق واقعا و لم يحقق أهدافه لتبقى إرادة التحدّد والتحصن حاضـــرتان في الفكر ومن ثم في الخطاب الإسلامي الذي يحمل لهذه الأسباب صفة التوتر الدائم والذي لم يهدأ بعد كما يقول الباحث نفسه وكثير ممن تصدوا لهذا الموضوع

ويذهـــب "الجابري" إلى أن مشروع النهضة لم يكتمل بعد حتى على مستوى التصور الذهني في الفكـــر والخطـــاب الإســـلامي ودليله أن ورود هذا المصطلح وغيره لوصفه حسب الظروف والأحوال فهو تارة "نهضة" أو "يقظة" وهو تارة "بعث" أو"ثورة" وإذا كان شعار الثورة قد سيطر عـــلى ســـاحة الفكر الإسلامي ومن ثم- الخطاب الإسلامي- منذ أوائل الخمسينيات من القرن المنصرم فإن هذا لا يعني أن مشروع النهضة قد تحقق كاملا أو أن شعار النهضة لم يعد يستجيب لطموحـــات الجيل العربي الجديد كما قد يكون تراءي للبعض في أوائل الستينات من القرن نفسه بـــل بـــالعكس فقد استرجع هذا الشعار "النهضة" مكانته منذ بضع سنوات في الساحة الفكرية العربية، بينما دخل شعار الثورة منطقة الظل على الساحة نفسها[2].

والمســـألة عند الجابري تكمن في مزاوجة الفكر الغربي والإسلامي بين النهضة والثورة على صـــعيد اللغـــة أي علىصـــعيد العلاقـــة بـــين الـــدال والمدلـــول وهذا ليس راجعا إلى كون

---

[1]-حمادي الرديسي، المرجع السابق، ص 40.

[2]-محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 21.

الكلمتين"النهضة"و"الثورة" من المرادفات في اللغة العربية فهما مصطلحان حديثان خلقتهما الترجمة بل إن المزاوجة تعود إلى فقر مضمون هذين المصطلحين لدى المفكر العربي والإسلامي نتيجة كونهما يشيران لديه لا إلى واقع متحقق وإنما إلى واقع مأمول التحقيق لكنهما على العكس من ذلك في لغاتهما الأصلية التي ترجما منها، فهما يدلان على معنييهما كامل الدلالة.

فكلمة نهضة مثلا لم تظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي وتعني لغويا- ميلاد جديدا- والذي كان قد انطلق فعلا من ايطاليا ليعم أوروبا في القرنين 15 و16 الميلاديين فيما تمثل في قيام حركة تجديد واسعة وعميقة شملت الفنون والعلوم والآداب مما جعل منها حركة تجديدية بمعنى الكلمة بل وميلادا جديدا حقا وإذن فمصطلح النهضة كان قد صيغ بعد أن تم الميلاد وعم أوروبا قاطبة وصياغته قد تمت للتعبير عن واقع تاريخي محدد المعالم والصفات كامل الوجود والمقومات[1] وكذلك الشأن بالنسبة لمصطلح الثورة عند إطلاقه للدلالة على الثورة الفرنسية والمحصلة أن كلا من مصطلحي النهضة والثورة في اللغات الأوروبية هما من أسماء الأعلام وإذا ما أطلقا ليدلا على معنى النهضة أو الثورة بدون تخصيص فإن هذا المعنى يظل مع ذلك مشبعا وغنيا نظرا لارتباطهما بنموذج واقعي معروف تمام المعرفة وعلى العكس من ذلك فإذا ما تم إطلاقهما في الفكر العربي والإسلامي فهما لا يدلان على أسماء الأعلام لأنهما لا يدلان على واقع تحقق وإنما على حلم ومشروع للمستقبل يطرح على صعيد الذهن والوجدان كبديل عن الحاضر ويعتبر عبد العزيز جراد النهضة بوصفها وهما – لكنه مع ذلك فإن هذا الوهم قد وفر للخطاب العربي الإسلامي في مجاله الثقافي الذي يستمد منه العناصر اللازمة لبناء تماسكه ومضاعفة شدته بل لقد فجرت النهضة-الوهم عنده- تجديدا وازدهارا في الفكر العربي الإسلامي كما كانت النهضة عنده تيارا روحيا وثقافيا وسياسيا في آن وكان يرمي إلى إيقاظ البلدان الإسلامية عبر النهوض بعملية إصلاحية تقوم على المبادىء الدينية الثابتة وانفتاح الإسلام على الواقع المعاصر وتحديث مؤسسة الخلافة[2].

وسّجل "فهمي جدعان" أن جميع الدارسين للفكر العربي الحديث اختاروا مصطلح "النهضة"

---

[1]-محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 22.

[2]-عبد العزيز جرّاد، العالم العربي بين ثقل الخطاب وصدمة الواقع، ترجمة صالح بالحاج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988، ص ص 28-29.

ووسموا به مجمل الإنتاج الفكري في القرنين 19 ،20 الميلادي مع أن مصطلح النهضة نفسه في الحقيقة لم يستخدم إلا قليلا في كتابات المفكرين- وهؤلاء قد استخدموا بدلا من ذلك وكثيرا مصطلحي التقدم والترقي[1]،كما استخدم العرب المحدثون كالزهراوي[2] (1871 1916م) مثلا كلمات مثل التحسين والفوز والصلاح والفلاح وهي كلمات عربية أصابة استخدمت بعض مشتقاتها في القرآن الكريم نفسه بالمعنى الذي تستخدم به كلمتا الترقي والتقدم المحدثتان.

وبناء على ما تقدم نخلص إلى أنه إذا كان مصطلحا "النهضة" و"الثورة" في اللغات الأوروبية هما كما شرح الجابري،فما هو معناهما عنده فيما سماه "بالخطاب النهضوي" هل النهضة بمفهومها الاجتماعي والتاريخي ذو الصلة الوثيقة بالتطور الاجتماعي والثقافي للإنسانية؟وما ارتباط النهضة عنده بكل من مفهومي التطور والتغير من حيث حيادهما أو عدمه أخلاقيا؟ وماذا كان يقصد المفكر الإسلامي من مصطلح النهضة وهل استخدمه دون غيره؟وماذا عن مصطلحات البعث والإصلاح والتجديد والترقي والتمدن وفي أي الفترات استخدمت هذه المصطلحات بعضها أو كلها ؟

وفي المقابل هل مصطلح النهضة بمفهومه الأوروبي هو عينه في اللغة العربية والثقافية الإسلامية عند المفكرين الإسلاميين؟ وماذا عن مصطلحات التطور والتقدم والحداثة تعابيرها ومجالاتها واستخداماتها، ولماذا اقتصر "الجابري" فقط على التعليق على مصطلح "النهضة" وشرحه عند الأوروبيين دون غيره من المصطلحات.

وأما عن مصطلح "الثورة" فماذا يعني بها "الجابري" إسلاميا هل هي الثورة على الدين كما كانت كذلك في فرنسا ثم في أوروبا عموما مما سمي بعصر التنوير والذي تم به وفيه الطلاق بين الدين والدولة وولدت من أمشاج ذلك العصر اللادينية أو العلمانية خطابا وانجازا وثورة وغلا فلماذا يوحي بوجوب تماثل المصطلحات لتتم عملية شرعنة المفهوم لدى المفكرين وحمله الخطاب الإسلامي ولماذا يتم تغييب مفهوم الدين الكنسي في الأسباب الداعية والمدعمة لقيام الثورة

---

[1]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 15.

[2]-عبد الحميد الزهراوي (1871-1916م) من زعماء الإصلاح والنهضة في سوريا وأحد شهداء العرب في ديوان "عالية العُرفي": ولد بحمص وقاوم السياسة الحميدية التركية قبل الدستور العثماني، أصدر جريدة "المنير"، وساعد على إنشاء جريدة المعلومات في الأستانة، وكتب في جريدة المقطم.

الفرنسية وبعدها النهضة الأوروبية على أساس فكر التنوير وأنبياء التنوير.

ومن ناحية أخرى كيف نصف كل الانتفاضات والثورات التي زخر بها الوطن الإسلامي بقائمة تطول بتواريخها وأسمائها الكتب من البحر إلى البحر والتي أثمرت نزع الاستعمار من أراضي المسلمين وتحقيق إعادة الاستقلال الوطني لأغلب دوله ألم تعلن الثورة الاستقلال هدفا من أهدافها -؟ والذي تحقق فعلا وواقعا بمعطيات تلك المرحلة التاريخية وقبل أن يتحول الاستعمار إلى أشكاله الجديدة.

إن الفرق بين النهضة واقعا،وبين خطاب النهضة مشروعا وفكرة مسافة بين الحلم وتحقيقه،ورغم أن فصل "الجابري" يعني بالخطاب النهضوي عنوانا[1] فإن المضمون انصب على النهضة إنجازا وواقعا.

لقد كان الخطاب النهضوي الإسلامي تعبيرا عن تصورات ووجهات نظر وطروحات ومشاريع وصفها أصحابها لاقتراح الخروج من واقع التخلف، وللإجابة عن كيفيات وسبل ومناهج تعد الطريق لذلك الخروج ومن ثم وجب التواضع في المطالبة بالإنجاز بالقدر الذي كان يسمح به من كان بيده سلطان التنفيذ وهي السلطة السياسية غالبا ومن ثم أيضا وجب السؤال: وهل توفر ذلك السلطان لكل المشاريع النهضوية لتمر إلى ساحة العمل؟ وهل توفرت لها عوامل ذلك المرور وأخيرا هل تكون المحاكمة لإنجاز النهضة أو لخطابها ؟

يقول"جلال أحمد أمين" إن التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث سواء يشهد بأن أزهى فترات النهضة كانت هي فترات الدولة القوية ومنها فترة حكم محمد علي باشا وأن العرب لم يقتربوا من تحقيق أهدافهم في النهضة والوحدة وبناء اقتصاد مستقل واستقلال الإرادة مثلما اقتربوا منها خلال هذه الفترة ...[2].

وقد حقق "محمد علي" كما يسجل "فادي إسماعيل" في عقود قليلة من الزمان ما يثير الدهشة والإعجاب فهو الذي بنى دولة حديثة ... وأسس من العدم تقريبا جيشا ضخما حديث العدد والعدة وبنى أسطولا واجه أساطيل الدول الكبرى ... ولعل من أهم ما فعله هو أنه أدخل مصر والعرب في عصر التصنيع ... ويعود إليه الفضل في إدخال النهضة كمشروع عملي متكامل

---

[1]-محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص24.

[2]-جلال أحمد أمين، أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1984م، ص193.

للدولة والمجتمع معا.

لقد تحقق هذا الإنجاز بالنسبة للخطاب الاتباعي التقليدي كما تم شرحه وتقديمه سابقا ولكن في غير هذا الخطاب وفي ما عدا هذا المشروع من المشاريع الأخرى فالمسافة التي كانت تفصل بين مخططي المشروع وأرباب الأفكار وبين من كان المفترض منهم إنجازها والمرور بها إلى الميدان كانت تتسع بل وتبتعد كثيرا ففي الوقت الذي كانت تحقق فيه أفكار علماء التنوير الغربي عبر الإنجاز على مختلف الأصعدة ويتوج هؤلاء بالفضل والتبجيل والاعتراف حتى وصفوا بعلماء التنوير، وقد كان هؤلاء وأفكارهم ليس فقط وراء التخطيط والتنفيذ ونجاح الثورة الفرنسية التي قلبت الأوضاع في أوروبا قاطبة وإنما كانوا وراء كل ثورة كان المقصود منها نزع كل عائق دون التنوير حتى ولو كان الدين وقد مثل الدين الكنسي ورجاله لذلك أكبر مبرر لمحاربته وإزاحته من الساحة الاجتماعية والسياسية حيث لم يبق سوى دين العقل وإله التنوير الذي بشروا به وباشروه.

وفي المقابل فإن انفصال السلطة العلمية عن السلطة السياسية غير المعلن في الوطن الإسلامي لكن المنحر واقعا وسلوكا في المجتمع الإسلامي أجبر كل المفكرين الإسلاميين باستثناء "الطهطاوي" و"خير الدين التونسي" أن يعيشوا حياة النفي والتشريد والاتهام والسجن وحتى الإعدام بداية من "الأفغاني" و"عبده" و"السباعي" و"الكواكبي" و"الزهراوي" و"البنا" و"سيد قطب" وغيرهم ....بدلا من الاعتراف بالتفضيل والتبجيل الذي ناله نظراؤهم في أوروبا وقبل أن يتولى النموذج الغربي الوافد مقاليد الأمور وتتم على يديه عملية الإجهاض المتواصل لكل محاولات النهوض والإحباط لبدايات التفكير السليم لمؤشراته سواء أثناء تواجده على أرض الوطن الإسلامي أو بعد رحيله عنها بعد أن ضمن لبذوره الحياة والاستمرار عبر نخب التغريب في الوطن الإسلامي.

والحقيقة أن نجاح النهضة أو إنجاز مشروعها ميدانيا لا يتم عبر تحقق شرط سلطان التنفيذ فقط كما تحقق لخطاب التقليد والإتباع،فهو شرط من بين شروط عدة يبنى على توفرها تحقيق مشروع النهضة واقعا، وهو ما حدده "عبد المجيد النجار" في خمسة نقاط هي كما يلي:

1- إحلاء الفكرة أو العقيدة

2- التعبئة الإيمانية

3- الاستنفار الجماعي

4- تهيئة الخطة العملية

5- اتخاذ سلطان منفذ[1].

ولقد تم استجماع هذه الشروط خير استجماع للدورة الحضارية الإسلامية الأولى لكن السؤال فيما يخص مشروع الدورة الحديثة ما نسبة توفر الاتجاهات النهضوية من هذه الشروط؟ وكيف كان قبل ذلك تشخيصها لداء التخلف وأسبابه حتى يلتمس على ضوئه الدواء باتخاذ عوامل النهوض وسلوك دروب الفعل.

يذهب البعض أن بحث هذا التشخيص واقعا لا طائل من ورائه والأجدر هو التوجه مباشرة إلى معالجة الواقع المعاش في وضع التخلف،ومن ثم هل قدمت المشاريع التي آمنت بضرورة التشخيص[2]، تشخيصا مقنعا للتخلف وهل أسباب التخلف كما حدثت في التاريخ تتطلب بالضرورة إزالتها اليوم بأسباب النهوض فقد يكون التخلف كما وقع أسباب للنهوض في الوقت الراهن شروط وعوامل أخرى ؟

وبناء على ذلك تتم مساءلة المشاريع النهضوية نفسها على ضوء المطروح من شروط النهوض

1- لقد تفاوتت توجهات الخطاب النهضوي الإسلامي في إجلاء وتنقية العقيدة الإسلامية في مختلف أبعادها مثل تنقية مفهوم التوحيد مما أصابه من انحراف وضمور وإجلاء التصور الإسلامي لحقيقة الإنسان غاية ومصيرا... ولئن كانت العقيدة الإسلامية أساسا في مختلف التوجهات فإنها لم تجلّ فيها بالقدر الذي يقع معه تصورها كما كان بالفعل عند أجيال الدورة الأولى.

2- ومن حيث التعبئة الإيمانية فعلى الرغم من حضور العقيدة الإسلامية في الأمة الإسلامية كما تعتمده كل التوجهات في الخطاب النهضوي الإسلامي،إلا أنه في الحقيقة ليس أصلا فيها في موقع الدفع وهو ما يستدعي تعميقه في النفوس بما يناسب الأوضاع والظروف حتى يصبح المسلم لا يتصرف في الفكر والسلوك إلا بدافع الإيمان وهو ما يشاهد بعض آثاره في الصحوة الإسلامية المنتشرة بين المسلمين اليوم.

3- من حيث الاستنفار الجماعي، فقد كان هذا الشرط أقل العناصر حظا من الاهتمام في

---

[1] -عبد المجيد النجار، النهضة الإسلامية، العوائق والعوامل، المرجع السابق، ص441.

[2] -انظر مثلا: أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ترجمة: محمد كاظم السياف، محمد عاصم الحداد، دار الشهاب، باتنة، 1988، ص146 وما بعدها.

توجهات الخطاب النهضوي الإسلامي إذ يبقى خطابا فوقيا نخبويا فيم يبقى البعد الشعبي غائبا عن الاهـــتمام ومن ثم فإنه لا يمكن تحقيق مشروع الخطاب إلا إذا تمت التعبئة وتحريك الكتلة العريضة مـــن الأمة ليتحول إلى إرادة شعبية جماعية،قياسا على نجاح الثورة الإيرانية مثلا وفي المقابل قياسا عـــلى الفشل الذريع الذي منيت به مشاريع التغريب التي تعمل في الوطن الإسلامي منذ أكثر من نصف القرن فقد واجهها الرفض الشعبي الصامت وأحبط أهدافها البعيدة على الأقل.

4- مـــن حيـــث خطـــة الإنجاز فقد كانت أغلب توجهات النهضة ضعيفة من حيث البعد التفصيلي لمسارات النهضة في الميدان فيما عدا التوجه الاجتماعي التقليدي أما بقية التوجهات فقد غلـــب عليها التعميم ونشأ عن ذلك توجه الخطاب النهضوي المعاصر إلى الإصلاح الفكر النازع إلى وضع الخطة التفصيلية للإنجاز ومع أن تجربته ما تزال في بدايتها.

5- من حيث سلطان التنفيذ فالسلطان الأكبر لتنفيذ مشروع الخطاب هو السلطان السياسي و لم يـــتوفر هذا السلطان لأغلب التوجهات ماعدا الثورة الإيرانية التي لم يتوضح بعد فيها الانجاز الحضـــاري لقلـــة المعلومـــات حـــول الموضـــوع وبعيدا عن موقف كل خطاب من السلطان السياســـي،فإن عراقيل خارجية كثيفة حالت ولا تزال دون التمكن السياسي لأي توجه إسلامي وهو ما يقوم عذرا لكل نقص أو فشل سببه هذا العنصر الحاسم في النجاح الانجازي و الميداني،أما مـــن حيث التنظيم والمؤسسات فإذا لم تبلغ جهود الأفغاني وعبده ورضا مداها في تحريك الكتلة الشـــعبية الإســـلامية نحو الانجاز،فإن عبد الحميد بن باديس قد تمكن له عبر جمعية العلماء المسلمين الجزائـــريين تحقـــيق الأهـــم عـــبر الإصلاح الشعبي عن طريق المدارس والنوادي والتعليم المكتبي والمســـجدي والصحافة والكتاب[1] والذي كان وراء ثورة التحرير الكبرى في الجزائر،وذلك هو الاتجاه الصحيح الذي يسعى على ضوئه اتجاه التصحيح الفكري.

وبالنســـبة لمصـــطلح "اليقظة الإسلامية" إن على مستوى الشعار أو على مستوى الواقع فإن الأمر يختلف ليس لأن اتجاه الدراسات والبحوث والاهتمام العالمي والمحلي منذ نهاية الستينات من القرن الماضي وإلى غاية اليوم ما يقدم التبرير الواقعي لهذه اليقظة وتوصيف المرحلة بها وإنما وأيضا بعـــد نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية والحضور الإسلامي السياسي والفكري على الساحة العربية

[1]-للاستفاضة حول الموضوع انظر: مفيدة بلهامل، وسائل الاتصال الجماهيري عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسم الدعوة والإعلام، 1996م.

الإســـلامية وحتى العالمية والذي لا يمكن لأحد أن ينكره أو يشكك في وجوده وحيويته مع تحول في الأولويات وتغير في الأوضاع والمعطيات فاليقظة الإسلامية هي الحاضنة لبذور النهضة في كل أطوارهـــا وأحوالهـــا بالمفهوم الإسلامي وبالشروط الإسلامية التي تتشوف إلى إعادة الميلاد كما حـــدث في الدورة الحضارية الإسلامية الأولى، وهذه البذور وإن طواها التغييب والتجاهل تحت ضـــغط الواقـــع الخارجي والداخلي أو هما معا فغن عودتها الحيوية دليل على قوتها على سحب مشـــروعية غيرها في توجيه أمور المسلمين حضاريا من الاتجاهات الأخرى سواء تلك التي عملت على تغييبها أو من الذين رفعوها شعارا فارغا من محتوى الانتماء الحقيقي ويكفي أن نعود للإشارة إلى التقارير الدولية التي رأت في ظاهرة الانبعاث الإسلامي المعاصر والتي لم يكن أصحابها يتوقعونها لأنهم ظنوا نجاحهم في إقبارها إلى الأبد فاعتبروها"مسؤومة"وبهذا الوصف الغني عن كل تعبير

وفي الأخير فإن كانت مشاريع النهضة والثورة واليقظة الإسلامية لم تحقق كل ما حلم به روادها وقادتها والمخططين لها فغن ذلك لا يعود إلى عيب ذاتي في التصورات والأفكار،بوصفها في ســـياقها الـــتاريخي وانشغالات كل مرحلة، ولا يعود إلى تضخم في حلم لم يحسب حساب الإمكانات، حيث بشر هؤلاء بالمقدور عليه بشروط اعتقدوا توفرها في الأمة والمجتمع الإسلامي ومن ثم فمن عدم الإنصاف وصفها بالوهم بل ومحاكمتها خارج مجالي الواقع والإمكانات الفعلية وســـلطان التنفيذ ...إلخ ومن الجدير أن نتساءل في المقابل:هل تم التماهي والذوبان في مشاريع وضروحات الآخر-الوافد- وهل فقد سؤال النهضة معياريته في مختلف مراحله وآرائه ومشاريعه؟ وهل فقد بالتالي بريق حماسه بين إرادة التجدد وإرادة التحصن رغم تطاول السنين؟ وبالتالي هل تم الاستســـلام لمشـــاريع التغريب المنجزة عنوة على مستوى النخبة-سلطان التنفيذ- في الوطن الإســـلامي؟ إن وضوح الإجابة على هذه التساؤلات وحدها تكفي لوضع الأحكام في مكانها الصحيح.

يقـــول السيد يس«إن للجماهير حسا خاصا بها تكوّن وتبلور عبر الزمن يدفعها للقبول أحيانا ويترع بها بالرفض أحيانا أخرى»[1]. ومن ثم دعا إلى التقرب منها حتى تتعلّم -بعيدا عن مراكز البحوث كيف تفكر، لماذا تسلك من تقبل ومن ترفض.

فعقـــيدة التوحـــيد الـــتي هي نواة المركب الحضاري وعلى الرغم من أن الجزء الأكبر من

(1) -السيد يس، مقدّمة التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدةالعربية، بيروت، 1985، ص19- 20

المسلمين بعيش الإسلام عقيدة باهتة فقدت عبر عصور التخلف والانحطاط كثيرا من اتقادها وشعلتها فإن هذه العقيدة لا تزال تشكل عاملا سلبيا حاسما تجاه أي إطار حضاري أو نظام اجتماعي لا ينبثق فكريا من الإسلام لأن المسلمين يؤمنون نظريا على الأقل بأن كل إطار أو نظام لا يستمد قواعده من الإسلام فهو غير مشروع تماما. وهذا الإيمان الحضاري وإن لم يترجم إلى صيغ محدّدة –كما يقول فادي إسماعيل–فهو يشكل موقفا ضمنيا لكل محاولات التحريك الحضاري التي تمارسها بعض الأنظمة السلطوية والمذاهب الاجتماعية[1].

وقد حدّد "مصطفى حجازي" تلك الصيغ التي يترجمها الإيمان والعقيدة لتعبر عن الرفض الضمني للشعوب لمحاولات التحريك الحضاري الذي تمارسه الأنظمة السلطوية سواء المفروضة من الخارج أو عن طريق الأنظمة المحلية والتي تؤمن هذه الشعوب بأنها غريبة عنها وعن دينها أو بأنها لا تنطلق من عقيدتها وضمنها مما تعتبره بالتالي اختلالا في توازنها الوجودي وتدفع تلقائيا لرفضها بالوقوف ضد تمريرها وإنجازها وذلك عبر ما يسميه "حجازي" بوسائل الحماية،أو آليات الدفاع، أو الأساليب الدفاعية أو أخيرا الحلول الدفاعية والتي تذهب في كل اتجاه[2].

وفي حالة الشعوب الإسلامية فإن العقيدة الإسلامية هي المركب الحاسم لفعالية ذلك الرفض ونجاحه في إفشال كل مشروع غريب.

وتهدف الحلول الدفاعية في البداية إلى التأقلم والتلاؤم مع الوضعية الراهنة بالشكل الذي يخفف من وطأتها على هذه الشعوب ويكفل شيئا من الانسجام ونوعا من تحقيق الذات الظاهري والتي تستهدفه عمليات التغيير القسرية الغربية.

وعلى الرغم من سلبية هذه الوسائل الدفاعية أساسا من حيث قصورها عن التغيير الإيجابي لعدم إمكانية ذلك واستحالته في البداية فإنها تدفع في النهاية إلى الحلول التغييرية في تداخلها مع الحلول الدفاعية باستمرار مع كل مرحلة من مراحل التاريخ، فالحلول الدفاعية تتصف دوما بذور المقاومة والتغيير.

---

(1) –فادي إسماعيل، الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة 1878-1987م، الدار العالمية للكتاب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1413هـ/1992م، ص13.

(2) –مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، لبنان، ط5، 1989م، ص95.

وقـــد قصـــر "حجازي" بلورته لتلك الأساليب الدفاعية على أربعة أشكال نعتها بالأبرز وبالأساســـية وبالمتكاملة جدليا في تضادّها وتجاذبها بين سلوك المغلوب ونمط وجوده على الدّوام وهذه الأساليب هي:

1-الانكفاء على الذات.

2-التماهي بالتسلّط.

3-السيطرة الخرافية على المصير.

4-العنف[1].

قـــد لا يكـــون اللجوء إلى هذه الوسائل الدفاعية أو تمثلها على هذا الترتيب، قد لا يكون التعبير عن هذه الوسائل والأساليب بالشكل الذي ذهب إليه "مصطفى حجازي" في تنبيه لبعض الـــنظريات النفســـية الغربية تفسيرا وحتمية تجاذبية خاصة حين الحديث عن العقيدة الإسلامية وأثرها في حياة وسلوك الفرد ومن ثم الشعوب الإسلامية على مستوى التوازن النفسي والصفاء والاطمئنان، وعقيدة القضاء والقدر بالمفهوم الإسلامي... إلخ وقد لا تساير مفاهيم حجازي أو بعـــض تحلـــيلاته إسقاطا على خصوصيات الشعوب الإسلامية في بعدها الروحي البحت، فإن الهدف من إيرادنا لها هو التأكيد على أن للشعوب عموما حسا وبالتالي صيغا للتعبير عن موقفها إزاء ما يتهدّد مقوماتها في حالة القهر الخارجي أو الداخلي يعلو عن الأوعية التنظيمية المؤسساتية أو الحزبـــية أو الجمعويـــة...إلخ، حس يسكن في ضمير الأمة الحي دوما والذي يشكل الحاجز الحاســـم دون أن تحقق مشاريع التغيير الغربية والقسرية أي تقدم يمكن وصفه بالنجاح في التأثير فيه سلبا، وحين يمتزج "فادي إسماعيل" بالأفارقة، شعوب الأنكا، والهنود الحمر التي تمت إبادتها تمهيدا لتملأ هي بقاياها مع ثقافة وحضارة الغالب أي الحضارة الأوربية[2]، فالعامل الحاسم الذي منع ذلك بالنسبة للشعوب الإسلامية هو معطى الإيمان والعقيدة الإسلامية التي مكنت الشعوب الإســـلامية مـــن أن تصون نفسها من الاندثار وضياع الهوية وأمّنت نوعا من التواصل التاريخي والاجتماعي للشعوب الإسلامية ولحمتها الحضارية، وهي المقاومة السلبية الضمنية كما يسميها "حجازي" لكنها بوصف "مالك بن نبي" هي المقاومة من أجل الخلود لا من أجل البقاء فحسب.

---

[1] – مصطفى حجازي، المرجع السابق، ص ص 97-202.

[2] – فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص98.

وقـــد جرى التعبير عن الحس الحي في ضمير الأمة الإسلامية منذ العقود الأخيرة في مطلب تطبـــيق الشريعة الإسلامية في مختلف وجوه الحياة على الرغم من إيقاع الأحداث المتسارع حدا والـــتحولات الكـــبرى على الصعيد العالمي والمحلي، ومثل هذا التعبير وهذا المطلب تيارا قويا في مجرى الواقع الثقافي والسياسي في المجتمع الإسلامي كان رد فعل قويعلى استفزاز التوجه العنيف إلى الأنموذج الوضعي الشامل في الواقع الإسلامي الراهن[1].

وإذا كـــان للرافد الرسمي لهذا التيار دورا في بداية المقاومة لمشاريع التغيير الخارجي خاصة فإنـــه لم يكـــن المفصل الوحيد المدافع عن المجتمع الإسلامي و لم يكن المفصل الأساسي في عملية الصّراع أصلا إذ سرعان ما اندرجز "وتمثل في مقاومة قصيرة وغير فعالة"[2] ليفسح المجال للرافد الـــثاني الـــذي يصـــفه "كمال أبو المجد" «بالرافد المستقل عن المؤسسة الدينية الرسمية والذي له توجهاتـــه ذات الطـــابع الشـــامل وله صلته القوية بمصادر الإسلام وله فوق ذلك كله قواعده الجماهيرية الواسعة في أكثر الدول الإسلامية»[3]. ويضاف إليه الرافد الثالث الذي يمثل مجموعة ردود الأفعـــال العاطفـــية في مواجهة الواقع السياسي والاجتماعي القائم ولدها عوامل الضغط الحكومي المتواصل من ناحية وعوامل استفزاز الحاسة الدينية للشعب المسلم من ناحية أخرى وقد ســـاعدت على نمو هذا الرافد كل الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي تتمثل في اشتداد العناء اليومي والإحباط وضيق منافذ الأمل في المستقبل، ولذلك فإنه يغلب عليه العنف والاستعجال في ممارسة التغيير.

ويؤكد الاستقراء التاريخي لمشاريع النهضة والتحديث المحلية هذه المرة فيما بعد –أن الرافد الـــرسمي سوف يتحول إلى المسوّغ والتابع والمنخرط في مشروع التحديث الفوقي، المنعزل عن الجماهير كما هو الحال مثلا في مشروع محمد علي في مصر، في حين تبقى حاسة الأمة وضميرها الحـــي لرصد ومن ثم ممانعة عمليات التحديث على حساب مقوماتها المفصل الأساس الذي يمثل ويضمن مشروعية الدفاع عن الذات والذي يعبّر عنها الخطاب الإسلامي عبر فصائله المختلفة.

---

(1) – عبد المجيد النجار، في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية تنزيلا على الواقع، المرجع السابق، ص 96

(2) – المرجع نفسه، ص97.

(3) –كمال أبو المجد وآخرون، المرجع السابق، ص42.

المبحـــث الثالـــث: الخطاب الإسلامي المعاصر من التحرر الفكري والثقافي إلى التعبئة السياسية للأمة

إن الملاحـــظ لمسيرة وتطوّر الخطاب الإسلامي يسجّل تحوّل هذا الخطاب من الفعل الثقافي والفكري ومن المهمة الحضارية التي أناط نفسه بها في حفظ العقيدة الدينية للمسلمين للإبقاء على شـــرارة الحضارة حية وفعالة توفر أسباب النهوض كلما توفر لها من أسباب الاهتمام، إلى الفعل السياســـي والتعبئة السياسية للأمة، وسنتابع ذلك من خلال محطات تاريخية حاسمة رتبت تدريجيا هذا التحوّل وقدّمت له المسّوغات التي أكسبته القوة والحضور حين أنيط بها على الساحة العربية والإسلامية. والقضية الفيصل في هذا التحوّل الذي يمكن وصفه بالتطوّر المنطقي على حساب ما توفـــر من أسباب مسّوغة هي "النخبة" هذا المصطلح والمفهوم والواقع في تجربة النهضة الإسلامية بدايـــة مـــن "محمـــد علي باشا" في مصر، ثم إدارة الاحتلال التي ستتولى مقاليد الحكم والتسيير والتوجـــيه لمـــا آل إليها السيطرة على كل دول الوطن الإسلامي لتكرّس مشروع التغريب طيلة تواجدهـــا على أرض الوطن الإسلامي، ثم عبر "النخبة التغريبية" التي ورثت الحكم عن المستعمر لتواصـــل تكريس مشروعه عبر تمكينه لها من مواقع الحكم والتوجيه في دول الوطن الإسلامي بعد استعادة هذه لاستقلالها الوطني.

وفي المقابل سنتابع عملية استبعاد النخبة الوطنية المتمثلة أولا في المؤسسة الدينية ثم في التيار المعـــارض للتغريـــب في شـــكله الإصلاحي أثناء تواجد الاحتلال الغربي والذي كان وراء كل الانتفاضـــات والـــثورات ضـــده حـــتى تمت استعادة الاستقلال، والمتمثل فيما بعد في المشروع الإســـلامي بقيادته الوطنية والدينية التي يرتبط تواجدها ومصيرها وتوجهاتها بالمجتمعات الإسلامية في شعوبها وجماهيرها التي تمت تجربة النهضة على هامشها وخارجا عنها والتي تم تجاهلها وتغييبها في خريطة الخيارات المصيرية للمجتمع الإسلامي.

المطلب الأول: قراءات في فشل تجربة النهضة في الوطن الإسلامي:

تقر كثير من الدراسات والقراءات لتجربة النهضة والتقدّم في الوطن العربي الإسلامي بأنها «كانت تجربة تطبيق قسري وتقليد مبستر واستهلاك إيديولوجي لم يرافقها أي إصلاح فكري أو

ثقـــافي أو نظمي»[1] وقد مثلت تجربة "محمد علي" على التحديثية بالذات –في مصر– النموذج الواقعي والحي لها إلى الفشل والإخفاق لتسقط بقايا شعارات وقيم النهضة تماما في أعقاب الحربين الأخيرتـــين، حرب العراق وإيران وحرب الخليج الأولى، وتترك بين يدي العرب والمسلمين فراغا فكـــريا وثقافيا هائلا لا يمثل الفراغ السياسي القائم في الساحة الإسلامية إلا بعض مظاهره، ولئن كـــان الغـــرب سببا في إجهاض التجربة التحديثية في الوطن العربي الإسلامي في كل مرة، فإن أسباب الفشل كانت داخلية وبامتياز أيضا ويمكن تتبع ذلك بالتدريج فيما يلي:

1- الانفصال بين الدّولة والمجتمع، الدّولة تصطنع نخبتها الخاصة بعيدا عن المجتمع:

لقد سارت تجربة التحديث عكس منطق الاستمرارية التاريخية في المجتمع العربي الإسلامي، فلأول مرة في التاريخ الإسلامي –بعد عصر الأمويين– يتم الانفصال بصورة شبه نهائية بين المجتمع والدّولـــة حـــين عملت السلطة في مشروعها التحديثي ومفهومها الخاص للإصلاح على استبعاد المؤسســـة الدينية التي تمثل صلة الوصل الشرعية بين المجتمع والدّولة من وظائفها المختلفة وتصطنع لنفسها نخبتها المفضلة المنفصلة نسبيا عن الجماهير وتتمثل هذه في "نخبة الحكم" التي تمكّن من كل الوظـــائف المدنية والعسكرية في الدولة والتي يتم اختيارها من بين العائدين من الخارج ومن بين مشـــايخ العصر وفقهاء السلاطين الحديثيين الذين جرى إفسادهم –كما يقول "حسن ضيقة" عبر «سياســـة الاستجابة لطموحاتهم الانتفاعية المختلفة مقابل الخدمة التي يتوجب عليهم أن يؤدوها لها»[2].

وقـــد تم الســـحب التدريجي للسلطة التعليمية من يد الأزهر وشيوخه وتم في الوقت نفسه ســـحب كل ما كان يمثله وما يحيط به من هيبة دينية، فيم بقيت الجماهير محصورة في المستويات الدنيا. وما إن جاءت الأربعينيات من القرن 19م حتى كان هناك نظام للتعليم التقني والعسكري قد تكوّن إلى جانب الأزهر لا يخضع له ولا لتوجهاته.

وبهـــذا الانفصـــال بـــين السلطة والمجتمع تربعت تجربة النهضة الأولى على حواء اجتماعي كـــامل، أدى فقدان الثقة فيه بين الحاكم والمحكوم إلى تزايد اعتماد السلطة على الخبرات الأجنبية في المجـــالات الـــتي تشكل مصادر القوة والنفوذ فيم جرّدت الشعوب في المقابل وبالتدريج بفعل

---

[1] – فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص6، (من تقديم طه جابر العلواني للكتاب).

[2] – حسن ضيقة، الطهطاوي وعقيدة التحديث، مجلة الفكر العربي، س7، ع45، آذار 1987م، ص 128.

التعيب المنظم والمستمر، من روح المقاومة وملكة الشجاعة لتجعل للتدخل الأجنبي قابلية للاختراق وتحطيم مشروع النهضة والتحديث ومنعه من كل إمكانيات النجاح.

2- تناقض واختلاف مفهوم النهضة بين السلطة والجماهير:

إن الاختلاف في معنى النهضة بين السلطة والجماهير في الوطن الإسلامي مثل ويمثل أحد وأهم أسباب الإخفاق لتجربة الإصلاح الذاتي الذي باشرته الكيانات العربية الإسلامية بداية من تجربة "محمد علي" الأولى، فحين كانت النهضة تعني عنده السلطة وتقوية الجيش وتسليحه بكيفية عصرية وتقوية الدّولة، كان المعنى عند الرعية يتمحور حول الفضاء على أسباب الانحطاط وفي مقدّمتها الاستبداد الذي أدى إلى الجور والاستئثار بالخيرات –كما قد تم في نتائج التحديث على يد "محمد علي" نفسه[1]- ومن ثم فالإصلاح يكون بالعودة إلى الحكم بالعدل والشورى وتحقيق المصالح العامة.

ولئن كان خيار التحديث ومعناه يستجيب في عين السلطة إلى مواجهة تحديات الغرب المدمّرة في ذلك الوقت –وفيما بعد أيضا- فإن تجليات مباشرة عملية التحديث نفسها تمت بتبني نمط غريب عن النسق التاريخي العربي الإسلامي وهو النمط العسكري للتحديث. وهو نموذج غربي وافد يقوم على تنظيم المجتمع بالعنف ومن خارجه ومن أعلاه ومن رأسه أي من الدولة، وهو النمط الذي يصفه "برهان غليون" بأنه «لا يقدّم لا هدفا أسمى ولا معايير اجتماعية عليا تخلق الإجماع الضروري لكل نهضة»[2] ولذلك فقد انتهت النهضة بهذا المضمون إلى أن «تكون نهضة للنخبة والدولة واختناق للجماهير»[3] وعليه فإن خيار النهضة ومعناها الذي حدّدته السلطة وباشرته على النمط الغربي قد تم على هامش المجتمعات وبعيدا عنها مفهوما وأمالا وأهدافا وكان من نتائجها الواقعية «تقدم التخلف وتحديثه وعصرنة التبعية وتعزيزها»[4].

---

[1]- ينظر في الموضوع: ذوقان قرقوط، جوانب غير معروفة في تجربة محمد علي، مجلة الوحدة، ع31-32، نيسان 1987م، وكذا عبد الله العروي، مفهوم الدّولة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1981م.

[2]-برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، دار الطليعة، بيروت، ط 1979م، ص 31.

[3]- المرجع نفسه، ص 443.

[4]- فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص 141.

3- الاهتمام بعالم الأشياء وتغييب عالم الأفكار:

لقد راهنت تجربة النهضة في الوطن الإسلامي على التقدّم كما هو في الواقع العربي وبالأحرى بالمفهوم الذي قدّمه الغرب على أنه تقدّم أو كسبب له، والدراسات العربية في تقويمها لتجارب النهضة لا تنكر على الكيانات العربية الإسلامية «أنها حققت بعض الإنجازات في مجالات زيادة المتعلمين والأطباء والمهندسين، وتوسعت في بناء الجيوش والهياكل العسكرية والأشكال التنظيمية وتكديس بعض المنتجات الاستهلاكية للحضارة الغربية»[1] لكنها في المقابل وعلى نفس المستوى من التقويم -وهو الأهم- فإن هذه الدراسات لم تعف هذه الأنظمة «من مسؤوليتها المباشرة عن عملية تجهيل المواطن العربي وتحطيم إرادته وكرامته وتدمير إنسانيته، وتجاوز تراثه، وتشويه هويته وجعله يتمرغ في التبعية الاقتصادية والغذائية والفكرية والثقافية والتربوية، بحيث لا يستطيع أن يستغني عن مستغليه من الغربيين بعد قرن ونصف من محاولات النهضة والتقدم لا في مطعمه ولا في ملبسه ولا في دوائه ولا في سلاحه ولا في تعلّمه ولا تدربه أو تربيته»[2].

إن هذه النتائج التي يرشح بها الواقع العربي الإسلامي، يشهد في الحقيقة على المقدّمات الخاطئة التي كونت النظام العربي في قاعدة تشكله وأسس تكوينه وما كان يسنده من أفكار ومؤسسات أدت إلى كل هذا الفشل والإخفاق في كل المجالات.

وتحليل هذه النتائج يعود بها إلى وطأة المشروع "الحضاري الغربي" وسيادة خطابه مع تعدد أبواقه والاهتمام بآثار المشكلات بدل دراسة أسبابها الفكرية" فكان أن اهتمت تطبيقات النهضة بعالم الأشياء ولم تعط عالم الأفكار القدر الذي يستحقه مما انتهى منطقيا إلى «فقدان التحليل المطلوب والنظرة الموضوعية الشمولية والقدرة على التقويم المستمر والنظرة التجزيئية»[3] الأمر الذي أدى إلى السقوط والإحباط وتعقيد المشكلة أكثر فأكثر من تقديم الحل المناسب لها.

وبناءا على ما تقدم كان من الضروري الوقوف عند الاحتلال الغربي خطابا وأهدافا وفعلا في الأراضي الإسلامية.

---

[1]-فادي إسماعيل، المرجع السابق، (من مقدمة طه جابر العلواني للكتاب) ص6.

[2]-المرجع نفسه، ص6 (من تقديم الكتاب لطه جابر العلواني).

[3]-طه جابر العلواني، المرجع السابق، ص 6-7.

المطلب الثاني: سيادة الخطاب الاستعماري وتحول الغرب إلى حالة داخلية:

I - لم يكن الاحتلال الغربي ليكتفي بالغلبة "الظاهرة"، الغلبة العسكرية والسياسية والاقتصادية والتقنية وذلك لأن استقرار هذه الغلبة وديمومتها -هدفه الحقيقي- يحتاج ليس فقط إلى القضاء على القوة الظاهرة المتمثلة في المقاومة الشعبية المتواصلة، وإنما أيضا التوغل في عمق الإسلام لضرب القوة الكامنة فيه رغم الهزيمة السياسية والعسكرية والانهيار الحضاري وجمود الحركة الاجتماعية، فلما كان وجود الجماعة المسلمة ملتحم بالشرع يصبح نفي هذا الأخير وتهميشه وعزله نهائيا فيما بعد يشكل هما استراتيجيا عند الاحتلال.

ولئن عدمت الجماعة المسلمة القدرة على استمرار تواصلها وامتداده في معادلة ما فرض عليها من ظروف وشروط موازين القوى في ذلك الوقت فإنها لم تعدم في أي وقت من التواصل الروحي عبر الوحي الذي لم يكن من الضروري أن تكون في موقع الغلبة والهجوم حتى تكتسب شرعيتها التاريخية. ومن ثم هدف الاحتلال إلى «إضعاف المسلمين في إسلامهم أولا بالذات» كما يقول "محمد البهي"[1]. فعمل على تسريب مشروعه ونموذجه المشرّع بالعنف في ثنايا المجتمع الإسلامي عبر إلغاء عراه الداخلية المقاومة الواحدة تلو الأخرى وقطع الشرايين التي توحّده وكذا عزل القنوات المترابطة فيه المكوّنة للحمته، كمقدّمات لإلغاء الإسلام وإلحاق المجتمع واحتوائه وتغريبه مما يسهّل خلق دولة تابعة منفصلة عن المجتمع ومتناقضة معه ويساعد على دفع هذا المجتمع -المسخ الجديد- في متاهات ثقافية تحول دون وعيه لذاته الحضارية وتحول دون رفضه للآخر- الوافد الأجنبي- أو -الغرب الحضاري- مستهدفا في هذا المجال.

- تحطيم مفاصل المجتمع المسلم المرتكزة على العقيدة والثقافة.
- تبديل العلاقات الاجتماعية وإبعاد الشرع عن أنماط التعليم والتربية.
- إحلال نسيج آخر من الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعة.

ويكفي لوصف عملية التغريب على المستوى التنفيذي بأن «الاحتلال تدخل في كل شيء كما يقول "الرديسي" حتى أنه لم يبق شيء لم يتعرض له بالاعتراض»[2]. وبالتهديم ثم إعادة البناء على الصورة التي تضمن وتوسّع الغلبة العسكرية الظاهرة إلى غلبة حضارية كلية وشاملة. وخاصة

---

[1]-محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت، ط6، 1973م، ص 35.

[2]-جمادى الرديسي، المرجع السابق، ص 36.

في الفترة ما بين الحربين العالميتين، وهي الفترة التي توقف عندها مؤرخو الفكر العربي الحديث من الغربيين والعرب على حد سواء حتى أنه لم يعد ينظر إلى الفكر العربي الحديث إلا من خلال ظاهرة التغريب ليس من خلال مصر ولبنان تحديدا كما يذهب إلى ذلك "فهمي جدعان"[1] وإنما أيضا في كل الأقطار الإسلامية التي تقاسمت فرنسا وبريطانيا احتلالها تطبيقا لذات المشروع مع توزيع للأدوار بينهما لأدائه على الأرض التي هي تحت سيطرتها وإن كانت مصر بالذات –هي الأول والأسبق وأين وجد مشروع التغريب وتكريسه رواجا منقطعا النظير خاصة على يد "النخبة المسيحية" أولا ثم "النخبة العربية" الموالية للاحتلال كما سنرى لاحقا.

ولقد استنفر الغرب كل قواه لتنفيذ مشروعه التغريبي وعلى المستوى السياسي والديني تحديدا مستهدفا إلغاء خضوع السياسة للدين من خلال الشرع حتى يمكن أن ينفي عن هذا الأخير قدرته على إنجاب القوة للجماعة المغلوبة المقاومة، مركزا على المستوى التنفيذي على:

أ- التغريب بالمعنى الخاص لهذه الكلمة أي بمعنى نبذ الشرق والعرب والإسلام واللّحاق مباشرة بالمدنية الغربية.

ب- الليبيرالية، بحيث تحرّر العقول من كل سلطة غيبية سابقة أي من سلطة الشرع الإسلامي وتنظر إلى موضوعات المعرفة والمجتمع والإنسان نظرة عقلية متفرّدة مدعومة بالفكر الوضعي – الغربي الاستعماري- الخالص.

جـ- العلمانية وهي الدعوة الصريحة إلى تأسيس الدستور على القانون الوضعي –الغربي الخالص- وتأسيس الدّولة على قواعد عصرية غربية ليس للدين الإسلامي أي دور فيها وبتعبير آخر مشهور فصل الدين عن الدولة[2].

وفيم عمل الاحتلال الغربي على كبت كل صور الحرية في الوطن الإسلامي فقد عمل في المقابل على فسح المجال واسعا وبصورة خاصة لحرية التغريب التي وقفت إدارة الاحتلال وراءها بعد خلقها وتشجيعها وحماية دعاتها من المسلمين –النخبة المتغربة- من ردود الأفعال الشعبية التي تجلت في حملة هؤلاء التغريبيين على القواعد الإسلامية والمعطيات الدينية ليس بقصد إصلاحها وإنما بقصد نبذها نهائيا من أجل إحلال الثقافة الغربية محلها.

---

[1]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 323

[2]-المرجع نفسه، ص ص 23-24.

وكـــان مـــن النتائج المنطقية تحت ظروف الضغط والإكراه في تكريس التغريب أن فقدت الـــثقافة الإسلامية مشروعيتها ومعياريتها وبدأ يجري التطلع إلى إعادة النظر في العلاقة بين المعرفة والمجـــتمع والسّلطة وكانت هذه محصلّة سمات التكسر والانفجار التي حصلت في العصر الحديث «والتي أدخلها الخطاب الغربي في الحقل الخطابي الإسلامي مقدما نفسه كعامل لحضارة عالمية»[1] على أن هذه المجالات في المقابل لم تأخذ طريقها إلى التكريس النهائي كما لم يتخذ بتأنها «القرار في اختيار ما يلائم الذات العربية»[2] الإسلامية، لأن أي عنصر منها (المعرفة-السلطة-المجتمع) لم يجد معياره التأسيسي كما لم يتكوّن محدّدا في انسجام جديد لكن هذا لا يعني عدم تبلور التوجهات والآراء إزاء هذا الواقع الجديد وإنما ظلت القدرة على الصمود والتكريس —وما زالت بين مدّ وجزر في السّاحة الغسلامية استجابة لموازين القوى الجديدة —منذ وقت- وبعد خروج الاحتلال.

2- تم للاحـــتلال الغـــربي قبل انهزامه وخروجه عسكريا من الوطن الإسلامي —تحت قوة حـــركات التحرير منذ نهاية الحرب العالمية الثانية —عزل الشرع الحنيف عن مركز دورته الشاملة أي الدّولـــة، واستبدله بالدساتير الغربية، كما جرى على المستوى نفسه إبعاد النخبة الممثلة له من العـــلماء والفقهـــاء عن المجالات الحقوقية والإدارية ليحل محلّهم —علماء- من نوع جديد تم له إعدادهـــم لملء هذه الوظيفة وأطلق عليهم وصف "النخبة" وهي «في الواقع الشريحة من الرجال الذين تتلمذوا على الغربيين في فرنسا أو إنجلترا والعناصر التي ربتها إدارة الاحتلال»[3] هنا وهناك عـــبر الأقطار الإسلامية تفقهت حديثا على مثقفيها ومدارسها والتي كانت نتاج إعداد دقيق من الـــرؤى والمؤسسات الغربية التي هدفت إلى تأهيل هذه "النخب" لقيادة المجتمعات المتفسخة والتي جرى إفراغها ضمن عملية الإعداد هذه من أصولها ولحمتها وعصبيتها التاريخية.

وقـــد كـــان إعداد العقول عبر عملية اختيار ومتابعة وتدريب وترويض وإغراء... لقيادة المجـــتمع الإسلامي بعد مرحلة تفسيخه «همًّا استراتيجيا محليا لإدارة الاحتلال الغربي ومنظرية في سبيل إعداد ما يسمى بمجتمع النخبة الجديد.

ولئن اتفق الكتاب والمؤرخون في وصف هذه "النخب الجديدة" بتحديد مهمتها المنوطة بها

---

[1]-حمادي الرديسي، المرجع السابق، ص 36.

[2]-محمد علي الكبسي، ميشال فوكو، تكنولوجيا الخطاب، تكنولوجيا السلطة، تكنولوجيا السيطرة على الجسد، دار سراس للنشر، تونس، 1993م، ص 12.

[3]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 324.

استعماريا في الوطن الإسلامي قبيل وبعد خروج الاحتلال العسكري منه... وهي «عملية التحلل والتحرّر من الدائرة العربية الإسلامية»[1] فإننا نجد لها أسماءً متنوعة ومختلفة وكثيرة عبر الأقطار الإسلامية تتراوح بين الإشارة المبهمة والتصريح الواضح[2]، ولا يعود هذا التذبذب إلى تراجع دور هذه النخب واقعيا لكن على العكس من ذلك يعود إلى استمرارها في أداء مهمتها بل وتمظهرها عبر مختلف الأشكال التغريبية والتنظيمية والمؤسساتية التي تكرّس قوة صوتها ونفوذ حضورها في المجتمع الإسلامي الراهن ليس فقط كطرف حاسم في الفصل في الخيارات المصيرية للأمة وإنما في العمل على تنزيل الخيار إلى التنفيذ مما يدل على استمرار نفوذ الاستعمار القديم في أشكاله الجديدة الأقل من حيث الحضور العسكري لكن الأفعَل والأنفذ من حيث التأثير والحضور اللغوي والثقافي والتربوي والاقتصادي...

وهو ما جرى ويجري التعبير عنه في الأدبيات العربية بالغزو الفكري والثقافي... مرورًا بالاختراق الفكري... وانتهاءً عند العولمة...

وليس من مهمة البحث ولا هدفه المتابعة التاريخية والفكرية لظروف وعوامل نشأة هذه النخب أسماءً وشخصيات، تصنيفا وأدوارًا... عبر الوطن الإسلامي[3] وخاصة في مصر بالذات ثم في الجزائر بالإضافة إلى الهند أين طبق الإنجليز نظرياتهم في توهين عقيدة المسلمين هناك عبر القاديانية والأحمدية... كأبرز نموذجين تخطيطا لتغيير اتجاه الجماعة الإسلامية إلى ما لم تألفه وإلى

---

[1]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 324.

[2]-نجد مثلا: التغريبيون، النخبة الاستعمارية، الاستعماريون الجدد، الاندماجيون الجدد، النخب التغريبية، المرتكبون، وقد وصفهم محمد المهي مثلا بـ "اتجاه حماية الاستعمار"، "مفكرون من المسلمين... مع الاستعمار" انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص 36 وص39...، ويسميها البعض بـ"الانتلجانسيا كترجمة للمصطلح الفرنسي (les intellectes) إضفاء لصفات العلم والتخصيص والذكاء على هذه النخبة فيم يشار إليهم بالتقدميون، والعلمانيون، والليبراليون، والأحرار والمنتحون... وهي أوصاف نقرأها في مختلف الأدبيات وخاصة الصحيفة والإعلامية منها.

[3]-بدأ اتجاه البحوث والدراسات العربية والإسلامية نحو التخصص في بحوث ظاهرة التغريب وتحديد من حيث تبنيها وتنحو هذه إلى تنويع روافد الدراسة من علم النفس وعلم الاجتماع والتحليل الحضاري مع الإشارة أن كتابات مالك بن نبي خاصة "صراع الأفكار في الدول المستعمرة" وكتابات فرانتز فانون وخاصة :تشريح ثورة" ومن أجل إفريقيا، وكتاب مصطفى حجازي سيكولوجية الإنسان المقهور، المرجع السابق، قد وصفت الأسس العامة للتنبيه إلى ضرورة التخصص في هذا المجال بالإضافة إلى كتابات ومقالات كل من برهان غليون، وعلي الشامي، ووجيه كوثراني، إلا أن المكتبة العربية لا تزال تفتقر إلى الكتابات الأكاديمية حول الموضوع إلى الآن مع الإشارة أن كتاب النخبة الفكرية والانشقاق –تحولات الصفوة العارفة في المجتمع العربي الحديث، محسن الموسوي، دار الآداب، بيروت، ط1، 2001م. مساهمة رائدة نحو هذا التوجه.

غير ما درج عليها اعتقادها»[1] على أن المثير للاهتمام في دراسته هذه النخب على المستوى الفكري من جهة وعلى مستوى النتائج الآنية والآجلة في الواقع العربي الإسلامي يمكّن من الوقوف عند ما يلي.

أ-الانقياد الكامل والاستسلام العجيب من طرف هذه النخب للقيم الغربية والذي يقابله الغياب المطلق لكل روح نقدية بإزاء هذه القيم ويصف "فهمي جدعان" ذلك بقوله: «فلقد اشتعلت رؤوس هؤلاء ذكاءً ونقدا للمدنية العربية الإسلامية بينما تقلص هذا الذكاء تقلصا كاملا إزاء المدنية الغربية التي كانت تلاقي في عقر دارها في الفترة نفسها، انتقادات لا ترحم»[2].

ب-تجاوز التغريب الجهود الفردية اليائسة والطموحة إلى ثقافة وإيديولوجية مهمتها تعميم التغريب بتحويله إلى فكر ومؤسسات ودول باختصار كما يقول "فادي إسماعيل": «تحويل الغرب إلى حالة داخلية»[3] وهو ما يعني أن التغريب قد بلغ من التسرب إلى داخل الجسم الإسلامي إلى القدر الذي يؤشر إلى الإعلان عن الانفصال الاجتماعي بين الجماعة وأفرادها. فارتداء التغريب "لباسا إسلامية" كما يقول "الشامي" «كان يعني أن الستار الحديدي الذي ضرب حوله قد بدأ يتهاوى»[4] ولم يكن هذا الستار الحديدي في الواقع إلا «الشرعية التاريخية القديمة القائمة على الخلافة والشرع المغلولين»[5]. ومن ثم كان: «تاريخ الخروج على المستعمر هو تاريخ التواصل مع الشرع وتاريخ الرضوخ والإذعان والتماهي بالمستعمر هو تاريخ الخروج عن الشرع»[6] التحليل المختزل لعلاقة كل من المجتمع والنخبة بالشريعة والشرعية في الوقت نفسه.

جـ- أصبحت الشرائح المنسلخة عن المجتمعات التقليدية الإسلامية سواء -النخب المتغربة- أو القطاعات الاقتصادية والتجارية الحديثة التي عمل الاستعمار العالمي على إحكام ربطها به: مسؤولة عن توسيع دائرة الانسلاخ والتفكك والفوضى لكي تشمل الأحزاء السليمة والمقاومة الباقية من المجتمعات الإسلامية من خلال إنتاج سياسات حديثة وتقدمية ثقافية

---

[1]-محمد البهي، المرجع السابق، ص 51.

[2]-فهمي جدعان، المرجع السابق، ص 325.

[3]-فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص 115.

[4]-علي الشامي، أيديولوجية المغلوبين، الفكر العربي، س 7، ع 43، حزيران 1986م، ص 213.

[5]-سعد الدين إبراهيم، مصادر الشرعية في أنظمة الحكم العربية، المستقبل العربي، س6، ع62 نيسان 1984م، ص 101.

[6]-حسن الضيقة، في الفكر السياسي الماركسي، العرفان، م 72، ع2، شباط، 1984م، ص 35.

واجتماعية واقتصادية وتربوية. وقد استغلت القيادة النخبوية الجديدة قيم المجتمع التقليدي ومشاعره الإسلامية للحصول على المكاسب على المدى القصير وما إن تمكنت هذه النخب من تحقيق هذه المكاسب خاصة خروج الاحتلال العسكري واستعادة الاستقلال حتى أعلنت الحرب على هذه القيم والمشاعر الإسلامية عينها. وقد بلغ الأمر بالنخب العربية المعاصرة من التماهي بالايديولوجية الغربية أن تطابقت رؤيتها مع هذه إلى حدّ كبير ليس على مستوى المفاهيم فقط وإنما حتى على مستوى تبني النظرة الغربية حول بناء الدولة القومية الجديدة وذلك عن طريق التغيير الشامل والثورة الشاملة لحل ما حددته في مشكلات الخرافة والاتكالية والعجز والتقليد والكسل والتعصب والماضوية....وآلت الأوضاع في المجتمع الإسلامي إلى نوع من الانفصام والازدواج شمل معظم المؤسسات الفكرية والتعليمية والسياسية والاقتصادية والإدارية ...«فإلى جانب الفكر الإسلامي قام الفكر العلماني وإلى جانب التعليم الديني قام التعليم المدني الغربي وإلى جانب الحكم الفردي قام النظام النيابي وإلى جانب الإنتاج الحرفي والعائلي والمهني قام نظام الشركات والصناعات الحديثة وهكذا في الأحياء السكنية والمساكن والملابس والمآكل...» ومع ذلك فإن هذا الواقع الانفصامي والازدواجي لا يقوم به عصر مخالف لعصر الأوروبي وإن واكبه- كما يعلق "طارق البشري" —«وإنما يقوم به عصران مختلفان في مجتمع واحد مما يختل به النسق الاجتماعي وتتضارب معايير الاحتكام والشرعية فيه»[1].

وبعد عقود عديدة من وهم البناء، أجبر فيها النموذج الإسلامي على الانزواء والتقهقر لصالح النموذج الوافد الغربي ويبقى النموذج التوفيقي،[2] -الذي غالبا ما يصطلح عليه بالموقف الوسط- في الواقع عبارة عن نظريات لا تعكس إلا حركة نظرية لدى بعض المثقفين، ولم يكن لها تجسيدات حقيقية في الواقع المتغير، كما عبر عن موقف مرحلي انتقائي وانتقالي، وتكيف وتصالح مع الغلبة. وسواء كان التوفيقيون على وعي بذلك أم لا، فإن هؤلاء قد كانوا في موقع متقدم لتكريس النموذج الحضاري الآخر ولذلك كان اتجاه التوفيق في الواقع الإسلامي حركة شكلية وقالبا فارغا لأن المضمون كان يملؤه القادرون على التحكم بحركة هذا الواقع لتنتفي بالتالي عن

---

[1]-طارق البشري، نحن بين الموروث والوافد، المستقبل العربي، س5، ع 85، كانون الأول 1983م، ص 131.

[2]-كان لابد من إيراد هذا الموقف استكمالا لصورة الصدى والاستجابة التي تتم بها في أي حضارة متأثرة بأية حضارة مؤثرة والذي لا يشذ عنها أي تحليل كما يقرّه مؤرخوا الحضارات الإنسانية وعلى رأسهم أرنولد توينبي ويتمظهر التأثير في ثلاثة اتجاهات هي: اتجاه القبول الكلي، اتجاه الرفض الكلي والاتجاه الوسط وهو ما نعتناه هنا بالموقف التوفيقي.

الموقـــف التوفيقي أصالته كنموذج مستقل للتقدم لأنه مثل في حقيقته مساومة على أصل ومرحلة انتقالية أو طعم منصوب أو وهم وسراب على منعطف الطريق بين النموذجين لا يغني ولا يسمن مـــن جـــوع. وقد يختصر في أنه لم يتحقق له الاستقلال الحضاري الذاتي وهو أبسط مبادئ قيام المجـــتمع - الدّولـــة الأمة - والمتمثل في إمكانية الاكتفاء الذاتي المادي وإرضاء حاجات المجتمع والاســـتقرار السياســـي والـــتحذر الثقافي بل قد وقع العكس من ذلك فقد تكررت الإحباطات وخيـــبات الأمل بالمجتمعات الإسلامية من جراء انهيار أحلامها بالعدل والكفاف ودفع إلى اليأس قطاعـــات واســـعة مـــن شعوبها وهو ما يؤكد بالواقع وبالتجربة العملية أن أية محاولة للنهوض والتجديد من الخارج الإسلامي بالنسبة للأمة الإسلامية مصيرها الإخفاق والفشل.

إن محـــور ما يعنيه الخطاب التغريبي من عدم الاعتراف بالهزيمة في الواقع الإسلامي هو الإصرار على استمرار التحكم بهذا الواقع، وأن يظل هو فيه المرجع والقدوة والغاية، وهذا يعني تحديدا

أ- استمرار نخب التغريب على تعميق الهوة بين المجتمع ودولته في الوطن الإسلامي

ب- الإصرار على التغيير الفوقي وعلى هامش الشعوب

ج-الانفـــراد بسلطة اتخاذ القرار فيما يخص مصير هذه الشعوب واغتيال شرعية الحديث باسمها ودون إذنها .

ولذلـــك تعمـــل النخب التغريبية على العودة في ثوب جديد وذلك بعد إحصاب المشروع التغريبي القديم الجديد عبر:

1- تشريح العقل المسلم والذي يتم فيه

أ- استئصال المناعة الفكرية

ب- تكثيف الأبحاث حول العقل المسلم

ج- استئصال المناعة الثقافية

د- تفكيك التركيب النفسي للإنسان المسلم

2- توظيف المصطلح الإسلامي

أ- إسقاط المفاهيم التراثية عليه

ب- الاستفادة من مشروعية المصطلح الإسلامي القديم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج- إعادة القراءة للتراث

د- استغلال المصطلح[1].

إن الخطـــاب الإســـلامي المعاصر- مسكونا بهاجس النهوض دوما- يعمل على مستويين مســـتوى تحليل الواقع وإعادة قراءته له وتصنيف إشكالياته والقوى الفاعلة وموازينها من حيث إيقاع التأثير والاستجابة والصدى، ومستوى بحث ووضع الحلول متخذا من المستوى الأول قاعدة لـــلمعلومات يتعامل معها ليس كحقائق فحسب وإنما كخلفية قاعدية صلبة للإنجاز الفاعل وقت المرور للعمل الميداني.

وبناء على ذلك فالخطاب الإسلامي المعاصر ينطلق من وعيه بأن التغريب لم يعد مظهرا من مظاهر ثقافة المجتمع الإسلامي ونخبه الثقافية فحسب وإنما هو قد تغلغل شديد التعمق في حياة هذا المجتمع بمختلف جوانبها إلى درجة أن بات الخطاب الإسلامي وهو يدعو إلى الانفصال عن منهج الحـــياة الغربية أقرب إلى المثالية والوعظية والعاطفة وإذا كان المجتمع الإسلامي بوسعه التمييز بين الوافـــد والمحلي والدخيل والأصيل في الثقافة والسلوك الإسلاميين[2] فإنه أصبح اليوم -في المقابل- يضع الأصيل موضع الغرابة والمسائلة.

المطلب الثالث: الخطاب الإسلامي ومسوغات العمل السياسي.

عـــلى الـــرغم من فشل المشروع التغريبي ونخبه السلطوية، فإن الخطاب التغريبي لم يعترف بالهزيمة ولا أقر بعدم صلاحية هذا المشروع لإصلاح أوضاع المجتمع الإسلامي وتحقيق أي تقدم في الأهداف المسطرة وقد عزى بدلا من ذلك- هذا الفشل إلى المجتمع الإسلامي نفسه أي إلى:

1- الذات المسلمة بسبب تكوينها وبنيتها العقلية وتركيبها النفسي

2- المناخ الإسلامي بتراثه وتاريخه وحتى لغته.

ومن ثم فهو يدعو ويعمل على إعادة صياغة هذه العقلية وإخضاعها لعملية جراحية متأخرة

---

[1]-أنظر: طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات وعلاج، المرجع السابق، ص 49.

[2]-يعد كتاب "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" للدكتور محمد البهي، أهم الكتب الإسلامية تصويرا وتجسيدا لهذه العلاقة السجالية بين الفكر الإسلامي الحديث وبين الاستعمار الغربي، وهو ثبت منهجي وتصنيف علمي لأهم النشريات الفكرية الغربية إلى الفكر الإسلامي وقد عبر محمد البهي عن منهج مرحلة معينة ومبكرة من مراحل تشكل هذا الفكر وهو مرجع علمي وفكري محوري في هذا المجال ومن ثم فلا يزال هو السمة الأساسية للخطاب الإسلامي المعاصر... إلى الآن.

يكمـــن الهـــدف منها عملية استئصال المناعة التي تقف دون ولوج المشروع الغربي إليها والمحبطة لفعاليـــته وتـــأثيره غيها، وذلك لتمكين هذا المتروع من الوصول بسرعة لأهدافه وغاياته، وقد اختزل "طه جابر العلواني" هذا التحليل في الشكل التوضيحي الآتي.

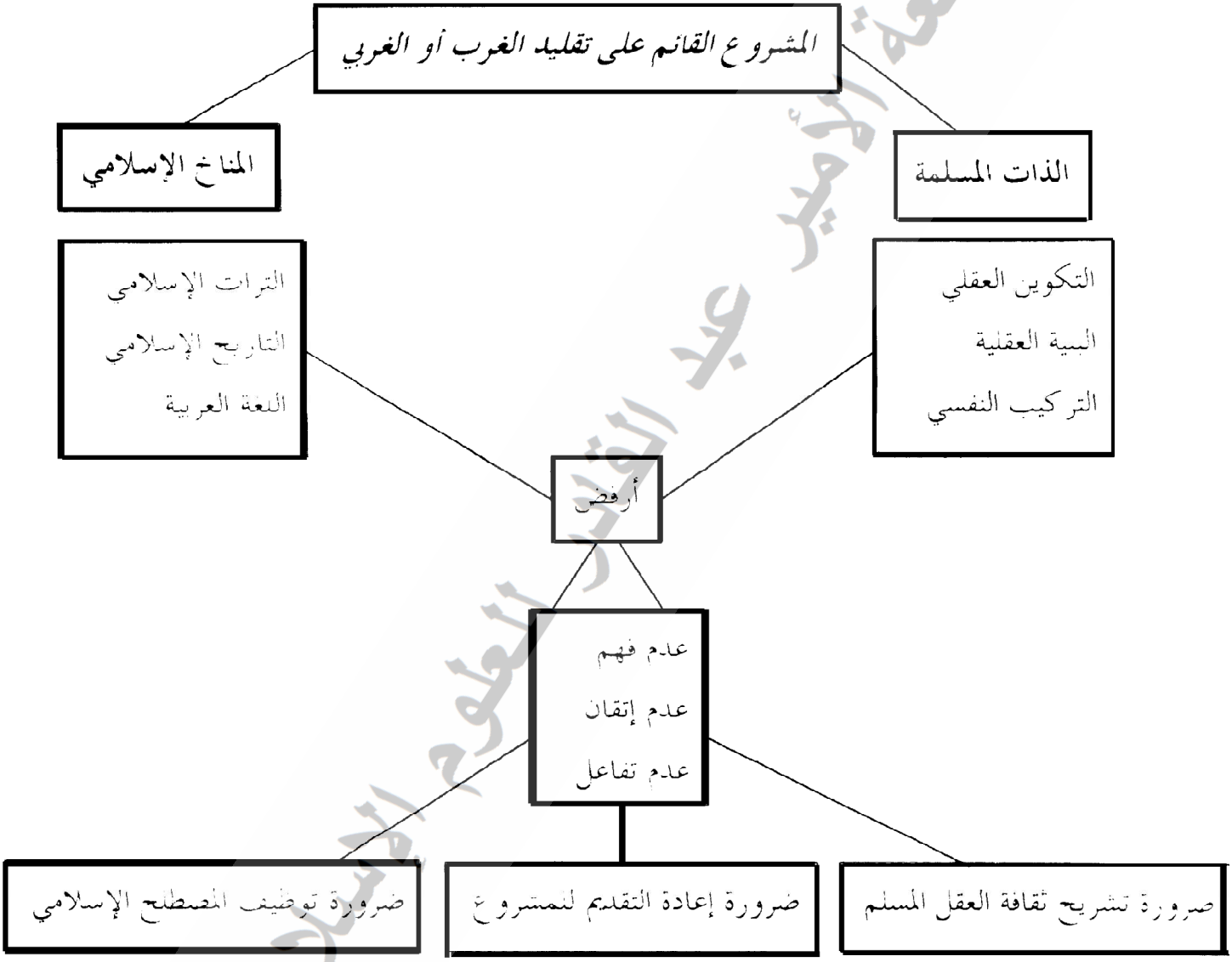

الشكل رقم 2: الخطاب التغريبي يصر على الاستمرار رغم الفشل[1]

والـــتجربة التاريخـــية للخطاب الإسلامي تسجل لهذا الأخير أن مقاومته للاحتلال الغربي كانـــت مقاومة مزدوجة، فقد اتخذت الطابع السيِّاسي الثوري الجهادي لكنها قامت على توجيه إسلامي وعلى فكر إسلامي أصيل وهو ما سماه "محمد البهي" «بالاتجاه الفكري الإسلامي المقاوم

[1]-طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات وعلاج، المرجع السابق، ص 45.

للاستعمار الغربي»[1] وكان هذا يعني ضمنيا أن الخطاب الإسلامي وهو يقاوم الاحتلال الغربي الجاثم على أرض الوطن الإسلامي فإنه كان في الوقت نفسه يقاوم البنية المعادية له من داخل الجسم الإسلامي نفسه المتمثلة في الداعين له والمساعدين على الدعوة إليه بل وحمايته وذلك على المستوى الفكري البحت لكن أيضا على المستوى العملي أي عبر خطة عملية لمقاومته وبعبارة أخرى فإن مقاومة الخطاب الإسلامي كانت سياسية ودينية في الوقت نفسه.

ويبدو أن الخطاب الإسلامي لم يحقق النجاح الكامل على المستويين فلئن تم له التعبئة الجهادية للأمة والتي كللت باستعادة الاستقلال بخروج الاستعمار فإنه لم ينجح في عزل نخبة الاستعمار على التحكم وسيادة خطابها وتوجيهها للواقع الإسلامي تعريبيا كذلك الأمر بالنسبة للمستوى الفكري فقد نجح الخطاب الإسلامي في التصدي للاستلاب الثقافي الغربي في مساحات لا بأس بها من نخب المثقفين والمتعلمين في الوطن الإسلامي سواء أثناء التواجد الاستعماري –وهي التي تمت فيها المواجهة والمقاومة- أو بعد مرحلة الاستقلال فإن نخبا وشرائح واسعة أخرى استمرت وتستمر في تمسكها بعناصر الثقافة الغربية بل وقد ازدادت التحاما ودفاعا عن اختياراتها الأمر الذي بدا معه «أن مهمة التحصين الفكري والثقافي في الواقع الإسلامي المعاصر لا تعدو أن تكون مجرد مهمة فوقية لا جدوى منها ولا لنتائجها لأنها في الحقيقة لا تطال البنى التحتية للمجتمع الإسلامي التي يجري إخضاعها لنظم وقوانين وعلاقات تغريبية بالكامل وإذ ذاك فما جدوى من تكوين نخب إسلامية ثقافية رافضة لهذا المجتمع وهي في الواقع غير مالكة لوسائل تحويله»[2]، وهذا عين ما عبرت عنه عقود الخمسينات والستينات في مصر بالذات.

ومن نافلة الإشارة التأكيد أن الفشل الذي صاحب الخطاب الإسلامي، إن جاز لنا وصفه بذلك، لا يعود إلى فشله الذاتي كما هو الأمر بالنسبة للخطاب التغريبي في الواقع الإسلامي وإنما يعود إلى عوزه لوسائل التغيير وهو ما سماه "عبد المجيد النجار" بسلطان التنفيذ[3] الذي مكّن الخطاب التغريبي من الاستمرار والسيادة في توجيه هذا الواقع، وعمل في الوقت نفسه على كبت وانزواء النموذج الإسلامي وذلك نظرا لاحتلاله «المواقع المفصلية في المجتمع والدّولة والتي يشرف

---

[1]-أنظر: محمد البهي، المرجع السابق، ص 71.

[2]-محمد حسن الأمين، المرجع السابق، ص 27.

[3]-عبد المجيد النجار، النهضة الإسلامية، العوائق العوامل، ص 449.

من خلالها على ضبط وتوجيه وقيادة كافة فعاليات المجتمع والدولة السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية والإعلامية والإدارية والمالية»[1].

ووعيا منه لهذه الأزمة الناشئة عن فوقية الخطاب التي أتاحت للتحولات التغريبية في المجتمع الإسلامي أن تأخذ مجراها في المجالات الحيوية منه دون أن يكون للخطاب الثقافي الإسلامي تأثير وازن في كـــم هذه التحولات، بدأ هو –الخطاب الإسلامي– بالتحوّل إلى الفعل السياسي أكثر فأكـــثر دون التخلي عن الفعل الثقافي والفكري، لكنه «بدأ يتمحور حول همّ واحد أساسي هو تغيير البنية السياسية التي تقود عمليا تحولات التغريب»[2] وتكرسها في المجتمع الإسلامي ومع أنها لا تملك شرعية هذه القيادة فإن شرعيتها في ذلك هي ملكيتها للقوة والثروة التي بسببهما تتمكن مـــن التحويل القسري للمجتمع ومن إنشاء قوى اجتماعية جديدة لتستمر عن طريقها في تطبيق خططها وتوجهاتها»[3].

إن قـــراءة هذا التحول للخطاب الإسلامي المعاصر من الفعل الثقافي إلى الفعل السياسي في الواقـــع الإســـلامي وإن كانت تستجيب عمليا لتحليل محمد عمارة في حتمية هذا التحوّل. وفي التنبؤ به فيما عبّر عنه بمرحلة تخلّق الجسم وظهور الأنياب والأظافر فإن الموقع السحابي والتصادمي مع السياسات القائمة الذي يشدّد الخطاب الإسلامي المعاصر على عدم شرعيتها طارحا في المقابل مشـــروع الســـلطة الإســـلامية التي تتمتع وحدها بالشرعية لأنها تعبّر عن عقيدة الأمة وهويتها المصادرتين" تغريبيا يقدّم المسوّغات للقراءات الغربية الفاعلة والمتحكّمة في الفعل الثقافي والسياسي العـــالمي، لتحصر الخطاب الإسلامي في مصطلح الأصولية فقط وبالذات –في عمية إسقاط غير مـــبرّرة نظرا لأن الخطاب الإسلامي قد كرّس المقاومة الثقافية والفكرية لمدة أكثر من القرن، ومع الـــنجاح النســـبي فـــيها فإنها بدت بدون جدوى من حيث تحذير المقاومة للاستيلاء من جهة ولاستمرار إصرار الخطاب التغريبي على الانفراد باتخاذ القرار الحضاري باسم الشعوب الإسلامية مـــن جهة أخرى بما ينتهي به إلى استمرار التيهان وعدم الاستقلالية ومن ثم بات واضحا أن هذا التحوّل قد استنفذ قبل اتخاذ القرار بصدده كل الحلول وكل التجارب ليتمفصل في حل قدّمت له

---

[1]-فادي إسماعيل، المرجع السابق، ص 137.

[2]-محمد حسن الأمين، المرجع السابق، ص 27.

[3]-المرجع نفسه، ص نفسها.

صـــورة الواقع الإسلامي من جهة وفشل الخطاب التغريبي في إحداث أي تقدم إيجابي، وإصراره على الاستمرار، كل المسوّغات للتحول إلى الفعل السياسي.

ولم يكن التحول إلى الفعل السياسي لكرّس واقعيا لولا التزوع الشعبي الواسع إلى العودة إلى الدين ومنطلقاته نظرا لمسوّغ فشل مشروع وخطاب التغريب على مستوى الممارسة والإنجاز لكن قـــد أدى إليه في الحقيقة ما بدا للشعوب الإسلامية من تساهلها للانضواء تحت المشروع التغريبي وســـكوتها عـــلى تطبيقاته بل واستسلامها لإبعاد الإسلام عن موقع التحكم في شؤونها وهو ما أمســـت معه في انهيار أحلامها في العدل والكفاف والكرامة كعقوبة إلاهية مستحقة فكانت هذه الإرادة الجماعية للعودة إلى الالتزام بالإسلام -واقعا وسلوكا وهدفا- التي مير العقود الأخيرة من القـــرن المنصرم، لكن الخطاب الإسلامي وهو يتحول إلى دروب الفعل السياسي فإنه لم يحسب حســـاب الواقـــع المحلي الذي يحيطه التغريب نخبة وممارسة وخطابا، ولا الواقع الدّولي: فالانحياز الغربي ضد الخطاب الإسلامي وانكشاف ازدواجيته ونفاقه وسقوط دعاواه بشأن العناوين الكبرى الـــتي يـــرفقها في مجال الديمقراطية والحقوق العامة وحقوق الإنسان... إن كان يكسب الخطاب الإســـلامي العمق والرسوخ في الواقع والقناعة الشعبية ويزيده قوة في استحقاق الشرعية فإنه في مواجهـــة الغـــرب العالمي والتغريب المحلي يجعل الرهان على الاهتمام بالفكر والحوار أقرب إلى الســـداد والســـلامة وضـــمان الحضور مبرّرا أكثر من أي وقت مضى، وعليه فإن اتجاه الخطاب الإسلامي الذي تمثله الفصائل الأخيرة من الحركة الإسلامية في العمل على إصلاح منهجية الفكر وإســـلامية المعرفة قد اهتدى إلى أصل الأزمة وموقع الخلل في التأكيد على أن جوهر هذه الأزمة الـــتي تعيشـــها الأمة الإسلامية هي أزمة فكرية بالأساس[1] تندرج تحتها سائر الأزمات السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية وغيرها والتي تتمظهر في عدة وجوه منها الاضطراب في فهم مصادر الفكر، والاختلال في طرائقه ومناهجه، واستعداده للتخلي عن تبوّء المكانة اللائقة بالأمة الموصوفة في قولـــه تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[2].

---

[1]-للاستفاضة حول الموضوع يرجى الاطلاع على: طه جابر العلواني، خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ط1، 1989م.

- عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، 1981م.

[2]-آل عمران ،11.

ومعلوم أن "مالك بن نبي" قد سبق إلى التنبيه إلى ذات الخلل وتقرير ذات النتيجة لما قال «إن جوهر المسألة هو مشكلتنا العقلية، ونحن لازلنا نسير ورؤوسنا في الأرض، وأرجلنا في الهواء. وهذا التقسيم للأوضاع هو المظهر الجديد لمشكلة نهضتنا»[1] واستنبط مما يعرّفه بالقانون الإلهي والتاريخي الحضاري الخالد ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[2] قوله غير مغيّر لسنن تغيّر التاريخ.

والسياسة عند "مالك بن نبي" وثنية جديدة لها قبابها وزواياها وحروزها وتمائمها... وما داء الاستعمار القديم الجديد هو مسطّر شروطها وراعي شيوخها وحامي حماها... فإنه إذا توارت الفكرة عن العقول وحلّت محلها الوثنية ينصب لها في كل سوق منبر كي يستمع الناس إليها تسلية لهم وإغفالا لواجباتهم وإبعادا لهم عن طريق التاريخ. وإذا كان الشعب يقتني بالثمن الغالي البركات والخروز فقد أصبح يقتني الأصوات والمقاعد الانتخابية ويسعى إليها في تعصب لا يفرق عن تعصبه الأول... دون أي جهد لتغيير نفسه أو مجتمعه[3].

وكان "محمد عبده" قد قدّم وبعده "رشيد رضا" النظرية الإصلاحية التربوية في مقابل النظرية الثورية. كما قدّم النظرية الإصلاحية التدريجية حتى في المجال السّياسي، وهو ما بذره "عبده" في حوالي أيام زيارته لها في 1903م قبل وفاته بعامين 1905م[4].

وبعد دوّي النادي الإسلامي بضرورة إصلاح منهجية العقل والفكر الإسلامي، والانكباب على تصحيح أسس المناعة في جسم الأمة ما يجد في تجربة الخطاب الإسلامي السياسية من جهة ومن الأوضاع الدّولية الراهنة المبرّر الأوفر للمراجعة، ويدرك كل سليم العقل أن حصيلة التصحيحات الخسيمة أيام الاحتلال المباشر، وبعد استعادة الاستقلال لم تعد على الأمة بما كانت تصبو إليه فيما يؤدي إلى تسديد المسار الحضاري بل على العكس من ذلك أي استفحال الأزمة على الصعيد الفكري.

وهو ما يؤكد على مشروعية المراجعة والتقويم، والرهان على إصلاح منهجية العقل والفكر

---

[1]-مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 36.

[2]-الرعد، 13.

[3]-المرجع نفسه، ص 35.

[4]-يرجى الاطلاع على: الشيخ رشيد رضا، والخطاب الإسلامي المعتدل، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي.

الإسلامية ومن شأنه تحقيق:

أ- العمل على إعادة من سقط من فئات الأمة في الاستلاب الحضاري فكرا وثقافة.

ب- العمل على رد الثقافة الأوروبية إلى حجمها الحقيقي وحدودها الطبيعية.

جـ- العمل على تصحيح الثقافة البشرية بردها إلى توازن الروح والمادة.

د- المساهمة في تحقيق سعادة البشر التي جنت الحصاد المر من أحادية التوجيه ومركزية القرار ولا تزال...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

الخطاب الإسلامي تحت الاحتلال الفرنسي في الجزائر: بين سياسات التغييب ومسيرة الانبعاث الصعب (ة)

المبحث الأول: فرنسا وسياسات تغييب الخطاب الإسلامي في الجزائر

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي تحت الاحتلال الفرنسي وخيار المقاومة الحضارية

المبحث الثالث: فرنسا وصناعة النخبة البديلة في الجزائر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حين نتناول الحديث عن الخطاب الإسلامي في الجزائر لابد أن ننطلق من وعي تام بعدة مسائل ترفع اللبس عن مشروعية المصطلح نفسه في خصوصيته الجزائرية وتمتد به عبر جسمه الطبيعي وهو الخطاب الإسلامي الواحد نشأة ومسيرة وتطوّرا، وذلك في:

1-إن الحديث عن الخطاب الإسلامي في الجزائر هو حديث عن الخطاب الإسلامي في الوطن الإسلامي عموما، وما الجزائر إلا تربته وأرضه وامتداده في اتجاه جناحه المغربي، وذلك في نشأته وتطوّره ومسيرته ثم في اهتماماته وانشغالاته وهواجسه وتوجهاته، فهو قد نهل من المنابع نفسها ضمن حركة علمية واحدة كان فيها تلميذا وعالما وإماما وفقيها ومجاهدا وقائدا، وتبلور سلوكا ونمط حياة وعمرانا ولغة وتقاليد ومراكز علم وجوامع...

2-يكتسب الخطاب الإسلامي خصوصية الجزائرية زمنيا وجغرافيا كاستراتيجية في مواجهة الاحتلال الديني الحضاري واللغوي الذي فرضته فرنسا-الصليبية اللاتينية- على أرض الجزائر- المسلمة العربية-وشعبها ضمن عملية التجزئة الاستعمارية العالمية لأرض الوطن الإسلامي، وعليه فإننا حين نتحدث عن الاستعمار الغربي للوطن الإسلامي، فإننا نتحدث في المقابل عن الخطاب الإسلامي الواحد في مواجهة هذا الاستعمار، لكن حين نتحدث عن الاستعمار الفرنسي للجزائر، فإن المسألة ترتسم ضمن المحلية في بعدها الجزائري زمانا ومكانا والتي تميز مسيرة الخطاب الإسلامي في مواجهته لرد عدوان الاحتلال الفرنسي في صوره المختلفة التي كرّسها وفرضها على الجزائر بالذات، أرضا وشعبا ومصيرا تماما كما فعل الاحتلال الإنجليزي في مصر وغيره فيما سواها...

3-من اليسير أن يفهم بالتالي أن مصطلح الخطاب الإسلامي في الجزائر -نفسه- لا يجد مشروعية الكاملة في الواقع والخصوصية الجزائرية إلا بعد أن تبلور في صوت مسموع وعبر أشكال اجتماعية وثقافية وميدانية وتخندق في جبهة الدفاع باسم الشعب الجزائري المسلم لمواجهة الخطابات الأخرى التي خلقها الاحتلال الفرنسي وأفرزها سياسته في الساحة الجزائرية في شكل أحزاب وتيارات وجماعات ونفخت فيها إدارة الاحتلال لتطمس صوت الجزائر العربية المسلمة وليعلو صوتها بالدخيل من الأفكار والتوجهات والخيارات حالت دون معالجتها والبت فيها أولويات مرحلة في مقابل أولويات تاريخ فاستمرت في جزائر ما بعد الاستقلال متشبثة بذات الخيارات والأفكار واتتها ظروف محلية إقليمية وعالمية... ولا تزال.

لقد عم الفتح الإسلامي الكامل لبلاد الجزائر وكمّل أهلها مسيرته إلى المغرب الأقصى ثم إلى الأندلس تحت قيادة القائد الجزائري طارق بن زياد الذي استلم رسالة الفاتحين بأمانة وإخلاص ليقوم بدور الجزائر في نشر الإسلام، «وقد تمخضت الإدارة الإسلامية للجزائر التي اعتمدت على القيادات المحلية عن تكوين مجتمع عربي مسلم كان وما يزال قلعة حصينة للعروبة والإسلام»[1]، وقد تميزت الثقافة الجزائرية في صميمها بكونها ثقافة عربية إسلامية تشترك مع الثقافة العربية الإسلامية في كل أقطار الوطن العربي الإسلامي بداية من مناهج التعليم وحدود الأفكار ومعاهد العلم التي ارتادها الجزائريون وكذا الطرق الصوفية التي انتهى إليها هؤلاء أو ابتدعوها،وقد تبلورت الحياة الإسلامية في الجزائر عبر الأجيال وعبر مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية الوثيقة الصلة دوما بالعقيدة الإسلامية سلوكا وشعائر ومناسبات وتشريعات،وخاصة عبر تآليف علمائها عبر العصور

وعند دخول العثمانيين إلى الجزائر شهدت هذه تحوّلات سياسة أدت بدورها إلى تحولات اجتماعية وثقافية هامة، حيث ستعرف الجزائر تحت الحكم العثماني ثنائية بين السلطة السياسية والسلطة الثقافية.

فقد اتسم الحكم العثماني باستمرار حالة الحرب وذلك للدفاع عن الإسلام ضد العدوان الصليبي الذي كانت تقوده أوربا باسم الكنيسة ممثلة في الاحتلال الإسباني للجزائر لمدة ثلاثمائة سنة[2]، والذي قد أجبر فيه الإسبان على الخروج من جميع المناطق التي احتلوها قبل نجدة العثمانيين، وتبقى وهران ومرساها الكبير في أيدي الإسبان مما يجعل الإقليم العربي للجزائر في حالة حرب مستمرة لتتواصل مهمة العثمانيين في قيادة الدفاع المشترك والجهاد ضد الصليب مع الجزائريين ويتواصل معها التواجد العثماني في شمال إفريقيا حتى جلاء آخر جندي إسباني من الجزائر ومن ثم استمرار علاقة الجزائريين بالعثمانيين على توترها واضطرابها في كثير من الأحيان وليؤثر هذا الوضع على الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للجزائر عموما.

وقد أكد أبو القاسم سعد الله من خلال كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى

---

[1]-أحمد بن نعمان: كيف صارت الجزائر مسلمة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ص5.

[2]-للاستفاضة حول الموضوع انظر كتاب: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، وثائق ودراسات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.

الرابع عشر الهجري (16-20م)، الوجود الثقافي المستقل للجزائر في مختلف الأطوار التي مرت بها مركزا على العهد العثماني، ولكون العثمانيين –في الجزائر- غرباء عن اللغة والثقافة العربية، وعن تاريخ الحضارة والتشريع الإسلامي، فقد استأثروا بشؤون الحكم من سياسة وجيش وإدارة تاركين القضايا الأخرى في الدولة للعلماء، وهي قضايا هامة في تسيير المجتمع ومصيره من الناحية العلمية والقضائية والدينية مثل الإفتاء والقضاء والتعليم والإمامة والخطابة، بالإضافة إلى مهمات السفارة بين الجزائر وبين الدول الشقيقة ودول الجوار، مما جعل من العلماء في الجزائر فئة متميزة ودفع بعض المؤرخين الغربيين إلى تصنيفهم ضمن «القسم الثاني من نظم الدّولة بعد النظم السياسية أو النظم الحاكمة والمتمثلة في السلطات والوزير والجيش والولاية وغيرهم من الإداريين والماليين»[1].

ونظرا لاختصاص العلماء بهذه المجالات الهامة والتي تجعلهم على صلة دائمة بالناس في الدروس ومجالس الفتوى والقضاء والزوايا وخطب الجمع ونحو ذلك وحتى في بعض المجالس العامة في المقاهي وأماكن الازدحام، فقد أصبح هؤلاء العلماء –يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني مما جعل علاقتهم بالحكم تتسم بالحذر والخوف أو التملّق والتقرب من طرف العلماء وبالحذر والمضايقة والسجن والنفي أو الإحسان والتغاضي والتبجيل من طرف الحكام حسب موقف كل عالم من الحاكم ومن قضايا العصر، مما يرتبط بمصالح الشعب ومصير البلاد عموما والتي غالبا ما تكون فيها غلبة الرأي تشريعا وتنفيذا –عند المعارضة- «إلى جانب الحكام لما لديهم من القوة والسلطان وليس لما لديهم من الحق والبرهان»[2].

وقد أثرت ظاهرة الوجود العسكري واستمرار حالة الحرب مباشرة على الواقع الثقافي في الجزائر وعلى الإنتاج العلمي فيها، وهذا ما تؤكده تآليف العلماء أثناء الحكم العثماني. وعلى الرغم من سمة الجمود والسطحية والخرافة الغالبة على هذه التآليف كما يصفها البعض، إلا أن عددا من العلماء والشعراء وكذا المتصوّفة خرج عن هذه القاعدة وخاصة في أوقات استقرار الأوضاع السياسية وازدهار الحياة الاقتصادية أوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر

---

[1]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ج1، ص393.

[2]-المرجع نفسه، ص395.

الميلادي) وعند استرجاع مدينة وهران في 1205هـ،ومن هؤلاء أمثال أبو راس[1]، الورتيلاني[2]، وعبد الرزاق ابن حمادوش[3]، وابن سحنون[4]، وغيرهم ونظرا لأهمية تآليفهم، ومكانتهم وأثرها على الحياة الثقافية في الجزائر يؤكد أبو القاسم سعد الله أنه «لو لا الاحتلال الفرنسي لأخذت تلك الحركة في التوسع والنمو ولسبقت الجزائر أخواتها بالنهوض والتخلص من ظاهرة الجمود»[5]

ويتضح لنا أن الخطاب الإسلامي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي قد كان متميزا وأصيلا على ما وصف به من إيجابيات وسلبيات بين النبوغ والخرافة، وقد مثله العلماء والمتصوّفة من أبناء الجزائر بغض النظر عمّن تتلمذوا عليه أو بمن تأثروا به من علماء المشرق أو المغرب العربيين وطرقهما الصوفية، وقد كانت هذه وزواياها المنتشرة في ربوع الجزائر مراكز للتعليم ومخازن للكتب، وأماكن للتربية الروحية والثقافية للأجيال مما جعلها مصدر قلق للولاة الظالمين الذين كانوا يخشون ثورتها فكثيرا «ما هددت كيانهم لما كانوا يتطاولون في الاستبداد والغلاء، واللهو واللعب بمصير الشعب ومصير الدين»[6]، مما جعل البعض بعدّها من قبيل أحزاب للمعارضة في أدائها لمهمة التثقيف السياسي والتعبئة الشعبية[7] ضد ظلم الحكام وطغيانهم والتي تترجم معارضتها ميدانيا في قيادة الانتفاضات والثورات ضد هؤلاء الحكام، مما ينجم عنها في كثير من الأحيان

---

[1]-أبو راس: هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الجليلي، من علماء الجزائر، ألف في كل فروع العلم المعروفة في وقته بداية من علوم القرآن الكريم، وقد نبغ في التاريخ والأنساب والأخبار، ما تزال كتبه مخطوطة بينما ترجم عدد آخر منها ونشر بالفرنسية. انظر: المرجع نفسه، ص ص390-395.

[2]-هو الحسن بن محمد السعيد الورتيلاني (1125-1193م) من أسرة عربية شريفة، نشأ فقيرا ومتصوّفا، تعلّم على يد مشايخ وعلماء عصره وأصبح من علماء منطقته كما تخرج على يديه كثير من التلاميذ الذين تولوا وظائف دينية سامية، أكثر تآليفه في الفقه والتصوف والتوحيد كما نبغ في التاريخ والأخبار، وعرف برحلته المشهورة بعنوان "نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار". انظر: المرجع نفسه، ص ص407-412.

[3]-هو عبد الرزاق بن حمادوش المولود في الجزائر في 1107م، تعلّم بها، وعاش فقيرا، لا يفارق الكتب تلقى كل العلوم بالدّرس إلا الكيمياء والسيمياء والموسيقى، فقد أخذها بالإجازة، كان ميالا للكتب العلمية مثل الحساب والقانون والفلسفة والمنطق، اهتم بالطب والفلك وأصبح طبيبا وصيدليا وعشابا، ترك عدة مؤلفات وتوفي في المشرق في1197م. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص ص438-450.

[4]-هو أحمد بن محمد الشريف المعروف بابن سحنون، من الأدباء البارزين في الجزائر في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، له عدة تآليف تشهد له بالحذق والمهارة والعلم. انظر: المرجع نفسه، ص181، وص251 وغيرها.

[5]-المرجع نفسه، ص14.

[6]-المرجع نفسه، ص129.

[7]-أحمد حمدي: الخطاب الإيديولوجي عبر الصحافة الجزائرية الصادرة باللغة العربية، المرجع السابق، ص126.

تحقيق المطالب المطروحة –موضوع الثورة– بل وفي كثير من الأحيان الأخرى تؤدي إلى عزل الحكام أنفسهم وتغييرهم.

وبالإضافة إلى الدور الروحي والثقافي والاجتماعي والسياسي الذي كانت تؤديه الطرق الصوفية وزواياها في المجتمع، فقد كانت مراكز لإيواء فقراء الجزائريين وتدريب، وتعبئة وتكوين المجاهدين في أوقات الحروب مع العدو، ويعود إليها الفضل في الدفاع عن الوطن ورد العدوان الصليبي الإسباني، وهو الأمر الذي يفسّر انتشارها المكثف في الشمال الجزائري –والشمال الغربي تحديدا– لتسجل بعدها بداية المقاومة الشعبية للغزو الفرنسي منذ الأيام الأولى لهذا الغزو بقيادة شيوخها ومريديها قبل أن تتراجع إلى الداخل بعيدا عن أعين الاحتلال لتنظيم المقاومة المتواصلة ضد الفرنسيين طيلة القرن التاسع عشر الميلادي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: فرنسا وسياسات تغييب الخطاب الإسلامي في الجزائر

تتهاوى كل التحليلات التي تتغافل عن الهدف الأصيل للاحتلال الفرنسي للجزائر أمام قوة الواقع السياسي والاجتماعي الذي نتج عن المحاولات الفرنسية المدروسة لتقويض الإسلام في الجزائر طيلة القرن وأكثر من ربع القرن من تواجد الاحتلال على أرض الجزائر المسلمة، وذلك على مختلف المستويات بداية من:

أ-الخطط التي أعدتها سلطات الاحتلال لتقويض الإسلام في الجزائر.

ب-الأهداف المعلنة والخفية عبر التصريحات والأعمال.

جـ-الاستراتيجية الاستعمارية ووسائلها المتجددة عبر الزمان والمكان.

د-ونهاية إلى مستوى النتائج في الجزائر ما بعد الاحتلال التي تحوّل فيها الخطاب السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري من السمّة الإسلامية الصميمة والفريدة إلى سمة تتجاذبها الخطابات الدخيلة التي تختلف في الوجهة وتتناقض في الانتماء والتي أصبحت من القوة والحضور أن أصبح الخطاب الإسلامي في الجزائر تدريجيا موضع مساءلة وغربة.

فقد لخص مقال هانوتو، المستشرق الفرنسي ومستشار وزارة الاستعمار الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر، المقترحات الضرورية لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها الإفريقية الإسلامية، والتي ستؤول -وقد آلت فعلا- إلى النتائج التي خطط لها، وذلك تحت عنوان "قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية"[1]، والذي يتأكد لنا من خلالها أن الغزو الفرنسي للجزائر العربية المسلمة هو مواصلة للحروب الصليبية التي لا تهدف إلى مجرد الانتقام من الإسلام في المستعمرات الإسلامية، وإنما تمام ذلك الانتقام هو تقويض الإسلام من هذه المستعمرات، والذي يعني ميدانيا بالنسبة للجزائر إلحاق الجزائر بفرنسا بإحلال الصليبية مكان الإسلام، واللغة الفرنسية مكان اللغة العربية، والانتماء إلى الرومان مكان الانتماء إلى العروبة، ومن ثم خلق شعب جديد في الجزائر، مقطوع الجذور بأصالته وانتمائه وأجداده فلن يعرف له في كل ذلك إلا الغالبين "Les gaulois"[2]، أجدادا وانتماءً.

---

[1]-محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص ص30-35.

[2]-Sigrid Hunke : L'agression culturelle et ses effets sur la pensée, Bonn, (R.F.A) (Ministère des affaires religieuse, Algérie, 1985), P52.

ولتحقيق أهدافها بنت إدارة الاحتلال الفرنسي استراتيجيتها على محورين متلازمين دائما من حيث النتيجة ومتلاحقين من حيث التكتيك و لم تتأخر فرنسا طويلا في تطبيق هذه السياسة، حيث باشرتها منذ الأيام الأولى للاحتلال حتى قبل أن يتفق الصوت السياسي والعسكري الفرنسي على قرار استمرار الاحتلال وعمومه لكل الجزائر، والمحوران المقصودان هما مباشرة عمليتي الهدم والبناء في ذات الوقت، وإذا كانت عملية الهدم تستجيب للمعنى وتشبعه ماديا ومعنويا، فإننا نقصد من عملية البناء هي عملية الاستبدال لكل ما يهدّم عمليا بصورة تحمل اسمه لكن لا تمت بصلة إلى معناه وأصالته وهدفه، مما يجعل من مصطلح المسخ والتشويه أفصح للدلالة على محاولات الاحتلال الفرنسي بمفكريه ومستشرقيه ورهبانه وساسته وعلماء اجتماعه وعسكريه –في نهاية المطاف، للسير ضد تيار الحضارة والتاريخ وانتماء الشعوب، كما تشهد بذلك المصادر الفرنسية دون سواها –أولا– وغيرها فيما بعد على ذلك المسخ الحضاري الذي رفعت به أوروبا صوتها في كل الأرض الإسلامية التي احتلتها برسالة الحضارة وملح المدنية، والعبء المقدس للرجل الأوروبي الأبيض، فقد قرّرت أوربا الكنيسة الرومانية أن شعوب مستعمراتها الإسلامية متخلفة وراحت وسائلها المختلفة تؤكد ذلك في كل مناسبة فيما بدا أنه حملة مدروسة لتعبئة الرأي العام الأوروبي عموما والفرنسي بالنسبة للجزائر، للنسخة الجديدة للحروب الصليبية التي حملت شعارها هذه المرة رسالة الحضارة.

ولم تكن رسالة الحضارة في الواقع الاستعماري إلا تقويض الإسلام وعزله عن واقع الحياة للشعوب الإسلامية بسحبه من توجيه مكوّنات انتمائها الحضارية والثقافية والتشريعيةو...الخ. وتعترف "إيفون توران" أن أغلبية الكتاب في العقود الأولى للاحتلال ومسؤوليه كانوا يتحاشون الكلام عن الدين تجنبا لإثارة مخاوف الأهالي فيفضلون الحديث عن الحضارة، وهم يعنون بهذه العبارة حضارتهم هم لا حضارة غيرهم وإن كان من غير اليسير التمييز بين ما هو للدين وما هو للحضارة[1].

وإذا أدركنا أن فرنسا كانت البنت الكاثوليكية كما تلقب أوروبيا، أدركنا صفة الحماس المنقطع في أدائها لمهمة الحضارة ورسالة المدنية في الجزائر، والتي يتماثل فيها العسكري والمفكر

-وقد ألقيت المحاضرة ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر الذي عقد في مدينة بجاية، 1985م، تحت عنوان: الغزو الثقافي والمجتمع الإسلامي المعاصر.

[1]-Turin Yevone : Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, Paris, 1971, P300.

والمدني والراهب... فقد جاء في رسالة الجنرال دوفيفي "De Vivier" التي خصصها للحديث عن أهمية دور طائفة لا تراب[1] بالجزائر في إصلاح الأرض وإصلاح النفوس !! فيها وهذا المشروع ديني وأخلاقي محض، ويتعلق بإدخال الحضارة إلى الشعوب الإفريقية، والحضارة المستهدفة هنا هي التي تنبثق بأكملها من أخلاق المسيح، فإذا أردنا أن نحضّر الشعوب فما علينا إلا أن ننشر أفكار الإنجيل، إن الأفكار هي التي سوف تضمن لنا السيطرة، لأن سلاحنا في هذه الحرب هو سلاح الأفكار...» [2]، وتمثلت سياسة هذا السلاح في الخطوات الآتية:

1-تهديم مؤسسة الوقف في الجزائر

تمثلت مؤسسة الوقف في الجزائر بالنسبة للجزائريين قبل الغزو الفرنسي في الوقت نفسه «وزارة الثقافة والتعليم والدين والشؤون الاجتماعية مجتمعة»[3]، كما يقول سعد الله. فمن أموال الوقف كانت تشيد المساجد والمدارس والزوايا، ومن أموال الوقف كانت تدفع أجور المعلمين والخطباء والحزابين، ومن عوائد الوقف كانت تشترى الكتب وأدوات التدريس لتوضع في خدمة العلم وطلابه، وتصريف شؤونهم، ومن مؤسسة الوقف يسترزق الفقراء ويجدون فيها المأوى والمأكل والمشرب، وللإشارة فقد كانت من اهتمام أصحاب الأوقاف والعاملين بها أن بلغ مستوى التعليم في بعض المساجد والمدارس التابعة لها، أن ضاهي أو ماثل نظيره في مساجد ومدارس المشرق العربي وخاصة منها الأزهر بالقاهرة.

ومنذ الأيام الأولى للغزو، وضعت إدارة الاحتلال الفرنسي يدها على كافة أملاك الأوقاف بمرسوم صدر في 8 سبتمبر 1831م[4]، بما في ذلك وقف الميرة[5]، ويبرّر الفرنسيون هذا الاعتداء

---

[1]-طائفة لاتراب "La trappe" طائفة دينية يرأسها الراهب رنجيس: وقد تم تنصيب ديرها في الجزائر في 14 سبتمبر 1843م في حفلة دينية لم تخل من البعد العسكري والمدلول الحربي، حيث وضع حجرا اساسها الجنرال بيجو نفسه حضور مونسينيور "دوبوش"، أول أسقف في الجزائر المحتلة وقد وضع فوق مطرح مفروش بالقذائف المنتقضة من ساحة المعركة في "أسطى والي"، أي في نفس المكان الذي أحرز فيه الجيش الفرنسي منذ 1830م النصر الذي مهدّ لسقوط العاصمة الجزائرية بيد الفرنسيين. انظر: مصطفى الأشرف: الجزائر، الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص275. نقلا عن: Comte. H . d'ideville, Le marchal Bugeau, Ed 1882, TIII.

[2]-المرجع نفسه، ص276.

[3]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص231.

[4]-Rozet et Carette, Algérie, Tunis, Sans Date, P268.

[5]-وقف الميرة هو الوقف الذي خصصه الجزائريون للحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

والنهب بأنّه لا يمكن «أن نترك إدارة حسابات بهذه الأهمية لرجال دين يحق لنا الارتياب في موقفهم منا»[1].

ويعترف مسؤول التعليم العمومي الفرنسي في الجزائر بأنه: «قد صودرت عائدات المساجد والزوايا جميعها لتأخذ اتجاها آخر يخالف مقاصد الواهبين لممتلكاتهم[2].

وقد شكلت مصادرة أموال الوقف ضربة قاصمة لتعليم الإسلام عبر المساجد والمدارس، حيث أنفك عقد شؤون التعليم والدين بعموم الفوضى وانعدام المورد للاستمرار في الحياة، ودفع العلماء إلى الهجرة من الجزائر إلى البلدان المجاورة ومنها إلى مصر.

2-سياسة تهديم المساجد ومؤسسات التعليم العربي

لقد اتضح منذ أيام قليلة فقط من الاحتلال الفرنسي عدم صدقية الفرنسيين في وعدهم باحترام الدين الإسلامي وعدم المساس بحرية الجزائريين في أداء شعائرهم الإسلامية والالتزام بدينهم»[3]. إذ أن الوثائق الفرنسية تحمل حالات لا تعد من الاعتداء على المساجد والزوايا والمدارس وتدنيس المقدسات، فالتقارير الفرنسية غداة الاحتلال تؤكد كثرة المساجد والمدارس والزوايا في كل المدن والقرى في الجزائر حتى في المناطق النائية منها، وقد انبهر الفرنسيون «من كثرة المدارس وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان»[4]، واعترفوا بـــ«أن عدد المتعلمين في الجزائر عندئذ كان يفوق عدد المتعلمين بفرنسا»[5]، «وأن كل طفل بين السادسة والعاشرة كان له مقعد في المدرسة»[6].

ويعود هذا الاهتمام من الجزائريين إلى سهرهم بأنفسهم على تعليم أبنائهم وتربيتهم على

---

[1]-Turin Yevone, Op.cit, P113.

[2]-عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1900-1930م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص207.

[3]-وقد نصّ على ذلك في وثيقة الاستسلام التي وقعها بمدينة الجزائر في 5 جويلية 1830م كل من قائد الحملة الفرنسية والداي حسين.

[4]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائري الثقافي، المرجع السابق، ص274.

[5]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائري الثقافي، المرجع السابق، ص320.

[6]-المرجع نفسه، ص275. وقد صرّح مقرّر لجنة إفريقيا أمام مجلس النواب في الجلسة المنعقدة بتاريخ 1834/01/20م، الجنرال فالازي قائلا: «إن جميع العرب تقريبا يعرفون القراءة والكتابة». انظر: مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص241.

قواعد إسلامية معينة وعلى نمط اجتماعي فريد، وكان دور المدرسة هاما في إعداد شعب متعلّم ومحصّن دينيا.

وتذكر المصادر على أنّه كان بالجزائر العاصمة لوحدها سنة 1830م 107 مسجدا و13 جامعا للصلاة والخطبة و12 زاوية ومائة مدرسة ابتدائية و13 مدرسة ثانوية. هذا بالإضافة إلى "المسيد" الذي لم يكن يخل منه حي من أحياء العاصمة أو غيرها من المدن الجزائرية وأريافها.

وبادرت حكومة الاحتلال الفرنسي منذ أيامها الأولى بالجزائر إلى تهديم المساجد والمدارس والزوايا وتذرعت في ذلك بتبريرات واهية كغرض الترميم ومدّ الطرقات وعدم صلاحية هذه المؤسسات إلا أنها كانت تختار أجمل المساجد وأوسعها لتحوّلها إلى كنائس وكاتدرائيات مثل ما وقع لمسجد "كتشاوة" الذي حوّله حاكم الجزائر وقائد عام جيش إفريقيا الجنرال "روفيغو" Rovego" إلى كنيسة[1]، ثم أصبحت مقرّا للأبريشية المسيحية في الجزائر منذ 1838م وظلت على ذلك حتى الاستقلال»[2]، كما حوّل مسجد "علي بتشين" إلى كنيسة، وحوّلت مساجد ومدارس أخرى سواء إلى مخازن للسلع أو حوّلت إلى حمامات الخ.

وهدّمت إدارة الاحتلال الفرنسي في فترة لا تتجاوز السنتين –فقط- أي في (1830-1832م)، 66 مسجدا[3]، ويشير فيدرمان المؤرخ الفرنسي إلى أنّه «من بين الأحد عشر مسجد التي كانت بمدينة المدية لم يبق منها للدين الإسلامي سوى مسجد واحد»[4]. ويعترف مسؤول التعليم العمومي في الجزائر الجنرال بيدو "Bidoux" أنّه لم يبق للزوايا في أوساط القبائل وجود سوى بالاسم ويقول: «ذلك أن حملاتنا العسكرية قد شتتت جموع الطلبة في حين أن المخطوطات التي كانت تشكل قاعدة التعليم فقد قضى على جانب كبير منها»[5].

وضرب الزوايا مرده إلى اعتقاد الفرنسيين بأنها تقف وراء كل الانتفاضات التي قامت في البلاد فهي "بؤر تآمر" عند الجنرال بلاجيني وهي ملاجئ لغلاة الدّين والدعاة المتعصبين في رأي

---

[1]-Charles André Julien : Histoire de l'algérie contemporaine, T1, Ed3, Paris, 1979, P75.

[2]-Ibid, P73.

[3]-محمد عبد الكريم: حمدان خوجة الجزائري ومذكراته، بيروت، دار الثقافة، 1972م، ص225.

[4]-عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص207.

[5]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الجنرال بيدو وهي "بؤر تمرد" في رأي الدوق دومال، "Duc d'Aunal" وحاكم الجزائر[1].

3-سياسة نهب المكتبات الجزائرية ودفن التراث العلمي الجزائري

واجهت المكتبات الجزائرية تجربة قاسية من طرف الاحتلال الفرنسي بشهادة باحثيها ومقرّريها مما يصيب المطلع عليها بالصدّمة والأسف، فقد وازت آلة الحرب حملتها بين الكتب والمكتبات الجزائرية لتستولي على المخطوطات والكتب النادرة ومختلف الكتب التي يختارها الفرنسيون بينما يعرضون ما بقي منها للإهمال والضياع تحت ظروف الحرب والخوف.

وتفيد التقارير الفرنسية بأن المستشرقين الفرنسيين اندهشوا من كثرة المكتبات ووفرة الكتب التي وجدوها ومن تنوعها وحسن العناية بها، حتى في المناطق النائية في الجزائر، والتي كانت في حالة جيدة وأكثرها في المواضيع الدينية والعلوم الإسلامية المختلفة مما يؤكد على «أن الشعب الذي حافظ على ذلك القدر من المكتبات كان شعبا على درجة من التحضر خلافا لما ادعاه الفرنسيون بعد احتلالهم للجزائر»[2].

وقد استولى المستشرقون والمغامرون، بالإضافة إلى جنود الاحتلال على المكتبات الجزائرية التي وقعت تحت أيديهم ونهبوا ما فيها من كتب، كانوا ينقلونها على البغال والحمير والجمال من الجنوب الجزائري نحو الشمال لتنتهي إلى فرنسا فيما بدا أنه حملة لتفريغ الجزائر من كنوزها العلمية وبلغ الأمر من محنة الكتاب في الجزائر تحت الاحتلال ومنذ السنوات الأولى إلى أن بيعت بعض المكتبات بسعر الورق...

4-فرنسا ومحاربة العلماء في الجزائر

إن سياسة التهديم المادي لمؤسسات التعليم في الجزائر وهي المسجد والزوايا والمدارس القرآنية كانت تستهدف في الواقع مراكز التعليم الإسلامي في الجزائر، وهو النمط الوحيد فيها كما كان في كل الوطن الإسلامي كتبا وتأليفا ومناهج وعلوما، وهو ما كان يعني محاولة القضاء عنيها بعملية برمجة الجهل والقحط الثقافي والعلمي والديني بين الجزائريين خاصة وأن فئة العلماء والمدرسين الذين يقومون عليها والمستهدفة بالسياسة نفسها وللأهداف عينها، قد تم تشتيتها

---

[1]-Turin Yevone : Op.Cit, P137.

[2]-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص314.

وقطع رزقها وإنهاء دورها في تعليم أبناء الجزائر وتحصينهم بدينهم ولغتهم وانتمائهم —كما هو دور العلماء في كل أمم الدنيا- ومن ثم فقد عمل الاحتلال الفرنسي إلى دفع هؤلاء إلى الهجرة الجماعية أو الفردية إلى الدول العربية، مما أدى أو كاد، إلى قطع الصلة بين الجزائريين وبين دينهم وحضارتهم ولغتهم بالقضاء على مراكز تعليمهم هدما وتخريبا، بتهجير أهل العلم فيها تضييقا ومحاربة.

وللإشارة فإن نظرة المستعمرين للعلماء لم تتغير فقد ظلت تسميهم "بالطلبة" حسب التسمية السائدة في الجزائر لأنهم كانوا أئمة للصلاة وخطباء للمساجد بالإضافة إلى التعليم، وتجمع الوثائق الفرنسية على اعتبارهم العدو الأول للوجود الفرنسي في الجزائر، حيث يذكر أحد تقارير تفتيش التعليم سنة 1854م، أن كل "الطلبة" «لا يعرفون تدريس سوى كره كل ما هو فرنسي»[1]، ونجد تقارير لنفس الفترة تسجل «أن للمعلم واجب أول هو إثارة تعصب تلاميذه»[2]، وأن «المدرس الذي لا يبدي مغالاة مفرطة في التعصب الديني ضد الفرنسيين لا يحصل على تلميذ واحد يدرسه»[3]، وقد كتب أحدهم في 1867م يصف عداء العلماء الجزائريين للاحتلال الفرنسي، يقول: «إن الذين يدرسون الآن لقاء كسرة خبز وزاوية في خيمة حضرهم أكبر من نفعهم، فهم جهلة متعصبون ولا يألون جهدا لإفساد عقول الأطفال وايغار صدورهم علينا دون فائدة تنمي ذكاءهم»[4].

ولا ندري أكان سوء الفهم أو سوء النية هو الذي دفع هؤلاء الفرنسيين إلى وصف المسلمين في الجزائر، بالتعصب والعداء ضد الدخيل الفرنسي، وما الذي كان منتظرا من الجزائريين وقد احتل بلدهم، ونهبت خيراتهم وهدمت جوامعهم... وحورب دينهم، مما يدعو إلى الخيرة في العقلية الاستعمارية التي تأبى إلا تبرير ما يحقق أهدافها حتى ولو كان معاديا للمنطق والأعراف.

5-سياسة الاحتلال الفرنسي، ومناهج التعليم البديلة

لم تخمد مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي مع الزمن الذي راهن عليه الفرنسيون بأنه الكفيل بإخماد نارها مع قوة القهر واستمرار آلة الحرب، وقد سجلت تصريحات قادة الاحتلال

---

(1)-Turin Yevone, op.Cit, P208.

(2)-Ibid, P225.

(3)-Ibid, P225.

(4)-Ibid, P246.

وتقاريره ذلك "فماك ماهون" في 1869م يقرّر «بأن البلاد قد قهرت ولكنها ما دانت لنا البتة»[1]، ويؤكد "دونوفو" في كتاب صدر له في الأربعينات من القرن 19م أنّه بعد هزيمة المجاهد العربي فإن الحرب الدائرة بين العرب والفرنسيين قد تحوّلت إلى حرب بين الإسلام والمسيحية وعليه فإن "دونوفو" يرى بأن «انتصار السلاح قد ترك قوة الدّفاع المعنوي سليمة لدى المسلمين وهي قوة لا يمكن للهزائم العسكرية التي لحقت بهؤلاء أن تأتي عليها»[2]، وبناء على ذلك تباشر إدارة الاحتلال الفرنسي فصلها الجديد في حربها الدينية والحضارية للجزائريين، ليتقهقر العسكري فاسحا المجال أمام المعلّم الفرنسي الذي عليه أن ينجز ما فشل فيه الجندي المقاتل... وتخضع الجزائر لمختلف التجارب التي تستهدف تجفيف منابع الإسلام والحضارة واللغة، وهو ما حملت لواءه المدرسة الفرنسية والمعلم والمناهج الفرنسي وهو ما يعني عمليا سياسة تجريد الأهالي من أسلحتهم المعنوية وذلك عن طريق:

- مزاولة عملية الهدم المادي للمؤسسات الدينية والتعليمية.
- إلزام المدارس الأهلية بالاقتصار على تدريس القرآن الكريم دون سواه على أن يختصر ذلك على القراءة دون التفسير والشرح، وبذلك دعا الجنرال بيدو الذي «لم يكن يخشى تدريس القرآن بقدر ما كان يخشى المواعظ والتحريض ضد المسيحيين الذي كان يواكب تدريسه»[3].
- إخضاع المدارس الأهلية –أو ما بقي منها– للرقابة الفرنسية المباشرة.
- فصل المسجد عن المدرسة في أداء مهمة التعليم ليتسنى لإدارة الاحتلال إحكام المراقبة عليها.
- عدم السماح بالمزيد من المدارس القرآنية والزوايا وغلق كل ما يشتبه فيها عندهم.
- تأطير المدارس الأهلية بعناصر أوروبية وفرنسية !...

كانت هذه كلها وغيرها إجراءات ممهدة للقضاء نهائيا على التعليم الإسلامي ومؤطريه من الجزائريين قبل أن تعمل إدارة الاحتلال سلاحها الجديد للغزو الديني والحضارة وهو المدرسة الفرنسية كما يريدها الفرنسيون في الجزائر.

---

[1]–عبد الكريم الأربد: المحاولات الاستعمارية لتقويض الإسلام في الجزائر، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع5، 1988م، ص368. نقلا عن:

Entretien à couteaux tirès, quel théatre pour le maghreb ? Jeune Afrique, N°210, 1964.

[2]-Turin Yevone, Op.cit, P415.

[3]-Ibid, P205.

يقول "هوغونيه" أحد رؤساء المكاتب الفرنسية «إننا لكي نؤثر في مستعمرينا ينبغي أن يعرفنا كل عربي عن غير طريق القرآن ومن غير أفواه أتباعه المتعصبين»[1]. وقد طبقت سياسة الاحتلال هذا الاتجاه ميدانيا بتأطير المدارس الأهلية بعناصر أوروبية وفرنسية لا صلة لها بالإسلام ولا بالعربية، وكان الهدف من ذلك عمليا انهيار المدارس الأهلية الإسلامية. وعلى المدى البعيد خلق الجيل الجزائري المقطوع الصلة بدينه وحضارته ولغته ويشرح "لاسنيه" "Lasnier" هذه السياسة المدروسة بقوله: «إن السلطات لم تفكر قط في هدم التعليم الإسلامي هدما عمليا في حدّ ذاته ولا حتى في علمنته ولا في فرنسته، بل كان الرأي هو تركه يموت ميتة طبيعية وتجاهله ومنافسته ولكن عدم مهاجمته مهاجمة علنية»[2].

وعبر أحد كتاب تلك الفترة عن ذات الاتجاه، فقد كتب شارل ريشارد في 1845م يقول: «إننا من جانبنا لا نرى غضاضة في أن تنهار تلك المؤسسات (المدارس العربية) وفي أن يعود الشعب العربي إلى جاهلية العصور الغابرة، عندئذ سيكون بإمكاننا تعليمه وجعله ينقاد إلينا عبر التربية»[3].

ويراد بالمدرسة الفرنسية والتعليم كما يراه الفرنسيون في الجزائر، التعليم الابتدائي على وجه التحديد وهو حقيق بأن يزود إدارة الاحتلال وسلطتها «بوسيلة ممتازة لإضعاف نفوذ رجال الدين ونفوذ رجال التعليم وباعة التمائم، الذين لا ينفكون يناصبون العداء للتيار الفرنسي»[4].

ومن ثم سيحقق على المدى البعيد خضوع البلاد إلى الأبد ويشكل ضمانا أكيدا لاندماج الشعب الجزائري المقبل وإلحاق الجزائر مباشرة بفرنسا دينا وحضارة ولغة.

فقد أسند قادة الاحتلال إلى المدرسة مهمة تحطيم الروح المعنوية للجزائريين ضمن سياسة سموها باسم الغزو من الداخل، نظرا لما تتوفر عليه المدرسة من وسائل الإقناع والترغيب عن طريق برامجها التعليمية ونشاطاتها المختلفة من مسرح وموسيقى وأناشيد ورسم وخطابة وألعاب رياضية.

---

[1]-عبد الحكيم الأربد: المرجع السابق، ص367. (نقلا عن: Lasnier, B, Le siecle des revolutions, Tunis, 1967).

[2]-المرجع نفسه، ص365.

[3]-المرجع نفسه، ص367نقلا عن: (Lasnier, B, Le siecle des revolution).

[4]-Turin Yevone, Op.Cit, P18.

وركزت مناهج المدرسة الفرنسية على مقررات التاريخ والجغرافيا وهي مواد ذات طبيعة استراتيجية خطيرة في تكوين الروح الوطنية والقومية لدى المتعلمين وبناء شخصيتهم بناء سليما[1]، ولذلك وكلّت فرنسا تأطير أبناء الجزائريين إلى القساوسة والرّهبان والمستشرقين الذين أوفدتهم لغرض إنجاح عملية الغزو الداخلي، والتي تتمثل في إعادة بناء روح جديدة للجزائريين الوطنية والقومية، وذلك بتلقينهم اللغة الفرنسية لغة وسلوكا وتعليما وتحبب إليهم فرنسا وثقافتهم وحضارتهم من ناحية ومن ناحية أخرى تخويفهم من فرنسا بتلقينهم أفكارا مبالغ فيها عن قوتها العسكرية والاقتصادية وعن نفوذها السياسي كي يتمكن منهم اليأس -لاحقا- من كل مقاومة لها ويستسلموا للاحتلال إلى الأبد.

6-استراتيجية "خضوع العرب"

وجوب "خضوع العرب" هدف حدّده الاحتلال الفرنسي لإنجاح غزوه العسكري ثم الحضاري للجزائر واستدامته واستمرار تأثيره في مجرى الحياة فيها لاحقا، ولقد كان هذا الشغل الشاغل عنده من بداية الغزو إلى نهايته، حيث تردّدت كلمة "الخضوع" في البيانات والإنذارات الصادرة عن القيادة العامة للجيش الفرنسي، وخاصة في المراسلات بين الولاة العامين وفي تصريحات الساسة والعسكريين على اختلاف رتبهم ولدى رجال الصحافة والكتاب والمستشرقين المنظرين للاحتلال وكذا لدى سائر المعمّرين من الأوروبيين.

ولم يكن لكلمة "الخضوع" عند كل هؤلاء مدلول عارض ومفروض بحكم الظروف العسكرية، وإنما كان له معنى أوسع، فهو يرادف الرضوخ للأمر الواقع، والطاعة العمياء، والتبعية النهائية المطلقة، لأن ذلك يعني الضمان الوحيد لتحقيق سعادة الفرنسيين في مستقبلهم الزاهر في المستعمرة الغنية- الجزائر، ولذلك كانت الجزائر أرضا للتجارب ومجالا لاتخاذ القرارات المتناقضة واقتراح الحلول الخيالية والتمادي في القيام بالتدابير الخاطئة على الرغم من مناقاتها للعقل والمنطق والأعراف والأخلاق والشرف الإنساني، فقد كان الفرنسيون يتداولون بينهم «لا بد من خضوعهم لأنّه لا سبيل إلى القيام بأي عمل في هذا البلد بدون خضوع سكانه»[2].

ونفهم بناء على ذلك سبب استهداف الجنسية القومية للجزائريين في بعدها العربي

---

[1]-أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، منشورات، دحلب، 1991م، ص118.

[2]-مصطفى الأشراف، المرجع السابق، ص315. نقلا عن: (Trumiet Yusef).

الإسلامي لتكون على رأس أولويات الحرب الحضارية والدينية واللغوية، فتحقيق "خضوع العرب" لن يتأتى إلا بالقضاء على جنسيتهم الدينية واللغوية وتجفيفها ومن ثم باشرت إدارة الاحتلال ومنظريها عملية التغيير القسري لمقومات المجتمع الجزائري قصد استبدالها -بمقومات- أخرى وربطه بها انتماء وتاريخا ولغة ودينا...

وقد كان أسلوب سلطة الاحتلال في مباشرة إجراءات هذا التغيير القسري من الحذر في البداية والدهاء والمكر والإرهاب في النهاية ما كاد يحقق الهدف المقصود، فقد اتبعت سياسة عدم إثارة حفيظة الجزائريين وثورتهم وذلك بعدم الإعلان والتصريح بالعداء للإسلام واللغة وعلى العكس من ذلك تماما تضمنت وثيقة الاستسلام احترمهما بل وضمان حرية الجزائريين الدينية، إلا أنّ الواقع المادي والمعنوي الذي فرضته آلة الحرب والدّمار والإبادة، وحملات التيئيس المدروسة والمتواصلة ثم إجراءات التهديم المادي والمعنوي لرموز الانتماء ومراكز حياته... أدى إلى انكماش المقاومة ويأس الجزائريين أغرى الفرنسيين بالتعجيل بتحقيق حلمهم -الحضاري الديني- في الجزائر، وتجاوزت إدارة الاحتلال وساسته ومنظروه التصريحات إلى الميدان بترسانة من القوانين والمراسيم والإجراءات السياسية والإدارية، وأخضعت الجزائر والجزائريين عبرها إلى تطبيق التجارب الاجتماعية الفرنسية من أجل تصوّر جديد للمجتمع والدولة»[1]، وذلك عبر:

-سياسة التنصير

-سياسة الإدماج والتجنيس

-سياسة الفرنسة والرومنة ومحاربة العروبة واللغة العربية.

ونقصد بالسياسة الفرنسية في هذا المجال التفكير والدراسة والتخطيط وإصدار القوانين والمراسيم والمتابعة والتكتيك والقصد والحيلة... ولا يمكن أن نفصل أي مجال من المجالات المذكورة عن المجال الآخر، فكل منها ممهد ومكمّل للآخر، وكل منها ينتهي إلى تحقيق الهدف نفسه وهو عزل مقوّمات المجتمع الجزائري عن الفعالية والحياة والمجتمع وإحلال بديل عنها يرتبط بالاحتلال في كل شيء.

فقد انضمت سياسة التنصير إلى سياسة التعليم الابتدائي، كما أراده الفرنسيون ليكون السلاح الفعّال لتمكين الاحتلال في الجزائر إلى الأبد، حيث يؤكد أحد رؤساء المكاتب أن العرب

---

[1]-مصطفى الأشرف: المرجع السابق، نقلا عن: (Marcel Emerit, Les Sains samoniens)

بصفة عامة كلّما قلّت دراستهم كلما قل تعصّبهم وكلما سهلت قيادهم مضيفا بأن هذه النظرة «ربما تكون غير أخلاقية غير أنها مطابقة لمصالحنا»[1].

واستغلت فرنسا المدرسة لتحقيق سياستها التنصيرية في الجزائر، وذلك ببذر الشك في الشباب المسلم وزعزعة إيمانه وثقته بمدرسيه وبالمعلومات والأفكار التي يتلقونها عنهم وبالكتب التي ينهلون منها، وتنوعت أساليب التنصير ووسائله والتي يسميها أصحابها "بأفكار الإنجيل"، فبالإضافة إلى بناء الكنائس والإبرشيات كرمز لمحاربة الإسلام، واستقدام الرّهبان وتشجيع البعثات التنصيرية من فرنسا ومن أوربا، كرّس التنصير عبر استغلال الوضع الرهيب الذي أوجده الاحتلال وفرضه على الجزائريين من فقر ومرض وعوز وذلك بجمع اللقطاء والمشرّدين وإيواء العجزة والفقراء في الكنائس وملاجئ الأيتام قصد تنصيرهم في مقابل ذلك.

وعلى الرغم من لائكية دولة فرنسا كما ينص على ذلك دستورها[2]، إلا أنها في الجزائر قد احتضنتها بسياسة تنصيرية واسعة، وقد ظلت شؤون الدين الإسلامي منذ 1830م. وحتى خروج الاحتلال في 1962م خاضعة للسيطرة الاستعمارية، ولم يكن تمسك فرنسا بالإسلام بهدف الحفاظ عليه وشعائره، وإنما «لأنها تعد ذلك من العمل الاستعماري الذي يكمل التسلّط على الأبدان بالتسلط على الأديان ليتم لها التسلط على الجانب الروحي والمادي»[3]. ولذلك طالبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفصل الحكومة عن الإسلام[4] (مع ملاحظة التأكيد على فصل الحكومة عن الإسلام).

فإمعانا منها في المحاولات الدائبة لإفساد عقيدة المسلمين -أو تغييرها- عمدت إدارة الاحتلال إلى تعيين المفتي وجعله تحت الإشراف المباشر للحاكم الفرنسي العام، وكذا تعيين المؤذن والإمام والحزاب وفراش المسجد... وهو ما ابتدعت له فرنسا وصف "الإسلام الجزائري" وخصصت له إدارة سمتها بإدارة الشؤون الأهلية وجعلت على رأسها أقطابها من المستشرقين

---

[1]-عبد الحكيم الأربد، المرجع السابق، ص371. (نقلا عن تقرير الدكتور بوشيه).

[2]-تقرّر فصل الدين عن الدولة في فرنسا طبقا لمرسوم صدر في 1905م، والمطبق على الجزائر في 1907م، بالنسبة للمسيحية واليهودية، وقد رفضت إدارة الاحتلال تطبيقه على الدين الإسلامي وحده ليبقى خاضعا للحاكم العام الفرنسي في الجزائر. انظر: أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص111.

[3]-علال الفاسي: الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، القاهرة، مطبعة الرسالة، 1948م، ص162.

[4]-محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م، ص ص110-111.

يصفها محمد البشير الإبراهيمي بأنها هي «مرجع رجال الدين في التولية والعزل والتسيير والتوجيه، وأن عملها هو إفساد الإسلام بإفساد رجاله»[1]، ومن بين من أشتهر من رؤساء هذه الإدارة السيد "جول فرناند ميشال" "Jules Fernand Michel"؛ المحامي الفرنسي المسيحي الذي لقبته إحدى الجرائد الوطنية في ذلك الوقت «سيدي ميشال المفسّر الجديد للقرآن»[2].

7-سياسة الإدماج والتجنيس

وتعني سياسة الإدماج «إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام لئلا تقوم للجزائر كجزء من الوطن العربي الإسلامي قائمة في المستقبل»[3]، وقد وضعت فرنسا مخططها لذلك منذ البداية في النواحي الإدارية والسياسية والاقتصادية والثقافية والروحية على أساس محو المقومات الأساسية للشخصية القومية والحضارية للشعب الجزائري، حتى تتمكن من إلحاق الجزائر بفرنسا وتصبح حقيقة وواقعا جزءا مكمّلا لها وراء البحر المتوسط.

أ-فقد عملت فرنسا على محو الكيان الجزائري المتمثل في الدوّلة ومختلف مؤسساتها، وفي العلم الوطني وسائر مظاهر السيادة، ثم ربط الجزائر سياسيا وإداريا بالكيان الفرنسي لتصبح إقليما تتشكل من مقاطعات ومديريات تماما كما تتشكل دولة الاحتلال نفسها، وعليه فإن الجزائر من الناحية الدوّلية ستعتبر مستعمرة فرنسية كاملة لا كيان ولا شخصية لها.

ولتعزيز هذا عملت سلطة الاحتلال على إقامة ستار حديدي حول الجزائر بقصد عزلها عن أشقائها العرب وعن التيارات الثقافية والسياسية التي كانت تظهر في مختلف الأقطار العربية، حتى لا يتأثر بها الجزائريون أو لا يتفاعلون معها، وقد تفننت فرنسا في أساليب ووسائل تفعيل ذلك الستار عسكريا وثقافيا واجتماعيا...

ب-فرض الإدماج بمرسوم صدر في 14 جويلية 1865م[4]، ويقضي نظريا -بجعل الجزائريين -فرنسيين- يتمتعون بالحقوق السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي يتمتع بها

---

[1]-وكانت مجموعة من المقالات في "البصائر" تحمل عنوان "فصل الحكومة عن الدين". انظر: البصائر، ع106-108-109 لسنة 1950م.

[2]-أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص112.

[3]-يونس درمونة: المغرب في خطر، دار الطباعة الحديثة، 1965م، ص34.

[4]-يقـول مصطفى الأشرف أن فرنسا لما أعلنت فكرة الإندماج كانت هي نفسها تجهل هذه الفكرة وحدودها. انظر: المرجع السابق، ص155، ولذلك كانت الحكومات الفرنسية تجدد سياستها ضمن هذه الفكرة في حلها للقضية الجزائرية.

أفراد الشعب الفرنسي نفسه داخل فرنسا وخارجها، ويتلقون التعليم نفسه الذي يتلقاه أبناء فرنسا كلّهم، ويرقون إلى الوظائف والمناصب العامة بالطرق ذاتها التي تخوّلها القوانين الفرنسية للفرنسيين، كما يتمتعون بمختلف المزايا الاجتماعية التي يتمتع بها كل مواطن فرنسي.

ومن هنا فظاهر سياسة الإدماج هو تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في كل شيء كما لو كانت الجزائر مجرد امتداد لفرنسا، فالتشريع والنظم والاقتصاد والجيش... كل ذلك واحد في البلدين اللذين صارا بلدا واحدا بفعل الاندماج، وهذا يعني أن أيّ «فصل أو تمييز بين الجزائر وفرنسا هو مظهر قومي غير مرغوب فيه وهو غير شرعي»[1]، مما يعني في المحصلة أن الاندماج قد أغلق باب الاستقلال الداخلي والذاتي ناهيك عن الاستقلال التام أمام الجزائريين — وهو ما يتعارض كليا مع مقوّمات الشخصية الجزائرية التي من أركانها اللغة والجنسية والدين والثقافة والوطنية الجزائرية.

والحقيقة أن سياسة الإدماج كما طبقتها فرنسا في الجزائر تخالف تماما ما يدل عليه القانون الذي صدر باسمه لأنّه لم يكن ينطبق في الجزائر إلا على الأرض ومن عليها من المستعمرين (الكولون والجالية الأوروبية بما في ذلك اليهود) دون الجزائريين، وهم السكان الأصليون، والذين كانت سياسة الاحتلال تستهدف إقصاءهم وإجلاءهم عن ارضهم مما يجعل سياسة الإدماج هي إدماج للمستعمرين وإخضاع للجزائريين»[2].

وقد مرت سياسة الاندماج الفرنسية في الجزائر من شعار حقوق المواطنة إلى شعار المساواة في الحقوق والواجبات، وسجلت تلاعب إدارة الاحتلال وتجاهلها الواقع الجزائري، حيث اشترطت قوانينه لترقي الجزائريين إلى وصف المواطنين وتمتعهم بحقوق المواطنة الفرنسية التنازل الطوعي عن مجلة الأحوال الشخصية والمتعلقة بأحكام الزواج والطلاق والميراث المستمدة من الشريعة الإسلامية في مقابل الاحتكام إلى القوانين المدنية الوضعية الفرنسية.

وعلى الرغم من أن «سياسة الادماج قد كانت من قبيل الخيال والمستحيل»[3]، وكانت

---

[1]-آلان سافاري، ثورة الجزائر، ترجمة: نخلة كلاسي، دمشق، 1961م، ص84-85.

[2]-أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص114. (نقلا عن مذكرة لحزب الشعب الجزائري، صدرت بالقاهرة في جوان، 1954م).

[3]-مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص155.

تحمل فشلها الذريع فيها إلا أن فرنسا قد عملت في ذات الاتجاه على إصدار مشروع ميشلان وغولي الخاص بسياسة التجنيس العام للجزائريين في عام 1887م، وعمدت إدارة الاحتلال إلى إغراء بعض الجزائريين بالتجنيس مقابل التنازل عن الاحتكام إلى الإسلام، وهدفت بذلك إلى انهيار كيان الأسرة الجزائرية الاجتماعي والثقافي والديني والسياسي، وهو المقدّمة الطبيعية لانهيار كيان الأسرة الجزائرية —من جهة- ومن جهة أخرى العمل على بذر بذور الشقاق والخلاف بين الجزائريين وما فتئت تدعمه وتغذيه —ولا تزال- حتى ينشغلوا بمحاربة بعضهم البعض كي يتمكن الاحتلال من تنفيذ مخططاته في القضاء على الشخصية الجزائرية.

وقد واجهت الأغلبية الساحقة من الجزائريين سياسة الإدماج وسياسة التجنيس بالرفض العام واقعيا، وعبر العرائض الكثيرة إلى البرلمان الفرنسي، وذلك منذ صدور قانونه، والتي نددت كلها به لعدم ملاءمته للجزائريين، ولخطورته على أخلاقهم وعوائدهم وأحوالهم الخاصة، وجاء في عريضة ممثلي سكان قسنطينة مثلا في 1887م «...إن أشد ما نحرص عليه هو الحفاظ على قوانيننا»[1].

وأثبتت سياسة الاحتلال القمعية المتواصلة والعامة لكل الشعب الجزائري بدون تفريق، لدى فئة النخبة والمثقفين والبورجوازية الجزائرية ومنهم جماعة النواب الحكوميين، أن شعارات الإدماج والحقوق والمواطنة لم تكن في الحقيقة إلا نوع من المساومات الرخيصة والديماغوجية الجوفاء التي كان ينتهجها ساسة الاحتلال لضمان عمالتهم، وخيانة وطنهم وشعبهم، وأدى ذلك مع الزمن إلى أن يتخلص كثير من المترددين منهم من تخوّفهم ومن الانخداع بالوعود الفرنسية الكاذبة، ومن الركون والطاعة لإدارة الاحتلال، وأن يخرجوا من صمتهم بالانسحاب الجماعي من مناصبهم الإدارية الفرنسية ومن المجالس النيابية[2]، والتضامن مع شعبهم بالانضمام إلى الصف القومي وتعزيز الكفاح في جبهات القتال وإنجاح جبهة التحرير الوطني في عملها السيّاسي والإداري.

8-سياسة الفرنسة والرومنة ومحاربة اللغة العربية والعروبة

ونعني بهذه السيّاسة إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة

---

[1]-مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص238.

[2]-للاستفاضة حول الموضوع. انظر: المرجع نفسه، ص158.

الاجتماعية حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان والثقافة وينقطع تدريجيا عن تاريخه ويفقد مقوّمات شخصيته، وفي المقابل يتذّوق اللغة الفرنسية –لغة المحتل– ويتحمّس لها في غياب معرفته للغته الأصلية العربية، وقد كرّست إدارة الاحتلال هذه السيّاسة منذ بداية غزوها للجزائر عبر:

أ–التعليمات والمراسيم والقرارات والقوانين والتي هدفت كلها إلى أن تكون اللغة الفرنسية هي اللغة الحاكمة في إصدار القوانين، وفي القضاء المدني والعقابي، وفي كتابه العقود، وأن تكون اللغة الرسمية الوحيدة للتعليم والإدارة والمحيط، وقد جاء قرار سلطة الاحتلال لفرنسة الجزائر والشعب الجزائري في 1849م، وقضى «بأن أهم الأمور التي ينبغي أن نعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين»[1].

ب–فرنسة التعليم يجعل اللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في جميع مراحل التعليم.

جـ–فرض الفرنسية في الإدارة والمحيط الاجتماعي وأجهزة الإعلام، وكان العرض من ذلك هو جعل البيئة الاجتماعية والثقافية والجزائرية جزءا من البيئة الاجتماعية والثقافية والفرنسية، وحتى يكون لفرنسة التعليم سند من فرنسة الإدارة والمحيط وفي نفس الوقت يكون لفرنسة الإدارة والمحيط سند من فرنسة التعليم وحتى يتحقق هدف الفرنسة الكاملة للمجتمع الجزائري، وتكريسا لذلك استبدلت فرنسا معظم أسماء الشوارع العربية والمدن والأماكن العامة بأسماء قادة الغزو العسكري والفكري أمثال "بيجو" و"كلوزيل" وقادة التنصير أمثال "لافيجري" وبأعلام الفكر والأدب الفرنسي أمثال: "ديكارت" و"فيكتور هيجو" و"لامارتين"[2]، ولم تكن إدارة الاحتلال تقبل أي وثيقة إلا إذا كانت مكتوبة باللغة الفرنسية وموقع عليها باللغة الفرنسية.

وإمعانا منها في فرض الفرنسية في الجزائر، جعلت سلطة الاحتلال شرط تعلّمها هو السبيل الوحيد لبلوغ الوظائف[3] في الإدارة الفرنسية وغيرها، ثم تربط تحسن ظروف الجزائري المفرنس ليس بسبب أجرته عن الوظيفة، إنما بسبب الفرنسية التي تصفها بلغة الرقي، وهو هدف تنصيري واستشراقي بربط الرقي بالمسيحية واللغات الأوروبية، وفي المقابل يربط وصف التخلف والتوحش

---

[1]–ساطع الحصري: حوليات الثقافة العربية، دار الرياض للطبع والنشر، 1951م، م2، ص473.

[2]–أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدإ والتطبيق، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص156.

[3]-CharlesAndré Julien, L'Afrique du Nord en Marche, Paris, 3ed, 1973, P38.

وغيرها بالدين الإسلامي واللغة العربية، وهو ربط لا يستند إلى أي منطق علمي أو واقعي إلا إلى حجة القوة ومنطق الغطرسة ومكر الاحتلال، ولذلك فإن إدارة الاحتلال لا تفرق بين الجزائري المتعلم باللغة العربية وبين الجزائري الأمي فهما عندها في درجة واحدة وهدفها الواضح هو تزهيد الجزائريين في التعلم باللغة العربية وإلزامهم بالتالي إلى التوجه لتعلم لغة قوة الاحتلال اللغة الفرنسية والتي تمثل في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي «اللغة الضامنة للعيش واليسر»[1].

والحقيقة أن كل الأساليب التي اعتمدتها إدارة الاحتلال الفرنسي لمنع إنشاء المدارس العربية أو لمنع تعليم اللغة العربية لم تنجح بالقدر الذي كانت تعوّل عليه وخطّطت له فعمدت إلى ابتكار وسائل أكثر صرامة من شأنها تحقيق النجاح الكامل بمعنى المنع الكامل لتعليم اللغة العربية في الجزائر، وذلك عبر إصدار القوانين أحيانا وفي ابتداع نظريات التخلف والرقي اللغوي.

أ-قرار شوطان

فقد أصدر وزير الداخلية الفرنسي في 8 مارس 1938م قرارا عرف باسم "قرار شوطان"[2] ونص على:

1-اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ولا يجوز تعليمها في المدارس الحكومية ولا في المدارس الشعبية (العربية الحرة).

2-اشترط القانون وجوب حصول المعلّمين وهيئات التعليم العربي الحر على رخصة للتعليم العربي من الإدارة الفرنسية، وقد وضعت سلطة الاحتلال شروطا تعجيزية للحصول على هذه الرخصة[3]، والتي لم تكن تمنحها -بعد انتظار طويل- إلا للنادر من المعلّمين بعد التحري عنهم والتأكد من شخصية المعلّم ويعني ولائه للحكومة الفرنسية خاصة.

وقد كان هذا القانون سيما في يد إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر لإغلاق المدارس العربية الحرة، فيما كانت تشجع المدارس الحرة اليهودية ومدارس "التبشير".

---

[1]-ابن باديس: مستقبل اللغة العربية في الجزائر، مجلة الشهاب، 1929/12/5م.

[2]-أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدإ والتطبيق، المرجع السابق، ص168. نقلا عن: توليت وفرانسيس جاكسون: الجزائر الثائرة.

[3]-وصفها البشير الإبراهيمي بالغصّة والعذاب الأليم قال معلّقا: «أهيّ رخصة للتعلم أم غصّة وعذاب أليم». انظر: عيون البصائر، المرجع السابق، ص240.

وعلى هذا الأساس فقد أصبح تعليم اللغة العربية في الجزائر ونشرها بين الجزائريين يعد محاولة عدائية لصبغ الجزائر بالصبغة العربية، وبالتالي قضية عدائية مع إدارة الاحتلال[1] ودولة فرنسا، لأنه يعارض قوانينها ويعادي لغتها ويعمل ضد إرادتها في فرنسة الجزائر.

وبهذا الاعتبار أصبحت اللغة العربية في المرحلة الثانوية لغة أجنبية وأقل قيمة من جميع اللغات الأجنبية الاختيارية التي كانت تدرسها هذه المرحلة، وتعامل دون سائر المواد التعليمية الأخرى في مناهج وبرامج التعليم لأنها اعتبرت لغة الخصم التي ينظر إليها الفرنسيون بالاحتقار والحرب والإقصاء.

ب-نظرية اللغة العربية الكلاسيكية

ونشط مستشرقوا الاحتلال ومسؤولوا التعليم الفرنسي في الجزائر في ابتكار ما سموه باللغة العربية الكلاسيكية وهي اللغة العربية الفصحى، وما سموه باللغة العربية "الحية" في المقابل، وهي عندهم اللهجة العامية الجزائرية، ووضع هؤلاء "كتبا" في هذه الأخيرة بالاستعانة ببعض الجزائريين[2]، وقد تضمنت هذه الكتب خليطا من اللهجات الجزائرية واللغة العربية واللغة التركية واللغة الفرنسية، وهذه اللغة الجديدة هي التي اعتمدتها إدارة الاحتلال للتعليم في المرحلة الثانوية، وقد كانت الغلبة فيما تضمنته للغة الفرنسية، كما يؤكده أحمد بن نعمان الذي أطلع على بعض المقررات الدراسية العاميّة ووجد أن مفرداتها وتراكيبها أقرب إلى اللغة الفرنسية منها إلى اللغة العربية معلقا بقوله: «فتلك هي اللغة العربية "الحية" التي كانت تدرس للطلبة في المرحلة الثانوية...»[3].

وبهذا فإن سلطة الاحتلال الفرنسي في الجزائر لم تترك وسيلة ولا أسلوبا ولا حيلة ولا مكرا لمحاربة الإسلام واللغة العربية، ومحاربة العلماء والمعلمين إبادة وسجنا ونفيا وتشريدا وتضييقا ومنعا ثم محاربة كل مظاهر العروبة والانتماء الإسلامي عمرانا وكتاب وآثارا، لتعمّم الصيغة الصليبية والرومانية محل كل ذلك، مما كان يهدف إلى خنق أنفاس الخطاب الإسلامي وتغييبه عن

---

[1]-أحمد نعمان: التعريب بين المبدإ والتطبيق، المرجع السابق، ص168.

[2]-وضع هذا المشروع وترجم عمليا في إصدار هذه "الكتب" وجعلها في خدمة التعليم والمدرسة الفرنسية في الجزائر تحت إشراف: المستشرق الفرنسي بيريس: H.Pérès. انظر: أحمد بن نعمان: المرجع نفسه، ص169.

[3]-أحمد نعمان: التعريب بين المبدإ والتطبيق، المرجع السابق، ص170.

السّاحة الجزائرية، وعزله عن كل أثر فعالية، ولئن نجحت فرنسا أو كادت أن تنجح في هذا المشروع، فإنّ نجاحها الكبير هو كشفها لحقيقة فرنسا الاستعمارية، ومن ثم حقيقة الاستعمار العالمي الغربي –وكشف فحوى الحضارة والمدنية التي ما دأبت ترفعها لتبرّر بها فعل الهدم الحضاري الذي مارسته وتشرعن بذلك كل وسيلة وأسلوب وحيلة لتحقيقه بما فيها وسيلة الإبادة والحرق والنهب والكذب...

وهو ما أعطى المبرر المشروع لجهاد الجزائريين الحضاري والديني والثقافي واللغوي، واقعا وهدفا قبل جهادهم العسكري أثناء ثورة التحرير الكبرى، لتصبغ الخطاب الإسلامي بالجهادية طيلة فترة الاحتلال الفرنسي حفاظا على انتماء الجزائريين والجزائر، وذلك في كل مراحله ووسائله وأساليبه واستراتيجيته والقائمين عليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي تحت الاحتلال الفرنسي وخيار المقاومة الدينية والحضارية

خفت صوت الخطاب الإسلامي أثناء فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر بعد القضاء على مقوماته وهدم مؤسساته وقطع موارده، ثم تشريد و نفي أو سجن وقتل علمائه، بسياسة مرحلية تدريجية، اختلفت وسائلها و أساليبها كما سبق تتبعه سابقا، لكن هل خُنق صوت الخطاب الإسلامي إلى الأبد؟ هذا ما نحاول تتبعه في المطلب الموالي.

المطلب الأول: الخطاب الإسلامي وجبهات المواجهة

إذا جاز لنا تعميم الحكم على الخطاب الإسلامي بخفوت صوته منذ بداية الغزو الفرنسي إلى نهاية القرن التاسع عشر، فإن هذا الخفوت قد كان تدريجيا وفي موازاة عكسية مع اشتداد القمع وإغلاق كل أبواب الأمل في وجه الجزائريين، لكن الخطاب وهو يسجل ذلك الانحسار عن الفاعلية واقعيا، فإنه كان يسجل فعاليته وحضوره في ضمير الشعب الجزائري ومصيره، وقد عبر عن ذلك في أنماط وأشكال مختلفة لمقاومة الجزائريين للاحتلال وسياسته ومع تفرق هذه الأشكال والأنماط ثم الفردية وعدم الوحدة في الزمن والوسيلة والعمومية تحت واقع القمع والإرهاب الفرنسي و الإبادة الجماعية، بالإضافة إلى القوانين الاستثنائية، إلا أن هذه الأشكال والأنماط أبقت خميرة القوة في الخطاب الإسلامي لتبعث تدريجيا صوتا وحضورا وفعالية، خاصة بعد الاحتفال المئوي الفرنسي الذي أعلنت فرنسا فيه لفرنسيين وللعالم بأنها قد أقبرت الإسلام و اللغة العربية في الجزائر إلى الأبد وحولتها إلى المسيحية و الفرنسية إلى الأبد أيضا، و يمكن تتبع هذا الخفوت التدريجي و الانبعاث التدريجي أيضا فيما يلي:

1- خطاب الجهاد، وعي بسّر الصراع:

وهو رد الفعل الجزائري العفوي والعفوي المباشر على الغزو الفرنسي للجزائر، فقد تنادى رؤساء القبائل و مشايخ الزوايا بالجهاد ضد الكفار في مختلف مناطق الجزائر، بداية من معارك الأمير عبد القادر التي خاضها من قاعدته المتحركة[1] في الغرب الجزائري وثورة أولاد سيدي الشيخ في 1864م، و الشيخ الحداد و أولاده و الشيخ المقراني في 1871م والشيخ بوعمامة في

[1]- الأميرة بديعة الحسيني الجزائري، أصحاب الميمنة إن شاء الله، دمشق، دار السلام للترجمة و النشر، 1997م، ص 13.

1881- .... فقد كانت هناك كلمات تهتز لها الجزائر كلها كما قال ضابط فرنسي «فكل من تذكر له القومية و الإسلام و الأرض المقدّسة التي يجب تطهيرها من الكفار إلا تجده مستعدا للكفاح»[1].

وقد سجل الدكتور يحي بوعزيز كل الثورات التي شهدتها الجزائر منذ بداية الاحتلال وكذا الانتفاضات التي عمت البلاد و استمرت فيها حتى نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين[2] في سبيل استعادة الاستقلال وإعادة الجزائر إلى حظيرتها العربية الإسلامية التي غرتها فرنسا بهدف محوها و استبدالها بالمسيحية و الفرنسية، و لكن الاستشراق الفرنسي و منظري السياسة الاستعمارية درجوا على معالجة ما سموه بالمشكلة الجزائرية ما بين (1832-1848م)، مثلا على أن وعي الجزائريين بكيانهم المستقبل وانتمائهم العربي الإسلامي الخاص و استماتتهم في سبيل الحفاظ عليه من قبيل "التعصب الديني"[3] تلاعبا بالتاريخ و تنفيسا لحقد، وتبريرا لإجراءات القمع غير الإنسانية تحت شعار حضارة الإنجيل.

2- خطاب الدبلوماسية، شرف فرنسا (!).

وقد وازى في الزمن خطاب المقاومة المسلحة خاصة في السنوات الأولى للاحتلال وامتاز هذا الخطاب بالتوسل بالعرائض و الاحتجاجات و المطالب، اتخذها أعيان الجزائر -العاصمة- خاصة وعلمائها عموما وسيلة لإسماع صوتهم لكل من وجدوا عنده آذانا صاغية من السلطات الفرنسية القائمة في الجزائر، وسلطات باريز، والرأي العام الفرنسي، والمناهض للاستعمار في العالم الأمريكي و الإنجليزي خاصة.

وتمحور خطاب المقاومة السلمية حول رفض الاحتلال، وحول حق الجزائريين بان يحكموا أنفسهم بأنفسهم وإسماع الرأي العام الأوروبي بخبث فرنسا و عدم احترام وعودها التي وقّعت عليها في وثيقة الاستسلام في عدم المساس بمقومات الجزائريين وحقهم في المحافظة على دينهم ومؤسساتهم و...احترام تقاليدهم الإسلامية، وأن أول ما استهدفته فرنسا هو هذه

---

[1]- الجيلالي صاري، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 14.

[2]- للاطلاع و الاستفادة في الموضوع انظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، الجزائر، قسنطينة، دار البعث، ط1، 1986م.

[3]- مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 47.

المقومات نفسها ومن أول يوم وطأت أقدام جيشها أرض الجزائر.

وأكثر ما يعبّر عن هذه المقاومة الديبلوماسية النشطة في هذه المرحلة هو كتاب المرآة[1] للسيد حمدان خوجة الذي ألفه صاحبه وقدمه مرفوقا برسالة لأعضاء ما عرف بلجنة التحقيق الإفريقية سنة 1933م، و الذي أقام به الدعوى على الاحتلال الفرنسي و بصيغة جريئة –مقارنة بظروف المرحلة– للمطالب الجزائرية، ومما جاء فيه ... وصف أعمال الاحتلال: «مباني هدّمت و أسواق دمّرت وأملاك خاصة صودرت ومساجد هدّمت أو حوّلت إلى كنائس وقبور الأجداد ديست، إن الشعب الجزائري لا يقبل هذا المصير ...»[2].

وطالب خوجة باستقلال الجزائر لأن الجزائريين مثل غيرهم من الشعوب لهم الحق في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم و الحق في الوجود ضمن قوميتهم الخاصة مثل البلجيكيين واليونان، ثم أن الجزائريين المتنوّرين قادرون على إقامة حكومة تمتزج فيها تقاليد الإسلام والمبادئ الليبيرالية.

لقد كان هدف "لجنة التحقيق الإفريقية" التي شكلتها فرنسا في 1833م للتحقيق في شكاوى الجزائر من جرائم الجيش الفرنسي وإدارته في الجزائر و المطالبة بالاستقلال، هو اتخاذ القرار حول ما سيتخذه الوجود الفرنسي في الجزائر وبعد شهور من التردد صدر قرار لصالح استمرار الاحتلال و بطرق أبشع حتى إسكات كل صوت فيها في المطالبة بالحقوق أو مجرد الحلم بها مما لم يبق للجزائريين سوى طريق المقاومة المسلحة لاسترجاع وطنهم و الحفاظ على قوميتهم الدينية و الحضارية.

3- خطاب الهجرة خارج الجزائر: منفذ للأمل.

تقف الدوافع الإسلامية وراء حركة الهجرة التي شهدتها الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي

---

(1)- المرآة، كتاب ألفه حمدان بن عثمان خوجة باللغة العربية وترجمه إلى اللغة الفرنسية السيد حسونة دغير، وصاغ الأصل العربي بيسما ظهرت ترجمته في فرنسا سنة 1833م تحت عنوان: Le Miroir, Aperçus historiques et statistiques sur la régence d'Alger, H.D, 1833. تحدث عنه جورج بيغز في المجلة الإفريقية في بحث بعنوان: Sidi Hamdan Ben Othman Khodja,R.A, N°57, 1913, P 96. ترجمه: محمد بن عبد الكريم، ومحمد العربي الزبيري، وعبد الجليل التميمي وغيرهم و للإشارة فالمرآة هو عبارة عن مقدمة وكتابين وملحق يحتوي على سبعة عشر وثيقة وقام حمدان باختصاره في مذكرة بعث بها إلى لجنة التحقيق الإفريقية سنة 1833م.

(2)-حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم و تعريب و تحقيق: محمد العربي الزبيري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، 1982م، ص 304.

في فترات مختلفة، فمغادرة دار الحرب للالتحاق بدار الإسلام التي بقيت مستقلة لتواصل المقاومة بدلا من الخضوع لقانون الكافر المعارض للشريعة الإسلامية، توجه فكري وقناعة إسلامية حثت الجزائريين للهجرة نحو الدول العربية كالمغرب الأقصى و تونس وتركيا و التي كانت ملاجئ للجزائريين.

وقد شهدت مناطق كثيرة من الجزائر بداية من السنوات الأولى للاحتلال موجة اغتراب بين الجزائريين بأعداد قليلة في البداية سرعان ما أخذت تكثر و أصبحت تقلق إدارة الاحتلال، حيث استقرت قبيلة من المجاهدين من معسكر و تلمسان في 1832م في المغرب الأقصى، و من قبيلة بني هاشم و بني عمر في 1835م، كما استقبلت تونس و سوريا أوائل المهاجرين في 1837م وتوالت الهجرات نحوهما على التوالي في 1854م، 1861م، 1870م لقبائل كاملة أو لأغلب عائلاتها نحو بلاد الشام عموما.

وأخذت الهجرات الجزائرية تتوسع من وهران و جرجرة و القطاع القسنطيني في 1870-1871م، ووصل إلى بيروت مئات الجزائريين عن طريق تونس في سنة 1898م[1].

وقد تعاملت إدارة الاحتلال مع الهجرة الجزائرية نحو الدول الإسلامية بالسكوت وشجعتها بعدم التدخل وغض الطرف في البداية وكان هدفها من ذلك إفراغ الجزائر من أهلها ومن المجاهدين منهم على وجه التحديد الذين يكونون أكثر المهاجرين بعد هزيمة ثوراتهم ضد الاحتلال لعدم التكافؤ في المواجهة، وقد عبرت الصحافة الفرنسية عن ذلك بقولها أن: «هجرة الجزائريين سيترك المكان لملئه بالكولون»[2]،ولكن أعداد المهاجرين الكثيرة و التي شملت أحيانا قبائل بأكملها، جذبت إليها الانتباه بقلق الإدارة الفرنسية، بعد أن تناولتها العديد من الصحف الفرنسية و أصبحت موضوع نقاش حكومي وقضية رأي عام، فقد أصبح الفرنسيون في الجزائر «يعتبرونها ضياعا لليد العاملة الرخيصة»[3].

وقد كان قانون التجنيد الإجباري الذي فرضته فرنسا 1912 القطرة التي أفاضت الكأس وراء

---

[1]-Charles Robert, Ageron, Les Algériens Musulmans et la France, (1871-1919), Paris, PUF, 1968, PP1081-1082.

[2]-Ibid, p1084.

[3]-الجيلالي صاري: محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954م، الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر حراث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م، ص 51.

سأم الجزائريين من إدارة الاحتلال وسجلت السنوات 1910-1911-1912م اضطرابات كثيرة عمّت مناطق كثيرة من الجزائر وخاصة في تلمسان، وطلب جوازات السفر لمغادرة الجزائر، وتلتها هجرات مكثفة كثيرة بالطرق السرية حتى أن بعض المراجع تذكر أن «الحق في الهجرة قد أصبح من مطالب الجزائريين، كما أصبحت الهجرة الدينية هجرة سياسة في آن الوقت»[1].

وتوصلت التحقيقات الفرنسية الرسمية في موضوع الهجرة التي تدخلت الحكومات الفرنسية المتعاقبة لبحثه بأن الهجرة هي التعبير الحصري لشعب منع من كل وسيلة شرعية لإسماع صوته[2]، وكانت إجابات الجزائريين عند استنطاقهم دائما تتمحور حول:

«إننا نرفض أن نعيش مع المسيحيين –في الجزائر–» «إننا نريد أن نموت في أرض يحكمها الإسلام»[3]. لكن الصحافة الفرنسية وصفت هذه الهجرة بـــ"التزمت الديني"، ولم تعمل على إسماع صوت الجزائريين في الحق في الحياة و التشبث بالقيم الإسلامية و العادات ورفض النظام الاستعماري على الرغم من اعتراف بعض المؤرخين بذلك، حيث كان الفقدان النهائي للأوقاف، ومنع فرنسا الجزائريين من إنشاء جمعياتهم الدينية، واستبدال القضاة المسلمين بقضاة الصلح الأوربيين، ثم التخريب الحقيقي لتعليم الأهالي وقانون التجنيد الإجباري للجزائريين لإكراههم على الحرب تحت علم فرنسا ومن أجل شرف فرنسا، والإحساس بعدم جدوى المقاومة المسلحة التي قمعتها فرنسا بالإبادة و التعذيب، كل ذلك جعل من الهجرة خيارا ومطلبا للجزائريين لمغادرة بلدهم الذي صيرته سلطة الاحتلال الفرنسي جحيما وذلك نحو الدول العربية الإسلامية أملا في مواصلة المقاومة بعد حين.

4- خطاب المظاهرات و التجمهر

وكانت المظاهرات و التجمهر من وسائل الجزائريين للتعبير عن رفضهم لسياسة الفرنسة والاندماج وخاصة فيما بعد الثلاثينات، وقد كانت المظاهرات تنطلق في المساجد غالبا و تتجمهر في الساحات العامة أين تلقى الخطب وتقدم العرائض و تسجل الاحتجاجات وتقرأ المطالب كي

---

[1]-الجيلالي صاري: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 50.

-Charles Robert Ageron : Les Algériens Musulmans et la France, Op.cit, P1083.

-Ibid, P1084.

يشهدها عامة الشعب،ففي 1933م أحيط المصلون علما بمنع إدارة الاحتلال للعلماء بالوعظ والتعليم في المساجد فخرجوا في مظاهرات نحو ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا) وأوقفوا حركة المرور وتقدم وفد بمطالب الجزائريين إلى ممثل حرية ممارسة العبادة وحرية الضمير والتعليم باللغة العربية، وتوالت بعدها الاضطرابات والعرائض و تلتها موجة المقاطعة للمنتوجات الفرنسية ورفعت الأعلام الخضراء كرمز للإسلام[1].

وفي ماي 1934م تظاهر الجزائريون لصالح حرية الصحافة و التعليم باللغة العربية وحرية العبادة ونددت الجماهير بالطعنات الفرنسية لمقومات الجزائريين الإسلام و اللغة العربية وعمت المظاهرات عددا من المدن الجزائر شرقا وغربا،و أظهر الشعب قدرته في التعبير عن حقوقه في استخدام وسائل الفرنسيين أنفسها بالتظاهر والاحتجاج والمقاطعة والشرعية القانونية للتأثير على القرار السياسي الفرنسي لكن فرنسا بدل أن تستجيب لمطالب الجزائريين و تكف عن حرمانهم وطعن مقوماتهم «أقامت قوة قمعية حديدة عرفت بقوة كتائب الحراسة المتنقلة»[2] التي نكلت بالجزائريين وأعملت فيهم قتلا وسجنا و تعذيبا ...

5- خطاب الانكفاء على الذات: الشعب يحضن بيضة خلوده ...

تحت واقع الإبادة والقمع غير الإنساني الذي واجهت به سلطة الاحتلال مقاومة الجزائريين وقتل أو نفي معظم قادة الجهاد الذي تواصل حتى نهاية القرن التاسع عشر، اضطر الشعب الجزائري إلى الجهاد بوسائل أخرى غير السلاح وتمثل في الانكفاء على داته وهو وإن كان في الظاهر مقاومة سلبية كما يسميها بعض المؤرخين، إلا أنها في الواقع مثلت أقوى تعبير و أنجح وسيلة و أرسخ جهاد لشعب يرفض حكم الكافر و قيمه وعوائده ولغته، و يعمل لكي يحمي ذاته و أفراده من الطعنات الحضارية و الدينية و الثقافية التي كان الاحتلال يجرّه إليها، إن بقوة السلاح أو بقوة الواقع الذي كان يسيطر عليه ويوجهه كما يشاء بخطط مرسومة و أهداف أصبحت واضحة المعالم .. ومن أبرز المظاهر لهذه المقاومة هو مقاطعة الجزائريين لمدارس الاحتلال ومستشفياته، حيث كانوا يعتبرونها فخاخا للتنصير[3]، وإفسادا للغة أبنائهم و عوائدهم، وكانت

---

[1]-Charles André Julien : L'Afrique du Nord En Marche, Op.cit, P976.

[2]-الجيلالي صاري: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 42.

[3]-ساطع الحصري، المرجع السابق، ص 743.

فترة الانكفاء على الذات في الواقع مرحلة الحماية لها من الاندثار لفعل اليأس ومرارة الواقع المفروض ومن ثم فهي إعادة للتوازن للذات الجزائرية ومراجعة لوسائل الجهاد البديلة عن المقاومة المسلحة لمواصلة الجهاد في سبيل استرجاع الحقوق المهضومة، وقد عبر.

6- خطاب الرفض والمقاطعة: لغة النبل

فقد كان الرفض الكامل لكل ما يأتي من المحتل وسيلة الجزائريين لمقاومة الفرنسة حتى ولو كان ذلك يخدمه بطريقة ما، و تشهد بذلك المصادر الفرنسية و تؤرخ له، فقد كانت الخدمات الاجتماعية التي تحتال بها سلطات الاحتلال للتقرب من الشعب في بعض المناطق هدايا مسمومة في نظر الجزائريين، حيث تقول إيفون تورين: «وبدأ الصراع يوم بدأ المحتل يفرض لسانه وتفكيره وأسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة و المستشفى .. المعلم و الطبيب .. معتقة: وردّ المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي قضى أكثر من عشرين سنة 1830-1850م يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ وينشئ المستشفيات فلا يتردد عليها المرضى، وأصبح الدين الإسلامي كالإسمنت المسلح يحمي من التفكك و الاندماج»[1].

وقد عبّر ابن علي الشريف أحد مشايخ الجزائر في 1870م بمرارة عن حقيقة ما استهدفته فرنسا من سياسة التنصير –الفاشلة- بتصيد بعض اليتامى من أطفال الجزائريين و تعميدهم، ثم اعتبار ذلك انتصارا الكنيسة على المسجد، و إمعانا في تنفيس الحقد الصليبي أقامت احتفالا كبيرا للمناسبة، مما أثار ضجة كبيرة بين الجزائريين وحثهم على مقاطعة مشاريع سلطة الاحتلال و لو كان ذلك يؤدي إلى الموت وجاء في تحذيرهم لإدارة الاحتلال: «إنا نفضل رؤية أبنائنا كلهم موتى على أن نراهم وقد أصبحوا نصارى، ولا مجال لمناقشتنا في هذا الشأن»[2]. وليس أبلغ من "موت الأبناء" مقاطعة ليبقى الإسلام حيا.

وإذا كانت فرنسا لم تترك وسيلة لإنجاح مشاريعها في الفرنسة و الإدماج و التنصير إلا استخدمتها بآلة حرب تفرض الباطل وتقمع الحق، فإن الجزائريين تحت هذه الظروف لم يتركوا من جانبهم أية وسيلة إلا واستخدموها للحفاظ على انتمائهم للإسلام وللتشبث بقيمة وحماية اللغة العربية.

---

[1]-Turin Yevonne, Op.Cit, P36.

[2]-Charles André Julien L'Afrique du Nord en marche, Op.Cit, P33.

والحقيقة أن كل أنماط التعبير وأشكال المقاومة التي اتخذها الجزائريون لإفشال مشاريع الاحتلال الفرنسي في الجزائر لم تميز فترة أو مرحلة معينة ولا منطقة من مناطق الجزائر بذاتها منذ بداية الغزو، وإنما توازت هذه الأنماط مع بعضها وشملت كل الجزائر قطرا وكل من أمكنهم التعبير من الجزائريين أعيانا ومشايخ وعلماء وأسرا وزوايا .. مما يعطيها صفة العفوية و الأصالة ولكن عدم انتظامها في صوت واحد ووقت واحد أغرى بها جيش الاحتلال لقمعها وإرهابها،أو سلطة الاحتلال بالاحتيال و المكر و التجاهل، فانظم قمع الإدارة سوطا وصوتا في أن تنال من الشعب الجزائري عددا دون النيل منه دينا ولغة وانتماء حضاريا، حيث لم يزد قمع الاحتلال في الجزائريين إلا عزما على استمرار المقاومة وضرورة الاتحاد ووجوب التحرر وهي أهداف أصلية حاسمة صيّرها انكشاف أهداف الاحتلال رسوخا وجعلت منه المقاومة الحضارية و الدينية والعلمية العامة حطاب شعب يرفض الموت ويحسم الصراع لصالحه ويبذل في سبيل ذلك الغالي و النفيس.

المطلب الثاني: المقاومة الحضارية والدينية: الخيار الحاسم

أثبت الخطاب الإسلامي تحت الاحتلال الفرنسي أنه لا يزال حيا وهو في كامل قوته بشرعيته في أرضه وبين أهله، وهو وإن خفت صوته /ظروف القهر والحرب المستمرة لمقوماته، فإنه انبعث ليعلو في جمع شمل الجزائريين تحت لوائه من جديد، و يمكن تتبعه من خلال جهود العلماء والمفكرين والمصلحين الجزائريين الذين كانوا يعلمون أهداف الاحتلال ويعون "سر الصراع" والذين عملوا فرادى أو في جمعيات لاحقا على توهين الحكم الفرنسي في الجزائر بنشر الفكرة الإسلامية وبث مبدأ الإصلاح الشامل ورد الجزائر والجزائريين إلى انتمائهم الطبيعي عبر تأكيد عناصر الشخصية القومية والحضارية والدينية والجغرافية، وقد مهّدت جهود هؤلاء العلماء من أبناء الجزائر لتبلور مشروع الإصلاح الذي قادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر مؤسساتها ووسائلها و استراتيجياتها في مواجهة الاحتلال الديني والحضاري و اللغوي .. الذي مارسته سياسة الاحتلال الفرنسي منذ البداية.

أولا: الخطاب الإسلامي قبل ظهور جمعية العلماء

ويمكن رصد ملامح الخطاب الإسلامي قبل ظهور جمعية العلماء في خطب وإنتاج المفكرين و العلماء و الكتاب الجزائريين، و من خلال ما تركوه من آثار علمية وما مثلوه من نشاط علمي واتجاه فكري كان يترجم حماية الانتماء و بعثه في النفوس و المحافظة عليه من النسيان

و الاندثار، و لم يمر هذا النشاط رغم قهر الاحتلال دون أن يبذر بذورا نافعة احتضنت الفكرة و الخطاب لما أعلن عنه وهيأت النفوس لتحرر من قيود الخوف و تدخل ساحة الصراع بعد أن انكشفت أهداف الاحتلال و اتضحت مآربه و نتبع ذلك في

1-جيل المصلحين الأوائل: الذين ظهروا بفكرة الإصلاح لكنهم تمثلوها في جرأة فرد لا في ثورة شعب و في قوة رجل لا في تكاثف مجتمع، فلم يتمكن هؤلاء من إيقاظ كل الضمائر لكنهم كونوا الخميرة الصالحة للحركة الإصلاحية و نذكر منهم: الشيخ "صالح مهنا" المتوفى سنة 1907م و الذي لقي في سبيل دعوته النفي و التشريد ومصادرة مكتبته من قبل إدارة الاحتلال، لكنه وهو الفرد فقد كاد صوته أن يوقظ قسنطينة كلها حوالي سنة 1898م[1].

والشيخ "عبد القادر المجاوي" (1848-1913م) الذي آمن بأن الإصلاح إنما يكون عن طريق التربية و التعليم وقام بتطبيق منهجه في الإصلاح بمدينة قسنطينة، ثم في العاصمة، وقد ألف عدة كتب مدرسية وتربوية دعا فيها إلى دراسة الأخلاق وعلم النفس وتعليم المرأة وانتقد التعليم في وقته[2].

والشيخ "عبد الحليم بن سماية" (1866-1925م) الذي كان متصلا بالحركة الإصلاحية المشرقية، متابعا للأحداث في الصحف العربية و الفرنسية، و الذي كان يهتم في خطبه بمحاربة البدع و الفساد و الإلحاد و قد ساهم بنشاط حثيث في الصحافة الجزائرية بمقالات دينية واجتماعية.

الشيخ "محمد أطفيش" (1820-1914م) الذي عكف على التدريس و الوعظ والتصنيف وترك العديد من المؤلفات يذكر "محمد علي دبوز" أنها تزيد على المائة»[3].

ونضيف إلى هؤلاء كل المتعلمين الجزائريين الذين تتلمذوا على كتب علماء المشرق وتلمسوا أسباب التخلف في الجزائر وبحثوا سبل النهوض وشاركوا بالخطبة و المقالة والوعظ الحسن أداء منهم لمسؤوليتهم أمام وطنهم وأمام التاريخ.

2-أثر الحركة الإصلاحية المشرقية و صحافتها الإسلامية: فقد كانت "العروة الوثقى"

---

(1)-مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص23.

(2)-محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، الجزائر، المطبعة العربية، 1971م، ج2، ص 44.

(3)-من مؤلفاته "إرشاد المعلمين"، "المرصاد في مسائل الاقتصاد"، "اللمع على نظم البدع"، "القواعد الكلامية"، ينظر ترجمته في:

وجريدة "المنار" من الجرائد التي تغذى عليها مثقفوا الجزائر المتبرمون من حاضر بلادهم والمتشوفون إلى تغييره، فقد كانت دعوة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا من بعد محل دراسة وتدريس ونقاش في معاهد الجزائر وزواياها ومادة لخطبائها وخطبها في المساجد والجوامع حتى غدت حديث العامة و الخاصة، وأكد محمد علي دبوز أنه «حتى العامة تأثرت بالشيخ عبده وكانت تعرفه كما تعرف مذهبه في الإصلاح فأحبته وتقبلته لثقتها به و إعجابها بطريقته»[1].

3-عودة علماء الجزائر من البلاد الإسلامية: فقد عاد إلى الجزائر عدد من العلماء الذين أنهوا دراساتهم في البلاد العربية الإسلامية[2]، كالحجاز ومصر وتونس و كذا من تركيا أين تأثروا بالفكرة الإصلاحية وحركة النهضة الإسلامية هناك وخاصة بالحركة السلفية الوهابية، وقد كان هؤلاء رافدا علميا مغذيا للخطاب الإسلامي في الجزائر في مواجهة مظاهر الدروشة والخرافة و البدع التي غذاها الطرقيون حين استغلتهم يد الاحتلال بدهاء للإساءة إلى الإسلام و إلصاق بدع لا صلة له بها، مما أدى إلى تعميق مظاهر الجهل و مد عمره بين الجزائريين، و كوّن هؤلاء العلماء العائدون بعلاقاتهم الوطيدة بالبلاد العربية الإسلامية وعلمائها جسرا علميا بين الجزائر ومحيطها العربي الإسلامي من خلال ما كان يصلها عبره من كتب ومجلات وصحف لم يستطع الاحتلال منعها رغم العزلة التي فرضها على الجزائر و الجزائريون كما كانت غذاء للنهضة الإسلامية في الجزائر.

4-الصحافة الإصلاحية قبل صحافة جمعية العلماء في الجزائر: وتعد هذه رافدا هاما وبذورا صالحة لنضوج الخطاب الإسلامي في الجزائر،و كانت قاعدة صلبة ميزت طروحاته بقوة الحجة و أصالة الدليل، وصفاء المنهل، ونقصد بها تلك الصحافة الجزائرية المكتوبة باللغة العربية،وأحيانا حتى باللغة الفرنسية لكن بأقلام جزائرية إسلامية، والتي كانت تهتم بالقضايا الإسلامية الفكرية البحتة أو التي كانت تتعلق بمصالح وحياة ومصير الجزائريين كنشر الدين الصافي، ومحاربة البدع ومعالجة مواضيعها، وقد ظهرت كتحصيل حاصل للتأثر بالصحافة المشرقية، وتوفر بعض المثقفين أو بعودتهم إلى أرض الوطن و الذين شعروا بأهمية الصحافة في نشر

---

[1]-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 31.

[2]-نذكر من هؤلاء مثلا: الطيب العقبي، مبارك الميلي، إبراهيم أطفيش، محمد البشير الإبراهيمي.

مبادئهم وانتقاد الأوضاع الاجتماعية و الدينية و السياسية –أحيانا- التي كانت سائدة في وقتهم وكذا مواجهة خصوم الإصلاح من طرقيين و دعاة اندماج واستلاب،و يمكن أن نذكر من هذه الصحافة: "جريدة الحق" وهي أول جريدة أصدرتها جماعة من الجزائريين في مدينة عنابة في 1893م باللغة الفرنسية في البداية ثم اللغتين العربية الفرنسية لاحقا، وقد صدرت أسبوعيا لمدة عام وصفها "دبوز" بأنها كانت "مخلصة حسنة"[1]، وعلى الرغم من ركاكة لغتها إلا أنها كما يقول محمد ناصر: «كانت مفيدة المحتوى وذات قيمة تاريخية كما كانت صريحة في المطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين»[2].

جرائد "عمر راسم" (1884-1959م)، و التي تعتبر من أوائل المحاولات التي بذلتها العناصر الإصلاحية الوطنية المخلصة في ميدان الصحافة، وقد اتسمت بتوجهها الإصلاحي وحرارة لهجتها في مناهضة الاستعمار و هدفت إلى توعية الجزائريين و تثقيفهم باطلاعهم على أسرار السياسة الداخلية والخارجية، كما كانت تدعو إلى ضرورة الإصلاح لأن سبب تأخر المسلمين كما يرى عمر راسم: «يعود إلى انفصامهم عن الشريعة الإسلامية»[3]. وهذه الجرائد هي على التوالي: «جريدة الإصلاح»، "مجلة الجزائر"، جريدة "ذو الفقار" و التي استمرت حتى 1914م.

جرائد "أبي اليقظان" (1888-1979م) ظهرت قبل وأثناء ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وهي "وادي ميزاب" في الأول من أكتوبر من سنة 1926م وجريدة "ميزاب" في الخامس و العشرين من يناير من سنة 1930م و جريدة "المغرب" في التاسع والعشرين من شهر ماي سنة 1930م، و جريدة "النور" في العاشر من سبتمبر سنة 1931م.

وقد ساهمت هذه الجرائد في إذكاء الاتجاه الوطني و القومي الإسلامي للجزائريين، بحثهم على اكتساب العلوم و المعارف و إحياء اللغة العربية و تربية الأبناء تربية صالحة إسلامية صحيحة، وبناء الشخصية الوطنية و التشبث بالمقومات العربية الإسلامية[4].

---

[1]-محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 8.

[2]-محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية من 1903-1931، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،ج1، ص 22.

[3]-عمار الطالبي، آثار ابن باديس حياته و آثاره لبنان،دار المغرب الإسلامي، ج1، ص 56.

[4]-محمد ناصر، المرجع السابق، ص ص 67-70.

وقد تمرنت ونضجت على صفحات هذه الصحافة وغيرها كثير من الأقلام الجزائرية وساعدت على تفطن الجزائريين إلى مآرب الاحتلال الصليبي من غزو فكري و لغوي و أدى إلى تحسين مواقفهم إزاء الصحافة عموما و الصحافة الإصلاحية على وجه الخصوص وتبلور اتجاههم نحو مسؤولياتهم القومية و الدينية أمام وطنهم وأمام التاريخ.

5-الثورة التعليمية الباديسية: التي أحدثها عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) بدروسه الحية و التربية الصحيحة التي كان يأخذ تلاميذه بها، وقد كانت هذه النواة لحركة الإصلاح الإسلامي الشامل في الجزائر، حيث تخرج منها أفواج من الطلبة مستكملة الأدوات «من فكر صحيح، وعقول نيّرة ونفوس طامحة وعزائم صادقة، و ألسن صقيلة،وأقلام كاتبة»[1]. ومن أوسع معاني هذه الثورة الثقافية كما يصفها عبد الرحمن سلوداي، أنها استطاعت رغم مناهضة سلطات الاحتلال الفرنسي أن تحدث تغيرات بارزة في جوانب عديدة من الحياة الجزائرية كتكوين الجمعيات المتعددة، وتشييد النوادي المتنوعة و المدارس الحرة، و الصحافة الإسلامية و المطبعة الإسلامية،وجمعيات الكشافة الإسلامية...»[2].

وبهذه الروافد اجتمع للخطاب الإسلامي المرجعية و الكوادر و المنابر وتأتي مرحلة تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين لترصّع هذه الجهود بثمرة شرعية العمل و النشاط من جهة وبمرحلة الانتشار و العموم و التحذر من جهة أخرى.

ثانيا: منابر الخطاب الإسلامي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وقد ظهرت في 5 ماي 1931م تحت رئاسة الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس وبمجهود مجموعة من إخوانه العلماء المصلحين الذي جمعتهم جريدة "المنتقد" على صفحاتها والتي سبق لابن باديس أن أنشأها منذ 1925م، ثم جريدة "الشهاب" لسان الجمعية، وقد تعودوا على العمل المشترك و الإنفاق على خطط منظمة لمحاربة الفساد الديني و الاجتماعي و السياسي ..وقد أعلنت الجمعية في قانونها الأساسي بأنها جمعية دينية تهذيبية ضمانا للرخصة من إدارة الاحتلال من جهة، وضمانا لشرعية نشاطها من جهة أخرى وشرحت صحافة الجمعية فيما بعد أن العلماء في كل أمة، وفي كل عصر هم قادة الفكر والسياسة فيها ومن ثم فقد حددت عملها وشعارها في الثلاثية

---

[1]-محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، الجزائر، دار الكتب، دت، ص 48.

[2]-حسن عبد الرحمن سلوداي، عبد الحميد بن باديس مفسرا، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984م، ص 289.

"الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا" الذي يعني الانفصال الواقعي عن فرنسا ومواجهة مشاريع سلطة الاحتلال في الفرنسة و الاندماج و التنصير، و خرجت الجمعية تدريجيا من التعميمات لتوضيح إطار عملها و الهدف الصريح منه وهو ما لخصه قول الإمام عبد الحميد بن باديس –رحمه الله–:

شعب الجزائر مسلـــم وإلى العروبة ينتســـب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا لـــــه رام المحال من الطلـــب

وقد مكنت جمعية العلماء للخطاب الإسلامي من كل الوسائل المتاحة في الجزائر، واستثمرت له كل المنابر و الأساليب حتى يشمل كل الشعب الجزائري ردا على إرادة الاحتلال في مشاريع الفرنسة و الإدماج و التنصير، وإعادة بناء المناعة الدينية و الحضارية و القومية للجزائريين وعيا وتحمسا وتفويتا للفرضة على الخطابات الغريبية التي ظهرت عبر جماعات من الجزائريين صنعها الاحتلال ومكنت لها سلطته من منابر ادعت عليها أنها تتحدث باسم الشعب الجزائري وتمثله.. في قبول الذوبات و الاندثار فرنسة وتجنيسا وإدماجا، وقد كشفت جمعية العلماء بطلان ذلك واقعا حين كرست الانفصال عن إدارة الاحتلال ودولته، ووصفت "الشهاب" من يدعون إلى ذلك بـــ: «الذين في قلوبهم مرض، و الذي نسوا الله فأنساهم أنفسهم و أنكروا ما لهذه الأمة من مجد وما لها من تاريخ وما لها من روابط تجعل منه أمة –جزائرية– متحدة متجانسة لها من الاتحاد و التجانس ما لأكثر الأمم تجانسا واتحادا في كل بلاد الأرض...»[1]

كما ردّ ابن باديس على الداعين إلى ذلك «بأننا نريد ونستطيع أن نحافظ على ذاتيتنا ولا نريد بأي حال من الأحوال ولا نستطيع أن ننسلخ طوعا واختيارا أو كرها وجبرا على تلك الذاتية، وما فيها من مميزات وما لها من حقوق»[2].

وجاء في كلمته الصريحة: « ... نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الأمة، بل ندعي أننا نتكلم باسم أغلبية الأمة ...». «إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة

---

[1]–عبد الحميد بن باديس: حول كلمتا الصريحة، الشهاب، ج3، م 12، غرة ربيع الأول، 1355هـ/جوان 1936م.

[2]–عبد الحميد بن باديس: كلمة صريحة، الشهاب، ج1، م 12 غره محرم 1355هـ/ أبريل 1936م.

تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها حدثها الدينية و اللغوية ولها ثقافتها و أخلاقها بما فيها من حسن وقبيح، شأن كل أمة في الدنيا.

ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا،و لا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها؛ لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة ...»[1].

ولقد انصب نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إحلاء هذه الغاية التي تصفها بالغاية الطبيعية وجندت لها كل الوسائل لتحقيقها في صورة أمة تعرف كيف تطالب وممن تطالب وبماذا تطالب ثم تصر على المطالبة، وتعرف كيف تأخذ وكيف تحافظ على ما أخذت ولا تنكس في مرحلة من مراحلها ولا تنتكس ولا تسامح لأنها تفكر وتقدر ...»[2].

وصاغ علماء الجزائر خطابهم عبر منهجية مرحلية ومن خلال كل الوسائل التي يتيحها الواقع الجزائري للنشاط تحت ظروف الاحتلال القاهرة، وذلك بذكاء وصبر وجد ومثابرة، وتمثل ذلك عبر:

1-التعليم المسجدي: الذي ركزت فيه على جمع الجزائريين من جديد في المساجد حول حلقات القرآن الكريم تدريسا وتفسيرا وتحفيظا، وقد أصبحت هذه من الواجبات اليومية للجزائريين صباحا بعد صلاة الفجر ومساء بعد صلاة العشاء، وحلقات شرح الحديث النبوي الشريف التي يتصدّرها الإمام بن باديس منذ 1925م وحتى وفاته -رحمه الله-.

وقد تعلم الجزائريون فيها الإسلام الصحيح أو الإسلام الذاتي الذي يتحرر به من الوسائط الروحية غير المؤهلة للتوجيه ويخرج به من دهاليز البدع وظلام الدروشة إلى نور اليقين والوعي والنشاط والعمل وركز العلماء عبر التعليم المسجدي على:

-إحداث تجديد عام للحياة الإسلامية في الجزائر على أساس من مبادئ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وذلك باستخراج التعاليم الأساسية من نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة وعبر

---

[1]-عبد الحميد بن باديس: المرجع السابق.

[2]-محمد البشير الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1985م، ج4، ص 172.

إسقاطها على واقع حياة الجزائريين، وهي منهجية وصفها على مراد بأنها: «استخراج للمعطيات الخاصة بتوعية واضحة وآنية للحياة الدينية والسلوك الاجتماعي للمسلمين باعتبارهم مواطنين ينتمون إلى عالم متحضر»[1].

2-تقوية إيمان الجزائريين وتحريك اهتمامهم الديني وتحسيسهم بالمخاطر التي تحدق بمستقبلهم العقدي والثقافي وبالتالي مصيرهم كشعب مسلم، وذلك بتذكيرهم عبر نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، بأهم محطات أمجادهم الثقافية والتاريخية وتحديد مكونات مقومات شخصيتهم العربية الإسلامية التي هم مطالبون بالحفاظ عليها والتضحية دونها.

3-تنظيم حياة الجزائريين وتوجيه علاقاتهم على أساس من العبادات والمعاملات والأخلاق وجعلهم يحكمون على سائر القضايا والمشكلات التي تواجههم من منطلقات العقيدة الإسلامية وعلى ضوء الإيمان ومن ثم تدريبهم على تكوين رأي عام ناضج وواع بواقعهم ومصيرهم.

4-إعطاء القرآن الكريم عبر الخطاب الإسلامي في الجزائر، قيمته الأولى كهداية للعاملين وذكر للناس، بمحاولة بعث الحقائق القرآنية في الحياة الإسلامية فدون القرآن الكريم لن يصبح للحياة الإسلامية من الإسلام إلا الاسم فقط، ودون الاستلهام الدائم من القرآن الكريم، فإنه لا يصبح تعامل المسلمين مع القرآن إلى كمن يتخلى فعلا عن الاعتقاد بالأصل الإلهي للكتاب ومن الخلود الفعلي لرسالته»[2].

2-التعليم المكتبي: وهو ما اصطلح علماء الجزائر على تسميته، ويعني المدرسة العربية الحديثة كما أرادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وقد هدفت إلى تربية الجزائريين وتعليمهم.

أما التربية فغايتها كما يصفها الإبراهيمي هي توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه إلى مضطرب أوسع منه دائرة وأرحب أفقا وأصح أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه، طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق متحد المشارب مضبوط النزعات يسعى في طلب الحياة بإرادة متحدة يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة في اتجاه واحد.

---

[1]-Ali Merad, Ibn Badis Commentateur du Coran, Algérie, SNED, 1971, P233.

[2]-Ibid, P235.

أما غاية التعليم فهي تفقيه الجزائري –في دينه ولغته وتعريفه بنفسه بمعرفة تاريخه–، تلك الأصول التي جهلها أباؤه فشقوا بجعلها وأصبحوا غرباء في العالم مقطوعين عنه، لم يعرفوا أنفسهم فلم يعرفهم أحد»[1].

وجاء ترتيب غاية المدرسة عند جمعية العلماء بهذا الشكل التربية والتعليم لأن الدين في حياة المسلمين هو رأس الأمور وبه تتحقق الأهداف كلها.

وعملت جمعية العلماء على أن تكون المدرسة العربية في الجزائر:

أ-مدرسة لتعليم الإسلام الصحيح وكشف لأباطيل أعداء الإسلام وجهل أهله بما يلصق به ما ليس منه، وتعليم للإسلام الذاتي الذي ينطلق من تعليم قواعد الإسلام وإدراك محاسنه في عقائده وأخلاقه، وآدابه وأحكامه وأعماله، وفهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبناء كل ذلك على الفكر والنظر، «ليفرق الجزائري بين الإسلام بحسنه وبرهانه وما ليس منه بقبحه وبطلانه فيحيا حياة فكر وإيمان وعمل...»[2]. فلا يكون المسلم مسلما حتى يتعلم الإسلام»[3]. ويفقه أن محبة الإسلام تظهر في «التمسك به والمحافظة عليه والعمل على بقائه راسخا في القلوب منتشرا في آفاق الأرض»[4].

ب-برنامجا للوحدة القومية للشعب الجزائري بحيث يصهر الجزائريون على أسس تعليمية صحيحة وواحدة، يجعل منهم بنيانا مرصوصا في وجه الاحتلال ومشاريعه.

جـ-مؤسسة لتكوين الرأي العام الواعي في الجزائر، بحيث يصهر الجزائريون فيها على أسس إسلامية صحيحة تحدث بينهم التقارب والتآلف والتجانس وتربطهم بوحدة المشرب ووحدة الاتجاه في النظرة إلى الحياة وإلى المستقبل وخاصة منها قضايا الأمة والوطن بما يضمن الأسس الأولى في تكوين الرأي العام.

ولما كانت مناهج المدرسة الباديسية تهدف إلى التدريب على الاستقلالية في التفكير

---

[1]-محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، المرجع السابق، ص ص 303-304.

[2]-عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، الجزائر، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ج4، 1985م، ص 124.

[3]-المرجع نفسه، ص65.

[4]-المرجع نفسه، ص124.

والحرية في إبداء الرأي، فإنها عملت على أن يتميز الرأي العام في الجزائر بالنصح والأصالة إزاء سياسات الاحتلال ومناهجه، وبالتفطن لها والرد عليها وفي حينها والعمل على تنقية الهدف في الاستقلال من كل تردد أو تشكيك أو تثبيط.

3-صحافة الجمعية: أما الصحافة فقد اختار لها علماء الجمعية شعارها العام "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء[1]"، وفق منهج سياسي انتقادي، تهذيبي مستقل تماما تمويلا وطبعا وتوزيعا وعبّر ابن عن ذلك بقوله «بأنها ما خطت حرفا إلا بوحي من ضميرها واقتناع منها لا بوحي ناحية ولا لإرضائها، وما أنفقت فلسا من مالها وكيسها لا من مال ذي غاية ولا من كيس أية هيئة»[2].

وكانت صحف الجمعية عناوين متعددة لمبادئ واحدة كلما صادر الاحتلال عنوانا بادر العلماء إلى إصدار عنوان جديد يكمله ويحلّ محلّه، كما كانوا يغيرون شعار العنوان الجدير حتى يسايره بالإشارة في الافتتاحيات بأن لا حاجة في إعادة نشر المبادئ لأنها قد نشرت في العنوان المصادر.

وفي البداية اتخذت جمعية العلماء من جريدة "الشهاب" جريدة غير رسمية لها منذ 1933م، وجعلت شعارها الجديد "لنعوّل على أنفسنا ولنتّكل على الله»، قبل أن تصدر جريدتها الرسمية "السنة النبوية المحمدية" في 8 ذي الحجة 1351هـ الموافق للعاشر من أفريل 1933م وتضمنت افتتاحيتها مقالا لابن باديس بعنوان "بواعثنا.. عملنا.. خطتنا.. غايتنا" بيّن فيه أسباب إصدارها ورسم فيه سياسة الجريدة وكذا كل الجرائد التي أدارتها الجمعية فيما بعد وجاء فيه: « ... رأينا كما يرى كل مبصر ما نحن فيه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق، وفساد في العقيدة وجمود في الفكر، وقعود عن العمل وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجهة، وافتراق في السير حتى خارت النفوس القوية، وفترت العزائم المتقدة، وماتت الهمم الوثابة، ودفنت الآمال في صدور الرجال واستولى القنوط القاتل واليأس الميت.. ففزعنا إلى الله الذي لم تستطع هذه الأهوال والمصائب كلها أن تمس إيماننا به وتزعزع ثقتنا فيه... فهدانا إلى المنهاج الواضح الأقوم...»[3].

---

[1]-هذا الشعار حملته مجلة "الشهاب" بعد أن اتخذتها جمعية العلماء لسانا لها غير رسمي منذ 1937م.

[2]-عبد الحميد بن باديس: مجلة الشهاب، ج1، م11، المؤرخ بأفريل 1935م، ص1.

[3]-عبد الحميد بن باديس: السنة النبوية المحمدية، س1، ع1، المؤرخ بالإثنين 8 ذي الحجة 1351هـ-10 أفريل 1933م، ص1

وما إن باشرت الجريدة صدورها جاء قرار وزير الداخلية الفرنسي بتعطيلها، حيث حجزت الشرطة الفرنسية أعدادها في السوق فكان عددها الثالث عشر هو عددها الأخير، وذلك في 3 جويلية 1933م فسارع العلماء إلى إصدار جريدة "الشريعة المحمدية" بعد أربعة عشر يوما فقط من مصادرة جريدة السنة، وذلك في 24 ربيع الأول 1352هـ الموافق لسابع عشر جويلية 1933م، وكان شعارها الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾[1]، لتكون نسخة أخرى من السنة المصادرة، ولكن هذه لم يصدر منها إلا سبع أعداد فقط، حيث عاجلها قرار التعطيل من سلطة الاحتلال في تاريخ 29 جويلية 1933م، حيث لم تعمر إلا واحد وأربعين يوما فحسب، وسارع العلماء لإصدار جريدة جديدة هي "الصراط السوي" وقد توسط اسمها الآية الكريمة ﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾[2]، وما إن صدر العدد السابع عشر منها –الأخير– في 22 رمضان 1352هـ الموافق للثامن من جانفي 1934م، حتى عطل بقرار من وزارة الداخلية الفرنسية بتاريخ 23 ديسمبر 1933م، والتعطيل هذه المرة يمنع الجمعية من إصدار أية جريدة أخرى بأية صفة وفي أي مكان حتى ولو كان صاحب امتيازها غير الذي سبق في صحف الجمعية[3]، وقد وصف الإبراهيمي هذا القرار بالحكم بالإعدام على من لم يخلق»[4].

وواصل العلماء نشاطهم الصحفي على صفحات "الشهاب" من جهة وعلى صفحات كل «الجرائد التي اعتقدت مبادئ الجمعية، وكانت تعمل ضمن خطتها الإصلاحية»[5]، وبعد مساعي متواصلة لدى إدارة الاحتلال تمكنت من إصدار جريدة "البصائر" المستوحاه عنوانها من الآية الكريمة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[6]، وصدر العدد الأول منها في الأول من شوال 1354هـ الموافق للسابع والعشرين ديسمبر 1935م في الجزائر العاصمة في البداية، ثم نقلت إلى قسنطينة في 29 أكتوبر

---

(1)-الجاثية: 18.

(2)-طه: 135.

(3)-انظر: نص القرار في جريدة البصائر، ع94، المؤرخ في 7 جانفي 1938م.

(4)-محمد البشير الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ج4، ص234.

(5)-مفيدة بلهامل: المرجع السابق، ص ص 489-490. ومن هذه نذكر: جرائد أبي اليقظان، والإصلاح للعقبي، والليالي لعلي بن سعد، والمغرب العربي للزاهري، وكذا جريدة الدفاع للأمين العمودي.

(6)-الأنعام: 104.

1937م تحت إشراف الأستاذ مبارك الميلي.

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية عطل العلماء جريدة البصائر حفاظا على استقلالية الرأي ورفضا منها لنشر ما يملى عليها فكان التعطيل كما قال الإبراهيمي «خير من نشر الأباطيل»[1]، وأعادت الجمعية إصدارها في 25 جويلية 1947م، وقد اختفى من شعارها وصف الجريدة "الدينية" لتكرس هذه المرة المواجهة العلنية للسياسة الفرنسية وكشف دعاويها الزائفة وكشف عملائها في القطر الجزائري، ثم «تستجيب لنداء جبهة التحرير الوطني بالانضمام إليها»[2]، وذلك في 1956م[3]، وقد ركزت صحافة صحافة جمعية العلماء داخليا على:

-تجديد العقيدة الإسلامية لدى الجزائريين.

-محاربة الطرقية والإلحاد والتنصير.

-العمل على استقلالية الدين الإسلامي وفصله عن حكومة الاحتلال الفرنسي التي كانت تتحكم فيه رغم علمانيتها، وذلك عبر:

- تحرير المساجد برفع يد الحكومة عنها.
- تحرير الأوقات الإسلامية بإرجاعها إلى أهلها الجزائريين.
- تحرير "رجال الدين" الإسلامي من الحكومة الفرنسية.
- تحرير القضاء الإسلامي برفع جميع القيود عنه.
- تحرير الحج بعدم تدخل الحكومة في أي شأن من شؤونه.
- تحرير الصوم، بحيث تبتعد الحكومة عن كل شؤونه[4].

-كشف مكايد سلطة الاحتلال القانونية والمعنوية لمحاربة الدين الإسلامي واللغة العربية والدفاع عن التعليم العربي والمدارس القرآنية.

أما خارجيا، فقد عالجت الكثير من القضايا الخاصة بالأمة العربية والإسلامية بداية من دول المغرب العربي والمشرق العربي وكانت قضية فلسطين من المواضيع التي لم تتوقف صحافة

---

(1)-محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، المرجع السابق، ص ص 16-17.

(2)-محمد خير الدين: مذكرات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ج1، ص299.

(3)-الزبير سيف الإسلام، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1982م، ص43.

(4)-للإطلاع على الموضوع، انظر: مفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص ص 538-558.

الجمعية من إنارتها والدفاع عنها[1].

4-الكتاب في استراتيجية الجمعية:

وكان طبع الكتب وجعلها في متناول الجزائريين من الوسائل الهامة التي مكنت الخطاب الإسلامي الذي قادته جمعية العلماء منذ تأسيسها في 1931م في أن يعم قاعدة شعبية واسعة من المثقفين في الجزائر وأن يصبح حديث العامة في اجتماعاتهم ليكوّن ردا حاسما على سياسات فرنسا في الفرنسة والتجنيس والإدماج واقعيا ونلمس ذلك سواء في غاية التأليف عند الجمعية في حد ذاتها أو في المجالات التي ركزت الجمعية على التأليف فيها لتساهم مع الرسائل الأخرى في المقاومة الحضارية والدينية واللغوية... باسم الشعب الجزائري حماية له من الاندثار حاضرا ومستقبلا.

فقد ركز علماء الجزائر على تنبيه الجزائريين بضرورة تعلم دينهم ولغتهم بأن اهتمت بدروس تفسير القرآن العظيم وشرح الحديث النبوي الشريف شفويا عبر حلقات المساجد ثم كتابة عبر المقالات الصحافية للجمعية وبعدها طبع الكتب على مطابعها بإشراك الجزائريين في تمويلها ومتابعتها بالاطلاع شراء أو اقتناء!

ويدخل في هذا المجال كتاب "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" الذي حاء إصداره في ذكرى وفاة ابن باديس في غرة جمادى الثانية 1367هـ الموافق- 16 أفريل 1948م، والذي تم طبعه بالمطبعة الجزائرية الإسلامية التابعة للجمعية بقسنطينة[2].

والقارئ لدروس مجالس التذكير يلاحظ بوضوح أن كل شيء فيها يدل على أن المفسر لم يكن يهمه شيء أكثر من خدمة شعبه ففيها:

-رصد المشاكل التي كان الشعب الجزائري يتخبط فيها

-عرضها حسب الأولوية من حيث خطورتها ودرجة تأثيرها وغالبا ما تكون ردا آنيا مباشرا على الأحداث التي تشهدها الساحة الجزائرية.

-اختيار النص القرآني الذي يعالجها مع التركيز على الأهمية العملية.

---

[1]-مفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص ص 552-557.

[2]-وتعتبر تلك أول محاولة لجمع ونشر لجزء من تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس، وقد تم طبعه على التوالي في 1964م و1971م، كما قامت وزارة الشؤون الدينية بالجزائر بإعادة طبعه في 1982م كأحد أجزاء آثار عبد الحميد بن باديس المتتالية.

ولذلك فإن محمد البشير الإبراهيمي يصف تفسير ابن باديس بـــ"نظام طوارئ"[1]، ومعين أخذ فيه يعين الاعتبار الظروف اليومية والشروط الاجتماعية والأخلاقية للشعب الجزائري وعالجها على ضوء تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية[2].

وإلى جانب تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف ركز علماء الجمعية على كل ما من شأنه إصلاح العقائد الفاسدة ومحاربة البدع بالدلائل القاطعة وتنظم في هذا الجانب كتب رئيس جمعية العلماء نفسه والتي تم نشرها أثناء حياته أو بعد وفاته ومنها: -كتاب العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي (1076-1148م) الذي قام ابن باديس باستنساخه عن مخطوط من الجامعة الزيتونية، ثم قام بتحقيقه ونشره في جزئين الأول في 1925م، والثاني 1927م[3].

-رجال السلف ونساؤه الذي نشرته مكتبة الشركة الجزائرية في 1949م.

-رسالة "جواب عن سؤال مقال" التي ألفها ابن باديس ردا على شيخ الطريقة العلوية الصوفية.

-رسالة الجواب الصريح في بيان مضادات الطريقة التيجانية للإسلام الصريح التي نشرت في نسخ كثيرة لتوزع على الأوساط الشعبية[4].

ويعد كتاب "رسالة الشرك ومظاهره"[5] مساهمة هامة تنضم إلى جهود علماء الجزائر في محاربة المفاسد وخاصة تلك التي لها علاقة بالتدين في حياة الجزائريين حيث يقول مؤلفه: «إذا كان حفظ الصحة بالغذاء والدواء فإن حفظ التوحيد بالعلم والدعوة، ولا يحفظ التوحيد عند كعدم

---

[1]-عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الجزائر، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية 1949م، ص 15 (انظر التمهيد بقلم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي).

[2]-للإطلاع والاستفاضة حول مصادر تفسير ابن باديس ومنهجه، انظر: مفيدة بلهامل، المرجع السابق،ص ص 583-588.

[3]-عمار الطالبي، المرجع السابق، ج1، ص92.

[4]-وكلا الرسالتين طبعتا على الطبعة الإسلامية بقسنطينة الأولى في 1933م والثانية في 1938م بعدما كانتا مقالة من مقالات الشهاب التي نشرت بها المقالة الثانية في ع5 المؤرخ بسبتمبر 1938م، ص ص 49، 57.

[5]-"رسالة الشرك ومظاهره" في الأصل مقالات صحفية بدأ محمد المبارك الميلي نشرها على صفحات جريدة البصائر منذ 1936م، وقد دفع نجاحها بين القراء أن طلب هؤلاء من إدارة الجريدة إعادة نشرها في كتاب مستقل لتبقى الكاتب رعمة قرائه وأعاد ترتيب وتثبيت مواد مقالاته بإضافة فصول جديدة، وجمعها في هذا الكتاب الذي تم طبعه بالمطبعة الإسلامية الجزائرية في قسنطينة سنة 1937م في طبعته الأولى.

الكتاب والسنة ولا تجلي الشرك دعوة كالدعوة بأسلوبها»[1].

وقد كانت رسالة الشرك ومظاهره مجهود علمي وأسلوب دعوي لحفظ التوحيد في الجزائر من مظاهر الشرك التي أحاطت به كنتيجة حتمية لموت بصائر الجزائريين ودليله شهادة واقعهم الشقي الذي أدى إليه جهل جمهور المسلمين بعقائد الإسلام، حتى خفي عنهم ما ينافيها بطول الوقت فانتشرت بينهم العقائد الزائفة والبدع الفاسدة مكان العقائد الصحيحة فاستغلها البعض في السطو على العلماء العارفين وإنكارهم عليم تذكيرهم للمسلمين بالدين الحق.

ورسالة الشرك بهذا الاعتبار وجه من وجوه نشاط جمعية العلماء العلمي والديني الذي يهدف إلى محاربة الجمود في الجزائريين ومحاولة بعثهم من جديد من خلال بعث الخطاب الإسلامي بالرجوع إلى عقائد الإسلام الصحيحة وكشف العقائد الزائفة والبدع الفاسدة التي يروّج لها الطرقيون والتي قد طال بها الأمد حتى أنس بها العامة وشجعها الاحتلال وغذّاها حتى يضمن بقاءه واستمراره فجاءت رسالة الشرك ومظاهره لبيان مسائل الشرك وأداء لأمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رجاء لإصلاح الجزائريين بردهم إلى دينهم تعليما وحجة، حتى لا يكونوا حجة على الإسلام ولا سبة بأفواه المتمدنين»[2]، ومن ثم فإن تحرير الجزائريين من سلطان الطرقية وأباطيلها خطوة أساسية لتحريرهم من سيطرة الاحتلال.

وينضم كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" للشيخ مبارك الميلي لينفض الغبار عن تاريخ الجزائر وانتماء الجزائريين وليستكمل نشاط العلماء في إحياء الخطاب الإسلامي في الجزائر عبر إحياء عزائم الجزائريين من نوم الجهل وغفلة البصيرة، بإيمانهم بأن «التاريخ هو البوق الذي تنهض على صوته عزائم الشعوب وبدونه فلا يقظة ولا حياة»[3]، ويتجلى هدف الكتاب وصاحبه فيما عبرت عنه جريدة "النجاح" بقولها: «إن مؤرخي الجزائر الجديدة قد نفضوا الغبار عن تاريخ أجدادنا... وبعثوا الحياة في بقايا أجدادنا لكي يجعلوهم يخبروننا بأنفسهم عن ماضيهم العظيم والمجيد»[4]، وهذا يعني أنه لم يصبح للجزائري حاجة للأجنبي الفرنسي حتى يُخبره عن تاريخه الخاص، وقد كفته كتب مؤرخيه ذلك وأكثر ببعث نخوته وحض همته بلغته وتعابيره

---

[1]-محمد المبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، ط2، 1966م، ص13.

[2]-المرجع نفسه، ص30.

[3]-محمد العابد الجيلالي، تقويم الأخلاق، الجزائر، قسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية، 1927م، ص176.

[4]-جريدة النجاح، ع2، أكتوبر 1932م.

وأحداثه ومناطقه التي يعرفها وتعرفه...

وليعلم الجزائري أن له تاريخا خاصا وقومية خاصة وأن له انتماء لأمة عظيمة هي أمته العربية الإسلامية، وفي هذا ردّ علمي على ادعاء الاحتلال وأكاذيبه ودعوة للجزائريين والشعب الفرنسي وشعوب العالم للوقوف على كيفية استغلال الاحتلال الفرنسي لضعف الشعب الجزائري وجهله لاستعباده وامتهان كرامته، وابتزاز خيراته وطمس ماضيه ثم ادعاؤه مهمة تمدينه واستعصاؤه على التحضر لأسباب فيه يقول منظروه أنها دينه ولغته وعرقه...

وقد قسم مبارك الميلي كتابه إلى أربعة أجزاء هي: تاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي، تاريخ الجزائر في العصر العربي، تاريخ الجزائر في العصر البربري، مصير أمر الجزائر إلى الأجانب وأحوالها في هذا الدور[1].

ويضاف إلى النشاط العلمي للعلماء كتاب "تقويم الأخلاق" الذي ألفه محمد بن العابد الجيلالي (1967-1980م) ليكون دليلا علميا وفكريا وثقافيا لكل جزائري للتعرف على وطنه والاطلاع على أحداثه ومتابعة جديد ما يعترك فيه من أفكار وآراء وقضايا وقد عرفه صاحبه بأنه «كتاب سنوي يحوي المهم من معلومات القطر، بحيث يكون له بمثابة المرآة التي تتجلى فيها صورته على ما هي عليه من حسن التركيب أو فساده»[2].

أما فائدته فهي «معرفة الإنسان حقيقة بلاده ماديا وأدبيا لتكون غيرته عليها مبنية على أساس المحبة الخالصة من شوائب الشكوك والاضطراب ويكون دفاعه عنها متّحها نحو الغاية السامية التي يؤديه فيها الحق وتتضاءل أمامه الخيالات الوهمية فإن الإنسان ما دام يجهل حقيقة بلاده محجوب عن مظهر جمالها ووجه الرغبة فيها، فلا يعقل أن يحبها المحبة التامة أو يدافع عنها وهو بهذه المنزلة من جهله بها»[3].

وقد تناول تقويم "الجيلالي" لسنة 1927م مثلا بعض الشخصيات الفكرية الجزائرية

---

[1]-محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، لبنان، مطبعة بدران وشركاؤه، 1963م، ج1، ص19، وقد أصدر الكاتب ثلاثة من الأجزاء الأربعة فيما أصدر ابنه الجزء الرابع على ضوء ما وجده في مخطط وأوراق والده، انظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص425.

[2]-محمد العابد الجيلالي، المرجع السابق، ص4.

[3]-المرجع نفسه، ص5.

وعرض للتعريف ببعض المؤسسات المدرسية العربية وكذا بعض المؤلفات التي ظهرت أو كانت ستظهر في ذلك الوقت وخصص التقويم أركانا للأخلاق والآداب والخواطر الشعرية.

إن فكرة جمع "التقويم" ونشره بين الجزائريين إسهام في خدمة الثورة الفكرية التي كانت تعيشها الجزائر قبل ثورة التحرير المباركة في 1954م، ويدخل ضمن أداء واجب العلم والتعليم ونشر الوعي الصحيح، وينم عن إرادة بث الأمل والتفاؤل التي يجب أن يجابه بها عراقيل سلطة الاحتلال حتى يقدّم نموذجا للوطنية وحجة ضد من أقعدهم اليأس عن العمل وثبطهم التواكل والكسل عن مجاراة أهل العلم والبصيرة في عدم تعجيل النتائج والإيمان بأن العاقبة للعلم والعمل.

إن تنوع مضامين "التقويم" وكثرتها تدل من جهة أخرى على جو الحركة الحثيثة والنشاط الذي كانت تعيشه الجزائر بفضل علماء الإصلاح بما يدل على مؤشر النهضة وإرهاص لثورة بدأت بالفكر والثقافة وستنتهي إلى التحرر النهائي.

"والتقويم" أخيرا هو مساهمة علمية جادة تستحث الجميع على النهوض بإدراك الوجود المستقل للجزائريين عن الفرنسيين وعن حكومة الاحتلال الفرنسي، وذلك بإزالة الغبار عن الماضي لأن الجهل بالماضي المجيد يريك طريق المستقبل ومثل هؤلاء يقفون في حاضرهم وقوف الطلل الشاخص وسط التموجات الدائبة نحو التجدد وما ذاك إلا ليبعد أعصاب الإحساس عنهم عن ممارسة الجهاز العلمي المنوط به وتوزيع أشعة الحياة على مستحقيها»[1].

وقد كان إسهام حركة الشعر العربي في متابعة الأحداث وتسجيلها طورا آخر من أطوار اكتمال فصول النهضة السياسية والفكرية والأدبية في الجزائر منذ العقود الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي «فقد كانت النهضة كاملة –كما يقول الإبراهيمي– في الأدب والسياسة والعلم، وكانت فروعها سائقا بعضها إلى بعض لأن ضرورة الوطن كانت تستدعي سيرها في طريق واحد وكان مظهرها الأعلى وعنوانها الأجلى هو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي جمعت الشتات وأحيت الموات وحددت المبادئ ووفرت الوسائل للأفكار المقيدة أن تبحث وتنعمق، حتى بدأت النهضة الأدبية تسابق الإصلاح الديني وتغذيه»[2].

---

[1]-محمد العابد الجيلالي، المرجع السابق، ص5.

[2]-أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، القاهرة، دار المعارف، 1961م، ص2، (انظر تصدير الكتاب بقلم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي).

«وقد كان اسم محمد العيد آل خليفة (1904-1975م) علم من أعلامها، بل هو أول شاعر نشطت عنه صدفة النهضة في الجزائر، وشعره أول شعر حي وافق النهضة العامة وحدا قوافلها الفذة فأطرب وأول شعر جرى في عنانها وسجل مراحلها»[1]. «فكان بذلك سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها، ولذلك سمّي محمد العيد آل خليفة بشاعر الجزائر، أو بأمير شعراء الجزائر أو بزهير الجزائر كما سماه أمير البيان العربي شكيب أرسلان»[2].

وتنوع أغراض محمد العيد الشعرية بين الأدبيات والفلسفيات، والإسلاميات والقوميات والأخلاقيات والحكميات، والسياسة والاجتماعيات، والاخوانيات والتوريات، والنزوميات وغيرها، وظهور محمد العيد بداية القرن التاسع عشر ووسط معترك النهضة في الجزائر التي تلقفته منذ بداياتها جعل منه رائدا من روادها «ولم يكن مجرد حاد يهش بكلماته على قافلة الحربة مع الحادين»[3]. وإنما استطاع أن يبلور الاتجاه الوطني ويتمثله واضحا مستقيما، ثم يصوره ويصور في الوقت ذاته من حوله العواطف والمشاعر التي كانت تلهب القادة وتحركهم في هذا الاتجاه. وكان لسانا قويا من ألسنتها بل كان على رأسها جميعا في مجاله، حيث شارك في تحرير صحافة جمعية العلماء وبالشعر أغلب الأحيان عبر الشهاب والبصائر كما نشرت قصائده في مختلف الجرائد الوطنية في وقته.

وصوّر شعر محمد العيد كفاح الشعب الجزائري على اختلاف أشكاله، وكان يباهي بأمجاد الوطن وتاريخه ويدافع عن حقوقه السياسية بلهجة عنيفة حين لا يجب إلا العنف ومرنة حين لا يجد من ذلك بد وبتعريض إذا كان التعريض أسلم وأوقع وبالتصريح إذا كان التصريح أحرى.

ونجد في شعر محمد العيد ألوانا من الحديث عن المدرسة والتعليم والمرأة والشباب والصحافة والمساجد الحرة، ومناهضة دعوة الاندماج والتجنيس، والدعوة إلى تأسيس المصانع والنوادي والجمعيات الخيرية ومشكلات الفقر والأمية والبطالة، وعن المواسم الإسلامية كرمضان والحج والمولد وعن النكبات والأهوال المختلفة من رثاء عظيم أو تأبين صديق ونحو ذلك ما نخلص منه بالقول أنه دخل في معركة الحياة اليومية للشعب الجزائري بالاستماع لصرخاته والتعبير عن

---

(1)-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص2.

(2)-شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد آل خليفة، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص ي.

(3)-أبو القاسم سعد الله، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، المرجع السابق، ص27.

آلامه وتصوير كل ذلك بشعر جميل طابعه الحماس والغيرة على الوطن والحقوق الضائعة وروحه الإيمان بعظمة الجزائر ومجد الجزائريين.

وتضمن شعر محمد العيد القصائد السياسية الخالصة والوطنية الحارة عند طرق مواضيع المؤتمر الإسلامي والإشادة بعروبة الجزائر، ومأساة الأحزاب الجزائرية وضحايا الاستعمار والسخرية من وعود فرنسا وانتهى إلى الدعوة إلى الثورة على الاستعمار وعدم الخضوع، واختيار طريق الموت خير من العبودية تحت الحكم الفرنسي حيث قال:

فقم يا ابن البلاد اليوم وانهض ... بلا مهل فقد طال القعود.
وقل يا ابن البلاد لكل لص ... تجلى الصبح وانتبه الرقود.
فحض يا ابن الجزائر المنايا ... تظلك البنود أو النحود[1].

ويخاطب الجزائري مشيدا بانتمائه للعربية و العروبة في قصيدة "ختمت كتاب الله" قائلا:

صل العُرب العرباء واحم لسانهم ... فإنك من أصلابهم تتحدّر
وسر في طريق الراشدين على الهدى ... فكل طريق غيرها لك معثر[2].

وفي قصيدة أخرى عنوانها "إلى العلم" يسخر من الذين يحاربون اللغة العربية و يحاولون فصل الجزائريين عنها يقول:

نحن إلى نيل الحقوق نفوسنا ... وتأبى علينا نيلها قوة الغشم
ونقصى عن الفصحى ونلهى بغيرها ... وليس سوى الفصحى لسان لنا رسمي
وما نحن إلا من سلالة يعرب ... فمن رام عنها فصلنا بماء بالرغم[3].

«وبهذا يكون الشعر الجزائري وجه من وجوه الحركة الوطنية و المقاومة الفكرية و الثقافية لمشاريع الاحتلال، وقد أضفى على الحركة الإصلاحية في جانبها الفكري لمسة من بلاغة وسحر البيان العربي»[4]. بتجذير معاني الانتماء للعروبة و الدفاع عن إحدى مقومات الشخصية

---

[1]- شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد آل خليفة، المرجع السابق، ص 304.

[2]- المرجع نفسه، ص 159 (القصيدة 76 بيتا).

[3]- المرجع نفسه، ص 205 (أبيات القصيدة 59 بيتا).

[4]- Ali Merad, Le réformisme musulman en Algérie, de 1925 à 1940, Essais. D'histoire religieuse et sociale, Paris, Houston Ld.Gl, La Haye 1972, P 107 .

الحضـــارية لـــلجزائريين و تكريس الانفصال عن سلطة الاحتلال الفرنسي وإرادته و الحث على الثورة عليها كسبيل وحيد للتحرر من العبودية و الاستغلال وهضم الحقوق ...

وتكـــون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر نشاطها الدؤوب ومنذ جهود رئيسها قبل تأسيســـها وطـــيلة وجودها الرسمي تحت سلطة الاحتلال و إلى أن إنضوب تحت جبهة التحرير الوطـــني في 1956م، قـــد استطاعت أن تبعث الحياة في الجزائريين من جديد و أن تصل بهم إلى تحقيق أهدافها باسمهم ومن أجلهم في قيادة المقاومة الحضارية و الدينية و اللغوية و التي ما كانت لـــتحرك الآمـــال في إمكانية تحقيق الاستقلال و استعادة الحقوق لولا نجاحها واقعا و ميدانا فقد أثبتـــت «بـــأن الجزائر تحت الحكم الفرنسي و من الناحية الاجتماعية كانت مستقلة عن الإرادة الاستعمارية استقلالا يكاد يكون تاما»[1]. وأن نشاط الفرنسيين في الإبادة الحضارية و الدينية و اللغوية للشعب الجزائري لم تقد فرنسا إلا إلى الاعتراف مرغمة بهذا الاستقلال و بالتالي الفشل في تحقيق نظريات مستشرقيها و أحلام مستعمريها ولو إلى حين ...

فقـــد أصبح للجزائريين مدارسهم التي تدرس اللغة العربية و تفسّر القرآن الكريم و تشرح الحديـــث الشـــريف و تحـــتفل بختمه، و تدرّس التاريخ الجزائري تذكر فيه بأمجاد الجزائر و تحث الجزائريين على استرجاعها ...

وأصـــبح لـــلجزائريين صحف تنطق باسمهم وتسمع صوتهم، تبعث على صفحاتها أقلام السياســـة و الفكـــر و الأدب و اللغة وضاهى روادها في مستواهم نظراءهم في الوطن الإسلامي والأحـــرار في العالم يدافعون عن قضايا الجزائر وقضايا الأمة العربية الإسلامية و يسبرون الحقائق ويكشفون الزيف الاستعماري في كل مكان.

وأصـــبح للجزائريين بعثات علمية دراسية نحو الدول العربية و الإسلامية تمس علاقات ثنائية مستقلة عن تدخل سلطة الاحتلال و إدارته.

وقد عاد للغة العربية مقامها المرموق بين أهلها و على أرضها، فكانت لغة الخطب و لغة الصحافة و لغة التعليم في المدارس الأهلية.

وأصـــبح شـــعار الجمعية "الإسلام ديننا العربية لغتنا، الجزائر وطننا" شعار كل الجزائريين،

---

[1]- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 29.

اتحدوا جميعا لتحريره من قبضة الاحتلال فصدعت ومن أجله أولى رصاصات ثورة التحرير المباركة وطيلة سبع سنوات أخرجت به الاحتلال العسكري الفرنسي عن الجزائر الذي راهن على بقائه فيها بشرفه وقوته ونظرياته ... إلى الأبد.

والخلاصة كما أنه لم يكن ممكنا أن تكون هناك ثورة بالمفهوم الصحيح في تاريخ أمة بدون نهضة ما تسبقها وتمهد لها السبيل تمهيدا فإن النهضة الحضارية و الدينية و التاريخية واللغوية التي قادها علماء الجزائر عبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جعلت من الثورة المباركة ممكنة، بل وجعلت حلم الاستقلال واقعا، فالثورة التي تلقفها الشعب الجزائري كانت ثورته من أجل كرامته ودينه ولغته التي هدرها فرنسا طيلة وجودها في الجزائر.

ثالثا: الخطاب الإسلامي من صوت العلماء إلى ضمير الأمة

1-الخطاب الإسلامي والاستقلال الحقيقي:

مع نهاية الثلاثينات بدأ العلماء و على رأسهم ابن باديس يبشرون بالثورة كما أصبح الاستقلال من الكلمات التي تتداولها صحفهم وخطبهم حتى غدا حديث العام و الخاص و أصبح التأكيد على الشخصية الجزائرية من المواضيع ذات الأولوية شرحا و تنبيها و الذي يحاول إحصاء مقالات "الشهاب" أو "البصائر" عن هذا الموضوع يجد أنه لا يكاد يخل عدد منها بالتوقف عند الموضوع، وقد أثبت محمد الميلي في كتابه ابن باديس وعروبة الجزائر -مثلا- ما يؤكد هذا التوجه[1].

فمنذ عودته من المؤتمر الإسلامي 1936م يؤكد ابن باديس أن الهدف من وجوده ضمن المؤتمر هو ضمان الشخصية الجزائرية وينبه الجزائريين أن المطالبة ببرنامج بلوم فيوليت يجب ألا تتحول إلى مشروع يهدر مقومات الشخصية الوطنية ودعا الشعب للاستعداد لمعركة أشق وأشد ضراوة قائلا: **إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا وفتحنا قلوبنا، فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد ...»** [2].

---

[1]- محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1973م، ص196.

[2]- في مقالة عنوانها كرها أو ...، الشهاب، ج6، م12، غرة جمادى الثانية 1355هـ، سبتمبر 1936م.

وقـــد كانـــت مطالب المؤتمر بالنسبة لفرنسا فرصة لن تسنح لها في المستقبل وهو عين ما سجله الملاحظون والكتاب الأجانب بعد قيام الثورة الجزائرية أي بعد حوالي عشرين سنة»[1].

وقـــال مخاطبا الشعب الجزائري «أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنـــك شعب متعشق للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها، وكيف نحيا لأجلها..

أيهـــا الشـــعب لقد علمت وأنت في أول عملك، فاعمل ودم على العمل و حافظ على الـــنظام وأعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة ووثبة وراءها خطوات وثبات وبعدها أما الحياة وأما الممات»[2].

ووعى الخطاب الإسلامي منذ نهاية الثلاثينات طبيعة المرحلة الجديدة، فإن كانت المرحلة الماضـــية مرحلة أمل في تحقيق مطالب الشعب بطريق سلمي بواسطة تفهم فرنسا، وإعطائها جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات فإن المرحلة الجديدة مرحلة الكفاح و الاعتماد على النفس و غلـــق القلوب على فرنسا إلى الأبد و الاستعداد لمعركة ضارية بعدها أما الحياة وأما الممات»[3]. ولذلك وضع العلماء شعار المرحلة الجديدة «لنعتمد على أنفسنا و لنتكل على الله»[4].

ويأتي مقال "هل آن أوان اليأس من فرنسا"، ليؤكد يأس الجزائريين من فرنسا في مماطلتها لتلبـــية حقوق الجزائريين وليضع حدا لمرحلة الوعود وانتظار الوعود وبشر بمرحلة الإعداد لثورة وقد عبّر المقال عن فشل الطرق السياسية لنيل الحقوق و التي لم تبق إلا طريق المغامرة و التضحية سبيلا لنيلها فقد قال ابن باديس: كذب رأي السياسة وساء فألها كلا والله لا تسمنا المماطلة إلى الضجر الذي يقعدنا عن العمل و إنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة و التضحية.

- أيهـــا الشعب الجزائري، أيها الشعب المسلم ...أيها الشعب العربي الأبي، حذار من الذين يمـــنوك ويخدعونك حذار من الذين ينوّمونك ويحذّرونك، حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك وضميرك، ومن غير تاريخك وقوميتك، ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك.

---

[1]- المرجع السابق، ص 27.

[2]- في مقالة: عش كريما أو ... الشهاب، المرجع السابق.

[3]- محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 26.

[4]-المرجع نفسه، ص 26.

استوح الإسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك، اعتمد على الله ثم على نفسك...» [1].

وإذا كانت "المغامرة" سلاح السياسيين المحترفين للتنفير من العمل الثوري وتصفية الداعين إليه وتعطيلهم، ولتبرير الهروب من الميدان أو هو محصّلة قصور فهمهم لحقيقة المعركة وضرورة المرحلة، فإن ابن باديس في استخدامه للمغامرة «تعزيز للنظرة الواقعية حتى يقدم الشعب على المعركة وهو على بينة من أمره وحتى تستعد لها الطليعة القائدة أكمل استعداد ممكن، كما كان هذا الطريق بالنسبة إليه حتميا لا مناص منه ولا خيار في تجنبه»[2].

ولم تكن الدعوة إلى المغامرة تطور في خطاب علماء الجزائر وإنما هو شعارهم حين أعلنت المنتقد شعارها منذ البداية "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"[3]، ومقتضى نشاطهم منذ بدأوا، فالوطنية الجزائرية هي وطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته، التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها وعلى الأمة بجميع مقوماتها و تحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها.

والوطنية الجزائرية هي وطنية الكرامة لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[4]، ووطنية تحترم جميع الأديان لقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[5].

ووطنية للسلم وعدم الاعتداء لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[7].

لقد وعى الخطاب الإسلامي في الجزائر أنه لا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته انطلاقا من أن الشعوب تختلف بمقوماتها ومميزاتها كما يختلف الأفراد، ولذلك فهو يفرق بين الجنسية القومية والجنسية السياسية للشعوب، فالجنسية القومية هي مجموع المقومات و المميزات

---

[1]- الشهاب، ج6، م13، غرة جمادى الثانية 1356هـ، أوت 1937م.

[2]-محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 27.

[3]-المرجع السابق.

[4]-سورة الإسراء، 70.

[5]-الكافرون، 6.

[6]- الأنفال، 61.

[7]-البقرة، 194.

التي تتمثل في اللغة التي يعبّر بها ويتأدب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، و الذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلال الشعور المشترك بينه و بين من يشاركه في هذه المقومات و المميزات»[1].

فإذا غزى شعب شعبا آخر فإنه لابد –مهما طال الأمر من أحد أمرين: إما أن يندمج أضعفها في أقواهما بانسلاخه عن مقوماته ومميزاته فينعدم من الوجود، وإما أن يبقى الضعيف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره في النهاية إلى الانفصال و الاستقلال.

وقد مكنت المقاومة الحضارية السياسية الشعب الجزائري من تعميق تمسّكه بمقوماته ومميزاته وبعث اعتزازه بها و تكريسها واقعيا وإفشال استيراتيجية الاستعمار الفرنسي و منظرية في إهدارها ومحوها، وأثبت الشعب الجزائري أنه من أشد الشعوب حفاظا على هويته القومية وأنه من المستحيل إضعاف تشبثه بها فضلا عن إدماجه أو محوها وجاء الوقت الذي هدد فيه ابن باديس حكومة الاحتلال أنها إذا لم تحترم الجنسية القومية للشعب الجزائري، فإن مستقبل علاقة الجزائريين ستتغير من الاحترام و أداء الواجبات إلى ما شاء الله أن يكون قال ابن باديس: جاء الوقت الذي نفد فيه الصبر وأعيا العلاج فقلنا البيت التالي من قول الشاعر:

هذا وجدكم الصغار بعينه لا أم لي إن دام ذاك ولا أب

وقال «وإذا رضي الشعب الجزائري الارتباط بفرنسا في حقوقها وواجباتها وهي الجنسية السياسية فذلك بشرط احترام جنسيته القومية وهي مقوّماته ومميزاته، إذا لم يكن فلا عيب على الزمان وما شاء الله كان[2].

ونرى أن الخطاب الإسلامي كان يؤكد على الاستقلال الحقيقي للجزائر و الجزائريون وهو الاستقلال الذي يتكامل فيه كل من استقلال الهوية و استقلال الجنسية، ونجده يؤكد على استقلال الهوية أكثر لأنه هو الأصعب، كما يقول أحمد بن نعمان لأنه إذا كان لا يتم بسهولة بعد احتلال الجنسية، لأنه لا ينتهي بسرعة وسهولة أيضا بعد استقلال الجنسية، و لذلك فالاستيراتيجة الاستعمارية القديمة المتجددة، بإمكانها أن تتخلى عن عشرات الاستقلالات للجنسية ولا تتخلى

---

[1]- عبد الحميد بن باديس، الجنسية القومية والجنسية السياسية، الشهاب، ج12، م12، غرة ذي الحجة، 1355هـ، فيفري 1937م.

[2]-المرجع نفسه.

عن استقلال واحد للهوية لأي قطر مهم من مستعمراتها السابقة، وخاصة إذا كان هذا القطر في حجم الجزائر بوابة إفريقيا[1]، وهو ما راهنت وتراهن عليه فرنسا إلى اليوم.

2-بيان أول نوفمبر يكرس الانتماء:

إنّ الدارس لثورة التحرير الكبرى في الجزائر و التي كان أول نوفمبر 1954م إيذانا بانطلاقها، يجد أنها تتجاوز في مفهومها ونهجها وأهدافها المفهوم الأوروبي للمصطلح الذي كان يعنيها في شق واحد منها فحسب، وهو تحطيمها للنظام الاستعماري وإحلال النظام الوطني بدله، وهو ما اشتركت فيه مع موجة القضاء على الاستعمار التي عمّت إفريقيا ودول العالم التي كانت ترزح تحت السيطرة الأجنبية، لكن الثورة الجزائرية هدفت إلى جانب ذلك إلى إعادة البعد الحضاري و الديني و اللغوي للدولة الجزائرية قبل أن تقع تحت الاحتلال الفرنسي، ومن ثم فقد كانت ثورة وطنية من أجل إعادة الاعتبار للقيم الوطنية المرتبطة أساسا بالحضارة العربية الإسلامية»[2]. وهو رد فعل طبيعي على مشروع الاحتلال المزدوج و الذي وظف الكنيسة والشعور الصليبي لقهر الإسلام و العربية في الجزائر من جهة ومارس «تفتيت الشخصية الوطنية من الداخل بتحجيم دور الإسلام و اللغة العربية والتشجيع على التجنيس و التمسيح، كما فصّلنا ذلك سابقا، ومن ثم فالدارس للثورة الجزائرية من جانب تحقيق الاستقلال السياسي فحسب، إنما يقف عند منتصف الطريق، ويغفل الهدف الأسمى الذي قام من أجله الشعب الجزائري و استجاب لإعلان الثورة على بكرة أبيه، وهو ما عبّر عنه الشهيد العربي بن مهيدي «أرموا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب»[3].

1- فقد حدد بيان أول نوفمبر الهدف من الاستقلال وفي الوقت نفسه حدّد الهوية الوطنية للدولة الجزائرية بعد استعادة الاستقلال، ووردت فيه عدة إشارات حول أهمية الإسلام كإطار حضاري وكمقوّم أساسي للثورة ومسارها، واعتبرت مبادئ الإسلام الإطار العام الذي تتم فيه مواصفات الدولة الجزائرية وخصوصيات نظامها السياسي المستقبلي، و كذلك وضعها

---

[1]-أحمد بن نعمان: الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، 1996م، ص 38.

[2]- محمد الميلي، مواقف جزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 14.

[3]- الحسن بركة: أبعاد الأزمة في الجزائر، المنطقات الانعكاسات، النتائج، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، ط1، 1997م، ص 122.

ضمن دول الشمال الإفريقي كما يسميه الغرب و المغرب العربي كما يفرضه التاريخ و الحضارة.

وجاء في بيان أول نوفمبر: 1- إقامة الدولة الجزائرية في إطار المبادئ الإسلامية.

2- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي[1].

وبعد بيان أول نوفمبر بهذا تتويجا مشرفا لمعركة الجزائريين الطويلة ضد الاحتلال الفرنسي التي بدأت منذ 1830م، «وعرفانا بفضل كل الذين مهّدوا للثورة بالفعل و القول و التكوين، وكل الذين تحمّلوا مسؤولية تفجيرها أو الذين خدموها في أحلك الظروف وكذا الذين يحرصون على أن تستمر دون أن تصاب بأية كبوة أو نكسة أو تحجز»[2].

3-ثورة التحرير ومبدأ الجهاد:

ولا يشكك أحد بأن الثورة الجزائرية الكبرى قد قامت على مبدأ الجهاد، و تبنته كوسيلة للتحرر من الاستعمار المستبد و المغتصب للأرض تأكيدا لمفهوم الجهاد في الإسلام على أنه لم ينشأ إلا لضرورة «كوسيلة لحماية الأمة من اضطهاد أعدائها ومضايقتهم ثم تنظم كحرب مشروعة لحماية حرية الدين والديار»[3].

إن الإيمان بمبدأ الجهاد وتطبيقه هو الهيكل والأرضية الصلبة لثورة التحرير الجزائرية المسنحة عبر طول امتدادها وإذا كان قد توفر شرطا الإيمان والوسيلة لانتصارها فلأن الإيمان قد سبق الوسيلة وهو الذي أوجدها لتحقيق الأهداف، كما يؤكد أحمد بن نعمان فحين تم التنظير لثورة مبدأ ووسيلة كان ذلك الإيمان بمبدأ الجهاد وحده، هو السلاح المعنوي الذي أنتج الوسيلة المادية ليجتمعا معا فتتحطم أمامها إدارة الاستعمار المالك لأحدث الأسلحة التكنولوجية »[4].

ولذلك ركزت مبادئ جيش التحرير الوطني على مرجعية الثوار في مقاومة العدو في وجوب مراعاتهم المبادئ الإسلامية والقوانين الدولية في تحطيم قوات العدو[5]، وطلب دليل المجاهد

---

[1]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962م، نشر قطاع الإعلام و الثقافة و التكوين، ص ص 4-5.

[2]- محمد الميلي، مواقف جزائرية، المرجع السابق، ص 13.

[3]- صبحي محمصاني، القانون و العلاقات الدولية في الإسلام، لبنان، دار العلم للملايين، ط2، 1982م، ص 186.

[4] -أحمد بن نعمان، المادة والروح والثورة، مجلة أول نوفمبر، عدد خاص،رقم 39، 1979م، ص79.

[5] -بالموازاة مع بيان أول نوفمبر، أصدر جيش التحرير الوطني مبادءه العشرة ، ودليل المجاهد.انظر: مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، لبنان ، دار الشورى ،ط1، 1982م، ص132- 133.

لعام 1958. من كل مجاهد القيام بالشعائر الإسلامي[1].

وبرهن المجاهدون حقا وصدقا على مكانة الجهاد والمجاهد لدى الشعب الجزائري وتطبيقا لبيان أول نوفمبر، ولئن كان إيمان المجاهدين الجزائريين بأن الجهاد سيكون طويلا، فإن إيمانهم وثقتهم بنصر الله لهم هو سلاحهم في مواجهة جبروت العدو الفرنسي وسلاح حلفه العسكري مصداقا لقوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، وليس غريبا من ثم أن يضع الشعب الجزائري مجاهدي ثورة التحرير مع مكانة الملائكة والصحابة كما تثبت شهادات قادة الثورة[3].

4-"El Moudjahid"؛ الجريدة الرسمية لثورة التحرير

أدركت الثورة الجزائرية منذ اليوم الأول لاندلاعها أهمية الإعلام ودوره في المعركة الوطنية. وكان المسؤولون عنها يعلمون أن نجاحها يتوقف إلى حد كبير على الكفاح المسلح ثم على الإعلام وهو ما ترجمه المنشور الأول للثورة الذي أصدرته في 31 أكتوبر 1954م. والذي ضمنته الخطوط العامة للثورة من حيث وسائل الكفاح المسلح والدخول في المفاوضات مع العدو إن هو جنح للسلم ثم تصور بناء مستقبل الدولة الجزائرية.

ولم تكن التحديات التي واجهتها الثورة في بدايتها تنحصر في غياب التجارب الثورية في مجال الإعلام والدعاية حتى تستفيد منها أو في انعدام الأجهزة غير المدربة في هذا المجال بالغ الحساسية والدقة، وإنما كانت هناك تحديات أكثر دقة وحساسية، وتتمثل في اختلاف قطاعات الرأي العام العالمي والإقليمي وحتى المحلي وما يتطلبه ذلك بالتالي من اختلاف وسائل الدعاية الملائمة لكل قطاع، فضرورة مراعاة اتجاهات الرأي العام العالمي وضع الثورة الجزائرية في موقف الموازنة أحيانا والصدام أحيانا أخرى فيما يتعلق بمبادئ الثورة الجزائرية نفسها ، والتي لم تكن لتضحي بها إرضاء لبعض قطاعات الرأي العام،سواء في الخارج أم في الداخل وكان إصدار جريدة

---

(1) – مصطفى طلاس، بسام العسلي، المرجع السابق، ص132- 133.

(2) –محمد، 07.

(3) –أنظر : عدد من شهادات قادة الثورة في: أحمد بن نعمان: الجهاد وثورة الإستقلال، قسنطينة، دار البعث، ط2، 1982م، ص10وغيرها.

"المجاهد" دليل واضح على ذلك.

فقد أطلقت الثورة اسم"المجاهد" على صحيفتها الرسمية وكان ذلك مثار للجدل حول اسم الجريدة الذي يحمل "الجهاد" وذلك على مختلف المستويات فتساءل البعض عما إذا كان هذا الاسم يعبر عن ثورة، وفسر أعداء الثورة في الداخل والخارج بأنها ثورة متعصبة للدين ؟! وتعالت أصوات بالقول أنهاثورة دينية ! وشكك البعض الآخر في إمكانية تجاوب بعض الأنظمة التيوعية لدعم الثورة بسبب هذا الاسم[1].

وجاء العدد الذي أعلن عن ميلاد الجريدة في مقال "وثيقة ميلاد" الذي ترجم إلى اللغة الفرنسية ليضع حدا لذلك الجدال وليحدد الخط السياسي والفكري "للمجاهد" وجاء فيه: « قد يدهش البعض بسبب اختيار هذا الاسم وهو "المجاهد" لصحيفة الثورة معتقدين أنه يعكس تعصبا سياسيا أو تزمتا دينيا».

و لم يكن رد "المجاهد" بتحليل معنى المجاهد المشتقة من كلمة جهاد وإنما أبطلت معناه الذي يفهم به في الغرب المسيحي والمرتبط عندهم بالحرب الصليبية، وقدم الترجمة الحقيقية للمجاهد على أنها إرادة البعث والتطلع إلى الأفضل لدى الإنسان الجزائري.

ثم أضافت: والمعروف أن الإسلام يمثل الحصن الروحي للشعب الجزائري وقد تعرض لكثير من الإرهاب على أيدي الاستعمار الفرنسي، فهل يصبح من الغريب بعد ذلك أن يكون للدين الإسلامي دوره في الضمير الوطني والإسهام في نصرة القضية الأولى للشعب الجزائري وهي قضية استقلاله وتحرّره.

والجهاد كما تقول الجريدة هي خلاصة الروح الوطنية المتحررة المفتوحة.. وهي تمثل الجندي في جيش التحرير والمناضل السياسي وضابط الاتصال والتلميذ الصغير الذي يشترك في الإضرابات والفلاح الذي يعاني الكثير لكنه لا يقطع الأمل من القضية وربة البيت التي تتابع الأحداث بكل حواسها الخلاصة هي مجموعة الجهود البشرية التي تحرك التاريخ إلى الأمام ونصب عينها هدف واحد لا يتغير؛ الاستقلال الكامل. ولا تكتسب هذه الحرب صفة القداسة، إلا أنها ضد نظام استعماري عفن حاول خلال 130 عاما إبادة وإفناء الشعب الجزائري، ولما فشل شن

[1] –الزبير سيف الإسلام: الإعلام والتنمية في الوطن العربي ، الجزائر، الموسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ص44.

عليه حرب التجويع والحرمان من جميع مصادر ثورته وحقوقه الإنسانية مع العدوان المتصل على لغته وتراثه وتقاليده.

وأخيرا لن نجد أفضل من هذا الاسم "المجاهد" كي نصف به شعبنا في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخنا الوطني والتي بدأت بأول نوفمبر 1954م، ولن تنتهي إلا بانتصارنا أو فنائنا... [1].

وكانت "المجاهد"تعكس سياسة التحرير الوطني الداخلية والخارجية، حيث تقدم صورة دقيقة وشاملة للثورة الجزائرية بكل أبعادها الفكرية والسياسية والإعلامية والعسكرية، كما تهتم بالقضايا الدولية بداية من حركات التحرير في العالم الثالث في إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية، إلى موقف دول العالم الثالث والدول العربية والإسلامية والمعسكر الاشتراكي من الثورة الجزائرية نهاية إلى الاستعمار العالمي بأحلافه العسكرية ودوله، والقضية الجزائرية في الصحافة العالمية.

ويبدو أن الظروف الدولية التي أحاطت بالثورة الجزائرية والإيديولوجية منها تحديدا قد وجهت الخط الفكري للثورة تدريجيا فبعد اتهامها غربيا بأنها ثورة دينية متعصبة بسبب تبنيها الجهاد، وإطلاق وصف "المجاهد" على ثوارها واسم" المجاهد" على الجريدة الرسمية للثورة، يأتي العرب هذه المرّة ليرسم مسارها "الإيديولوجي" كما أصبح يعبّر عنها والذي سوف لن تحيد عنه حتى بعد استعادة الاستقلال.

ويدخل هذا المصطلح إلى فكر الثورة ومنظريها بقوة لينحصر في المقابل مسارها الإسلامي الذي سوف ينعت بالعاطفي ويختزل الإسلام واللغة العربية في مصطلحات القومية والتراث... ثم تحصر أسباب الثورة في الاضطهاد والجوع ومكاسب الثورة العسكرية الكبيرة في قوة الإنسان الثائر. وقد أصبحت هذه التعبيرات في مقالات "المجاهد" تعبيرا على رواجها في وقتها. وفي توجه منظري الثورة الفكري والسياسي ومن ثم يأتي دور "المجاهد" في اهتمامها بالدراسات النظرية التي تعالج قضايا الفكر السياسي والثورات المعاصرة وحرصها على تكوين من أصبحت تسميهم بالمناضلين تكوينا إيديولوجيا يدعمّ تكوينهم الثوري حتى لا يبقوا مكتفين بالمحرّك العاطفي —وهو الدين الإسلامي- وحده في النضال اقتناعا منها بأن التكوين الإيديولوجي لا يقل أهمية عن الكفاح المسلّح.

---

[1] —عواطف عبد الرحمان: الصحف لعربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص70.

ففي ردّ فرحات عباس وقد كان رئيس الحكومة المؤقتة منذ 1958م على اتهام الغرب الثورة الجزائرية بالتوجه نحو الشيوعية صرّح بالقول «إننا في المواقع لسنا الذين احترنا بين الشرق والغرب، وإنما الشرق والغرب هما اللذان اختارا موقفهما من حربنا التحريرية، اختار أحدهما أن يناصر أعداءنا واختار ثانيهما أن يؤيدنا نحن ضد أعداء حربنا، فكيف يجوز لنا في هذه الحالة أن نفضل الموت بسلاح الغرب على الدفاع عن أنفسنا بسلاح الشرق؟ ! إن أول درس نقتبسه في هذا الصدد لا يأتينا من العالم الشيوعي بل من المستعمر "تشرشل" الذي كان في الحرب الأخيرة مستعدا للتعاون مع الشيطان»[1].

والحقيقة أن الثورة الجزائرية قد وجدت في المدّ الشيوعي العالمي في ذلك الوقت سندا قويا للقضية الجزائرية، حيث أنها لم يكن ينظر إليها قبله إلا ضمن الإطار الفرنسي وعلى أنها تمرد داخلي محلي سيقضي عليه البوليس الفرنسي، بما في ذلك اليسار الفرنسي المتعاطف نظريا مع الثورة الجزائرية، ولم تأخذ القضية الجزائرية شكلا دوليا إلا بعد اعتراف الاتحاد السوفياتي[2] بالحكومة المؤقتة عندئذ فقد خرجت القضية من النطاق الجزائري إلى نطاق عالمي إيجابي.

وفي دراستها للجانب الديني لجريدة المجاهد لاحظت عواطف عبد الرحمن أن الجريدة لم تعرض إلى هذا الجانب رغم ما عرف من الاستعمار الفرنسي في الجزائر من روح صليبية بغيضة، والذي يشهد بها محاربتها لكل ما يمت بصلة للدين الإسلامي وأن المجاهد أثرت الابتعاد عن إثارة هذا الموضوع حتى أعلن ديغول مشروعه لتعديل القضاء الإسلامي ودستور المرأة الجزائرية، فكتبت "المجاهد" مقالتين إحداهما عن «حرب ديغول الصليبية في الجزائر، والثانية عن ما يعانيه القضاء الإسلامي في الجزائر تحت السيطرة الفرنسية»، ذكرّت المجاهد بتعهد فرنسا بشرفها باحترام الإسلام دين الجزائريين في بداية الغزو ولكنها نقضت عهدها ومدت يدها إلى المقدسات

---

[1]-عواطف عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ص94-95. نقلا عن: جريدة المجاهد، ع81 المؤرخ في نوفمبر 1960م.

[2]-لقد كان موقف المعسكر الشيوعي والاشتراكي من الثورة والقضية الجزائرية إيجابيا على الصعيد السياسي العالمي، وكذا على صعيد الدعم المادي والمعنوي، حيث تعتبر الدول الاشتراكية أول الدوّل الغربية اعترافا بالحكومة الجزائرية المؤقتة مثل يوغسلافيا في يونيو 1959م، والاتحاد السوفياتي في منتصف عام 1960م، وكانت المؤتمرات الاشتراكية العالمية منابر للدعاية للقضية الجزائرية عبر العالم. كما كانت هناك زيارات كثيرة من قادة الثورة ووفودها العسكرية، الرسمية والشعبية نحو الدول الاشتراكية لكن الذي يجب أن نفهمه إن سر اهتمام المعسكر الاشتراكي بالثورة الجزائرية وخاصة منه الاتحاد السوفياتي يعود إلى أن حلّ المشكل الجزائري كما اصطلح عليه كان يمثل أحد مفاتيح السلم في ذلك الوقت. انظر: عواطف عبد الرحمن: المرجع السابق، ص180. نقلا عن: المجاهد: ع 79 سبتمبر 1961م من مقال: روسيا والجزائر والأمم المتحدة.

الإسلامية بالمسخ والتشويه والاستحواذ وتصرفت في المساجد والأوقاف ووزعتها على المعمرين ومؤسسات الآباء البيض، وعيّنت المؤذن والإمام واختارتهم من أعوانها وصنائعها مبينة أنّ أهداف فرنسا من ذلك لم يكن الاحتفاظ بالمؤسسات الإسلامية، ولكن هدفها هو الاستحواذ عليها وتشويه روحها وإبعاد المسلمين والوطنيين عنها لتؤكد أن مشروع ديغول لتعديل القضاء الإسلامي هو حلقة جديدة في سلسلة المحاولات التي قام بها الاحتلال الفرنسي لمحو القضاء الإسلامي محوا كاملا، وفرنسة الجزائر عن طريق تجريدها من أبرز مقوماتها[1].

كما حوت افتتاحية أحد أعداد "المجاهد" في يناير 1961م، نقدا لاذعا لموقف الكنيسة الأوروبية وهيئة الأمم المتحدة من الثورة الجزائرية وذلك حين هنأ البابا يوحنا العالم المسيحي بالعالم الجديد وذرف دموع الحسرة على الذين فقدوا حرية التدين في ظل الشيوعية السوفياتية، فلم يشر البابا إلى الجزائريين الذين فقدوا حياتهم ذاتها من جراء النظام الاستعماري الذي تمارسه فرنسا الابنة البكر للكنيسة وتساءلت المجاهد عن سبب ذلك مجيبة بأن الجزائريين يطالبون بالجزائر الحرة المسلمة، وأن الكنيسة إذا كانت تميز بين الأديان والأجناس على أساس المصالح فسيظل الجزائريون متشبثين بمبدئهم الذي يسبق أي اعتبار آخر وهو الحرية الكاملة.

وعن زيادة لبعثة عسكرية جزائرية إلى الصين أشارت المجاهد أن البعثة أكدت لقادة الصين «بأنها غير شيوعية، وبأن الجزائريين يتمسكون بدينهم وقوميتهم ويكافحون من أجلها ولذلك فإنهم يقبلون المساعدات غير المشروطة من الجميع»[2].

وفي الخلاصة أظهرت "المجاهد" الجريدة الرسمية للثورة الجزائرية دور الدين الإسلامي في تعبئة الشعب الجزائري وأوضحت أن اعتماد الجزائريين على الإسلام واللغة العربية من ناحية واقتناعه بأن الأرض الجزائرية ملك للتراث العربي والإسلامي من ناحية أخرى هو الذي يفسّر التفافهم حول ثورة التحرير الكبرى في حركة تشبه تلقائية منطلقة من حدس الدفاع عن الذات أكثر مما هي منطلقة من مذهب فكري معين.

وبهذا فقد أثبتنا أن الخطاب الإسلامي في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي كان خطاب مقاومة في كل الاتجاهات وعلى كل الجهات؛ ترجم إحساس الشعب الجزائري في الدفاع عن

---

[1]-عواطف عبد الرحمن: المرجع السابق، ص130. نقلا عن: المجاهد، ع46، يونيو 1959م.

[2]-المرجع نفسه، ص78. نقلا عن: المجاهد، ع69، أبريل 1959م، البعثة العسكرية الجزائرية في الصين.

مقوماته القومية، والحضارية ورد الاعتبار لانتمائه العربي الإسلامي الذي يرفض المسخ والتشويه والإبادة. دفاع انخرطت فيه كل شرائح المجتمع الجزائري من بداية الاحتلال وإلى أن كُلّل جهاده بانتصار ثورته التحريرية الكبرى بعد قرن وربع قرن من الزمن.

إلا أن الجزائريين وهم يصنعون انتصارهم على العدو الفرنسي ويستعيدون سيادتهم واستقلالهم بفاتورة دم سجلت اسم الجزائر وشعبها وثورتها في سجل التاريخ الخالد، فإن هذه الفاتورة كما شهد هذا التاريخ لم تكن لتبذل في سبيل الوطن إلا باسم استرجاع المقومات والشخصية الوطنية المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية، التي ينال بها الجزائري شرف الوصف بالمجاهد في سبيل الله والتي ينال عليها إحدى الحسنين إما الشهادة وإما النصر، كما كانت هذه لغة المجاهدين وروح ثورة التحرير المباركة ردا على لغة المحتل في إبادة هذه المقومات وإحلال مقوماته الفرنسية الصليبية بدلا لها إدماجا للشعب الجزائري في الشعب الفرنسي وإلحاقا للجزائر كقطعة طبيعية لفرنسا.

وقد كانت فاتورة الدم ثمنا لاستعادة ما كاد أن يضيع ولكن في الوقت نفسه عزما على حماية على ما استرد والمحافظة عليه دون محاولات الإبادة أو التهميش على الأقل الخارجية منها القديمة المتجددة دوما، ويبدو أن جديد الجزائر المستقلة قد حدد أولويات أخرى أملتها ظروف الاستقلال الفتي، وقراءة تلك الأولويات مع الزمن القليل فيما بعد أثبتت إذا ما قورنت مع ما فشل فيه الاحتلال خلال أكثر من قرن وربع قرن من الزمن فإن توجهات الاستقلال وإن حسمتها فاتورة الدم خلال ثورة التحرير، فإنها وضعت موضع الجدال والمساءلة والتشكيك وهو ما سنحاول قراءته وعرضه لاحقا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: فرنسا وصناعة النخبة البديلة في الجزائر

النخبة في كل مجتمع هي فيه بمنزلة الطليعة في الاختصاصات والجدارات العلمية والفنية، والتي تتسم بالتميّز وتؤدي مهام أساسية في حركة تطويره الحضاري والتاريخي، وطبيعي أن يكون لكل مجتمع ولكل أمة نخبتها التي تتصدرها أو نخبها المتنوعة في جميع الميادين الاجتماعية والثقافية والسياسية والتي تندمج في إطارها فهي تنبع منها وتصب في صلب انتمائها وتاريخها وتتلاءم مع اتجاهات نموها مما يحتم بداهة التفريق بين النخبة الصانعة للمجتمع والنخبة المصنوعة لصناعة مجتمع.

المطلب الأول: النخبة: النظرية والواقع في البلدان المستعمرة

ارتبط مفهوم "النخبة" أساسا بالمجتمعات الغربية التي ظهر فيها ما يعرف "بنظرية النخبة" ودورها في صناعة العصر الجديد والدولة العصرية، وذلك بعد الصراع الذي عرفته أوروبا بين الدين الكنسي والدولة فيها وانتهى لصالح الأخيرة، لتتولى "النخبة" المدنية الجديدة فيها مهمة صناعة الدولة العصرية في فرنسا أولا وفي أوروبا عموما لاحقا.

وأول استعمال معروف لكلمة "النخبة" ورد في قاموس أوكسفورد للغة الإنجليزية، ويعود إلى سنة 1823م، وكانت تطلق على فئات اجتماعية معينة، غير أن المصطلح لم يستعمل استعمالا واسعا في الكتابات السياسية والاجتماعية في أوربا إلا في فترة متأخرة من القرن 19 الميلادي و لم يصبح كذلك في بريطانيا وأمريكا إلا في 1930م، عندما انتشرت نظريات النخبة وبشكل خاص عبر كتابات فيلفريد وبارتيو والذي عنى بها: «الذين ينالون أعلى الدرجات، كل في مجال نشاطه بطريقة شريفة أو غير شريفة»[1].

وانتقال مصطلح النخبة إلى الكتابات العربية لم يخرج في الغالب عن محتوى المفهوم الغربي في ارتباطه بالدولة العصرية وهو ما عرف بالدولة الوطنية في الدول الإسلامية قبل استعادة هذه لاستقلالها من الدول الاستعمارية الغربية في إطلاق وصف ومصطلح النخبة على الطبقة نفسها التي أطلق عليها الاحتلال هذا الوصف، وذلك دون تمحيص أو تمييز بين النخبة الأصيلة الصانعة للمجتمع وبين النخبة المصنوعة –استعماريا– للمجتمع ولذلك يتماهى وصفها "بالقلة المثقفة"،

---

[1]–عزيز السيد جاسم، النخبة والفكر، جريدة العراق، 16 كانون الأول/ ديسمبر، 1990م.

بوصف مائيوارنولد لها بالقلة المخلصة أو المنقذة[1] التي يعهد إليها جوليان باندا "بتسيير الأمور" في كتابه "خيانة المثقفين"[2].

ولما كان الاحتلال الغربي في الوطن الإسلامي قد حمل شعار الحضارة ومهمة تمدين الشعوب الإسلامية، فقد أسس مشروعه في هذا المجال على محاربة ظهور نظرية معرفية على يد نخبة المجتمع يجري الاستناد إليها في تحضير شعوبها والحيلولة دون بلورة نظرية لمشروع مستقبلي مستقل عن المشروع الاستعماري، فقد عمد إلى ما وصفه "مالك بن نبي" إلى مصارعة الانتظام النظري أو الفكر المجرد[3] في الوطن الإسلامي، وهو ما يعني عمليا تكوين نخب مقطوعة عن الشعوب الإسلامية ومرتبطة بالمنظومة الاستعمارية ومنخرطة في مشروعها. وقد كفل صناعتها وتكوينها هي نفسها إلى النخبة الأوربية كما أشار إلى ذلك "جان بول سارتر" بقوله بأن «النخبة الأوربية تتكفل بصناعة نخبة من الأهالي»[4]، ولذلك فيتفق في تسميتها مع فرانتز فانون بصوت ثقافة المستعمر»[5].

ويحقق الاحتلال بناء على ذلك عدة أهداف متكاملة على صعيد سياسة الهدم والبناء في الوطن الإسلامي من حيث:

-العمل على منع استكمال العدة النظرية للنخبة الصانعة للمجتمع في تصورها للدولة العصرية بما يتلاءم ونموها الطبيعي بأصولها الإسلامية وهويتها الخاصة.

-عزل النخب الفكرية الجادة منتهكا لها واضعا أياها في منطقة الفراغ بتعطيل حضورها وانتهاء إلى سحب مشروعية وجودها.

-وفي المقابل التمكين لفئة عميلة، منخرطة في مشروعه من التسلط على رقاب الناس وحقوقهم ويتم اختيارهم من بين جامعيين مخدوعين وآخرين من الملاك وأدعياء التصوف لمشاغلة

---

[1]-انظر: محسن الموسوي، المرجع السابق، ص46.

[2]-J.Benda, The treason of Intelectuals, N.Y, WWW. Norton, 1969, P49.

[3]-مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصر، المؤسسة السعودية، 1959.

[4]-J.P.Sartre Wretched of the Earth by F.Fanon, Grove, press, 1968, P7.

[5]-فرانتز فانون، معذبوا الأرض، ترجمة: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1984م، ص20-22.

العامة من جهة وتعميق عزلة جماعة الفكر المجرد من جهة أخرى، ويتمحور دورها في الحيلولة دون هوية الدولة الوطنية في الوطن الإسلامي بوصفها إجماعا لإرادة شعبية واسعة.

أولا: النخبة البديلة..مراحل التكوين والتصنيف في الجزائر:

أ-وقد تبلور عزم فرنسا في صنع هذه "النخبة" بمرحلة التكوين لما يمكن وصفه بعملية بعث من عدم لجماعة من الجزائريين يتكلمون الفرنسية ويسلكون السلوك الفرنسي لباسا وثقافة وطريقة حياة، وذلك بأخذهم إلى فرنسا وتكوينهم هناك. فقد قررت سلطة الاحتلال جمع أبناء الأعيان الجزائريين، وبعثهم إلى فرنسا للتعليم على اللغة الفرنسية[1] وتدريسهم على نمط الحياة والثقافة الفرنسية، وقد كانت هذه هي البداية لبذر الفرقة بين الشعب الجزائري لمحاربة انتمائه العربي الإسلامي. وهدفت فرنسا من تنشئة وتكوين هذه الجماعة التي أطلقت عليها وصف النخبة لاحقا على تعليمها اللغة الفرنسية على خطط مرسومة بعيدا عن بيئتها اللغوية والثقافية، بما يميت لديها روحها الوطنية والقومية ويقتل غيرتها عليها ومن ثم يقتل وعيها ضد الاحتلال وسياساته، ثم إعادتها إلى الجزائر، وهي مفرنسة فرنسة كاملة لسانا وسلوكا ولباسا وثقافة وحياة لتستغلها سلطة الاحتلال لنشر اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية بين أهلها ومحيطها وبالتالي تعزيز الاحتلال اللغوي والثقافي، وتكريسه بين الجزائريين تمهيدا لترسيخة سياسيا وحضاريا ودينيا تدريجيا عبر الاستحابة لسياسة الإدماج والتجنس التي كانت هذه الجماعة أكثر تحمسا لها من بين الجزائريين، حيث لم تكن ترى غضاضة في استسهال أمر تخليها عن الانتماء إلى الإسلام والاحتكام لشريعته وقانونه والقبول بالاحتكام إلى القوانين الفرنسية الوضعية، ولذلك يذهب المؤرخون والكتاب إلى أن بداية التأريخ لما يسمونه "بالطابور الخامس" والفرنكفونية إلى هذه المرحلة وبالذات إلى تاريخ 1875م[2] في الجزائر.

ب-وتنضـــم إلى هذه الجماعة المنتقاة كل الذين تخرجوا من المدرسة الفرنسية في الجزائر والذيـــن تلقوا تعليما خاصا بأبناء المستعمرات الذي يصفه هاردلي[3] بقوله: إن تعليم المستعمرات

---

[1]-حمدان خوجة، المرآة، تحقيق: العربي الزبيري، الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص54.

[2]-أشرف عبد الرحمن، الأزمة الجزائرية، متابعة لتطور مواقف الأطراف المختلفة في حلقة العنف المفرغة، تقرير صادر عن مركز الحضارة للدراسات السياسية بالقاهرة، 2001م، ص224.

[3]-جورج هاردلي، هو مفتش التعليم ويعود إليه الدور الكبير في إعطاء الطابع الحقيقي لأهداف اللغة والثقافة الفرنسية في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا.

إنمـــا هو تعليم النخبة التي ستربط البلاد نهائيا بفرنسا وأنه يجب أن يكون عبارة عن فتح أخلاقي وثقـــافي، ومن ثم فهو لا يخضع لمقاييس التعليم العام في فرنسا وليس هدفه تكوين علماء ولا حتى ذوي معـــرفة عـــلى الشكل الكلاسيكي في أوربا، وإنما هو عبارة عن تعليم في شكل خاص... وتعطـــي في هـــذا التعلـــيم الأولوية لكل ما تحتوي عليه فرنسا من ظروف التقدم والرقي. ويرى هاردلي أن جميع الخريجين من المدارس الفرنسية يجب أن يضمن لهم مجال العمل حتى يكونوا القدوة لغيرهم[1].

جـــــ-وتأتي بعدها مرحلة الانتقاء ثم التصنيف للنخبة وتوكيل كل مجموعة لمهمة معينة تؤديها تحت توجيه إدارة الاحتلال ومراقبتها ومساندتها، فقد أصدرت الإدارة الفرنسية في الجزائر في نهاية العشرينات من القرن المنصرم، لائحة بنود تحت عنوان "حقوق المواطنة" ويتمثل في شرط أن يتوفر للجزائري على التوالي:

1-الخدمة في الجيش والبحرية الفرنسية مع شهادة حسن السلوك من السلطات العسكرية.

2-معرفة القراءة والكتابة باللغة الفرنسية.

3-التوظف لدى السلطات الفرنسية أو قبض أجرة تقاعد منها.

4-ملكية بعض العقارات في إحدى المدن أو الأرياف.

5-الحصول على وسام فرنسي.

6-وكان عمره واحد وعشرون من أب متحمس بالجنسية الفرنسية»[2].

ورغـــم عدم التصريح بوجوب التخلي عن الشريعة الإسلامية في البداية، إلا أن وضوح إدارة الاحتلال في التأكيد على هذا الشرط دون غيره لنيل حقوق المواطنة الفرنسية، تصريحا فيما بعـــد وتضييقا على مخالفيه والرافضين له، عزل تدريجيا ما أطلق عليه الجزائريون جماعة "النى وي وي" في مفهـــوم هذه الفئة رغم تمتعها بمقاعد في المجالس النيابية والبلدية، وقد احتارهم الاحتلال لوضـــعيتهم الاجتماعية الراقية أو لنشاطهم الاقتصادي أو بانتمائهم إلى العائلات الكبرى ثم من المثقفين وأصحاب الشهادات العليا ليطلق عليهم فيما بعد وصف "النخبة".

ولم تكـــن هذه الفئة حزبا سياسيا منظما وإنما كانت جماعة فضفاضة وجمعتهم اتجاديتهم

---

[1]-Georges Hardy, Une conquête morale = L'enseignement, A.O.F, Paris, A. calin, 1917. P106.

[2]-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص289.

المعـــروفة بفيدرالـــية نواب مسلمي الجزائر[1] التي ضمت الأطباء والمحامين والمعلمين والصحافيين والقضـــاة والصيادلة، وكذا بعض قدماء المحاربين في الجيش الفرنسي وهو ما يؤكد الوصف الذي يجمعهـــم بكونهـــم ثمرة المدرسة الفرنسية في الجزائر والذين «كانوا لا يرون النور خارج الإطار الفرنسي»[2].

فقـــد ظلـــت فـــئة النخبة في الجزائر متمسكة بالدعوة إلى الاندماج الكامل في نسخته الإصـــلاحية التي تقدمت به حكومة بلوم فيوليت[3] والتي ثبت أنه لم يكن سوى مناورة لحكومة الاحتلال التي تذر بها التراب في عيون الجزائريين كلما اشتدت لهجة المطالب الجزائرية واستمرت النخبة بالتمسك بسياسة الاندماج على الرغم من:

1-محاربة المستوطنين الأوربيين والفرنسيين له في الجزائر بكل الوسائل.

2-التصريحات القوية لساسة الاحتلال في تحقير هؤلاء ووصفهم بأنهم لم يبلغوا درجة من الوعي والتطور تؤهلهم للجلوس في برلمان واحد مع الفرنسيين.

3-انكشـــاف حقيقة وهم الاندماج الذي عنى به الفرنسيون أن يبقى الجزائريون -النخبة منهم خاصة- رعايا فرنسيين، أي مواطنين من الدرجة الثانية.

4-أن حكومـــة الجبهة الشعبية صاحبة المشروع في الأساس تناسته وتجاهلت كل وعودها للنخبة ولـــلجزائريين لمـــا آل الأمـــر إليها عشية الحرب العالمية الثانية حتى أنها وصفت هذه النخبة بالمشـــاغبين والمـــتآمرين وقلبت لها وللشعب الجزائري ظهر المجن بإجراءات استثنائية قاسية كشفت عن عدم استعداد فرنسا الديمقراطية التخلص من روح الهيمنة والاستبداد.

---

[1]-ظهـــرت هـــذه الفيدرالـــية في العاصمة في 11 ديسمبر 1927م تمت رئاسة ابن التهامي، ثم انقسمت فيما بعد 1930م إلى ثلاثـــة اتحاديات في كل من وهران وقسنطينة والجزائر، وكانت اتحادية قسنطينة برئاسة محمد الصالح بن جلـــون أهم الاتحاديات تأثيرا على الحياة السياسية في الجزائر على صعيد تبني الاندماج التام والنشاط في إطاره. انظر: صـــالح عـــوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830-1962م، الجزائر، مطبعة دحلب، 1992م، ط2، ج1، ص200.

[2]-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية من (1930-1945م)، مصر، مطبعة الجبلاوي، 1975م، ج3، ص64.

[3]-موريـــس فيوليت هو الحاكم العام للجزائر خلال العشرينات، وعضو بمجلس الشيوخ الفرنسي وصاحب مشروع دمـــاج الجزائريين الذي ضمنه كتابه: هل "ستعيش الجزائر". انظر: صالح عوض، المرجع السابق، ص16-19. وقد استوزره بلوم في حكومته وكان الحديث من ثم عن مشروع بلوم فيوليت.

ومـــع كل ما تقدم تبقى النخبة على إيمانها بديمقراطية فرنسا واعتقادها بشعارات فرنسا ومهمـــتها التحضـــيرية في الجزائر وانحصر نشاطها بالبحث عن وطن لها في فرنسا حتى بلغ الحد ببعضهم إلى الإعلان "فرنسا هي أنا"[1].

وفيما يتجه فريق من النخبة إلى مزيد من الارتباط بحكومة الاحتلال بدون قيد أو شرط، ومـــن المبالغة في الانغماس والتواطؤ مع المحتل وهو الاتجاه الذي قاده "محمد الصالح بن جلول" عن فيدرالية قسنطينة واتباعه[2] فإن الطريق الآخر يتجه على تبرير مواقفه الاندماجية على أنها كانت تهدف إلى:

1-فضح الاحتلال في استهتاره بالقيم الإنسانية وإطلاع الرأي العام الفرنسي والعالمي بما يقاسيه الشعب الجزائري.

2-إرغام فرنسا بالحجة والبرهان لتطبيق قوانينها في إعطائنا كل حقوق المواطنة الفرنسية[3]

وقـــد وصـــف "مصـــالي الحاج" هذا الموقف بالخيانة والارتجال والحمق والعبث بحقوق الشعب الجزائري قائلا: «أي أحمق هذا الذي يعتقد بأنه يقوم بتجربة... لا يجب أن نرتجل مع الشعب ولا أن نعبث بحقوقه»[4].

وإذا كان هذا الفريق قد أبدى استعداده للمطالبة بحريات أوسع في مسيرة تغيره نحو الخط الوطـــني فـــإن تغيّره لم يكن عميقا ولا جذريا «إذ لم تكن مطالبته ناجمة أساسا عن روح ثورية أو عـــن إحساس بالجامعة الإسلامية والقومية العربية، وهو ما كان يحرك أغلب الطبقة السياسية

---

[1]-كتـــب ذلـــك فرحات عباس في جريدة "الوفاق" الذي كان أحد أبرز محرريها في اللغة الفرنسية " La France c'est moi" في 23 شباط 1936م. راجع:

Philippe Tripier, Autoposie de la guerre d'Algérie, édition empire, Paris, 1972, P19.

وقد أثار هذا المقال موجة من الاستنكار وردود الأفعال تناولتها الصحف في ذلك الوقت وخاصة جمعية العلماء التي رد رئيسها عبد الحميد بن باديس بعدة مقالات.

[2]-انظر: محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر 1954م، قسنطينة، دار البعث، 1995م، ص138.

[3]-أحمـــد توفـــيق المـــدني، حياة كفاح، مذكرات القسم الثاني 1925-1954م، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1988م، ط2، ص59.

[4]-محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص ص156-157.

الجزائـــرية، وإنمـــا كـــان لـــرفض الاحـــتلال الفرنسي الاستجابة لمطالبهم إذ عانا منه لضغط المستوطنين»[1]. وتماشيا مع حقيقة أهدافه الاستعمارية.

ولذلك سيبقى هذا الفريق يبدي رغبته الملحة في الحوار مع فرنسا، وفي البحث عن وسائل للوفاق مع حكومة الاحتلال واعتقاده بجدوى الثورة بالقانون، وهو ما يدل على فشله الذريع مما دفـــع إلى وصـــفهم مـــن طرف بعض الكتاب بأنهم كانوا في شبه غيبوبة بفعل تغريبهم الثقافي وانـــبهارهم بالحضارة الفرنسية، حيث فتشوا عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجدوا لها أثرا»[2].

ثانيا: النخبة المصنوعة ..رهان متجدّد

لقـــد كيّف الاحتلال الفرنسي "النخبة" التي كان يصنعها في الجزائر مع كل المشاريع التي كان يطرحها في الساحة الجزائرية، سواء في ذلك على مستوى الأوصاف، التي كان يضفيها على أشخاصـــها عبر كل مرحلة أم على الأدوار التي كان يحددها لها حسب أهمية المشروع المقصود، وإنجاحـــه بواسطتها ومن ثم فقد كان يسميها بجماعة نواب المسلمين الجزائريين في المجالس المالية والنيابـــية والبرلمان الفرنسي حين يكون الهدف الفرنسي هو تمرير المشاريع والإصلاحات المزعومة وتوريـــط "النخـــبة" في تســـويقها داخل المجتمع الجزائري عبر منابرها المدعومة ويسميها "بالفئة المعتدلة" حين تكون قضية انتخابات ويكون هدف إدارة الاحتلال فرز وتصنيف الصف الجزائري على طريقتها فالخطاب الإسلامي صوت متعصب ومتطرف، والخطاب الثوري الاستقلالي صوت راديكالي ومتآمر، ويعهد للنخبة التي تصفها بالاعتدال في هذه المرحلة بدور المناورات في المطالب والمشـــاغبات العقيمة التي وصفها سعيد الله "بالملهاة"[3]، وذلك بتزييف الحقائق والتغرير بالشعب الجزائري وإنهائه عن حقيقة مطالبة ومستقبله ووضعه... وإلى احتقاره ووصفه بالجهل والتعصب، فقـــد اعتبرت جريدة "صوت البسطاء" التي كانت لسان حال "جمعية المعلمين الجزائريين" باللغة الفرنســـية، «أن المـــثل الجمهوري المتمثل في الحرية والعدالة والإخاء هو المثل الأعلى والنموذج الأمثل للدفاع عن سياسة الاندماج الشامل، ووصفت الجزائريين المعارضين له بالتعصب وأرجعت

---

[1]-جوان علسي، الجزائر الثائرة، تعريب: حيري حماد، لبنان، دار الطليعة، 1961م، ص67.

[2]-صالح عوض، المرجع السابق، ص201.

[3]-أبو القاسم سعد، الحركة الوطنية، ج3، المرجع السابق، ص137.

مقاومتهم له بالجهل»[1]، حتى ولو كانت الانتخابات لعبة استعمارية أصبح التزوير فيها لا يخفى على أحد، وهي أخيرا الجهة الصالحة للمفاوضات، التي يتم اختيارها خارج نطاق المقاومة المادية والمعنوية ومفهوم الصلاح الذي ينحصر في التفاوض ضمن شروط الاحتلال ووفق سياسته وفي إطار وصايته، وفي هذه المرة لتسوق عن طريقها إقناع الرأي العام الفرنسي والدولي، كما يقول "مصطفى الأشرف" «بأنه توجد -في الجزائر- إلى جانب المتطرفين المناهضين لكل حل سلمي، توجد مجموعة أخرى، راقية قريبة جدا منا نحن الفرنسيين، وذات أفكار غربية شبيهة بفكرنا السياسي ومتجردة من التعصب وما إلى ذلك من العبارات...»[2].

لقد فشلت النخبة المصنوعة في فرض تمثيلها للشعب الجزائري على المستوى الاجتماعي والسياسي البحت وعلى مستوى المشروع الذي صنعت لحمله في هذا الإطار، بتواطئها مع سياسة الاحتلال ضد مقومات الأمة الجزائرية في دينها ولغتها وشخصيتها الحضارية حين جعلت الشعب الذي تدعي تمثيله مجرد ديكور فولكلوري في لوائح مطالبها المترجمة للإصلاحات في طرحها الاستعماري فتنضم إليه بتحقيرها للجزائريين وتنكرها لمقوماتهم التي هي في الأساس أيضا مقوماتها، ومن ثم فقدت سلاح المبادرة ناهيك عن الزعامة وريادة الرأي العام الجزائري الذي كانت تعيش خارج زمانه وتنشط خارج رغباته وحقائقه وذلك حين حسم تيار الثورة بين المواقف وأنهى حقبة المناورات ومنهاة الأحزاب لصالح الاستقلال التام.

والمتتبع لأدوار النخبة واستراتيجية الاحتلال في تكييفها لها في الواقع الجزائري يتأكد أن الرهان في الحرب الدينية والحضارية الفرنسية على الجزائر لم يكن على النخبة كمشروع أشخاص بقدر ما كان الرهان عليها كمشروع فكرة والذي حققت فيه فرنسا النجاح أو كادت ولا تزال في الجزائر، حيث تمكنت من تمزيق وحدة الشعب الجزائري إزاء هدف من شقين متكاملين لا يمكن الفصل بينهما:

1-الإيمان بديمقراطية فرنسا والاعتقاد في شعاراتها في الإخاء والمساواة والحرية والرغبة في الحضارة الغربية اندماجا وانتماء والتي تعني أساسا الأفكار الانجيلية شريعة واللغة الفرنسية أداة

---

[1]-انظر: الخيلاني صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية (1900-1954م) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حرات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م، ص21.

[2]-مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص193.

للتعبير ووسيلة للعلم والتقدم والسلوك الغربي نمطا للحياة العصرية والجديدة.

2-في المقـــابل التأكيد على رفض التقاليد البالية التي لم تكن تقصد منها في الواقع سوى الإســـلام، وعـــلى عدم قدرة العربية بموتها –على مسايرة العصر، والتحويف المستمر للرأي العام الجزائري والفرنسي –في الجزائر- وكذا الدولي من احتمال تأسيس دولة إسلامية.

ولـــئن نجحت إدارة الاحتلال في صنع نخبة على مقاس هذه الأهداف إيديولوجيا وثقافيا أثـــناء التواجد الفرنسي في الجزائر فإنها نجحت على المدى البعيد في التمكين لهذا التيار من وسائل التعبير واستمرار تسليط الأضواء عليه وإضفاء أوصاف الاعتدال والنخبوية والرقي. وهو ما تمظهر في التـــيار الاندماجي بداية والحزب الديمقراطي لاحقا، ثم القطب الديمقراطي في الجزائر المستقلة فـــيما بعـــد في ظل توجهات الأفكار في الساحة العالمية خاصة بعد نهاية الحرب الباردة وانتهاء الشيوعية.

والخلاصة "فإن النخبة" التي كانت ثمرة المدرسة الفرنسية في الجزائر قد أدت دورا غاية في الأهمية بالنسبة للمشروع الديني والحضاري الفرنسي في الجزائر من حيث التشويش على الخطاب الإســـلامي والـــتواطؤ ضـــده[1]، وتعطيل مسيرته وصولا إلى سحب شرعيته في الجزائر العربية الإســـلامية، وإذا كانـــت ثمرة يانعة من ثمار سياسة الفرنسة والتجنيس الفرنسية في الجزائر تحت الاحـــتلال، فإنها ستكون قاعدة للاستعمار الجديد في إنجاح مشروع الفرنكفونية غداة الاستقلال في المستعمرات الفرنسية.

المطلب الثاني: نتائج سياسة الفرنسة وبداية سياسة الفرنكفونية في الجزائر

لما وضع الجغرافي الفرنسي أونسيم ريكلو: (Onesime Reclus) نظرية الفرنكفونية في

---

[1]-وقـــد ثبـــت ضلوع "محمد الصالح بن جلول" في التواطؤ مع إدارة الاحتلال لما اتهم الجمعية باغتيال مفتي الجزائر ابن دالي المعـــروف بالشـــيخ كحـــول، وقد صرح بذلك إلى جريدة "Marseille Matin" بذلك وطلب منه أن يكذب المقال لكنه اعتصـــم بالصمت. انظر: حيثيات الحادثة: محمد الطاهر فضلاء، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس قسنطينة، دار البعث، 1968م، ص129-135.

-محمد قنانش، محفوظ قداش: المرجع السابق، ص114.

-محمد قنانش: الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919-1939م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، ص73.

1889- سجّل في كتاباته بأنها «فكرة لسانية وعلاقة جغرافية، وأرادها أداة لتنحية اللغة العربية والديانة الإسلامية معا»[1]، ومنذ ذلك التاريخ انتقل الاستعمار العالمي والاستعمار الفرنسي ضمنيا —من المباشرة إلى التجدد والتخفي، وعرفت خلاله الفكرة الفرنكفونية تكيفات وتطورات تبلورت خلالها من بنى ومنابر وقنوات، وكانت ولا تزال كمشروع طموح وعمية متعددة المآرب والوجوه على مختلف الصعد وفي مختلف المجالات وهو ما لخصه الرئيس الفرنسي "فرانسوا ميتران" لما قال: إن الفرنكفونية ليست هي اللغة الفرنسية فحسب... إذا لم نتوصل إلى الاقتناع بأن الانتماء إلى العالم الفرنكفوني، سياسيا واقتصاديا وثقافيا يمثل إضافة فإننا سنكون قد فشلنا في العمل الذي بدأناه منذ سنوات[2].

ومن البداهة التأكيد على انتفاء الفروق بين سياسة الفرنسية وسياسة الفرنكفونية أثناء الاحتلال وبعده وغيرها، لأنها فروق في الشكل والأسلوب والأولويات لا غير، أما هدف السياسيين في العمق فبقي هو نفسه ويتمثل في خلق الشروط للتبعية المعنوية والثقافية عبر قناة اللغة وإشعاعها في التعليم والإدارة والمصالح العمومية، وبالتالي في كل المجتمع ومجاله السمعي والبصري.

أولا: عزل الخطاب الإسلامي عمليا

بدأت نتائج سياسة الفرنسة والاندماج في الجزائر ترشح منذ الثلاثينات من القرن المنصرم[3] وتكمن دلالة هذا التاريخ في تأخر ظهورها في المقاومة الشديدة التي واجهها بها الشعب الجزائري بقيادة جمعية العلماء، والتي حدت من عمومها واتساعها، كما سبق شرحه. لكن قراءة هذه النتائج —نخبة وأحزابا...- تؤكد أنها تدخل ضمن مراد فرنسا التي وإن لم تستطع فرنسة أكبر عدد ممكن من الجزائريين أيام الاحتلال، فقد استطاعت أن تفرنس من بهم تعوّل على فرنسة البقية ولو بعد الاستقلال وهو ما استمر ولا يزال موضوع اهتمام السياسة الفرنسية.

وتتجلى أهم مظاهر هذه النتائج عمليا في عزل الخطاب الإسلامي في الجزائر والعمل على

---

[1]-ابن سالم حميش، الفرنكفونية... والفرنسية، مجلة المستقبل العربي، عدد خاص 255، س5، 2000م، ص33.

[2]-المرجع نفسه، ص34 نقلا عن (Le monde /9/2/1989) والرئيس فرانسوا ميتران توفي 1994م، كان وزيرا للداخلية الفرنسية أثناء ثورة التحرير الجزائرية.

[3]-انظر: أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدإ والتطبيق في الجزائر والعالم الغربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص185.

تعطيله صوتا ووسيلة وهدفا من جهة، والعمل على قطف ثمار مسيرته من أجل مقومات الجزائر دولة وشعبا ليس في تكرسها وإنما في ضمان جمع الجزائريين حول الثورة حين إعلانها، وهو ما يفسر سرعة استجابة الشعب بذلك الشكل الجماعي وبتلقائية واستماتة يقدم التمن لتعود الجزائر إلى حال إسلامها وعروبتها قبل الاحتلال الفرنسي، ويدفع الجميع إلى عدم التخلف في الالتحاق بتيارها الواعد بتحقيق الاستقلال الأكيد، رغم ثبوت تاريخ البعض في البحث عن وطن لهم في فرنسا والتنكر لمقومات الجزائر، وثبوت عدم الالتحاق تلقيائيا للبعض الآخر، إلا بعد أن يأتيه أمر الالتحاق من الخارج.

فالتناقضات الإيديولوجية في جبهة التحرير –كما يصفها البعض–[1] ويعني بها صراع "النخب" على السلطة قصد فرض تصوراتها لمستقبل الدولة الجزائرية المستقلة، قد وازت مسيرة الثورة، وإذا كانت الجبهة قد نجحت في جمع مختلف التيارات تحت لوائها من أجل الاستقلال. فإنها لم تتمكن من خلق بديل متماسك عنها لا في حل ولا في تجاوز تناقضاتها الداخلية وتحديدا من حيث الهوية والشخصية الجزائرية التي لم تكن تعن للشعب الجزائري سوى: "الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني"، والذي لم يكن هدفه للتضحية في سبيلها سوى نيل شرف الجهاد أو الشهادة.

وإذا كان البعض يرى أن الجبهة قد أجلت البت في هذه المبادئ إلى ما بعد الاستقلال لانشغالها بالثورة، فإنّه قد تم الانحراف عن هذه المبادئ خلال الثورة نفسها فيم استمرت عملية تعبئة الشعب الجزائري وتحريكه بذات المبادئ بهدف ضمان استمرار إلتفافه بالثورة والتي اندلعت من أجل دولة جزائرية مستقلة في إطار المبادئ الإسلامية، واستقلت بجمهورية اشتراكية دينها الإسلام وهو ما سبب عدم الاستقرار لفترة ما بعد الاستقلال وإلى حد الآن.

---

[1]–للاستفاضة حول الموضوع انظر:

–محمد قنانش: الإيديولوجية السياسية للحركة الوطنية أو الحركة الوطنية الجزائرية بين عقيدة الإصلاح وروح الثورة، مجلة التاريخ، الجزائر، المركز الوطني للدراسات التاريخية، النصف الأول من سنة 1986م، رقم: 21، ص ص141–148

انظر أيضا: –صالح فيلالي، المرجع السابق، ص ص158–174.

–مصطفى الأشرف، المرجع السابق، الفصل الأول، الرابع، الخامس، الحادي عشر، ويعد الكتاب ترجمة عميقة لهذه التناقضات وحسمها لصالح التيار الفرنكو شيوعي في الجزائر.

ولم يكن هذا التحوّل ممكنا لو لا انضمام التيارات الإيديولوجية صنيعة الاحتلال إلى تيار الثورة رغم تناقضها مع أهداف الثورة ووقوفها ضد الاستقلال في الأساس.

1-انضمام النخبة الشيوعية إلى ثورة التحرير

الحزب الشيوعي الجزائري في الحقيقة هو حزب فرنسي بحكم أن أغلبية أعضائه من الأوروبيين من جهة، وبحكم أنه فرع للحزب الشيوعي الفرنسي الذي أسس في 1936م في الجزائر قصد إضعاف نشاط حركة "حزب شمال إفريقيا" التي كانت قد قطعت صلتها بالحزب الفرنسي حين رفض تأييدها في دعوتها إلى استقلال الجزائر[1].

والإيديولوجية الشيوعية تجعل من المسألة الوطنية من خصوصيات أوربا الصناعية ولا علاقة لها ببلد غير صناعي كالجزائر، ومن ثم فالحزب الشيوعي الجزائري يرفض تبني أي حركة تهدف إلى إزالة الاستعمار التي كانت من أصول مبادئ الشيوعية العالمية منذ أواخر عشرينات القرن المنصرم[2].

وبحكم موقف الشيوعية من الأديان عموما فإن «الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن يثق في الإسلام إذ اعتبره كأيديولوجية رجعية تعبر عن مصالح الطبقة الإقطاعية[3]، ومن ثم فقد اخفق في فهم التداخل بين الوطنية والإسلام، وكذا في وعي حقيقة ما يحدث في الجزائر، حيث لم تكن القضية في الجزائر تتعلق بصراع بين طبقتين: البروليتاريا والبورجوازية مع خلفية هذه المصطلحات الشيوعية البحتة -وإنما كانت قضية صراع بين مستعمِر ومستعمَر، ومن ثم نعي أن أقصى ما حاوله الحزب الشيوعي الجزائري لكسب ثقة الجزائريين وفك عزلته الجماهيرية بينهم، أنه لم يتعد حدود ما كان يطالب به دعاة الاندماج في الجزائر عبر تحسين ظروف المسلمين الجزائريين الاقتصادية والاجتماعية[4]، مع الاعتراف الرسمي باللغة العربية. ولكن الحزب لم ينضم إلى الثورة

---

(1)-انظر: عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945م)، قسنطينة، دار البعث، ط1، 1981م، ص245.

(2)-Jakson, H, F, The FLN in Algéria, Grenwood Press, West port, Connecticut, USA, 1977, P9.

(3)-صالح فيلالي، المرجع السابق، ص125، نقلا عن: Tlemsani.R, State and Révolution in Algéria.

(4)-يقول شارل اندريه جوليمان: أن برنامج الحزب الشيوعي الجزائري يتلخص في العمل من أجل جزائر حرة وسعيدة متحدة اتحادا فيدراليا مع فرنسا. انظر: -Charles André Julien, Op.cit, P121.

إلا بعد اعتراف الاتحاد السوفياتي بجبهة التحرير الوطني، أي بعد أن جاءه الأمر بذلك مما يؤكد عدم جزائريته ولا وطنيته ومن ثم عدم حريته في اتخاذ قراراته.

ورغم عزلة الحزب الشيوعي عن الشعب الجزائري ووقوفه ضد تطلعاته الشرعية في الحرية والاستقلال التي ترجمتها مواقفه وتاريخه في الجزائر، إلا أن انضمامه للثورة ووصول رموزه وقادته إلى أهم مراكز القرار فيها[1] ثم سيطرتهم على أجهزة الدولة الجزائرية المستقلة، فيما بعد في الإدارة والثقافة والاقتصاد والصناعة، يرجعه الكثيرون إلى خبرة الشيوعيين في النضال السياسي والنقابي[2] والذي ساعد عليه الدعم الخارجي الفرنسي والشيوعي تحديدا.

ويرى البعض أن الشيوعيين الجزائريين لم يفلحوا في تطبيق إيديولوجيتهم التي لم تتجاوز في الكثير من الأحيان حدود الشعارات[3]، إلا أن الواقع يؤكد خطأ هذا الاتجاه، إذ أن المبادئ التي استقلت عليها الدولة الجزائرية ثم نصوصها الرسمية على مدى أكثر من ربع قرن من الزمن (1962-1989م) لم تكن في الحقيقة سوى ترجمة عملية لهذه الإيديولوجية، وهذه الشعارات والتي انتهت إلى السقوط مع سقوط الشيوعية، حيث سيتم التحول عنها إلى الإيديولوجية الديمقراطية. ومن المفيد التأكيد على المؤشرات ذات الدلالة في هذا الموضوع عبر:

-بعد انطلاق الثورة: جرت مراجعة لأهدافها من تحقيق الاستقلال إلى تحقيق الثورة الاشتراكية، والذي نص عليه برنامج طرابلس في أن يتم عبر عملية قلب تيار الثورة وتنظيم القوى المعارضة -لهذا التوجه- على ضوء التمييز الإيديولوجي وبواسطة ما سماه بخطة طويلة المدى تستهدف تجاوز هدف الثورة المسجل في البرنامج التقليدي للحركة الوطنية -الدولة الجزائرية المستقلة في إطار المبادئ الإسلامية- إلى استكشاف نظم جديدة وأساليب جديدة للتعليم والعمل

---

[1]-صالح فيلالي، المرجع السابق، ص166.

[2]-يؤكد محمد حربي أن كتابة نص برنامج الصومام كانت تحمل بصمات عمار أوزقار، الكاتب العام للحزب الشيوعي الجزائري، انظر: -Mohammed Harbi, Op.cit, P25.

وقد كان الشيوعيون الجزائريون يرفضون نشر البرنامج الداخلي للحزب سيما ما يتعلق منه بالدين الإسلامي وعلمائه على صفحات الجرائد الوطنية في الجزائر، رغم مطالبة البعض بذلك تحديا له. انظر: محمد قنانش، المرجع السابق، ص121.

[3]-للاستفاضة حول نشاط الحزب وحيرته السياسية والنقابية. انظر: عبد الكريم بوالصفصاف: المرجع السابق، ص ص242-249. ومراجعه في الموضوع.

وبعملية تسلسل من التحولات الجذرية المستمرة...»[1].

-عند الاستقلال تم فرز "الطليعة" التي وكلّ لها بمهمة وضع المشروع الحضاري للجزائر المستقلة على أساس إيديولوجي كما قرر الميثاق من جهة ومهمة تكوين الطلائع الموصوفة بالواعية والثورية لتحقيق نجاح الثورة الاشتراكية. من جهة أخرى وذلك عبر خلق عقيدة جديدة ضمن الفكر والمثل والمبادئ الاشتراكية وانطلاقا من مهمتها التاريخية في التغيير الجذري للمجتمع الجزائري القائم، وبناء مجتمع ثوري بديلا عنه وهو ما يتناوله ميثاق 1976م في الباب الثاني منه الذي حمل عنوان من أجل حزب طلائعي[2].

-بعد الاستقلال وتحديدا بعد صدور ميثاق 1986م حين اعترف أن التجربة الاشتراكية في الجزائر من (1962-1986م) قد عرفت عددا من السلبيات التي لم تكن تخص المجال الاقتصادي أو السياسي وإنما هي تدخل في صميم المبادئ الإيديولوجية التي تم تطبيقها في الجزائر، حيث «أفرزت أنماطا من السلوك تأثرت بمحيط بجانب الدين الصحيح ويتنافى مع التقاليد والإيجابي من العادات ويستعمل لغة مغالطة تعتبر ذلك مظهرا للحداثة والتعاطي مع العصر... وقد أفرز ذلك كله ادعاء متطرفا يزعم أن الإسلام مجرد تاريخ مضى، وأن الدين لا علاقة له بالثورة، كما تسبب هذا الادعاء في بروز ادعاء متطرف هو الآخر يحصر الإسلام في مجموعة من الشكليات...»[3].

2-نخبة القوة الثالثة...والاستعمار الجديد للجزائر

في الوقت الذي كان يبدو فيه الاستقلال أمرا حتميا، وفي عز حرب التحرير الوطنية، قامت فرنسا بالمناورة على عدة صعد في الوقت نفسه بغية رقابتها لتطور السياسي والاقتصادي والثقافي لمستقبل الجزائر والتطلع من ثم إلى سياسة تهدف عن طريقها إلى تأييد وجودها في الجزائر المستقلة بمعنى تفريغ استقلال الجزائر من محتواه مع محافظتها على شكليات هذا الاستقلال فحسب.

وشرعت إدارة الاحتلال منذ 1955م لتحقيق هذا الهدف عبر سياستين لكل منهما أهدافها المرحلية وإجراءاتها الخاصة والتي ستتكاملان في النهاية في هدف الاستعمار الجديد للجزائر.

---

[1]-النصوص الرسمية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص59.

[2]-ميثاق 1976م، المصدر السابق، ص ص57-58.

[3]-ميثاق 1986م، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، ص37.

أ-سياسة "الجزائر فرنسية"

وقد تم فيها العمل على جزأرة الإدارة الاستعمارية على الطريقة الفرنسية وذلك على المستوى الوطني والولائي والمحلي قصد إقامة جهاز للمحافظة على مصالح فرنسا والدفاع عنها، وذلك بتنظيم وجودها في مختلف الأجهزة التي ستصبح هي المؤسسات الجديدة للجزائر المستقلة، ولا سيما في الجيش والإدارة والاقتصاد والمالية والتعليم والتكوين.

وعملت بين سنوات 1955م، 1959-1960م على مستوى البرلمان الفرنسي في باريز على تحديد مختلف الإجراءات الرامية إلى تشجيع الترقية الاجتماعية لمن تسميهم "بالمسلمين الفرنسيين" في الجزائر في مختلف قطاعات النشاط.

وكانت أهداف هذه المرحلة تتمحور أساسا في عزل جبهة التحرير الوطني عن الشعب عامة وعن الشباب خاصة، تمهيدا للقضاء عليها عسكريا فيما بعد، لكن أيضا مغالطة الرأي العام الفرنسي والعالمي حول ما يحدث في الجزائر. فالمشكل الجزائري كما قررته إدارة الاحتلال لم يكن قضية تحقيق مصير واستعادة للاستقلال والسيادة الوطنية، وهو ما سمته فرنسا بالسياسي، وإنما هو في الأساس اقتصادي واجتماعي وهو ما فسرت به اندلاع ثورة التحرير الكبرى، ومن ثم فإعطاء الأولوية لحله على هذا المستوى بالذات سوف يمنع الفقراء الجزائريين من الانضمام إلى صفوف الثورة الذين كانت تصفهم بالخارجين عن القانون.

وفي هذا الإطار قدم "فرانسوا ميتران" وزير الداخلية الفرنسي في ذلك الوقت، برنامجا واسعا للإصلاحات أمام مجلس الوزراء الفرنسي لتسهيل حصول "المسلمين الفرنسيين" على المناصب في الوظيفة العمومية، وكذا في النشاطات غير الزراعية كالصناعة والتجارة والبناء والأشغال العمومية، والتي تمت عمليا عبر ما سمي "بدفعة سوستال" ثم "دفعة لاكوست"[1]، والتي لم تكن في الحقيقة إلا محورا لسياسة "الجزائر الفرنسية" التي تعدها فرنسا لتأييد وجودها في الجزائر بعد أن أكد تيار الثورة أنها ستفقد مستعمرتها إلى الأبد أيضا.

وبناء على إحصاءات 54-1960م[2]، فقد ثبت أن الارتفاع في عدد المناصب وكذا في نوعية هذه المناصب ومجالات النشاط الاقتصادي قد بني على تمييز واضح بين ما كان منها

---

[1]-سوستال، ولاكوزست هما اسما الحاكمين اللذين تعاقبا على الجزائر في تلك الفترة.

[2]-A.Darte. L, et J.P. Rivet, Emploi et devloppement en Algérie, Paris, PUF, 1962, P70.

مخصص للفرنسيين والأوربيين في الجزائر، وما كان موجها للجزائريين ففيم كانت مناصب الأوربيين في الإدارة تخص مناصب التأطير الأساسية العليا والأحسن من حيث الأجر، فإن المسلمين الجزائريين يعينون في الوظائف الصغيرة في أدنى الدرجات، وفيم كانت فرص العمل المخصصة للأوروبيين والفرنسيين في قطاع التجارة تخص النشاطات المربحة والمدرة المرتبطة بمجالات التصدير والاستيراد وتجارة الجملة، فإن فرص العمل المخصصة للجزائريين تشمل الباعة المتجولين، كما المناصب الدنيا كالسعاة والمستخدمين، مما يثبت أن سياسة "الجزائر الفرنسية" التي تشبع معناها في مختلف الوجوه، حيث زيادة هيمنة الفرنسيين في مجال السياسة والاقتصاد بناء على التباين والتكوين، يقابلها توظيف المسلمين الجزائريين بوجه خاص كيد عاملة عديمة الكفاءة أو ضعيفة التأهيل وهو ما راهنت عليه فرنسا عبر استراتيجيتها هذه عبر الإبقاء على مصالحها كاملة في الجزائر المستقلة.

ب–سياسية "الجزائر الجزائرية" بديلا عن "الجزائر العربية المسلمة"

"الجزائر الجزائرية" هو المشروع الأخير، الذي أطلقه الرئيس الفرنسي "شارل دوغول" في خطابه في سبتمبر 1959م الذي أقر فيه بحتمية الاستقلال وحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، بعد أن أنهت المظاهرات الجزائرية الشعبية المتواصلة سياسة ومشروع "الجزائر الفرنسية" عمليا، وبعد "دوغول" تلقفت وسائل الإعلام الفرنسية هذا "المصطلح الجديد" فكان مادة للتحليل وتصريحات السياسة و المنظرين الفرنسيين طيلة السنتين الأخيرتين من حرب التحرير الجزائرية.

وعلى الرغم من أن شعار " الجزائر الجزائرية" فيما يبدو عاديا ومحايدا في الظاهر بل وهو غير مؤذ وجذاب بالنسبة للجزائريين فإن حقيقته كانت على عكس ذلك تماما وتكمن علميا وبكل وضوح في الحفاظ على الإشعاع الفرنسي الثقافي وذلك بالإبقاء على اللغة الفرنسية كلغة رسمية للجزائر المستقلة على حساب اللغة العربية في موازاة الحفاظ على مصالح فرنسا كاملة في الجزائر، وهو ما يعني على الخصوص أن فرنسا لا يزعجها أن ترى الجزائر مستقلة لكنها في المقابل لن تقبل بأن تسترجع الجزائر شخصيتها الأصلية العربية الإسلامية مما يجعل استقلالها استقلالا شكليا ببقائها مرتبطة بفرنسا في المجالات الإستراتيجية التي حددتها ونصت عليها فيها بعد اتفاقيات ايفيان.

وقد بدأت إجراءات هذا المشروع السياسية بعد وصول "شارل دغول" مباشرة إلى الحكم

حيث ترجم هذا التوجه باستراتيجية شاملة تستهدف استبدال النظام الاستعماري القديم بنظام استعماري جديد يمنع الجزائر من استعادة مكانتها الطبيعية في الوطن العربي والعالم الإسلامي.

ويتمثل هذا المشروع الذي عرف "بمشروع قسنطينة" بتشجيع بروز ما عرف بـــ "القوة الثالثة" التي ستتكون من متعاونين مدنيين وعسكريين مواليين لفرنسا من الذين اختاروا أو اختارت لهم فرنسا توجها فرنسيا بحتا. وميدانيا هدفت بعض الإصلاحات والمشاريع الاقتصادية والإدارية، تكوين نواة بورجوازية جزائرية تصلح لأن تكون قاعدة اجتماعية ذات مصالح مناوئة للثورة[1]. كما تقضي هذه السياسة في هذه المرحلة بتكوين نخب ذات مستوى ثقافي عال تعليما ولغة فرنسية «وتوظيفها كإطارات في مختلف المؤسسات الإدارية والاقتصادية والإعلامية لتكون قادرة بعد الاستقلال أن تحكم الدولة الجزائرية المستقلة ليخلق الاحتلال الفرنسي بذلك نواة لسياسة التبعية اللغوية والثقافية »[2]. التي ستحول الجزائر بها وبإدارتها ضمن سياسة الفرنكوفونية الجديدة من الجزائر العربية المسلمة مبدأ الثورة وهدفها إلى "الجزائر الجزائرية" وبهذا فلن تتحكم فرنسا بعد استقلال الجزائر في تسيير شؤون الجزائر مباشرة مثلما كان عليه الأمر في ظل الاحتلال بل بواسطة جزائريين ذوي توجه فرنسي أعدوا للمناسبة ضمن "القوة الثالثة".

وقد وفرت فرنسا لهذا الغرض وسائل بشرية ومادية ومالية مهمة لتجسيد مشروعها وإنجاحه، لكن فضائع المنظمة السرية الفرنسية التي عاثت في الشعب الجزائري تقتيلا وتنكيلا بتحطيم المباني وتفجير المؤسسات العمومية، لم تبق للفرنسيين وأوروبيي الجزائر عموما فرصة بعدها للبقاء فيها، فكان الرحيل الجماعي لأوربيي الجزائر مباشرة قبيل إعلان الاستقلال والتي تقدره الإحصاءات بأكثر من 900 ألف شخص، وهو ما لم تكن تتوقعه فرنسا ولا تتمناه، ومع ذلك فإن إحصاءات 1962م حسب كتاب "الاقتصاد الجزائري" تؤكد على أنه تم الإبقاء على

---

[1]-انظر لطفي الخولي، عن الثورة في الثورة وبالثورة، حوار مع بومدين، الجزائر، منشورات التجمع الجزائري البومديني الإسلامي، عين مليلة، دار الهدى، 1975م، ص22.

[2]-انظـــر: احمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، المرجع السابق، ص ص190-195. مع التأكيد أن سياسة فرنسا في هذا المجال لم تكن تخص الجزائر فقط وإنما في العديد من البلدان الإفريقية التي خرجت منها فرنسا ماديا لتبقي موجـــودة لغة وفكرا وثقافة وسياسة والتي تسمى بالدول الناطقة بالفرنسية أو الدول الفرنكفونية. انظر هذا الموضوع: عـــبد القـــادر زبادية، حول عملية البدء في تكوين طبقة النخبة الجديدة في إفريقيا الغربية الفرنسية نظرة تاريخية، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1979م، ص ص33-46.

الجهاز الإداري الاستعماري وفق ما تنص عليه اتفاقيات إيفيان[1]،حيث لم تجر أية إصلاحات أو تغييرات في البنى أو الأجهزة وهو ما يعني بقاء الحضور الفرنسي مهما على مستوى إطارات الوظيفة العمومية سواء بالطرق المباشرة المكونة فرنسيا لهذا الغرض ضمن سياسات "الجزائر الفرنسية" أو "الجزائر الجزائرية"، أو الطرق غير المباشرة التي تشترك معها في صفة التخرج من المدرسة الفرنسية وضمن التوجه الثقافي الفرنسي عموما وخاصة منها في مراكز الإعداد والتأطير والقرار وهو ما يبينه الجدول التالي:

فئة التأطير	الإطارات الفرنسية والجزائرية الموالية لفرنسا
الفئة أ: إطارات الإعداد والقرار	43% (منهم 39% من الفرنسيين)
الفئة ب: إطارات تسيير	77% (منهم 43% من الفرنسيين)
الفئة ج-د: إطارات دنيا	12% (منهم 3% من الفرنسيين)

الجدول رقم3: فئات التأطير في الوظيفة العمومية في عام 1962م في الجزائر[2]

ومع التأكيد نظريا على عقم سياسة "الجزائر الفرنسية" ومشروع "الجزائر الجزائرية" بعده إلا أن إبقاء قيود التبعية في الميدان الاقتصادي وعلى الخصوص في الميدان الثقافي، كما نصت عليه "اتفاقيات إيفيان" التي أقرت باستقلال الجزائر في نطاق التعاون مع فرنسا يمثل أصدق تعبير على سياسة الاستعمار الجديد التي تتوخاها فرنسا وتتمثل مظاهره في تحويل الاستعمار القديم إلى استعمار من نوع جديد.

واستنادا إلى حوار "لطفي الخولي" مع الرئيس الراحل "هواري بومدين" فإن حرص "برنامج طرابلس" على تناول هذه القيود بالشرح والتوضيح للشعب الجزائري كان القصد منه التأكيد على أن الاستقلال الجزائري كان منقوصا[3]. ومن ثم تقديم حقيقة صورة الجزائر المستقبلة

---

[1]-أجريت مفاوضات إيفيان بين جبهة التحرير الوطني ودولة فرنسا بعد فشل المفاوضات الأولى في مدينة ميلان في 1960م، وذلك على مرحلتين الأولى في ماي 1961، والثانية في جويلية من نفس العام في مدينة لوزان بسويسرا، وانتهت في مارس 1962م باتفاق وقف إطلاق النار واعتراف فرنسا بوحدة الوطن الجزائري واستقلاله في نطاق التعاون مع فرنسا. انظر: لطفي الخولي، المرجع السابق، ص16.

[2]-Abdel Hamid Brahimi, L'économie Algérienne, Alger, Office des publications Universitaires, 1991, P84.

[3]-لطفي الخولي، المرجع السابق، ص18.

وتقل ما ورثته من الاحتلال الفرنسي المباشر، فبالإضافة إلى كل القيود الاقتصادية والعسكرية وغيرها فإن القيود المتعلقة بالمجال الثقافي وميدان التعليم تحديدا، لها دلالتها المصيرية في استمرار الاحتلال غير المباشر عن طريق اللغة والثقافة والإشعاع الحضاري الفرنسي الذي يعني إكمال مهمة اغتيال اللغة العربية والتاريخ الجزائري العربي الإسلامي بواسطة من تركتهم فرنسا لأداء هذه الأهداف والتي فاجأتها حتمية الاعتراف باستقلال الجزائر عن اتمامها بنفسها. وفي هذا الإطار نقرأ من بين بنود اتفاقيات افيان:

حماية واستمرار المؤسسات الثقافية والتعليمية الفرنسية بالجزائر مع ملاحظة وجود أكثر من خمسة عشر ألف مدرس فرنسي[1]. عند الاستقلال.

ثانيا: إضعاف اللغة العربية وتهديد العامية بالزوال

إذا كانت فرنسا قد فشلت في مسح اللغة العربية في الجزائر مسحا كاملا كما نجحت في ذلك في بقية مستعمراتها وخاصة في إفريقيا الغربية[2].فإنها أوجدت لها منافسا خطيرا هو اللغة الفرنسية التي كانت أثناء فترة الاحتلال وبقيت بعد الاستقلال لغة الديبلوماسية والإدارة والتعليم والاقتصاد والمجتمع في المدن الجزائرية الكبرى –والاعلام الرسمي كما سنرى لاحقا.

وقد كانت الازدواجية اللغوية سلاحا ذي حدين حيث ساهمت في إغناء ثقافة الجزائري المتعلم لكنها في الوقت نفسه –في المقابل– زادت غربته وتمزقه الحضاري والاجتماعي[3].وسببت اضطرابا وضياعا في شخصية الشعب الجزائري برمته، ولا تزال، لأن هدف التخطيط لتعلمها لم يكن على سبيل «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم » كما قال الرسول –ﷺ– وإنما كان يهدف القضاء المبرم على اللغة العربية ومسحها تماما، وإحلال اللغة الفرنسية محلها.

---

[1]–لطفي الخولي، المرجع السابق، ص16-17.

[2]–كانت اللغة العربية هي لغة إفريقيا الغربية والمدارية حتى الحرب العالمية الأولى، وأول عمل رسمي لايقافها كان بمرسوم أصدره حاكم إفريقيا الغربية سنة 1911م والقاضي بتحريم التحرير باللغة العربية في اقاليمكم منذ ذلك التاريخ، انظر عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص34. نقلا عن (Circulaire du Gouverneur Général Ponty, du 8 Mai 1911).

[3]–عالج هذه القضية من الوجهة الصحية والنفسية والجسدية، الطبيب والكاتب فرانز فانون في مختلف كتبه وقد اعتمدنا بعضها كمراجع سابقا.

فقد ضعف مستوى اللغة العربية الفصحى نتيجة محاربتها المستمرة في الإدارة والمؤسسات التعليمية والمحيط الاجتماعي وأجهزة الإعلام من جهة، وسد المنافذ المشرقية التي قد تتسلل منها عن طريق الكتب والصحافة والأفلام والأغاني، العربية، من جهة أخرى.

و امتزجت اللهجة العامية بكثير من المفردات الفرنسية، وأدت هذه الحالة تدريجيا إلى صعوبة التعبير بين الجزائيين لا باللهجة العامية ولا باللغة العربية، وشوهت لغة التخاطب حتى لدى الأجيال المتعلمة التي أصبحت تتكلم بلغة مختلطة هجينة لا هي عربية خالصة ولا هي فرنسية حالصة[1].وكان الكل يلجؤن إلى الحديث باللغة الفرنسية لإزالة الإشكال رغم أن الكل عرب مسلمون[2].

وكانت النتيجة انتشار ظاهرة التحدث باللغة الفرنسية بين الجزائريين خاصة في المدن الكبرى بسبب فرضها كلغة رسمية في جميع مجالات الحياة وسبب احتكاك الجزائريين بالفرنسيين كموظفين وعمال في الإدارات والمصانع وقطاع الخدمات ... والتي كان يتحتم فيها على الجزائري أن يتعلم اللغة الفرنسية كتابة أو قراءة أو حديثا على الأقل حتى يحصل على لقمة العيش في تلك المجالات التي لم يكن الاتصال فيها بأرباب العمل والمسيرين يتم إلا بالغة الفرنسية[3] التي أصبح الجزائريون يسمونها بلغة الخبز مقابل لغة الكلام اللغة العربية.

وفي هذا الإطار عرضت "نور سلمان" إلى دراسة الأدب الجزائري المكتوب بالغة الفرنسية في فترة الاحتلال الفرنسي وسجلت شكوى الكثير من كتابه من غربة التعبير باللغة الداخلية التي فرضت عليهم هوية غير مستقرة في الأدب وهو ما عبروا عنه بضياعهم عبر أبطال رواياتهم.

فالكتاب الجزائريون بالفرنسية لم يصلوا إلى عامة الشعب وظلوا محرومين من القراء الأصليين الذين يمتثلون قلب الواقع، وإذا كان "فانون" يشهد بالمستوى الرفيع للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية فإن "مصطفى الأشرف" يعزو شهرة هذا الأدب إلى النقاد الفرنسيين الذين لا

---

[1]- علي الكنز، معطيات الانتلجانسيا الجزائرية، مجلة المستقبل العربي، ع104، ص66.

[2]- أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق، المرجع السابق، ص188 نقلا عن: أبو اليقضان، اللغة العربية غريبة في دارها، مجلة وادي ميزات سنة 1627م.

[3]-المرجع نفسه، ص190.

يدركون الواقع الجزائري[1]، ويبقى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بعيدا عن المقاومة الجزائرية فهو غريب في نفسه ومنفي في موطنه الذي كتب فيه و لم يستطع أن يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثورة ...»[2]. كما فعل ذلك الأدب الجزائري المكتوب بالعربية الذي كان نبض الثورة وسجلها ومذكيها[3].

وسيؤدي واقع الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة بعدما فشلت جبهة التحرير الوطني في حسمه، ثم عبر القيود الثقافية واللغوية التي فرضتها "اتفاقيات إيفيان"، باستمرار الانتصار للغة الفرنسية على حساب اللغة العربية من طرف المتفرنسيين خاصة فيما يتعلق في رفضهم للتعليم الأصلي في 1963م، ثم برفضهم إنجاز التعريب في الجزائر في جميع المجالات وخاصة في ميدان المنظومة التربوية وستشهد الجزائر المستقلة صورا من التناقض والانشقاق يتجاوز الحديث عن وجود نخبتين لغويتين إلى الحديث عن مجتمعين متراكبين لا يستطيعان التعايش في عالم ثقافي واحد لأن كل منهما ينتصر لطروحاته الخاصة أحدهما يمثل البلاد في وجهها التقليدي والتاريخي والثاني يريد وضع تاريخها ابتداء من الصفر...[4]، حتى ولو كان يتعارض مع ما تقره النصوص الرسمية للدولة الجزائرية ذات السيادة في كون اللغة العربية هي اللغة الرسمية والوطنية في الجزائر[5].

مع ملاحظة تسجيل عدم الإشارة إلى اللغة العربية في أي مراجعة أو تعديل دستوري الذي تنص على عدم المساس بمبدإ الجمهورية ودين الدولة، والخيار الاشتراكي والحريات الأساسية للإنسان والمواطن والوحدة الترابية كما في دستور 1976م[6]، والنص على ذلك في دستور1996م في المادة 178منه[7]. لكن بين النص المكتوب والواقع الذي يملأه ضجيج اللغة الأخرى ف مختلف المجالات السيادية يسجل استمرار الاختلال في الواقع الجزائري.

---

[1]-نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 1981م، ص ص 275-282.

[2]-المرجع نفسه، ص181.

[3]-عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي في الجزائر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971م. ص20-21.

[4]-مالك بن نبي، مشكلات الأفكار في العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر، 1992م، ص139.

[5]- نصت على ذلك المواثيق والدساتير الجزائرية في المادة الثالثة دائما ضمن المبادئ الأساسية للدولة الجزائرية.

[6]-Constitution, 1976, Op.Cit, P66 (Article 195).

[7]- دستور 1996م، المصدر السابق، ص43.

الفصل الرابع:

الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة بين النصوص الاشتراكية والتعددية

المبحث الأول: قراءة في التحول البديل إلى أين؟ وبيد من؟

المبحث الثاني: مسيرة ترسيم الاشتراكية في الجزائر تشريعا وتنفيذا

المبحث الثالث: التحول الجديد وخيار التعددية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من تحقيق الاستقلال لجمهورية جزائرية ديمقراطية اجتماعية ضمن إطار المبادئ الإسلامية إلى جمهوريـــة جزائرية شعبية ضمن مبادئ النظام الاشتراكي، هو ما استقلت عليه الجزائر، حقيقة جديـــدة كرســـتها نصوص الجزائر الرسمية بداية من دستور 1963م، وحتى الميثاق الوطني لسنة 1986م مـــتى بدأ هذا التحول؟ وما هي قراءة الخطاب الجديد أثناء الثورة المباركة وما بعدها قبل تحول الجزائر المستقلة إلى النظام الديمقراطي في تسعينيات القرن المنصرم؟

المبحث الأول: قراءة في التحول البديل إلى أين؟ وبيد من؟

المطلب الأول: خطاب جديد لما بعد الاستقلال

فقد كان الهدف المحوري لجبهة التحرير الوطني حين إعلان الجهاد ضد فرنسا هو استعادة الاستقلال الوطني، وحين حدد بيان أول نوفمبر 1954م الأهداف الأساسية لهذا الاستقلال حدد طبـــيعة الدولـــة الجزائـــرية المستقلة التي انخرط الشعب الجزائري في الجهاد من أجل تحقيقها بعد اســـتعادة هذا الاستقلال والتي ستكون «دولة ديمقراطية اجتماعية ذات سيادة ضمن إطار المبادئ الإســـلامية»[1]، وهو ما تضمنته مختلف النصوص والقوانين الأساسية لجبهة التحرير الوطني التي جعلت من مبادئها العامة بصياغات قريبة منها: «إن هدف جبهة التحرير الوطني هو بناء جمهورية حرة ديمقراطية واجتماعية لا تكون متناقضة مع المبادئ الإسلامية»[2].

وهذا يعني ارتباط خصوصيات الدولة الجزائرية المرتقبة «بإطار مرجعي وحضاري وتاريخي وحيد وهو مبادئ الإسلام وحده لأنه الأصل والباقي فروع له»[3]. وأهم ما يفهم من هذا المعنى تحديدا:

أ-هـــو استبعاد المفهوم الفرنسي للجمهورية التي قامت بعد نزاع مرير ومروع مع الكنيسة لتزيح الأثر الديني من الحياة العامة.

ب-هو أن الجمهورية المستقلة لن تكون دولة شيوعية ولا دولة لائكية دينها الإسلام.

---

[1]-المادة الأولى من بيان أول نوفمبر 1954م.

[2]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962م) حزب جبهة التحرير الوطني، الأمانة الدائمة للجنة المركزية، نشر وتوزيع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين، ص101.

[3]-الحسن بركة، مبادؤنا بين جموح الساسة وحيار الشعب، دار الشهاب، باتنة، 1992م، ص16.

عـــلى هـــذا قامت ثورة التحرير المباركة، ولتحقيق هذا الهدف حضنها الشعب وقدّم في سبيله أغلى الأثمان، وقد كانت مبادئ جبهة التحرير الوطني حينها بقيادة جيش التحرير الوطني في أساسها كما يؤكد "أحمد بن بيلا" مرتبطة بالثقافة الإسلامية، «مثلا الذين كانوا يشربون الكحول غـــير مسموح لهم بالالتحاق بالجبهة والذين لا يصلون غير مسموح لهم تحمل مسؤوليات عليا في الحركة وبالتالي فإنّ قادة ثورة نوفمبر 1954م كانوا مسلمين مصلين»[1].

وأكد "ميثاق جبهة تحرير الجزائر" المعلن بالقاهرة في 1955/1/17م بالنص على:

1-الجزائـــر عربية الجنس مسلمة العقيدة، فهي بالإسلام والعروبة كانت، وعلى الإسلام والعـــروبة تعـــيش، وهي في ذلك تحترم سائر الأديان والمعتقدات والأجناس وتشهر بسائر النظم العنصرية الاستعمارية.

2-الجزائـــر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير، وأن اتجاهها إلى العروبة وتعاونها مع الشعوب والحكومات والجامعة العربية أمر طبيعي.

وقـــد وقـــع هـــذا الميثاق عن جبهة التحرير كل من "أحمد بن بلا" و"حسين آيت أحمد" و"محمـــد خيضـــر"، وعن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كل من "الشيخ البشير الإبراهيمي" و"الفضيل الورتلاني"[2].

وإذا كـــان بـــيان أول نوفمبر 1954م قد حدّد مواصفات وخصوصيات وطبيعة الدولة الجزائـــرية المســـتقلة فإن نصوص الحركة الوطنية لم تبت فيها نهائيا وعلى العكس من ذلك، فقد أثبتـــت الســـنوات القلـــيلة اللاحقة أن هذه المواصفات قد أخضعت للمراجعة والتغيير لتوضع مواصـــفات أخرى بديلة عنها ولتحدّد مهام جديدة للاستقلال، على أن هذه المراجعة والتغيير لم تتم مع مناقشة "مشروع طرابلس" كما ذهب إلى ذلك "الحسن بركة" والذي وصفه «بالنكوص عن المبادئ والتوجهات عقب توقيف إطلاق النار مباشرة»[3]، وإنما يعود إلى "مؤتمر الصومام" أي بعـــد عشرين شهرا فقط من انطلاق ثورة التحرير المباركة، وذلك في 20 أوت 1956م ومما جاء في البيان مثلا مايلي:

---

[1]-Ahmed Ben Bella, Itinéraire, édition El-Wahda, Beyrouth, 1985, P.174.

[2]-انظر: تفصيل ذلك في: محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 1994م، ص ص37-39.

[3]-الحسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص15.

«إن الثورة كفاح وطني يهدف إلى تحطيم حكم الاستعمار الفوضوي وليست بحرب دينية إنها سير إلى الأمام في الاتجاه التاريخي للإنسانية وليست برجوع إلى النظام الإقطاعي...

الحاصـــل أنها كفاح في سبيل نهضة دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية واجتماعية وليســـت في ســـبيل إعادة حكم ملكي أو حكم قائم على ما يعبّر عنه باللاهوتية وتلك نظم قد اضمحلت ودالت دولتها»[1].

ومقارنـــة هذه الفقرة مع بيان أول نوفمبر 1954م يجعلنا نلاحظ أن الفقرة الخاصة بدور الإسلام في الدولة الجزائرية المستقلة قد حذفت وعلاوة على ذلك فإن طبيعة لا دينية الثورة قد تم تأكيدها، ويذكر "محمد حربي" أن "برنامج الصومام" كان يحمل بصمات محرّره "عمار أو زقان" الكاتب العام للحزب الشيوعي الجزائري سابقا[2].

وقـــد تم تأكيد هذا التغيير في برنامج طرابلس الذي حمل عنوان "مشروع برنامج لتحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية"، والذي صادق عليه بالإجماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس في جـــوان 1962م، أي بعـــد توقـــيف إطلاق النار الذي تقرر في 19 مارس 1962م بعد نهاية المفاوضات مع فرنسا.

وتفـــيد قراءة هذا البرنامج ملاحظة الشحنة الإيديولوجية العارمة التي كتب بها ليس فقط عـــلى مســـتوى المصطلحات وإنما على مستوى ما سماه البرنامج بالخط العقائدي الجديد مرجعية واستشـــرافا بما يقطع الصلة بين معين الثقافة العربية الإسلامية وروح ثورة التحرير الوطني. كما فصـــلنا ســـابقا فقد تغيّر الجهاد إلى الكفاح والنضال، وتعيّر الشعب الجزائري إلى طبقة الفلاحين والعمـــال والـــبروليتاريا والمناضلين الثوريين[3]، والطليعة الثورية، بالإضافة إلى المصطلحات التي كانـــت رائجة في سوق الأفكار السياسية والاقتصادية الدولية منذ ما قبل ستينيات القرن المنصرم مـــع المد الشيوعي والاشتراكي مثل: الإيمان الثوري، الوعي الثوري، الروح الإقطاعية، الرجعية، الإمبريالية، البورجوازية الطلائع الثورية، المثقف الثوري، الحتمية التاريخية...

---

[1]-النصـــوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1945-1962م)، المصدر السابق، ص12. وقد حمل البيان عنوان: لضمان انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال الوطني. انظر: المصدر نفسه، ص7.

[2]-Mohamed Harbi, le FLN, Mirage et réalité, des origines à la prise du pouvoir, Paris, Jeune, Afrique, 1980, P25.

[3]-انظر: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1945-1962م)، المصدر السابق، ص72.

وعـــلاوة على لغة "برنامج طرابلس" وأسلوبه فإنّ أهميته تكمن في أن أول دستور للجزائر الذي صدر في 1963م قد صيغ على نهجه بإضافة مهام جديدة كما سنعرض إليه فيما يلي.

المطلب الثاني: برنامج طرابلس... الانقلاب العقائدي الحتمي...

فقد قدّم "برنامج طرابلس" قراءة جديدة لثورة التحرير الجزائرية بتصور اشتراكي بحت مع تبنيه لمفهوم وموقف الشيوعية من الأديان، لكن أيضا قدّم قراءة جديدة للتاريخ الجزائري وتاريخ المغرب العربي وحتى تاريخ الشعوب الإسلامية عامة في كل من إفريقيا وآسيا ضمن ذات المنظور، فـــالوعي العقـــائدي في "برنامج طرابلس" هو "الإيديولوجية الاشتراكية" التي طرحها بديلا عن العقيدة الإسلامية بين شعوب إسلامية الروح والعقيدة والحياة وجعلها محور لمهام الثورة المستمرة لخلـــق مجتمع جديد، وفي المقابل محور القضاء نهائيا لما وصفه «بمخلفات الإقطاع المعادية للوطن والمجتمع ولمصلحة الشعب».

وارتبط ذكر الإسلام في برنامج طرابلس بالإقطاع والبورجوازية، والعهد البائد، والسلطة البالـــية وطريقة العيش البالية، أما الجهاد فهو مجرد تهويس وغلو، والشهادة فهي نزعة رومانطقية تافهـــة وتضخيم للبطولات...، وكما برّر برنامج طرابلس مهمّة الكفاح وضرورة القضاء على الإقطـــاع الاستعماري بإدارته وسلطته الفرنسية برّر القضاء على الإقطاع الآخر لضمان الانتصار الكامل للثورة؛ جاء في فقرات البرنامج:

«...فالروح الإقطاعية في البلاد الإفريقية والآسيوية بقية من بقايا عهد تاريخي بائد، تتمثل في أشكال مختلفة حتى في الثورات الشعبية التي ينقصها الوعي العقائدي...

...وزيـــادة عـــلى الروح الإقطاعي التي طالما صيغت بها حياة المغرب منذ انتهاء القرون الوســـطى في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، والتي عجزت جبهة التحرير عن اجتناب جذورها، فإنّه يمكننا أن نلاحظ أثرا من آثارها، وهي نزعة الحكم والتظاهر بروح الأبوية المترفعة، وهي نزعة تشكل عنصر تعطيل حقيقي للتكوين السياسي وللمبادرة الواعية الخلاّقة عند المناضـــل والمواطـــن وهـــي تتمثل في نوع من السلطة البالية المتصفة بعطف زائف مناف للروح الشـــعبية، ومن شأنه أن يحدث مفهوما صبيانيا للمسؤولية... وهكذا أصبحت الثورية والوطنية مجـــرد تهويـــس ومواقف مضطربة تتصف بالغلو وتنجم عنها نزعة رومانطيقية تافهة وميول غير سليمة إلى تضخيم البطولات...» [1].

[1]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص61.

وانـــتقد "بـــرنامج طرابلس" ما سماه بالفقر الإيديولوجي لجبهة التحرير الوطني وجعله من نتائج العقلية الإقطاعية ونفسية البورجوازية والتي عجزت الجبهة عن اجتنابه، ومن ثم دعاها إلى أن «تعـــي أنّ مفهـــوم المسؤولية المتطرفة وعدم المقاييس الصحيحة وانعدام الثقافة السياسية هي التي تساعد على خلق الروح الإقطاعية أو على بعثها من جديد»[1]، ولذلك حمل البرنامج على عاتقه ما وصفه «بقلب تيار الثورة وتنظيم القوى المعارضة على ضوء التمييز الإيديولوجي وبخطة طويلة المدى تتجاوز إيجابيا الهدف الوحيد المسجّل في البرنامج التقليدي للحركة الوطنية، وهو الاستقلال إلى نظـــرة انقلابـــية تلقائـــية تســـتكمل في نفس الوقت وبطريقة حتمية لا رجعة فيها بالبحث واستكشـــاف نظم جديدة و أساليب جديدة للتعليم و العمل و بكلمة مختصرة بعملية تسلسل من التحولات المستمرة تشكل تيار الثورة نفسه»[2].

المطلب الثالث: حتى ثورة التحرير المباركة...مراجعة جذرية

و قـــد أخضـــع "بـــرنامج طرابلس" ثورة التحرير إلى مراجعة جذرية حتى على المستوى اللغوي، فكلمة الثورة «قد استعملت طويلا في أشكال عديدة بعيدا عن كل محتوى دقيق، وعلى الـــرغم من أن حماس الجماهير الشعبية قد أعطاها فطريا معنى يتعدى حرب التحرير نفسها، فقد بقـــي معـــناها ناقصـــا طيلة حرب التحرير و حتى نهايتها و يتمثل هذا النقص في غياب "الخط العقائدي"[3] ولذلك فأول مهام الثورة بعد الاستقلال كما يقرّر البرنامج هو استمرارها على هذا الصعيد بالذات و بدون تأخير.

وبين غموض معنى "الفطرة" وغياب "الخط العقائدي" في ثورة التحرير سواء على مستوى الجمـــاهير وعلاقـــتها الوثيقة بالثقافة العربية الإسلامية من جهة و مضمون الخط العقائدي الذي تكشـــف عنه مختلف فقرات نص البرنامج تأتي المراجعة الجذرية لمنطلقات الثورة و تقويم نتائجها ومهامها المنجزة و التي لا تزال ملحة في مرحلة ما بعد الاستقلال لتصبح أهدافها جديدة فتقرأ في نص البرنامج:

أ- «الـــثورة الجزائرية ليست وليدة الفكر المجرد أو الصيغ النظرية بل إنها وليدة ضرورة تاريخية

---

[1]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق،ص60.

[2]-المصدر نفسه، ص 59.

[3]-المصدر نفسه، ص 70.

حتمية تحكمها الحركة الموضوعية لكفاح التحرير الوطني.

ب- أن الثورة الجزائرية هي ثورة على الإقطاع و طريقة العيش البائدة، و الإقطاع هو مفهوم للمجتمع يتناسب مع حقبة من تطور تاريخ الإنسانية و يقوم على تعميم الجهل و استغلال الشعور الديني بالخرافات و الأعمال الباطلة، و يعتمد على مبدأ السلطة التحكمية و الدينية و هو مصدر للظلم و له شكل طفيلي حاد، و هو يعمل بهذين المظهرين على دوام هياكل و مفاهيم تعدّاها الزمن....

وإذا كان الشعب الجزائري قد استطاع في إطار كفاح التحرير أن يسدّد الضربة القاضية لهذا الإقطاع بصفته منظمة إدارية و دينية فإن بقاياه العقائدية لا تزال حية في سياق قيم اجتماعية ثقافية ودينية متدهورة هي الأخرى، و هي تشكل عقبة في طريق التقدم و تحرير الإنسان و من ثم فإنه من واجب الثورة أن تصفي نهائيا مخلّفات الإقطاع المعادية للوطن و المجتمع»[1].

وتجدر الإشارة إلى شيوع استخدام "برنامج طرابلس" لمصطلح الحركة الشعبية، و حركة الجماهير بدلا من ثورة التحرير و أن مصطلح الثورة فيه مرتبط أساسا بالتصور الاشتراكي المتمثل في الثورة على الإقطاع، والتكوين الثوري و الثقافة الثورية، و المناضل الثوري الذي تستمر مهمته بعد استعادة الاستقلال الوطني من أجل التغيير الثوري -الجذري- للمجتمع و من ثم فأهم نتائج الحركة الشعبية كما يقول "برنامج طرابلس" هو «ليس ما حدّده بيان أول نوفمبر و هو استعادة الاستقلال وإنما هو تجاوز هذا الهدف إلى هدف أبعد وهو الثورة التي مدّدت الوعي الجزئي إلى وعي جماعي في اتجاه التغيير الجذري للمجتمع»[2] عبر الثورة الاقتصادية والاجتماعية و عليه بات من الواجب أن يترك الكفاح المسلح المكان للمعركة العقائدية من أجل تشييد دولة حديثة على أسس ديمقراطية مضادة للإمبرالية و معادية للإقطاعية «و هو ما يصفه البرنامج في فقرة أخرى "بالتشييد الواعي للبلاد في إطار مبادئ الإشتراكية و سلطة في أيدي الشعب»[3].

و يحدد برنامج طرابلس المهام الأساسية الجديدة للثورة في مرحلة ما بعد الاستقلال ويقدم مفهومه لمضمونها الديمقراطي و الاجتماعي الذي ينطوي على:

---

(1)-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص69.

(2)-المصدر نفسه ، ص ص70-71.

(3)-المصدر نفسه، ص ص71.

- إعـــادة الـــنظر في كـــل قـــيم المجتمع بالإلغاء التام لكل الهياكل القديمة القائمة على السلطة التحكمية والدينية قبل الاحتلال و مخلفاتها.
- إقامة هياكل جديدة و مؤسسات من شأنها أن تعمل لفائدة تحرير الإنسان.
- إعادة القيم المكبوتة للوطن و المواطن و الممارسة الكاملة للحريات و ضمانها.
- تشييد دولة عصرية و تنظيم مجتمع ثوري بناء على مقاييس علمية نظريا و عمليا بروح بحث منهجي و مجهود تنقيب ملموس.
- إحلال روح المسؤولية و هي المظهر الأوفى للفكر الديمقراطي في أي مكان محل مبدأ السلطة الذي كان جوهره إقطاعيا و ميزته تسلطية[1].
- و تعمـــيقا للتوضيح في اتجاه التغيير الجذري للمجتمع و خلق المجتمع الجديد في الجزائر، يحذر الـــبرنامج مما يسميه بـــ«مغبّة النزعة الأخلاقية و هي نزعة الفكر المثالي و الصبياني التي تتمثل في تغـــيير المجتمع وحل مشكلاته باستعمال القيم الأخلاقية وحدها، إن في ذلك تصورا مخطئا ومشـــوها للعمل الثوري في مرحلته البناءة. إن غلبة النزعة الأخلاقية التي يدعو إليها البعض هـــي العذر السهل للعجز عن التأثير في الواقع الاجتماعي و تنظيمه تنظيما إيجابيا، فالمسيرة الصـــحيحة لهذا المجتمع هي التي تخلق شروط تطورها الجماعي بالرفض الجازم لكل أشكال النزعة الذاتية والقيم الأخلاقية الفردية والمواقف الجاهزة و المجانية...»[2].

المطلب الرابع: الطليعة الواعية؟! و صياغة المشروع الحضاري للجزائر المستقلة:

تحـــت عنوان "من أجل طليعة واعية" يجيب "برنامج طرابلس" على السؤال الجوهري عن من يتولى التشريع للجزائر المستقلة و الذي سماه بالتغيير الجذري للمجتمع الجزائري الجديد وبعبارة أخرى: من يتولى وضع المشروع الحضاري للجزائر المستقلة و يصوغ نظامها في جوانبه السياسية والاقتصـــادية والاجتماعـــية و الثقافية و الذي سيتم في ضوئه بناء الإنسان الجزائري الجديد وفق نســـق عقـــائدي معـــين –النســـق الإشتراكي، كما تتم في إطاره صياغة المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية بما يحقق النظرة الجديدة للعالم التي يتبناها هذا المشروع[3].

---

[1]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص71.

[2]-المصدر نفسه، ص73.

[3]- اعـــتمدت تعريف المشروع الحضاري الذي قدمه: محمد خضر عريف، الخطاب العربي، سماته و خصائصه، دراسة تطبيقية تقابلية في حكم تحليل الخطاب، مؤتمر تحليل الخطاب العربي، جامعة فيلا دلفيا، عمان، الأردن، 1997م، ص2.

أمـــا الطليعة التي يصفها البرنامج "بالواعية" أو "الطليعة الثورية" أو "المثقفون الثوريون" في فقرات أخرى و التي تبقى هي نفسها مشروعا و هدفا يتعين على الثورة الديمقراطية الشعبية تحقيقه ضمن مهامها الجديدة فيما بعد الاستقلال، فقد حدّد البرنامج مهامها في الجزائر المستقلة في:

أ- تصفية مخلفات الأنظمة التي ولت بتبديد أنواع اللبس و الخرافات الديموغوجية...

ب- وضع فكر سياسي و اجتماعي يعكس بوفاء مطامح الجماهير في إطار الثورة الديمقراطية الشعبية و يتمثل هذا الفكر في خلق عقيدة جديدة ضمن المبادئ الاشتراكية إذ لا توجد عقيدة جاهزة –كما يقول البرنامج بل مجهود عقائدي متواصل و خلاق...

جـــ- إحداث تصور جديد للثقافة و التي ستكون ثقافة وطنية ثورية و علمية من جهة وثقافة نضالية شعبية من جهة أخرى تربط بين الجهد العقائدي للثورة الديمقراطية و بين المهام العملية واليومية التي يتطلبها تشييد البلاد[1].

وفي ضـــوء هـــذه المهام الثورية يؤكد "برنامج طرابلس" على إعطاء اللغة العربية كرامتها ونجاعـــتها كلغة حضارة بصفتها المعبّرة الحقيقية عن القيم الثقافية للجزائر، و في المقابل يحمل على ما يسميه بمخلفات الإقطاع و الخرافات المعادية للمجتمع و العادات الفكرية التقليدية. ويدعو إلى تخليص الإسلام من البدع و الأوهام التي خنقته و هزت جوهره، فإذا كان انتماء الجزائر يحق إلى الحضـــارة الإسلامية كبناء عملي للمجتمع –كما يؤكد البرنامج- فإنما كان ذلك يعود بمجهود إيجـــابي عـــلى صعيد الفعل والفكر معا أي على صعيد الاقتصاد و الثقافة. و أن عقلانية الحضارة الإســـلامية «و انفتاحها على الحضارات الأخرى خلق بينها تبادلا خصبا بمقاييس الخلق و التنظيم الفعـــال للقيم و الإسهامات التي جعلتها تشارك بدرجة كبيرة في التقدم الإنساني في الماضي و أنه يـــتعين الإنطـــلاق مـــن هذا الفهم ببذل الجهد على أسس ملموسة ووفق عملية منظمة تنظيما دقيقا[2].

و انطلاقا من مهمة التغيير الجذري للمجتمع الجزائري و بناء مجتمع ثوري جديد الذي لن يـــتم ســـوى بالـــرفض الجازم و الإلغاء التام لكل الهياكل القديمة الدينية التسلطية، الإدارية منها

---

[1]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص73-76.

[2]-المصدر نفسه، ص75.

والثقافية والتي تمتد إلى ما قبل الاحتلال....تتراوح صورة الإسلام في الصيغ التي يرفضها "برنامج طرابلس" ويدعو إلى تجاوزها و إلغائها و رفضها مثل القيم الأخلاقية و المواقف الجاهزة المجانية، والفهم الصبياني للمسؤولية، وروح التهويل والعقائد الانتهازية...و رغم تأكيد البرنامج احترامه للقيم الأخلاقية فإنه في المقابل لا يقدم الطرق الكفيلة بتحرير الإسلام من كل تلك القائمة السلبية الطويلة من البدع و الأوهام التي حرفته وهزت جوهره كما لم يشر في أي فقرة منه إلى موقع الإسلام في توجيه الجزائر المستقلة شعبا وحضارة ومستقبلا.

إن أهم خلاصة لـ"برنامج طرابلس" هو التأكيد على أنه لا توجد عقيدة جاهزة، و أن مهمة الثورة في الجزائر المستقلة هو مجهود عقائدي متواصل و خلاق و مجهود تنقيب ملموس بناء على المواقف الملموسة و متطلبات التشييد في ظل خيار المبادئ الإشتراكية.

لكن تبقى هناك قائمة من الأسئلة المشروعة تطرح نفسها بإلحاح على فقرات البرنامج الذي أشاد في خاتمته «بقدرة الشعب الجزائري الكبيرة على مسايرة العصر دون قطع الصلة بماضيه»[1] فكيف يكون هذا الماضي عنصر فخر –على الأقل- لهذا الشعب و أحياله المتلاحقة إذا كان هذا البرنامج يقر بأن «الحنين إلى الماضي يكون مرادفا للعجز والبلبلة...»[2] و أن مهمة الثورة و نجاحها في الجزائر المستقلة يكمن في "تصفية مخلفات الأنظمة التي ولت بتبديد أنواع اللبس و الخرافات الديماغوجية»[3] وإذا كان صناع أول نوفمبر قد تخرجوا من مدرسة هذا الماضي، و قدموا للثورة و للجزائر أرواحهم باسم هذا الماضي رغبة في الشهادة في سبيل الله و في سبيل الوطن و نيل صفة المجاهد الخالد بشهادة القرآن العظيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ...﴾[4].

ومن ناحية أخرى إذا كانت الثورة الديمقراطية الشعبية قد رسمت، و مهام الطليعة الثورية قد حددت فمن تكون هذه الطليعة الواعية التي يقول البرنامج أنها ستنحدر من الفلاحين والعمال، ألم يكن هؤلاء الفلاحين و العمال و هم الشعب الجزائري حطب الثورة و ورمادها والذين

---

[1]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص 76.

[2]-المصدر نفسه، ص75.

[3]- المصدر نفسه، ص76.

[4]-آل عمران، 169.

تخرجوا من مدرسة الماضي وروحانيته و أخلاقه و بطولاته؟

ومـــن ســـيتولى تكوين هذه الطليعة اللغز التي ستتولى هي نفسها صياغة مستقبل الجزائر عقـــيدة وثقافـــة و حضـــارة؟ و التي سيكون الشعب حطبها هذه المرة في المسيرة الحتمية للتغيير الجـــذري و التشييد الجديد الواعي... في ظل خيار الاشتراكية التي يقرر البرنامج «بأنه لا رجعة فيه...»[1].

ويبقى السؤال الأكبر عن ما هي العلاقة بين صناع الاستقلال و صناع المستقبل في الجزائر المستقلة؟ و من خوّل لصناع المستقبل للاستئثار بمهمة تقرير المصير الحضاري للشعب الجزائري؟

[1]-النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، المصدر السابق، ص71.

المبحث الثاني: مسيرة ترسيم الاشتراكية في الجزائر تشريعا وتنفيذا

إذا كان "برنامج طرابلس" لا يجيب عن هذه الأسئلة و غيرها المشروعة حضاريا وسياسيا...، فلعل نصوص الجزائر الرسمية اللاحقة ستتولى ذلك. فقد عرفت الجزائر منذ استقلالها ثلاثة دساتير و خمسة تعديلات دستورية، كما شهدت في ظل النظام الواحد تجربتين أساسيتين هما تجربة النظام الاشتراكي ثم تجربة التحول إلى النظام الديمقراطي دستور 1963م.

المطلب الأول: من دستور 1963م إلى التصحيح الثوري في 1965م

1-دستور 1963م:

يعد الدستور الذي صدر في سبتمبر 1963م أول دستور للجزائر المستقلة لكن المصادر تؤكد بأنه لم يستمر تطبيقه سوى أقل من شهر حيث أُلغي في 3 أكتوبر 1963م«و عاشت الجزائر بدون دستور حتى صدر الدستور الثاني في جوان 1965م»[1]، كما يقول سامح راشد، والذي أصبح يعرف بالتصحيح الثوري.

ويفيد الرجوع إلى "الميثاق الوطني" لسنة 1976م أنه لم يعرض للحديث عن دستور1963م البتة بينما حصر ذلك فقط على "برنامج طرابلس" بما يؤكد أن هذا الأخير هو الدستور الأول - واقعيا- في الجزائر، و تؤكد ديباجة ميثاق 1976م «أن الخط السياسي الذي رسمه ذلك البرنامج لم يجد أثناء السنوات الثلاث الأولى للاستقلال مجالا للتطبيق فضلا عن الإثراء والتعميق مؤكدا على أن البرنامج «قد تعرض للتجميد و العرقلة إلى أن جاء تصحيح 19 جوان 1965م»[2] مما يؤكد من جهة أخرى أن "برنامج طرابلس" في الحقيقة كان بمثابة الدستور الأول الرسمي للجزائر المستقلة.

و لم يضف دستور 1963م جديدا على ما كان "برنامج طرابلس" قد قرّره، حيث حدد مبادئ الدولة الجزائرية تحت ذات العنوان في:

1- إن الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية.

---

[1]-سامح راشد، الأحزاب السياسية في الجزائر، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، 1997م، ص 9.

[2]- الميثاق الوطني 1976م، جبهة التحرير الوطني، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 14.

2- الإســـلام ديـــن الدولة الجزائرية، و تضمن الجمهورية الجزائرية لكل فرد احترام آرائه ومعتقداته و الممارسة الحرة لشعائره.

3- اللغة العربية هي اللغة الوطنية و الرسمية للدولة الجزائرية.

أمـــا مهام الدولة الجزائرية فلم يضف دستور 1963م جديدا عما حدده برنامج طرابلس أيضا وهي تشمل:

1- حماية الاستقلال الوطني.

2- ممارسة السلطة من طرف الشعب.

3- تشييد ديمقراطية اشتراكية.

وهذا يعني تكريس الخيار الاشتراكي المهمة الجديدة لأهداف الدولة الجزائرية التي لم يكن الرعيل الأول لثورة نوفمبر قد فكر فيها «إما لانشغاله باسترجاع السيادة الوطنية أولا كما يقول "الحسن بن بركة" أو لتحرجه من الأفكار الاشتراكية لارتباطها بمصدرها الشيوعي و هو ما يتنافى بالضرورة وخصوصيات المجتمع الجزائري المسلم»[1].

2-بيان 19 جوان 1965م:

ويعـــد الـــبعض الدستور الثاني للدولة الجزائرية رسميا رغم عدم تسميته بذلك وقد دشن مرحلة ثانية في جزائر ما بعد الاستقلال وعبر عن توجه سياسي أظهرت الأيام أنه تصحيح تاريخ وقد عرف من ثم بالتصحيح الثوري.

و نـــص بـــيان 19 جوان 1965م على إقامة دولة ديمقراطية و حدية تسيّرها قوانين تحترم الأخلاق و المثل العليا مع عدم إغفال الأسس الحضارية للأمة الأمر الذي سيضمن صيرورة الدولة الجزائرية واستمراريتها تحت الشرعية الشعبية.

وتجـــدر الإشارة إلى اللغة الصارمة لبيان 19 جوان للرد على ما سماه بسيناريوهات التداول على السلطة في الجزائر المستقلة بعيدا عن الشرعية الشعبية «فلا يمكن لأحد -كما يقول البيان- أن يهين الأمة أو يعتبر نبل الشعب غفلة و سذاجة» و نص بناء على ذلك على أن «النهوض بالمجتمع

---

[1]-حسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص 16.

لا يمكن أن يتم إلا بتمسكنا بمعتقداتنا واحترام تقاليد شعبنا الأصيلة و قيمه الخلقية و مثله العليا».

ومع ذلك تبقى كيفية التمسك بالمعتقدات و احترام التقاليد و القيم و المثل العليا غامضا نظـرا لغموض فهم المعتقدات و القيم من حيث موقعها في المشروع الحضاري للجزائر و هو ما نقف عليه في الدستور الثالث للجزائر.

المطلب الثاني: ميثاق ودستور الاشتراكية الجزائرية 1976م

أ-دستور 1976م

يعد دستور 1976م رسميا الدستور الثاني للجمهورية الجزائرية ذات السيادة، صدر في 22 نوفمبر 1976م، و انبثق عن مناقشات الميثاق الوطني الذي صدر في 5 جويلية 1976م بعد استفتاء 27 جوان من نفس السنة والذي يعد «المصدر الأسمى لسياسة الأمة و قوانين الدولة»[1].

وجـاء دسـتور 1976م ليختم مرحلة عرفت بالشرعية الثورية و ليدشن مرحلة جديدة سـتعرف بالشـرعية الدستورية، و تمت صياغتها على نسق الدساتير العالمية بمنهجية علمية مبوّبة ودقـيقة وتضـمن ثـلاث عناوين كبرى هي: المبادئ الأساسية لتنظيم المجتمع، تنظيم الحكم، وإجراءات مختلفة.

ويمكـن وصـف دسـتور 1976م بدستور الاشتراكية الجزائرية الذي يقرر استكمال التحول الجـذري و بصـورة نهائية نحو الإشتراكية للمجتمع الجزائري –المهمة التي بدأها منذ الاستقلال- ليـترجم مذهبيـتها في الجزائـر، و استراتيجية الدولة الجزائرية الاشتراكية التي ستكتسب بها بعدها التاريخي الحقيقي في هذا الاتجاه «و لينفذ كقانون أساسي للجمهورية» كما تقرره المادة 199 منه[2].

فقـد أضـافت المـادة الأولى لدستور 1976م الخيار الاشتراكي إلى خصوصيات الدولة الجزائرية التي حددتها النصوص السابقة للجمهورية الجزائرية، و نصت المادة الثانية أن الإسلام دين الدولة والمادة الثالثة على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، و فيم يخصّص الدستور فصلا كـاملا لتفصـيل مضـمون الاشتراكية و أهدافها في الجزائر و ذلك عبر 15 مادة تحت العنوان

---

[1]- الميثاق الوطني 1976م، المادة الأولى، ص 5.

[2]– Constitution 1976, Article 199, p.69.

محوري الأول منه: المبادئ الأساسية لتنظيم المجتمع بالإضافة إلى مواد كثيرة أخرى في بقية فصول يبقى قرار الإسلام دين الدولة رهن المادة الثانية دون شرح و تفصيل عدا بعض الإشارات في بعض المواد لا يخرج مضمونها عن المفهوم الاشتراكي.

فقد نصت المادة 10 على أن الاختيار الاشتراكي هو اختيار الشعب الذي لا رجعة فيه والذي كان قد عبر عنه بسيادة في الميثاق الوطني ليكون الطريق الأوحد القادر على استكمال الاستقلال الوطني»[1]، ومن ثم عدت الاشتراكية «تعميقا لثورة أول نوفمبر 1954م و ثمرتها المنطقية» لتجعل الثورة الجزائرية وهي هذه المرة ثورة البناء والتشييد في الجزائر المستقلة ثورة اشتراكية و هدفها القضاء على استغلال الإنسان للإنسان شعارها بالشعب و للشعب»[2].

أما المادة 11 «التي تحدد الوظيفة المحورية للاشتراكية في الجزائر فإنها تركز على النمو الاقتصادي المادي و تضمن دلالات ذات مغزى من حيث ارتباطها بالمفهوم الاشتراكي للدين من جهة و بالتالي بموقفها من صراع الثنائيات التي كانت محور الأدبيات السياسية و الفكرية المختلفة التي تجعل الإسلام أحد طرفي الصراع بالاسم أحيانا و بأوصاف توميء بها إليه في كونه غالبا في الطرف السلبي من هذا الصراع مما يبرر وجوب تجاهله أحيانا أو الدعوة إلى محاربته أحيانا أخرى مثل الماضي و الحاضر، و الرجعية و التقدمية، القديم والحديث، الدين والعلم، التفكير التقليدي و التفكير الحديث، و لذلك نلاحظ التأكيد على مصطلحات التقدم العلمي و التقني، التحرر، الإنسان الانفتاح، الوعي، المواطن الواعي.....

و في ضوء ذلك نقرأ المادة 11 التي تنص على أن الاشتراكية تضمن نمو الوطن، وتجعل من العمال و الفلاحين منتجين واعين و مسؤولين»[3] مع العلم أن مصطلح الوعي بالذات مرتبط بما يقابله في المفهوم الشيوعي للدين على أنه "أفيون الشعوب"[4] كما هو معروف بالإضافة إلى

---

[1]- Constitution 1976, Article 199, p.11.

[2]- Ibid, p.11

[3]-Ibid, Article 11, p.14.

[4]- وهي المقولة الشهيرة لـ"كارل ماركس " في حديثه عن الدين: «إن التعاسة الدينية هي في شطر منها تعبير عن التعاسة الواقعية، وهي من جهة أخرى احتجاج على التعاسة الواقعية، فالدين هو زفرة المخلوق المضطهد، روح عالم لا قلب له كما أنه روح الظروف الاجتماعية التي طرد منها الروح، إنه أفيون الشعوب. انظر: ماركس وإنجلز، حول الدين، ترجمة: زهير حكيم، ياسين الحافظ، دار الطليعة، بيروت، 1974م، ص34.

مفهـــوم المسؤولية الذي يقابله الفكر الصبياني، والطفولي و الخرافات، واللبس، و الجهل، الهوس وغيرها من العبارات التي كثر ورودها بشكل ملفت للانتباه في برنامج طرابلس، و ميثاق 1976م الذي انبثق منه الدستور.

ومن ثم فإن الثورة الاشتراكية ستركز محور نشاطها في تسريع ترقية الإنسان لشروط عيش تناســـب الحـــياة العصـــرية و إعطـــاء الجزائر قاعدة اجتماعية اقتصادية متحررة من الاستغلال والتخلف[1].

وتتولى المواد 13-14-15-16 تفصيل كيفيات تحقيق هذه المهام فيم يتعلق منها على وجه الخصوص بتحديد مفهوم الملكية العامة و تنظيمها و تسييرها[2].و الملكية بعبارة مستقلة «على أن الحـــق في المـــيراث مضمون»[3]. والميراث استدراك على نصوص الاشتراكية في الجزائر، لأنه بعد إسلامي محض وحق للمسلم في المجتمع الإسلامي.

ومـــن الثورات الثلاث التي تعتمد عليها الثورة الاشتراكية الجزائرية، سنركز على مضمون الثورة الثقافية باعتبار أن الثقافة تعكس قيم الأمة و مثلها العليا و تعبر عن الحاجات الروحية التي تترجم مختلف صور الحياة و السلوك و الأخلاق و قد تضمنتها المادة 19 عبر سبع نقاط هي:

1- تأكيد الهوية الوطنية و تسهيل النمو الثقافي.

2- رفع مستوى التعليم و القدرات التقنية للأمة.

3- اتـــباع نمـــوذج حياة ينسجم مع الأخلاق الإسلامية و مبادئ الثورة الاحتماعية كما يحددها الميثاق الوطني.

-وقد حظيت حملة "الدين أفيون الشعوب" باهتمام عالمي وتلقفتها الألسن تترعها من سياقها لتضعها في الواجهة، وبالرغم من التبريرات البراغماتية التي لجأت إليها الأحزاب الماركسية في الدول العربية، فقد حرص الأمناء العامون لبعض هذه الأحزاب على تدبـــيج خطابـــاتهم وتلوينها بالآيات القرآنية، بهدف الحد من تأثير هذا الشعار على الوسط الإسلامي الجماهيري، ولكن هذه الجمـــاهير كانـــت تدرك أن الصراع معها كان مضمر داخل الخطاب الماركسي. انظر: تركي علي الربيعو، الدين في الخطاب الماركســـي العـــربي، حـــدود الوضعانية الماركسية في منعطف الألف الثالث، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع94-95، حانفي 1992م، ص58.

[1]- Constitution 1976, Article 11, p.15.

[2]-Ibid, pp15-16.

[3]- Ibid, p17.

4- حـــث الجمـــاهير الشـــعبية ودفعهم و تنظيمهم للنضال من أجل التنمية الاجتماعية الاقتصادية للوطن و للدفاع عن مكتسبات الثورة الاشتراكية.

5- ضـــمان بعث الوعي الاجتماعي و الحركة الفعالة من أجل تغيير البنيات القديمة وغير العادلة في المجتمع.

6- محاربة الأفكار الاجتماعية و النضال ضد سلبيات البيروقراطية.

7- إدانة السلوك الإقطاعي و الجهوية و كل الانحرافات اللاثورية[1].

فقد ربطت كل عبارة بما يقابلها شرحا و تفصيلا بالشكل الذي ترجح فيه الكفة في كل مـــنها لصـــالح المضمون الاشتراكي ليطرح السؤال أين تبدأ الاشتراكية و أين تنتهي عندما يتعلق الأمر بنموذج حياة تنسجم مع الأخلاق الإسلامية أولا يربطها بالثورة الاجتماعية حسب المنظور الاشـــتراكي ثم تنظـــيم الجمـــاهير للدفاع عن مكتسبات الثورة الاشتراكية اجتماعيا واقتصاديا، وضمان بعث الوعي الجماهيري لتغيير البنيات القديمة و إدانة كل الانحرافات اللاثورية خاصة كما تـــنص المادة 27 بأن هدف الجزائر الاشتراكية هو التغيير الجذري للمجتمع ضمن مبادئ التنظيم الاشـــتراكي[2] و الـــتي تتولى المواد 29-30-31-32 تفصيلها وتتعلق في مجملها بالناحية المادية والاقتصادية عموما، أما المادة 33[3] تضيف الجديد وهو أن «الدولة معنية بضمان الحاجات المادية والروحية خاصة فيما يتعلق بضرورات الكرامة والأمن و تتلخص في تحرير المواطن من الاستغلال، و البطالة و المرض والجهل بالإضافة إلى حمايته خارج الوطن».

و فيم يتعلق بالحريات الأساسية للفرد و حقوق الإنسان و المواطن فقد تضمنتها المادة 39 الـــتي نصت على ضمانها و حددها في المساواة في الحقوق و الواجبات و منع التمييز على أساس خلفيات الجنس أو العرق أو العمل و تضيف المادة 53 عدم المساس بحرية الضمير و الرأي إلا أن هـــذه الحريات وغيرها مما نص عليه الدستور تسقط بموجب المادة 73 إذا ما تم استغلالها للإضرار بالدســـتور أو بالمصـــالح العليا للمجموعة الوطنية أو بحرية الشعب أو بالوحدة القطرية أو بالأمن الداخلي أو الخارجي للدولة أو بالثورة الاشتراكية.

[1]-Constitution 1976, Op cit , pp17-18.

[2]-Ibid, p20.

[3]-Ibid, p22.

وقـــد نصت مواد عديدة من الدستور على الدفاع عن الخيار الاشتراكي وحمايته واحترام المكتسبات الاشتراكية، فجعلتها إحدى واجبات المواطن في المادة 75 ثم هي من وظائف الحكم في الجزائر السياسية، التنفيذية والدستورية.

فمناضـــلوا حزب جبهة التحرير الوطني معنيون للعمل على تحقيق هدف واحد هو انتصار الاشـــتراكية في الوظيفة السياسية، وأن المهمة الأساسية لأعضاء المجلس الشعبي الوطني هو العمل على دعم الثورة الاشتراكية تشريعيا.

ومـــع ذلك تأتي الاشتراكية في الدرجة الثالثة ترتيبا بعد الإسلام في اليمين الدستوري التي يـــنص بعـــد القسم بالله العظيم على احترام وتعظيم الدين الإسلامي، احترام والدفاع عن الميثاق الوطـــني، والدســـتور وكل قوانين الجمهورية، واحترام الخيار الاشتراكي الذي لا رجعة فيه في الوظيفة التنفيذية للحكومة[1] وتنص المادة 195 في النهاية على منع أي مشروع لمراجعة الدستور المســـاس بالشـــكل الجمهوري للحكومة، بدين الدولة، بالخيار الاشتراكي، بالحريات الأساسية للإنسان والمواطن...[2]

لقـــد جعل دستور 1976م الخيار الاشتراكي لا رجعة فيه، ونصّ على حمايته والدفاع عنه وتجنـــيد الحزب والدولة والشعب للعمل على انتصاره عبر الثورات الثلاث وعلى كل المستويات لتحقيق التغيير الجذري للمجتمع ضمن المبادئ الاشتراكية.

ومما تجدر الإشارة إليه هو التأكيد على جانب التنمية المادية والاقتصادية للفرد والمجتمع، الذي يـــرهن كـــل شيء إليه حتى أن الحاجات الروحية التي يتعين على الدولة ضمانها يلخصها الدستور 1976م في ضرورات الكرامة والأمن، وذلك بتحريره من الاستغلال والبطالة والمرض والجهل.

وســـنعتمد على الميثاق الوطني لسنة 1976م في شرح وتفصيل ما قننه الدستور الذي كان قـــد انبـــثق عـــنه بحكم أن الميثاق الوطني «مصدر المرجعية الإيديولوجية والسياسية للمؤسسات والحـــزب والدولة على كل المستويات»، من جهة وهو أيضا: «الوسيلة المرجعية الأساسية لكل شرح لمواد الدستور»[3]، من جهة أخرى.

[1]–Constitution 1976, Op.cit, p43.

[2]-Ibid, p66.

[3]Ibid, P12.

ب-ميثاق 1976م:

تعرض مقدمة ميثاق 1976م قراءة حضارية و تاريخية للجزائر العربية المسلمة و الشعب الجزائري المسلم فقد «اتضحت معالم مصيره و سبل تطوره في إطار حضارة الإسلام التي حملت إلى البشرية رسالة دين و أخلاق و ثقافة»[1] ليكون «الإسلام أحد المقومات الأساسية لشخصيتنا»[2] التي «أخذت تتجلى تدريجيا منذ القرن الأول الهجري -السابع الميلادي- متمثلة في الوحدة الثقافية واللغوية و القيم الروحية، و في ضبط الشؤون الاقتصادية ضبطا محكما يعبّر عن إرادة قوية في الاستقلال والتمسك بالحرية»[3].

«و الفترات المختلفة كانت — يقول الميثاق- البوتقة التي انصهرت فيها العناصر البشرية وسلك الشعب فيها سبل الأخذ و العطاء و تفتحت معها العبقرية مما أدى إلى تأصيل الشخصية العربية الإسلامية لشعبنا و توضيح وعيه بمجاله الجغرافي»[4].

وقد تحصن الشعب الجزائري بالإسلام -كما يصفه الميثاق- «بدين النضال و الصرامة والعدل والمساواة و احتمى به في أحلك عهود السيطرة الاستعمارية و استمد منه تلك الطاقة المعنوية و القوة الروحية التي حفظته من الاستسلام لليأس وأتاحت له أسباب الانتصار»[5] وثبت كما يضيف «أن الإسلام كان الحصن المنيع الذي مكّن الجزائر من الصمود في وجه محاولات النيل من شخصيتها»[6].

بهذه الصورة المشرقة و الحقيقية قدّم ميثاق 1976م لتاريخ الجزائر المسلمة و الشعب الجزائري المسلم الذي تحرر بفضل الإسلام حصنه المنيع ضد اليأس و الاستسلام، ودين النضال والصرامة والعدل والمساواة، فلا ذكر للاشتراكية ولا علاقة لها بالشعب الجزائري و صناع ثورته العظيمة ولا علاقة له بها في صنع أمجاده و أبطاله و تاريخه، لكن الاشتراكية سيكون لها الكلمة

---

(1)- الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص24.

(2)- المصدر نفسه، ص 25.

(3)- المصدر نفسه، ص 23.

(4)- المصدر نفسه، ص 24.

(5)-المصدر نفسه، ص 25.

(6)-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل في مستقبل الجزائر فهي خيار منطقي، وطبيعي وحتمي لا رجعة فيه كما يقرر الميثاق ذلك استمرارا لما أقرته النصوص الرسمية السابقة للجزائر المستقلة.

ولبناء منطق هذا الخيار أكد ميثاق 1976م على الاستمرارية التاريخية التي انبثقت عنها ما سماه بالسلطة الثورية الحقيقية، فالمقاومة الشعبية الجزائرية التي توالت عبر السنين «أثبتت رغم تباين نتائجها استمرارية تاريخية رائعة» ومن ثم الاستمرارية الثورية التي تبلور من خلالها المفهوم التقدمي بمحتواه الاقتصادي والاجتماعي الذي يهدف إلى إقامة الاشتراكية. فتسلسل الوقائع الهامة عبر كفاح مسلح مرير كان حسب الميثاق «بوتقة ايديولوجية وجدت فيها الانطلاقة الوطنية امتدادها الطبيعي إلى تشييد الاشتراكية تأكيدا للصلة الجدلية الوثيقة بين الطبيعة الشعبية للنضال التحريري ضد الاستعمار والطابع الاشتراكي للمجتمع الجديد المزمع تشييده»[1].

والثورة الجزائرية التي تواصلت بعد حرب التحرير لهي مكسب عظيم للأمة و فترة مجيدة من تاريخها وفعلا بدأت الأمة الجزائرية بفضل الثورة –كما يقول الميثاق- تتحكم في الوسائل العملية الكفيلة بتحقيق تطور ضروري لمسايرة العصر و انتهاج الاشتراكية حتى تتحصن نهائيا ضد عودة مخاطر الماضي و أمراضه»[2].

فالاستمرارية الثورية في مفهوم الميثاق هي حركة تحويلية شاملة بمعنى تغيير جذري للمجتمع وتشييد مجتمع جديد بديلا عنه، والاستمرارية الوطنية هي الوفاء للذات بعيدا عن كل لبس، الذي يعرّفه الميثاق بالخلط بين التقاليد الجامدة المناهضة للرقي الاجتماعي و بين التقاليد الصارمة التي تتمثل فيها قيم النضال والتقدم ولذلك فإنه من الطبيعي أن تبذل ثورة تحريرية بعظمة الثورة التي شهدتها الجزائر جهودا هائلة للقضاء على ذلك اللبس، فالثورة الجزائرية رغم «وجهتها التقدمية تنطوي في نفس الوقت على نقاط ضعف و تحمل في تيارها نزعات محافظة و إغراءات بورجوازية و رواسب إقطاعية ورغبات أنانية وهنا يتفجر من أعماقها ما يعيدها إلى الطريق الصحيح ويرد إليها صفاءها الإيديولوجي و يزودها بالفعالية التصحيحية ليكون دليل وفاء للجهاز الفكري التحرري و ضمانا لنجاح البناء الاشتراكي»[3].

---

[1]-الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص 14.

[2]-المصدر نفسه، ص25.

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إن الـــربط بـــين جهـــاد الشعب الجزائري و تبني المبادئ الاشتراكية خيارا طبيعيا منطقيا وحتمـــيا في الوقت نفسه كنتيجة لذلك الجهاد لا يستوي تحليله مع الفقرات الأخرى من الميثاق الوطني فإذا كان الاستقلال يعني في أهم ما يعنيه للشعب الجزائري، استرجاع قيمه الثقافية المداسة و إنقـــاذ هويـــته القومية المهددة، كيف يستوي تحقيق هذه الأهداف المشروعة والمنطقية والمعاني السامية مع ما يؤكده الميثاق من ضرورة القضاء على النزعات المحافظة، والعادات المناهضة للرقي الاجـــتماعي، ومـــتاهات الماضـــي، ومخاطر الماضي وأمراضه، والتأويل الخاطئ للتقاليد، وتجاوز الوثـــنيات، ومحاربـــة الاقطاعية المرتزقة، و القوى الرجعية وهي مجموع الصور النمطية المتكررة بشـــكل ســـلبي لحصر ما بقي من الإسلام أو ما يتصل به فيها وإدراكا لهذا الغموض ينبّه ميثاق 1976م إلى نقطة هامة وهي.

وهي «أن الاشتراكية ليست دينا وإنما هي سلاح نظري و استراتيجي يأخذ بعين الاعتبار واقـــع كـــل شـــعب و يستلزم رفض كل تعصب مذهبي أو تزمت فكري»[1] الأمر الذي يزيد الغمـــوض ولا يزيله إذا لم يتم تحديد التعصب ضد من؟ وإلتزمت الفكري من طرف من؟ في دولة اســـتقلت بفضـــل فاتورة دم ثقيلة تعتبر أكثر ما تعبّر عنه التمسك بالحرية في تحديد خصوصيات شخصيتها كما تفعل أية دولة مستقلة ذات سيادة.

ومع ذلك يؤكد ميثاق 1976 «بأن الاشتراكية في الجزائر ليست اختيارا تعسفيا ولا نظاما مستوردا ألصق بجسم أمة خامد»[2] و أنها «لا تصدر عن أية فلسفة مادية ولا ترتبط بأي مفهوم مـــتحجر غريب عن عبقريتنا الوطنية» ومن جهة أخرى، إنما «هي مسيرة حية تضرب بجذورها في أعمـــاق الكفـــاح من أجل التحرير الوطني» و ترتبط ارتباطا وثيقا بالأمة الناهضة وبمصيرها، وأكثر من ذلك «فإن بناء الاشتراكية يتماشى مع ازدهار القيم الإسلامية»[3].

فـــإذا كان الإسلام في مفهومه الصحيح لا يربط بنوع من المصالح الخاصة ولا يخضع لأي كهنوت أو أية سلطة زمنية فلا يحق للاقطاعية و لا الرأسمالية بأن تتخذ الانتماء إليه ذريعة لخدمة

---

[1]-الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص 29.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-المصدر نفسه، ص28.

مصالحها وقضاء مآربها»[1].

ويدعو ميثاق 1976م في تبشيرية شرطية ليس فقط الشعب الجزائري و إنما العالم الإسلامي ككل إذا كان يريد «أن ينبعث من جديد أن يجتاز مرحلة الإصلاح ليخوض غمار الثورة الاجتماعية» التي لا يمكن أن تكون سوى ضمن المبادئ الاشتراكية فإن «أي محاولة جادة تهدف إلى إعادة بناء الفكر الإسلامي يجب أن تمتد حتما إلى تحوير بنية المجتمع تحويرا كاملا» حينها فقط «ستدرك الشعوب الإسلامية بأنها تقوم على أحسن وجه بما تفرضه العقيدة الإسلامية من واجبات» وهو «ما يجب أن تستوعبه كل الشعوب الإسلامية على ضوء القيم و التحولات الجارية في الحياة المعاصرة»[2].

والمحصّلة بعد هذا العرض، يصبح بناء الاشتراكية في الجزائر و في الوطن الإسلامي واجب إسلامي تفرضه العقيدة الإسلامية و بعبارة أخرى فإن الاشتراكية إذا لم تكن كما قال الميثاق، فإن الإسلام يفرض على الشعوب الإسلامية تجاوز الإصلاح وخوض الثورة الاجتماعية التي تعني التحرير الكامل للمجتمع على ضوء المبادئ الاشتراكية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية و الفكرية، وإذا كان الميثاق قد حذر من الاقطاعية والرأسمالية الجزائرية التي تتخذ من الدين ذريعة لتحقيق مصالحها وقضاء مآربها فإن الطليعة الثورية تجعل من الانتماء للإسلام يعني تماما بناء الاشتراكية و النضال المستمر لنجاحها وحمايتها هذه المرة ليس لأنها من الإسلام ولا لأنها واجب تفرضه العقيدة الإسلامية وإنما كما يقول الميثاق «لأنها مبادئ التنظيم الاجتماعي الأكثر عقلانية وعدالة وإنسانية»[3].

ومع صعوبة التعليق على ما ورد في الفقرة فللسائل أن يسأل: ما الذي أبقته الطليعة الثورية للدين الإسلامي من معاني الدين حتى يبقى دينا، وما الذي أبقته للاشتراكية حتى لا تصبح دينا خاصة حين نقرأ أنها «تعطي أولوية بالغة للحياة الروحية للإنسان في نطاق احترام حرية التفكير وحرية الضمير التي تكرسها الميثاق الوطني»[4] فتحديد الحياة الروحية في حرية التفكير وحرية

---

[1]-الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص26.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-المصدر نفسه، ص28.

[4]-المصدر نفسه، ص29.

الضـــمير مـــن جهة ثم تكريس هذه الحرية دون ضابط ديني شرعي، ينزع من العقيدة الإسلامية بصـــفتها الضـــابط الموجه في حياة المسلمين ما استلهم به منها شرعنة بناء الاشتراكية نفسها مما يستحيل معه هذه المرة أكثر القراءات حيادية و موضوعية.

ويقـــدم ميثاق 1976م إجابات إضافية حول عدد من الأسئلة المطروحة حول متى بدأت الاشـــتراكية في الجزائـــر فكـــرة وتوجهـــا ثم اختيار ثم بناء؟، ومن هي الطليعة الثورية صانعة الاشـــتراكية؟ ومـــن أيـــن تســـتلهم توجهها وفكرها ومسيرها؟ لكن الذي يهمنا من كل تلك الإجابـــات هو الإشارة إلى أن الاشتراكية الجزائرية تجربة فريدة من نوعها حيث أنها لا تستجيب للظـــروف التاريخـــية الطبيعية التي تكونت وظهرت فيها الاشتراكية نفسها و يتعلق الأمر بوجود طـــبقة كادحـــة تعاني من اضطهاد طبقتها الرأسمالية تكلل ثورتها عليها باستعادة الحقوق وعدالة الـــتوزيع و الملكية للثروات والملكية الجماعية للثروات الوطنية ولا وجود لهذه الطبقة في الشعب الجزائـــري الذي استعاد استقلاله وسيادته من استعمار أجنبي استيطاني وتهديمي واضطهادي وهو يتمسك بحريته و يطمح في بناء نفسه بجهود كل أبنائه.. والميثاق يفسر ذلك «بأن الطبقة الكادحة ليســـت دائمـــا هـــي الـــتي تقود القوى الاشتراكية في البلدان النامية لأنها ما تزال قليلة العدد أو لانعدامها في الواقع و إنما تقودها طليعة تتكون من مجموع المواطنين الذين يقومون بدور متزايد الأهمية و بالتالي فبروز الطبقة الكادحة رهن بتشييد الاشتراكية»[1] ولذلك يؤكد ميثاق 1976م على تحديد مفهوم الثورة في التغيير الجذري للمجتمع عبر الثورات الثلاث و على رأسها الثورة الثقافية الـــتي ســـتتولى صـــناعة "الإنســـان الجزائري الجديد" وتجعل منه «الصانع الحر الواعي للمجتمع الجديـــد»[2] «وإنســـانا بناء للاشتراكية»[3] «ومحنكا إيديولوجيا وسياسيا يدرك إدراكا سليما مواطـــن مصـــلحة الدولـــة الاشتراكية ويدافع عنها بكل حماس ويتفانى في أداء واجبه إلى درجة التضحية من أجل ترجمة مثلها العليا إلى واقع ملموس»[4] «ومقتنعا أن هذا هو أهم مثله العليا»[5] «ويســـاند بدون تحفظ الإجراءات الثورية للبلاد ويؤيد بقوة الإختيار الاشتراكي الذي يعبر عن

---

(1)-الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص 33

(2)-المصدر نفسه، ص 45.

(3)-المصدر نفسه، ص 89.

(4)-المصدر نفسه، ص 61.

(5)-المصدر نفسه، ص 58.

تطلعاته»[1] «وهو لن يقبل مجتمعا آخر غير المجتمع الاشتراكي»[2].

ولتكوين هذا الإنسان الاشتراكي المشروع يؤكد ميثاق 76 أنه «من باب التناقض في بلد ثوري في عنفوان التحول، مقدم على بناء مجتمع في مبدع آخذ بأسباب التمدن العصري والتشييد المحكم لمجتمع اشتراكي، أن يستمر في معاناة نقائص وآفات منهج من التفكير يتعارض مع مطامحه المشروعة»[3] ومن ثم فمهمة الاشتراكية التي ستترجم الثورة بصرامتها ستهدف إلى «تصفية بنيات ما قبل الرأسمالية بكل جوانبها العتيقة و البالية والرجعية التي تعمل على إبقاء أنماط معينة من العيش وتحافظ على العقليات المتخلفة المتسببة فيها وليس فقط القضاء على كل هذه الرواسب وإنما العمل على الحيلولة دون عودتها فالأمر أساسا يتعلق بجعل الإنسان الجزائري مواطنا واعيا في أمة عصرية»[4] !

ومن خلال هذه الفقرات نقرأ إجابات أكثر مما نطرح من أسئلة لكن هذه الإجابات تبتعد عن مبادئ أول نوفمبر وصناعه، وعن مضمون ثورة التحرير المباركة وعن معاني الاستقلال وعن معاني الحرية التي يتمسك بها الشعب الجزائري كما يقر بذلك الميثاق.

ومع أن عمر الاشتراكية في الجزائر يبدأ من نهاية ثورة التحرير المباركة إذ أن الاتجاه إلى الاختيار الاشتراكي –كما يقول الميثاق– قد تجلى بصفة خاصة قبيل الاستقلال»[5] ومع أن الاشتراكية قد ظهرت في تصرفات وأفكار بعض مناضلي جبهة التحرير الوطني كما أقره ميثاق 76م وبرنامج طرابلس قبله كما بينا سابقا فهذا يعني أن الفكرة والاختيار الاشتراكي لا يزيد عمره عن أكثر من عقد من الزمن حينها إلا أن فقرات الميثاق وتحليلاته كلها قد أضفت عليه أوصافا كثيرة هدفت أكثر ما هدفت إليه إلى إضفاء صفة التاريخية وخاصة صفة الأصالة ليس فقط في إعادة القراءة التاريخية والحضارية للشعب والمجتمع الجزائري وإنما لتبرير على الرغم من أنه خيار الساعات الأخيرة –شرعية التمسك به بل وجعله الخيار الحتمي، ومزاحمة عناصر الهوية الوطنية

---

[1]-الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص52.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص35.

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-المصدر نفسه، ص 18.

التي أقرتها مبادئ نوفمبر العظيم.

فـــنقرأ مثلا «أن الثورة الاشتراكية في الجزائر ثورة أصيلة تربط الحاضر بالماضي وتتجه نحو المســـتقبل»[1] ونقرأ: «إن الثورة الاشتراكية ليست غريبة عن الأمة بل تشاد معها وتمتزج بنموها العضـــوي وإن مستقبل الثورة الاشتراكية مرهون أكثر فأكثر بالفكر الوطني الخلاق الذي يتحول بصـــفة جدلية إلى فكر اشتراكي وهكذا فإن كل ثورة لا تكون اشتراكية إلا بعد أن تكون أولا وقـــبل كـــل شـــيء وطنـــية، كمـــا أن كل ثورة وطنية حقيقية لابد أن تفضي بالضرورة إلى الاشتراكية»[2].

وبعد التحول من الفكر الوطني إلى الفكر الاشتراكي سيصبح الفكران متطابقان ولا يمكن الفصل بينهما...يقول الميثاق «وقد أصبح من المستحيل اليوم الفصل بين ما يعود للتشييد الوطني وما يعود للتشييد الاشتراكي و هذان المفهومان يتطابقان اليوم أكثر من أي وقت مضى...»[3].

ومـــع اســـتحالة الانصهار بين المفهومين الذي تأباه مختلف القواميس ناهيك عن التطابق واقعـــيا وتاريخـــيا وحضاريا فإن أصالة من هذا النوع على الأقل لا تجد لها موقعا من ناحية البعد الزمني الجزائري الذي به يمكن حسم الموقف نهائيا، وإذا أضفنا إلى ذلك فرادة التجربة الاشتراكية نفسها في الجزائر من حيث اختلافها عن الثورة الاشتراكية كما فلسف لها أصحابها وكما ظهرت في دولهـــا وظروفها بانعدام الطبقة الكادحة مع تحميل هذا المصطلح من ثورة ونضال وضحايا و زمـــن طويل ضد طبقتها الرأسمالية الوطنية لا يمكن بأي حال من الأحوال إصباغ مصطلح الثورة عـــلى التجربة الاشتراكية الجزائرية لأن ما يسميه الميثاق –تجوزا- الطبقة الكادحة الجزائرية يؤكد أنها «موسومة منذ نشأتها بطابع الحرية ومندمجة منذ البداية في مجتمع يفتح لها آفاقا واسعة في إدارة شؤونه»[4].

ومن جهة أخرى فإن الفقرات الطويلة من الإشادة بالاشتراكية والدفاع عنها و الدعوة إلى حمايتها و عدم قبول غيرها ومحاربة كل ما يمكن عرقلة تطبيقها ذهبت بعيدا في إضفاء صفات لا

---

[1]-الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص 29.

[2]- المصدر نفسه، ص 34-35.

[3]- المصدر نفسه، ص 37.

[4]-المصدر نفسه، ص 34.

يمكـــن أن يوصف بها إلا الدين و قداسته، وبغض النظر عن قضية صحة تلك الصفات من عدمها واقعـــا ثم حقـــيقة ما ثبت فيما بعد بسقوطها المدوي عند أصحابها فإن الغرابة في التفسيرات و التبريرات غير المنطقية مما يمكن وصفه بالتعصب والتزمت الفكري وهو الأمر الذي تتهم به غيرها فحين نقرأ:

- إن الاشـــتراكية تمتاز على الأنظمة الاجتماعية السابقة بأنها أحدث مبادئ التنظيم الاجتماعي الأكثر عقلانية وعدالة و إنسانية»[1].
- «إن مـــا تشهده الاشتراكية اليوم من انتصار في كثير من البلدان لم يغير مصير مئات الملايين مـــن البشر فحسب بل أحدث وضعية دولية جديدة تتميز بانطلاق الكفاح من أجل التحرر الوطني وانتشار الفكر الاشتراكي في العالم»...
- «الاشتراكية تقدّم إجابة متناسقة لمشاكل العصر»[2].
- إن الاشـــتراكية أصـــبحت تراثا للإنسانية جمعاء و إن المسار التاريخي الآن....يشكل دليلا جديدا على حيوية الاشتراكية و عالميتها»[3].
- «إن تحقـــيق الاشتراكية من الضروري أن يكون مرفوقا بتحول فكري وأخلاقي عميق، ولا يمكن أن تؤمن مسيرة الثروة ما لم تكيّف الأخلاقيات الاشتراكية والسلوك الاشتراكي»[4].
- وعـــلما بصـــرامة الـــثورة و عـــزمها وحزمها في تحقيق أهدافها فيما يسميه الميثاق «بالبناء الأخلاقـــي الاشـــتراكي»، تنـــتقل المواقـــف من مجرد تعصب ايديولوجي إلى قضية «ولاء ايديولوجي» الذي يفرغ محتوى الارتباط بالأصول، لصالح «التكيف مع الحاضر و الانفتاح المـــتزايد عـــلى العالم المعاصر»[5] وعلى اعتماد أسلوب في الحياة ينسجم مع مبادئ الثورة الاشـــتراكية»[6] والـــتي تحسم التربية فيها نوعية الإنسان الجزائري و تجعل منه «إنسانا بناءا للاشتراكية»[7]، و من ثم تحكم على أصول الماضي بتأبيد البقاء فيه...لأن الأمر تتعلق –كما

---

[1]-الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص28.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 32.

[4]-الميثاق الوطني 1986م، للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص83.

[5]-المصدر نفسه، ص 85.

[6]-المصدر نفسه، ص 84.

[7]-المصدر نفسه، ص 89.

يقـــول الميثاق- بإعطاء الاشتراكية في بلادنا محتواها النظري والتطبيقي الملائم و هو ما وضع من أجله الميثاق الوطني»[1] فالقضية في النهاية هي أن الاستمرارية الثورية لا يمكن أن تتحقق ســـوى بالقطـــيعة مـــع الماضي. «بالسُموّ فوق الصراع الدائر بين كل من التفكير التقليدي والتفكير المعاصر»[2].

المطلب الثالث: ميثاق ودستور 1986م: بين رهان النصوص وقصور الاستجابة

يـــأتي ميـــثاق 9 فبراير 1986م تتويجا لنتائج استفتاء 16 جانفي 1986م بعد تجربة عملية يقـــول أنهـــا «تصلح أن تستخرج منها خلاصة نظرية ينبغي أن تضاف إلى الحصيلة التي تضمنها الميثاق الوطني التي تمت صياغته منذ عشر سنوات» من جهة وبوصفها «نتيجة للتحليل الموضوعي للواقع الوطني الجديد»[3].

وفي إطـــار هذه التجربة ثبت «أن المنجزات التي تحققت لم تخل من نقص شأن كل عمل بشـــري»[4] وحرصـــا من القيادة السياسية المنبثقة عن المؤتمر الرابع لجبهة التحرير الوطني «على تدارك جوانب النقص التي لوحظت في صياغة ميثاق 76» من جهة وبهدف «تجسيد التطابق بين مـــا يطمح إليه الشعب وما يتوفر لديه من إمكانيات» تكفلت بتقديم «التصحيحات المطلوبة، من تعميق المفاهيم و التوجيهات وإدخال التسويات و التصليحات الضرورية على ضوء ما يمنيه تطور الثورة في جميع الميادين و في إطار المبادئ التي أكدها الميثاق الوطني».

وجوانـــب النقص التي لوحظت لا تعني الخيار الاشتراكي نفسه و إنما المشاكل التي نجمت عـــن تطبيق المبادئ التي حددت و المشاريع التي خططت، وتولّدت عن التفاوت بين ما أنجز من أهـــداف اقتصـــادية و اجتماعية وما تحقق من أهداف ثقافية» وعليه فإن التصحيحات سوف لن تخـــرج عـــن «إطار التمسك بالثوابت و مراجعة التغييرات و التي تتمثل في تأمين بعدين أساسين -بقول الميثاق- أنه لابد منهما لكل حركة تريد أن تصل إلى مداها دون انحراف و لا جمود وهما

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص 36.

[2]-المصدر نفسه، ص29.

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-المصدر نفسه، ص8.

بعـــد الاستمرارية و بعد التحديد و الإبداع»[1] فما هي جوانب النقص التي لوحظت؟ و ما هي أهم التصحيحات التي قدمها ميثاق 1986م؟.

ويذكـــر فقرات الميثاق الأسباب الحقيقية وراء عملية المراجعة والحاجة إلى التصحيح وهي «مواجهـــة العقـــبات و العراقيل التي أفرزها مسعى التنمية من جهة و الضغوط التي تسببت فيها هـــيكلة الاقتصاد العالمي من جهة أخرى»[2] و لذلك فسنلاحظ أن التسويات التي قدمت و إن كـــان الغرض منها هو تدارك النقص فيم تم من إجراءات و منجزات إلا أن غلبة صفة المراجعة و التصـــحيح وما عبّر عنه «بإدخال التسويات والتصليحات الضرورية وإجراء التصحيحات اللازمة لـــتعديل الاخـــتلالات الداخلية و الخارجية»[3] كانت ترمز أكثر إلى إرهاصات المراجعة المبدئية نفســـها وأعني بهذا الخيار الاشتراكي نفسه و هو ما عبرت عنه كثير من فقرات هذا الميثاق فقد جـــاء فـــيه: «لقـــد عرفت التجربة الثورية، مثل كثير من التجارب الكبرى في التاريخ عددا من الســـلبيات ساعد بفعل محيط جهوي وعالمي غير ملائم على توجيه الإنسان نحو إشباع احتياجاته المادية فقط، في حين أن الأمر في منظور الثورة الجزائرية لا يتعلق بتمكين المجتمع من قطف الثمار الاقتصادية الصرفة للتنمية فحسب، و لكنه يتعلق أيضا و على الخصوص بتحقيق توازن وانسجام بـــين الاحتـــياجات الماديـــة ومطالب الفكر والروح بصورة تساعد على تكوين مجتمع عارف بشخصيته معتد بماضيه و تراثه معتمد على ذاته وإمكانياته متوجه إلى مستقبله مستعين بربه»[4]

تلخص هذه الفقرة عمق المراجعة و تكبح جموح الشحنة الإيديولوجية التي صيغت بها فقرات ميـــثاق 76 فالثورة الاشتراكية تراث الإنسانية جمعاء و النظام الاشتراكي أكثر الأنظمة عقلانية و عدالـــة و إنسانية ... تصبح مجرد تجربة كغيرها من التجارب الإنسانية التي تم عنها السلبيات و الإختلالات و الأخطاء، وتسجل ضرورة توجه الموضوعية والتواضع للوقت الحاضر، وكذا المستقبل بعيدا عن الثقة المغالية في المبالغة والإصرار والتحدي، فالإنسان الصانع والبناء للاشتراكية، والرهان على المبادرات الخلاقة، والإنسان المبدع تحول إلى «العمل من أجل تكوين مجتمع عارف بشخصيته

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق ، ص9.

[2]-المصدر نفسه، ص28.

[3]- المصدر نفسه، ص29.

[4]-المصدر نفسه، ص36.

معتد بماضيه وتراثه معتمد على ذاته وإمكاناته متوجه إلى مستقبله مستعين بربه»[1].

وحسب فقرات الميثاق، فإن هذا التغيير قد حصل عبر عملية مراجعة ودراسة لكبريات القضايا والمشاريع والتدابير التي اتخذت لتطبيقها في كثير من ملفات التنمية وخاصة منها الملف الثقافي وسياسات التعليم والتكوين والشباب وسياسة تنظيم الأسرة وغيرها وأدت إليها:

أولا: ملاحظة غياب الانسجام الاجتماعي والذي نجمت عنه مظاهر التوتر والانحراف والضياع مما يدل على قلة أو غياب تهيئة الوسائل التي تضمن العناية بالجوانب المعنوية لحياة المواطن اليومية ومن ثم إيجاد التوازن النفسي والمعنوي لدى الفرد.

ثانيا: ما واجهته الجزائر خلال العشرية 76-86م «من مظاهر التواكل التي كانت في طريقها إلى أن تكتسي حجما مخيفا نظرا للتقدير غير السليم للأوضاع والتنظيم غير الدقيق للتسيير والتوزيع غير الواقعي للمسؤوليات»[2].

ثالثا: أن مسيرة التنمية ضمن المبادئ الاشتراكية «قد أفرزت أنماطا من السلوك تأثرت بمحيط بجانب الدين الصحيح، ويتنافى مع التقاليد والإيجابي من العادات، ويستعمل لغة مغالطة تعتبر ذلك مظهرا للحداثة والتعاطي مع العصر»، ويلتقى في هذا إدعاءان متطرفان يزعم أحدهما «أن الإسلام مجرد تاريخ مضى، وأن الدين لا علاقة له بالثورة ويحصر الثاني —الإسلام في مجموعة من الشكليات ويطالب الإنسان المسلم بالتزام عدد من المظاهر بعيدة عن الدين مثبطة لأعمال الفكر معادية للاجتهاد»[3].

ودون أن يعيّن الميثاق من يقف وراء هذا الإدعاء أو ذلك، فإنه يشير إلى «أن هناك أكثر من جهة تسعى إلى تحويل الصحوة الإسلامية إلى مجرد مد طقوسي سطحي بما تطرحه من المشاكل المفتعلة وجزئيات الشعائر»،والهدف من ذلك يفسره الميثاق بالخيبولة دون «أن تتضافر قوة الإسلام مع إرادة الانتصار على التخلف بكل ما يتولد عنه من زوال سلطان الذين يستمدون

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص36.

[2]-المصدر نفسه، ص28-29.

[3]-المصدر نفسه، ص37.

قومهم من انتشار الجهالة وتثبيت الجمود وتخدير العقول»[1].

وعـــلاوة على السلبيات الأخرى للتجربة الاشتراكية في الجزائر، والتوجه الجهوي والعالمي المادي غير الملائم فقد أصبح تدارك هذه المظاهر الاجتماعية والتوجهات الثقافية الغريبة من أوجب الواجبات ليس فقط تفاديا لتفاقمها وصعوبة السيطرة عليها فيما بعد، وإنما لإنجاح التجربة الثورية نفســـها في الجزائـــر والتي راهنت عليها مختلف النصوص الرسمية للجزائر المستقلة، فالقضية كما اتضـــح لنا لا تتعلق في تراجع عن الخيار الاشتراكي الذي أفرز الاتجاه المادي الذي بجانب الدين، وإنما تتعلق بمراجعة تؤكد النهج نفسه وترمم مآبه تضمن مسيرة الثورة الاشتراكية في الجزائر.

ولئن كانت مهمة المراجعة في شقها الأول تلتفت إلى الماضي وفي شقها الثاني والثالث تهتم، بالحاضـــر والمســـتقبل فإن مهمة التصحيح في جملتها فيما يبدو تسجل بذرة المصالحة التاريخية مع الذات الأصلية للجزائر مشوبة بالمسؤولية الحضارية أمام الأجيال اللاحقة، وهو ما نبيّنه فيما يلي:

أولا: الأسس التاريخية للمجتمع الجزائري: ويكمن جديد هذه القراءة في:

1 -أنها استجابة "لطلب القاعدة الشعبية بالتركيز على الجانب التاريخي في الصياغة الجديدة للميثاق الوطني.

2-أنهـــا اهتمت بمجموع التاريخ الجزائري من بداياته إلى غاية تدبيج الميثاق، وقد كشف ذلـــك عن ثوابت قال الميثاق بأنها «أصبحت من المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية، وهـــي ثوابت تفسر هذا التاريخ وتساعد على فهم أطواره»[2]، وتمكن الأجيال القادمة من معرفة ثوابـــتها فتتبين على بيّنة من أمرها تاريخها كله بما فيه من مواطن العظمة والقوة والنصر، وعوامل الضعف والهزيمة وأسباب التقهقر.

والأزمـــنة الموغلة في القدم التي تنطلق منها الدولة الجزائرية يبدؤها ميثاق 1986م بالدولة النوميدية التي كانت في مقاومة دائمة لتحرير الأرض وصدّ محاولات الاحتلال والغزو الأجنبي فلم تـــنعم بالاســـتقرار إلا قليلا، وقد استفادت من الثقافة البونيقية واليونانية لتطوير حضارة وطنية

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص37.

[2]-المصدر نفسه، ص7.

أصبحت لها سمعة خارجية ذات شأن أغرت بها الرومان لاحتلالها لتبدأ معركة التحرير من جديد، والـــتي لم تكن هذه المرة عسكرية فقط كما يقول الميثاق، وإنما اتخذت أيضا طابع الصمود الثقافي والمواجهة العقائدية.

لقد صيغت فقرات الميثاق في قراءتها التاريخية على شكل استنتاجات تعميمية وظفت أسماء بعينها أمثال ما صينيصا وسيفاقس ويوغرطا وتاكفاريناس وركزت على أبعاد خاصة من الصورة وخاصـــة البعد العقائدي، وبالمصطلح دون توضيح بالمقاومة العقائدية ضد الرومان، انتهت إلى ما قـــبل الإســـلام وكانت «تعبيرا واضحا عن تجسيد دعوة التحرر مع مطلب مواجهة الاستغلال ومحاربة التسلط بقوة المال»[1]، إشارة إلى محاربة الرأسمالية.

ومـــع قلة مصادر موثقة لمعلومات هذه المرحلة من تاريخ الجزائر[2] وعمومية الاستنتاجات الجاهزة فإن النتائج المفتوحة لجزائر ما قبل الإسلام تبرير استباقي لخيارات جزائر ما بعد الاستقلال –الخيار الاشتراكي– على أنه يمتد إلى عمق تاريخ الجزائر نفسه من جهة وإرهاصات لتوجيه قراءة المستقبل القريب للجزائر فيما بعد ميثاق 1986م من جهة أخرى.

وتـــبدأ دولة الجزائر الإسلامية التي وجد سكانها في الإسلام دعوة دينية وفكرية وسياسية واجتماعية، فأقبلوا عليه إقبالا منقطع النظير تختفي به كل المعتقدات الأخرى اختفاء كليا في أجل قصـــير، وضمن المغرب العربي الإسلامي وفي ظل حضارة الإسلام تتولد تركيبة بشرية منسجمة متماســـكة دينـــيا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا تكوّن وحدة كاملة لتواصل مسيرتها الحضارية التي كانت توقفت بسبب التسلط الروماني.

وتصـــبح الجزائر ضمن النظام العالمي الجديد الذي أحدثته ثورة الإسلام جزء لا يتجزأ من الوطـــن الإسلامي، ومع انتهاء الحكم المركزي للجزائر التابع لعاصمة الخلافة الإسلامية بالمشرق تـــبدأ الدولة الجزائرية التي يقوم بها حكم وطني إسلامي منفصل إداريا بعد أن اكتملت مقومات شخصيتها في ظل حضارة الإسلام "وأصبح الإسلام فيها المرجع والأساس لظهور القيم التي يقوم

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص13.

[2]-فيما عدا المراجع الأجنبية، والفرنسية تحديدا.

علـــيها إذكـــاء المشاعر والتأثير في الجماهير وصنع البطولات"[1]، فكانت الدولة الزيرية الحمادية والحكم الموحدي والدولة الزيانية وأخيرا الدولة الجزائرية في العهد العثماني التي سماها الميثاق كما قـــال "دون مـــبالغة بالدولة الجزائرية الحديثة بنظامها المستقل و هيئاتها المحددة التي اعتمدت على أســـطولها في تنظـــيم الجهـــاد البحري لصد الأطماع السياسية القوية وإحباط محاولات الصليبية الجديـــدة، ورغـــم انعدام القيادة السياسية القوية بها فلم يمنع من قيام مقاومة شعبية ذلك لأن" الإسلام كان عنصر تماسك احتماعي ومحرك صمود دائم وعامل تعبئة جماعية"[2]، وبعد الاحتلال الفرنســـي ستكون دولة الأمير عبد القادر كما يقول الميثاق الدولة العربية الإسلامية الوحيدة إليه انبثقـــت في العصر الحديث عن إرادة الشعب التي تشكل حكومة وتقيم مجلسها للشورى وتنظم الجـــيش وتؤســـس لصناعة حربية وطنية وتسك العملة وتضع نظاما تعليميا شاملا وتشكل نظام قضاء متكيف مع ظروف المقاومة، وتعقد المعاهدات..

ويقـــف الإسلام وراء الثورات الشعبية متمثلا في الصمود الثقافي ضد مشروع الاحتلال للقضاء على الشخصية الوطنية، فوحدة العقيدة الدينية والوحدة الثقافية المرتبطة في صياغة الخطاب السياســـي نقاط ارتكاز تغذت بها دعوة الجهاد وهو ما استخلصه منظروا الاحتلال فوضعوا خطة واســـعة لتنصـــير الجزائريين والقضاء على الشخصية الجزائرية من الأساس ومن ثم التهيئة لتحقيق سياسة الفرنسة والتجنيس والإدماج.

والإطـــار العام الذي اشتهر فيه محتوى الحركة الوطنية الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي قد انبعث في شكله السياسي المنظم معتمدا على مقومات الشخصية الجزائرية التي صهرها التاريخ في إطـــار جغرافي محدد بلغه القرآن وأرض الأجداد وروح الإسلام، وقد رفد المشروع الوطني في آن واحد من:

أ-خطـــاب سياســـي جذري ينتشر فكرة الاستقلال والانتقال بها من القول إلى العمل، ومن النظرية إلى التطبيق وقد تولاه حزب الشعب بهياكله وهيئاته.

ب-خطـــاب ديني جديد في أسلوبه إصلاحي في طرحه وطني في روحه يحارب الشعوذة ويحرر العقول من الخرافات وقد تولته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر نواديها ومدارسها التي

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص14.

[2]-المصدر نفسه، ص17.

حددت بها العهد بتدريس التاريخ بعيدا عن الأساطير وبصورة تعزز روح التعلّق بالوطن[1].

وقد كلل ذلك كله بثورة نوفمبر 1954م.

ثانيا: البعد الإسلامي للثورة الجزائرية:

لا تعني الثورة الجزائرية في هذا العنوان ثورة التحرير المباركة 1954م كما يتبادر للفهم مباشرة وإنما تعني الثورة الاشتراكية في الجزائر مع أن وصف الاشتراكية لم يضف للثورة سواء في العنوان أم في الفقرات التي تناوله بالشرح.

فالثورة الاشتراكية في الجزائر"إذا اعتمدت على مقومات الشخصية الوطنية وعلى توظيف التراث في نفس الوقت الذي وظفت فيه مكاسب العصر لتحقيق أهدافها، قد عبدت الطريق لتحقيق الانسجام بين الأصالة والمعاصرة"،

وأن "الثورة-الاشتراكية-الحقيقية تندرج تماما في المنظور التاريخي للإسلام لأنه في مفهومه الصحيح لا يرتبط بنوع من المصالح الخاصة ولا يخضع لأي كهنوت"[2].

أن الشعب الجزائري أكد في ساعات المحنة، وفترات الغزو الصليبي وسنوات الاحتلال الفرنسي مثلما أكد بعد استرجاعه للاستقلال وتحقيقه للنصر، أنه عربي الثقافة إسلامي الدين اشتراكي التوجه على هذا الأساس تتصرف الجزائر ويتصرف معها الآخرون وعلى هذا الأساس صيغت وثائق الحركة الوطنية وبياناتها قبل نوفمبر 1954م"[3]!

بهذا قرر ميثاق 1986م البعد الإسلامي للاشتراكية الجزائرية التي كانت أحد وجوه المقاومة للغزو الصليبي كما تقول والتي تمتد حتى إلى ما قبل نوفمبر 1954م نفسه وهو ما سنتوقف عنده.

فالثورة العظيمة الوحيدة التي أنجزها الشعب الجزائري، والتي صنعت مجده بين الشعوب واستحق بها احترامها في كل أصقاع الأرض، وما يزال هي ثورة نوفمبر 1954م التي وصفها ميثاق 1986م بحق بأنها كانت لحظة رائعة من لحظات تاريخ الجزائر ونبته كريمة تغذت بروح

---

(1)-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص21-22.

(2)-المصدر نفسه، ص34.

(3)-المصدر نفسه، ص35.

الإســـلام وتطـــوّرت ضمن مفاهيمه للعدالة والتحرر والتقدم «والذي كان نجاحها مثار اعتزاز ومضرب مثل ونموذج تحرّر»[1]، لكن ميثاق 1986م من جهة أخرى يجعل الخيار الاشتراكي الذي حـــدّد ميثاق طرابلس مفاهيمه ومنطلقاته «تتويجا لحركة من أروع حركات التاريخ التي جعلت التحربة الجزائرية من التجارب الرائدة في العالم الثالث»[2].

إن محاولة إلباس الاشتراكية مجد نوفمبر العظيم، بل ويتعداه كان يجب أن يحسب لها بعدها الـــتاريخي وإقناعها المنطقي فوثائق الحركة الوطنية وبياناتها قبل نوفمبر لم تتناول الاشتراكية أصلا، بدلـــيل بـــيان نوفمـــبر نفسه، وإذ حكم ميثاق 1986م بعدم أحقية من يعادي التحرر ويحارب الاشتراكية أن يتخذ من الانتماء للدين الإسلامي ذريعة لخدمة المصالح وقضاء المآرب، فكيف يجيز ذلـــك لمـــن يقـــرّر بأن الذي يسلك طريق الاشتراكية بكل حزم سيقوم بأحسن وجه بما تفرضه العقـــيدة الإسلامية من واجبات، ويكون قد قام بواجبه نحو ربه...»[3]، ليطرح مع ذلك حقيقة مفهوم الحرية من جهة ومعاني التحرر من أي كهنوت من جهة أخرى.

ومع ذلك يؤكد الميثاق عزم الثورة الجزائرية –الاشتراكية على أن تولي الإسلام ما يستحقه من عناية في مسعاها لتحقيق التنمية الوطنية وخاصة منها التنمية الثقافية.

ثالثا: الإسلام والمشروع الثقافي للجزائر

يـــتدارك ميثاق 1986م الحديث عن موقع الإسلام في المشروع الثقافي في الجزائر المستقلة ليس لأنه لم ينص عليه في المواثيق والدساتير الجزائرية السابقة بهذه الإشارة المستقلة كما ينص عليه في هـــذا الميـــثاق، وإنما للتحديات التي أفرزتها الأنماط السلوكية التي تأثرت بمحيط عالمي ومحلي بجانـــب الديـــن الصحيح، وبروزا دعاءات وصفها الميثاق بالمتطرفة تحصر الإسلام في مجموع من الشكليات، وبأنه مجرد تاريخ مضى ولا علاقة له بالثورة... الاشتراكية بعد أن أهت عقدها الأول بالجزائـــر، ونبهـــت فقـــرات الميثاق إلى ضرورة مواجهة ذلك بحزم وتبصّر ضمن عملية المراجعة والتصحيح قصد الاستفادة من الإسلام لضمان إنجاح الثورة الاشتراكية وذلك:

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص7.

[2]-المصدر نفسه، ص26.

[3]-المصدر نفسه، ص 39.

1-«لأن الإسلام يقدم الحوافز التي تحتاج إليها الثورة الثقافية فهو يعطي الأخلاق مضمونا نضاليا بعد أحسن ضمان للانتصار في معركة البناء والتشييد...

2-أنـــه يحث على التدبر في آفاق الكون وفي أعماق النفس، ويقيم علاقات متينة بين العبادات والمعـــاملات ويجعل الشعائر الدينية تعبيرا ملموسا عن عملية التأمل المستمر لما يجري في العالم والحرص المتواصل على تدارك التخلف وصولا إلى ما يطمح إليه من تقدم»[1].

وفي هـــذا الإطـــار سيضـــمن الميثاق إعداد الشباب ضمن تعليم عصري وسيتكفل بإيلاء الإسلام مكانة على مستوى مواد التعليم من جهة وعلى مستوى إعداد الكوادر التي ستتولى مهمة التعليم من جهة أخرى وذلك:

أ-بتدعيم المواد الدينية في برامج التعليم وتحسين طرائق تدريسها كمواد أساسية،

ب-تكويـــن إطارات متعمقة في علوم الدين مسلحة بأدوات العلم والثقافة العصرية مطلعة على الـــتاريخ الحضاري والفكري للإسلام، وهو ما من شأنه شحذ اليقظة السياسية وإتاحة الفرصة للفكر أن يجتهد حتى يستعيد مكانته بين علوم الدين مثلما استعادها في علوم الدنيا..."[2].

ويؤكد ميثاق 1986م على أن التمسك بمبادئ الإسلام لا يعني الاقتصار على أداء شعائره فقـــط، فالإســـلام كمـــا يقول: «له مضامين تحث على العدالة الاجتماعية وتندد بسلطان المال وطاغوت الثورة المادية»[3]، وينبه في مكان آخر إلى أنه يتحتم على الثورة-الاشتراكية-الجزائرية أن تعني بالثقافة الدينية الإسلامية لا بوصفها عبادات وشعائر ومناسك فقط ولكن أيضا كفلسفة ومواقـــف، ولا سيما بوصفها فكرا متطورا يجعل من الإسلام قوة دافعة تساهم في تناول مشاكل العصر تناولا جديدا وتساهم في حلها على أساس تقدمي يضمن الانتصار في معركة الوجود وفي معركة التنمية على السواء[4].

رابعا: بين إسلام الاشتراكية و اشتراكية الإسلام.

وقراءة هذه الفقرات تفيد إقرار ميثاق 1986م بأهميته الإسلام في كونه القاعدة الأساسية

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص35.

[2]-المصدر نفسه، ص36.

[3]-المصدر نفسه، ص37.

[4]-المصدر نفسه، ص51.

لوحـــده الشـــعب الروحية والثقافية واللغوية من جهة وكونه سدا منيعا تتحطم في مواجهته كل محـــاولات المسخ والاستلاب، ومن جهة أخرى وبناء على ذلك تقريره إيلاء الإسلام المكانة التي يســـتحق في المشروع الثقافي للجزائر، وقد نص على ذلك بعد تطبيق الاشتراكية في الجزائر لمدة عشـــر سنوات وظهور السلبيات التي كان من شأنها أن تعصف بالخيار الاشتراكي نفسه، كما تم تنفـــيذه مـــا لم يـــتم تدارك الوضع بإيلاء دين الأمة مكانة في توجيه حياتها والتي بدا أن نصوص المواثـــيق الســـابقة ركزت على الناحية المادية منها فحسب التحقيق ما سماه بتحقيق التوازن بين الناحـــية الروحية والناحية المادية في المجتمع، وهي الخطوة التي وصفها بالمراجعة وبالتالي بالتصليح والتصـــحيح. وتبقى صورة هذه المراجعة والتصحيح حبيسة الإعلان عنها ما لم نقرأ مفهوم مكانة الإســـلام في المشروع الثقافي الجزائري ومعاني الأهمية التي ستولى له وحدودها وهو ما تفصح عنه فقرات الميثاق ونلخصه فيما يلي:

1-إن الهدف من التأكيد على التمسك بالإسلام كان لشرعنة الخيار الاشتراكي والتأكيد عـــلى ذلـــك باستمرار فالميثاق يقول:« فالذي يسلك طريق الاشتراكية بكل حزم سيقوم على أحســـن وجه بما تفرضه العقيدة الإسلامية من واجبات و يكون قد قام بواجبه نحو ربه...»[1]، ويقـــول في فقـــرة أخرى «إن البعد العربي للثورة الجزائرية –هنا الثورة الاشتراكية- مثل بعدها الإسلامي ...هو بعد أنضجه مسار التاريخ، وصنعته رغبة الشعب وصهره الإسلام»[2].

2-أن الهدف من إعلان التمسك بالإسلام والتغني بالأخلاق الإسلامية كان لتغذية الاقتناع بالخيار الاشتراكي، أولا لأن التغني بأخلاق الإسلام ليس لمعانيها الروحية التي تحقق عبودية الإنسان لله تعـــالى عن طريق الامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه وثانيا لا يعني التغني بأخلاق الإسلام كل الأخلاق الإسلامية لأن فقرات الميثاق ركزت على الأخلاق التي يستفاد منها نضاليا في سبيل إنجاح الاشـــتراكية «فالإســـلام كعقـــيدة وممارسات... تحث على الاجتهاد وتحفز على العمل وتعطي الأخـــلاق مفهوما نضاليا أحسن ضمان للانتصار في معركة البناء والتشييد»[3]، وقد سبق لفقرات ميـــثاق 1986م في تحليـــلها لأســـباب انحطاط الوطن الإسلامي، أن استنتجت أنه لا يمكن حصر

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص39.

[2]-المصدر نفسه، ص35.

[3]-المصدر نفسه، ص36.

الأسباب الكامنة وراء ذلك في الناحية الأخلاقية فحسب، وإنما في الناحية المادية أيضا، ومن ثم فالتركيز على الأخلاق التي تحث على العمل والاجتهاد من الإسلام من شأنه ضمان التنمية المادية، وبالتالي إنجاح التجربة الاشتراكية عبر محورها الأساسي الناحية المادية.

3-أن الإعلان عن إيلاء الإسلام المكانة التي يستحقها في تكوين الإنسان الجزائري شبابا وإطارات وتكوين المواطن الصالح حصرها الميثاق في "الإطلاع على التاريخ الحضاري والفكري للإسلام"، والذي ينتهي إلى احترامه فحسب، ولا يعني البتة الاقتباس منه ولا الاجتهاد ضمن مبادئه لحل مشاكل الحياة والعصر، ولا حتى الاستئناس به في توجيه حياة الجزائريين لأن العودة إلى الماضي لا يفهم منها التقديس كما يقر الميثاق، ولأن عمل ذلك يعني «التقليد الشكلي والقياسات الخاطئة التي تأخذ معايير عهد منقرض»[1]، كما يقول في مكان آخر، والاجتهاد الذي يقصده ميثاق 86م، لا يكون إلا ضمن الخيار الاشتراكي، وفي ضوء مبادئه وفي حدود فكره ومثله وسلوكه حصريا، فعلى الرغم من تغني الميثاق برسالة العدالة الاجتماعية في الإسلام، وعلى الرغم من إقراره بالمضامين التي تحث على العدالة الاجتماعية وتندد بسلطان المال وطاغوت الثروة المادية، إلا أن الميثاق يختار الاشتراكية، «بوصفها طريقا لتحقيق توزيع أكثر عدالة للثروات الوطنية، ومنهاجا يحول دون أن يصير رأس المال بين أيدي فئة محدودة وسيلة للتسلط على الشعب والتحكم في مصيره»[2]، كما يقول الميثاق «ولأنها تلبي الحاجات الأساسية للجماهير»[3]، كما يقول في فقرة أخرى، «وبوصفها الوسيلة المفضلة لتحقيق العدالة الاجتماعية»[4]، ومع التنبيه إلى التركيز الدائم على الناحية المادية من التنمية فقط، يطرح التساؤل عن أهمية الإعلان عن التمسك بالإسلام في المشروع الثقافي ما دام تثوير المجال الثقافي في الميثاق يعني: التغيير العميق لنعقليات وتشييد المجتمع الاشتراكي الجديد، بكل حزم وصرامة ضمن السلوك الاشتراكي والوعي الاشتراكي والالتزام بالاشتراكية[5]، وما الهدف من التغني بالأخلاق الإسلامية بالتركيز على بعضها دون البعض الآخر واختيار ما يخدم الخيار الاشتراكي فحسب، وما أهمية تمجيد مبادئ

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص36.

[2]-المصدر نفسه، ص37-38.

[3]-المصدر نفسه، ص45.

[4]-المصدر نفسه، ص48.

[5]-المصدر نفسه، ص46.

الإسلام في العدالة، ثم تبني مناهج الاشتراكية لتحقيق هذه العدالة وأخيرا ما أهمية التغني بالإسلام واعتناق عبره مع تأكيد الاجتهاد ضمن مبادئ ومضامين غيره... وهل نجد في نهاية المطاف عبر التكوين والتعليم الإسلام أم الإشتراكية؟!

خامسا: الإسلام والإيديولوجيا:

ونخلص من كل ما سبق إلى ملاحظة ما يلي:

1-عدم التفريق -المقصود أو غير المقصود- بين الإسلام كدين والخطاب الإسلامي والتاريخ الإسلامي المرتبط باجتهادات المسلمين فيما يتعلق بتاريخ الأمة الإسلامية عموما واجتهادات الجزائريين فيما يتعلق بتاريخ الشعب الجزائري، وعلى وجه الخصوص والذي ارتبطت اجتهاداتهم فيه بالزمان والمكان، وأدوات العصر خلال مراحل ذلك التاريخ، فالإسلام وصفه الميثاق بدين الحق وربط انحطاط المسلمين بالابتعاد عنه، وتغنى بأخلاقه وأعلن التمسك به لتحقيق التوازن بين الروحي والمادي في المجتمع، كما تغنى بمضامينه في العدالة الاجتماعية وصنع البطولات، وأكد على أنه أحد مقومات الشعب الجزائري وأحد عناصر الهوية الوطنية، لكن حين يشرح صفة التمسك به يكون الحديث عن القياسات الخاطئة المرتبطة بالعهد المنقرض، ومن ثم توجب تجاوزه لاجتهادات مرتبطة بالواقع ومسلحة بأدوات العصر وبالحل التقدمي... وكان المنطق يفرض العودة إلى دين الحق لضمان الانتصار ليس فقط في الناحية المادية، وفي معركة البناء والتشييد الذي يراهن عليها في الثورة الاشتراكية، وكذا في الناحية الروحية أيضا مبتغى كل مسلم وهذه هي حقيقة التوازن المطلوب.

2-عملية عزل وتغليف منهجية للإسلام، فقد تم ذلك ترتيبا على ثلاث مراحل.

أ-التأكيد على البعد الإسلامي للاختيار الاشتراكي من جهة، وعلى البعد الإسلامي للاشتراكية نفسها وتم في سبيل ذلك استعمال التاريخ الجزائري، وثورة نوفمبر المباركة، وحتى الدين الإسلامي نفسه، كما تبيّن، وركزت فقرات الميثاق من جهة أخرى على أن هذا الاختيار رغبة للشعب الجزائري، واستجابة لواقعه.

ب-بعد مرحلة الإقناع بالخيار الاشتراكي تأتي مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي، والمنطلقات الإيديولوجية للمجتمع الجزائري الجديد، فتم التأكيد على التمسك بالإسلام، وهذه المرة فإن الميثاق يجعل التأكيد على التمسك بالإسلام في نفس المرتبة مع الإلحاح على اختيار الاشتراكية

ينبع كلاهما من جذور ثورة نوفمبر، وليس مجرد محاولة سياسية لإيجاد توازن شكلي بين الإسلام والاشتراكية»[1].

ج-مرحلة التجاوز لمبادئ الإسلام ومناهجه، حيث تغنت كثير من الفقرات بالمضامين الإسلامية في العدالة الاجتماعية، ومفاهيمه للكرامة الإنسانية وملاءمتها مع كل عصر، لكن بدل أن تتبناها في توجيه حياة الجزائريين، تبنى مبادئ الاشتراكية بوصفها الوسيلة المفضلة لتحقيق العدالة، وتوفير العيش الكريم، ومنع الاستغلال، وتأكيد المساواة وقد تم التأكيد على أن التحول الشامل للمجتمع، والتغيير العميق للعقليات ونبذ بنيات ما قبل الرأسمالية العتيقة والبالية والرجعية بكل حزم وصرامة في ضوء مبادئ الاشتراكية والوعي الاشتراكي، والمثل العليا الاشتراكية والسلوك الاشتراكي والالتزام بالاشتراكية، وتكررت فقرات الميثاق التي تؤكد على الدفاع عن الخيار الاشتراكي كخيار حتمي، ولا رجعة فيه وتعميقه وتثبيته...

3- التركيز على الماضوية في رسم صورة الإسلام وتأكيدها في الواقع الجزائري فحدود التمسك بالإسلام في المشروع الثقافي، في الجزائر المستقلة، والتثقيف الديني السليم الذي ستضطلع به التربية الوطنية سيحصر في مجرد الاطلاع على الفكر الإسلامي الذي سيحقق للمواطن الجزائري الإتصال الضروري بالجذور ويضمن عدم قطع الصلة بها بينما لا نجد لمضامينه ومفاهيمه وأخلاقه اثر في واقع المشروع الثقافي إلا بالقدر الذي يغذي الاقتناع بالاشتراكية والذي سيتم الاجتهاد في صياغة الواقع والمستقبل في ضوء مفاهيمهما ومضامينها ومبادئها وأخلاقها .

والإطلاع على الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي بالنسبة للجزائري في واقع الأمر لا يتعدى التغني و الاعتزاز و التمجيد فإذا كان هدف الاطلاع على التراث التاريخي حسب الميثاق يمكّن المواطن الجزائري من معرفة ثوابته كلها فيتبناها على بينة من أمره بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات، وأن التسلسل التاريخي المترابط الحلقات أفضى إلى ثورة نوفمبر 1954 التي اعتبرها الميثاق تأكيدا لقيم الدين الإسلامي الحنيف فما أهمية الإشادة بقيم الإسلام و معرفة الثوابت إذا كانت النتيجة تكمن في التأكيد على أنه قد «تولدت عن كل ذلك تحولات إيجابية جذرية» من جهة وأن الاستمرارية قد فسّرها الميثاق بالتحولات الفكرية و الأخلاقية للعقليات للنجاح في

---

[1]-الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص38.

معـــركة الإبـــداع والتجديد ودور الإسلام فيها «هو إذكاء المشاعر و التأثير في الجماهير و صنع البطولات» [1].

وإذا كـــان صـــنع الـــبطولات أثناء ثورة نوفمبر يعني تقديم فاتورة الدم الغالية فإن صنع الـــبطولات في الـــثورة الاشتراكية يكمن في تغذية القناعة بها «بالمراهنة على قدرة التكيف لدى الشـــعب الجزائـــري عـــلى التفتح على التقدم وبما يعزز صلته هذه المرة بواقع عصره»[2] بمهارته وتقنياته و علومه من أجل بناء مجتمع حر و بناء اقتصاد مستقل[3].

وكمـــا كان الإسلام دوما عنصر تماسك اجتماعي وسدا منيعا تحطمت في مواجهته كل محـــاولات المســـخ و التشـــويه و الاستلاب، سيكون عنصر تماسك احتماعي هذه المرة في تعبأة الجماهير لصالح الثورة الاشتراكية و يجعل منها ثورة شعبية تماما كما كانت ثورة نوفمبر المجيدة.

---

[1]- الميثاق الوطني 1986م، المصدر السابق، ص80.

[2]-المصدر نفسه، ص14.

[3]-المصدر نفسه، ص50.

المبحث الثالث: التحول الجديد وخيار التعددية

المطلب الأول: دستور 1989م: موقع الخطاب الإسلامي والاختيار الجديد

يأتي دستور 1989 كآخر مرحلة من مراحل التعديلات الجوهرية لدستور 1986م وتندرج مواده تحت عنوان عريض يهدف إلى إعادة النظر في البنية الأساسية للبلاد فهو:

1- لا يشـــير إلى الميـــثاق الوطني كما في سابقيه و الذي كان بمثابة الوثيقة الإيديولوجية للنظام والـــنص الملهم للمنهج السياسي و سلوك قيادات الدولة و مصدر القوانين كما كان ينظر إليه في الدساتير السابقة.

2- يدشـــن عمليـــة الـــتحول إلى التعددية حيث قرر أن الدولة لم تعد إشتراكية التوجه وهو ما استوعب من الدستور السابق فصلا كاملا في أربعة عشر مادة..

3- ألغي النص على النظام الواحد و كل ما يتفرع عنه من مسؤولية جبهة التحرير في قيادة الدولة و المجـــتمع و توجـــيه الثورة الاشتراكية، و كبديل لنظام الحزب الواحد تأتي المادة —40- من دستور 1989م لتنص على أن الحق في إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي معترف به[1]، وهو ما صدر بصدده قانون خاص لاحقا يفصل ما أجمله الدستور وينظم عملية التحول إلى التعددية.

وتســـمح قراءة مواد الدستور الجديد بتحديد المواد الجديدة فيما يتعلق بالخطاب الإسلامي في الجزائـــر ما بعد التعددية سواء من حيث الاصطلاحات المستخدمة أم من حيث المضامين التي تناولته مايلي:

أولا: الخطاب الإسلامي...مواد من الدستور.

فـــبعد البسملة نقرأ في تمهيد الدستور: أن الشعب الجزائري شعب حر ومصمم على البقاء حرا، و أن تاريخه الطويل سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح و الجهاد[2]، وأن الشعب المتحصن بقـــيمه الروحية الراسخة والمحافظ على تقاليده في التضامن و العدل واثق في قدرته على المساهمة

---

[1]-دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 23 فبراير 1989م، ص17.

[2]-المصدر نفسه، ص 5.

الفعالة في التقدم الثقافي والاجتماعي في عالم اليوم و الغد[1].

وتأتي هذه التعبيرات كبديل للعبارات الإيديولوجية الكبرى التي كثرت في دساتير ومواثيق الاشـــتراكية الجزائرية مثل الخيار الاشتراكي الذي لا رجعة فيه، والوسيلة المفضلة لتحقيق العدالة والتنمـــية، والثورات الثلاث، و الوعي الاشتراكي، و المثل العليا للاشتراكية و الفكر و السلوك الاشـــتراكي، والإنســـان الاشتراكي المبدع...فبالتحصن بالقيم الروحية الراسخة و المحافظة على التقالـــيد يســـاهم الشعب الجزائري بفعالية وبثقة في التقدم الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي في الحاضر والمستقبل.

وفي تحديده لأبعاد الهوية الجزائرية يولي دستور 89م البعد الإسلامي أولوية في ذلك نقرأ بينها «فالجزائـــر أرض الإسلام و جزء لا يتجزأ من المغرب العربي الكبير، و أرض عربية وبلاد متوسطة وإفريقـــية...»[2] بينما ركزت المواثيق السابقة على «أن الشعب الجزائري شعب عربي مسلم»[3] كما في ميثاق 1986م،و«بأن الشعب الجزائري شعب مسلم»[4] كما في ميثاق1976م، أما المبادئ العامـــة الـــتي تحكم المجتمع الجزائري و أولها هوية الدولة الجزائرية فيأتي «الإسلام دين دولة»[5] في المـــادة الثانية بعد النص على الطابع الجمهوري والديمقراطي لها وهذا يعني البقاء على علمانية الدولة الجزائـــرية فهـــي جمهورية ديمقراطية دينها الإسلام وهو ما فصله التمهيد على «أن الدستور فوق الجمـــيع، و هو القانون الأساسي الذي يضمن الحقوق و الحريات الفردية و الجماعية و يحمي مبدأ حـــرية اختيار الشعب، ويضفي الشرعية على ممارسة السلطات، و يكفل الحماية القانونية و رقابة عمل السلطات العمومية في مجتمع تسوده الشرعية و يتحقق فيه تفتح الإنسان بكل أبعاده»[6].

وبعـــد نـــص دســـتور 1989م أن الشعب هو مصدر كل سلطة (المادة 6) حدد غايات المؤسســـات التي يختارها (المادة)[7] وجعل منها: «المحافظة على الهوية الوطنية، وأنه لا يجوز لهذه

---

[1]-دستور 1989م، المصدر السابق، ص7.

[2]-المصدر نفسه، ص 7.

[3]-المصدر نفسه، ص 33.

[4]- الميثاق الوطني 1976م، المصدر السابق، ص25.

[5]-دستور 1989م، المصدر السابق، ص8.

[6]-المصدر نفسه، ص 7.

[7]-المصدر نفسه، ص 9.

المؤسسات أن تقوم بسلوك مخالف للخلق الإسلامي وقيم ثورة نوفمبر»[1].

وتضـــمنت المادة 73 نص اليمين الدستورية التي يتعهد فيه رئيس الجمهورية باحترام الدين الإسلامي وتمجيده[2].

أمـــا المـــادة (6) التي نصّت على تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى وجعله من صلاحيات رئيس الجمهورية حصرا فهو الذي يعيّن أعضاءه الأحد عشر من بين الشخصيات الدينية[3]، فلم تعـــين وظـــيفة المجلس بالضبط كما تم تحديد ذلك بالنسبة لمجالس المراقبة وللمجلس الاستشاري الآخر في الدستور.

وقـــد نصت المادة 35 على أنّه «لا مساس بحرمة المعتقد وحرمة حرية الرأي»[4] وتطرح تســـاؤلا هامـــا وهو هل تقرأ المادة ضمن المواد 31-32-33-34 قبلها، والتي تفهم حرية المعتقد ضمن حقوق الإنسان، ويتعلق الأمر بالتالي بالتزام الدولة الجزائرية بالاتفاقات والمعاهدات العالمية الـــتي انضمت إليها أو صادقت عليها وخاصة منها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في 10 أكتوبر 1948م والذي تحتل فيه حرمة المعتقد مكانها الأهمية القصوى، أم تقرأ هذه المادة ضمن حقـــوق المواطـــن أي المواطـــن الجزائري تحديدا، مما يمكن أن يستنتج منه إقرار دستور 1989م للتعددية الدينية، أيضا إلا أن التساؤل يبقى مطروحا لانعدام ما يؤكده أو ينفيه من النصوص.

وتجدر الملاحظة أنه إذا كانت لمصطلحات العدالة والحرية والتطوّر صبغتها ضمن المنظومة الفكـــرية التي تفرزها وتنحت لها معانيها وواقعها، فإن دستور 1989م قد أنهى النظام الاشتراكي في الجزائـــر الـــذي انضوت تحت مضامينه مفاهيم العدالة والحرية والتطوّر وكرستها إيديولوجيته ومؤسســـاته وفكره وطلائعه... فالقسم بالله العلي العظيم على الدفاع عن الدستور الجديد الذي تضـــمنته المـــادة 73 وعدم صبغ هذه المصطلحات تبقى وجهة التطور وحدود الحرية والمثل العليا وطبيعة العدالة مبهمة، فيما يقابلها احترام الدين الإسلامي وتمجيده، مما يطرح التساؤل مجددا عن فحوى وآليات تحقيق التوازن بين الدفاع عن الدستور وبين احترام الدين الإسلامي.

---

[1]-دستور 1989م، المصدر السابق، ص 10.

[2]-المصدر نفسه، ص25.

[3]-المصدر نفسه، ص 53.

[4]-المصدر نفسه، ص 16.

ثانيا: المؤسسة الإسلامية الرسمية

وفي إطار الدستور الجديد، والفصل بين السلطات وتحديد الصلاحيات، فقد صدر مرسوم تنفيذي[1] بالجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية في 28 جوان 1989م يحدد صلاحيات وزير الشؤون الدينية في إطار السياسة العامة، ثم في إطار برنامج العمل المصادق عليه وفقا لأحكام الدستور، ويضع السياسة الوطنية في العمل الديني في جميع المستويات وتطبيقها، وهي ما تلخصه المادة الثانية من المرسوم التنفيذي ويفصّله مضمون 17 مادة فيما بعد، ولا يتعلق الأمر هنا بتناول صلاحيات وزير الشؤون الدينية ولا بالإشارة على مهامه بقدر ما يتعلق الأمر بالإطلاع على إدراك الخطاب الرسمي للخطاب الإسلامي والمكانة والاهتمام الذي يوليه للإسلام كأحد ثوابت الشخصية الجزائرية وأحد مقومات الشعب الجزائري، وذلك على مستوى الشعب والمؤسسات والقوانين، ومن ثم فحوى ذلك الاهتمام وآثاره في الجزائر المستقلة دولة وشعبا ومشروعا حضاريا بعد مرحلة الاشتراكية التي استنفذت منها 27 سنة ويكتفي هذا المستوى من البحث بعرض معطيات النصوص فيما تتولى المباحث التالية قراءتها ضمن معطيات الساحة الجزائرية الجديدة.

فقد نصت المادة الثانية من المرسوم على أن وزير الشؤون الدينية يمارس صلاحياته في ميدان الشؤون الدينية الذي يشمل أعمالا تهدف إلى معرفة تعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه الأساسية ونشرها، ومعرفة تاريخ الثقافة الإسلامية ونشرها، ومعرفة التراث الإسلامي بصورة عامة والحفاظ عليه وصيانته وتطويره ويمارس أي عمل يساهم في توفير أحسن شروط ازدهار القيم والحضارة الإسلامية. وفي ضوء ذلك فصلت مهام وزير الشؤون الدينية فيمايلي:

1-نشر التربية والثقافة الإسلاميتين اللتين يدرجهما بالتشاور مع الوزيرين المعنيين في البرامج المدرسية والجامعية.

2-يتخذ التدابير اللازمة الرامية إلى متابعة الجهود المبذولة في مجال التعليم القرآني وفي جعل المسجد مكانا للصلاة والعبادة ومركزا للإشعاع في مجال التربية والثقافة والحضارة الإسلامية[2].

---

[1]-المرسوم التنفيذي رقم89-99 المؤرخ في 23 ذي القعدة 1409هـ الموافق 27 يونيو 1989م، يحدد صلاحيات وزير الشؤون الدينية، وقد صدر هذا المرسوم أثناء حكومة قاصدي مرباح رئيس الحكومة في هذه الفترة.

[2]-انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية المؤرخة بـ: الأربعاء 24 ذي القعدة 1404هـ الموافق لـ 28يونيو 1989م، ع26، س26، ص695.

3-يتولى إعداد الأحيال الطالعة لمعرفة أحسن وأصدق لأسس عقيدة الإسلام وآثارها على الشخصية والتاريخ الجزائريين.

4-يخوّل لوزير الشؤون الدينية القيام بأية دراسة وأي عمل قصد:

أ-دعم قيمة الإسلام الأساسية والشاملة وإبرازها.

ب-القضاء على مصادر الفهم المغلوط للإسلام والأسباب التي أخرت ازدهار قيمه الأساسية.

جـ-تنشيط معرفة التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية وتعزيز هذه المعرفة.

د-تخطيط تنمية العلوم الإسلامية.

هـ-إدارة الأوقاف.

ولهذا الغرض ينظم كل ملتقيات الفكر الإسلامي وكل المبادلات المفيدة في هذا المجال مع العالم الإسلامي ويتخذ جميع التدابير المفيدة لتنشيط أعمال المؤسسات الدينية والمراكز الثقافية الإسلامية والأعمال المرتبطة بالمبادلات الثقافية.

5-يتولى شرح المبادئ الاجتماعية للعدل والمساواة التي تمثل أسس الإسلام ونشرها.

6-يساهم في تطبيق الشروط والوسائل للتكفل بالعمليات الوطنية المتعلقة بالحج والعمرة.

7-يضمن حسن سير الهياكل المركزية والمؤسسات العمومية الموضوعة تحت وصايته.

8-يساهم في ترقية الجمعيات الدينية وفي تطوير كل عمل يرمي إلى تأمين أحسن تغطية في مجال المساجد وأماكن العبادة ويكفل تأطير المنشآت الدينية بالمستخدمين المؤهلين.

9-يشجع البحث العلمي المطبق على الأعمال التي يضطلع بها وينشط عملية نشر النتائج لدى الهيئات المعنية[1].

وبالإضافة إلى مهامه على المستوى الداخلي فإن لوزير الشؤون الدينية مهام على المستوى الخارجي وهو ما نصت عليه المادة 13 من المرسوم فهو:

-يشارك السلطات المختصة المعنية في جميع المفاوضات الدولية، الثنائية والمتعددة الأطراف المرتبطة بالأعمال التابعة لاختصاصه، ويقدم لها يد المساعدة.

-يسهر على تطبيق الاتفاقيات والعقود الدولية ويطبق فيما يخص الدائرة الوزارية التدابير المتعلقة

---

[1]-انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع26، س 26 المصدر السابق، ص696.

بتجسيد الالتزامات التي تكون الجزائر طرفا فيها.

-يشـــارك بالتشاور مع الوزير المكلف بالشؤون الخارجية في أعمال المؤسسات والهيئات الإقليمية والدولية ذات الاختصاص في ميدان الشؤون الدينية.

-يقوم بأية مهمة أخرى ذات العلاقة الدولية يمكن أن تسندها إليه السلطة المختصة[1].

وهذا يكون هذا المرسوم قد عبّر عن طبيعة إدراك الخطاب الرسمي لمكانة الإسلام في المجتمع الجزائـــري من جهة، وطبيعة الاهتمام الذي جسد به ذلك الإدراك، حيث خوّل له سلطة وصية وحـــدد لهـــا مهمّة تأطيره وتفعيله وتطويره على المستوى الداخلي بالتعليم والتخطيط والتنشيط والشرح والنشر، وعلى مستوى الوطن الإسلامي باتخاذ التدابير المفيدة لتنشيط أعمال المؤسسات الدينـــية والمراكـــز الثقافية الإسلامية والأعمال المرتبطة بالمبادلات الثقافية، وعلى المستوى الدولي بالمشـــاركة في المفاوضات والسهر على تطبيق الاتفاقيات والعقود وتجسيد الالتزامات التي تكون الدولة الجزائرية طرفا فيها والقيام بكل المهام التي تسندها إليها السلطة المختصة.

المطلب الثاني: دستور 1996م: التعددية الجزائرية

يـــأتي الدســـتور الجديد 1996م بعد سبع سنوات فقط من إقرار دستور 1989م، وذلك عقـــب إعـــلان رئـــيس الجمهورية السيد اليمين زروال[2] عزم حكومته على عقد مؤتمر وطني للتحضـــير لإجراء استفتاء عام حول تعديل الدستور قبيل نهاية عام 1996م، فطرح نص مشروع تعديـــل الدستور في ملحق خاص بالجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية[3]، للاستفتاء عليه في 28 نوفمـــبر 1996م، وبعـــد إقرار التعديلات الجديدة صدر الدستور الجديد لينفذ كقانون أساسي للجمهورية، كما نصت المادة 182 منه[4].

وللإشـــارة فقـــد مست التعديلات 55 مادة من دستور 1989م، كما أضيفت عليها 15 مادة جديدة.

---

[1]-انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع26، س 26 المصدر السابق، ص696.

[2]-تم انتخابه في 28 نوفمبر 1995م.

[3]-انظر: نص مشروع تعديل الدستور (نشر خاص) في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ع61 (ملحق) س33، المؤرخ بـــالأربعاء 3 جمادي الثانية 1417هـــ الموافق لـــ16 أكتوبر 1996م.

[4]-دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 1996، ص44.

أولا: تعديلات محسوبة رسميا:

ولم يحمل دستور 1996م جديدا كبيرا عن دستور 1989م، فيما يتعلق بتطبيق إدراك الخطاب الرسمي للخطاب الإسلامي من جهة، وطبيعة الاهتمام الذي أوكله له من جهة أخرى، حيث تفيدنا قراءة مواد هذا الدستور مايلي:

1-تضمنت ديباجة الدستور الجديد إضافة الأمازيغية واعتبارها بعد الإسلام واللغة العربية المكوّنات الأساسية لهوية الجزائر[1].

2-الحق في إنشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي الذي نصت عليه المادة 40 في دستور 1989م[2]، أصبح في المادة 42 من الدستور الجديد حق إنشاء الأحزاب السياسية معترف به ومضمون، ونصت هذه المادة على أنه «في ظل احترام هذا الدستور لا يجوز تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني أو لغوي أو عرقي أو جنسي أو مهني أو جهوي.

ولا يجوز للأحزاب السياسية اللجوء إلى الدعاية الحزبية التي يقوم عى العناصر المبينة في الفقرة السابقة»[3].

3-إضافة عبارة "والله على ما أقول شهيد" على نص اليمين الدستوري التي تضمنت التعهد بالإضافة إلى احترام الدين الإسلامي وتمجيده، والدفاع عن الدستور، السهر على استمرارية الدولة والعمل على توفير الشروط اللازمة للسير العادي للمؤسسات والنظام الدستوري، والسعي من أجل تدعيم المسار الديمقراطي...[4].

4-تحديد وظيفة المجلس الإسلامي كمؤسسة استشارية التي وصفها البعض بالصيغة التي وردت بها في دستور 1989م (في المادة 161)[5]، بأنها «هيكل بال روح»[6]، وقد تناولته مادتين من الدستور الجديد وهما على التوالي المادة 171 و172 وحدّدت المادة الأولى وظيفته على

---

[1]-دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية 1996، ص7.

[2]-دستور 1989م، المصدر السابق، ص17.

[3]-دستور 1996م، المصدر السابق، ص14.

[4]-المصدر نفسه ، ص20.

[5]-دستور 1989م، المصدر السابق، ص53.

[6]-حسن بركة: أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص97.

الخصوص في:

أ-الحث على الاجتهاد وترقيته.

ب-إبداء الحكم الشرعي فيما يعرض عليه

جـ-رفع تقرير دوري عن نشاطه إلى رئيس الجمهورية[1].

أما المادة 172 فقد نصت على أن عدد أعضائه قد أصبح 15 ويتم تعيينهم كلهم من طرف رئيس الجمهورية بما فيهم رئيس المجلس، ويختارهم من بين الكفاءات الوطنية العليا في مختلف العلوم[2].

5-نصت المادة 178 على أنه لا يمكن لأي تعديل دستور أن يمس ستة أمور من بينها الإسلام باعتباره دين الدولة في المرتبة الثالثة بعد الطابع الجمهوري للدولة والنظام الديمقراطي القائم على التعددية الحزبية، ثم تأتي اللغة العربية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية، والحريات الأساسية وحقوق الإنسان والمواطن، وسلامة التراب الوطني ووحدته[3].

ومع أن دستور 1989م قد خلا من هذه المادة فقد وردت في دستور 1986م بالصيغة نفسها، لكن بعدم المساس بالطابع والخيار الاشتراكي للدولة بدل الخيار الديمقراطي القائم على التعددية الحزبية كما في الدستور الجديد 1996م.

وتلخص بعض الدراسات التعديلات الجوهرية الدستور 1996- فيمايلي:

1-حظر قيام الأحزاب على أسس دينية أو لغوية أو جهوية.

2-الاعتراف بالثقافة البربرية بالإضافة إلى الإسلام واللغة العربية كمقومات ثلاثة للشخصية الجزائرية.

3-قصر مدة الرئاسة إلى فترتين تمتد كل منهما إلى خمس سنوات.

4-إنشاء مجلس ثنائي الغرفة والعمل وفقا لنظام التمثيل النسبي[4].

---

[1]-دستور 1996م، المصدر السابق، ص41-42.

[2]-المصدر نفسه، ص42.

[3]-دستور 1996م، المصدر السابق، ص43.

[4]-شريف عبد الرحمن: المرجع السابق، ص217.

وبغـــض النظر عن القراءة الظرفية لهذه التعديلات، فإنها قد طرحت للاستفتاء في ظروف وطنية تميزت بتدشين الديمقراطية التعددية في الجزائر، وذلك بإجراء الانتخابات التعددية لأول مرة في الجزائـــر المســـتقلة، والـــتي تمت عملية التصويت في الجولة الأولى منها يوم 1991/12/22م، وأسفرت نتائجها على فوز جبهة الإنقاذ الإسلامية بـــ188 مقعدا من مقاعد البرلمان بعدد أصوات بلـــغ 3,4 ملـــيون صوت انتخابي وبنسبة 47,5 % من إجمالي الأصوات الانتخابية المشاركة[1]، وكـــان هـــذا يعني ضمان 44 % من إجمالي مقاعد البرلمان فيم لم تفز جبهة التحرير الوطني وهو الحـــزب الحاكم حينذاك بأكثر من 15 مقعدا، وقد كانت هذه النتائج تعني في الوقت نفسه أنه لم يـــبق أمـــام جبهة الإنقاذ الإسلامية إلا الفوز بـــ30% فقط من المقاعد في الجولة الثانية، لتكون مؤهلـــة لتشكيل الحكومة الجديدة وهو ما لم يوضع موضع الشك في حالة إجراء هذه الجولة التي كان قد تقرّر إجراؤها في 16 جانفي 1992م[2].

وتصـــب هـــذه المعطيات في اعتبار البعض أن الإضافة الخاصة بإنشاء غرفة ثانية للبرلمان الجزائـــري كانت المقصود الأساسي من وراء التعديل الدستوري، حيث كان لزاما على أحزاب المعارضـــة أن تعيد تأسيس نفسها من جديد لكي تتماشى مع المشروعية الدستورية فضلا عن أنها تحملت بالتزامات متعددة اعتبر الغرض منها هو تحجيم قوتها في مواجهة النظام الجزائري.

ومما يعزّز هذا التوجه هو الآليات الجديدة لتشكيل الغرفة الثانية للبرلمان الذي يقوم الرئيس فـــيه بتعـــيين ثلـــث أعضائه فيم يتم اختيار الثلثين المتبقيين عبر المجالس المحلية ومجالس الولايات، وبالإضافة إلى الصلاحيات المهمة التي أعطيت للمجلس الجديد والمتمثلة في ضرورة تصديقه على أي قانون يمرّره المجلس الوطني –الغرفة الأولى للبرلمان– وذلك بأغلبية ثلاثة أرباع الأصوات لكي يصـــبح هـــذا القانون نافذا، قد جعل هذه التعديلات حاجزا في وجه أي تشريع قد يتعارض مع أغراض النظام، ويفلت رغم ذلك من بين أيدي مجموعته البرلمانية[3].

وخلاصة هذه التعديلات وأخرى هو الحيلولة دون تكرار ما حدث في انتخابات 1991م

---

[1]-شريف عبد الرحمن: المرجع السابق، ص214 نقلا عن : Uropa Year Book, 1996.

[2]-هذه الجولة تم إلغاؤها بعد تقديم الرئيس الشاذلي بن جديد استقالته، وبعد حل المجلس الشعبي الوطني.

[3]-شـــريف عبد الرحمن: المرجع السابق، ص218. نقلا عن: Robert Mortimer: current history, May, 1997.

عـــندما اســـتأثر حزب واحد –الجبهة الإسلامية للإنقاذ– بأغلبية المقاعد، وهو ما جعل البعض يصـــفها بعمليات ترويض للقوة المعارضة، وبالأخص للحركة الإسلامية، حيث تقول فايزة سعد «كانـــت حسابات السلطة بعد أن نجحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ترى بأن الأمر ينذر بالخطر القائم دون السماح بإحداث تغييرات جذرية في التوجهات السياسية المعمول بها»[1].

وقـــد أثار مشروع التعديل من قبل إقراره، وخاصة في المواد المتعلقة بالغرفة الثانية وآلياتها وصـــلاحياتها حفـــيظة عدد من السياسيين في الجزائر، وخاصة منهم رؤساء الأحزاب، وتنوعت قـــراءتهم لهذا التوجه بين الاعتداء على الديمقراطية التعددية إلى التراجع عن الديمقراطية، وقد ظهر ذلك في حوارات معهم تناولتها بعض وسائل الإعلام الوطنية.

فقـــد انتقد السيد "عبد القادر مرباح" بشدة مشروع الدستور وصرّح بأن حركة "مجد" التي كان أمينها العام ترفض الدستور المعدّل لأنه يفسح المجال للحكم الفردي والديكتاتوري، وأن النظام قد اعتدى على الديمقراطية والتعددية بطرق ملتوية حتى يتأبد ويحتكر السلطة، وأنها ترفض الديقراطية الموجهة والمبرمجة من وراء المكاتب[2].

أمـــا السيد "عبد الله جاب" الله رئيس "حركة النهضة" حينذاك فقد رفض باسم حركته الآليات المقترحة لتعديل الدستور ووصفها بالسلوك الذي يتعارض مع مبادئ الديمقراطية التعددية وتهددهـــا[3]، ومهما يكن من أمر فقد أقرت التعديلات وصدر بها دستور 1996م الذي يلخص صورة الديمقراطية التعددية في الجزائر رسميا بآلياتها وتشريعاتها في الساحة الجزائرية التي أثبتت بداية الـــتجربة قـــوة الصوت الإسلامي عبر الانتخابات التعددية الأولى في الجزائر، وإذا كانت بعض القـــراءات قد ذهبت إلى أن المقصود من التعديلات الدستورية هو ترويض قوى المعارضة المختلفة في الســـاحة الجزائرية والحيلولة دون حدوث تغييرات جذرية في السياسة السائدة، فإن التجربة الجزائـــرية الديمقراطية في الجزائر كما كل التجارب الديمقراطية الأخرى عبر الوطن الإسلامي، إنما كانـــت تستجيب للسياسة الدولية وآليات النظام العالمي الجديد فيها بعد الحرب الباردة وسقوط

---

[1]–فائزة سعد، المرجع السابق، ص13.

[2]–انظر: نص الحوار الذي أجرته معه جريدة العالم السياسي بتاريخ 1996/11/09م. وانظر: محمد مصدق يوسفي: الأزمة الجزائرية والبدائل المطروحة، دار المعرفة، الجزائر، ط1، 1999، ص175.

[3]–انظر: المرجع نفسه، ص ص271-278.

الشيوعية في توجهه لترويضه للصوت الإسلامي خاصة من بين كل أصوات المعارضة الأخرى، ما دامت النتائج قد عبّرت عن طموحات الشعوب في العودة إلى دينها وتطبيقه في توجيه حياتها وشؤونها ومصيرها بعد ما حرمت من ذلك تحت سيطرة الغرب احتلالا عسكريا ثم غزوا فكريا وحضاريا، «حتى وإن كان الثمن هو قتل الديمقراطية بدعوى الخوف عليها»[1] كما تقول "فايزة سعد"، وبرمجة الديمقراطية التعددية في الوطن الإسلامي ما هي إلا صورة من صور برمجتها على المستوى الدولي بما يمكن السيطرة عليه وضمان عدم خروجه عن خدمة مصالح الغرب فيه، كما تجمع مختلف الدراسات في هذا الشأن وعلى رأسها الدراسات الغربية نفسها.

ثانيا: الخطاب الرسمي والمكانة الجديدة للمسجد

وفي إطار الاهتمام الرسمي بالخطاب الإسلامي في فترة ما بعد التعددية، صدرت العديد من القوانين والمراسيم التنفيذية لتنظيم وظيفة المسجد وتأطيرها نذكر منها.

1-المرسوم التنفيذي المتضمن إحداث مؤسسة المسجد الذي صدر في 23 مارس 1991م.

2-المرسوم التنفيذي المتضمن إنشاء نظارة للشؤون الدينية في الولاية وتحديد تنظيمها وعملها وقد صدر أيضا في 23 مارس 1991م.

3-المرسوم التنفيذي المتعلق ببناء المسجد وتنظيمه وتسييره وتحديد وظيفته الذي صدر في 23 مارس 1991م.

4-القانون المتعلق بالأوقاف الذي صدر في 27 أفريل 1991م.

5-المرسوم التنفيذي المتضمن القانون الأساسي الخاص بعمال قطاع الشؤون الدينية الذي صدر في 27 أبريل 1991م.

6-القرار الوزاري المشترك بين وزارة الشؤون الدينية، ووزارة المالية، والوزارة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالإصلاح الإداري والوظيف العمومي، الذي يتضمن الخريطة المسجدية والذي صدر في 10 أفريل سنة 1999م[2].

---

[1]-فايزة سعد، المرجع السابق، ص16.

[2]-انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع33، المؤرخ بـ: 19 محرم هـ1420 الموافق 5 ماي 1999م.

وتدخل هذه القوانين والمراسيم حسب النص الرسمي إلى:

أ-ضبط وتحديد الشروط والكيفيات المتعلقة بتنظيم الخريطة المسجدية.

ب-تمكين المساجد من أداء وظائفها النظامية في ضوء تصنيفها وموقعها والمرافق المتوفرة فيها وتحديد المقاييس والمعايير التي يعتمد عليها في وضع خريطة تأطير لكل مستجد في المستوى المحلي والولائي والوطني[1].

ويلخص "عبد الحميد دغبار"[2]، الهدف من هذه القوانين في الاهتمام الرسمي بالخطاب الإسلامي في الجزائر عبر:

1-تطوير الإطار البشري بتوفير الكفاءة العلمية للأئمة.

2-تطوير منهجية تقديم الخطاب المسجدي والإسلامي عموما.

3-الاستجابة للتطورات المحلية والدولية بطرق أكثر فعالية ونجاعة.

إن المتتبع لحيثيات هذه القوانين والمراسيم التنفيذية وربطها بفترة صدروها، يلاحظ أنه بالإضافة إلى الأهداف التي أعلن أنها تهدف إليها رسميا، فإن مجموع الإجراءات المتخذة مثل مؤسسة المسجد، والخريطة المسجدية والمجلس الإسلامي الأعلى ونظارات الشؤون الدينية، وكذا مشروع دار الإفتاء الذي كان بصدد مناقشته حينذاك[*]، تدخل ضمن سياسة الحكومة في فترة التعددية لترويض الخطاب الإسلامي عبر التحكم في الخطاب المسجدي، فبعد نتائج الانتخابات 1991م فإن القراءة الرسمية انتهت إلى أن التحكم في جماهير المساجد لا بد أن يمر بالتحكم في الخطاب المسجدي خاصة وأن الجزائر تعد 15000 مسجدا حسب الإحصاءات الرسمية[3]، وكان لزاما من إصدار هذه القوانين والمراسيم لتنظيم الخطاب الإسلامي الرسمي بتنظيم مؤسسته التقليدية والمؤسسات المستحدثة لهذا الغرض، بتحديد الوظائف وتوجيه التأطير وتسيير الموارد، ولذلك حين تقرأ المادة السادسة من القرار الوزاري المشترك الصادر في 10 أفريل 1999م ونصها على: «يعتبر

---

[1]-انظر: الجريدة الرسمية ع33، المؤرخة بـ5 ماي 1999م، المصدر السابق، ص92.

[2]-السيد عبد الحميد دغبار مكلف بالدراسات والتلخيص بوزارة الشؤون الدينية وفي حوار أجرته الباحثة معه حول الموضوع في 09 ديسمبر 2001م، بمقر الوزارة.

[*]-ذكر لي ذلك السيد عبد الحميد دغبار في الحوار نفسه، و لم يتحقق المشروع واقعا إلى الآن.

[3]-حسب تصريحات وزير الشؤون الدينية في مناسبات مختلفة مباشرة و عبر الصحافة الوطنية، انظر: جريدة الخبر في عددها المؤرخ بـ: 2005/11/15م.

مسـجدا ضـرارا كـل مسجد تعرض ممارسة وظائفة وحدة الجماعة وتفاهمها وتعاونها للفرقة والخلاف»[1]، تفهم أهداف القوانين والمراسيم الرسمية في مراقبة الخطاب المسجدي وتوجيه مهامه بالشكل الذي يتماشى مع الخطاب الرسمي على المستوى المحلي والعالمي.

وقـد سبق للسلطة الجزائرية –كما سبق ذكره– أن وظفت الإسلام في تبرير عملية التنمية في فـترة الإشتراكية وحتى في شرعنة الخيار الإشتراكي كخيار حتمي لا يجوز لأحد أن يناقشه، وبعد أحداث أكتوبر 1988م وأمام المواجهة التي حدثت بين السلطة وبين الجماهير، والتي وضعت حـدا لإيديولوجـيا الشرعية التاريخية التنموية لم تجد السلطة بدا من العودة إلى المخزون الشعبي للسيطرة على الأحداث ومواجهة المستجدات من خلال تجنيد المؤسسات الدينية الرسمية التقليدية أو الـتي اسـتحدثتها عـبر هذه القوانين والمراسيم التي ترتبط مع تدشين التعددية في فترة ما بعد دستور 1989م.

ويلاحـظ البعض بأنه ابتداء من 8 أكتوبر 1988م حولت السلطة الخطب المسجدية من الحديـث عن "الساعة" إلى حديث الساعة[2]، حيث اعتمدت على المساجد ذات الطبيعة الرمزية ومسـاجد المدن الكبرى واستغلال فرصة تجمع الجماهير التلقائي استجابة لوازعهم الديني للترويج لوجهـة النظر الرسمية في تحليلها للوضع وتوجيهها للرأي العام، وللإشارة فقد أصبحت الصحافة الوطنـية في هـذه الفترة منابر لتلخيص مواضيع الخطب الجمعية واقتباس وجهات النظر المتعلقة بمواضيع الساعة.

وأصـبح المجلس الإسلامي الأعلى يدلي بدلوه في الأحداث بإصدار البيانات الوعظية التي تدعو الشعب إلى حماية الوطن وثرواته، وإلى الوحدة وعدم الفرقة وإلى الامتثال لطاعة أولى الأمر والالـتزام، وكانت وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية منابر لتوسيع صدى رسالة المجلس إلى مختلف بقاع الوطن[3].

---

[1]-انظر: الجريدة الرسمية، ع33، المرجع السابق، ص89.

[2]-عبد الباقي الهرماسي وغيره، الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ط1، بـيروت، يوليو 1990م، ص495. والدراسة موضوع الاقتباس للباحث عروس الزبير، الدين والسياسة في الجزائر، انتفاضة تشرين الأول/ أكتوبر 1988م نموذجا.

[3]-انظـر البيان الذي نقلته عنه جريدة المجاهد الأسبوعي بتاريخ: 1988/10/14م و للإشارة فقد كان يترأسه في هذهالفترة الشيخ أحمد حماني -رحمه الله-.

كما أصبح مفتشو الشؤون الدينية يصدرون البيانات المماثلة كالبيان الذي تناولته وسائل الإعـــلام في 31 أكـــتوبر 1988م تحت عنوان «واجب المسلمين عدم التخلف عن العمل الصالح لإصلاح شأن المواطنين والاستفتاء نوع من أنواع الشورى الإسلامية»[1].

وتعد هذه الهيئات التي استحدثتها السلطة الجزائرية بهذه الصفة امتدادا لوجهة النظر الرسمية في توسيع مجال تلقيها عبر مختلف الوسائل المجندة لهذا الغرض وهي هيئات تتجاوب وطبيعة المرحلة في تناول الخطاب الرسمي للخطاب الإسلامي تبريرا لإجراءات السياسة وتوجيها للرأي العام قصد قبولها وإنجاحها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]-انظر مثلا: جريدة الشعب بتاريخ 1988/10/6م. جريدة الشعب بتاريخ 1988/10/10م.

الفصل الخامس:

الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة وتأثيره السياسي

المبحث الأول: الخيار الاشتراكي والبعد الديني للجزائر

المبحث الثاني: مظاهر النشاط الإسلامي في الجزائر الاشتراكية

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي في الجزائر التعددية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تقر الدراسات الغربية المعاصرة بخطأ تحليلها للثقافة السياسية في الوطن الإسلامي، خاصة فيما بعد نهاية السبعينيات من القرن المنصرم، فقد كان تناولها للدور الإسلامي في كثير من الأبحاث السياسية لا يطرح إلا باعتباره عاملا ثانويا في تحريك الأحداث في الدول الإسلامية أو على سبيل كونه مجرد أداة سياسية يستخدمها الحكام والحكم عموما ضد خصومه المحتملين، ولكن البعد الإسلامي ما لبث أن حظي بالأولوية في الدراسة وخاصة عقب أحداث الثورة الإيرانية في 1979 وقيام الجمهورية الإيرانية الإسلامية، ثم اغتيال الرئيس المصري أنور السادات في 1981 بعد زيارته التاريخية لإسرائيل والاتفاق معها على اتفاقية للسلام مع مصر خرجت بها عن الخط العربي والإسلامي لأكثر من عقدين من الزمن، وهو ما فسح لظهور علم جديد هو "علم الإسلاميات" "Islamologie"[1] في الغرب والذي سوف يسهم ليس فقط في شرح الظواهر السياسية في العالم العربي وإنما أيضا في:

1-مراجعة الاقترابات السابقة في معالجة ما يسميه الغرب بالإسلام السياسي من أجل فهم ما حدث.

2-في تراجع التنظير وإفساح المجال للتخصص في دراسة المناطق ذات الثقافة الإسلامية.

3-في التأكيد على أن الدور الذي يلعبه الدين في الحياة السياسية في الوطن العربي والإسلامي يعطي خصوصية مميزة لهذه المنطقة ومن ثم الإقرار بأن المسيرة السياسية في هذه المنطقة لا تشبه بالضرورة نظيراتها في النموذج الغربي المسيحي الذي فرض العلمانية مبدأ وفلسفة ولا حتى النموذج الياباني أين تتكامل الروحانية البوذية مع البراغماتية الاقتصادية دونما توتر أو صدام، فالوطن العربي الإسلامي خصوصي في دلالته وواقعه.

4-الإقرار بعدم إمكانية النموذج الغربي كإطار مرجعي لأية عملية تحديث في المجتمعات الإسلامية، وهو ما تؤكده دراسة عالم الاجتماع التونسي منصف الوناس[2] سواء في ذلك المدرسة الإنجليزية التي تعطي للدين دلالة روحانية وثقافية تختصر الظاهرة الدينية في مستوى المعتقد والقناعة الروحية الفردية، أو المدرسة الفرنسية التي تتميز بأحادية التحليل والاستنتاج مع غياب الشرط الأساسي للصفة العلمية ألا وهي الاستثناء والخصوصية ومن ثم وجوب التركيز على خصوصية السلوك الديني في الوطن الإسلامي وضرورة تحليله في سياقاته المتعددة

---

[1]-Islamologie: هو علم الإسلاميات، أو الدراسات الإسلامية المتخصصة.

[2]-منصف الوناس، الخطاب العربي، الحدود والتناقضات، تونس، الدار التونسية للنشر، 1992. ص ص 88-152.

وبالتالي الدعوة إلى التركيز على استبعاد الإطار المنهجي الغربي عند دراسة وتحليل المسائل الكبرى المطروحة على المجتمع الإسلامي ليس بسبب القصور في المنهج الغربي من حيث هو اختصاص معرفي وإنما بسبب خصوصية المنطلقات والتوجهات[1].

فقد قررت مختلف النظريات الاستشراقية القديمة والحديثة أن الإسلام قد أقبر إلى الأبد في الدول الإسلامية التي تعرضت للاحتلال الغربي المباشر، وسوّقت الدول الاستعمارية هذه النظرة – القرار– عبر جيوش بعثات التنصير التي استقدمتها في موازاة جيوشها العسكرية من جهة، وعبر السياسات الدينية والثقافية التي طبقتها لتحقيق هذا الهدف عمليا، ومفادها أن الإسلام لن يعود إلى الحياة من جديد أو أن الحياة لن تعود للإسلام من جديد بالأحرى، وكانت هذه مادة لتصريحات الساسة ورجال الدين ووسائل الإعلام والتأثير المختلفة وانتهت إلى تقرير واقع وتوصيف وضع لا نقاش فيه ولا اختلاف حوله بينهم وذلك حتى بعد استعادة الدول الإسلامية لاستقلالها وهو ما دفع بالمستشرق هرير "ديكميجيان" إلى وصف رجال الحكم وعلماء العرب "بضعف البصيرة" لأنهم مالوا إلى استبعاد قوة الإسلام على استعادة الحياة أو إلى التقليل من شأنها، وانشغلوا عنها بالمشاكل الاقتصادية والاهتمامات الأمنية، كما وصفهم "بعمى البصيرة" بسبب ما أحدثته المادية الغربية والماركسية واغترارهم بتمام سيطرتهم على مقدرات العالم الإسلامي[2].

والواقع أن نظرية الصحوة الإسلامية كما اصطلح الغرب على وصفها –ساسة ومنظرين وباحثين وإعلاميين– والتي وصفها ديكميجيان "بالعودة المشؤومة على العالم الغربي" لم تخرج عن المعايير الغربية التي يقر "كلود فتان"[3] بأنها فقدت قدرتها على فرض تحليلاتها السابقة وخصوصا فيما يسميهالحركات الإسلامية وهو ما جعل الدراسات الحديثة تنحو إلى وضع التنظير جانبا لتهتم بالتحولات التاريخية للمجتمعات العربية وبالسمات الثقافية لهذه المجتمعات.

لكن التفسيرات الغربية الحديثة منها والمعاصرة تفقد القدرة على تقديم النظرة الموضوعية والعلمية وذلك لكونها:

---

[1]–منصف الوناس، المرجع السابق، ص123.

[2]–هرير ديكميجان، المرجع السابق، ص21.

[3]–جون كلود فانتان "Jean Claude Vatan"، الأحزاب الديمقراطية والرؤى الغربية للعملية الديمقراطية في الوطن العربي، أعمال الندوة المصرية الفرنسية الثالثة حول التحولات الديمقراطية في الوطن العربي، القاهرة 29 سبتمبر03 أكتوبر 1995م، تحرير نيفين عبد المنعم مسعد 1993م، ص3.

أ-تبدأ بالصحوة، الإسلامية، كما تسميها من نهاية السبعينيات وتربطها بأسباب مادية غالبا.

ب-تتغاضى أو تتجاهل كلية نتائج السياسات الاستعمارية الدينية والثقافية في الدول الإسلامية وخاصة المتمثلة منها في "النخب" المتغربة التي تتبنى العلمانية سواء منها الليبرالية اليمينية أو الماركسية اليسارية وموقفها المعادي للإسلام واللغة العربية ومقومات الانتماء والشخصية الحضارية بعد مرحلة استعادة السيادة وإنشاء الدول الوطنية الجديدة.

جـ-تنطلق من الموقف الغربي الأحادي من الأديان، ومن ثم إلباس صراع الكنيسة مع الدولة في أوربا على الإسلام، وفيم انهزمت الكنيسة وعبرها الدين الكنسي، تعترف هذه الدراسات في المقابل بمقاومة الإسلام ونجاحه في تجاوز سياسة التغليف والعزل التي تعرض لها[1] ومن ثم انتهت إلى ما تسميه "بالصحوة الإسلامية".

ولما كانت الجزائر النموذج الدال للبلاد الإسلامية التي تعرضت لاستعمار استيطاني كثيف ومديد استغرق 132 سنة (1830-1962م) وأخضعت خلاله إلى سياسة دينية وحضارية وثقافية منظمة مدروسة ومستمرة استهدفت تقويض أسس الإسلام والعربية وتجفيف منابعهما من أرض الجزائر وقلوب الجزائريين، فإن الحديث عن الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة يستدعي بالإضافة إلى الوعي بهذه الخلفيات -وقد تم التفصيل فيها في الفصول السابقة- تجاوزها بغية تقديم التحليل الذي يتناول تطور الخطاب الإسلامي بما يستجيب للمراحل الموضوعية السياسية والثقافية التي رافقت هذا التطور على الشكل الذي بدا عليه في الواقع ونشط من خلاله واستقطب قاعدته من جديد بداية من مرحلة الحزب الواحد وانتهاء عند المرحلة التعددية.

---

[1]-هرير ديكميجيان، المرجع السابق، ص33.

المبحث الأول: الخيار الاشتراكي والبعد الديني للجزائر

فقد طرحت على الدولة الوطنية[*] المنبثقة عن المرحلة الاستعمارية في الجزائر كما على كل دول العالم الإسلامي التي تعرضت للاحتلال الغربي، العديد من الأسئلة الجوهرية المتعلقة بآفاق التنمية وسياساتها واستراتيجياتها، كحدود علاقة الدولة بالمجتمع، وطبيعة العلاقة الممكنة بين هياكل الدولة الجديدة وبين الإسلام سواء أكان مجرد تراث وطني أم كان انتماء مرجعيا[1].

وتفاوتت الإجابات في هذا السياق بين دولة وأخرى، وذلك انطلاقا من خصوصيات المعطيات التاريخية وخاصة من نوعية النخب الوطنية المنبثقة عن السياسة الاستعمارية من حيث تكوينها وخلفياتها، لكن أيضا من حيث قوتها ومراكز نفوذها التي عرف الاحتلال كيف يجندها لخدمة مصالحه ضمن مشروع الاستعمار الجديد.

ولعل السؤال الديني –ونقصد به علاقة الدولة بالإسلام– قد طرح في أغلب الأحيان طرحا مباشرا بعد عقود من التوظيف الإيديولوجي والاستئناس وحتى المقاومة والتصدي. فالدين جزء من الحركات الاجتماعية وموقف من الحياة والوجود ورد فعل تجاه بناء الدولة واستراتيجياتها في مجال اكتساب الشرعية وتوحيد المجتمع»[2]. ولما كانت المسألة الدينية تقع في قلب العمل المؤسسي والسياسي للدولة الوطنية الجديدة فإنه لا يتوضح موقع الدين داخل هياكل الدولة المستحدثة إلا انطلاقا من الإجابة عن السؤال المطروح وهو الذي سنحاوله في هذا الفصل.

وقد كانت مسألة التنمية تختزل حلم الساسة والشعوب والمفكرين في الدولة الوطنية الجديدة بعد طرد المحتل، وكان هذا يعني بين كثير مما يعنيه الخروج من دائرة الفقر والجهل والمرض، وتحقيق الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي، ومن ثم استكمال الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي للخروج نهائيا من دائرة الفقر والجهل والمرض، وتحقيق الاكتفاء الذاتي

---

[*]–الدولة الوطنية المصطلح المعبر به عن السلطة الوطنية السياسة التي آل إليها حكم الوطن بعد استعادة الاستقلال الوطني وطرد المحتل الأجنبي الغربي.

[1]–علاقة الحركات الاجتماعية بالهوية والحداثة كان موضوع اهتمام وبحث عديد الدارسين غربيا وعربيا، ينظر:

-Alain Touraine, Modernité et spécificités culturelles, Revue internationale des sciences sociales, n°118, Nov 1988, P497.

وأيضا: سعد الدين إبراهيم، المرجع السابق، ص ص 93-118.

[2]–منصف الوناس، الدين والدولة في تونس، المستقبل العربي، ع131، س12، 1990م، ص89.

والأمن الغذائي، ومن دائرة التبعية، الوجه الجديد للاستعمار العالمي بعد تقرير المصير بما أصبح يطلق عليه العالم الثالث[1]، ومنها الدول الإسلامية.

وقد غطى سؤال التنمية في الجزائر من حيث الأولوية تفكيرا وميدانا على كل الأسئلة المشروعة الأخرى، ولعل أسباب ذلك تعود بالدرجة إلى المشاكل التي واجهتها الجزائر غداة الاستقلال والتي تولدت مباشرة عن الاحتلال الفرنسي، فقد كانت من التعقيد والكثرة والقساوة ما جعل التوجه الوطني يولي ذلك الأهمية الأولى، فقد وصف وضع الجزائر حقا "بحقل الألغام" ومن معطياته

أ-على المستوى الديمغرافي البشري:

1-سقوط مليون ونصف مليون شهيد بين سنوات 1954-1962م (الأرقام الرسمية).

2-آلاف المعطوبين والمصابين.

3-آلاف اليتامى والأرامل والمسنين والعجزة الذين فقدوا المعيل وبحاجة إلى المعيل.

4-وجود ثلاثة ملايين جزائري في مراكز التجمع المعروفة بالمحتشدات أجبروا أثناء الثورة على ترك منازلهم وأخضعهم الاحتلال الفرنسي لظروف حياتية قاسية.

5-وجود 500 ألف لاجئ في كل من تونس والمغرب ينتظرون العودة إلى الجزائر والحياة الكريمة.

6-نزوح أكثر من مليون شخص من الريف إلى المدينة هروبا من عمليات الإبادة الجماعية.

7-وجود 400 ألف معتقل سياسي جزائري في المعتقلات الفرنسية داخل الجزائر أو في فرنسا.

8-أكثر من مليوني عاطل عن العمل.

9-500 ألف مهاجر جزائري في فرنسا في انتظار تسوية وضعيتهم[2].

ب-على المستوى المادي والخسائر المادية المباشرة التي سببها الاحتلال الفرنسي.

1-تدمير 800 ألف بلدة وآلاف القرى

2-حرق آلاف الهكتارات من الغابات.

---

[1]-العالم الثالث، أحد المصطلحات التي سميت بها الدول التي استقلت بداية من الخمسينيات من القرن المنصرم، وتسمى أيضا بالدول النامية، والدول السائرة في طريق النمو، والدول المتخلفة، ثم أصبحت تعرف بدول الجنوب في مقابل دول الشمال المتقدم.

[2]-انظر: لطفي الخولي، المرجع السابق، ص ص25-40.

3-انخفاض رؤوس الماشية والضأن من سبعة ملايين رأس إلى أقل من ثلاثة ملايين رأس في 1962م، أما البقر فقد أبيد كله.

4-تلغيم مناطق واسعة على الحدود الشرقية والغربية على طول خطي شال وموريس.

جـ-نتائج الأعمال الإرهابية والتخريبية للاقتصاد الجزائري التي قامت بها المنظمة السرية الأوربية بهدف منع المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني ومنع وقف إطلاق النار. ومنها:

1-إحراق مكتبة جامعة الجزائر

2-حرق الأملاك والمؤسسات المختلفة في العاصمة والمدن الكبرى

3-نقل الأموال إلى البنوك الفرنسية

د-الهجرة الجماعية لـ900 ألف مستوطن (أوروبي وفرنسي) بعد توقيع الاستقلال تاركين الأراضي والشركات مقفلة جملة واحدة[1].

وقد عبر "لطفي الخولي" تلخيصا لهذه الوضعية في الجزائر غداة الاستقلال بأنه «لم تعتر الثورة عند تسلمها الحكم على فلس واحد في الخزائن، أو عود أخضر في ملايين الهكتارات أو آلة في مصنع». ومن جهة أخرى، فقد مير الجزائر منذ صيف 1962م اضطراب سياسي خطير -كما يقول-، تعلق بإنشاء أول حكومة جزائرية للاستقلال، لم يحسم نهائيا إلا مع ما عرف حركة 19 جوان 1965م بتولي العقيد هواري "بومدين" الحكم[2]، ويضاف إلى ذلك كله استمرار فرنسا في سعيها الحثيث عبر مختلف المناورات السياسية والاقتصادية وغيرها من أجل إبقاء الجزائر تحت التبعية الفرنسية وتجسيد ذلك ثقافيا واقتصاديا...

ومن الجدير التنبيه إلى أن منهج التنمية كان قد حسم أثناء ثورة التحرير وقبيل إعلان الاستقلال لصالح الخيار الاشتراكي دون الاتفاق على نوعية "الاشتراكية" التي ستميز الجزائر كتجربة فريدة خاصة بها، وهو ما كان موضوع صراع القوى السياسية في الجزائر بعد الاستقلال، كما سنبين ذلك لاحقا، وعموما فإن الجزائر اختارت النمط الاشتراكي في مشروعها التنموي وتوجهها السياسي وهو ما تدبج به نصوصها الرسمية وسيكون منهجها لتحقيق التنمية الموعودة

---

[1]-انظر مراجع هذه المعلومات متفرقة في عديد الدراسات والكتب منها:

-Abdelhamid Brahimi, L'économie Algérienne, Op-Cit, PP77-78.

-لطفي الخولي، المرجع السابق، ص ص 25-50.

[2]-المرجع نفسه، ص 50.

حتى 1989م.

وقد كانت هناك كثير من العوامل والظروف التي جعلت النموذج الاشتراكي أشد بريقا وأكثر جاذبية في نظر عديد من قادة الدول المستقلة حديثا ومنها الجزائر، فعناوين الاشتراكية وشعاراتها بدت أقرب إلى الأفكار الثورية في هذه الدول، والأكثر انسجاما وتوافقا معها مما جعل اختيارها تعبير عن مخالفة المستعمر الرأسمالي الذي يمثله بالنسبة للجزائر الاحتلال الفرنسي.

ولم يكن الخيار الاشتراكي زمن الحرب الباردة وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية خاصة مجرد تعبير عن ضرورات اقتصادية أو متطلبات واقعية بقدر ما كان موقفا سياسيا وتموقعا إيديولوجيا ضمن أحد المعسكرين[1]، ومن ثم كان الخيار الاشتراكي في الجزائر وهي تستجيب إلى بريق الرائج من الأفكار والشعارات في الساحة السياسية العالمية تحت ضغط حقائق الجزائر الصعبة بعد 1962م فإنه جعل الأسئلة المشروعة الأخرى والسؤال الديني والثقافي منها تحديدا في منطقة الظل ليس فقط بالمقارنة مع سؤال التنمية الذي اختزلت فيه السياسة الجزائرية جميع الأسئلة وإنما في ارتباط الشيوعية بموقفها الإلحادي من الأديان كلها عموما ومن الإسلام دين الجزائريين وانتمائهم الحضاري خصوصا، والحقيقة أنه لا وجود لعلاقة بين الشيوعية والاشتراكية المستهدفة في الجزائر[2].

---

[1]-وقد ترجم هذا التوجه في مساعدة الدول الشيوعية والاشتراكية، مثل الصين، والاتحاد السوفييتي بتزويد جبهة التحرير الوطني بالسلاح وبالدعم السياسي والدبلوماسي خاصة على المستوى الدولي، حيث لم تمر قضية الجزائر للمصادقة على مستوى الجمعية العامة للأمم المتحدة إلا بعد اعتراف الاتحاد السوفييتي بها، وهي المناسبة التي انسحب فيها الوفد الفرنسي من الاجتماع احتجاجا على تدخل الأمم المتحدة في السياسة الداخلية لفرنسا، فالحكومة الفرنسية تعتبر القضية الجزائرية قضية داخلية وذلك حتى 1959م.

[2]-فالنظرية الشيوعية حسب منظريها حاسمة في موقفها الملحد والمعادي للأديان. وإذا كانت الدول الإسلامية لا تعتبر تؤكد ربط الإسلام بالاشتراكية أحيانا وعدم عداء الاشتراكية للإسلام فإن المبادئ الشيوعية نفسها تجعل الاشتراكية هي المرحلة الأولى للشيوعية، وقد صرح بهذا رئيس الحكومة السوفييتية عهد تولية الرئاسة "خروتشوف" أمام الوفد البرلماني المصري الذي زار موسكو عام 1960م برئاسة أنور السادات، فخيار الاشتراكية يعد استغناء عن الإسلام، الذي يختلف عنها كمسيح حياة، ونظام اقتصادي وسياسي واجتماعي، ناهيك عن كونه دين سماوي والاشتراكية إيديولوجية بشرية. انظر: عبد الباقي الهرماسي وآخرون، المرجع السابق، ص508.

المطلب الأول: الخطاب الرسمي وطبيعة دور جماعات الضغط في الجزائر المستقلة

سيتحول مصطلح "النخبة" في الجزائر المستقلة والذي ارتبط أساسا بالفئة المتخرجة من المدرسة الفرنسية بتوجهاتها وأدوارها قبل الثورة ثم بمشروع "ديغول" عبر القوة المحلية والقوة الثالثة ضمن استراتيجية الاستعمار الجديد أثناء الثورة وقبيل الاستقلال، إلى مصطلحات جديدة أطلقتها عليها هذه المرة النخبة الوطنية بالتركيز على توجهاتها وأدوارها ومراكزها عبر دوائر القرار في الجزائر المستقلة.

وقد تناولها الخطاب السياسي ووسائل الإعلام بالإشارة أحيانا والتصريح في كثير من الأحيان، وأصبحت تسمى بعد الاستقلال مباشرة بالبرجوازية الجزائرية، وقوى اليمين الجزائرية، وبالتحالف الاستعماري الرجعي[1].

ثم أصبحت تعرف "بالتيار الفرنكفوني" والتيار "الفرنكو شيوعي" و"الحزب المستتر"[2]، ولعل مصطلح "حزب فرنسا" كان الأكثر والأوسع مدى في أوساط النخبة الوطنية والإسلامية عموما[3].

غير أن المصطلح الأكاديمي الشائع هو "الجماعات الضاغطة" تعبيرا عن مراكز القوى والتأثير وصناعة القرار[4].

وفي الجزائر المستقلة، فإن استمرار هذا التيار في صناعة الرأي العام وتوجيهه عبر ميادين كثيرة خاصة على المستوى المركزي لم يتوقف عند السنوات الأولى للاستقلال الوطني، وإنما تواصل وبفعالية حاسمة في كثير من الأحيان، ومن ثم كان موضوع اهتمام العديد من الدراسات الوطنية والأجنبية عبر المقالات وكذا الندوات والمؤتمرات العلمية الدولية على المستوى العربي والأجنبي عموما[5].

---

[1]-تجد هذه المصطلحات في لطفي الخولي، المرجع السابق، ص ص51-52-53-54.

[2]-هو ما أطلقه عليهم في 1991م الرئيس الثاني للمجلس الأعلى للدولة السيد علي كافي في إحدى حصص "حوار" التلفزيونية، انظر: الحسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص24.

[3]-يعرف حزب فرنسا في الجزائر بأنه حزب غير مؤطر في شكل رسمي ولكنه يضم كافة الاتجاهات والأفكار العلمانية والمتفرنسة سواء منها علمانية اليمين أو علمانية اليسار.

[4]-هناك أيضا مصطلح اللوبيات "Les lobbies". انظر: جان مينو، الجماعات الضاغطة، ترجمة: بهيج شعبان، بيروت، لبنان، دار عويدات للنشر، 1971م، ص5.

[5]-انظر: محمد بشير صفر، النخبة السياسية في الجزائر من أعمال المؤتمر الثالث للباحثين الشباب حول النخبة السياسية في العالم العربي، القاهرة 11-13 نوفمبر 1995م.

-أميرة محمد عبد الحليم، صراعات القوى في الانتخابات الجزائرية في التسعينات، من أعمال: المؤتمر السنوي التاسع للباحثين -

وإذا كانت المرحلة الأولى من الصراع على السلطة في الجزائر قد حسمها قيام أول حكومة وطنية برئاسة أحمد بن بيلا "في سبتمبر 1962م"، فإنه مع بداية مارس 1963م، ستشهد الجزائر مرحلة جديدة من الصراع اتخذ هذه المرة طابعا اجتماعيا، فكريا واضحا، حيث يتعين فيه الإجابة الواقعية على السؤال المحوري المطروح، كيف يمكن تصفية الخلافات والصراعات التي ظلت في مجملها مكتومة زمنا طويلا بين تنظيمات الثورة وهو ما عبر عنه آخرون بالتناقضات الإيديولوجية داخل جبهة التحرير الوطني.

وقد تزامنت هذه المرحلة مع مشروع الحكومة الوطنية في وضع "برنامج طرابلس" موضع التنفيذ باتخاذ إجراءات عديدة أعلن أن المقصود منها كان لمنع الفئات البورجوازية الجزائرية (القوة المحلية والقوة الثالثة) «الذين تسللوا خلال معركة الكفاح المسلح داخل جبهة التحرير الوطني، وباتت لبعضهم جيوب هنا وهناك من جسم الجمهورية، بعضها له غطاء شرعي»[1]، من أن تحل محل البورجوازية الفرنسية من المستوطنين في المجتمع الجزائري والتي كان قد هاجر منها دفعة واحدة 900 ألف نحو فرنسا بعد إعلان الاستقلال مباشرة.

وقد كان هذا يعني عمليا الاتجاه نحو صياغة المجتمع الجزائري على النمط الاشتراكي الأمر الذي لم يكن الجميع متفقون فيه لا حول قراءة موحدة للاشتراكية المقترحة ولا حول طريقة تطبيقها في الجزائر، حيث عرفت الجزائر اشتراكيات عديدة...

1-فقد كان هناك ما يسمى "الاشتراكية الثورية" التي كان يتصدر لها اليساريون الجزائريون المتأثرون بالحزب الشيوعي الفرنسي، وكان هؤلاء يعارضون ربط الجزائر بالحركة القومية العربية التي تعرف بالثورة العربية التقدمية والتي كانت في أوج مراحل نشاطها وتوسعها خاصة في مصر والعراق وسوريا[2] وقد كان "محمد بوضياف" الذي يترأس "الحزب الاشتراكي

- الشباب حول الانتخابات في العالم العربي، القاهرة 4-5 أفريل 2001م.

-شريف عبد الرحمن، الأزمة الجزائرية، من أعمال مؤتمر مركز الحضارة والدراسات السياسية، 2000م.

-هدى هتكيس، توازنات القوى في الجزائر، إشكالية الصراع على السلطة في إطار تعددي، المستقبل العربي، ع172، جوان 1993م. وهذه المؤتمرات مراجع اعتمدناها في بحثنا.

[1]-لطفي الخولي، المرجع السابق، ص51.

[2]-تعد العلمانية القضية المركزية في الاتجاه القومي في الوطن العربي، الذي قام على أساس توحيد العرب على اختلاف انتماءاتهم الدينية والطائفية على أساس قومي لغوي وتاريخي، وكان قيام الفكرة القومية نتيجة للانقطاع الثقافي عن التراث-

الثوري" يتزعم هذه المعارضة في الجزائر ولكن الحكومة أنهت نشاطه بعدة إجراءات أمنية فينتقل إلى المغرب حيث يستقر هناك حتى التسعينات.

2-وكان هناك اتجاه ما يعرف "بالقوى الاشتراكية" الذي انقسم إلى كتلتين رئيسيتين، هما:

أ-كتلة الحزب الشيوعي الجزائري الذي اعتمد برئاسة "حسنين آيت أحمد" سياسة تأييد الحكومة الوطنية وإجراءاتها -التقدمية- لكنه لم يوافقها في قضية العمل السياسي وحصره على جبهة التحرير الوطني فقط.

ب-كتلة الحزب التروتسكي[1] التي تتكون من مجموع العناصر التروتسكية التي كانت قد انضمت إلى جبهة التحرير الوطني أثناء فترة الكفاح المسلح واتخذت منذ الاستقلال موقف التأييد والتعاطف مع الحكومة الوطنية الجديدة.

3-كما كان هناك اتجاه ما عرف بالاشتراكية الإسلامية التي كان ينادي به المجاهد "محمد

=العربي الإسلامي على المستوى المعرفي أما على المستوى الجغرافي فكان بسبب الانقطاع عن العمق الإسلامي الذي كان حجر عثرة في علاقة الحركة القومية بمحيطها الشعبي الذي يبقى بالدرجة الأولى محيطا إسلاميا.

وقد بدأت الحركة القومية العربية تسجل تراجعا على مستوى إشعاعها الشعبي وقدرتها التعوية طوال الفترة 80-90 من القرن المنصرم وخاصة بعد انفجار النظام الإقليمي العربي عقب حرب الخليج الثانية وذلك مقارنة مع تيار الحركة الإسلامية.

وقد أدت مراجعة التيار القومي لمنطلقاته ونتائجه على واقع الأمة وخاصة بعد موجة الديمقراطية إلى التقارب واللقاء والحوار مع التيار الإسلامي وذلك عبر الندوات والمؤتمرات الكثيرة، وللإشارة فإن الأحزاب القومية كانت تسمي نفسها بالأحزاب الاشتراكية التقدمية وأصبحت تسمى بالأحزاب الديمقراطية التقدمية...

للاستفاضة حول الموضوع انظر:

-توفيق المديني، المعارضة التونسية، نشأتها وتطورها، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص ص 201-203

-تأليف جماعي، حال الأمة 1999م، تقرير الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي المقدم إلى المؤتمر العاشر، المستقبل العربي، ع 255، الكتاب 5-2000م، ص113.

[1]-تروتسكي: هو ليف دافيدوفيتش (1879-1940م) مفكر شيوعي، ورجل دولة سوفييتي من عائلة أوكرانية يهودية، برز في 1904م كاشتراكي مستقل، نظم في 1905 أول سوفييت في العاصمة الروسية، تمكن من الهروب من منفاه في سيبيريا لينتقل عبر الدول الأوربية وأمريكا ينشر فكرة الأممية الاشتراكية وبعد ثورة أكتوبر 1917 احتل موقع القيادة الأولى في روسيا ليصبح بعد الثورة وزيرا للخارجية للاتحادالسوفييتي والرجل الثاني بعد لنين في الحزب الشيوعي. يتبنى تروتسكي نظرية الثورة الدائمة والتي يتم بها النصر على النظام الرأسمالي أثناء الحرب الأهلية في في روسيا عيّن وزيرا للحربية وأنشأ الجيش الأحمر، وبعد موت لنين انفجر الخلاف بينه وبين شالين، وجرد من كامل مناصبه وطرد رسميا من الحزب في 1927م، ومن روسيا في 1929م، استقر بفرنسا وكتب بها أشهر كتبه (تاريخ الثورة وتم اغتياله في المكسيك في 1940م، انظر: عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ص ص 721-728).

حيضر" متهما الحكومة بالسير في اتجاه إلحادي معاد للدين وبأنها تنفرد باتخاذ إجراءات لا يوافق عليها الحزب –جبهة التحرير الوطني- في فرض ما سماه بالاشتراكية المستوردة على البلاد، ومن ثم طالب الحكومة بالعدول عن إجراءاتها وتطهير البلاد من العناصر الاشتراكية الملحدة، لكن "محمد خيضر" اضطر إلى اعتزال منصبه كأمين عام للمكتب السياسي وكذا كمسؤول عن تنظيم حزب جبهة التحرير الوطني وأن يغادر الجزائر إلى باريز، حيث يعلن قطع علاقته بنظام "ابن بلة" ويستقر بعدها في سويسرا[1].

4-وقد برز في مقابل الاتجاه اليساري اتجاه ما عرف بقوى "اليمين التقليدي" بروزا مميزا بقيادة كل من "فرحات عباس" و"أحمد فرنسيس" وقد كان الاتجاه يمثل البرجوازية الجزائرية التي كانت تطمح إلى النمو من خلال سياسة التعاون مع فرنسا والتي أقرتها اتفاقيات إيفيان، وأن يكون المجتمع الجزائري هو نطاقها، وقد وقف هذا الاتجاه ضد الحكومة وأعلن عداءه الصريح للشعارات الاشتراكية التي كانت ترفعها وكذا ضد إجراءاتها فيما عرف بالتسيير الذاتي الذي وصفه "عباس فرحات" باشتراكية الطباخين[2].

وفيما يعلن "عباس" عن استقالته من رئاسة المجلس الوطني التأسيسي احتجاجا على دستور 1963م الذي تبني الاشتراكية يعلن "أحمد فرنسيس" وزير المالية في الحكومة آنذاك أن الإجراءات الاشتراكية قد أضرت بالاقتصاد القومي ثم يغادر الجزائر ليستقر في سويسرا.

وقراءة هذه المعطيات تفيد الغياب الواقعي للخطاب الإسلامي سواء على مستوى مشروع صياغة المجتمع أو على مستوى النخبة الموجهة والحاكمة في الجزائر المستقلة وهو ما يؤكده "لطفي الخولي" في حواره مع "الرئيس بومدين" ففيم تغادر بعض القيادات الكثير المعارضة إلى الخارج لتستقر هناك أو تتحول إلى العمل السري لمعارضة الحكومة.. فإن كتلة الشيوعيين التروتسكيين على وجه الخصوص تمكنت من خلال المواقع التي احتلتها في أجهزة السلطة وحزب جبهة التحرير الوطني من أن تجلب إلى داخل الجزائر مجموعة من العناصر التروتسكية من جميع أنحاء العالم كخبراء واقتصاديين ومناضلين سياسيين في نفس الوقت، «وقد كان الأمل يحدو كل هؤلاء بأن

---

[1]-وقد تم اغتياله في مدريد سنة 1970م. انظر:رشيد مصالي، هواري بومدين، الرجل اللغز، عين مليلة، دار الهدى، 1991م، ص77.

[2]-وذلك ردا على ما روجته الحكومة من شعارات مفادها تذويب شحوم البرجوازيين في الحمام الثوري، انظر: لطفي الخولي، المرجع السابق، ص42.

يجعلوا من الجزائر أول تجربة اشتراكية تروتسكية في العالم»[1].

وقد اتبع هؤلاء عملية فرز للجزائريين على أساس الولاء للاشتراكية إلى درجة اعتبر فيها أن أي نقد لسياسة التسيير الذاتي التي تبنوها بقوة وحماسة موقفا معاديا للاشتراكية وللدولة الجزائرية في الوقت نفسه فكان تصنيف الجزائريين إلى وطني تقدمي، ووطني وسط، أو رجعي... وبلغ الأمر بأن يصبح هؤلاء بحكم حركيتهم ومراكزهم الرسمية ومعاييرهم الفكرية طرفا في حالة اللااستقرار التي عاشتها الجزائر طيلة فترة 63-1964م.[2]

في غياب المساهمة الشعبية وتفشي الأمية التي بلغت حينها أكثر من 80%[3]، بالإضافة إلى فوضى الشعارات بين أنواع الاشتراكيات العربية البعثية، والقوى الرجعية والاشتراكية العلمية واشتراكية كاسترو... سيحسم التصحيح الثوري في 19 جوان 1965م، الذي وصف بالتاريخي ذلك لصالح الاشتراكية الجزائرية بخصائصها المتصلة بالظروف والحقائق الجزائرية والتي اعتمدها الرئيس "هواري بومدين" مؤكدا على وجوب "استبدال الاشتراكية الظرفية والدعائية باشتراكية مناسبة لواقع البلاد" وأنه لا يمكن أن تكون جزائر لا "ماو" ولا "كاسترو" ولا "عبد الناصر" وإنما اشتراكية الجزائر الجزائرية فقط[4].

وقد تناولت عديد الدراسات الأكاديمية التجربة الاشتراكية في الجزائر مفهوما وفكرا ووسائل وإجراءات... وأجابت عن كثير من الأسئلة المحورية التي تتعلق بكيفية اتخاذ القرار السياسي، والفئات السياسية والاجتماعية التي اعتمد عليها النظام ودرجة المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار السياسي[5]، وهو ما يفيد في تتبع دور التيار الليبرالي الذي أتت النصوص الرسمية

---

[1]-لطفي الخولي، المرجع السابق، ص43.

[2]-ويقول الخولي بأنه قد ظهر على سطح المجتمع في بعض المراكز الرئيسية في السلطة عدد من الوجوه الاشتراكية الأجنبية تنتمي غالبيتها للاتجاه التروتسكي ويترعمها "رابتيس" الملقب بـ"بالو" وهو يوناني الأصل وسكرتير عام الدولية الأممية الرابعة. المرجع نفسه، ص64.

[3]-محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، 1962-1982م، الجزائر، المؤسسة الوطنية للطباعة، 1986م، ص21.

[4]-رشيد مصالي، المرجع السابق، ص48 (نقلا عن استجواب جريدة الأهرام المصرية مع الرئيس «بومدين» بتاريخ 30 جوان 1965م) انظر أيضا: ص36، "وماو" هو "ماوتسيتونغ الرئيس الصيني".

[5]-انظر: سعيد شريفي، تبلور أسس الفكر الاشتراكي في الجزائر من 1976م إلى سنة 1986م، إشراف الدكتور الشيخ بوعمران، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، 1991م، رسالة ماجستير غير منشورة.

-أحمد بن مرسلي، مفهوم الاشتراكية في التجربة التنموية الجزائرية، وقد اعتمدناها كمرجع في بحثنا.

الجزائرية على وصفه بالبورجوازية الجزائرية الممثلة للإمبريالية أو الرأسمالية العالمية –الفرنسية– في الجزائر، وذلك في عمق التجربة التنموية الاشتراكية نفسها سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

فتطبيق الاشتراكية –كما تؤكد دراسة "أحمد بن مرسلي"– في الجزائر كان رهين أفكار الرئيس "هواري بومدين" وشخصيته، حيث شكلت مقوماته الذاتية وخصائصه التنظيمية مرجعية تفكيره في تناول الاشتراكية في الجزائر خلال فترة 65-1978م، وهذا من خلال حصره لبنائها في تحقيق التنمية الاقتصادية التي كانت بالنسبة له الشرط الأساسي لتطوير المجتمع الجزائري بالاعتماد على هيكلة دولة قوية ومسؤولين قادرين على ضمان التطبيق الكامل والفعال لقرارات سلطته من القمة إلى القاعدة.

وتقف التجربة العسكرية للرئيس «بومدين» وخبرته القيادية خلال الثورة المسلحة في تكوين وحداته وتنظيمها مركزيا باعتماده على جهاز عسكري بيروقراطي مكون من العناصر المثقفة، وتطبيقه لأساليب المتابعة المباشرة في الوصول إلى فرض الانضباط العسكري الصارم ضمانا لتطبيق أوامره العسكرية، تقف هذه التجربة وراء بروزه في مرحلة الاستقلال في صورة الشخصية القيادية ذات الثقة القليلة في رجال السياسة والزعامة[1]، والتي ترفض الديمقراطية الغربية والتعامل مع ظاهرة الحزب القائد لأنه يعتبر ذلك في دولة متخلفة كالجزائر تبديدا للطاقات ومضيعة للوقت، ويمكن أن تدخل البلاد في نقاشات سياسية عقيمة وصراعات حزبية هامشية تؤدي في تصوره إلى عودة القوى الاستعمارية للبلد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التجربة الحزبية التي سبقت الاستقلال قد أبرزت مدى التلاعب الذي يمكن أن يقوم به الاحتلال في ظل نظام التعدد الحزبي لتشتيت القوى الوطنية؛ لذلك كان لابد من اعتماد النظام السياسي للدولة المستقلة على نظام الحزب الواحد[2].

وقد كانت صورة الجزائر بعد الاستقلال تعرض واقعا من المؤامرات والتناقضات بين توجه القيادات السياسية والوطنية التي كادت تؤدي إلى حرب أهلية حقيقية لولا أن 19 جوان حسم الموقف إلى حين. وبناء على ذلك، فقد تم تطبيق الاشتراكية في الجزائر بالاعتماد على:

[1]- لم يكن الرئيس «بومدين» يؤمن بحل سياسي لاستقلال الجزائر وهو ما كانت تفضله الحكومة المؤقتة كما كان يرى أن القادة الحقيقيين للثورة ليسوا أولئك الذين يتعاملون بالدبلوماسية والدعاية وكان يفضل الأسلوب العسكري كوسيلة للتحرير، انظر: رشيد مصالي، المرجع السابق، ص33.

[2]-أميرة محمد عبد الحليم، صراعات القوى في الانتخابات الجزائرية في التسعينات، المرجع السابق، ص4.

أ-**المناضل:** وهو العنصر الذي يتفق مع برنامج السلطة الثورية ويطبق أفكارها تحت مسؤوليتها المباشرة بغض النظر عن مكان وجوده في هيئة الحزب أو داخل جهاز الإدارة أو في المؤسسة العسكرية.

ب-حزب جبهة التحرير الوطني وكل المنظمات الجماهيرية[1] التي ستؤدي دور الوسيط بين القيادة والقاعدة ولا يتعدى دورها الإطار السياسي، فهي العناصر التي لها الولاء التام للسلطة الثورية ولها إرادة التفاني في خدمتها وتحدد وظائفها في القيام بنشر الأفكار الثورية بين صفوف الجزائريين —كل في مجاله والشريحة المكلف بها- لإقناعهم بجدوى مهامها، التي تبقى من صنع الرئيس بعيدا عن التحزب والتكتلات السياسية التي براها تناقض إرادته السياسية في السلطة، كما هي في الوقت نفسه الأدوات لتطبيق قرارات سلطته السياسية على المستوى القاعدي الشعبي.

د-الدولة: وهي أداة لخدمة الثورة في مجال تنفيذ القرارات الصادرة عن قيادته الشخصية وتعد الحكومة بهذا، الإطار الذي يتم فيه اتخاذ القرار السياسي وإصداره للهيئات الإدارية والحزبية والتمثيلية الشعبية الخاضع مباشرة لسلطة الرئيس "بومدين"[2].

وانطلاقا من مقوماته الشخصية من جهة ومعطيات الواقع الجزائري من جهة أخرى وجد الرئيس "بومدين" في تعامله معها أنه أقرب في عمله إلى العناصر التكنوقراطية والفئات البروقراطية لاعتقاده أن هذه الأوساط أقدر على تطبيق قراراته وإنجازها بفعالية ميدانيا، ولذلك فإنه اختار هذه الفئات للاعتماد عليها في تطبيق الإجراءات المختلفة لتحقيق التنمية من إطار الثورة الاشتراكية وعبر ثوراتها الثلاث في الجزائر، الصناعية والثقافية والزراعية بعيدا عن أية معارضة.

وتكمن قوة الفئات التكنوقراطية والبيروقراطية التي اعتمد عليها تطبيق الاشتراكية في الجزائر في كونها ذات أصول بورجوازية والتي تم تكوينها والاستعانة بها في الإدارة الجزائرية أثناء الاحتلال نظرا لثقافتها الفرنسية وإتقانها للغة الفرنسية التي كانت طريق التفوق والحظوة والأولوية هذا فضلا عن إعدادها لهذا الغرض بالذات، وفي ظروف الجزائر الصعبة بعد الاستقلال خاصة بعد مغادرة 900 ألف مستوطن أوروبي وفرنسي تاركين وراءهم ملايين الهكتارات ومئات المؤسسات

---

[1]-المنظمات الجماهيرية يقصد بها الاتحاد العام للشبيبة الجزائرية، الاتحاد العام للعمال الجزائريين، الاتحاد العام للنساء الجزائريات، لاتحاد العام للفلاحين الجزائريين.

[2]-أحمد بن مرسلي، المرجع السابق، ص ص 59-60.

الصناعية والتجارية والمالية موصدة الأبواب ومشلولة تماما[1]، مما كان ينذر بإقبال الجزائر على مجاعة مؤكدة وفوضى اقتصادية محققة فإن توفر هذه الفئات كان الحل القائم والوحيد للحيلولة دون وقوع الأسوء، ورغم معارضة الأغلبية لتوظيفها -علما بخلفياتها ووعيا بخطورتها- فإن الرأي اتجه إلى اعتمادها كيد جزائرية محلية بدل من حلب يد أجنبية يتطلب حلبها بالإضافة إلى عامل الزمن، ميزانية كبيرة لا تستطيع الجزائر في مثل ظروفها الإيفاء بها، هذا عدا حاجتها الماسة لمثل هذه الميزانية نفسها في إدارة وتسيير الوضع الخطير الذي خلفه الاحتلال بعد رحيله.

وهكذا فإن إخضاع الاشتراكية في الجزائر إلى جانب مادي واقتصادي اختزل كل الميادين الأخرى من جهة وإخضاع تحقيقها إلى الأجهزة الرسمية التنفيذية وأساليب التسيير الذاتي من جهة أخرى قد حال دون مساهمة شعبية في هذا المجال، ثم إن طبيعة انعدام وجود الطبقة الكادحة أو البروليتاريا بالمنظور الاشتراكي العلمي، تاريخيا وواقعيا في الجزائر -بغض النظر عمن أُطلق عليه هذا الوصف في الجزائر لحظة تبني الاشتراكية كان الغرض منه تقريب مفهوم الاشتراكية في الجزائر من أن يجد مكانه في الفكر الاشتراكي العلمي قد حوّل واقعيا -وهو الأهم في خصوصية الاشتراكية الجزائرية- «القاعدة الاقتصادية التي كوّنها داخليا في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى إرادة العناصر التكنوقراطية والفئات البيروقراطية، التي كانت هي صاحبة المبادرة الفعلية واقعيا في تخطيط البرامج الاقتصادية وتنفيذها في الميدان لمصالحها الخاصة بعيدا عن مشاركة العمال والفلاحين في التسيير الفعلي لوسائل الإنتاج، والسيطرة على مجهودهم الخاص مما أدى إلى هيمنة هذه الفئات البيروقراطية مع نهاية السبعينات على جهاز الدولة ومن خلاله على القرار السياسي في البلاد»[2].

وتتواجد هذه الفئات عبر كل الإدارات والمراكز، ولها فعالية في ميادين حساسة وخاصة على المستوى المركزي، وقد عرض "الحسن بن البركة" إلى تحديد هذه المجالات في الإدارة العامة والإعلام والنشاط السياسي والنقابي والثقافي[3]، كما تناولتها الصحافة الوطنية بالمتابعة خاصة بعد إقرار التعددية

---

[1]-تقول الإحصاءات أن المستوطنين تركوا: 800 مصنعا وورشة ومكنا تجاريا معلقا وحوالي مليون وأربعمائة هكتار من الأرض المهجورة. انظر: لطفي الخولي، المرجع السابق، ص ص 26-27

[2]-أحمد بن مرسلي، المرجع السابق، ص374.

[3]-انظر: حسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 24-30-54. وحول مصادر قوة النخبة السياسية في الجزائر، وأصولها الاجتماعية، وتوجهاتها الفكرية والإيديولوجية. انظر: محمد بشير صفار، المرجع السابق. ص 108-144

منذ سنة 1989م، وذلك لارتباطها أساسا بدواليب الحكم ومراكز صناعة القرار في الجزائر وهو ما أدى إلى وصفها عبر العديد من التصريحات الرسمية "بالحرب المستتر" و"مافيا السلطة"وغيرها من الأوصاف[1]

وبهذا تكون الجماعات الضاغطة في الجزائر المستقلة هي الجماعات المرتبطة بوصف ثقافتها الفرنسية الواضحة من جهة وتوجهها الشيوعي أو اليساري المتعصب من جهة أخرى، وهو ما يفسر تسميتها بالتيار الفرنكوشيوعي أو جمعها تحت وصف التيار "التغريبي" وكذا "العلماني" لمواقفه العدائية إزاء الدين، غير الصريحة في البداية ثم الواضحة في الأخير وهو ما عبر عنه عبر أحزابه وصحافته الناطقة باسمه ومواقفه من اللغة العربية في الجزائر والذي يقف وراء إلغاء التعليم الأصلي في السبعينات وتأخير ثم تجميد قرار تعميم اللغة العربية في الجزائر، وإجراءات التعريب الوطنية في كل مرة رغم صدور القرار فيها للمجلس الوطني الشعبي، ومن رئيس الدولة بداية من الرئيس "بومدين" في ونهاية بالرئيس اليامين زروال في 1992م[2]، ثم في 1996م نهائيا.

المطلب الثاني: الخطاب الاشتراكي والسياسة الدينية في الجزائر

بنت الجزائر كغيرها من الدول التي اعتمدت الخيار الاشتراكي في الوطن الإسلامي نسقها التنظيمي على أحادية الحزب الحاكم وشرعية القيادة السياسية ومركزية العمل السياسي، حيث تحول إلى الحزب مهمة تحديد الخيارات والتفكير في مختلف المسائل السياسية والاقتصادية والثقافية،«وهي الحالة التي يحصل فيها اندماج كلي بين الحزب والدولة وهو ما يعرف بالحزب الدولة "L'état parti"»[3]

ومن ثم فقد أخضعت الدولة الجزائرية الاشتراكية كل المؤسسات الجماهيرية لسلطتها وتوظيفها في خدمة ثقافة ما بعد الاستقلال، لمقاومة التخلف بمختلف معطياته من فقر وجهل ومرض، وقد جرى وصف هذا التوجه بمعركة وجهادا وسمي بـــ"الجهاد الأكبر" للتفريق بينه وبين ما سمي بـــ"الجهاد الأصغر"[4] والذي تمثل في مرحلة التخلص من الاحتلال وقيام الدولة الوطنية، لتأتي مرحلة الجهاد الأكبر التي تعني قيادة معركة التنمية التي حدّد نسقها على النمط الغربي الذي

---

(1)-أوردت الصحافة الوطنية رقم 5000 لعدد الإطارات الجزائرية في مراكز عليا من المسؤولية لديهم الجنسية الفرنسية، بالإضافة إلى الجنسية الجزائرية. انظر:المرجع السابق، ص26.

(2)-أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص146.

(3)-منصف الوناس، الخطاب العربي، الحدود والتناقضات، المرجع السابق، ص129.

(4)-سيجري وصفه في الجزائر بجهاد التحرير وجهاد التعمير، انظر: أحمد طالب الإبراهيمي، المعضلة الجزائرية، المرجع السابق، ص38.

بموقع تفوق أوروبا والغرب عامة في سير أعمال المؤسسات وفي نمو العلوم والتقنيات وتقدم الإيديولوجيا الاشتراكية بوصفها أفضل منظومة دفاع للأمة وأقصر طريق لتحقيق التقدم والحداثة. ولذلك تم إضفاء صبغة التاريخية والأصالة على الاشتراكية الجزائرية والدعوة إلى حمايتها والدفاع عنها على أساس أنها الخيار الحتمي والذي لا رجعة فيه.

وللنجاح في تطبيق الاشتراكية، كان من الضروري أن يتم ذلك بعملية تحول فكري وأخلاقي عميق للشعب الجزائري، حيث لا يمكن أن تؤمن مسيرة الثورة الاشتراكية ما لم تكيف الأخلاقيات الاشتراكية والمثل الاشتراكية والسلوك الاشتراكي، وقد وضعت النصوص الكفيلة لإعطاء الاشتراكية في الجزائر محتواها النظري والتطبيق الملائم.

وسيجري تطويع كثير من النصوص الإسلامية ضمن المفاهيم الاشتراكية على نحو ينتهي بتفضيل الاشتراكية في فكرها ومثلها وسلوكها وأخلاقياتها باعتبارها «مبادئ التنظيم الاجتماعي الأكثر عقلانية وعدالة وإنسانية...» كما جاء في ميثاق 1976م[1]، وقد تجاوز التفكير إلى الميدان عبر كثير من الإجراءات في المجال الديني:

أولا: ترسيم المؤسسة الإسلامية

فمنذ السنوات الأولى للاستقلال، وعلى الرغم من أن جناحا هاما من جبهة التحرير الوطني ظل على ولائه للمبادئ والأهداف الإسلامية التي جاهدوا من أجلها إلا أن تحوله من قيادة الجهاد إلى الحزب الحاكم رسميا للجزائر وفي ظل الإيديولوجيا الاشتراكية من جهة وطبيعة السلطة في الجزائر بعد حركة 19 جوان 1965م من جهة أخرى، فإن الاتجاه كان ينحو إلى أنه لا ينبغي أن يسمح للعلماء والدعاة أو المؤسسات الإسلامية المختلفة أن يشكل مركز قوة مستقلا عن سياسة الحزب الواحد –حزب جبهة التحرير الوطني- والحكومة[2]، ويستمر الوضع كذلك لأكثر من عشرين سنة من بعد. كما يقول "فرانسوا بورغات" "François Burgat" بأن السلطة القائمة حاولت بعد الاستقلال أن تمنع ولأكثر من عشرين سنة أي فرد أو تيار من

---

(1)-انظر ميثاق الجمهورية الجزائرية لسنة 1976م، المصدر السابق، ص28.

(2)-يضاف إلى ذلك الموقف الإيديولوجي الشيوعي المعادي للدين ورفضه لما يسميه بالسلطة الكهنوتية والزعامات الروحية، والسلطة الأبوية، ثم الأحداث السياسية التي كانت تجري في مصر –جمال عبد الناصر- مع حركة الأخوان المسلمين، وحركة القومية العربية التي كانت حديث الساعة في الوطن العربي، ولكون كل من سوريا والعراق ومصر، مسرحا لها.

احتكار الساحة الدينية»[1].

فالحذر من قوة الخطاب الإسلامي التعبوي والروحي، ومن ثم توجه التحكم فيه مباشرة وتوجيهه لمسايرة الخيارات السياسية الجديدة في الجزائر المستقلة كان من الأولويات التي جرت مباشرتها عبر ترسيم المؤسسات الإسلامية عبر ما سمته الحكومة بوزارة الأوقاف واسندتها في البداية إلى أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين القدامى وهو "توفيق المدني" فيم استخدمت وسائل مختلفة مع بعض الرموز الإسلامية الذين رضي كثير منهم بالمناصب الحكومية والوظائف العمومية، نظرا لظروف الفقر عامة في البلاد، بالنسبة للجميع ولاعتقادهم بتمام مهمة إخراج المحتل بلغته ومشاريعه الحضارية المختلفة نهائيا، فيما تطوع كثير منهم للإمامة والدرس في المساجد عبر كل القطر.

ومنذ 1966م، تلحق وزارة الشؤون الدينية مباشرة برئاسة الجمهورية حيث جرى إعداد الخطب المسجدية لتوزع على الأئمة قصد قراءتها على المصلين يوم الجمعة وهو إجراء قوبل بالرفض من طرف العديد من الأئمة»[2].

وقد هدف ترسيم المؤسسة الدينية إلى:

1-بسط إشراف الحكومة المباشرة على النشاط الديني عبر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، والتي يناط بها الوضع القانوني والاجتماعي لموظفيها.

2-تحويل العلماء والأئمة والدعاة إلى مجرد موظفين رسميين لدى السلطة السياسية وربطهم بجرية محددة تقلل من إمكانية المعارضة.

3-إبعاد المؤسسة الدينية عن أي دور قيادي روحي على المستوى الاجتماعي، وذلك بحكم تحول عمل العلماء والأئمة إلى طبيعة مهنية تابعة للوظيفة العمومية ومن ثم جعلها مجردة من كل سلطة بحكم وضعها تحت تصرف النظام السياسي وإشرافه، وفي وسط ثقافي تقليدي شديد الحساسية لانتمائه الحضاري الإسلامي فإن دوره الأساس كان لشرعنة الإيديولوجية الوطنية الاشتراكية وذلك بتبرير الخيار الاشتراكي إيدلوجية ووسيلة وهدفا.

---

[1]-François Burgat, L'islamisme au Maghreb, Paris, édition Karthala, 1988, P144.

[2]-انظر أوصديق بن الهاشمي، المرجع السابق، ص29.

4-العمل لتوظيف المسجد عبر الخطبة الجمعية منبرا للخطاب السياسي الرسمي والوحيد للدعاية والدعم والرضى، ومن ثم التعبير الرسمي الوحيد باسم الإسلام.

5-اعتبار المؤسسة الدينية جهازا إداريا تابعا نظريا من حيث قيمه الفكرية وتطبيقيا من حيث تبعيته المباشرة لإشراف السلطة العليا، وتوظيفها في إطار المشروع التعبوي للسلطة السياسية[1]، وذلك عبر فرض الفهم الرسمي للإسلام الذي قد لا يكون دائما وبالضرورة هو الفهم الحقيقي لتعاليم الإسلام وتوجيهها على المستوى الشعبي أو العلمي وحتى في المجال الدولي، وهو ما يفسر اختلاف ما يسميه الكاتب "فؤاد جابر كاظم" بساحات الخطاب الإسلامي[2] مصنفا إياها إلى:

أ-الساحة (الداخلية) القطرية: حيث تمارس لغة الخطاب السياسي الفكري نشاطها داخل كل بلد أو قطر إسلامي، ولذلك يبدو الخطاب الإسلامي متطابقا تماما لتوجهات السياسية العامة للأنظمة الحاكمة لكنه لا يعني بكل الأحوال التناسق التام والاتفاق في الموقف تجاه الأحداث والمجريات أو القضايا المطروحة بقدر ما يعكس حالة التسيس الذي لا يتيح للآخر (المنظومة الفكرية الإسلامية) أن تعبر عن رأيها بكل صراحة ووضوح. يضاف إلى ذلك في الجزائر نسبة الجهل والأمية 95%[3] بين الشعب مما يزيد الموضوع تأكيدا وتوضيحا. ولا ينبغي إغفال النظرة السياسية المصلحية التي تحكم توجه كل (بلد) تجاه أي قضية من القضايا المطروحة، بحيث يتم تغليب هذه المصلحة على كل ما سواها من مبادئ أو مصالح أخرى، ومن ثم فلا يعكس الخطاب -القطري- الرسمي أي حقيقة عن حقيقة ومحتوى الخطاب الشعبي-الفكري تجاه كل القضايا-[4].

ب-الساحة الإقليمية: حيث تمتد هذه الساحة على مدى الإقليم الإسلامي الممتد من أقصاه إلى أقصاه ضمن الحدود الجغرافية المتداولة عاديا بمسمى "الشرق".

من المؤكد أن ما يحكم هذه الساحة هي المصلحة السياسية لكن هذه المصلحة -مع ذلك- لا تخرج في اتجاهها عن مصالح الدول الكبرى ومواقفها من القضايا المهمة.

---

[1]-توفيق المديني، المرجع السابق، ص235.

[2]-فؤاد جابر كاظم، المرجع السابق، ص ص 181-190.

[3]-وقد قدم في مداخلة زهور ونيسي في الملتقى الوطني: الديمقراطية في الجزائر، الواقع والآفاق، الذي عقدته مؤسسة ابن باديس، في الفترة 16-2006/04/17م، في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة وحضرتها الباحثة وسجلت الرقم.

[4]-أبرز الأمثلة في هذا الموضوع هو التناقض التام بين التوجه (الحكومي الرسمي) لبعض الدول المتصالحة (المطبّعة) مع الكيان الصهيوني وبين الرفض الشعبي التام لمثل هذا الموقف على اختلاف بين الدول الإسلامية في هذا التوجه.

فكثيرا ما لا تتقاطع هذه الرغبات والمصالح القطرية والإقليمية ومع التوجهات الحقيقية للرأي العام الشعبي أو النخبة الفكرية المثقفة (المنظومة الفكرية الإسلامية) التي لا تستطيع في كل الأحوال أن تعبر وبأي شكل من الأشكال عن أفكارها المعارضة أو توجهاتها الرافضة لما يجري، والتي إذا ما تم لها ذلك فإنها لن تجد تأثيرا لها على الصعيد العملي والواقعي بفعل احتكار الخطاب السياسي الرسمي للساحة إعلاما، وأقلاما، ودعاية ومؤسسات ووسائل عزل أو منع لتبقى المؤشرات الدولية للقوى الكبرى في المقابل هي الأشد تأثيرا في توجيه الخطاب السياسي في هذه الساحة.

جـ-الساحة الدولية[1]، حيث يلاحظ التشتت العام في الرؤية والتعبير لدى الوطن الإسلامي في مواجهة الخطاب الغربي الرسمي أو غير الرسمي (الفكري) [2]، بمعنى اتحاد الرأي السياسي فيه بالرأي الشعبي وهو ما يعتبر المثال البارز عن مصلحية النظرة الرسمية الحكومية من جهة ومبدئية النظرة لدى المنظومة الفكرية الإسلامية من جهة أخرى، مع ملاحظة أن الخطاب الإسلامي في الواقع لم يكن فعلا مستقلا بذاته وإنما كان ردود أفعال لما يصدر عن الغرب، وذلك لرفض تهمة أحيانا أو محاولة تحسين الصورة لدى الآخر أحيانا أخرى.

6-إبعاد الخطاب الإسلامي، عبر إبعاد الدين عن الميدان السياسي تكريسا واقعيا للعلمانية[3] وذلك عبر وضع الدين في دور الرمز والاحترام فحسب، مع أن هذا العزل لم يهدف في الوطن الإسلامي ومنه الجزائر إلى قطع الصلة بالدين والخطاب الإسلامي نهائيا كما هو الحال في الغرب مبدأ وتاريخا وواقعا بدليل إشراف الدولة مباشرة على المؤسسة الدينية، ثم حاجتها إلى توظيف الإسلام في فترات معينة كحجة قصوى للشريعة من جهة ولمواجهة المعارضة من جهة أخرى في رفضهاأو معارضتها لبعض المشاريع الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها والتي تتبنّى فيها غالبا تعاليم الإسلام في عملية الدعاية والتعبئة لإنجاح المعارضة وهو ما يصفه "هشام جعيط" بأنها

---

[1]-فؤاد جابر كاظم، المرجع السابق، ص ص 190-196.

[2]-ومن الأمثلة الكثيرة لذلك: نظرية ما سمي "بقوس الأزمات" التي طرحها أكبر الخبراء السياسيين الأمريكيين بريزنسكي، وأطروحة "صدام الحضارات" لصموئيل هنتنقتون، و"نهاية التاريخ" لفرنسيس فوكوياما التي ترجمها عمليا توجه السياسات الغربية الخارجية تجاه الوطن الإسلامي جغرافيا دينيا وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة.

[3]-نقصد بالعلمانية هنا توجه الدولة الوطنية التي تخلق في نصوصها التشريعية وممارستها السياسية حالة من التباعد بين هياكلها والنصوص الأصلية من قرآن وحديث ولا نقصد بذلك كما هو واضح مفهوم العلمانية في الدول الغربية.

«علمانية من دون إلغاء للدين وتغيير له من دون تنكر لأصوله»[1].

7-اعتماد استراتيجية (النفي والتأكيد) لتبرير وتوضيح إشكالية الصراع الطبقي بالمفهوم الاشتراكي بإبراز خاصة العدالة في الإسلام للحصول على ضمانة العلماء لتبرير السياسة المتبعة في محاولة التوفيق بين الرغبة الكامنة للمجتمع في اعتماد الإسلام كموجّه لعملية التنمية وبين العلمانية التي ينادي بها التيار التكنوقراطي ويعمل على تطبيقها تشريعا وتنفيذا في عملية التنمية[2].

ثانيا: المفاهيم الإسلامية وعملية التنمية في المنظور الاشتراكي

تميزت الجزائر المستقلة في فترة 1965-1978م بإعطاء الأولوية للتنمية ضمن التوجه الاشتراكي وقد تمحورت تجربته حول الثورات الثلاث: الثورة الصناعية، الثورة الثقافية والثورة الزراعية -بهذا الترتيب- والتي ووجهت الثورة الزراعية منها تحديدا بمعارضة شديدة ورفض شعبي كبير عموما وخاصة من أصحاب العقارات والملاك الكبار في الدولة، وهو ما يفسر استقطابها لموضوع ذكر الدين الإسلامي في الخطاب السياسي مقارنة بمجال التصنيع وتأميم المحروقات التي كانت بعيدة عن أي ضغط من المعارضة السياسية، ومن ثم لم يرتبط ذكر الدين الإسلامي بها في الخطاب السياسي البتة.

واستنادا إلى دراسة أحمد بن مرسلي لخطب الرئيس هواري بومدين[3] لكونها الخطاب السياسي الوحيد في الجزائر المستقلة في الفترة 65-1978م، ولانعدام الخطاب المنافس، فقد تبين أن استخدام الإسلام لم يحض في خطب الرئيس «بومدين» بالأولوية، كما لم يكن يحتل المكانة الكبيرة بالمقارنة في مجالات أخرى مثل المجال الثقافي في الجزائر كالتعليم أو المجال الصناعي وغيرهما، ولما كانت الإجراءات الاقتصادية قد شكلت الأساس في الاهتمام الرسمي والقيادة السياسية في الجزائر خلال فترة الدراسة المذكورة فإن ذلك يفسر غياب تناوله أصلا في كثير من الفترات أو ذكره في مناسبات قليلة في مجالات بعينها.

---

[1]-منصف الوناس، الدولة والدين في تونس، المرجع السابق، ص103 نقلا عن:
(Hichem Djait, « Islam et politique », dans Islam et politique au Maghreb) ?

[2]-عبد الباقي الهرماسي، المرجع السابق، ص505.

[3]-تعتبر خطب الرئيس «بومدين» من أهم الوثائق والشواهد المتوفرة لدراسة التجربة الاشتراكية في الجزائر لما قام به الرئيس من دور هام في عملية صنع القرار السياسي الجزائري ومتابعة تطبيقه في الواقع العملي بحكم كونه المسؤول الأول في البلاد طوال مدة 65-1978م.

ولم تتعد حدود مفاهيم بعض التعاليم الإسلامية مثل العدالة الاجتماعية محور الإيديولوجية الاشتراكية في التجربة الجزائرية، وكذا مفهوم المساواة لدى الرئيس، تلك التصورات النّابعة أساسا من ثقافته العربية الإسلامية التي كان يعبر بها وعن طريقها عن إيمانه الشخصي الراسخ الذي أخذ عنده قناعة القائد التاريخي المؤمن بصلاحية أفكاره الخاصة وتجاربه البطولية وفائدتها لكل الجزائريين ومن ثم فإنه يتطلب منهم تطبيقها دون تردد أو معارضة.

وبناء على ذلك فإن توظيف الدين الإسلامي في الخطاب السياسي منذ 1965م لم يخرج عن خدمة قرارات القيادة السياسية في المجال الاقتصادي وتأكيد شرعيتها والدعوة إلى قبولها وتطبيقها وذلك عبر:

1-تحضير الرأي العام الجزائري لتقبل القرارات التي تصدرها القيادة السياسية دون معارضة، وذلك بإبرازها ضمن المبادئ الإسلامية بعيدا عن الممارسات الشيوعية الإلحادية التي تتنافى وعقيدة الشعب الجزائري.

2-منع انسياق الجزائري وراء الإشاعات التي كانت تروجها الأوساط المعارضة[1] لتطبيق إجراءات تأميم الأراضي، والتي كانت في الوقت نفسه تحتل مناصب سامية داخل أجهزة الدولة، وذات تأثير كبير على الفلاحين في الريف نظرا لتغلغلها التقليدي في أوساطهم.

وقد كانت هذه الأوساط هي نفسها تستغل الدين الإسلامي وتعاليمه للدعاية وتقوية معارضتها لقانون الثورة الزراعية والتسير الذاتي، وتركز على أن تطبيق الاشتراكية في الجزائر يعد أمرا دخيلا على المجتمع الجزائري وعلى دينه الحنيف، وعلى أن انضمامها للثورة كان من أجل توسيع أراضيها لا من أجل تأميمها.

وكان مشروع الإصلاح الزراعي ضمن الثورة الزراعية يستهدف وضع حد للملكيات العقارية الكبيرة التابعة للقطاع الفلاحي، ولذلك فإن المعارضة الشديدة لأصحاب هذه العقارات ونظرا لقوة دعايتهم واستغلالهم للمفاهيم الإسلامية في تعبئة هذه الدعاية قد أدى في المحصلة إلى تأخير تطبيق قانون الثورة الزراعية من سنة 1966م سنة ظهوره إلى سنة 1971م، وذلك مع بداية تطبيق المخطط الرباعي الأول[2].

---

[1]-سماها «بومدين» في خطابه مع لطفي الخولي، بـ"التحالف الاستعماري الرجعي"، انظر: المرجع السابق، ص52.

[2]-يعتبر المخطط الرباعي الأول الذي جرى وضعه للفترة ما بين 1970-1973م، أول مخطط حقيقي للتنمية وجاء في-

3-للهجوم والرد على دعاية أصحاب الملكيات العقارية الكبرى بتعدية شعار "الأرض لمن يخدمها" وتحميلهم وضع البؤس والفقر والجوع الذي يعانيه الفلاح الجزائري في الريف باعتبار ذلك انتهاكا لتعاليم الإسلام التي تفرض القضاء على مظاهر العوز والجوع وهو ما يجد له الحل الأمثل في تطبيق الثورة الزراعية.

4-للترويج لمفهوم العدالة الاجتماعية بالمنظور الاشتراكي وربطه بالتعاليم الإسلامية، فالاستغلال حرمه الإسلام ومن ثم فالجزائريون -كما الأمة الإسلامية- كلهم شركاء في الماء والكلأ والنار، وبأن الأرض ملك لجميع الجزائريين ولا يحق لمجموعة من الملاك احتكار الأرض على حساب كل الجزائريين.

5-بعد مرحلة الإعداد للرأي العام أولا ثم الرد على المعارضين ثانيا تأتي مرحلة توظيف تعاليم الإسلام ومفاهيمه لكسب تأييد الرأي العام الجزائري ودعمه للقرارات السياسية عند تطبيقها هذه المرة كقوة عمل وهذا بعد ما تم تجاهل رأي الجزائريين على مستوى إعداد هذه القرارات أو المشاركة في اختيارها على مستوى قانونها الأساسي أو وضع ميثاقها وفلسفتها.

6-استخدام المفاهيم الإسلامية لإخفاء الصراع السياسي الذي دار حول تطبيق الثورة الزراعية والذي رفض ربطها دوما بفكرة الصراع الطبقي[1].

وبهذا ندرك أن الخطاب السياسي الاشتراكي الجزائري قد استخدم بعض المفاهيم الإسلامية لإضفاء الشرعية الدينية على خيارات ومشاريع القيادة السياسية الرسمية في الدولة، وقد كان استخداما براغماتيا بالدرجة الأولى، لأنه استهدف إمداد هذه القرارات بسبل القوة والاستمرار عبر تحقيق القناعة والقبول الشعبي في الوسط الجزائري المتدين وكان استخداما تكتيكيا بحكم توظيفه في مجالات معينة دون المجالات الأخرى، والمقصود منها المجالات التي ووجهت بالمعارضة الشديدة من أصحاب العقارات الكبرى وكان ذلك بهدف الهجوم عليها أولا وكسب تأييد الشعب ضدها ثانيا، حيث لم يكن هناك أقوى ولا أعمق من القوة التعبوية للتعاليم الإسلامية لتحقيق التأييد والإجماع ومن ثم النجاح في المشروع.

=مرحلة شهدت إرساء تنظيم جديد في بعض القطاعات كالثورة الزراعية والمجالس الشعبية البلدية والولائية والتسيير الاشتراكي للمؤسسات. انظر مجلة الجزائرية، ع129، عام 1985م، ص2.

[1]-أحمد بن مرسلي، المرجع السابق، ص343.

وبناء على ذلك فإن وجود الآية القرآنية أو الحديث النبوي الشريف لم يكن استخدامه في الخطاب السياسي خاصة –الخطب التعبوية- من قبيل المرجعية المباشرة للخطاب الرسمي، حيث أن الأخير يتبنى الإيديولوجية الاشتراكية فكرا وسلوكا وأهدافا ووسائل وإنما لكونها من صميم الثقافة العربية الإسلامية الخاصة بشخص الرئيس "بومدين" من جهة ولكونها –وهو الهدف- رموز حضارية تراثية أقرب من غيرها إلى البنى الذهنية السائدة في المجتمع الجزائري الأمي عموما وإطار الثقافة الشعبية الشفهية الراسخة والدينية في مجملها ثم انعدام المشاركة السياسية والاجتماعية القوية أو منع وجودها لهذا الغرض بالذات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مظاهر نشاط الخطاب الإسلامي في الجزائر الاشتراكية

يعود الخلاف بين الخطاب الإسلامي والخطاب السياسي في الجزائر المستقلة إلى طبيعة المشروع التحديثي. الاجتماعي الذي اقترحته الدولة الوطنية الجديدة بعد استعادة الاستقلال الوطني، وقد اتخذ الخلاف طابعا دينيا وثقافيا وحضاريا و لم يكن سياسيا أو صراعا على السلطة، كما تصورته وتصوره بعض الطروحات الغربية عموما والجزائرية بناء عليها فيما بعد... وإنما كان صراعا —إن جاز وصفه كذلك- حول الهوية بالدرجة الأولى واتسم من طرف الخطاب الإسلامي بالدفاع عن الهوية العربية والإسلامية للجزائر والشعب الجزائري، وقد اتخذ من معاداة العلمانية — ومشروعها الاجتماعي والحضاري في البداية- مدخلا نظريا وحقيقيا تم توسع حسب جديد الساحة السياسية وتوجهات المشاريع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي كان الخطاب السياسي الجزائري يطرحها تخطيطا وتنفيذا عبر المؤتمرات السياسية والقوانين التشريعية والتنفيذية لحزب جبهة التحرير الوطني، ثم عبر المنظمات الجماهيرية شرحا وتعبئة وإقناعا وعبر المؤسسات الوطنية تكوينا ثم تطبيقا ميدانيا في الأخير... طوال الفترة الاشتراكية.

ومنذ أن حلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نفسها في 1956م استجابة لنداء جبهة التحرير الوطني للانضمام إلى صفوف الثورة، لم تعد الجمعية إلى نشاطها بعد الاستقلال بصفة رسمية. وكان قد انصهر كثير من إطاراتها في الوظائف الحكومية والعمومية خاصة في مجال التعليم والإمامة عبر مدارس ومساجد القطر التي كانت الجزائر في أمس الحاجة فيها إلى الكادر التعليمي للاضطلاع بمهمة بعث المدرسة الجزائرية من جديد من خلال سياسة تعليم وطنية.

وعند مصادقة المؤتمر الأول لجبهة التحرير الوطني على ميثاق الجزائر سنة 1963م الذي يترجم "برنامج طرابلس" عمليا عبر ترسيم توجهات الدولة الجزائرية في صياغة مشروع المجتمع الجزائري الاجتماعي والحضاري والثقافي... على الأسس الإيديولوجية الاشتراكية الذي يعني تكريس العلمانية بإبعاد الإسلام عن التشريع في الجزائر المسلمة، أثار انشغال العلماء وتوجسهم و لم يتأخروا في تسجيل موقفهم بالتذكير بثوابت الشعب الجزائري التي تضمنتها مواثيق الثورة والتي كانت وحدها وراء التفاف الشعب حولها وتضحيته في سبيلها بفاتورة النصر الغالية على الاحتلال، بمليون ونصف مليون من خيرة أبناء الجزائر.

المطلب الأول: مواقف فردية:

وقد بدأ الجدال حول مشروع المجتمع في الجزائر منذ 1962م ولم يكن دور الخطاب الإسلامي فيه إلا عن طريق العرائض والنداءات والبيانات وهو ما يترجم الأوضاع السياسية في الجزائر وقوة التوجه الاشتراكي والعلماني في الساحة الدولية عموما والعربية خصوصا[1]. وقد اتسم بالفردية في الأول لكنه تحول إلى العمل الجماعي رغم صعوبة الظروف محليا وإقليميا. ففي 16 أوت 1962م وجهت لجنة الثقافة الإسلامية نداء إلى المكتب السياسي طالبة الاهتمام باللغة العربية والإسلام، وفي 21 أوت من نفس السنة، وجه علماء الإسلام واللغة العربية نداء إلى الشعب الجزائري ردا على مطالب فيدرالية جبهة التحرير في فرنسا بتأسيس دولة لائكية علمانية[2].

وسجلت سنوات 1963م، 1964م، 1971م توجه أئمة المساجد وخاصة تلك التي بالعاصمة والتي كانت تنقل خطبهم فيها عبر الإذاعة الوطنية، تأكيدهم على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خاصة فيما يتعلق بالمظاهر الاجتماعية التي بدا لهم أن الخطاب السياسي يرغب فيها ويحث عليها، ومنها خروج المرأة الجزائرية إلى الشارع وفي الحفلات دون التزامها بالعفة والاحتشام التي عرف بهما المجتمع الجزائري، وكان أن عزل الشيخ عبد اللطيف سلطاني "من الإمامة والخطبة في "جامع كتشاوة" في عهد الرئيس "أحمد بن بلة" بعد خطبة ألقاها في 26 مارس 1965م وكان موضوعها "المرأة ومكانتها في الإسلام" وذلك برسالة من وزارة الأوقاف آنذاك في 7 أفريل 1965م، وكان الشيخ قد عاد متطوعا للإمامة والخطبة في الجامع لكنه عزل مرة أخرى لإثارته للموضوع نفسه وذلك في نوفمبر 1965م ليتفرغ للتعليم في ثانويات العاصمة[3].

وقد عزل "عبد اللطيف سلطاني" من الإمامة والخطبة مجددا بعد خمس سنوات من التطوع

---

(1)-تشترك في هذا كل الدول الإسلامية التي اعتمدت العلمانية بطريقة أقرب أو أبعد من علمانية تركيا انظر في تونس في عهد الرئيس الحبيب بورقيبة مثلا: -توفيق المديني، المرجع السابق، ص ص 229-231.

-منصف الوناس، الدين والدولة في تونس، المرجع السابق، ص ص 104-106.

محمد منصور، محمود هيبة، القضايا الإسلامية في الصحافة المصرية، دراسة تحليلية للصحف المصرية 1952-1981م، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت لجامعة القاهرة، قسم الصحافة، سنة 1996م، ص ص33-45.

(2)-عبد الباقي الهرماسي وآخرون، المرجع السابق، ص505.

(3)-أوصديق فوزي بن الهاشمي، المرجع السابق، ص ص 26-27. وقد تداول على وزارة الأوقاف في هذه المدة على التوالي: الأستاذ التيجاني هدام ثم السيد العربي سعدوني.

في جامع "ابن فارس"[1] بالعاصمة بعد رفضه قراءة خطبة وزارة الشؤون الدينية التي فرضتها على أئمة المساجد، واعتبر ذلك توظيفا للمساجد لخدمة أغراض بعيدة عن الدين، خاصة فيما يتعلق في إقناع الجزائريين بالتوجه الاشتراكي والدعاية للعلمانية[2].

المطلب الثاني: بيان الإبراهيمي "ضد الانحراف العقدي والسياسي"

وفي هذه الأجواء يأتي بيان "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" الذي عرف "بالبيان التاريخي" ليسجل رفض العلماء لتوجهات الدولة الجزائرية الاشتراكية، والتي اعتبرها انحرافا عقائديا وسياسيا ونبه إلى خطورتها على مستقبل الجزائر دولة وشعبا، ووجه البيان إلى النظام الجزائري مباشرة وإلى الشعب في الوقت نفسه وذلك في 16 أفريل 1965م كمناسبة لها دلالتها ورمزيتها القوية في التاريخ الجزائري الحديث، والتي تصادف الذكرى الأربعة والعشرين لوفاة "الشيخ عبد الحميد بن باديس" رئيس جمعية العلماء، وصدر البيان تحت عنوان "ضد الانحراف العقائدي والسياسي" ونقرأ فيه مايلي:

-أن "الشيخ الإبراهيمي" قد التزم الصمت بعد أن ظن أنه سلم مشعل الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام الحق والنهوض باللغة العربية إلى الذين أخذوا زمام الحكم في الوطن.

-أن الوطن يتدحرج نحو حرب أهلية طاحنة ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها ويواجه مشاكل عسيرة الحل.

-أن الأسس النظرية التي يقيم عليها مسؤولوا الوطن –في ذلك الوقت- أعمالهم يجب أن تبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من المذاهب الأجنبية.

-أنه آن الأوان ليحتشد أبناء الجزائر لتشييد مدنية تقوم على تقوى من الله ورضوان[3].

---

(1)-جامع ابن فارس كان يسمى بـ"جامع اليهود" يوجد بحي القصبة وتمت استعادته إلى وظيفته الإسلامية، وظلت خطة المسجد من الشيخ "عبد اللطيف سلطاني" الإمامة والخطبة فيه فقبل متطوعا لمدة خمس سنوات حتى عزل...

(2)-المرجع نفسه، ص ص 29-30، وقد كان وزير الشؤون الدينية في هذه الفترة هو الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم –رحمه الله-.

(3)-انظر: نص البيان في:الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة 1954-1964م، الجزائر، دار الأمة،1994م، ص247.

-وأيضا في أو صديق فوزي الهاشمي، المرجع السابق، ص33.

وكما هو واضح فإن البيان نبه إلى الأزمة الروحية التي كان يتخبط فيها الشعب الجزائري وهي نتيجة الحرب الدينية والثقافية التي قادها الاحتلال الفرنسي طيلة تواجده، ومحصلتها توجه الخطاب السياسي إلى العلمانية وبصياغة المشروع الحضاري للمجتمع في المنظور الاشتراكي الأحبي على الجزائر والجزائريين ومن ثم الدعوة إلى وجوب صياغته من صميم جذور الشعب الجزائري العربية الإسلامية بإعطاء الإسلام مكانته المحورية في التشريع لتشييد حضارة الجزائر تقوم على تقوى الله ورضوانه[1].

المطلب الثالث: "جمعية القيم" و"مجلة التهذيب":

وإذا كان التوجه الاشتراكي موضوع إقناع مطول عبر النصوص الرسمية الجزائرية خاصة ميثاق 76م، وميثاق 86م كما بينا فإنه لابد من تسجيل اعتراف الميثاق الأخير بالاختلالات السلوكية والروحية والثقافية التي أنجرت عن تطبيق الاشتراكية في الجزائر، والتي عدها الميثاق ضمن المراجعة والتقييم بعد سنوات من عمر التجربة، وكان يمكن تفاديها لو ساهم الجميع في اختيار ما يناسب الجزائر تاريخا ومستقبلا منذ البداية.

وفي ظل هذه الأجواء تظهر "جمعية القيم"، وهي الجمعية الإسلامية الوحيدة التي باشرت النشاط الإسلامي بعد الاستقلال، لتقود العمل الجماعي بملء الفراغ الديني الذي كانت تعيشه الجزائر خاصة بعدما أشيع حل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أعلن عنها رسميا في 14 فيفري 1963م بعد ما تقدمت بطلب التصريح في 15 رمضان 1382هـ الموافق لـ9 فيفري 1963م بالجزائر العاصمة عن طريق الأستاذ "الهاشمي التيجاني" رئيسها، وثلاثة من الأساتذة، انسحب منهم اثنان بعد شهرين فقط من إنشائها[2].

وقد اختير لها وصف "القيم":

-لإبعادها عن الألقاب الرنانة.

-لكي لا يبقى نشاطها محدودا بالمجال الديني وأن يشمل تطور الأفكار والمظاهر الثقافية.

---

[1]-بعد إصدار البيان حكم على الشيخ الإبراهيمي بالإقامة الجبرية حتى توفي في 1965م، وقد دفن بالعاصمة بعد صلاة الجمعة وخرج الشعب لوداعه في جنازة مهيبة وأبنه عديد العلماء والشعراء من داخل الوطن وخارجه ونعاه الشعب بوصف "يا أبا الشعب، يا فخر الجزائر" انظر أوصديق الهاشمي، المرجع السابق، ص ص 42-43.

[2]-هم زهير إحدادن والأستاذ باعلي، وبقي منهم عيسى قصار بالإضافة إلى رئيسها الدكتور الهاشمي التيجاني.

-ولأن الإسلام قيم خاصة تشمل كافة المظاهر الاجتماعية[1].

ويضم مكتب الجمعية أساتذة تعليم عال وثانوي وموظفين وتجار بالإضافة إلى بعض المشايخ العلماء، كما تضم لجان تضطلع بالمهام المالية والتنظيمية والأدبية وتعضدها هيئة استشارية، وقد أعلنت الجمعية عن أهدافها ضمن مهام كبرى لنشاطها ثم فصلت شرحها وبيان مقصودها منها حيث نقرأ:

أ-إحياء القيم الإسلامية التي تتلخص في الإيمان بالله وحده وفي قدرته وعلمه ورحمته وبأنبيائه قادة الإنسانية في الشؤون الدينية والدنيوية معا.

ويتبين في شرح الجمعية لهذه المثل، معارضتها ورفضها الاشتراكية في الجزائر من جهة وبيانها أن اتجاه إبعاد الإسلام من التشريع في الجزائر يعود إلى عدم الثقة به في تحقيق الحضارة والرفاهية واللحاق بالعصر ومن ثم البرهنة على خطأ هذا التوجه بتقديم الأدلة من تاريخ الأمة الإسلامية وجاء في ذلك أن:

ب-أن القيم الإسلامية التي تعمل على إحيائها هي القيم نفسها التي تتمثل في المبادئ الأخلاقية التي جاء بها القرآن والتي كونت مثلا عليا سامية أوحت عواطفا وأفكارا وأعمالا حطمت حكم القلة، والاستبداد، والشرك، والمادية، واحتكارية أرباب الأموال، سواء كانت في الداخل أو الخارج.

جـ-أن هذه القيم الإسلامية هي التي أقامت -بناء على ذلك- الأمن والعدل ونظمت على أسس علمية محاربة المرض والفقر والجهل، فحققت المعجزات في ميدان التكوين الروحي والعقلي والعاطفي والبدني.

د-أن القيم الإسلامية تتجلى في الصلوات الخمس التي تقوى الشعور برقابة الله لأعمالنا وأفكارنا وهواجس نفوسنا، وهو ما جعل من مسلمي العصور الأولى أفرادا جد واعين سواء بالمسجد وبالشارع أو بالمدرسة والعمل أو بالثكنة والدكان.

هـ- أنه بفضل هذه القيم الإسلامية أنشأت الحضارة العربية التي استمرت ما يقرب من ألف سنة على آسيا وإفريقيا وأوربا في زمن لم يكن فيه ذكر لأمريكا وأستراليا.

---

[1]-ورد ذلك في حوار أوصديق فوزي بن الهاشمي مع رئيس الجمعية الهاشمي التيجاني، في المرجع السابق، ص40-44.

و-أن هرم هذه الحضارة لا يعود إلى أن أصولها لم تعد صالحة وإنما لأن المسلمين ابتعدوا من حيث لا يشعرون عن سمو الأوامر القرآنية ولانغماسهم في الترف وميوعة الحضارة وركونهم إلى الكسل.

ز-ومن ثم فإن ضمان المستقبل لا يكمن في استيراد المذاهب الأجنبية أو تقليدها وفرضها على الجزائر المسلمة وإنما يكمن في الارتباط بالتراث الروحي والعقلي وإعادة إحياء القيم الإسلامية التي كانت وراء إنشاء الحضارة الإسلامية الأولى.

ويمكن للمتابع بسهولة ملاحظة صدى هذه الأهداف بالرد عليها في مختلف فقرات الميثاق الوطني لسنة 76 و86م، مما يؤكد محتوى الجدال ومجالاته من جهة وينفي نظرية الصراع على السلطة التي روج لها البعض فيما بعد كثيرا وربطها بالحركة الإسلامية من جهة أخرى وخاصة في البداية على الأقل.

وقد اتسم نشاط "جمعية القيم" بالطابع العلمي والثقافي والديني وذلك كما يلي:

-إرسال الوعاظ والمرشدين والأئمة إلى كافة مساجد العاصمة وبعض الأندية القديمة والجديدة للدرس والموعظة والمحاضرة[1].

-وضع برنامج ثقافي وعلمي للتعريف بالتاريخ العربي الإسلامي للجماهير، وذلك عبر رحلات ذات صلة بالموضوع عبر الزيارات الثقافية الميدانية إلى المعالم التاريخية الإسلامية في الجزائر مثل سيدي عقبة، قلعة بني حماد ببجاية، تلمسان عاصمة الزيانيين، تدرومة، عين ماضي ببسكرة ويذكر مؤسسها أن عمل الجمعية في هذا المجال كان لموازاة بعض الأساتذة الفرنسيين وبعضهم يهود كانوا ينظمون زيارات للآثار الرومانية، لكن الجمعية منعت من مواصلة هذا النشاط بدعوى التشويش على الأمن العام[2].

-ويبقى أهم نشاط للجمعية هو إصدارها لمجلة "التهذيب الإسلامي" التي كانت لسانها في تقديم البديل الإسلامي في الجزائر، بالتركيز على دراسة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على وجه الخصوص، والتي كانت وما تزال تواجه المجتمع الجزائري من وجهة نظر العقيدة الإسلامية، وهو ما يعبر عنه العنوان الفرعي للمجلة، يمكن قراءته في موضوعات المجلة في عددها

---

[1]- عبد الباقي الهرماسي وآخرون، المرجع السابق، ص506.

[2]-أوصديق فوزي بن الهاشمي، المرجع السابق، ص44.

9-10[1]، في الجدول الآتي:

قصة الإيمان	...	نديم الجسر
فلسفة العبادات في الإسلام	...	توفيق الشاوي
-المسؤولية الفردية	...	أحمد حمد
-الشورى في الإسلام	...	أحمد بن جدة
-من مائدة القرآن	...	أحمد سحنون
-الاهتمام بأمر المسلمين	...	عبد اللطيف سلطاني
-المسلمون لا يعلمون الإسلام	...	عمرو العرباوي
-إلى ابننا عيسى	...	إبراهيم أبو اليقظان
-الاحتفاء بالسنة الهجرية	...	محمد الأكحل شرفاء
-حاجة البشرية إلى الدعوة الإسلامية	...	//
-نظرية العلم في تصور ابن باديس	...	عمار الطالبي
-المرأة المسلمة	...	الهاشمي التيجاني

جدول رقم 4: فهرس موضوعات العدد 9-10 لمجلة "التهذيب الإسلامي"

وفي إطار نشاطها الإسلامي وبعد أحداث 1965م في مصر التي حكمت فيها السلطات المصرية بالإعدام على عدد من جماعة الإخوان المسلمين[2]، بعثت "جمعية القيم" ببرقية التماس إلى

---

[1]-وقد صدر هذا العدد بتاريخ: محرم-صفر 1386هـ الموافق لشهري أفريل -ماي سنة 1966م.

[2]-تذهب كثير من الكتابات والدراسات إلى التأكيد على أن "جماعة الاخوان" لم يثبت تورطهم لا في أحداث 1954، المعروفة "بالمنشية" ولا في أحداث 1965م، وأن كلا الحادثين كانا من تدبير أجهزة الأمن لتصفية الجماعة، انظر: فهمي هويدي، العنف ليس إسلاميا، جريدة الوطن الكويتية، ع26، ماي 1987م، وهرير ديكميجيان، المرجع السابق، ص125.

ولتفسير الأحداث وملابساتها، يرجى الرجوع لمجموعة من الدراسات منها:

-محمد نجيب، كنت رئيسا لمصر، القاهرة، المكتب المصري الحديث، ط2، 1984م.

-محمد مصطفى الفيلالي، الصحوة الإسلامية، خصائصها، أطوارها، مستقبلها، في الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1987م.

-زكريا سليمان بيومي، الاخوان المسلون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة، 1952-1981م، القاهرة، مكتبة وهبة، 1987م.

-محمود متولي، الاخوان المسلمون والعمل السياسي، دراسة تاريخية، القاهرة، دار الفجر للطباعة، 1989م.

الرئيس "جمال عبد الناصر"، تلتمس منه فيها تخفيف الحكم على الشهيد "سيد قطب" "وبعض رفاقه ومنهم "زينب الغزالي" وأكدت الجمعية من خلال البرقية أنها إنما تقوم بذلك كجمعية إسلامية ثقافية دينية لا خوض لها في الشؤون السياسية لا المصرية ولا الجزائرية وإنما هي إلتفاتة من أجل علماء مسلمين إخوان.

وقد وقع البرقية رئيسها "الهاشمي التيجاني" وذلك بنادي الترقي "في سبتمبر 1966م"، ولكن الجمعية توقع في نفس الشهر نهايتها، حيث يأتيها أمر المنع من مزاولة نشاطها في 22 سبتمبر 1966م، بعدما تدخل الرئيس "جمال عبد الناصر" شخصيا لهذا الغرض لدى "الرئيس بومدين"[1].

وكان رئيس الجمعية قد أقيل من منصبه الرسمي كأمين عام لجامعة الجزائر، والذي كان في ذلك الوقت -1962-1964م- الإطار الجزائري الوحيد بالجامعة بين عمداء الكليات ومديري المعاهد ورؤساء المخابر الذين كانوا كلهم فرنسيين[2].

وقد تناولت الصحافة الجزائرية قضية منع "جمعية القيم" وردت أسباب ذلك إلى نشاط الجمعية المنافية للقانون، وبأنها امتداد للبهائيين وتستلهم سياستها من الخارج وتعمل تحت ستار التقوى المزيفة...» [3].

وبهذا تُمنع جمعية القيم من نشاطها بمنعها من أداء أهم وجوهه الإعلامي منه والفكري والتربوي لكن الخطاب الإسلامي سينشط بصفة ملحوظة منذ صدور قانون الثورة الزراعية فيما بعد لمواجهة النشاط اليساري الشيوعي في الجزائر.

---

[1]-وهـذا خلاف لما ذهب إليه بعض الكتاب بوصفها بالبرقية شديدة اللهجة، يرجى قراءة نص البرقية في أوصديق فوزي عن الهاشمي، المرجع السابق، ص62.

[2]-المرجع نفسه، ص42. وبالإضافة إلى منصب الأمين العام لجامعة الجزائر الذي اعتلاه في 1962-1964م، فقد تولى بعدها مناصب كثيرة، في وزارة الشؤون الدينية مثل نائب الوزير، وأمين عام الوزارة في 1965-1966م، ومهمات في وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي، ومدير معهد الزراعة 1964-1965م، ومناصب في التعليم العالي، أستاذ في المدرسة العليا للترجمة، 66-1969م، أستاذ مساعد في الفلسفة بكلية الآداب، 1969-1975م، أستاذ لتاريخ الحضارة بمعهد اللغات الأجنبية 1975-1979م، أستاذ ورئيس المجلس العلمي بالمعهد الوطني العالي لأصول الدين بداية من 1983م...
ويتقن "الهاشمي التيجاني" بالإضافة إلى اللغة العربية، الفرنسية الإنجليزية الاسبانية الإيطالية الألمانية، وشارك في عديد الملتقيات داخل الوطن وخارجه وله مؤلفات ومقالات عديدة، انظر: المرجع نفسه، ص ص 48-50.

[3]-منها: جريدة الشعب بتاريخ 22 سبتمبر 1966م.

المطلب الرابع: في مواجهة اليسار الجزائري

يلفت كثير من الدارسين "للحركة الإسلامية" في الجزائر إلى مفارقة لها دلالتها في الواقع الجزائري، خاصة على الواقع السوسيولوجي أولا والفكري عموما، ويكمن ذلك في أن الخطاب الإسلامي في الجزائر منذ نهاية الستينات سينطلق من كليات العلوم الدقيقة والطب بصفة خاصة وهو ما يعني تناوله من طرف المتعلمين والمثقفين والمكونين منهم بالثقافة الفرنسية تحديدا باعتبار اختصاصاتهم العلمية البحتة، والتي كانت اللغة الفرنسية هي لغة التعليم فيها في الجزائر، وإلى حد الآن ومن ثم جمعهم بين القيم الإسلامية من جهة والثقافة الغربية، من جهة أخرى في الوقت نفسه، وفي المقابل فإن كليات العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاقتصاد، فقد كانت ميدانا للشيوعيين الجزائريين بلا منازع كما يؤكد الهرماسي[1]. وعليه فالخطاب الإسلامي لم يخرج من الزوايا ومراكز الشعوذة، كما كان يروج آنذاك وإنما من مراكز العلم العليا وهو ما تشترك فيه ما سمي بالصحوة الإسلامية المعاصرة في مختلف الدول الإسلامية كمصر، وتونس وغيرهما.

وستشهد الجزائر في هذه المرحلة، صدور قانون الثورة الزراعية، ومناقشة قانون الأسرة، وصعود التيار الشيوعي الإلحادي الذي تشهده الجامعة ومظاهر المجتمع وتوجهات الاشتراكية في الجزائر.

وإذا كان قانون الثورة الزراعية قد وُجه بمعارضة شديدة من أصحاب الملكيات العقارية الكبرى وأصحاب المراكز العليا في الدولة، كما درسنا ذلك سالفا، فإن الخطاب الإسلامي يسجل معارضته للقانون على لسان عدد من المشايخ والعلماء والأساتذة سواء عن طريق الرفض التام والمبدئي للقانون أو بقبول تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية الذي جاء به القانون معيبا عليه محتواه الشيوعي[2]، حيث تأتي معارضة هذا الفريق للقانون على سبيل المعارضة المذهبية وليست مبدئية وستفعّل هذه المعارضة أثناء مناقشة قانون الأسرة عام 1975م، وتبرز في النهاية أثناء مناقشة ميثاق 1976م.

---

[1]-عبد الباقي الهرماسي وآخرون، المرجع السابق، ص506.

[2]-وكان من أبرز رموز هذا الرأي الأستاذ رشيد بن عيسى. انظر: الهرماسي وآخرون، المرجع السابق، ص507.
وقد اشتغل في السبعينات كمترجم لدى اليونسكو، وكان يحسب على التيار الشيعي في الجزائر خاصة بعد انتصار الثورة الإيرانية في 1979م، كان يحاضر في بعض ملتقيات الفكر الإسلامي منذ بدايتها، ومنها ملتقى بجاية الذي حضرته الطالبة وكان ذلك في 1986م.

فقد كان اتجاه مناقشة قانون الأسرة من طرف الدولة ينحو إلى صياغته على طريقة عصرية يفرض تطبيقها على جميع الجزائريين بدون امتياز وتفويض ديني أو عنصري وأن تكون نافذة قابلة لمسايرة تغير الهيئة الاجتماعية بما يوحي بإقرار التوجه الاشتراكي في نصوص القانون. وقد جرت مناقشة قانون الأسرة على مدى العام تقريبا في تسع جلسات بمعرفة عدد من العلماء والموظفين كان أبرزهم الشيخ عبد اللطيف سلطاني –ح– الذي كان الإمام الأول "لجامع كشتاوة" وعينته الحكومة مندوبا لوزارة الأوقاف لدى لجنة التشريع بوزارة العدل في 1963م، وتمت مناقشة القضايا الخاصة بالقانون، كالتالي:

أ–دور القاضي في الطلاق والزواج من المرأة الثانية.

ب–موضوع تعدد الزوجات كما جاء في القرآن الكريم.

حـ–وجوب كون شاهدي الزواج ذكرين ومسلمين[1].

ولشرح موقف الإسلام من الاشتراكية من جهة ومعارضة قانون الثورة الزراعية، قام "عبد اللطيف سلطاني"[2] بتأليف ثلاث كتب، كان لواحد منها أثره البارز على القراء والمثقفين في الجزائر فيما يتعلق بأصل الاشتراكية ومنافاتها للدين الإسلامي، ومن ثم لواقع الجزائريين ومستقبلهم، وهو كتاب "المزدكية" أصل الاشتراكية «الذي رفضت المطابع الجزائرية طبعه فطبعه صاحبه في المغرب سنة 1974م»[3]، والذي لم يجر تداوله بين الجزائريين إلا منذ 1979م بعد ما

---

[1]–أوصديق فوزي بن الهاشمي، المرجع السابق، ص ص 80–82 (وقائع الجلسات وشخصياتها...)، وقد بدأت بتاريخ 30 مارس 1963م، أما الأخيرة فكانت في 9 جانفي 1964م.

[2]–عبد اللطيف سلطاني:هو عبد اللطيف بن علي بن أحمد السلطاني القنطري، تعلم بالجزائر ثم انتقل إلى تونس 1922م للتعلم بالزيتونة أين تعرف على الحركة الإصلاحية وشارك في أحداث سياسية ضد الاحتلال الفرنسي هناك. عاصر أحداث المرسي الشهيرة وكذا مظاهرات علماء الزيتونة ضد النشاط التنصيري على يد "الكاردينال لافيجري". عاد إلى الجزائر لينضم لجمعية العلماء ويعلم في مدارسها، وبعد الاستقلال يعود إلى وظيفة الإمامة والتعليم وتعينه وزارة الأوقاف لتمثيلها في لجنة التشريع بوزارة العدل، له مواقف سياسية جريئة، حكم عليه بالإقامة الجبرية في عهد «بومدين» حيث توفي خلالها بعد ما لازمه المرض فيها وذلك في 12 أفريل 1984م.

[3]–صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار الكتب بالدار البيضاء بالمغرب سنة 1974م، ويقع في 300 صفحة من القطع الكبير قسمت على 12 بابا، تقرأ فيه جانبا من حياة الشيخ وتعليمه في الجزائر وفي تونس والأحداث التي عاشتها الزيتونة ومواقف علمائها ثم أوضاع الجزائر السياسية والفكرية والثقافية والدينية بالنماذج والأحداث والشخصيات، ودور العلماء ومثقفوا الجزائر لتأكيد ثلاثية الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني!!

جرى توزيعه بينهم على نطاق واسع[1].

كما ألف كتاب "في سبيل العقيدة الإسلامية" الذي صدر عن دار البعث بالجزائر في 1982م، وكتاب "سهام الإسلام" الذي تقوم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بطبعه في الجزائر 1986م، وقد شرح فيه بشكل مدرسي بسيط حديث النبي صلى الله عليه وسلم «الإسلام ثماني أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم. والزكاة سهم. وحج البيت سهم. والصيام سهم.والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم. والجهاد في سبيل الله سهم. وقد خاب من لا سهم له». هذا بالإضافة إلى مذكرات لم تنشر، ويبقى كتابه "المزدكية هي أصل الاشتراكية" أشهر كتبه لارتباطها بالأحداث السياسية والفكرية في الجزائر.

وبالإضافة إلى كتبه فإن دروس الأستاذ "عبد اللطيف سلطاني" ومحاضراته ومواقفه كان لها صدى واسعا بين الشباب والمثقفين في الجزائر في الوقت الذي كان يشهد فيه الوطن الإسلامي حركة عودة واسعة إلى تعاليم الإسلام، ولذلك فإن كثيرا من الكتاب يعدون "سلطاني" كواحد من رموز الحركة الإسلامية في الجزائر وخاصة في معارضته للتيار الشيوعي، وقانون الثورة الزراعية، ويلخص الكاتب "عروس الزبير"[2] أهم مآخذ الخطاب الإسلامي على ميثاق الاشتراكية لسنة 1976م في الجزائر نعرض منها ما يلي:

أ-إن هذا الميثاق قد أكثر من ذكر الاشتراكية وعقيدتها وأخلاقها مما يفهم منه أنه إنما جاء بالاشتراكية وعقيدتها وأخلاقها ليحل بها محل الإسلام وعقيدته وأخلاقه.

ب-إننا مسلمون ولنا في ديننا الإسلام ونظامه ما يكفينا ويغنينا عن غيره وهو كامل في تشريعه شامل لمتطلبات الحياة الكريمة والشريفة لهذا لا يجوز بأي حال من الأحوال أن نبدله بغيره في أي ميدان من الميادين ذلك لأن الله تعالى يقول:﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3] ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

---

[1]-انظر فايزة سعد، المرجع السابق، ص11.

[2]-عبد الباقي الهرماس عروس الزبير وآخرون، المرجع السابق، ص503-504.

[3]-المائدة، 3.

ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[1]، فلا يحق لنا كمسلمين أن نتهم ديننا أو نرميه بالنقصان أو نقول أنه غير صالح لزماننا هذا، أو أن نظام الإسلام عاجز عن حل مشاكل هذا العصر.

جـ-أن الإسلام بعقيدته وأخلاقه وتشريعه ومبادئه وأهدافه لا يتلاءم مع الاشتراكية في عقيدتها وأخلاقها وتشريعها ومبادئها وأهدافها، فبينهما المنافاة التامة في كل الأهداف ومن ادعى بأن الإسلام والاشتراكية هما في التشريع سواء قابلناه بإبقاء الإسلام والاستغناء عن الاشتراكية طالما أنهما متساويان، ومن قال: نتخذ الاشتراكية كمنهج قلنا له: وماذا أبقيت للإسلام؟ وهل الإسلام غير منهج للحياة، ومن جعل الله منهجا فلا يسوغ له أن يتخذ من عنده أو من غيره منهجا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

أما عن مجالات مخالفة الإسلام للاشتراكية فيتمثل بعضها في:

1-إن الإسلام أوصى بالإرث بين الأقارب وذوي الأرحام، والاشتراكية تبطله بتشريعاتها المخالفة لنص القرآن الكريم وفي هذه المخالفة تعطيل وإبطال لآية الفرائض وهي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ...﴾[3].

2-إن الإسلام أحكم رباط الأسرة برباطه الروحي والأخلاقي في دائرة العقل الصافي، أما الاشتراكية فقد حلت ذلك الرباط المتين وفككت أواصر الأسرة فلا رباط بين أفرادها ولا رحمة في وسط العائلة ولهذا خربت البيوت وامتلأت أماكن اللهو بالمنحرفين والمنحرفات وتقلص في ظل ذلك الاحترام المتبادل الذي كان يسود أفراد الأسرة المسلمة.

3-إن الإسلام يقر ويعترف بالملكية الخاصة والاشتراكية تنتزعها من أصحابها بالقوة أو تحددها بمقدار معين كما تشاء وفي هذا تعطيل للمواهب العقلية وتجميد للفكر الإنساني وقتل للشعور بالكرامة الإنسانية.

4-إن الإسلام أوجب على المسلمين إخراج زكاة أموالهم، فتؤخذ من أغنيائهم وترد على

---

[1]-الأحزاب، 36.

[2]-الأنعام، 153.

[3]-النساء، 11.

فقرائهم والزكاة في الإسلام من الأسباب التي تنشر الرحمة والتعاطف والأخوة بين أبناء الشعب الواحد وإبطال الزكاة ضياع لحق الفقراء، وإبطال لقاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، لكن الاشتراكية فإنها تنتزع الأرض والنخيل وغيرهما من أصحابها فإذا لم تعد للفلاح أرض ... فلا زكاة عليه ... وفي هذا حرمان أهلها منها، وهم الفقراء، والزكاة توزيع للثروة بين الفقراء والأغنياء لا تكديسها....

5-الاشتراكية تزهد الناس في الدين بإبعاد عناصره الصالحة في المجتمع بإحلال عناصر محلها، ساذجة في تفكيرها خاملة في حياتها ترضى بما يقدم لها، لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، وبهذا تتمكن من حد نشاط دعاته، وإبطال قواعده الواحدة بعد الأخرى لتنتهي إلى تمييع الإسلام نفسه والقضاء عليه[1].

6-إن الإسلام أعطى الفرد حرية الرأي والتفكير والقول والتعبير، أما الاشتراكية فهي تحجز على الإنسان ذاته وتحول بينه وبين حقه الطبيعي في التعبير مما يراه صوابا بحرية دون خوف... لكن تفرض عليه ما تراه هي[2].

والدارس لميثاق 1986م يلاحظ فحوى هذه المآخذ بوضوح في أكثر فقراته، ورغم أن المشرع الجزائري لم يقلع عن الاشتراكية نزولا عند رغبة البراهين في مخالفتها للإسلام، فإنه اكتفى بتقليل الشحنة الإيديولوجية التي سحن بها ميثاق 76م، وفي اعترافه بالاختلالات الاجتماعية التي صاحبت تطبيق الاشتراكية في الجزائر، فإن المشرع الجزائري لم يردها إلى صميم ما سماه بالعقيدة الاشتراكية وأخلاقها ومثلها... التي كان يؤكد على تمجيدها وحمايتها والدفاع عنها والتي كانت هي ذاتها مادة المعارضة من الخطاب الإسلامي وهو ما جعل المراجعة في ميثاق 86م محاولة احتواء للخطاب الإسلامي وكل المعارضين للاشتراكية أكثر منها محاولة مراجعة جادة ومستقلة للإقرار بعدم مناسبة الخيار الاشتراكي لمجتمع مسلم له نظامه وعقيدته وأخلاقه ومنهجه...

---

[1]-عبد الباقي الهرماسي عروس الزبير وآخرون، المرجع السابق، ص504.

[2]-المرجع نفسه، ص ص 507-509.

المطلب الخامس: مشروع "مالك بن نبي" الإسلامي

ويتميز الخطاب الإسلامي منذ نهاية الستينيات في الجزائر ببداية التحول من مواجهة اليسار في شكلة المطلق، إلى طرح مشروع الحضارة الإسلامية والعمل للعودة إلى أسسها الأولى من جديد والتي بها تمت الدورة الأولى منها وبهذا تتم الانطلاقة في الدورة الجديدة منها أيضا وذلك بنبذ التقليد للغرب والاعتماد على فكر ووعي جديدين لا يقدر عليهما إلا الشباب المسلم المثقف، الذي سيلتف حول "مالك بن نبي" صاحب الفكرة والمشروع وهو الذي سيفرز واقعا جديدا في الجزائر خاصة وفي الوطن الإسلامي عموما على المستويين الفكري والثقافي.

فقد استطاع "مالك بن نبي" بثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية وبأسلوبه الذي تفرّد به بين من ظهر من دعاة ومفكرين إسلاميين" أن يوجه أنظار جيل من الشباب المثقف الذي يتوجه إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة، وسلامة التفكير وبدأ يرى في ابن نبي رائده الفكري البعيد النظر، القوي الإيمان، المناضل بقلمه في سبيل الإسلام»[1].

وتعد كتب "مالك بن نبي" التي صدرت كلها في إطار مشكلة الحضارة، الترجمة الفكرية لمشروعه التغييري الذي يتجاوز به الفترة المعاصرة من التاريخ العربي الإسلامي والذي اشتهر بوصفها بفترة ما بعد الموحدين، ضمن عملية تقدمية تستوعب الماضي الإسلامي درسا وتحليلا وتقف عند الحاضر تأملا وبحثا وتقدم مشروع المستقبل بثؤدة وثقة، وتبقى الجزائر في مشروع "بن نبي" هي النموذج العملي والمعملي الذي يطبق عليها قانون الظاهرة الحضارية التي يدرسها والتي تأخذ أبعادها فيما سماه بالاستعمار والقابلية للاستعمار بكل أسبابها ومظاهرها، بحيث تشكل أزمة الجزائر بل والوطن الإسلامي عنده أزمة حضارة أو مشكلة حضارة الذي يعد "ابن نبي" أول من تناولها في ها الإطار ضمن مشروعه الإنقاذي وهو "ما يعكس فهما حقيقيا ليس لطبيعة المشكلة وأسبابها وأعراضها فحسب بل ولأساليب حلها ووسائلها أيضا»[2].

ويتمحور مشروع "ابن نبي" في بعث الروح التي تحافظ على استمرار البناء الحضاري والتي تتجسد في القيم الخلقية التي تعد عنده المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية ولن يكون ذلك إلا عن طريق

---

[1]-أسعد السحمراني، مالك بن نبي، مفكرا إصلاحيا، لبنان، دار النفاش، 1984م، ص21.

[2]-مهدي امبير ش، في إشكاليات المشروع والمشروع الإسلامي، دراسة وصفية نقدية مقارنة، الجذور الحضارية، ليبيا، شركة ذي قار، 1996م، ص246.

القرآن الكريم.

وإعطاء الدين دورا اجتماعيا من جديد في حياة المسلم من شأنه أن يقوم بعملية تركيب بين عناصر الحضارة -الإنسان، الزمن، التراب- بهدف تشكيل قيم اجتماعية فعالة تكون بعثا للحضارة من جديد.

وقد تناول بن نبي مشروعه بالشرح والتحليل في أكثر من كتاب وإن كان ذلك يبرز أكثر في كتابيه الأساسيين لهذا المشروع وهما "الظاهرة القرآنية" و"شروط النهضة"، بالإضافة إلى "مذكرات شاهد القرن"، ثم في تصوّره لإمكانات نجاح المشروع في كتابه "فكرة كومونولث إسلامي"[1] وكذا كتابه "وجهة العالم الإسلامي".

ويقع كتاب "الظاهرة القرآنية" كقاعدة الأساس في مشروع "ابن نبي" وذلك بالبحث عبر مواضيع القرآن الكريم وما تطرحه من أفكار، والذي درج فيه صاحبه منهجا جديدا في البحث والتحليل انفرد به عن سواه وقدم من خلاله محاولة شمولية في إطار المطلق القرآني، استمد أصوله فيها من تأمل طويل في طبيعة النفس الإنسانية، وفي غريزة التدين في فطرة البشر وفي تاريخ المذاهب والعقائد التي توسم بالتناقض أحيانا، ولكنها تكشف عن مستور التدين في كل إنسان، ثم هو يستمد أصوله من «الفحص الدائب في تاريخ النبوة وخصائصها ثم في سيرة رسول الله -بأبي هو وأمي-، منذ نشأته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى»[2].

فالإنسان إذا أدرك عجز عقله عن إدراك ما فوقه لخروجه عن دائرة الإمكان الإنساني ودخوله دائرة المطلق الذي يكون الإمكان الإنساني دليلا عليه وجزءا منه وليست هو، هنا تكون الحاجة إلى الرسالات لتقديم معارف لا تتجاوز الإمكان فحسب بل وتوجه الإنسان نحو المنهج الشمولي في الوصول إلى المعرفة وهو ذات المنهج الذي تنمّس "مالك" حبوضه في كتابه "الظاهرة القرآنية" وخاصة عند حديثه عن الحركة النبوية.

---

[1]-طرح ابن نبي مشروع فكرة الإفريقية الآسيوية لما بدا له أن "مؤتمر باندونغ" يمثل الأمل في ظهور قوة جديدة لإمكانية المواجهة مع محور (واشنطن-موسكو) باعتباره يشكل سياسية غربية تواجه الشرق، لكن فشل مؤتمر القاهرة ثم عدم توصل المؤتمر إلى أهدافه، دفع بمالك بن نبي بوضع تصور آخر أكثر عملية فكان "فكرة وكومونولث إسلامي" والذي يعرفه بمحور (طنجة-جاكرتا)، والكتاب: فكرة الكومنولث إسلامي، طبع في دمشق في دار الفكر، سنة 1990م.

[2]-مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دمشق، دار الفكر، 1987م، ص18.

ويأتي كتابه "شروط النهضة" ليتابع فيه "بن نبي" حركة المفكرين المسلمين ومحاولاتهم في إطار رسم ملامح المجتمع الإسلامي في ضوء مشروع يخرجه من طور اللا فعل إلى مرحلة الفاعلية والحركة والتأثير، ولتحوله من مستهلك للمنتجات الغربية ومرتبط ثقافة ونمط حياة بالغرب إلى مساهم في توجيه المدنية لتصبح حضارة إنسانية وسيلتها وهدفها هذا الإنسان.

ويركز "بن نبي" في هذا الكتاب على تقرير أن الفكرة الدينية لا تقوم بدورها الاجتماعي إلا بقدر ما تكون متمسكة بقيمها الغيبية أي بقدر ما تكون معبرة عن نظرتنا إلى ما بعد الأرض.

ولذلك فإن "الظاهرة القرآنية" و"شروط النهضة" هما عملان يكمل كل منهما الآخر ويقدمان معا تفسيرا لدور «الفكرة الدينية في إحداث التأثير في حركة التاريخ ومن ثم في التأكيد على أهمية العلاقة بينها وبين المبدأ الأخلاقي بصفته عاملا يحدد اتجاه الحضارة ورسالتها في التاريخ»[1].

ويأتي كتاب "فكرة كومنولث إسلامي"، ليقدم فيه "بن نبي" تصوره العملي في إطار المشروع الحضاري الإسلامي، وقد حاول من خلاله أن يعطي الفكرة الإسلامية بعدا أكبر لتتحول إلى سياسة لشعوب «لم ترد أن تمثل دورها متعلقة بأذيال الكبار ولكن دور أنداد أحرار في اختيار طريقهم الخاص بوسائلهم المناسبة واقتناعهم بأن اختيارهم هذا لا يتيح للإنسانية فرصة جادة للهروب من الحرب»[2].

ومع أن "بن نبي "ينبه القارئ من أنه لا ينتظر منه حلا جاهزا للمشكلة لأن حلها لم يوضع بعد من جهة وأن الوطن الإسلامي ليس جاهزا للعمل لأسباب منها ما يتعلق بالجانب النفسي، ومنها ما يتعلق بالجانب المادي وهو ما يطلق عليه باللافاعلية[3]، فإن مشروعه من جهة أخرى وحاسمة لا يستطيع أن ينهض به شخص واحد بل يحتاج إلى هيئة مشتركة.

ولذلك نجد "بن نبي" يطيل الوقوف عند المشكلات التي قد تواجه المشروع وصعوبة مواجهتها في الوقت نفسه لكنه في المقابل يقدم الوظيفة التي يمكن أن يقوم بها المشروع حتى يستدرك المسلم تخلفه وذلك عبر ما سماه بتوسيع مناطق حضوره الفكري، ومن ثم نجده يرسم دوائر تصور إمكانية حضور المسلم الجزائري ويحددها في خمس هي دائرة العربي الجزائري، العالم

---

[1]-مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص ص 10-17.

[2]-مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1981م، ص55.

[3]-مالك بن نبي، فكرة الكومونولث الإسلامي، دمشق، دار الفكر، 1990م، ص17.

العربي، العالم الإسلامي والعالم الإفريقي الآسيوي، والدائرة العالمية، ويرى "مالك بن نبي" أن اتساع دوائر الحضور بدرجة الوعي، التي ترتبط هي الأخرى بنمو عالم الأفكار عنده[1]

ويقدم "بن نبي" مهمة أخرى للفكرة التي يطرحها وتتمثل في أن مضمون مشكلة المواطن المسلم عبر كل الوطن الإسلامي لا تتأتى من التراب أو من الطقس... وإنما تتعلق بالقابلية للاستعمار التي تخصه بالكثير من العناصر السلبية، ويقصد وراء ذلك «أن مشكلة الإنسان العقيدي هي التي توضح في حقيقة الأمر مشكلة الإنسان المسلم الذي لا يعرف البتة كيف يستعمل عقيدته باعتبارها إدارة اجتماعية.. وإن إحدى الفضائل التي يتعين ربطها بفكرة الكومونولث الإسلامي، هي إرجاع هذا الاستعمال للإنسان المسلم، ومن ثم إرجاع ما للإسلام ذاته من فعالية اجتماعية، ومن إشعاع في العالم»[2].

وعليه فإن "مالك بن نبي" يقدم تخطيطا للإنسان المسلم يتيح له القيام بدور الشاهد الذي كلفه به القرآن الكريم وذلك عبر فكرة الكومنولث الإسلامي، فمهمة الشاهد تقتضي حضور هذا الشاهد الذي يمكنه ليس فقط من التغيير من سير الأحداث وإنما يجنب الوقوع في المحظور أيضا ومن ثم تحقيق المهمة الرسالية للمسلم التي لا تتمثل في ملاحظة الوقائع وإنما في تبديل مجرى الأحداث بردها إلى اتجاه صحيح ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

والمسلم بهذا الحضور المادي والمعنوي عبر مهمة الشهادة ومهمة الرسالة يقوم بوظيفة التبليغ الذي كلف بها رسول الله ﷺ كل مسلم في حجة الوداع، «فليبلغ الشاهد منكم الغائب»[3]، حيث يكون قادرا على استكمال الدور النبوي فكل مسلم عليه أن «يحمل الرسالة الإسلامية إلى كل الذين غابوا في ذلك اليوم –خطبة حجة الوداع بعرفات– وإلى كل الذين لا يزالون غائبين عنها الآن وما بعد الآن»[4].

ولم يبق مشروع "ابن نبي" حبيس الكتب الكثيرة والفريدة التي كان يؤلفها باللغة الفرنسية ثم باللغة العربية في فرنسا ومصر والجزائر، وإنما نزل بها إلى مقاعد التعليم وحلقات الدرس

---

[1]-مالك بن نبي، فكرة الكومونولث الإسلامي، المرجع السابق، ص68.

[2]-المرجع نفسه، ص51.

[3]-أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ج1، ص ص44-45.

[4]-المرجع نفسه، ص74.

والمحاضرة، فبعد عودته إلى الجزائر غداة الاستقلال في 1963م، عين مستشارا للتعليم العالي ثم مديرا لجامعة الجزائر حتى 1967م، وهي السنة التي يستقيل فيها من الوظيفة الرسمية ويتفرغ لشرح أفكاره ومشروعه للمثقفين، ولقاء طلبة العلم عبر المحاضرات في كل مدن الجزائر، وكذا للكتابة في بعض الصحف الوطنية وخاصة المكتوبة بالفرنسية منها "La révolution Africaine"[1].

ويذكر "عبد اللطيف عبادة" أن "بن نبي" بدأ بالملتقيات الأسبوعية التي كان يقيمها لإفادة الطلبة ملخصا تركيزه على: التذكير بالأصالة الفكرية والروحية للشعب الجزائري.

- الدعوة إلى ضرورة التحرر من التبعية للغرب في شتى أنواعها.
- توجيه المثقفين وخاصة طلبة العلم إلى العمل الفعال باستعمال الوسائل المتوفرة للوصول إلى الأغراض النبيلة والذي يسمى عادة بالعمل الثوري.
- توضيح العلاقة المتينة الموجودة بين العمل والعلم، بين الإرادة والوعي وبين الثورة والعقيدة.
- القيام بترميم مجهودات المصلحين القدماء بجعل الثقافة الإسلامية في الجزائر محركا ومبعث نشاط في كافة مجالات حياة الجزائريين.

وفي ظل عملية التغريب الذي شهدتها الجزائر في الستينات والسبعينات ضمن التوجهات الاشتراكية المحلية وموجة الإلحاد في العالم فإن دروس بن نبي ومحاضراته كانت كما يقول "عبادة" «تبعث في نفوسنا القلق على مصيرنا والقلق على حرياتنا والقلق على أصالتنا»[2].

وكما فعل "بن نبي" في كتبه، فإنه ناقش في دروسه ومحاضراته مواضيع الحضارة والثقافة والاستعمار والتخلف الذي يلخصه بالرعشة الإنسانية، الجوع والألم والمرض، واهتم "بن نبي" اهتماما خاصا بطلبة العلم وذلك بلفت نظرهم إلى مشكلات التغيير النفسي والاجتماعي التي لا تتكون بدونه دولة»[3]، ولذلك نجده ينبههم إلى:

1-أن تعاليم الزعيم تجربة شخصية لا تستوحى من وثيقة وإنما تحي بالعمل والمثابرة

---

[1]-وقد جمع مالك بن نبي مقالاته في هذه المجلة وترجمها وبوبها هو بنفسه وأصدرها في كتابه "بين الرشاد والتيه" الذي تم طبعه بعد وفاته بلبنان سنة 1978م.

[2]-عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، باتنة، دار الشهاب للطباعة والنشر، 1984م، ص17.

[3]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، المرجع السابق، ص131.

والفعالية، وتجدد عبر الإقبال المتواصل على التفكير والاستزادة من العلم ونشدان الحقيقة.

2-أن المعرفة لا تكفي بل لابد من الفعالية بالحضور والمشاركة والمبادرة وفعل التغيير الذي يتم عنده عبر:

أ-نبذ ما يتفرد "بن نبي" بتسميته "بذهان المستحيل" وهو مرض عدم الفعالية الذي يصيب النشاط بالشلل فليس هناك مستحيل في عالم متيقظ مثابر وواعي.

ب-نبذ ما يسميه "بذهان السهولة" الذي كان وراء أسباب الركون إلى التبعية المادية والفكرية للغرب وهو الذي يقود إلى عشوائية الأعمال وانعدام فعاليتها وتمييع أهدافها.

وقد كانت الملتقيات الأسبوعية التي كان يقيمها "مالك بن نبي" الحجر الأساس لملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي الذي كان بن نبي نفسه وراء تأسيسها وراعي فكرتها ومن أوائل من حاضر فيها حيث شارك في:

-الملتقى الأول بموضوع: معنى الحضارة يقول "عبد اللطيف عبادة" أن "بن نبي" حلل فيه موضوع الزكاة تحليلا ما أطلعت على أروع منه في حياتي»[1].

-الملتقى الثاني بموضوع: مشكل الإنسان في العالم الثالث.

-الملتقى الثالث بموضوعين، الأول: الصراع الإيديولوجي في الميدان الديني والثقافي والسياسي والاقتصادي.الثاني: الحضارة.

-الملتقى الرابع بموضوع: مشكلة الحضارة وكان ذلك آخر ملتقى يشارك فيه في 1970م[2]. ويجمع الباحثون أن خطاب "مالك بن نبي" أضحى في فترة الستينات والسبعينات «الخطاب الوحيد المؤثر في الأوساط الجامعية»[3]، كما أصبح فكر "بن نبي" موضوع دراسة وبحث داخل الجزائر وخارجها عبر دراسات أكاديمية جامعية. زادت من إشعاعه، كما زادت من أتباعه في توجه الفعالية في مجال النشاط الإسلامي على مختلف الأصعدة، وعبر كل المجالات ويصفه أحد تلاميذه ملخصا فكره وتأثيره بقوله: «إن ابن نبي لم يقم باختراع مفاهيم جديدة في

---

[1]-عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص19.

[2]-انظر دليل ملتقيات الفكر الإسلامي من الأول إلى العشرين الذي نشرته مديرية الثقافة الإسلامية بوزارة الشؤون الدينية (وقد وزع خلال فعاليات هذا الملتقى -20- على المشاركين والطلبة).

[3]-عبد الباقي الهرماسي عروس الزبير وآخرون، المرجع السابق، ص506.

الدين وفي الدعوة الدينية وإنما قام بتصحيح كثير من المفاهيم التي أغرقت في بحر من الجهل واللامبالاة والفوضى الشكلية، إنه لم يجدد الفكر الديني أو الفكر العربي فحسب، بل قام بتحديد العمل الديني بالمعنى الواسع للكلمة ونفهم من كلمة عمل ديني: الإصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعقائدي»[1].

المطلب السادس: ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي:

عرف الخطاب الإسلامي في الجزائر انطلاقة فكرية دعوية منهجية مع انطلاق تنظيم ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي، الذي كان "مالك بن نبي" وراء فكرة تنظيمه، والذي أصبحت تنظمه وزارة الشؤون الدينية، وأصبحت هذه الملتقيات في الجزائر مناسبة علمية وطنية ودولية سنوية تتحول فيها الجزائر إلى قبلة للعلماء والمفكرين والفقهاء من كل العالم تقريبا لمناقشة القضايا والأفكار وتحليلها في ضوء الإسلام ويحضرها طلبة الجامعات الجزائرية والمثقفون، يلتقون فيها مباشرة مع العلم والعلماء.

وقد عملت وزارة الشؤون الدينية على تطوير تنظيم هذه الملتقيات العام بعد العام، وبدا ذلك من حيث عدد المشاركين من الداخل أو من الخارج، ومن ثم من حيث الأماكن المخصصة لعقد الملتقى وكذا من حيث القضايا المختارة للنقاش والأنشطة المرافقة لمناسبة الملتقى، فقد بدأ أول ملتقى بإلقاء ثماني محاضرات فقط، خمس منها من الجزائر وثلاثة من مصر وذلك في ثانوية بالعاصمة[2]. وانتهى أحيانا إلى إلقاء ثلاثين محاضرة ودراسة وندوة، في قاعات محاضرات كبرى خصصت لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الحضور وفودا وعلماء وضيوف وطلبة جامعيين تقول فايزة سعد: «أنها بلغت ما يقرب من 5 آلاف من كبار رجال وعلماء الدين في العالم، يمثلون المذاهب المختلفة...» [3].

وأهم ما يمكن الإشارة إليه عن أهمية وآثار ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي في الجزائر

---

[1]-عبد اللطيف عبادة، المرجع السابق، ص25.

[2]-نظم أول ملتقى في ثانوية عمارة رشيد بالعاصمة، شارك فيه كل من: مالك بن نبي، رشيد بن عيسى. د. أحمد عروة، أ. بن يلس عبد القادر من الجزائر، وكل من متولي الشعراوي، محمد أبو زهرة، الشيخ جلال كشك، وعسلاوي مصطفى من مصر. انظر: دليل ملتقيات الفكر الإسلامي، المصدر السابق، ص ص2-3.

[3]-فايزة سعد، المرجع السابق، ص108 لكن الكاتبة أشارت إلى أن الملتقيات كانت تعقد دائما في جامعة ابن باديس الإسلامية، وهو غير صحيح، حيث لم يعقد أي ملتقى بجامعة الأمير عبد القادر وهي التي تعنيها الكاتبة بهذا الاسم.

هو كل الأسماء المشهورة في عالم الفكر الإسلامي وعالم الاستشراق التي كانت تتداولها وسائل الإعلام أو يتعرف عليها عبر عناوين الكتب المنشورة أو حتى يسمع بها أثناء الظروف الوطنية والعربية التي شهدتها الساحة السياسية طيلة أكثر من عشرية من الزمن كانت قد مرت بمنبر هذه الملتقيات وتعرّف عليها طلبة العلم في الجزائر، وكذا الشعب الجزائري أيضا وذلك عبر:

-المحاضرة والنقاش والدراسات المطبوعة والموزعة طيلة أيام الملتقى.

-الندوات التي كانت تنظم على هامش الملتقى في مراكز إقامة الطلبة

-الرحلات التي كانت تنظمها وزارة الشؤون الديني لكل المشاركين في الملتقى إلى الآثار التاريخية أحيانا والإسلامية والوطنية في الجزائر.

-نقل فعاليات ومحاضرات الملتقى عبر شاشة التلفزيون مباشرة بالنسبة لأيام الافتتاح والاختتام، وتباعا أسبوعيا بالنسبة للمحاضرات والندوات.

-متابعة فعاليات الملتقى بالتغطية اليومية عبر شاشة التلفزيون وإجراء الحوارات والأحاديث الصحفية مع العلماء وضيوف الجزائر عبر الصحافة المكتوبة.

وقد عاشت الجزائر -طلبة علم ومثقفين ووسائل إعلام- دينامية نشطة تتحول إلى جامعة على الهواء مباشرة طيلة أيام الملتقى وفيما يلي جدول بهذه الملتقيات من الأول إلى الأخير، مكانا وتاريخا وموضوعا ومحاضرات ودراسات وعلماء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرقم	الموضوع	التاريخ	المكان	عدد الدراسات	عدد المحاضرات	الدول المشاركة	أسماء بعض الشيوخ والأساتذة والعلماء المشاركين
01	-الإسلام- الحضارة -النهضة -الدستور الفلسفي في الإسلام -الحركات الهدامة في مصر -نحو مجتمع فاضل	5-13 شوال 1388هـ/24 ديسمبر 1968 م- 01 جانفي 1969م	الجزائر	0	08	05 الجزائر 03 مصر 02	مالك بن نبي- رشيد بن عيسى- محمد متولي الشعراوي- محمد أبو زهرة- جلال كشك
02	-الفكر الإسلامي، القانوني، الاقتصادي الطبي. -الإيمان- الإلحاد	5-13 1389 هـ، 27 جويلية-02 أوت 1969م.	(مفتاح) -البليدة	0	10	-06 الجزائر -01 مصر 05 -01 لبنان -01 ليبيا	-د.محمود أبو السعود -أ.فتحي عثمان -د.نديم الجسر -د.النبهاني كربيع
03	-الصراع الإيديولوجي في الميدان الديني والثقافي والسياسي والاقتصادي	1389هـ 1969م	الجزائر	0	06	-01 سوريا -04 الجزائر 02 -02 فرنسا	-وحيد الدين سوار -مالك بن نبي- رشيد بن عيسى -محمد حميد الله
04	الإسلام و: العلم، الاشتراكية، الصحة، اللغة، الثقافة، الحرية المدنية، التيارات المعاصرة.	08-17 جمادى الثانية 1390هـ.	قسنطينة	0	37	-16 الجزائر 08 -06 مصر -05 تونس	-جاك أو ستروي -مالك بن نبي، أحمد طالب الإبراهيمي، د.أحمد عروة، أ.مولود قاسم، أ.زهور ونيسي، ش الشاذلي

	-الدعوة الإسلامية، مشكلة المسلمين، المرأة، الشباب، الطلاب، الأسرة، الزواج، المحرمات، الإصلاح الأخلاقي	10-19 أوت 1970م					-05 المغرب -01 ليبيا -01 فلسطين -01 باكستان -02 الأردن	النيفر، الحبيب، بن حوحة، أ. عبد السلام الهراسي، عمر بهاء الدين الأميري، عثمان أمين، أ. يوسف العظم.
05	-اللغة العربية والثورة الثقافية -مشكلة الأسرة وتربية الجيل في مجتمع اليوم. -الأسرة ومتطلبات التنمية في الاقتصاد الحديث.	27 جمادى الأولى، 10 جمادى الثانية 1391هـ/20 جويلية -01أوت 1971م.	وهران	0	34	11	-14 الجزائر -05 المغرب -01 تونس -03 ليبيا -05 مصر -02 السعودية -01 إيران -01 أندونيسا -01 الأردن	-حنفي بن عيسى، د.عمار الطالبي، محمد الصديق بن يحيى، د.سعيد شيبان، د.محمود عزيز لحباني، د.علي عبد الواحد وافي، بوعلام بن حمودة، عبد الرحمن الصابوني، علال الفاسي، محمد المبارك، بلعيد عبد السلام، عبد المجيد مزيان.
06	أ-العيد العاشر لاسترجاع استقلال الجزائر ودور الإسلام في كفاحنا التحريري طيلة مقاومتنا. ب-الذكرى الألفية لتأسيس الجزائر	13 جمادى الثانية، 01 رجب 1392م/ 24 جويلية 10	الجزائر	09	33	18	-الجزائر -تونس - مصر-المغرب- ليبيا - فرنسا-ألمانيا الشرقية -ألمانيا الغربية	-د.عبد الله الكعاك. -أ.مولود قاسم -د.أبو القاسم سعد الله -د.محمد الميلي

	العاصمة وملبانة والمدية. جـ-نظرة المؤرخين غير المسلمين إلى الإسلام والحضارة الإسلامية وضرورة كتابة تاريخنا من جديد. د-يقضة العالم الإسلام اليوم ونهضته غدا ودور الإسلام الفعال فيهما أمام تحديات العصر ومختلف أنواع الغزو والاستلاب.	أوت 1972م.				-الفيليبين -الكويت -السينغال-السعودية -مالي-النيجر -السودان-إيران -أندونيسيا -موريتانيا	-د.زيغريد هونكة -د.فيلهيلم هونرباخ -د.إيفون تورين -الجنرال الحاج صالياادا -عبد الله العروي...
07	أ-روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي. ب-المؤمرات التي تعرضت لها وحدة الأمة الإسلامية بالأمس ويتعرض ما تبقى منها اليوم من طرف الصهيونية وغيرها وما يجب علينا حيال ذلك. جـ-نشاط التبشير ودور الاستعمار التغريبي بالأمس واليوم وما يجب القيام به إزاء ذلك. د-أخطار العزلة التي يتعرض لها أبناء الجالية الإسلامية في الهجرة وواجب الدول	10-20 جمادى الثانية 1393 هـ/10-20 جويلية 1977	تيزي وزو	17	27	15	-الجزائر -تونس -المغرب -مصر -موريتانيا -لبنان -الأردن -السعودية -فلسطين -مالي -إيران -أندونيسيا -سوريا -اليمن -استراليا	-أ.أحمد حماني- أ. أحمد سحنون- د.أبو زهرة- زينب الغزالي – عبد الرحمن الصابوني- أ.موسى الصدر- صبحي الصالح- د.مصطفى الزرقاء- د.عبد الجليل التميمي- أ.علال الفاسي – د.العربي الزبيري –أ.مفدي زكريا الشيخ إبراهيم بيوض.

	الإسلامية نحوهم. هـ-دور وسائل التأثير على الجماهير في التغريب الذاتي لما تبقي من الأمة الإسلامية المفروض أنها في صميم معركتها لاسترجاع نفسها (الصحافة، التلفزيون، السينما).						
08	أ-وضع الأقليات والجاليات عموما والإسلامية خصوصا في كثير من بلدان القارات الخمس وواجب العلماء ورجال الإعلام نحوها. ب-دور الفكر اليوم وعلى مر العصور في أمته واتجاه الإنسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل جـ-مساهمة بجاية الحمادية في الحضارة والفكر الإسلامي العالمي وأسباب وآثار انحطاطها. د-مساهمة الحضارة والفكر الإسلامي في مختلف مجالات العلوم والفنون والتراث	01-12 ربيع الأول 1394 هـ -25 مارس 05 أفريل 1974م. بجاية	06	34	20	الجزائر-المغرب -سوريا-الهند -بلجيكا اليابان-إيطاليا -فرنسا-تونس -السعودية -فلسطين -ألمانيا الشرقية -إيران-لبنان -اليمن-إسبانيا ليبيا- السودان مصر	د. ليلى الصباغ. أ.فرنسيس ماهايم د. تيجاني هدّام أ.محمد مزالي د.الحبر يوسف نور الدايم أ.القاضي عبد الله الشماحي د.مانفريد فلايشهامر د. زكي نجيب محمود

	الإنساني على العموم وعوامل ازدراهما وأسباب انحطاطهما. هـ-الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية وإمكانية التوفيق بينهما ودرجة هذا التوفيق بالنسبة للفرد والمجتمع وصمير الإنسانية كلها.				-ألمانيا الغربية	
09	أ-مساهمة تلمسان الزيانية في الحضارة والفكر الإسلامي العالمي، أسباب ازدهارها وانهيارها. ب-موقف اسطنبول وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها، وأمام الغزو الأروبي للعالم الإسلامي. جـ-هل كان الشعر في الأندلس سببا في انحلال أخلاقها ثم سقوطها أم كان مجرد مرآة وانعكاس. د-دور الآداب والفنون والموسيقى في تعزيز أخلاق أمة وانحلالها وفي شحذ	01-10 رجب تلمسان 1395هـ/10-19 جويلية 1975م.	13	24	18	-الجزائر -تونس -المغرب-مصر سوريا-اليمن قطر- فلسطين -السودان -السعودية -الكويت -الأردن -العراق -إيران -تركيا	عبد الحميد بن اشنهو د.عبد الهادي التازي د.ليلى الصباغ د.عمر فروخ د.فاروق النبهاني أ.أحمد محمد جمال أ.أنور الجندي أ.أحمد توفيق المدني د.إبراهيم السمراني الإمام موسى الصدر.

	عزائما أو قتل روحها. هـ-العدالة الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام وأوضاع الأمة الإسلامية اليوم.					-لبنان -أندونيسيا -السينغال	
10	أ-ازدهار الحضارة والفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي وخاصة بلدان المغرب وصقلية وليبيرا ودورهما في النهضة. ب-ضرورة التصنيع في العالم الإسلامي ووجوب اختيار أحسن الطرق لتجنب أمراض المجتمعات الصناعية. جـ-الأبعاد الروحية والسياسية والاجتماعية للعبادات وأهميتها لكل من الأمة والفرد.	12-21 رجب 1396هـ/ 10 -19 جويلية 1976م	عنابة	13	35	22	الجزائر-تونس -ليبيا- مصر لبنان-سوريا الأردن-الكويت السعودية-إيران مالي-النيجر فرنسا-النمسا ألمانيا.ش.المانيا.غ بولونيا-أمريكا بريطانيا-إسبانيا يوغسلافيا-اليمن	د.يحيى بوعزيز د.عبد الجليل التميمي د.محمد سعيد رمضان البوطي د.مصطفى أحمد الزرقاء د.محمد فاروق النبهاني د.فؤاد زكريا د.محمد أركون د.ميخائيل دي إيبالزا د.لويس كارديال د.سيغريد هونكة د.هيرمان لاي د.جوزيف بيلانسكي
11	أ-مساهمة الرستميين في حضارة الإسلام. ب-الإسلام في إفريقيا اليوم	17-26 صفر 1397هـ/ 06	ورجلان (ورقلة)	13	35	21	الجزائر-تونس مصر -لبنان -إيران-	د.جوزيف بيلانسكي، د.كريستينا سكارجينكا، د.إيزاك برونسكي

	جـ-المرأة بعد عام المرأة. د-هل بطون الأرض نعمة أم نقمة	-15 فبراير 1977م				تركيا- استراليا- بريطانيا-رومانيا فرنسا-اليابان - اندونيسيا-العراق- باكستان-الاتحاد السوفياتي-أمريكا السودان-ليبيا -سوريا -إسبانيا-إيطاليا	د.سليمان آتشي، د.ميكائيل دي إيبالزا، د.دونيس ووكر، د.عبد الحليم عويس، د.فرانسيس مالي د.شارل تيذر
12	أ-الأوراس أمجاد وأنجاد ب-الدين والعلم. جـ-تسيير الأمور في العالم الإسلامي إلى اليسرى أم العسرى؟ د-نظرة جامعة على الجامعة. هـ-ماضي ومضي هي الجزائر. لا طفل أو طيف زائر.	04-11 شوال 1398هـ/07 -14 سبتمبر 1978م	باتنة	16	46	25	الجزائر-تونس - المغرب-فرنسا كندا - أمريكا- الاتحاد السوفياتي- أندونسيا- تركيا باكستان - بلغاريا -استراليا الهند- مصر-يوغسلافيا- العراق فنلندا- سويسرا-ألمانيا ش و غ بنغلاديش- سوريا-	دونيز ولكر- شارل قيدز محمد الشاذلي النيفر- عبد العزيز الدوري، محمد فاضل الجمالي، ادوارد شورتر، موريس بوكاي، مارسيل بوزار، وليام مونتقومري وات، بشير تركي، سليمان اتشي، شارل روبير آجرون.

						اليابان بلغاريا- بريطانيا	
13	أ-اهقار طاسيلي: أبعاد وأبعاد. ب-هل إفريقيا منطلق أم مجرد ملتقى هجرات وحضارات وثقافات. جـ-على أبواب القرن الخامس عشر الهجري: تقييم وآفاق. د-الطفل في عام الطفل.	16-07 شوال 1499هـ/ 30أوت-08 سبتمبر 1979م	تمنراست	0	60	27	الجزائر-مصر المغرب-سوريا - العراق-الكويت- الأردن-الصين- فرنسا-تركيا-ألمانيا غ وش- بريطانيا- بولونيا-رومانيا- بلغاريا- هولندا- كندا- الاتحاد السوفياتي- باكستان- إيطاليا -فنلندا إسبانيا-ماليزيا- أندونيسيا إيران- سويسرا	د.إيفون تورين، فرانس كبري، إدوارد شورتر، محمد المبارك، نوال السعداوي. أنور الجندي، محمد عبد الهادي أبو ريدة، روجيه غارودي، زيغريد هونكة، السعيد شيبان، بيتر شولتز، محمد أركون، عبد الحليم عويس.
14	أ-الونشريس قلعة العلم والنضال ب-الإسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة.	20-27شوال 1400هـ/ 31أوت07	الجزائر	10	52	27	الجزائر-فرنسا-مصر- العراق -الأردن- غانا- النيجر-الهند -	شارل غيمانويل فورك. أحمد طالب الإبراهيمي، عبد الرزاق قسوم. عبد المجيد مزيان، جمال الدين عطية، فاضل

	جـ-آفاق الدعوة الإسلامية في القرن 15هـ. د-فلسفة التربية في الإسلام.	سبتمبر 1980م.				تونس-سوريا-السودان-موريتانيا تركيا-باكستان-إيران-السينغال اليابان - تايلاندا- بريطانيا -السعودية- قطر- غينيا-الصين-ليبيا- اليمن-إسبانيا-الاتحاد السوفياتي	زكي محمد، إبراهيم زيد الكيلاني، الشيخ محمد الغزالي، محمد سعيد رمضان البوطي، عبد الحليم عويس، مورس بوكاي، محمد الشاذلي التيفر، مصطفى الزرقاء، سليمان تشانغ بيندو.
15	أ-القرآن الكريم: نصه، نزوله، كتابته، جمعه، حفظه، قراءاته، وتعليمه. ب-القرآن الكريم: فهمه. -التفسير: أصوله ومناهجه. -ترجمة معانيه وتقييم الترجمات -إعجازه ومقاصده. جـ-القرآن الكريم في عالمنا اليوم: -تبليغه -صلتنا بالقرآن في العبادات والمعاملات،	02-08ذو القعدة 1401 هـ/ 01-07 سبتمبر 1981م.	الجزائر	20	48	20 الجزائر- تونس- الأردن -الإمارات ع م- تركيا- باكستان- الاتحاد السوفياتي- مصر-سوريا- السعودية -فرنسا- أمريكا- عمان- السينغال- إيران- الصين- يوغسلافيا-	الشيخ الشاذلي النيفر، محمد حميد الله، الهاشمي التيجاني، أحمد حماني، محمد الصالح الصديق، مصطفى كمال التازي، بشير تركي، حسن حنفي حسنين، رشاد خليفة، عبد اللطيف عبادة، الربيع ميمون، محمد علي التسخيري، محمد المبارك، الشيخ خليل أليس.

	في التربية، في المعرفة، في الثقافة والحضارة، مستقبل المجتمع الإنساني على هدى القرآن.					النمسا- بلجيكا- لبنان.	
16	السنة	06-13 شوال 1402هـ/ 27 جويلية 03أوت 1982م	الجزائر	16 + 11 بدوة	23	الجزائر-السعودية- تونس-مصر- المغرب-فرنسا- سوريا-إيران-تركيا- ألمانيا غ- بريطانيا- الأردن- العراق- الهند- أبو ظبي- الإمارات.	د.يوسف القرضاوي، أحمد حمالي، الشاذلي النيفر، عبد الفتاح أبو غيدة محمد علي التسخيري، مصطفى الأعظمي، محمد الصباغ، السيد سابق، عبد العزيز الخياط، محمد بدوي، محمد سعيد رمضان البوطي، الشيخ محمد الغزالي، أحمد عمر هاشم، طه جابر العلواني، ضياء الحق الندوي.
17	1-الاجتهاد في الشريعة الإسلامية. 2-الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية 3-اجتهاد الرسول ﷺ. 4-اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم. 5-التقليد 6-أسباب الاختلاف في النصوص الشرعية.	08-15 شوال 1403هـ/1- 26 جويلية 1983م	قسنطينة	18	55	الجزائر- سوريا- قطر- مصر-تركيا- الهند- السعودية- تونس- لبنان- الأردن- المغرب- باكستان -السودان- روسيا- فرنسا- إيران	رمضان البوطي، يوسف القرضاوي سيد محمد، أبو الحسن علي الندوي وهبة الزحيلي، عبد الرحمن محمد النجار، عبد الفتاح أبو غيدة، صبحي الصالح، محمد ظافر القاسمي عماد الدين خليل، روجيه قارودي طه جابر العلواني، برهان الدين السنبهلي.

	7-مدارس الاجتهاد واتجاهاته ومناهجه فيها ومستقبل الاجتهاد. 8-الاجتهاد وصلته بالخبرة العلمية المتخصصة.					--اليمن- هولندا- أمريكا- أندونيسيا- نيجيريا- بنغلاديش- موريتانيا.	
18	الصحوة الإسلامية: أسبابها، عواملها، مستقبلها، أمراضها، آفاقها. -الصحوة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي. -التيارات الفكرية المعاصرة وآثارها على المجتمع الإسلامي. -دور النخبة في المجتمع الإسلامي. -الصحوة الإسلامية في العالم، في الميدان الفكري والثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي، والتقدم العلمي والتكنولوجي.	الجزائر	11-17شوال 1404هـ/ 10-16جويلية 1984م	12 + 04	25	الجزائر- مصر- السعودية- إيران- المغرب- الهند- سوريا- فرنسا- قطر- الكويت- الاتحاد السوفياتي- السينغال- السودان- باكستان- ألمانيا الاتحادية- الصين- الإمارات ع م- بريطانيا- تونس- أمريكا.	20	المفتي طلعت تاج الدين عبد الكامل الكتابي، محمد سيد محمد، عبد السلام الهراس، علي مراد، محيي الدين عطية، أحمد كمال أبو المجد، عبد الحليم عويس، محمد الرابع الحسني الندوي، رمضان البوطي، روجيه غارودي، أحمد عروة، يوسف القرضاوي، أحمد حماني، الشاذلي النيفر، علي التسخيري، أحمد بن نعمان.
19	الاستشراق -الغزو الفكري، واقعه، أسبابه، موقف		19-27شوال 1405هـ/	3 + 40 تلاوات	34	الجزائر-فرنسا- سوريا-مصر-	25	بيتر تشولتز، محمد أركون، أحمد عروة، عبد المجيد مزيان، علي مراد، طه جابر

	المجتمعات الإسلامية منه، آثاره -التبشير في المجتمعات الإسلامية. -الغزو: الثقافي، اللغوي، وآثاره على مناهج التربية والتراث، أساليبه، أخطاره، ونتائجه. -وضع منهجية علمية للتوصل إلى جعل المعرفة تتقدم في إطار إسلامي	16-08 جويلية 1985م	بجاية					العلواني، محمد علي التسخيري، عبد الرزاق قسوم، إبراهيم محمود ديوب، عبد الحليم عويس، مولود قاسم، أحمد بن نعمان، رمضان البوطي، محمد الغزالي، روجيه قارودي، علي الصابوني، زيغريد هونكة، لمياء الفاروقي، يعقوب غوتي.
20	1-البحث التاريخي مدارسه: الإسلامية، الاستعمار، الاستشراق. 2-العلوم الإنسانية الفلسفة واتجاهاتها 3-الإسلام والتجديد.	27ذي الحجة 1406هـ/ إلى 05محرم 1407 هـ 02-9سبتمبر 1986م.	سطيف	37	27	12	الجزائر- فرنسا- مصر- سوريا- باكستان- السعودية- السودان- العراق- الهند- تونس- أمريكا- روسيا.	علي مراد، عبد الحليم عويس، روجيه قارودي، أنور الجندي، محمود أحمد غازي، محمد الهادي أبو ريدة، بيار لوري، بوعمران الشيخ، بول فلادي، أبو الحسن الندوي، باتريك تاكوسال، عبد الله لوصيف، مولود قاسم، يوسف القرضاوي، محمد الغزالي، جيلبار
							السينغال- السعودية- المغرب- نيجيريا- ألمانيا غ- ألمانيا ش- سويسرا- تونس- ساحل العاج- أمريكا- روسيا- السودان- كندا- لبنان- باكستان- غينيا- نيجريا- الصين- بلجيكا- بريطانيا- قازاخستان			

								دومان، إسماعيل الفاروقي.
21	-الحياة الروحية في الإسلام مفهومها، وأسسها في القرآن والسنة. -التوازن والتوافق بين المادية والروحية في الإسلام. -دور العلماء المسلمين في إثراء الحياة الروحية في إفريقيا.	01-07 محرم 1408هـ/ 26 أوت -01 سبتمبر 1987	معسكر			منها 5	الجزائر- تونس- موريتانيا- قطر – مصر	جمعة شيبخة، عبد الحميد حاجيات، محمد المصطفى الندي، يوسف القرضاوي، عبد العظيم الديب.
22	/	/	/	/	/	/	/	/
23	نحو مجتمع إسلامي معاصر. 1-المجتمع الإسلامي: مفاهيم وآفاق 2-القيم الإسلامية بين النظرية والتطبيق 3-أهمية البناء الروحي لإقامة المجتمع الإسلامي. 4-الفهم الصحيح لتطبيق الشريعة في العصر الحاضر. 5-الأزمة الفكرية في المجتمع الإسلامي: التشخيص والعلاج. 6-نحو مجتمع معاصر: تشريعيا، سياسيا،	27محرم-05 صفر 1410 هـ/ 27أوت-05 سبتمبر 1989	تبسة	0	45	16	الجزائر- مصر- تونس- بلجيكا- سوريا- المغرب- السعودية – أمريكا- يوغسلافيا- فرنسا- تركيا- الأردن- قطر- السينغال- إيران- موريتانيا.	مولود قاسم، ضياء عبد المجيد الموسوي، عبد الحليم عويس، محمد سعيد رمضان البوطي، بوعلام باقي، محمد مختار مبو، عبد الرحمن النقيب، فوزية بريون، نجم الدين أريكان، رجاء قارودي، سامي حسن حمود، جمال الدين عطية، محمد فتحي الدريني، يوسف القرضاوي، طه جابر العلواني، عبد الهادي أبو ريدة، أبو الحسن الندوي، محمد الغزالي.

	فكريا، اجتماعيا، اقتصاديا، إعلاميا						
24	-الاقتصاد والتنمية في المجتمع الإسلامي 1-تاريخ الاقتصاد الإسلامي: أ-الفقه وتطور الفكر الاقتصادي الإسلامي. ب-تحليل الوقائع الاقتصادية. 2-استراتيجية التنمية الشاملة. 3-الاقتصاد الإسلامي وفعاليته في حل المعضلات الراهنة. أ-من المعضلات الراهنة. ب-التكامل الاقتصادي الإسلامي.	11 جمادى الأول الجزائر 15 جمادى الأولى 1411هـ/ 28نوفمبر- 02 سبتمبر 1990م	0	31	13	الجزائر- مصر- إيران- السعودية- المغرب- أمريكا- الأردن- إيطاليا- تركيا- السينغال — عمان- قطر- تونس.	أحمد عبد العزيز النجار، أحمد عروة، الشاذلي النيفر، مسعود دارحستان، شيخ علام رضا مصباحي، عبد الحميد الغزالي، محمود أبو السعود، أحمد لسان الحق، أحمد عبد العزيز النجار، سامي حسن أمد حمود، إدريس الجزائري، عبد الحميد براهيمي، كورغت أوزال، إيبادير تيام، يوسف القرضاوي.

الجميع ضمن مختلف الإيديولوجيات في هذا المجال، وهو ما تناوله موضوع الملتقى الرابع والعشرين الذي انعقد في العاصمة –الجزائر– في أوائل ديسمبر 1990م، والذي كان آخر ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي.

ومن السهل أن نتلمّس أصداء هذه الملتقيات في النصوص الرسمية الجزائرية خاصة حين يعرض ميثاق 1986م لموضوع الصحوة الإسلامية ويؤكد على ضرورة «تأصيلها ومواجهة التيارات الفكرية الأجنبية مواجهة ناجعة تسمح بالتمييز بين المفيد منها فيؤخذ، والضار منها فيرفض، وذلك بفضل التثقيف المتفتح والاجتهاد المعمّق، والدراسات المتبصرة حتى تتمكن الجزائر من مجابهة التحدي الذي يطرحه العصر، وتحقق الاستجابة الموفقة في حل مشاكله دون أدنى نيل من مبادئ الإسلام الأساسية[1] وحين تناول موضوع الغزو الفكري الذي دعا الميثاق بشأنه إلى «تسليح الجماهير بما يكسبها المناعة اللازمة من أخطاره التي تتخذ أشكالا عديدة مغرية»...[2]

لكن هذه الدعوة، وهذا التوجه الرسمي الذي سيبقى موضوعا نظريا فيما بعد، سيثير حفيظة "النخب" الجزائرية التي تؤمن بالفكرة الغربية والتي لا ترى سبيلا للتقدم وحل المشاكل سوى في منظورها وفلسفتها وثقافتها ولغتها، ولذلك فقد اعتبرتها خطرا لا يمكن الإغفال عنه، فانتقال الخطاب الإسلامي عبر ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي من مرحلة الوضوء إلى مرحلة المطالبة السياسية «سيهدد مستقبل الجزائر وتطورها»[3]، ولذلك سيتم تحديد منظوره هذه المرة ضمن التحول إلى الديمقراطية رسميا عبر دستور 1989، وهو ما يفسر في غير ما ناحية أبعاد الخيار وموازين الفاعلين عليه إن محليا أو إقليميا أو دوليا.

ومهما يكن من أمر، فإن مرحلة التعددية الآتية ستتيح المجال اكثر لحرية التعبير والتنظيم، وإذا كان الأمر يتعلق بالتحولات العالمية فيما بعد نهاية الحرب الباردة، فإنها في هذا الإطار تتعلق بالتحولات الجارية في المجتمع الجزائري، ولعلّ ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي قد وجّهت الخطاب الإسلامي ليحتل الطرف المحوري الذي يقابل الآخر ضمن معادلة الثنائية الثقافية

---

[1]–ميثاق 1986م، المصدر السابق، ص ص38–39.

[2]–المصدر نفسه، ص38.

[3]–فايزة سعد، المرجع السابق، ص ص108–109. وقد حصرت الكاتبة سبب الإغفال عنه طيلة هذه المدة إلى ضعف اللغة العربية وقلة أو عدم استعمالها من طرف النخبة الفاعلة في الجزائر سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وهي تسمي الخطاب الإسلامي السياسي بالتطرف.

وقراءة المواضيع التي كان يختارها المنظمون تحت الإشراف الرسمي والمباشر لوزارة الشؤون الدينية تبين الحضور النوعي للمشاركين في هذه الملتقيات والذي يتمثل في الهيئات الرسمية والسياسية، سواء منها الحكومية أو الدولية الإسلامية أو غيرها[1]، ثم في عدد الدول المشاركة وكذا في الشخصيات السياسية والدينية والخبرات الاقتصادية[2] بالإضافة إلى الشخصيات السياسية والدينية والثقافية الجزائرية. مما يدل على أن ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي قد ساهمت في تقديم الخطاب الإسلامي العلمي والأكاديمي في جميع المجالات، وبلورت ضمن توجه يعي تغيرات الساحة الدولية، ويرافق الصحوة الإسلامية التي كان يعيشها الوطن الإسلامي وينضج فكرة البديل المطروح محليا وإقليميا في فترة ما بعد سقوط الشيوعية بتفكك الاتحاد السوفياتي الذي يمثلها.

فبعد أن تناولت الملتقيات الأولى للتعريف بالفكر الإسلامي النقاش حول مواضيع عامة وشاملة مثل الحضارة، وموقف الإسلام من النظم الإيديولوجية البشرية في السياسة والاقتصاد والفكر، ثم عرض التاريخ الجزائري الإسلامي عبر اختيار الولايات مكان انعقاد الملتقى لدلالاتها في المجال، فإن المواضيع التي افتتحت بها ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي القرن الخامس عشر الهجري قد اتجهت إلى دراسة خصوصية الوطن الإسلامي انتماء وشخصية وثقافة وفكرا وحضارة... وذلك عبر مواضيع الملتقيات الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وصولا إلى الملتقى الثالث والعشرين،والتي تناولت المواضيع التالية على التوالي القرآن الكريم. السنة النبوية الشريفة، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، الصحوة الإسلامية، نحو مجتمع إسلامي معاصر، تطبيق الشريعة الإسلامية، وذلك عبر تحديد الفهم الصحيح لهذا المشروع في العصر الحاضر وخاصة سبل تجاوز أهم عوائقه في الجانب الاقتصادي والتنموي تحديدا الذي ينظر له

---

[1]-يمكن ذكر بعضها: الصندوق الدولي للتنمية الزراعية، منظمة اليونسكو، مركز البحوث والاستشارات المالية الإسلامية، الكليات والمعاهد والمراكز العالمية، وزراء التربية والاقتصاد والشؤون الدينية، والثقافة والإعلام، الأحزاب السياسية، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية رابطة العالم الإسلامي، وغيرهم.

[2]-يمكن ذكر بعضهم: مفتي جمهورية مصر، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة، رئيس ندوة العلماء باكستان، مدير المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، مدير البنك الإسلامي، المدير العام لمنظمة اليونسكو، الشيخ محمد علي الصابوني مفسر القرآن الكريم، المفكر العالمي روجيه قارودي الفرنسي، المستشرقة زيغريد هونكة الألمانية، ولا بد من الإشارة إلى الحضور الشرفي للرئيس ياسر عرفات في الملتقى التاسع عشر الذي انعقد في مدينة بجاية، وحضور نجم الدين أربكان رئيس حزب الرفاه ورئيس وزراء تركيا فيما بعد، في الملتقى الثالث والعشرين الذي انعقد في مدينة تبسة وغيرهم.

والسياسية المتبلورة، على الرغم من عدم خلوّها من بعض مظاهر التضخم والتشوه والتناقض الواضح بين الإدعاء الإيديولوجي، وتقلب المواقف الفعلية، وبين التعصب الشديد لها ورفض الأفكار الأخرى رفضا تاما وبين تقبل الآخر ومحاولة إقناعه[1]، والتي تعود في الأساس إلى «تشوه البناء القيمي الأساسي للمجتمع وكذا الشرخ الذي أصاب الوجود الاجتماعي للأفراد فيه»[2].

وفي إطار عقد ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي ومنذ الثمانينات ستعرف الجزائر تنظيم معارض دولية للكتاب، التي يتم فيها مشاركة دور النشر الجزائرية والعربية والدولية بعرض الكتب في كل المجالات الفكرية والاهتمامات العلمية، وتشهد إقبالا واسعا للقراء الجزائريين من المثقفين وطلبة الجامعات، حتى تنفذ كل الكتب المعروضة أحيانا ويتم تمديد فترة المعرض وإمداده بالكتب للاستجابة لطلب القراء، وخاصة فيما يتعلق بالكتاب الإسلامي[3].

وقد أثرت معارض الكتاب في الجزائر مباشرة في تفعيل عملية طبع الكتب وظهور عدد من المطابع الوطنية والجهوية والتي كان قد أخر ظهورها من قبل ظروف تقنية بحتة أحيانا كانعدام المطابع وظروف الأمية العامة في الجزائر، ومن ثم قلة المقروئية، ومشاكل التوزيع التي شهدها القطاع السمعي البصري الذي سجل تطورا مع السنوات.

---

[1]-وقد عالج هذا الموضوع إسماعيل قيرة تحت عنوان البنية الثقافية والتحول الديمقراطي في الجزائر الحديثة، انظر: مستقبل الديمقراطية في الجزائر، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2002م، ص ص177-192.

[2]-Nadji , Safir, Essais d'analyse sociologique , 2Vol, Alger, O.P.U, ENAL, 1985, p200.

[3]-وقد أقيمت في هذا الإطار أربع معارض للكتاب الإسلامي وتم إلغاؤها بعد المعرض الرابع كما يقول أو صديق فوزي بن الهاشمي، المرجع السابق، ص128. وستتوالى فيما بعد عملية تنظيم معارض للكتاب دولية وولائية في إطار المناسبات الوطنية والعلمية الكثيرة عبر كل الجزائر.

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي في الجزائر التعددية

شهدت الجزائر في نهاية الثمانينات جوا من الاضطرابات، وكانت أحداث 5 أكتوبر 1988م كما أصبحت تعرف فيما بعد؛ قد ميزها مظاهرات عنيفة وأحداث دامية راح ضحيتها مئات من القتلى والجرحى[1]. ذهلت بعض التحليلات إلى أنها كانت احتجاجا على تدني الأوضاع الاقتصادية في البلاد حتى سماها البعض بمظاهرات الخبز[2]، والآخرين بانتفاضة الخبز[3].

والواقع أن الأحداث قد انفجرت بعد أسبوعين من الخطاب الذي ألقاه الرئيس الشذلي بن جديد في 19 سبتمبر 1988م، والذي ضمّنه عزمه على وضع سياسة اقتصادية جديدة وصفتها الكتابات المتنوعة "بالتدابير التقشفية لاحتواء التنمية المجتمعية، وتمثلت مثلا في رفع الأسعار وإلغاء أو تخفيض الدعم المقرر للسلع الأساسية وعلى رأسها الخبز[4].

وفي 11 أكتوبر 1988م أعلن الرئيس الشاذلي بن جديد في خطاب أمام المؤتمر التداولي للإطارات الجزائرية[5] عن إجراء استفتاء شعبي بشأن إدخال بعض التعديلات الدستورية تلخص أبرزها في احتيار طريق التعددية الحزبية والتي وافق عليها الشعب الجزائري في الاستفتاء الذي جرى في 23 فيفري 1989م بأغلبية 73,43%، وبدأت الجزائر بالفعل تعيش مرحلة انتقالية بعد تخليها رسميا عن نظام الحزب الواحد، وهو ما يطرح التساؤل حول الأسباب والعوامل التي كانت وراء هذا التحول بهذه السرعة زمنيا وإجرائيا.

---

[1]-تذهب العديد من المصادر إلى أن عدد القتلى قد بلغ 500 قتيلا، وبعضها 300 قتيلا، أما المصادر الرسمية فقد أعطت رقم 200 قتيلا. انظر: رمضان قرفي محمد، الجزائر على أبواب الانتخابات، مجلة السياسة الدولية، ع107، يناير(جانفي) 1992م، ص214.

[2]-فايزة سعد، المرجع السابق، ص11.

[3]-ناظم عبد الواحد الجاسور، الجزائر: محنة الدولة ومحنة الإسلام السياسي، دراسة في الصراعات الداخلية وأبعادها الإقليمية والدولية، انظر قراءة للكتاب في المستقبل العربي، ع273، م11، 2001م، ص ص 144-150.

[4]-حلال معوض، السياسة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ط1، 1994م، ص297.

[5]-ألقي هذا الخطاب في قصر الأمم، بحضور الإطارات الذين يمثلون مجمل الوزارات، والجيش وكل الولايات في الوطن وكذا إطارات جبهة التحرير الوطني والمنظمات الجماهيرية وهو في هذا الإطار المناسبة الرسمية المثلى لإعلان القرارات والتوجهات الهامة في الجزائر.

المطلب الأول: أسباب التحول إلى التعددية وسقوط نظام الحزب الواحد في الجزائر

يمكن تصنيف أسباب وعوامل هذا التحول كما درجت على ذلك كثير من الدراسات على التوالي في الأسباب الدولية والإقليمية والمحلية.

1-البيئة الدولية:

فالجزائر من الدول العربية والإسلامية في العالم الثالث التي اختارت نهج الاشتراكية، والذي يتمحور تطبيقه على مركزية الحزب الواحد في الحكم والتوجيه والتخطيط، وحتى أكتوبر1988- تاريخ الأحداث التي تقف وراء التحول إلى التعددية في الجزائر –السياسية منها تحديدا- كان العالم يعيش على وقع نهايات الحرب الباردة المتسارعة، التي ستتم بسقوط النظام الاشتراكي في العالم، ونهاية مشروع الحزب الواحد تاريخيا، الذي أثبتت التجربة الاشتراكية خطأه وذلك باعتراف أصحاب النظرية الاشتراكية أنفسهم[1]. وكانت "البريسترويكا" التي أعلنت في الاتحاد السوفييتي مهد الشيوعية والاشتراكية تعني في أهم ما تعنيه إعادة البناء وهو ما كان يعني في المقابل التسليم بوجود الخلل في البناء السابق وعبر مختلف مواقعه ومن ثم التسليم بالحاجة إلى التعددية في الدول الاشتراكية، بل لقد أصبحت التعددية شرطا لا مفر منه من أجل أن يكون هناك رقيب دائم ومستمر من قبل الجماهير لتصحيح الأخطاء المحتملة في النظام السياسي برمته، والمحصلة فإن التعددية أصبحت أكثر من ضرورة لتصحيح مسار التجربة الاشتراكية نفسها.

ومن الصعوبة الجزم بأن مرحلة المراجعة التي كان يعيشها العالم الاشتراكي ليس فقط على مستوى التطبيقات الاشتراكية، ولكن أيضا المسلمات النظرية والمنهجية والإيديولوجية، والتي كان يعتقد أنها مطلقة –رغم كونها أفكارا بشرية- أنها كانت موضع اهتمام ونقاش في الجزائر وبين

---

[1]-يقول : محمد سيد أحمد" بأن الاعتراف بخطأ الحزب الواحد قد جرى تداوله منذ تقرير "خروتشوف" في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، لكن جرى ذلك على نحو من السرية الكاملة، أما إعلان البريسترويكا من طرف "قورباتشيف" فحّر الموضوع وألغى فرضية عدم خطأ الحزب الواحد.

ويقول "السيد يس" بأن البريسترويكا نفسها لم تكن من إبداع "قورباتشيف" وإنما هي تعود إلى 15 سنة قبله، حيث لا تتعدى كونها ترجمة لبرنامج وطني نقدي ماركسي صاغته قوى المعارضة الماركسية السوفييتية التي دعت إلى تطبيق الاشتراكية الحقيقية والتي لم تنص أصلا على الحزب الواحد. للاستفاضة حول الموضوع انظر: ندوة مجلة المستقبل العربي حول: تأثير التطورات الجديدة في الكتلة الاشتراكية على الوطن العربي، التي شارك فيها عدد من الباحثين والكتاب الماركسيين والشيوعيين العرب أمثال محمود أمين العالم، وحيد عبد المجيد، محمد عودة، تحت إدارة السديس، ع132، م2، 1990م، ص ص 112-132.

الجزائريين على المستوى المعرفي والفكري تحديدا؛ بحكم توقيت أحداث أكتوبر نفسها أو التأكيد على أن الجزائر كانت تعيش متطلبات موضوعية للتطور الديمقراطي الذي كانت التعددية مكونه الأساسي، لكن التطورات التي كانت تحدث في الكتلة الشرقية في نهاية الثمانينات بما فيها الاتحاد السوفييتي أساسا وأوروبا الشرقية ارتباطا من جهة ثم تحوّل مفهوم الديمقراطية من مركزية الطرح الغربي المرتبط بالليبرالية إلى مفهوم عالمي شامل وهو محصلة نتائج الحرب الباردة عموما- قد أدى إلى ما يمكن تسميته بالعدوى بحكم كثافة الاتصالات وسرعتها، التي بلغت الجزائر واستدعى منها مواكبتها والتكيّف معها على غرار عديد الدول العربية والإسلامية الأخرى التي سبقتها إلى هذا التحول.

أ-ويؤشر إلى ذلك خطاب الرئيس الشاذلي بن جديد في 26 جوان 1987م أمام مسؤولي الوسائل العمومية والإعلام، الذي أكد فيه على ضرورة وعي التحولات التي يعيشها العالم الغربي، والعمل على تفادي ارتدادات أزمته على الجزائر، وذلك بالتمهيد لعملية التغيير فيها بطريقة منهجية وعلى مراحل تمكن المواطن ومن ثم الشعب الجزائري من حلّ مشاكله الآنية على كل المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والحضارية «دون أن تشكك في حياراتنا الحاضرة أو تقلل من أهمية توجهاتنا وآمالنا في تكوين الإنسان الجديد والمجتمع الجديد بضمان المواجهة لكل أشكال الهجوم الخفية وبتثمين المبادئ التي شكلت هويتنا وشخصيتنا وحضارتنا ضمن حركتنا التحريرية وعبقرية شعبنا الإبداعية...» [1].

وقد ربط الخطاب هذه التوجهات مباشرة، بتحرير طاقات الشعب الجزائري وتسهيل شروط مساهمته وإشراكه في تحمل أحسن للمسؤولية الوطنية وإكمال أداء مهمته التاريخية وهو ما كررته الخطابات الرسمية فيما بعد[2]، وترجم في الإصلاحات السياسية التي تعلقت بالتحول الديمقراطي والنهج التعددي بإقرار الحق في إنشاء الجمعيات السياسية والترشح للمسؤولية السياسية في البلاد بالنسبة لجميع المواطنين الذين تتوفر فيهم شروط ذلك.

ويأتي في سياق تفسير هذا التحول في الجزائر خطاب "أحمد طالب الإبراهيمي"[3] أحد

---

[1]-انظر: نص خطاب الرئيس في مجلة: Revolution Africaine, Op-cit, PP13-14

[2]-مثلا خطابه في 10 أكتوبر 1988م؛ انظر فقرات منه في مجلة المجاهد، المرجع السابق، ع1472، ص2، وما قال فيه: «تستفتح المجال للكفاءات الحقيقية الوطنية لتساهم في المسؤولية بدون استثناء وهكذا نقضي على احتكار المسؤولية في أي مستوى كان...». انظر أيضا: ص ص 10-13.

[3]-الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ابن الشيخ البشير الإبراهيمي ولد بسطيف في 1932م، وبعد نضال فكري

مسؤولي جبهة التحرير الوطني في المؤتمر الاستثنائي لمناضليها، وذلك في 29 نوفمبر، حيث أكد على:

1-المسؤولية الجماعية في تحرير مواثيق جبهة التحرير الوطني، وهو الحزب الحاكم الوحيد في الجزائر حتى 1989م، ومن ثم في إثرائها وشرحها للشعب طيلة هذه المدة.

2-ضرورة مراجعة هذه المواثيق حتى تساير التطور، لأنها كيفما كانت عبقريتها ودقتها لا تتعدى كونها نصوص وأفكار بشرية مآلها إلى الزوال إذا لم تنسجم مع الطموحات الشعبية.

3-أن التغيير الذي كان يحدث في أوروبا الشرقية دليل للجزائر على ضرورة المراجعة، ومن ثم ضرورة التغيير فيها.

ويقول: «نعم لنا ميثاق ودستور وبرنامج، ولكن المتغيرات الداخلية والدولية تفرض علينا إيضاحات أو إضافات حول مسائل لم تبلور كفاية أو اعتراها شيء من الغموض»[1].

لكن سرعة التحول إلى التعددية في الجزائر والذي تم إجرائيا بعد ثلاثة أشهر فقط من أحداث أكتوبر، دفع كثير من الدراسات والتحاليل السياسية المحلية والأجنبية إلى وصفه بالارتجالية المتسرعة، بينما دفع البعض الآخر إلى تحميله مسؤولية عدم انتظام المسلسل الديمقراطي الذي يحوّل إلى نظام تعددي حقيقي[2]. ويفسر في ذاته زوايا من العوامل الأخرى لهذا التحول في الجزائر.

ب-الاتجاه الداعم للتعددية الحزبية في الجزائر لتوسيع نطاق الديمقراطية في العالم وتحقيق الاستقرار في الجزائر قد هدف أساسا إلى الحفاظ على المصالح الغربية في الجزائر ولاسيما منها المصالح الفرنسية. فالجزائر متعامل وزبون اقتصادي هام، وهي مصدر لمادتي البترول والغاز الطبيعي من جهة، والاهتمام الفرنسي من بين الدول الغربية تحديدا من جهة أخرى، وعلاوة على ذلك يمكن الحديث عنها من أكثر من زاوية منها تواجد أكثر من 2,5 مليون جزائري في فرنسا

-سياسي أثناء الاحتلال، اعتلى عديد المناصب السياسية في الجزائر المستقلة: وزير التربية الوطنية 1965-1970م، وزير الإعلام والثقافة 1970-1977م، وزير مستشار لرئيس الجمهورية 1977-1982م، مؤسس مجلس الحماسة 1979م. عضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني 1979-1998م، وزير الشؤون الخارجية 1982-1988م، عضو المجلس الوطني لمنظمة المجاهدين 1989-1996م.

(1)-انظر نص الخطاب في: أحمد طالب الإبراهيمي، المعضلة الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 7-8.

(2)-وقد صرّح بذلك في حوار مع جريدة "الشرق الأوسط" بتاريخ 20 أوت 1992م، ونشرته جريدة "المساء" في 24-25 أوت 1992م، ونقلته مجلة "L'hebdo libéré" إلى اللغة الفرنسية بتاريخ 27 أوت 1992م.

و1,5 مليون من هؤلاء، فرنسيون من أصل جزائري[1]. إلى جانب العلاقات التاريخية المتميزة حسب مفهومها، وكظاهرة استعمارية وفق مفهوم الجزائريين الدائم لها، بالإضافة إلى تواجد رعاياها بالآلاف في دواليب الاقتصاد الجزائري[2]، وتعرض رعاياها في الجزائر للعنف سيؤثر عليها سلبا في الداخل.

والعامل الآخر وهو المهم في الموضوع فهو محاربة الإسلام تحت غطاء الأصولية باعتبارها خطرا ومصدرا للإرهاب في العالم، كما تناولته صحفها وتعاليقها الرسمية، وكذا تصاريحها السياسية على أكثر من صعيد، فقد صرّح "جاك شيراك" الرئيس الفرنسي في أحد الاجتماعات الأوربية في 1986م قال «هدفنا المشترك هنا هو الحيلولة دون أن تجتاح الأصولية المنطقة بأسرها.. فاسمحوا لي إذن، أن لديّ أمورا تشغلني وأهم ما في ذلك هو الحيلولة دون أن يعرف التطرف الديني المناهض للغرب في المنطقة»[3].

وتعدّى الأمر فرنسيا في محاربة ما تسميه "بالخطر الأصولي" إلى أوربا مجتمعة، التي ابتدعت مهمة جديدة لمنظمة حلف الشمال الأطلسي بعد نهاية الحرب الباردة ضد الشيوعية عبر العالم، ضمن ما سمته بـــ"Euro forces"، "القوات الأوربية"، وهي قوة جديدة للتدخل السريع موجهة لبلدان المغرب العربي وخاصة الجزائر، فالمخاطر التي رأت أوربا أنها تواجهها في هذه المرحلة تأتيها من الضفة الجنوبية للمتوسط من الناحية الجيوسياسية، أما من الناحية الهوية الحضارية، فبعد أن ثبت أن العناصر الاقتصادية لم تكن كافية لوحدها لإدماج المجموعة الأوروبية، فإن أوربا أحست بضرورة تكوين هوية جديدة لتكون حافزا آخر للمجموعة ترتكز هذه المرة على الثقافة والعرق والأمن، وتبنى بمرجعية تاريخية ممثلة في تاريخ الحروب الصليبية التي شهدها البحر المتوسط في القرون السابقة مما يجعل دول الجنوب بناء على ذلك في حالة عدوان، ويؤهل أوربا لتكون طرفا في محاربة ما تسميه "الخطر الأصولي"[4].

جـــ-الرهان على قدرة الجزائر على التحوّل السلمي من الحزب الواحد إلى التعددية

---

[1]-أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص20.

[2]-الحسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص70.

[3]-انظر: قضايا المستقبل الإسلامي، بحوث ندوة الجزائر، المرجع السابق، ص103.

[4]-للاستفاضـــة حول الموضوع انظر: الحوار الذي أجرته جريدة "رسالة الأطلس" مع السيد "خالد بن إسماعيل" المنسق الوطني "للحركة من أجل الديمقراطية"، مجد، بتاريخ 10 فيفري 1997م، وأيضا في: يوسف مصدقي، المرجع السابق، ص146.

الحزبية استنادا إلى قوة بيروقراطية الدولة[1].

ويلاحظ ارتباط العاملين الأخيرين ببعضهما لكون الأول غاية لا يمكن تحقيقها إلا بتوفر عامل قوة البيروقراطية وبالأحرى قوة الرهان على تحقيق التحوّل إلى التعدّدية الحزبية بفضل ضمان البيروقراطية الجزائرية والتي يتفق الجميع على أنها هي نفسها سببا حاسما في الأزمة المتعددة التي عاشتها الجزائر.

د-محاضرة النظام الليبي بوصفه النظام الراديكالي الوحيد في منطقة المغرب العربي في المنظور الغربي والذي تتأكد مواقفه من الأحداث الجارية في الجزائر فيما بعد 1989م[2].

2-العوامل الإقليمية

ويقصد بها المتغيرات التي جاء بها كل من النظام الإقليمي العربي والنظام الفرعي للمغرب العربي وبعض الدول الإسلامية، ومن هذه العوامل:

أ-تزايد المد الديمقراطي في المنطقة العربية واقترانه باعتماد التعددية الحزبية، وفي تحوّل الجزائر إلى التعدّدية الحزبية سيقوّي «الانسجام مع المناخ السياسي في المنطقة المغاربية المتّجهة إلى الأخذ بمفهوم التعدّدية السياسية ويغني التجربة الديمقراطية في الاتحاد المغاربي الوليد»[3].

ونظرا للموقع الذي تشغله الجزائر في المغرب العربي والتأثير المتبادل بين دوله دفع الحاجة إلى توفير وفاق جزائري مغاربي في جميع المجالات وهو ما لم يكن ليتم دون إصلاحات داخلية لدى الجميع، وكان لحدود الجزائر الواسعة مع دول ألف بينها خوفها من إسلامييها خاصة والذي يسجله تاريخ طويل في الموضوع ما يسهل الاتجاه نحو هذا الهدف، كتونس مع "حركة النهضة الإسلامية" أو المغرب مع "جماعة العدل والإحسان" و"جماعة الشبيبة الإسلامية"، فقد كان أي فوز محتمل لصالح الإسلاميين في الجزائر بمثابة خطر محدّق بالنظام في البلدين أيضا[4]، وهو ما

---

[1]-سامح راشد، المرجع السابق، ص16.

[2]-المرجع نفسه، ص17.

[3]-انظر موضوع: كثافة الاستفتاء واعدة بإصلاحات ومشاركة متطورة، مجلة الحوادث، ع1687، الجمعة 3 مارس 1989 م، ص22.

[4]-فقد أعلنت تونس مثلا حالة التأهب العسكري في الداخل وعلى الحدود مع الجزائر مباشرة بعد إعلان نتائج إنتخابات الدورة الأولى لعام 1991م. انظر: أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص18.

طرحه جدول أعمال القمة المغاربية التي انعقدت في مدينة مراكش بالمغرب في 18 فيفري1989م، ويدخل ضمن الاتجاه العالمي الداعي نحو تشجيع قيام الاستقرار بين علاقات المجموعات الإقليمية المتجاورة جغرافيا والمترابطة مصيريا فيما بعد جو الوفاق الدولي بين المعسكرين الغربي والشرقي.

وقد احتلت مسألة الجماعات الإسلامية موقعا متقدما في أشغال القمة، وانبثقت عنها ما سمّي "بمعاهدة مراكش" التي تناول أحد أهم بنودها: عدم السماح بالقيام بأي نشاط أو تنظيم فوق تراها يستهدف المساس بحرمة تراب أي منها أو بنظامها السياسي والتأكيد في المقابل على العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان[1]، وفيما يتعلق بالجزائر فقد ترجم فيما بعد في "إجراءات" التسويف في عقد الانتخابات البرلمانية، والأخذ بالنسبية المطلقة في الانتخابات إن هي جرت... وغيرها[2].

ب-تأثر الجزائر بالعديد من تجارب الدول الإسلامية، ولا سيما تلك التي سبقتها في تبني الانفتاح باتجاه فتح المجال السياسي أمام القوى الإسلامية أو التي عملت على العكس من ذلك، وفي هذا الإطار تذهب التحليلات للمنطقة العربية الإسلامية إلى وجود محورين متناقضين وهما محور إيران –السودان- ليبيا (مع تذبذب هذه الأخيرة)، الذي يعمل على تغيير الأنظمة السياسية الحاكمة في العالم العربي عن طريق تقديم البديل الإسلامي، ومحور تونس- مصر- الجزائر مع خصوصيات كل منها، والذي يسعى في مواجهة المحور الأول بتدعيم الطابع الجمهوري العلماني وذلك بتحييد الإسلام من الحياة السياسية والاقتصادية وحصره في بعض مجالات الحياة الاجتماعية مثل قانون الأسرة والعمل الدعوي والخيري وبناء المساجد..الخ[3].

وفيم ستعمل الجزائر على سحب سفيرها من السودان، وتوجيه التحذيرات المتتابة لإيران قبل تجميد العلاقات الدبلوماسية ثم قطعها تماما بعدها، وإصدار بيانات منددة بتصريحات الرئيس الليبي، تعمل في المقابل وبطريقة موازية على إقامة علاقات متميزة وخاصة مع كل من تونس ومصر بلغ إلى حد التنسيق، وقد تناولت الصحافة الجزائرية وخاصة المكتوبة منها بالفرنسية هذه

---

[1]-للاستفادة حول موضوع القمة أهدافها ونتائجها يرجى قراءة: توفيق حازوليت، التكامل الاقتصادي يعيد طاقات الاتحاد المغاربي في مواجهة التكتلات العالمية، مجلة الحوادث، المرجع السابق، ص49.

[2]-نيفين عبد المنعم مسعد، المرجع السابق، ص487. نقلا عن: جريدة الحياة بتاريخ 23 جويلية 1990م.

[3]-الحسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص70. وستتغير المعطيات السياسية فيما بعد خاصة مع إيران والسودان.

المواقف بالشرح والتحليل والمتابعة[1].

3-العوامل الداخلية

وبعد العوامل الدولية والإقليمية التي تفسّر جوانب هامة في قرار التحول إلى التعددية الحزبية في الجزائر، تبقى العوامل الداخلية هي العوالم المباشرة في تفسير عملية التحول نفسها ليس من ناحية حيثيات مراجعة إيديولوجية النظام السياسي الجزائري التي ثبت فشلها عند أصحابها ومن ثم لم يعد لها مبرر وجود في الجزائر على غرار التحولات العالمية والإقليمية في السياق، وإنما أيضا من ناحية إجراءات هذا التحول ضمن معطيات الواقع الجزائري على مختلف الأصعدة.

فقد كانت اضطرابات أكتوبر إفرازا لتراكم عدد من الأوضاع التي أدت بدورها إلى تفاقم مشكلات حقيقية تبلورت مع الوقت وأوجدت قدرا هائلا من الضغوط المتوالية والتي حاول النظام السياسي مواجهتها عبر عمليات التكيف المتعددة من خلال تعديل بناه ومؤسساته أو زيادة تأثيره في المتغيرات الاجتماعية التي تعج بها بيئة النظام داته، ولكن الأحداث بضخامتها وتواليها أثبتت عجز النظام عن القيام بمثل هذه العمليات، الأمر الذي فسح المجال واسعا لظهور هذه المشكلات بتجلياتها المؤثرة التي نذكر منها:

أ-مشكلة المشاركة الشعبية في سياسة الدولة

وقد تجسدت هذه في عجز المؤسسات السياسية عن استيعاب كل القوى الموجودة في المجتمع الجزائري والراغبة في المشاركة في العملية السياسية، كما تجسدت في عدم رغبة النخبة الحاكمة في إشراك هذه القوى.

وتذهب بعض الدراسات السياسية إلى أن أهم ما ميّز النظام السياسي للجزائر عند اندلاع أحداث أكتوبر 1988م هو أنه كان على درجة متقدمة من الانحلال والتفكك نتيجة لوجود عدد من العوامل كان أهمها وجود تباين اجتماعي كبير وتسلط النخبة الحاكمة، وتمتع أقلية من المجتمع بالثراء مع تهميش وإقصاء غالبية المجتمع وبخاصة فئة الشباب الذين يمثلون 75% من السكان، عن كل القرارات الحاسمة بالإضافة إلى «استخدام النظام للقوة في التعامل مع خصومه وذلك بفعل

---

[1]-انظر مثلا: El Watan, Vendredi 9 Samedi 10 Octobre, 1992

الصراع الذي وقع بين المجموعات المتنافسة على السلطة منذ نهاية حرب التحرير»[1].

وتذهب دراسة أخرى في تفسير أحداث أكتوبر وتداعياتها إلى الإخفاق في العدول عن النظام الشمولي وتغير نمط العلاقة بين المجتمع والدولة من الهيمنة والتي كانت تضمن قدرا من الرضا الطوعي، إلى السيطرة عن طريق القوة وفرض الأحكام الاستثنائية ضد سياق اقتصادي واجتماعي، كان قد تأزم نتيجة للسياسات الاقتصادية التي تم تطبيقها منذ زمن الاستقلال[2].

وتذهب بعض التحليلات إلى تلخيص صورة النظام السياسي الجزائري في أنه «كان يعاني من أمراض الترهل والبيروقراطية والمحسوبية»[3].

فالتحولات الكثيرة التي طرأت على المجتمع الجزائري منذ الاستقلال كان من شأنها أن تدفع الدولة للاستجابة لها ومحاولة استيعابها لكن مع رفض حدوث أي تغيير اجتماعي وسياسي جديد، فإن عوامل هذا التغيير في المقابل كانت قد تراكمت وميزها «ظهور جماعات فكرية وكتل اجتماعية وعرقية تبلورت خارج نطاق مؤسسات الدولة وأجهزتها المختلفة، وأعلنت رفضها للسياسات القائمة الاقتصادية منها والاجتماعية»[4]، والتي تعد أحداث واضطرابات 5 أكتوبر 1988م البداية التي أدت إلى العدول عنها بالعدول عن النظام الشمولي وتغيير نمط العلاقة بين المجتمع والدولة عن طريق إجراءات تسهّل عملية مشاركة شعبية أكبر في العملية السياسية في البلاد.

وفي هذا السياق عمل "الرئيس الشاذلي بن جديد" على ضبط ممارسة السلطة وذلك بالقيام بإصلاحات جوهرية لتحقيق درجة عالية من قبول المواطنين للنظام وأهم ما في هذه الإصلاحات قيامه بالسماح للأحزاب الجزائرية بالمشاركة في العملية السياسية وإلغاء نظام الحزب الواحد وقد أرجع لجوءه إلى الأخذ بنظام التعددية السياسية «إلى الجمود الذي أصاب دور الحزب الواحد بحيث لم يمكنه ذلك من استيعاب الأعداد الكبيرة التي نمت خارج نطاقه من الشباب الجزائري وبالتالي للشعب الجزائري»[5]، وقد كانت الخطوة الأهم في مجموعة الإصلاحات

---

[1]-أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص3.

[2]-فايزة سعد، المرجع السابق، ص11.

[3]-ناظم عبد الواحد الجاسور، نقلا عن: خليل لفتة، المرجع السابق، ص144.

[4]-فايز ة سعد، المرجع السابق، ص11.

[5]-أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص5.

الدستورية التي أعلن فيها دفعة واحدة بما في ذلك تعديل الدستور، وفصل الحزب –جبهة التحرير الوطني– عن الدولة هي مصادقة المجلس الشعبي الوطني في 1989م على قانون تنظيم الحياة الحزبية في الجزائر وبذلك أقر نظام التعديدية الحزبية في الجزائر.

ب–مشكلة عدالة التوزيع

وقد تمثلت بوادرها في ضعف قدرة النظام السياسي الجزائري على التوفيق بين الاعتبارات الاقتصادية الفنية للتوزيع، والاعتبارات الاجتماعية التي تفترض العدالة وإذا كان هناك من يرد بعض دواعي تلك الأزمة وأسبابها إلا ما واجهه النظام من أعباء اقتصادية بسبب انخفاض عائدات النفط. فإن البعض الآخر يردها إلى سوء الإدارة، والواقع أن كلا التفسيرين صحيح، فانخفاض عائدات النفط وضع السلطة في مأزق زادت من حدته المساوئ الإدارية.

1–فعلى الصعيد الاجتماعي، فإن الجزائر كانت تعيش نذر انفجار وشيك، تغذية حالة من تراكم مظاهر الفقر بين شرائح كبيرة من المجتمع يقابلها عجز الاستجابة الملحة لاحتوائها، فهناك نزوح مستمر من الريف إلى المدن، حيث لا عمل ولا مأوى ولا فرصة حتى لحياة كريمة، وسجلت نهاية الثمانينات نسبة 22%[1] من سكان الجزائر في سن العمل يعانون البطالة.

2–نتائج نظام التعليم الذي قذف إلى المجتمع ليس فقط بأكثر مما يحتاج كما يقول Jean Pierre Intelis وهذا هو الأهم ولكن بغير من يحتاج[2].

3–أن جهود التعريب التي خصت بها المراحل المختلفة، دون الجامعة أدت إلى صعوبة في التأقلم مع الظروف الجامعية لدى كثير من الطلبة، والتنافس الحاد بين طالبي العمل من ذوي الخبرات التعليمية المختلفة، وزاد في تعقيد هذه المشكلة «أن فروع التعليم العالي في الجزائر لم تكن تتماشى مع الاحتياجات الاقتصادية وبالتالي عمت البطالة وسط جموع الخريجين من ذوي المؤهلات العلمية»[3].

4–صعوبة ما سماه البعض باختراق الجهاز الإداري الذي ما زال لجيل المتفرنسين فيه أقدام

---

[1]-Houari Addi, Le choix des Algériens, Le monde diplomatique, Juin 1990.

[2]–نسيفين عبد المنعم مسعد، المرجع السابق، ص471 نقلا عن: (-Jean Pierre, Entelis ; Algéria : the révolution Institutionalized boulder, Colo, West press, london).

[3]–فايزة سعد، المرجع السابق، ص112.

ثابتة في مختلف القطاعات العلمية والثقافية والاقتصادية والخدماتية هذا فضلا عن القطاع السياسي نفسه، وهو ما تفسّر به عوامل كون «الجامعات الجزائرية تربة خصبة لإيناع المعارضة الإسلامية وبؤرة لتواتر أحداث الصدام بين المنحازين للثقافة العربية والإسلامية من جانب وأولئك المتحمسين للثقافة الفرنسية»[1] من جانب آخر.

5-معاناة النظام الجزائري من ضائقة مالية حادة تردها مختلف التحليلات إلى الاختلال الأصلي في هيكل التنمية ووظائفها في المجتمع والذي انتهى إلى النتائج السابقة أولا وإلى المديونية الخارجية التي تقدرها المصادر الرسمية بـ19 مليار دولار بينما فاقت المصادر غير الرسمية هذا الرقم بكثير[2]، وإذا علمنا بأن الدخل الوطني في الجزائر من العملة الصعبة ينحصر في دخل المحروقات الذي بقي شبه قار لعدة سنوات وانخفاض سعرها أصلا حينها، وحيث لا تتحكم فيه لا الجزائر ولا منظمة الدول المنتجة والمصدرة للبترول التي تنتمي إليها من جهة، وانخفاض صرف الدولار من جهة أخرى، في مقابل تزايد المصاريف نظرا لاحتياجات التنمية وزيادة السكان والرغبة الملحة في تحسين الوضع، فإن هذه الضائقة المالية الحادة في ظل تراكم كل الأخطاء قد يسهل في تفسير جانب آخر من جوانب الاضطرابات التي عاشتها الجزائر والتي انتهت إلى التحول إلى التعددية.

6-وتناولت كثير من الكتابات والتحاليل استشراء ظاهرة الفساد والرشوة بين كبار مسؤولي الدولة وحزب جبهة التحرير الوطني وخاصة بعد التصريحات التي أدلى بها رئيس الوزراء الأسبق "عبد الحميد براهيمي"، للصحافة الوطنية والذي أشار إلى تقاضي أعضاء الحزب الحاكم في الجزائر عمولات بلغت نحو 26 مليار دولار على مدار 20 سنة كاملة، أكبر من حجم المديونية الخارجية للجزائر، وقد علّق "أحمد طالب الإبراهيمي" أمام اللجنة المركزية في قصر الأمم في 18 جويلية 1991م. بأن قضية «الاختلاسات والرشوة لم تكن أسطورة ولكنها حقيقة وضعت بها أقلية كونت ثروات على حساب الشعب في السبعينات في ظل بعض القطاعات الاقتصادية، وفي الثمانينيات في ظل القيادة الحاكمة»[3]. وهو دليل على فشل جل المؤسسات -كمجلس

---

[1]-نيفين عبد المنعم مسعد، المرجع السابق ، ص471 (نقلا عن المصدر السابق).

[2]-René Backman, Carole Barjan Jean Jacques chiquelin , Farid Aichoun, Algérie, les bouches s'ouvrent, le Nouvel observateur, 13 Mai, 6 Juin, 1990, P7.

ويحدد المديونية الخارجية للجزائر في 27 مليار دولار، وأن خدماتها تستغرق حوالي 70% من دخل الصادرات.

[3]-أحمد طالب الإبراهيمي، المعضلة الجزائرية، الأزمة والحل، المرجع السابق، ص45.

المحاسبة- التي أنشأت قصد منع التلاعب بأموال الدولة حتى كاد الجميع ييأس من إمكانية محاسبة المسؤولين، مما يفسّر ظاهرة التكالب على المسؤولية وبروز التكتلات المصلحية»[1].

وفي هذا الإطار عدّد الإبراهيمي جوانب الأزمة التي كانت تعيشها الجزائر لكنه أكدّ على كونها أزمة أخلاقية اجتماعية قبل أن تكون اقتصادية مشيرا إلى أن أكبر السلبيات نتج كما قال عن الابتعاد عن مبدإ العدالة الاجتماعية موضحا ذلك في:

أ-ظهور الرغبة في الكسب السهل والسريع حتى ولو كان بصفة غير مشروعة.

ب-انتشار مظاهر الترف والبذخ من طرف أقلية، وسط حرمان الأغلبية ولا سيما الشباب، وتفشي البطالة، مما تولد عنه انعدام الأمن والتهريب وهجرة الأدمغة وبداية انتشار مرض خطير غير معروف حتى الآن في مجتمعنا وهو تعاطي المخدرات.

جـ-تفشي الرشوة والمحسوبية على كل المستويات مما أفقد الدولة مصداقيتها وأفقد المسؤول (أيا كان موقعه) هيبته.

د-اختفاء فضيلة القناعة التي ضمنت لنا ولآبائنا وأجدادنا العفاف والكفاف وحلول النهفة والشراهة محلها[2].

وإذا كانت هذه المظاهر قد أنتجت أحداث أكتوبر فإنها أدت واقعيا إلى نفور المثقفين من جبهة التحرير الوطني والانخراط في الأحزاب الأخرى، مع أول فرصة لفتح الباب التعددي لأن الجبهة كحزب حاكم لم تعمل على استيعابهم أصلا «ولم تقدم لهم إلا الشعارات والقدوة السيئة»[3]، وكانت المحصلة خلق أزمة ثقة بين الحاكم والمحكوم وبين جبهة التحرير الوطني والشعب لتنهار شرعية الحكم في الجزائر وهو موضوع العامل التالي.

جـ-مشكلة الشرعية

ظل النظام الجزائري يستمد شرعيته من المصدر التاريخي والنضال البطولي لجبهة التحرير

---

[1]-وذلك في خطاب في المؤتمر الاستثنائي لجبهة التحرير الوطني، وأمام مناضلي الحزب، الذي انعقد بالمركب الأولمبي بالعاصمة في جويلية في 29 نوفمبر 1989م وبحضور الرئيس الشاذلي بن جديد. انظر: المرجع نفسه، ص19.

[2]-المرجع نفسه، ص19.

[3]-في خطاب للإبراهيمي أمام اللجنة المركزية المنعقدة في دورتها العادية بتاريخ 7 سبتمبر 1990م. انظر: أحمد طالب الإبراهيمي، المعضلة الجزائرية، الأزمة والحل، المرجع السابق، ص31.

الوطني في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وأدى ذلك إلى تداخل الجبهة –الحزب الحاكم– والدولة إلى مستوى يقرب من الاندماج وهذا علاوة على نمط الحكم الاشتراكي الذي يتم به وفيه الاندماج الكلي الذي يسمى سياسيا بالدولة الحزب – L'état- parti–[1].

وقد بدأ الرئيس هواري بومدين عملية الانتقال من الشرعية الثورية والتاريخية إلى الشرعية الدستورية للدولة[2]، وتم تكريس هذا الانتقال منذ نهاية السبعينات حيث صدر في سياقها دستور وميثاق 1976م[3].

ولئن كان المصدر التاريخي قد ساعد الجزائر على تأطير شرعيتها التي كانت من الثورة لتمنع أية قوة سياسية طامحة في منافستها، إلا أنه في النهاية مثل أزمة للجزائر بعد تراجع نفوذ جبهة التحرير الوطني.

أولا: بسبب تدني مستوى إنجازها السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

ثانيا: بسبب انقطاع صلتها بشريحة الشباب التي لم تعايش حرب التحرير الوطنية.

ثالثا: بسبب غياب القيادات الكاريزمية عن صفوفها لوجود معظم تلك القيادات خارج البلاد[4]

ومنذ الثمانينيات بدأت ترتسم علامات استفهام كبيرة أمام طبيعة الشرعية السياسية في الجزائر بعد أن عدت الشرعية الثورية فيها سندا واهيا لا يتحمس له حتى دعاته ناهيك عن جيل الشباب الذين يكونون 75% من سكان الجزائر و65% بين هؤلاء تقل أعمارهم عن 25 سنة. والذين يقتصر تعاملهم مع الثورة والمجاهدين على الحكايات المرورية والذكريات المنقولة، وكانت النتيجة أن فقد النظام السياسي في الجزائر شرعيته «لأن قاعدته التقليدية قد اصبحت بدون معنى لدى غالبية المجتمع»[5].

وقد زاد من وطأة الأمر وحدته شيوع الفساد وقضية الرشوة على مستوى كبار المسؤولين

---

[1]–المنصف الونّاس، الخطاب العربي، الحدود والتناقضات، المرجع السابق، ص129.

[2]–أحمد طالب الإبراهيمي، المعضلة الجزائرية، المرجع السابق، ص38.

[3]–انظر: ميثاق 1976م، الباب الثاني، الحزب والدولة، المصدر السابق، ص ص55–56 وما بعدها. وانظر: فايزة سعد، المرجع السابق، ص10.

[4]–منعم العمار، "الجزائر والتعددية المكلفة" في: سليمان الرياشي وآخرون، الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1996م،ص ص48–51.

[5]–أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص7. انظر أيضا: نيفين عبد المنعم مسعد، المرجع السابق، ص470.

في الحزب والدولة، بالإضافة إلى حجم المديونية واهتزاز الحياة العامة، وكونت هذه العوامل متفرقة أو مجتمعة مناخا للتحوّل التعددي في الجزائر بتسريع تكريسها دستوريا ثم ميدانيا بالتدريج فيما بعد.

المطلب الثاني: التعديلات الدستورية التعددية، وتنظيم الحياة الحزبية في الجزائر

على الرغم من تاريخها القصير فإن الحياة الحزبية في الجزائر شهدت قانونين لتأطير العمل الحزبي كان الأول عبر دستور 1989م الذي فتحت المادة 40 الباب للتعددية الحزبية لأول مرة في الجزائر وجاء الثاني عبر التعديلات التي أقرت على الدستور في 1996م.

وإذا كان دستور 1989م قد صدر لاستيعاب القوى السياسية المعارضة فإن القانون المنبثق عنه في 5 جويلية 1989م وتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي[1] يتناول بالشرح عبر خمسة أبواب، تحديد الإجراءات التي تحكم إنشاء وتأسيس الأحزاب الجديدة وأهدافها وممارستها لأنشطتها وترتيباتها المالية وتعرض للعقوبات الممكن اتخاذها وتوقيعها على الحزب في حال مخالفته للقانون وذلك كمايلي:

1 -الباب الأول ويتضمن الأحكام المتعلقة بالنظام الحزبي ككل في الجزائر، وفيه يتعين على كل حزب:

أ-أن يعمل على المحافظة على الاستقلال الوطني والوحدة الوطنية ودعمها ودعم سيادة الشعب واحترام اختياراته الحرة، وحماية النظام الجمهوري والحريات الأساسية للمواطن، وحماية الازدهار الاجتماعي والثقافي للأمة في إطار القيم الوطنية العربية الإسلامية وحماية الاقتصاد الوطني من كل أشكال الممارسات غير المشروعة.

ب-أن يستعمل اللغة العربية في ممارسته الرسمية.

جـ-العمل على أساس المبادئ الديمقراطية.

د-أن يمتنع في برنامجه وأعماله عن التعصب والتزمت والعنصرية والتحريض على العنف بكل أشكاله أو اللجوء إليه، أو أن يبني على أساس ديني أو لغوي أو جهوي أو على أساس جنسي

---

[1]-انظر: قانون رقم89-11 المؤرخ بـ5 جويلية 1989م الذي يتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة الداخلية، مجموعة النصوص التشريعية المتعلقة بالانتخابات (الجزائر، وزارة الداخلية، أوت 1995م). ص ص67-76.

أو عرقي أو مهني فقط.

هـ-أن يمتنع عن الممارسات الطائفية والجهوية والإقطاعية والمحسوبية، وإقامة علاقات الاستغلال والتبعية، والسلوك المخالف للخلق الإسلامي وقيم ثورة نوفمبر 1954م.

و-أن يمتنع عن أي تعاون أو ربط علاقة مع أي طرف أجنبي على قواعد تخالف دستور الجزائر والقوانين المعمول بها فيها... أو تعطيه شكل فرع جمعية لتجمع أجنبي أو أن يحمل علامة جميعة وجدت من قبل كانت مخالفة لمصالح ثورة التحرير.

ز-يمنع القانون أعضاء المجلس الدستوري والقضاة -ولأول مرة- أعضاء الجيش الوطني الشعبي ومصالح الأمن من الانخراط في أي حزب سياسي.

ما يلاحظ على هذه الشروط أن الكثير منها قد تناولته مختلف الدساتير الجزائرية السابقة وخاصة دستور 1989م، وعلاوة على ذلك يمكن الإشارة إلى:

أ-عمومية نصوص بعض الأحكام وصعوبة تحديد بعض القيم التي ورد التأكيد على منعها وضبطها عبر الممارسة الحزبية من جهة، أو ضبط الجهة الموجهة ضدها إن محليا أو أجنبيا، فربط العلاقة مع الجانب الأجنبي إذا سيسمح به لطرف دون الآخر، لكون توفر عدم المخالفة للخيارات الداخلية التي تؤطرها القوانين المعمول بها، وهو ما يصعب تحديد الخط الفاصل فيه بين وجوب احترام خيارات الشعب من جهة وحماية النظام الجمهوري الذي قد يكون موضوعا له موقعة في مفهوم التعددية خاصة إذا ربطت علاقته بالدين في الجانب الأجنبي الذي يجوز ربط الحزب لعلاقة معه من جهة وموقف الإسلام من ذلك مبدئيا أساسا ثم مفهوما وواقعا، ونتائج من جهة أخرى.

ب-إن حضر قيام أي حزب على أساس ديني أو لغوي أو جهوي[1]... لم يتم إقراره ميدانيا، فالملاحظ لخريطة الأحزاب في الجزائر يجد فيها الأحزاب الجهوية والعرقية والإسلامية، وقد سمح لها بالظهور والنشاط فعلا... وقد رده البعض إلى تسهيل التحكم في مراقبة هذه الأحزاب عبر أشخاصها الذين كان أغلبهم ينشط في الخفاء، ومن ثم متابعتهم، في حين ردّد البعض إلى إظهار حسن نية النظام في إكمال مسيرة الإصلاحات السياسية إلى أبعد حد ممكن، لكن فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ الساحق في أول انتخابات تعددية في الجزائر، وتوقيف المسار

---

[1]-تناولته المادة رقم 05 من القانون.

الانتخابي وما نتج عنه من أزمة دستورية في 1992م أظهر عدم ملاءمة دستور 1989م للمرحلة الجديدة التي كانت تعيشها الجزائر، خاصة فيما يتعلق بقوانين تكوين الأحزاب وإجراء الانتخابات ومن ثم فقد طرأت عدة تعديلات في الموضوع بمناسبة الانتخابات الرئاسية التعددية في 1995م ثم تعديلات أخرى على دستور 1989م نفسه في أكتوبر 1996م.

حـــ-إن استثناء أعضاء المجلس الدستوري والقضاة، وأعضاء الجيش الشعبي الوطني الشعبي وموظفي مصالح الأمن[1] من حق الانخراط في الأحزاب السياسية يعود بدون شك لحساسية المسؤوليات السياسية والتشريعية والأمنية التي يمارسها هؤلاء وأولئك والتي تتطلب منهم على التوالي، بالإضافة إلى الوحدة والانضباط، الاستقلالية وعدم التحيز.

2-الباب الثاني ويتناول عملية تأسيس الأحزاب[2] ومن أهم الشروط التي تضمنتها مواد هذا الباب في أن يكون الشخص العضو أو المؤسس للحزب لم يسبق له اتباع سلوك مضاد لثورة التحرير، وأن يكون مقيما في الجزائر.

وفي غياب عرف تاريخي مستقر للممارسة الحزبية، أو التي اعتبرت كذلك في تلك الفترة، انتهت إلى عقد "مؤتمر الوفاق الوطني" الذي انعقد في أوت 1996م والذي تم الاتفاق فيه على قرار تعديل الدستور، وإجراء استفتاء بشأنه، وهو ما تم في 28 نوفمبر 1996م وأقر بأغلبية شعبية، وصدر نصه في إطار دستور 1996م.

ومن أهم التعديلات التي أقرها دستور 1996م هي تحديد المبادئ الأساسية لممارسة التعددية الديمقراطية وهي: - مبدأ ضرورة جعل الهوية الوطنية بأبعادها الثلاث[3] في منأى عن كل استغلال أو مزايدات سياسية أو حزبية.

-نبذ العنف بجميع أشكاله وفي جميع الظروف.

-المبادئ الديمقراطية والجمهورية التي تقوم عليها الدولة الجزائرية.

---

[1]-تناولته المادة رقم 09 من القانون.

[2]-تناولته المادة رقم 19 من القانون.

[3]-بعـــد أن دمج عنصر الانتماء الأمازيغي ضمن ثوابت الأمة في دباجة الدستور الجديد والذي جاء عقب موجة من مقاطعة المدارس بمنطقة القبائل، التي توازت مع مطالب الحزبين الفاعلين بالمنطقة FFS وRCD لتحقيق هذا المطلب والذي تعتبر هذه الإضافة استجابة له بعد اتفاقية ربيع 1995م بين ما يسمى بالحركات الثقافية البربرية ورئاسة الجمهورية.

وبالإضافة إلى قصر تجديد العهدة الرئاسية (5 سنوات) على مرة واحدة، وهو ما من شأنه ترسيخ مبدأ التناوب على السلطة، ثم تنظيم السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية[*]، فإن الدستور الجديد كرس قواعد الممارسة الديمقراطية بالتأكيد على: حياد الإدارة[1] وضمان حق المواطن في الكرامة وعدم انتهاك حرمة الإنسان وضمان مشاركته الفعالة في الحياة السياسية، وتأكيد مبدأ العدالة الاجتماعية وضبط الإطار العام لنشاط الأحزاب السياسية لتفادي المزايدات التي قد تمس استقرار الدولة.

وقد بدأت عملية تشكيل الأحزاب السياسية في الجزائر مباشرة بعد إقرار دستور 1989م بتقديم ملفات الاعتماد، وهو الذي يعني إقرار الجميع بالقواعد الليبرالية الديمقراطية التي تتمثل في:

-القبول بتعدد القوى والأحزاب السياسية التي تتنافس فيما بينها من أجل الوصول إلى السلطة لتنفيذ سياستها وبرامجها الإصلاحية.

-إقرار الحريات العامة والفردية وحمايتها بما في ذلك الحرية السياسية وحرية التعبير والنشاط الاقتصادي، وحرية تكوين الروابط المهنية والجمعيات والنوادي..

-التداول السلمي على السلطة من خلال الانتخابات الحرة التي يتم عن طريق تحديد اختيار الشعب بطريقة مشروعة باعتبار أنه وحده هو مصدر السلطات.

-قدرة النظام القائم على استيعاب القوى المختلفة والمتنوعة والجديدة بطريقة سلمية وبدون اللجوء إلى العنف أو غير ذلك من وسائل الإكراه والقهر.

وفي سياق هذه التوجهات، مارس الخطاب الإسلامي نشاطه عبر تقديم ملف طلب الاعتماد الرسمي لمباشرة العمل السياسي علنيا في الجزائر. وكان العدد الكبير من الأحزاب التي قبل ملف اعتمادها الذي بلغ عند نهاية 1991م 59 حزبا سياسيا، نتج عن اليسر الشديد لشروط التكوين، وفقا لقانون 1989م، حيث كان يكفي لـ15 جزائريا إنشاء حزب سياسي في الجزائر، موضع تساؤل حول هذه الظاهرة نفسها من جهة وحول الهدف من تسهيل العملية الحزبية وقبول

---

[*]-انظر: نص مشروع تعديل الدستور، الجريدة الرسمية، ع61، س33، المؤرخ بـ16 أكتوبر 1996م، المصدر السابق، ص ص11-25.

[1]-المصدر نفسه، ص6، المادة 23.

كل هذا العدد من الأحزاب في دولة حديثة العهد بالتعددية الحزبية كالجزائر.

وإذا اتفق البعض على أن الأمر لا يعدو كونه تعبير يلخص رد فعل على رفض الاحتكار السياسي الذي استمر أكثر من 30 سنة في يد حزب واحد هو جبهة التحرير الوطني، وأن الممارسة الانتخابية كفيلة بغربلة الأحزاب الحقيقية والقوية، فإن البعض الآخر ذهب إلى الحديث عن خلفيات عديدة تقف وراء تشجيع النظام الجزائري إنشاء أحزاب سياسية بهذا الشكل وبهذا العدد، فالهدف حسب هؤلاء يكمن في:

1-تفتيت المجتمع وتذرير القوى الحزبية السياسية، وهو ما من شأنه عدم إتاحة الفرصة لأي حزب سياسي أن يحصل على الغالبية المطلقة في المجلس الوطني القادم ويدخل ذلك بالتالي في إطار منظومة ديمقراطية الواجهة بدلا من الديمقراطية الحقيقية.

2-أن تسهيل ظهور عدد كبير من الأحزاب كان من أجل تشتيت جهودها وإثارة الصراعات فيما بينها، وبالتالي إضعاف المعارضة المحتملة منهما، فإكثار الأحزاب الصغيرة يفسح المجال لاستمرار النخبة الحاكمة مدة أطول واستئثارها بالسلطة.

3-ترك الصراع على مستوى أفقي بين الأحزاب وبالتالي شغلها وإظهارها أمام الرأي العام على أنها تسعى إلى السلطة فقط، ولا تقدم يد العون للدولة لإخراج البلاد من أزمتها،بل تعرقل ذلك وتتسبب فيه لكونها طرفا في الأزمة أيضا، ومن ثم تحملها المسؤولية، وقد تم ذلك كما يقول: "عدي الهواري" من منطلق نتيجة سياسية لوضعية تاريخية، وهي أن السلطة السياسية تحولت إلى ملكية خاصة[1].

4-ويضيف آخرون هدفا آخر ويتمثل في صرف الشعب عن المشاكل الحقيقية التي تعيشها البلاد، وذلك بفتح شهية المواطنين على الحكم وإيهامهم بإمكانية إشباعها مما يدفع إلى انشغالهم بالصراعات السياسية الهامشية، وبهذا تنجح النخبة الحاكمة عن طريق وسائلها ومنابرها وإمكانياتها أن تفرض نفسها على باقي الأحزاب الصغيرة فعلا، وتظهر للرأي العام المحلي على أن النظام قوي والأحزاب ضعيفة ومنقسمة على نفسها وبالتالي غير مؤهلة لقيادة البلاد.

5-إن كثرة الأحزاب هي بمثابة ضمان للنظام لتمرير مشاريعه المختلفة من خلال تجنيد

---

[1]-الهواري عدي، الديمقراطية المصادرة، جريدة الخبر، ع1220، بتاريخ 5 نوفمبر 1994م، ص21.

أكبر عدد منها لتدعيم سياسته، وفي مقابل ذلك يقدم لهم النظام مساعدات مختلفة مادية، وعينية أو عقارية...الخ.

وقد تكون بعض الآراء على جانب هام من الصدقية في قراءة الواقع السياسي في الجزائر وما ترتب عنه من واقع إعلامي جعل الجزائر على رأس قائمة الدول العربية من حيث حرية التعبير في هذه المرحلة، إلا أن كثرة عدد الأحزاب بالشكل الذي شهدته البلاد وفي وقت قصير يجعل من الصعوبة بمكان مهمة تصنيفها والحكم عليها بالدقة والموضوعية المطلوبة وهو ما سنحاوله فيمايلي.

المطلب الثالث: الخريطة الحزبية والأحزاب الإسلامية في الجزائر

لقد ظل عدد الأحزاب كبيرا حتى صدور قانون 1997م الذي فرض على جميع الأحزاب إعادة طلب اعتمادها ضمن الشروط الجديدة، مما دفع مجموعات من الأحزاب الصغيرة إلى التكتل في تكوينات حزبية أوسع قصد الاستيفاء بالمتطلبات الجديدة والتكيف مع القانون الجديد حتى تضمن استمرارها في الساحة[1].

فمنذ دستور 1989م طفت على السطح مجموعة التيارات السياسية والعقائدية التي كانت تنشط في الخفاء قبل ذلك داخل الحزب الواحد أو موازيه له، وانفصلت بصفة رسمية بفضل المناخ الديمقراطي الجديد وأطلقت ألسنتها وأقلامها بكيفية لم يسبق لها مثيل لتفصح عن مكنوناتها بدون قيد أو شرط أو متابعة وهو ما وصفه البعض بحرية التعبير الذي انفردت به الجزائر دون بقية الدول العربية والإسلامية في هذه الفترة.

وتقف محاولة تصنيف الأحزاب السياسية التي تم اعتمادها في الجزائر أمام صعوبات كثيرة من ناحية نشأتها وتشكيلاتها البشرية، ومن ناحية برامجها وأهدافها المعلنة وكذا على صعيد فعلها السياسي على الساحة الجزائرية، وتكمن أسباب ذلك كما اتضح إلى:

*افتقار أغلب هذه الأحزاب إلى برامج واضحة، علاوة على كثرتها وتضارب مصالحها.

*صعوبة تحديد اتجاهاتها بموضوعية نظرا لقصر مدة ظهورها حتى 1994م ثم تكتلها في

---

[1]-من أمثلة ذلك، قيام ستة أحزاب هي (الحزب الوطني للتضامن والتنمية، الاتحاد من أجل الديمقراطية والحريات، وتجمع الوحدة الوطنية، وحركة الشبيبة الديمقراطية، وتجمع شباب الأمة الجزائرية والحزب التقدمي الديمقراطي بالاندماج تحت لواء تكتل حزبي واحد يتزعمه "محمد طالب شريف".

تكوينات حزبية أوسع بعد صدور قانون 1997م.

*ظاهرة التداخل في البرامج والأهداف المعلنة بين كثير من الأحزاب.

ومع ذلك فقد حاول بعضهم تصنيفها على أساس الطابع الغالب على ممارسات كل حزب وتوجهاته المعلنة وفي هذا الإطار جعل هؤلاء الأحزاب الإسلامية في الجزائر على رأس الترتيب مع ملاحظة حذف لفظ إسلامي عن عناوينها استجابة لشروط القانون الجديد، وتأتي بعدها على التوالي الأحزاب الجهوية التي سموها بالبربرية، ثم الأحزاب الليبرالية، والأحزاب الوطنية، وأفرد هؤلاء حزب التجمع الوطني الديمقراطي[1] بتصنيف مستقل ووصفوه "بحزب الرئيس" لاعتبارات هامة يروها في اعتماد الحزب في أفكاره على البرنامج السياسي للرئيس "اليامين زروال" الذي قدمه عند ترشيحه للرئاسة في 1995م، علاوة على ضم الحزب لعدد كبير من المسؤولين الرسميين في الدولة من جهة وتمتعه بتأييد المنظمات غير الحكومية في الجزائر كمنظمة المجاهدين، وأبناء المجاهدين وأبناء الشهداء، ومتقاعدي الجيش الوطني واتحاد الفلاحين... بالإضافة إلى تأييده من الاتحاد العام للعمال الجزائريين القوة الثانية في الجزائر بعد الجيش[2] من جهة أخرى.

ومن السهل ملاحظة التداخل بين الأحزاب في هذا التصنيف، حيث يمكن لأي حزب أن يجد مكانا له في أكثر من عنوان واحد لاشتراكه معه في واحد أو أكثر من اتجاه وموقف وخطاب.

وقد حاول فريق آخر تصنيف الأحزاب الجزائرية باعتبار عناوينها وأسمائها وأقوالها وأفعالها وقسّمها في هذا الإطار التي ثمانية تيارات هي على التوالي:

1-تيار وطني عربي إسلامي.

2-تيار وطني إسلامي لا قومي.

3-تيار وطني عربي لائكي.

4-تيار إسلامي أممي لا وطني ولا قومي.

---

[1]-تأسس حزب التجمع الوطني الديمقراطي في 21 فيفري 1997م، تحت رئاسة "عبد القادر بن صالح" رئيس المجلس الوطني الشعبي الانتقالي حينها، وكان ظهور الحزب محط جدال واسع من طرف بقية الأحزاب من ناحية وضوح علاقته بالرئاسة ومن ثم سموه "بحزب الرئيس" والذي جعله الكثير منهم خليفة لجبهة التحرير الوطني.

[2]-الرياني الزبير، الجزائر الحزبية تتضح، مجلة قضايا دولية، ع373، س8، مارس 1997م، ص15.

5-تيار قومي عربي لائكي (لا وطني ولا إسلامي).

6-تيار شيوعي أممي (لا قومي ولا وطني ولا إسلامي).

7-تيار وطني ليبرالي (مستغرب لغة وثقافة، لا عربي ولا قومي ولا إسلامي).

8-تيار وطني انعزالي فاشي عرقي جهوي (مستغرب لغة وثقافة لا عربي ولا قومي ولا إسلامي)[1].

ومع أهمية هذا التصنيف في الإطلاع على مكونات الساحة الجزائرية سياسيا وثقافيا وحضاريا، والتي تتفق فيها الجزائر مع عديد الدول العربية والإسلامية عموما في ظل ما يدور في العالم من مثل هذه الاتجاهات وعملية التأثر أو الاستلاب التي تعيشها "النخب" فيها[2]، يبقى المهم في أي تصنيف للأحزاب الجزائرية أن يكون على أساس موقف هذه الأحزاب من مقومات الهوية الوطنية التي قامت الثورة الجزائرية من أجل تحقيقها في إطار بيان أول نوفمبر 1954م، والتي بموجبها شارك الشعب الجزائري والتف حولها وقدّم أرواح أبنائه في سبيلها، ويمكن من ثم لأي متابع أن يحدّد تيارين اثنين لا ثالثا لهما استنادا على مساحة الاختلاف وحتى التناقض بينهما ليس وقت ظهور هذه الأحزاب بالإعلان عنها بعد دستور 1989م، بإدراجها ضمن هذا التيار أو ذاك، وإنما بالتأكيد على الثنائية السياسية والثقافية المرتبطة بمسالة الهوية الوطنية التي بدأ الجدال حولها قبيل الاستقلال بقليل كما فصلنا الحديث فيها اسبابا وتداعيات في الفصول السابقة والتي شاب مسألة البت فيها ما استجاب حينها إلى ما كان سائدا من «موازين القوى دوليا أو إقليميا وارتباطها بصراعات الأجنحة والموازين الجزائرية الداخلية»[3]. وهو ما أدى إلى تجددها في نهاية التسعينات بالشكل الذي عاشته الجزائر ولا تزال، وهذان التياران هما:

1-تيار وطني تغريبي لائكي: الموصوف بالاتجاه العلماني[4]، وهو التيار الذي يجمع بين أصحابه:

*رفضهم اللغة العربية كلغة رسمية وطنية للدولة الجزائرية الذي تنص عليها مواثيقها ودساتيرها

---

[1]-أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص145.

[2]-وهناك تصنيف ثلاثي يتبناه البعض هو: المحور الإسلامي، والمحور القومي الوطني، والمحور الاشتراكي الديمقراطي بغض النظر عن مضمون وحقيقة هذه التسمية أو تلك. انظر: إبراهيم البيومي، المرجع السابق، ص48.

[3]-قدور بن الأخضر مقراني، رؤية الأحزاب الجزائرية للخروج من الأزمة، مجلة قضايا دولية، ع374، س8، 10 مارس، 1997م، ص14.

[4]-أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص15 وكثيرون غيرها.

وكافة نصوصها الرسمية منذ بيان أول نوفمبر.

*رفضهم لأي دور للدين الإسلامي في إدارة المجتمع وسياسة الدولة واعتباره تراثا وماض مجيد يحترمه الجزائريون ولا تتعدى علاقتهم به مجال العبادات والحريات الفردية.

*رفضهم لإقامة دولة إسلامية بمفهومهم لهذه الدولة المستوحى من الثقافة الغربية، التي ترفض الدولة الدينة أو المعروفة عندهم بالثيوقراطية الكنيسية، ومن ثم سعيهم لتثبيت دعائم دولة لائكية لا دخل للإسلام فيها، وتكون على أساس الديموقراطية بمفهومها الغربي التي تتبنى شعارات حقوق الإنسان، ودولة القانون، والمجتمع المدني من نقابات وجمعيات واتحادات طلبة وتنظيمات سياسية تنشط في هذا المجال.

وقد رصد أحمد نعمان مواقف هذا التيار من منطلق وطني، من مسألة اللغة العربية والهوية الوطنية خلال سنوات التعددية خاصة بعد سنة 1991م[1]، فيما يلي:

-تهديد هذا التيار للدولة في مظاهرات عارمة في العاصمة في 2 جانفي 1992م برفض الاعتراف بالحكومة التي ستسفر عنها الأغلبية الفائزة في الانتخابات الملغاة في 26 ديسمبر1991م. وتتعلق التهديدات بالوحدة الوطنية والتدخل الأجنبي.

-وقوف هذا التيار وراء تجميد قانون اللغة العربية في يوم ذكرى الاستقلال الوطني وذلك في 05 جويلية 1992م، بعد ما صادق عليه المجلس الشعبي الوطني بالأغلبية ديمقراطيا ووقعه رئيس الجمهورية "الشاذلي بن جديد" وصدر في الجريدة الرسمية في جانفي 1991م محددا المراحل الإجرائية لدخوله حيز التنفيذ في الإدارة الجزائرية بتاريخ 5 جويلية 1992م.

وفي المقابل المطالبة بالاعتراف بإحدى اللهجات الجهوية (القبائلية) كلغة وطنية ورسمية من جهة، والإلحاح على ضرورة الإبقاء على مكانة اللغة الفرنسية في المنظومة التربوية من جهة أخرى، وذلك عملا لتحقيق مشروع إصدار قانون التعدد اللغوي أو ازدواج الهوية وهو ما حسمه المفاوض الجزائري في 1962م، لصالح السيادة الكاملة والوحدة الوطنية للشعب الجزائري تكريسا

---

[1]-وذلك في كثير من كتبه منها فرسا والأطروحة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، عند الحديث عن علاقة الحركة البربرية بالفرنكفونية وعلاقتها باللائكية وردود الفعل الوطنية إزاءها، انظر، ص ص262، 311، 333، 338.
وكتابه، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص ص145-176، حول المغالطات الحزبية حول اللغة والهوية.

لمعنى انتصار الشعب الجزائري على الجيش الفرنسي في الحرب، «على أساس أن اللغة هي أساس الهوية والجنسية معا». ولذلك اعتبر "بن نعمان" أنه لو حدث فسيكون انتقاما لفرنسا من بيان أول نوفمبر عبر أكبر كسب استراتيجي للغة الفرنسية في الجزائر منذ 1830م[1]. وأهم أحزاب هذا الاتجاه على التوالي هي:

-حزب جبهة القوى الاشتراكية بقيادة حسين آيت أحمد.

-حزب الطليعة الاشتراكية بقيادة محمد الهاشمي الشريف[2].

-حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية برئاسة السعيد سعيد.

بالإضافة إلى بعض الأحزاب التي لا تحضى بثقل يذكر عل خريطة الأحزاب السياسية في الجزائر وبعض التنظيمات التي تمارس دورا محدودا في عملية صنع القرار السياسي على الرغم من عدم وضوحها[3]، وفيما عدا جبهة القوى الاشتراكية التي جاءت في المرتبة الثانية بعد جبهة الانقاذ الإسلامية، فإن الأحزاب الأخرى في هذا الاتجاه تثبت فشلها الذريع عبر صندوق الاقتراع، مما يدل على رفض المجتمع الجزائري لها عبر العملية الديمقراطية، إلا أن صوتها عبر صحافتها وعبر وسائل الإعلام المتنوعة ثم المكانة التي تتبوؤها على الرغم من ذلك في بعض مراكز صنع القرار السياسي والثقافي والاقتصادي يطرح أكثر من سؤال حول حقيقة وجدوى الديمقراطية الجاري تطبيقها.

وفيما يبقى مشروع تعميم اللغة العربية حبيس نصوص وقرارات في الجريدة الرسمية للدولة الجزائرية حتى سماها البعض بمقبرة النصوص، يمر قرار تدريس "اللهجة الأمازيغية" إلى الميدان لأول مرة في الجزائر المستقلة بدأ من 14 أكتوبر 1995م، في عهد اليمين زروال.

---

[1]-أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، المرجع السابق، ص147.

[2]-أصبح يسمى "بالتحدي" فيما بعد وهو حزب شيوعي بدأ كحركة سرية في الستينيات وشارك في الانتخابات المحلية في 1990م، ولم يحصل على أصوات وقاطع الانتخابات التشريعية في 1991م كما قاطع مذكرة الحوار الوطني التي اقترحها الرئيس اليامين زورال في 11 مايو 1996م، باعتبارها تفتح الباب للإسلاميين للتكيف مع الوضع الجديد، ولم يشارك في تشريعيات 1997م أيضا، وتعد تصريحات محمد الهاشمي الشريف رئيسه من أعنف ما عرفته الصحافة الوطنية ضد التيار الإسلامي. انظر مثلا: حواره مع جريدة العالم السياسي بتاريخ 20 جويلية 1996م، وكذا في: محمد مصدق يوسفي، المرجع السابق، ص ص181-192.

[3]-حاتم راشد، الأزمة الجزائرية إلى أين؟ عمان، مركز الأردن الجديد للدراسات، جانفي 1999م، ص30.

2-تيار وطني عربي إسلامي والموصوف أيضا بالاتجاه الإسلامي: وهو التيار الذي يتبنى الخطاب الإسلامي وتجمع أحزابه مع اختلاف في المناهج والوسائل تشددا واعتدالا مايلي:

-سعيها لرد الاعتبار للدين الإسلامي في إدارة المجتمع وسياسة البلاد.

-دعوتها إلى إقامة دولة إسلامية يكون مصدر التشريع فيها هو القرآن الكريم.

-ضبط الحريات الأساسية بمقومات الأمة.

-استلهام تشريعات الأسرة والمنظومة التربوية وقوانينها من الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

-القبول بمنطق التعايش في إطار التعددية والشورى، وإن رفضت الديمقراطية بمفهومها الغربي الذي لا ضبط فيها للحريات الخاصة والجماعية في علاقات أفراد المجتمع ببعضهم أو علاقتهم بالشعوب والدول غير الإسلامية، والتي تضبط وفق مصالح الأمة في المنظور الإسلامي، وهو ما بنى عليه المراقبون الغربيون شكهم ليس في إيمان جبهة الإنقاذ بالديمقراطية فقط[1]، وإنما في التيار الإسلامي ككل في الجزائر، مما سماه باللهجة المزدوجة عن الإيمان بالديمقراطية وحقوق الإنسان.

وأهم الأحزاب الإسلامية هي:

1-الجبهة الإسلامية للإنقاذ وهي نواة التنظيمات الإسلامية وقد نشأت في 1989م. وضمت بدورها ثلاث تيارات: أ-التيار المتشدد بقيادة علي بلحاج.

ب-التيار الإصلاحي بقيادة عباسي مدني.

جـ-تيار الجزأرة بزعامة محمد سعيد وعبد القادر حشاني.

وإذا كان الصوت المتشدد في الجبهة قد ساد في البداية حاجبا بقية التيارات إلا أن هذا الوضع لم يستمر فيما بعد 1991م أين انحسر هذا الاتجاه لصالح تيار الجزأرة الذي يتقارب مع التيار الإصلاحي والذي عرف عنه الاعتدال والتدرج.

2-حركة المجتمع الإسلامي "حماس" الذي تغير إلى "حركة مجتمع السلم" بقيادة "محفوظ نحناح" التي نشأت في 1991م، وتمثل "حماس" الاتجاه الإسلامي الإخواني في الجزائر والذي يدعو إلى العمل الإصلاحي الإسلامي وفتح الحوار وتجنب الصدام مع السلطة، وقد فاز "محفوظ نحناح" بالمرتبة الثانية بعد الرئيس زروال في انتخابات الرئاسة بنسبة 25,58% سنة 1995م.

---

[1]-محمد بشر صفار، المرجع السابق، ص147.

3-حركة النهضة الإسلامية تحت رئاسة "عبد الله جاب الله" التي تنتمي إلى التيار الإسلامي المعتدل[1]، إلا أن بعضهم يعدها من أقرب الأحزاب الإسلامية فكريا إلى جبهة الإنقاذ الإسلامية[2]، بينما يجعلها فريق ثالث في منتصف الطريق بين جبهة الإنقاذ وحركة المجتمع الإسلامي[3].

ويضاف إلى هذه الأحزاب الكبرى ضمن الاتجاه الإسلامي الأحزاب التالية:

4-الحركة من أجل الديمقراطية في الجزائر بقيادة "أحمد بن بيلا" الرئيس السابق في الجزائر والتي تأسست في 1984م ثم ظهرت كحزب شرعي اعتبارا من أول مارس 1990م وتستمد الحركة برنامجها من الشريعة الإسلامية والهوية العربية الإسلامية وترفض الاشتراكية والرأسمالية معا لصالح مفهوم يقوم على أساس النظرة الاقتصادية الإسلامية.

5-التجديد الجزائري بقيادة "نور الدين بوكروح" وهو حزب ليبرالي الاتجاه، لكنه يرفض رأسمالية الدولة والسياسات التدخلية، وله نزعة إسلامية معتدلة، ويستند في طروحاته إلى المفكر الجزائري "مالك بن نبي" الذي يعد بوكروح أحد تلاميذه، وقد تحصّل الحزب على المرتبة الرابعة في الانتخابات الرئاسية سنة 1995م بنسبة 3,8%.

6-الحركة الجزائرية من أجل العدالة والتنمية وهي حزب ذو اتجاه إسلامي تقدمي، تأسس عام 1990م برئاسة قاصدي مرباح[4] الذي كان أحد أشد المدافعين عن القطاع العام، وقد خلفه ابنه لرئاسة الحزب عبد القادر مرباح منذ اغتياله في أوت 1993م، وفي رئاسته للوزارة وقف قاصدي مرباح وراء صدور قانون بتعريب المعاملات في كافة أنحاء الدولة، ولكنه جمّد في حكومة غزالي[5].

---

[1]-هدى مينكيس، المرجع السابق، ص36.

[2]-سامح راشد، المرجع السابق، ص24.

[3]-إبراهيم البيومي، المرجع السابق، ص49.

[4]-تولى رئاسة الوزراء في أعقاب اضطرابات 1988م، وكان قد تدرج في مناصب جيش التحرير الوطني، فهو عضو الوفد الجزائري في مفاوضات 1962م، ثم مدير الاستخبارات بوزارة الدفاع الوطني، وهو عضو بمجلس قيادة الثورة بعد 19 جوان 1965م، كما شغل مناصب وزارية عديدة كوزارة الصناعة والزراعة والصيد البحري والصحة. انظر: محمد بشير صفار، المرجع السابق، ص144.

[5]-المرجع نفسه، ص145-146.

7-ويضاف إلى هذه ستة أحزاب صغيرة جدا تحمل أسماء إسلامية مثل: التجمع العربي الإسلامي، ومنظمة قوى الجزائر الثورية الإسلامية الحرة، والحركة من أجل التجمع الإسلامي، والتجمع الجزائري البومدييني الإسلامي، وحزب الجزائر المسلمة المعاصرة، وجبهة الخلاص الوطني.

المطلب الرابع: الانتخابات التعددية الجزائرية، وقوة الصوت الإسلامي

1-الانتخابات المحلية (المجالس الشعبية البلدية والولائية) في جوان 1990م

لقد سمحت الانتخابات المحلية التي جرت في جوان 1990م، والتي تعد أولى الانتخابات التعددية في الجزائر المستقلة، تفسير جانب من الأهداف التي كانت محل المساءلة فيما يتعلق بعدد الأحزاب الكبير التي تم اعتمادها بين المحللين للساحة الجزائرية؛ فحتى مارس 1990م، تم اعتماد ثلاث وعشرين حزبا سياسيا، لكن لم يشارك منها في الانتخابات سوى أحد عشر حزبا منها فقط، بالإضافة إلى قائمة المستقلين، ومن هذه الأحزاب الجبهة الإسلامية للإنقاذ. التي خاضت العملية ممثلة للحركة الإسلامية كلها في الجزائر، وذلك لعدم حصول كل من حزب النهضة الإسلامية وحركة المجتمع الإسلامي حتى ذلك الوقت على الرخصة القانونية التي تعترف بهما كأحزاب سياسية[1]. وهو ما أدى إلى الفوز الكبير الذي حازته الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد أن تمت تعبئة كافة الإسلاميين للتصويت لصالح مرشحي جبهة الإنقاذ والتي تصدرت بنتائجها قائمة الأحزاب التي نالت أكبر عدد من المقاعد البلدية والولائية المتنافس عليها.

وقد جرت المنافسة على 1541 مقعدا في المجالس الشعبية البلدية، وعلى 288 مقعدا في المجالس الولائية على مستوى القطر الجزائري، وفازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ على مجموع 830 بلدية وعلى 32 ولاية بما يمثل حوالي 55% من جملة الأصوات المنتخبة فيها[2].

وكانت هذه النتائج مفاجئة لكل الأطراف، داخل الجزائر وخارجها، واعتبر كثير من المحللين أنها لم تكن متوقعة من أكثر من ناحية. فقد فازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ حتى على جبهة

---

[1]-تم اعتماد حزب النهضة الإسلامية في ديسمبر 1990م، في حين تم اعتماد حركة المجتمع الإسلامي بعد ذلك في أفريل 1991م. انظر: الدليل الاقتصادي والاجتماعي، المصدر السابق، ص ص110-112.

[2]-محمد بشير صفر، المرجع السابق، ص144. والرقم الدقيق والرسمي هو 54,25% بالنسبة للجبهة الإسلامية للإنقاذ. و 28,13% بالنسبة لجبهة التحرير الوطني.

التحرير الوطني -الحزب الحاكم في الجزائر منذ ثلاثين سنة- والتي لم تحصل إلا على 487 بلدية ،14 ولاية فحسب، وهو ما يمثل حوالي 28,13% من جملة الأصوات المنتخبة من جهة، ثم إن جبهة الإنقاذ قد فازت بالبلديات في أكبر الولايات الجزائرية كقسنطينة ووهران وحتى في الجزائر عاصمة البلاد، وفيما يلي جدول يبين عدد وأسماء الأحزاب المتنافسة، وعدد المقاعد البلدية والولائية المتنافسة عليها...

	أسماء الأحزاب المشاركة في الانتخابات المحلية عام 1990	عدد الولايات المترشحة بها	عدد مقاعد البلدية التي يتنافس عليها	عدد مقاعد الولايات التي يتنافس عليها
1	جبهة التحرير الوطني FLN	48	1520	269
2	الحزب الاجتماعي الديمقراطي PSD	39	217	105
3	حزب الطليعة الاشتراكية (التحدي) PAGS	19	56	33
4	التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية RCD	24	212	68
5	الحزب الوطني للتضامن والتنمية PNSD	38	378	119
6	الجبهة الإسلامية للإنقاذ FIS	48	1265	248
7	حزب التجديد الجزائري PRA	40	155	88
8	الحزب الاجتماعي الليبرالي PSL	3	5	5
9	حزب الإنسان رأس المال PAHC	2	1	1
10	الحزب العربي الإسلامي الديمقراطي PUAID	1	2	1
11	الجمعية الشعبية للوحدة والعمل APUA	1	2	1
12	المستقلون	48	1365	266

الجدول رقم (6): أسماء الأحزاب المشاركة في الانتخابات المحلية سنة 1990، وعدد المقاعد الولائية والبلدية المتنافس عليها[1]

وإذا كان اتفاق الجميع قائما حول عدم توقع هذه النتائج، فإنه كان قائما أيضا على أن هذه النتائج رسالة قوية تستدعي قراءتها من كل الأطراف إن على الساحة الداخلية أو على

[1]-انظر: إبراهيم اليومي، المرجع السابق، ص45.

الساحة الخارجية المهتمة بالشأن الجزائري، ومن ثم تأتي أهمية قراءة الإجراءات والتعديلات التي مست قانون الانتخابات التي باشرتها السلطة الجزائري[1]، وحالة الانتباه إلى الصوت الإسلامي من الجهات الخارجية وخاصة دولة فرنسا والتي تأتي في سياقها الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في تناولها للخطاب الإسلامي وموقفها السلبي منه.

وقد ساد جو من التشكيك في صدقية جبهة الإنقاذ فيما يتعلق بمسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان عبر حملات صحفية أجنبية ومحلية مكتوبة بالفرنسية، خاصة تتهم الجبهة بنيتها في تكوين حكومة إسلامية وإقامة نظام ديني ثيوقراطي متسلط[2]، واستمرت الحملة وصاحبها جو من الاضطراب والعنف غير المسبوق في الجزائر دفع إلى إعلان حالة الطوارئ، وهو ما كان يعني حينها تأجيل إجراء الانتخابات البرلمانية التي كان مقررا إجراؤها في جوان 1991م، وتم خلال هذه الفترة اعتقال زعيمي الجبهة الإسلامية للإنقاذ عباس مدني وعلي بلحاج، لكن هذا لم يمنع من اشتراكها في التشريعات التي جرت هذه المرة في 26 ديسمبر 1991م، وذلك بعد رفع حالة الطوارئ.

2-الانتخابات البرلمانية 26 ديسمبر 1991م

شارك في هذه الانتخابات 49 حزبا من بين 58 حزبا رسميا للتنافس على 430 مقعدا برلمانيا، وترشحت لخوضها 4691 شخصية من بينهم 57 امرأة، وكانت نسبة الشباب الكبيرة فيها مع أنها بلغت أقصى ارتفاعها مع الأحزاب الإسلامية التي وصلت 85%، فقد ردها البعض إلى ترجمتها لحالة المجتمع الجزائري التي تغلب عليه نسبة الشباب فيم تركز بعض القراءات على دلالة الرغبة في التعبير عن طريق الشباب بإعطائهم الفرصة في عملية الإصلاح في المرحلة المقبلة

---

[1]-ومنها حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ قانونيا، وتغيير أسماء الأحزاب، وتعديل شروط وقانون الانتخاب.

[2]-قادت الجرائد والمجلات الفرنسية حملة مركزة من التهويل ضد الجبهة الإسلامية للإنقاذ وضد شخص قادها عباس مدني وعلي بلحاج، مستمرة كثيرة من القضايا كالتخويف من تطبيق الشريعة الإسلامية وإنشاء حكومة إسلامية وخطر ذلك لكونه يهدد مستقبل الجزائر التي ستتقهقر نحو الظلامية من جهة، ومستقبل المرأة الجزائر لأنها أول ضحاياها كما تقول. ينظر في ذلك وغيره:

-Jacques Girardon, L'avenir voilé, l'express, international, N°2033, 29 Juin, 1990, PP10-13.
-Xavier Raufer, Les menaces d'un islamiste, Ibid, P14.
-Mireille Dutail, Pierre Beylan, L'Algérie l'homme qui fait peur à la France.
-Le point, N°926, 18 Juin 1990, PP28-33.

ويتجاوز فريق ثالث مجرد إرادة التغيير التأكيد على إخفاق المؤسسة الرسمية في التنشئة الإيديولوجية لهؤلاء، فالأغلبية الساحقة منهم قد تخرجت من المؤسسة التعليمية الحديثة، ومشاركتهم المكثفة عبر القوائم الإسلامية[1] له دلالته الكبرى في رفضهم لها، وتمسكهم بالطروحات الإسلامية في أبعادها الحضارية[2].

وقد جرت الانتخابات في دورها الأول وسط مناخ من الهدوء والانضباط، والإقبال الملحوظ من جميع فئات المجتمع الجزائري على عكس ما كانت تتوقعه بعض الدوائر الإعلامية والسياسية، وخاصة الغربية منها، فقد بلغت نسبة المشاركة في التصويت 58,55% من إجمالي عدد المسجلين بالجداول الانتخابية وهو ما يعادل 7,6 مليونا من أصل 13,3 مليونا[3] مما يعني نجاحها وإقرار نتائجها.

والجدول التالي يوضح قائمة أهم الأحزاب الفائزة وعدد الأصوات التي تحصل عليها كل حزب وعدد المقاعد التي فاز بها في البرلمان[4]:

---

[1]-وتشير بعض الأرقام إلى أن نسبة المترشحين من ذوي التعليم العالي الجامعي وما بعد التخرج مرتفعة، حيث بلغت 3485 أي بنسبة 61% من إجمالي المترشحين، وبلغ عدد المترشحين من ذوي المؤهلات الثانوية 1947 مترشحا، أي بنسبة 34% من العدد الإجمالي للمترشحين في حين بلغ عدد هؤلاء من ذوي المستوى الابتدائي 280 مترشحا أي بنسبة 5% فقط من إجمالي عدد المترشحين على مستوى القطر الجزائري. انظر: إبراهيم بيومي، المرجع السابق، ص59.

[2]-انظر: إبراهيم البيومي، المرجع السابق، ص60.

[3]-نقلا عن جريدة "الشعب" في عددها الصادر بتاريخ 28 ديسمبر 1991م.

[4]-انتهت الجولة الأولى من الانتخابات مساء يوم الخميس 26 ديسمبر 1991م، وأعلنت النتائج الرسمية مساء يوم الأحد 29 ديسمبر 1991م.

اسم الحزب	عدد الأصوات التي حصل عليها	عدد المقاعد البرلمانية التي فاز بها	نسبة المقاعد مقارنة بإجمالي مقاعد البرلمان %
الجبهة الإسلامية للإنقاذ	3.260.222	188	43,93
جبهة القوى الاشتراكية	510.661	25	5,84
جبهة التحرير الوطني	1.612.948	15	3,50
التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية	200.267	/	/
التجمع العربي الإسلامي	10824	/	/
الحركة من أجل الديمقراطية	135.882	/	/
حركة النهضة الإسلامية	150.093	/	/
حركة المجتمع الإسلامي	368.697	/	/

الجدول رقم7: أهم نتائج الانتخابات البرلمانية في 26 ديسمبر 1991م[1]

وتبين هذه النتائج عدة حقائق تفسر معطيات الساحة الجزائرية حضاريا وسياسيا منها:

1-تقدم الجبهة الإسلامية للإنقاذ على التوالي على جبهة القوى الاشتراكية وجبهة التحرير الوطني بفوزها بـــ188 مقعدا في المجلس الشعبي الوطني بعدما حصلت لوحدها على 3.260.222 صوتا انتخابيا وهو ما يقترب من نصف عدد المشاركين في عملية التصويت الذي يبلغ 7,6 مليونا من جهة، وفوز الإنقاذ بـــ44% من إجمالي المقاعد البرلمانية التي تبلغ 430 مقعدا مما يعني أن بقية الأحزاب تقتسم 56% من المقاعد فيما بينها بما فيها التشكيلات الإسلامية الأخرى كحزب النهضة الإسلامية وحركة المجتمع الإسلامي (حماس) نفسها[2] بالإضافة إلى الأحزاب المحسوبة على التيار الإسلامي المعتدل، والذي يرتفع إن بعدد الأصوات أو بعدد المقاعد المتحصل عليها، بالتالي ما يسجل دلالة حضارية قوية لاتجاه الشعب الجزائري في اختياراته الديمقراطية الحرة وعبر شفافية صناديق الاقتراع.

2-وتشير النتائج الانتخابية عبر الولايات والدوائر إلى توازن توزيع الأصوات التي فازت

---

[1]-انظر النتائج في جريدة الشعب الصادرة بتاريخ 28 ديسمبر 1991م.

[2]-بعـــد إقرار قانون الأحزاب السياسية، غيرت حركة النهضة الإسلامية اسمها إلى "حركة النهضة"، فما غيرت حركة المجتمع الإسلامي اسمها إلى "حركة مجتمع السلم" حتى يسمح لها المشاركة في الانتخابات التالية.

بها أحزاب التيار الإسلامي وعلى رأسها الجبهة الإسلامية لإنقاذ، وذلك عبر كل القطر الجزائري، وهو ما لا نجده مع جبهة القوى الاشتراكية مثلا، والتي تركز فوزها في بعض المناطق دون المناطق الأخرى، وهو ما يعني أن جبهة الإنقاذ قد أجتذبت أصواتها من مختلف الفئات الاجتماعية في الجزائر، وبالإضافة إلى نتائج حزب "حماس" الذي جاء في المرتبة الرابعة من حيث عدد الأصوات التي فاز بها والمقدرة بـ368.697، والتي تقترب من حالة "الإنقاذ" في توازن نتائجها عبر مختلف الولايات، تؤكد أن أنصار الاتجاه الإسلامي لا يؤسسون حركتهم على أسس جهوية أو قبلية، وإنما يسعون للانتشار في مختلف فئات الشعب الجزائري مما سيساعد على استمرار قوة الحركة الإسلامية بصفة عامة في الجزائر.

3-وفي المقابل تسجّل الأحزاب التي تصف نفسها "بالديموقراطية" في الجزائر فشلا على مستوى عدد الأصوات التي صوتت لها وعلى مستوى عدد المقاعد التي فازت بها في المجلس الشعبي البلدي، وقد بادرت هذه الأحزاب إلى رفض نتائج هذه الانتخابات ودعت إلى إلغائها بمختلف الوسائل.

ففوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالأغلبية من مقاعد البرلمان في الجولة الأولى من الانتخابات كان يعني أن فوزها في الجولة الثانية الذي لم يكن يشكك فيه أي طرف، والذي كان مقررا إجراءها في 16 جانفي 1992م سيخوّل للجبهة الحق في تكوين الحكومة الجزائرية المقبلة، وهو ما كان موضع رفض مطلق لها عبر التصريحات والمواقف داخل الجزائر وخارجها، ودعت هذه إلى إلغاء نتائج الجولة الأولى وعدم إجراء الجولة الثانية منها عبر الصحافة، والبيانات والتصريحات كما فعل "التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" وكذا "حزب الطليعة الاشتراكية" وعبر المسيرات كما فعلت "جبهة القوى الاشتراكية" التي قاد أصحابها مسيرة الدفاع عن الديمقراطية في 6 جانفي 1992م، كما شكلت النقابات العمالية ما أسمته "باللجنة الوطنية لإنقاذ الديمقراطية" وذلك للحيلولة دون وصول الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الحكم وذلك في 16 جانفي 1992م.

وقد جاء الرفض لنتائج هذه الانتخابات أيضا من خارج الجزائر، سواء من معظم الدول الإسلامية والعربية أو من الدول الغربية عموما، واتسمت مواقف هذه وتلك بالعداء الصريح لهذا الفوز، ودعت إلى مواجهته بمختلف الوسائل، ووصفت "إسرائيل" فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ "بالمجزرة النووية" وجاء في جريدة "يدعوت أحرنوت" الإسرائيلية في مقالها الافتتاحي بذات

العنوان «إن انتصار الجبهة الإسلامية مثير للقلق الشديد، لأن السلاح النووي الذي تعمل الجزائر على تطويره قد يقع في يد ألدّ أعدائنا الذين يرون في تدمير إسرائيل مثلهم الأعلى»[1].

وقبل إجراء الجولة الثانية للتشريعيات المقررة في 16 جانفي 1992م، عرفت الجزائر سلسلة من الإجراءات والأحداث المتسارعة تأكد فيما بعد الغرض منها، بدأت بحل المجلس الشعبي الوطني في 4 جانفي 1992م، تلاها تقديم الرئيس "الشاذلي بن جديد" استقالته لتدخل الجزائر مرحلة من الفراغ الدستوري الذي كان يتعذر معه إجراء الجولة الثانية من الانتخابات التشريعية، ويتولى المجلس الأعلى للأمن إعلان إلغائها[2]، فيم يتولى إدارة البلاد في هذه الفترة "المجلس الأعلى للدولة" برئاسة "محمد بوضياف" وعضوية كل من "خالد نزار" و"علي كافي" و"التيجاني هدام" و"علي هارون"،وذلك لاستكمال المدة القانونية للعهدة الرئاسية التي كانت ستنتهي في 1993م.

وبعد اغتيال الرئيس بوضياف بعد 166 يوما فقط في الحكم، تمر الجزائر إلى مرحلة انتقالية اختار لها المجلس الأعلى للدولة الجنرال "اليامين زروال" رئيسا للجزائر في 30 جانفي 1993، والتي ستستمر لمدة ثلاثة سنوات.

وقد اختار الرئيس زروال بالإضافة إلى الحل الأمني لحل الأزمة الجزائرية حينها طريق الحل السلمي ومد جسور الحوار مع مختلف التشكيلات الحزبية السياسية من جهة[3]، ومباشرة بناء شرعية بديلة من جديد في الجزائر من جهة أخرى، والتي ستكون الانتخابات الرئاسية التي حدد لها يوم 16 نوفمبر 1995م أول خطوة في إرسائها.

3-الانتخابات الرئاسية في 16 نوفمبر 1995م

وقد وصل إلى المرحلة النهائية للترشيحات بالإضافة إلى الرئيس "اليامين زروال" ممثلان عن التيار الإسلامي الموصوف بالمعتدل هما رئيس "حركة مجتمع السلم" "محفوظ نحناح" ورئيس "حزب التجديد الجزائري" "نور الدين بوركوح"، وممثل عن التيار العلماني في الجزائر هو رئيس

---

[1]-انظر: إبراهيم البيومي، المرجع السابق، ص71.

[2]-انظـر: حيثيات ذلك في: Khaled Nezzar, Les mémoires du général Khaled Nezzar, Algerie, Chihab, édition, 1999, pp233-235.

[3]-استمرت هذه الحوارات بين السلطة والأحزاب السياسية عبر جولات عديدة، أسفرت في النهاية عما سمي "بأرضية الوفاق الوطني" التي صادقت عليها ندوة الوفاق الوطني بتاريخ 15 سبتمبر 1996م، ونشرت بالجريدة الرسمية في ع54، س33 بتاريخ 19 سبتمبر 1996م.

"التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" "سعيد سعدي"، وأقر المجلس الدستوري ذلك وتداول تحديد قائمة المرشحين لرئيس الجمهورية في 14 أكتوبر 1995م[1].

وجرى الدور الأول من الانتخابات في موعده المحدد وفي أجواء من الهدوء فاجأت المراقبين للساحة الجزائرية وخاصة الأطراف الخارجية منهم، وذلك بعد حملة انتخابية بدأت منذ 22 أكتوبر 1995م، واستمرت لأكثر من 15 يوما، وبمشاركة شعبية واسعة للمواطنين بلغت أكثر من 12 مليون من بين حوالي 16 مليونا من المسجلين في القوائم الانتخابية، وفاز الرئيس "اليامين زروال" بالأغلبية المطلقة فيها بنسبة 61% من الأصوات المعبّر عنها، وأعلن بناء على ذلك رئيسا للدولة الجزائرية بعد إقرار المجلس الدستوري للنتائج التي كانت كمايلي:

-بوكروح بور الدين	443.144
-زروال اليامين	7.088.681
-سعدي سعيد	1.115.796
-نحناح محفوظ	2.971.974 [2]

وتذهب التحليلات لهذه النتائج إلى رد أسباب نجاح الرئاسيات من جهة وفوز الرئيس اليامين زروال فيها إلى:

أ-رغبة الشعب الجزائري في الخروج من الوضع اليأساوي الذي كانت تعيشه الجزائر منذ1992م.

ب-نسبة المشاركة الكبيرة للجالية الجزائرية في الخارج وخاصة في فرنسا والتي اختارت في معظمها الرئيس اليامين زروال باعتباره مرشح الجيش.

جـ-احترام الشعب الجزائري لشخصية الرئيس اليامين زروال باعتباره رجل مبادئ[3].

وقد فاز "محفوظ نحناح" بالمرتبة الثانية من حيث عدد الأصوات الانتخابية التي صوتت لصالحه، وفي غياب الجبهة الإسلامية للإنقاذ فقد عده البعض أكثر المستفيدين من هذه الانتخابات باعتبار توجه جزء كبير من المساندين والمتعاطفين مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى اختياره.

---

[1]-الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع60، ص32، بتاريخ الأحد 20 جمادى الأول، 1416هـ الموافق لـ5 أكتوبر 1995م، ص ص14-15.

[2]-المصدر نفسه، ع72، ص32، بتاريخ الأحد 3 رجب 1416هـ الموافق لـ26نوفمبر 1995م، ص ص3-4

[3]-أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص26-27.

وإذا كانت قراءة نتائج هذه الانتخابات تفسرها حرص الجزائريين على الاستقرار عبر اختيار من يرون أن أكثر من يمثله هو الرئيس "اليامين زروال" مرشح الجيش فإن عدد الأصوات التي حصل عليها التيار الإسلامي يفسر بعدم صلاحية نموذج التغيير الفوقي في الجزائر في هذا الوقت، وهو ما ثبت أيضا في عديد الدول الإسلامية ومن ثم عودة تبني نموذج التغيير من القاعدة بطريقة تبتعد عن المواجهة والصدام مع السلطة في الأنظمة العربية.

وقد أكدت هذه النتائج عموما فرضية هامة لا بد أن تؤخذ في الحسبان كحقيقة جزائرية هي وجود تيار إسلامي قوي في الجزائر يتعاطف مع الأحزاب الإسلامية ويدلي بصوته لأكثر المشاريع الإسلامية التي تتقدم في منافسة انتخابية.

4-الانتخابات البرلمانية في 5 جوان 1997م

تأتي أهمية هذه الانتخابات في أنها تجرى بعد خمس سنوات على إلغاء أول انتخابات ديمقراطية تعددية في الجزائر في دورها الأول، وذلك في جانفي 1992م من جهة، وبعد فوز الرئيس "اليامين زروال" في الرئاسيات التعددية الأولى في الجزائر والتي أصبح بمقتضاها أول رئيس منتخب شرعيا في الجزائر التعددية.

ويمكن قراءة أهمية هذه الانتخابات من ناحية أنها سبقت بإقرار التعديلات الدستورية في نوفمبر 1996، والتي عززت من سلطات رئيس الدولة التشريعية وصلاحياته التنفيذية خاصة بعد إنشاء حزب "التجمع الوطني الديمقراطي" تحت رئاسة "محمد بن الصالح" رئيس المجلس الشعبي الوطني حينها، وانضمام مختلف المنظمات الوطنية الجماهيرية إليه والتي كانت لجبهة التحرير من قبل، وقد تم في غضون ذلك إقرار القانون العضوي المتعلق بنظام الانتخابات من جهة والقانون العضوي المتعلق بالأحزاب السياسية من جهة أخرى، أوامر تنفيذية وذلك في 6 مارس1997م[1].

وقد أعلن أربعون حزبا رغبتهم في المشاركة في هذه الانتخابات بتقديم قوائم مترشحيهم عبر كل الولايات الجزائرية الثمانية والأربعين بالنسبة لبعضهم[2] وفي عدد من الولايات فقط

---

[1]-انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع12، ص34 بتاريخ الخميس 27 شوال 1417هـ الموافق لـ06 مارس 1997م، ص ص3-28 و 30-35.

[2]-وهي خمسة أحزاب فقط: جبهة التحرير الوطني، حزب التجديد الجزائري، التجمع الوطني الديمقراطي، حركة مجتمع السلم، حركة النهضة. انظر: جداول تمثيل الأحزاب عبر القطر الجزائري في الجريدة الرسمية، ع40، ص34، بتاريخ الأربعاء 6 صفر -

بالنسبة للبعض الآخر، وذلك للتنافس على 380 مقعدا في المجلس الشعبي الوطني خصصت 8 مقاعد منها للجالية الجزائرية المقيمة بالخارج وللفوز بأصوات ما يقرب من 17 مليون صوت انتخابي مسجل.

وقد عملت الحكومة على إنشاء اللجنة الوطنية المستقلة لمراقبة الانتخابات التشريعية وحددت صلاحياتها وتنظيمها ووسائل سيرها[1] وتلاها إنشاء اللجان المحلية الفرعية عبر الولايات والبلديات الجزائرية، وذلك بهدف مراقبة سير عمليات التصويت التي تحدد نزاهتها وشفافيتها وتقرر نجاحها.

وبلغت نسبة المشاركة في هذه الانتخابات 65,60%، وهو ما يعادل أكثر من عشرة ملايين من الأصوات المعبّر عنها وفازت عشرة أحزاب سياسية، بالإضافة إلى قائمة الأحرار يتصدرها جميعا حزب التجمع الوطني الديمقراطي.

والجدول التالي يوضح أسماء الأحزاب المشاركة وعدد الأصوات التي فازت بها وعدد المقاعد التي تحصلت عليها، بالإضافة إلى نسبة ذلك عبر المستوى الوطني من جهة ونسبة التمثيل في المجلس الشعبي الوطني من جهة أخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-1418هـ، الموافق 11 جوان 1997م، ص ص23-25.

[1]-المصدر نفسه، ص37-40.

	الحزب السياسي أو القوائم الحرة	عدد الأصوات المحصل عليها	نسبة عدد الأصوات المعبر عنها المتحصل عليها مع عددها على المستوى الوطني%	عدد المقاعد المتحصل عليها	نسبة التمثيل في المجلس الوطني الشعبي %
1	التجمع الوطني الديمقراطي	3.533.434	33,66	155	40,79
2	حركة مجتمع السلم	1.553.154	14,80	69	18,16
3	جبهة التحرير الوطني	1.497.285	14,26	64	16,84
4	حركة النهضة	915.446	8,72	34	8,95
5	جبهة القوى الاشتراكية	527.848	5,03	19	5,00
6	التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية	442.271	4,21	19	5,00
7	الأحرار	459.233	4,38	11	2,89
8	حزب العمال	194.493	1,85	4	1,05
9	الحزب الجمهوري التقدمي	65.371	0,62	3	0,79
10	الاتحاد من أجل الديمقراطية والحريات	51.090	0,49	1	0,26
11	الحزب الاجتماعي الحر	36.374	0,35	1	0,26
	المجموع	9.275.999	88,37	380	100

الجدول رقم08: نتائج الانتخابات البرلمانية التي جرت في 5 جوان 1997م ونسبة التمثيل في المجلس الشعبي الوطني فيها[1]

وبغض النظر عن نزاهة العملية الانتخابية من عدمها، حسبما تناولته الصحافة الوطنية ووقائع كثرة الطعون المقدمة من المعارضة وتصريحات شخصياتها السياسية، فإن النتائج التي تحصل عليها الحزب الجديد "التجمع الوطني الديمقراطي" الذي أنشأه الرئيس من جهة والاتجاه الإسلامي المعتدل بحصوله على 103مقعدا في المجلس الوطني الشعبي بين كل من "حركة مجتمع السلم" و"حركة النهضة" تنحو إلى قبول السلطة للتعايش مع هذا الاتجاه، والأهم من ذلك هو نجاحها في إكساب هذه الانتخابات مصداقية من خلال مشاركة ثلاثة أطراف موقعة على عقد أو "وثيقة

[1]-انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع40، س34، المصدر السابق، ص22.

روما" وهي على التوالي "حركة النهضة" و"جبهة التحرير الوطني" و"جبهة القوى الاشتراكية".

ب-ولاستكمال تكوين البرلمان الجزائري الذي نصت عليه التعديلات الدستورية لسنة 1996م في إطار ترسيم المؤسسة التشريعية في الجزائر، وبعد إجراء انتخابات الغرفة الأولى للبرلمان "المجلس الشعبي الوطني" تم إجراء انتخاب أعضاء مجلس الأمة "المنتخبين" "الغرفة الثانية" وذلك في 25 ديسمبر 1997م، التي يتولى أعضاء المجالس المحلية البلدية والولائية المنتخبة انتخاب أعضائه "المنتخبين" نيابة عن الشعب وبطريقة غير مباشرة. وتم تخصيص مقعد واحد لكل 80 ألف نسمة وأربعة مقاعد على الأقل لكل ولاية يساوي أو يقل عدد سكانها عن 350 ألف نسمة.

وشارك في هذه الانتخابات 552 مترشحا يمثلون خمسة عشر حزبا سياسيا للتنافس على 96 مقعدا انتخابيا في مجلس الأمة وبلغت نسبة المشاركة 94,81% وبفوز مرشحين عن كل ولاية[1] كان نصيب "التجمع الوطني الديمقراطي" 80 مقعدا و"جبهة التحرير الوطني" 10 مقاعد و"جبهة القوى الاشتراكية" 4 مقاعد فيم لم تحصل "حركة مجتمع السلم" إلا على مقعدين فحسب.

وتم بعد ذلك تعيين بقية أعضاء مجلس الأمة "المعينين" وعددهم 48 عضوا أي 1/3 من عدد مقاعد المجلس مباشرة من طرف رئيس الدولة اليامين زروال والذي أعلن عنهم في 27 ديسمبر 1997م[2].

ومع اختلاف جهة انتقاد الأحزاب لطريقة الانتخاب النسبي باعتباره عملية تلغيم كما يراها البعض، وعدم صلاحيته للنظام الجزائري كما يرى البعض الآخر، وغيرها، فإن الاتفاق كان بين الجميع على أن العملية الانتخابية قد تحدد إطارها سلفا من قبل النظام، بحيث لا يسمح بإبراز قوة سياسية غالبة في البرلمان مما يستدعي عقد تحالفات وائتلافات، ومما يؤدي إلى عدم الاستقرار المؤسسي خاصة باعتبار آليات المصادقة على القوانين في مجلس الأمة وهو ما لا يساعد بناء على كل ذلك على التسيير السليم لشؤون الدولة.

جـ-الانتخابات المحلية أكتوبر 1997م:

تنتهي بهذه الانتخابات المرحلة الانتقالية التي استمرت في الجزائر من 92 حتى 1997م،

---

[1]-انظر: حيثيات هذه الانتخابات ونتائجها في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع86، س34، بتاريخ الأحد 28 شعبان 1418هـ الموافق لـ28 ديسمبر 1997م، ص ص12-18.

[2]-المصدر نفسه، ص11.

ولذلك فهي خطوة هامة بالاعتبارات المحلية الجزائرية للاتجاه نحو الشرعية المؤسساتية في إطار جولة الحوارات والمشاورات التي أجراها الرئيس "اليامين زروال" بين عدد من قادة الأحزاب السياسية ومع "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" للتوصل إلى صيغة تشارك فيها الجبهة في هذه الانتخابات والتي ستعلن مقاطعتها لها في أكتوبر 1997م بعد فشل تلك المفاوضات مع الحكومة.

ومن ثم تكتسب محليات 1997م أهميتها خاصة من كونها تؤشر إلى تغليب القناعة بخيار الحل السياسي للأزمة التي كانت تعيشها الجزائر بعد أن أثبت خيار الحل الأمني والعسكري وأنصار الاستئصال فشله فيما كانت تترجمه حالة استمرار العنف وعدد القتلى وانسداد الآفاق...

لكن قراءة نتائج الانتخابات التي تقدم فيها التيار الوطني على نظيره الإسلامي بفوز "التجمع الوطني الديمقراطي" بـ7241 مقعدا بلديا من مجموع 13 ألف مقعدا متبوعا بـ"جبهة التحرير الوطني" ثم بعد ذلك "حركة مجتمع السلم" فـ"حركة النهضة"[1]، تؤكد منطق الانتقادات التي وجهتها مختلف الأحزاب السياسية للقانون الجديد للانتخابات، والأحزاب السياسية الذي صادق عليه المجلس الوطني الانتقالي حينها في 18-19 فيفري 1997م، والذي وصف بالشكل الذي صودق عليه بأنه «جاء ليحفظ توازنات القوى الجديدة» التي تميز الساحة الجزائرية «مما لا يترك مجالا كبيرا للمفاجآت»[2]، كما حصل في أولى انتخابات تعددية في1990م في الجزائر، والتي فاجأت نتائجها الجميع بفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالأغلبية الساحقة.

ولم تكن هذه الانتخابات في الواقع –حسب المعارضة الجزائرية- سوى محاولة لاستعادة إجماع قديم من حيث مطابقة نتائجها للتوقعات التي رشحت التيار الوطني لتحقيق فوز عريض على أهم منافسيه وفي مقدمتهم التيار الإسلامي، ولذلك كانت محل انتقاد واسع باتهام السلطة بممارسة تزوير واسع النطاق من جميع الأطراف، ومن ثم التشكيك في حقيقة الديمقراطية الجزائرية خاصة من حيث تدوير السلطة بدلا من التداول عليها[3].

5-الانتخابات الرئاسية في 16 أفريل 1999م

بعد إعلان الرئيس "اليامين زروال" استقالته من منصبه قبل عامين من استكمال عهدته

---

[1]-انظر: نتائج هذه الانتخابات في الجريدة الرسمية، ع12، س 34، بتاريخ 6 مارس 1997م.

[2]-أميرة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص32.

[3]-محفوظ نحناح، الجزائر المنشودة، المعادلة المفقودة، الإسلام، الوطنية، الديمقراطية، دار البأ، الجزائر، ط1، 1999، ص157

الرئاسية، يعلن في الوقت نفسه عن إجراء انتخابات مبكرة تحدد موعدها في 16 أفريل 1999م.

وقد تقدم لهذه الانتخابات سبعة مترشحين يمثلون أهم التيارات السياسية في الجزائر وهم: عبد العزيز بوتفليقة، أحمد طالب الإبراهيمي، عبد الله جاب الله، مولود حمروش، مقداد سيفي، حسين آيت أحمد، يوسف الخطيب.

وقد غلب خطاب السلم والحوار والمصالحة على حديث المترشحين أثناء الحملة الانتخابية وتحدد الاختلاف بينهم على درجة الانفتاح ومدى إعادة الاعتبار للجبهة الإسلامية للإنقاذ المحلة قبل ذلك، فيم تضاءل خطاب الاستئصال للحركة الإسلامية في المقابل.

لكن الحملة الانتخابية لم تستكمل وذلك بانسحاب ستة مرشحين من المنافسة الانتخابية من إتمام العملية في موعدها، فيم بقي الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" وحده في المنافسة، حيث تحولت الانتخابات التعددية بذلك إلى مجرد استفتاء حول شخصية الرئيس.

ومن بين ما يقرب من 17,5 مليونا من الناخبين صوت 10,4 ملايين، مما يصل بنسبة المشاركة إلى 60,25%، وفاز الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالأغلبية المطلقة في هذه الانتخابات في دورها الأول.

وكانت النتائج المعلن عليها والتي أقرها المجلس الدستوري في 20 أفريل 1999[1] كمايلي:

1-أيت أحمد محند الحسين	321.179
2-عبد العزيز بوتفليقة	7.445.045
3-حمروش مولود	314.160
4-خطيب يوسف	121.414
5-سعد جاب الله عبد الله	400.080
6-سيفي مقداد	226.139
7-طالب إبراهيمي أحمد	1.265.594

وبغض النظر عن ظروف هذه الانتخابات، فإن الصوت الإسلامي الذي يمثله كل من

---

[1]-انظر: الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع29، س36، بتاريخ الأربعاء 5 محرم 1420هـ الموافق لـ21 أفريل 1999م، ص ص3-4.

"أحمد طالب الإبراهيمي" و"عبد الله جاب الله" يأتي في المرتبة الثانية بعدد الأصوات التي تحصل عليها، فيما تأتي بقية التيارات مجتمعة في المرتبة الثالثة مع قلتها الواضحة على مستوى كل شخصية تمثلها، وهو ما يؤكد قوة الخطاب الإسلامي في المجتمع الجزائري.

6-الانتخابات التشريعية 30 ماي 2002م

وتعد الانتخابات التشريعية التعددية الثانية في الجزائر المستقلة بعد تشريعيات 1997م، حيث شارك فيها ثلاث وعشرون حزبا سياسيا بالإضافة إلى قائمة المستقلين، وترشح لها 1074 شخصا منتظمين في 1004 قائمة انتخابية، 964 منها داخل القطر الوطني و40 قائمة عبر الممثليات الانتخابية الستة التي أعدتها الجزائر للجالية الجزائرية بالخارج، وتقسم إلى 829 قائمة حزبية و175 قائمة للمستقلين. وذلك للتنافس على 389 مقعدا في المجلس الوطني الشعبي وللفوز بأصوات حوالي 18 مليونا من المنتخبين الجزائريين.

ومنذ الإعلان عنها، بدأ الإعداد لهذه الانتخابات مع بداية السنة بحملة إعلامية رسمية واسعة ومتواصلة من جهة، وبعدة إجراءات سياسية وتنظيمية[1] من جهة أخرى لضمان إجرائها في موعدها المحدد ولانجاحها على كل المستويات، حيث عدّ نجاحها نجاح للجزائر نفسها.

وتأتي ضمانات رئيس الجمهورية على رأس تلك الإجراءات، حيث أكد في افتتاحه لمؤتمر الولاة[2] وبحضور وزراء الدولة وإطاراتها العليا على ضرورة تجاوز كل الخروقات والنقائص التي عرفتها الانتخابات السابقة، وركز على ضرورة تحلي اللجان التنفيذية -كما الجميع- بروح المسؤولية وحياد الإدارة، وعدم استغلال المساجد ومراكز التعليم للدعاية الحزبية، كما أكد على ضرورة إتمام العملية الانتخابية بكل نزاهة وعدالة وشفافية، حتى تتم الاستجابة المثلى لطموحات

---

(1)-تم التنصيب الرسمي للجنة الوطنية المكلفة بالإعداد وتنظيم الانتخابات التشريعية 30 ماي 2002 في 3 مارس 2002.
انظر: El Moudjahid, N°11369 Lundi, 4 Mars 2002, P3.

(2)-عقد يومي 2-3 ماي 2002 وافتتحه رئيس الجمهورية بخطاب ضمنه ما سمته جريدة "المجاهد" بتوجيهات الرئيس فيما يتعلق بالعملية الانتخابية، وهي كمايلي: 1-معالجة ملفات المترشحين حسب القانون. 2-تنظيم ساعات البث للحملة الانتخابية عبر وسائل الإعلام العمومية. 3-تخفيض عدد مكاتب الاقتراع. 4-حياد الإدارة العمومية. 5-وضع كل الوسائل لتسهيل مهمة ممثلي الأحزاب من مراقبة الانتخابات في كل مراحلها. 6-وضع الوسائل لتسهيل مهمة اللجنة الوطنية لمراقبة الانتخابات. 7-المراقبة القانونية لعملية الفرز. 8-تمكين ممثلي الأحزاب من وثيقة الفرز النهائي الرسمية. 9-المراقبة العملية لصناديق الاقتراع. انظر نص الخطاب في:
El Moudjahid, N°11420, Vendredi 3, Samedi 4 Mai 2002, PP10-11.

المواطنين بضمان حرية اختيارهم لممثليهم في برلمان الأمة.

وتم في سياق ذلك تنصيب اللجنة الوطنية السياسية لمراقبة الانتخابات التشريعية في 2 ماي 2002م[1] وكذا اللجان الولائية للغرض نفسه، كما تمت عملية سحب القرعة لظهور الأحزاب وممثليهم عبر وسائل الإعلام العمومية في 6-7 ماي 2002م، وتم تخصيص 72 ساعة بث رسمية للحملة الانتخابية عبر التلفزيون والإذاعة الجزائرية، وتجمع التصريحات الرسمية أن تشريعيات 30 ماي 2002م بالنسبة للجزائر هي موعد تاريخي، وفرصة للإقلاع الوطني في ظل الإصلاحات التي كانت تشهدها في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية التربوية، وقطاع العدالة، والتي تحتاج إلى مؤسسات تمثلها وذات مصداقية، ومن ثم تحدث الخطاب الرسمي عن كثير من الأهداف التي ستحققها هذه الانتخابات منها تقوية المسار الديمقراطي في الجزائر من أجل التحرر والديمقراطية من جهة، واستكمال البناء الديمقراطي فيها بالخروج النهائي من الأزمة وعودة الاستقرار من جهة أخرى. وستكون هذه الانتخابات حجرة إضافية في بناء الوحدة الوطنية وتكريس كل الجهود في خدمة المصالح العليا للأمة داخليا، ثم التحوّل النهائي إلى الديمقراطية بالدخول في الحداثة والتغيير والانفتاح على بقية العالم عبر انتظام الاقتصاد الجزائري في دواليب التجارة العالمية، واعتبر "علي بن فليس" رئيس الحكومة حينها أن نجاح تشريعيات 30 ماي 2002م -الذي يعني تحقيق هذه الأهداف- هو نجاح للجزائر، لأنها ستدعم جو الثقة -كما قال- بين المواطن في مؤسساته وفي دولته[2].

وإذا كانت أحزاب التيار الإسلامي قد انتظمت في الحياة السياسية بالاستجابة إلى شروط قانون الانتخابات الذي نصت عليه التعديلات الدستورية منذ 1996م بداية من تغيير عناوينها.. حيث أعلنت الاستعداد للمشاركة في الانتخابات وإنجاحها، وذلك عبر تصريحات ممثليها وإجراءات الاستعداد لاختيار المترشحين، وقوائم الترشيح عبر صفوف الأحزاب والإعداد للحملة الانتخابية، فإن أحزاب التيار العلماني قد قادت حملة سياسية وإعلامية واسعة لمقاطعة الانتخابات

---

[1]-وعين "السعيد بوالشعير" رئيسا للجنة الوطنية لمراقبة الانتخابات التشريعية، منسقا لجهاز المراقبة المكون من اللجان الولائية لمراقبة الانتخابات. وتم في نفس الإطار تعيين "محمد بجاوي" رئيسا للمجلس الدستوري الجزائري من طرف رئيس الجمهورية وذلك في 26 ماي 2002.

[2]-نقرأ تصريحات بهذه الأهداف وغيرها مثلا في:
-El Moudjahid, N°11369, Op.cit, P3-6.
- El Moudjahid, N°11420, Op.cit, PP7-8.

بمنع إجرائها أو إفشالها بمختلف الوسائل، فقد تزامن ذلك مع الإعلان عن إجراء هذه الانتخابات ومع بداية الإعداد لها رسميا، حيث قام ممثلو خمسة أحزاب منها: التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، وجبهة القوى الاشتراكية، وحزب الطليعة الاشتراكية في مقر الحزب الأول بمدينة وهران بتوقيع ما سموه "بيان الحركة الديمقراطية" لرفض الانتخابات التشريعية التي ستجري في 30 ماي 2002م وذلك في 23 فيفري 2002م[1].

ورغم منع السلطات الرسمية لهذه الأحزاب من التجمعات الشعبية، فقد عمدت هذه إلى المؤتمرات والندوات الصحفية المكثفة وإلى اللقاءات الجوارية مع الشخصيات السياسية والثقافية والروحية.

ومع ذلك فقد جرت الانتخابات في موعدها المحدد عبر كامل القطر الجزائري بعد حملة انتخابية وصفت بالساخنة،بدأت في 9 ماي وانتهت في 27 منه، ميزها عن غيرها المشاركة الملحوظة للمرأة الجزائرية على مستوى قوائم المترشحين وعلى رأسها في العديد منها، من جهة، وملاحظة العامل الثقافي والمستوى العلمي العالي للمترشحين خاصة في القوائم الحزبية الإسلامية التي شهدت وجود حاملي الشهادات الجامعية العليا.

وقد أعلنت النتائج الرسمية للانتخابات بعدما أقرها المجلس الدستوري، وذلك بعد 72 ساعة من إجرائها حسبما تنص عليه المادة 17 من قانون تنظيم الانتخاب، ومع ذلك فقد باشرت الصحافة الوطنية المكتوبة بالفرنسية نشر نتائج الانتخابات والتعليق عليها غداة إجرائها مباشرة[2]، وفيمايلي قائمة بأسماء الأحزاب الفائزة، وعدد الأصوات والمقاعد الانتخابية التي فازت بها.

---

[1]-Voir, Liberté, N°2903, Mercredi 24 Avril 2002, P2.

[2]-Voir Liberté, N°2934, Vendredi 31 Mai, Samedi 1 Mai 2002, PP2-13.

	الأحزاب الفائزة	عدد الأصوات الانتخابية التي فازت بها	عدد المقاعد البرلمانية التي حصلت عليها
1	جبهة التحرير الوطني	2.618.003	199
2	التجمع الوطني الديمقراطي	610.461	47
3	حركة الإصلاح الوطني	705.319	43
4	حركة مجتمع السلم	523.464	38
5	المستقلون	365.594	30
6	حزب العمال	246.770	21
7	الجبهة الوطنية الجزائرية	113.700	08
8	حزب النهضة	48.132	01
9	حزب التجديد الجزائري	19.813	01
10	حركة الوفاق الوطني	14.465	01

الجدول رقم09: قائمة الأحزاب الفائزة في الانتخابات التشريعية 30 ماي 2002م[1]

ومع أن رئيس المجلس الدستوري قد رفض التعليق على نتائج هذه الانتخابات لأنه ليس من صلاحياته تقديم قراءة لأرقامها خاصة فيما يتعلق بقلة المشاركة الشعبية التي وصفت بالقياسية وغير المسبوقة في تاريخ الانتخابات الجزائرية، فإن الصحافة الوطنية تناولت ذلك بالتحليل والتعليق عبر تصريحات رؤساء الأحزاب وبعض الجهات الرسمية فيما يتعلق بنسبة المشاركة أو بتوقات عديد الأحزاب والعناوين الصحفية عبر عمليات لسبر الآراء سبقت الانتخابات والتي جاءت نتائجها بعيدة عما كان ينتظره أصحابها أو مطابقة مما توقعه آخرون[2].

وجاءت النتائج النهائية للانتخابات كمايلي:

---

[1]-El Moudjahid, N°11447, Mardi 4 Juin 2002, P3.

[2]-فقد توقعت حركة مجتمع السلم الفوز بـ155 مقعدا في البرلمان وذلك عبر عملية سبر للآراء مثلت كل الولايات عبر الوطن في حال إذا تمت العملية بنزاهة وشفافية وفي حال العكس فقد قررت فوزها فيما بين 75 و 110 مقعدا. انظر جريدة:
-Liberté, N°2934, Op.Cit, P8.

-وقامت جريدة "الوطن" سبر آراء 1000 شخصية سياسية، توقعت كلها العودة القوية لحزب جبهة التحرير الوطني. انظر:
-Liberté, N°2934, Op.cit, P4.

17.151.127- مسجل

8.288.536- منتخب

867.669- ورقة ملغاة

7.420.867- ورقة معبر عنها

966.591- غياب

%46,17- نسبة الانتخاب

وقد ردت الصحافة المكتوبة بالفرنسية وخاصة جريدة "Liberté" قلة المشاركة الشعبية في الانتخابات التشريعية الثانية إلى نجاح حملة المقاطعة التي دعا إليها وقادها ما يسمى "بحركة المواطنة" في منطقة القبائل، والتي صاحبها فيها أحداث شغب ومظاهر عنف بلغت إلى حد إحراق مكاتب الاقتراع لمنع المواطنين في "تيزي وزو" و"بجاية" من أداء الواجب الانتخابي، لكن وزير الداخلية أكد مع ذلك أن الانتخابات قد جرت في 65% من المكاتب المعدة لهذه العملية في هاتين الولايتين.

أما في بقية الوطن فردت "Liberté" قلة المشاركة إلى:

1-انعدام الثقة بين المواطن وحكومته وممثليها والذي لم يعد لهم لديه أية مصداقية وكذا في كافة الطبقة السياسية.

2-إلى غياب الآفاق لدى المواطنين وثقل التكاليف المعيشية اليومية.

3-إلى رفض لسياسة رئيس الجمهورية.

وعموما فقد وصفت "Liberté" التشريعيات 30 ماي 2002م باللطمة للنظام والمسخرة الانتخابية، وكذا "بالهزيمة" وقدمت رقم 26% فقط كنسبة للمشاركة الفعلية في العملية الانتخابية[1]، فيم قدرت "جبهة القوى الاشتراكية" نسبة المشاركة الشعبية بين 15 و20% فقط، وأكدت أن حملة ما سمته "صفر انتخاب" قد نجحت في منطقة القبائل التي قدرت أرقام الانتخاب فيها بين 1,5% في ولاية تيزي وزو، و2% في ولاية بجاية[2].

أما قراءة نتائج انتخابات 30 ماي 2002م فإن الجميع متفق على أن الرابح الأكبر فيها هو

---

[1]-Liberté, N°2934, Op.cit, PP1-12.

[2]-Ibid, p3-4.

حزب "جبهة التحرير الوطني" وذلك بعد استعادة أصواته الانتخابية من ضمن صفوف "التجمع الوطني الديمقراطي" الذي فاز بـ47 مقعدا برلمانيا فقط، فيما يصف الكثير "حركة مجتمع السلم" بالمقابل بالخاسر الأكبر في هذه الانتخابات وذلك بسبب استعادة "جاب الله" رئيس "حركة الإصلاح الوطني" أيضا لقاعدته الانتخابية القديمة من حركة "النهضة" فقد جاءت "حركة الإصلاح" في المرتبة الثالثة بفوزها بـ43 مقعدا، فيما لم تفز "حمس" إلا بـ38 مقعدا فقط. أما "حركة النهضة" فلم تفز إلى بمقعد واحد تشترك به مع كل من حزب التجديد الجزائري، وحركة الوفاق الوطني الذي يعده الكثير من بين الأحزاب الصغيرة[1] والتي لا يعرفها الجزائريون.

وقد قدمت عدة أحزاب طعونا ضد ما قالت أنها عمليات تزوير واسعة وضد نتائج الانتخابات، سواء فيما يتعلق منها بنسبة المشاركة أو فيما يتعلق بحصص الأحزاب، مثل "حركة الإصلاح الوطني" التي انتقد رئيسها النتائج مع قناعته بنجاحه وتفوقه[2].

فيما اكتفت بعض الأحزاب الأخرى بالحديث عن التزوير دون تقديم الطعون باعتبار أن ذلك "لن يكون له جدوى" مثل الحركة الوطنية للبيئة والتنمية[3].

أما قراءة نتائج الانتخابات بناء على قوة الصوت الإسلامي فيها من عدمه فتذهب تعليقات بعض الصحف إلى أن الإسلاميين من كل الاتجاهات لم يعودوا يمثلون قاعدة عريضة من المجتمع بما يمحي تماما وبجرة قلم ما وصفته بالذكرى السيئة لانتخابات ديسمبر 1991م، التي شهدت مجيء تيار قوي أدخل الوطن في عشرية دموية، وردت هذه الصحف النتائج التي حازتها الأحزاب الإسلامية –متفرقة– إلى رفض الجزائريين لانتخاب هذا التيار، نظرا إلى الوضع الذي يواجهه الوطن من جراء العنف الإرهابي من جهة، وإلى توجه كثير من الإسلاميين للانتخاب في تشكيلات حزبية أخرى، ويبقى الأهم في تعليق هذه الصحف في قراءتها لنتائج الانتخابات 30 ماي 2002م أو في ردها لتراجع التيار الإسلامي –كما تقول– إلى تغير خطاب القيادات

---

[1]-قالت "المجاهد" اليومية بأن الأحزاب الصغيرة التي لم تكن معروفة من الشعب الجزائري قد فازت بمليون صوت انتخابي وهو ما يعني حصولها على 50 مقعدا برلمانيا وهذه الأحزاب هي: الحركة الوطنية للبيئة والتنمية MNND، والجبهة الوطنية الجزائرية FNA، والتجمع من أجل الوحدة RDUN، والاتحاد من أجل التنمية والحرية UDL. انظر:

-El Moudjahid, N°11446, Lundi, 3 Juin 2002, P8.

[2]-Liberté, N°2934, Op.cit, P4,9.

[3]-El Moudjahid, N°11446, Op.cit, P8.

الإسلامية، فمنذ دستور 1996م لم تعد هذه ترفع شعار الدولة الإسلامية، وقد تراجعت كليا عما وصفته بـــ"الحلم الجنوني" لعباسي مدني وعلي بلحاج، وفي المقابل فقد ركزت القيادات الإسلامية على احترام الديمقراطية وحقوق الإنسان وهو ما شوّش المعطيات داخل القاعدة الانتخابية الإسلامية التي لم تعد تجد نفسها في الأفكار التي يدافع عنها ممثلوها السياسيون[1].

وبغض النظر عن أسلوب التحامل الواضح ضد التيار الإسلامي وممثليه مع الاعتراف الواضح في المقابل بوجود قاعدة إسلامية عريضة، تبدو هذه القراءة بعيدة عن الموضوعية في التحليل، باعتبار واقع الأرقام المعتمدة من جهة، ثم غياب الجبهة الإسلامية عن المشاركة في الانتخابات بقرار حلها قبل ذلك من جهة ثانية ثم استجابة الأحزاب الإسلامية لشروط قانون الانتخاب بتغيير عناوينها الإسلامية وخاصة المادة الثالثة من القانون العضوي المتعلق بالأحزاب السياسية الذي نشر في الجريدة الرسمية والذي يفرض على كل حزب سياسي الامتثال في جميع أنشطته إلى المبادئ والأهداف الآتية منها:

-التمسك بالديمقراطية في إطار احترام القيم الوطنية.

-تبني التعددية السياسية.

-احترام الطابع الديمقراطي والجمهوري للدولة.

-احترام التداول على السلطة عن طريق الاختيار الحر للشعب الجزائري.

بالإضافة إلى وجوب التزام كل حزب سياسي في سيره وعمله ونشاطاته الاحترام الصارم للدستور والقوانين المعمول بها[2] من جهة ثالثة، وأخيرا باعتبار إطار الظروف المحلية والإقليمية وخاصة العالمية التي تجري فيها هذه التشريعيات.

وتجاهل كل هذه الاعتبارات يجعل من محاولة قراءة هذه النتائج مهمة صعبة ويبعدها عن أن تكون علمية ونزيهة وواقعية.

فواقع الأرقام يجعل "حركة الإصلاح الوطني" في المرتبة الثالثة، وحركة "مجتمع السلم" في

---

[1]-Sliman, Tamani, Les partis Islamiques, Une petite représentation, Liberté, N°2934, Op.Cit, P2.

[2]-انظـــر: الجـــريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع12، س34، بتاريخ الخميس 2 شوال 1417هـــ الموافق لـــ6 مارس 1997، ص ص30-31.

المرتبة الرابعة، بالإضافة إلى "حزب النهضة" وكذا "حزب التجديد الجزائري" الذي يحسبه الجميع على الخطاب الإسلامي المعتدل أيضا. ثم إن التيار الإسلامي بهذا الاعتبار ليس حزبا واحدا، ولا هو قائمة حزبية واحدة، وإنما هو الأحزاب المذكورة مجتمعة، وبناء على ذلك فالتيار الإسلامي قد فاز بمجموع الأصوات الانتخابية التي اختارت هذه الأحزاب، أي 996.728 صوتا انتخابيا، وهو ما يعني 83 مقعدا ويعني بالتالي حصوله على المرتبة الثانية بعد التيار الوطني في الجزائر، والذي أكثر من يمثله هو جبهة التحرير الوطني.

وأما باعتبار ما يوصف "بالشعارات الإسلامية" وعلى رأسها الدولة الإسلامية –كما تقول الجريدة–، فإن المتابعة للحملة الانتخابية للأحزاب الإسلامية المذكورة عبر الصحافة الوطنية العربية منها والمكتوبة بالفرنسية، تؤكد عدم تراجعها لا عن مبادئها ولا عن شعاراتها ولا عن خطابها الذي سبق وأعلنت عنها وعنه في الاستحقاقات الانتخابية السابقة، لكن معطيات الواقع العالمي أساسا فيما بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001م وبداية الحرب على ما سمته أمريكا "الإرهاب" بالمفهوم الأمريكي والغربي للإرهاب[1]، بالإضافة إلى الوضع الأمني والسياسي في الجزائر قد أثر على قوة الخطاب الإسلامي فيما كان يطرحه أو يرفعه من شعارات أثناء الحملة الانتخابية، والذي أثر تكييفها مع الديمقراطية بمفهوم الأحزاب الإسلامية لموضوع الديمقراطية[2]، أو موضوع حقوق الإنسان التي أقرها الإسلام قبل الشرائع البشرية، ولا يمكن اعتبار ذلك تراجعا أو تغيرا في الخطاب الإسلامي في الجزائر، وإنما تكييفه مع لغة المرحلة والواقع بما لا يتناقض ومبادئ هذه الأحزاب، ولا يكون مدعاة لتشويش قواعدها الانتخابية من جهة، ولا يحرمها من المشاركة والانتظام في الحياة السياسية في الجزائر، خاصة وأن المجلس الدستوري يقوم بمراقبة مطابقة شعارات الحزب واسمه ونشاطه وغيرها للقانون العضوي المتعلق بالأحزاب السياسية والذي سيسمح بمقتضاه لهذا الحزب بالمشاركة من عدمها قبل بدء العملية الانتخابية ثم مراقبة ذلك طوال الحملة الانتخابية حتى تتطابق شعاراته مع القانون في عدم استغلالها للدعاية الحزبية الخاصة، وخاصة ما يتعلق منها بالمكونات الأساسية للهوية الوطنية للجزائر، والتي يحدد كيفيات تطبيقها، المساهمة في تقديم الحلول لما يعيشه الجزائريون من أوضاع تستدعي مجهود الجميع في محاولة البت فيها وتجاوزها،

---

[1]–وذلك عبر ما أعلنه الرئيس الأمريكي بالحرب الصليبية أولا ثم محاربة الفاشية الإسلامية والإرهاب الإسلامي العالمي لاحقا.

[2]–انظر: محفوظ نحناح، المرجع السابق، ص ص143–169.

وقد نقلت جريدة "Liberté" بعد انتهاء الانتخابات عن رئيس حركة الإصلاح الوطني (MRN) في تعليقه على النتائج وقراءتها ما قالت أنه لا يفقد الأمل في إنشاء دولة إسلامية قصر الزمن أو طال[1].

والمتابع للحملة الانتخابية يلاحظ أن الأحزاب الإسلامية قد ركزت كما فعل غيرها على الوئام الوطني، والعمل على حل ما تطرحه الساحة الجزائرية من مشاكل ملحة، بالإضافة إلى بقية كل المشاكل التي تشترك في تقديم ما تراه ملائما لحلها في إطار ما ستمكن منه من وسائل تسمح لها بتحقيق ذلك واقعيا.

وقد وصفت بعض الصحف المكتوبة بالفرنسية نتائج التشريعيات لسنة 2002م باللطمة للنظام، وبالهزيمة وبالمسخرة، وبانتخابات العار، وردت العودة القوية لحزب جبهة التحرير الوطني التي توقعها الجميع إلى:

أ-انسداد الآفاق لدى الأحزاب الأخرى.

ب-مواجهة "بن فليس" لما سمته بارونات الحزب القديم، وكذا لكل الرافضين للتجديد منهم والذين كانوا سبب الأحزاب ونموذجا للانتهازية والمحسوبية في الجزائر.

جـ-خطاب "بن فليس" القوي والجديد الواعد بمواجهة مشاكل البطالة، والسكن والأمن وحقوق المرأة.

د-مراهنته على الجزائر العميقة مستغلا الغياب الكبير عن الانتخاب في المدن الكبرى.

هـ-أنه قدم نفسه كحزب المصالحة بين كل الجزائريين دون أي تهميش.

وقد كانت تشريعيات ماي 2002م موضع متابعة واهتمام دولي مكثف عبر وسائل الإعلام[2]، والتصريحات الرسمية التي تناولت نتائجها بالتعليق والتحليل، حيث أعلن الناطق الرسمي لوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية "فرانسوا ريفاسو" "François Ruvasseau" «أن فرنسا تتابع باهتمام نتائج الانتخابات الجزائرية، واعتبرها لحظة هامة في الحياة السياسية الجزائرية» فيم

---

[1]-M.Rabhi, Ila eu 43 sièges, Le MRN, Demande plus, Liberté, N°2934, Op.cit, P4.

[2]-تحدثت الصحافة الجزائرية عن الحضور الإعلامي الغربي المكثف لتغطية الحدث الانتخابي في الجزائر، وذكرت 45 قناة إعلامية بين وكالات أنباء وإذاعة وتلفزة وصحف مكتوبة، بالإضافة إلى حضور بعثة البرلمان الأوربي لمراقبة سير الانتخابات.

انظر:

-Liberté, Ibid, P9.

رحبت الولايات المتحدة الأمريكية بإجراء الانتخابات التشريعية في الجزائر، لأنها ستدعم التنمية الديمقراطية في هذا البلد كما صرح بذلك "Richard bouecher" الناطق الرسمي لكتابة الدولة للشؤون الخارجية الأمريكية، ودعا الرئيس الجزائري وحكومته إلى بذل المزيد من الجهود لتقوية وتنمية حرية التعبير من أجل حكم مسؤول ومسار ديمقراطية شفاف»[1].

ومع كل ما قيل حول تشريعيات ماي 2002 وغيرها، وحول نتائجها خاصة، فإن ذلك كان بمشاركة الخطاب الإسلامي الذي اثبت انتظامه عبر الحياة السياسية الجزائرية من خلال قواعده الانتخابية، لكن أيضا من خلال طروحاته وشعاراته وممثليه في المجلس الوطني الشعبي، كصوت مسموع ومكون أساسي للشعب الجزائري ضمن ثوابت شخصيته وخصوصياته التاريخية والحضارية.

[1]-(نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية AFP) -Liberté, N°2934, Op.cit, P9.

الفصل السادس:

الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر المستقلة

المبحث الأول: لغة الإعلام في الجزائر المستقلة، قرار غير معلن

المبحث الثاني: الإرث الاستعماري وأولويات التحرر الإعلامي

المبحث الثالث: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، خطوة مستمرة

المبحث الرابع: اللغة العربية في قوانين الإعلام بعد 1967م في الجزائر

المبحث الخامس: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر التعددية بين الكتابات الفرنسية والجزائرية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: لغة الإعلام في الجزائر المستقلة... قرار غير معلن

جاءت استعادة الجزائر لاستقلالها في ظل واقع من السياقات والشروط الذاتية والموضوعية الصعبة ولكنها ترتبط في معظمها مباشرة بالإرث الاستعماري، ومن ثم كانت أهم التحديات التي واجهتها السلطة الجزائرية والتي فرضت عليها اتخاذ الكثير من الإجراءات لمواجهتها على كثير من المستويات وكان يفترض في الأساس أن يكون الهدف الوطني منها هو استكمال السيادة الوطنية والاستقلال الوطني.

وقد يكون المجال الإعلامي على رأس المجالات السيادية حيث يستجل التحول من مهمة إعلام الثورة والتحرير الوطني إلى إعلام البناء الوطني بتكريس مبادئ الدولة الجزائرية، وتأكيد الذات الحضارية والثقافية للشعب الجزائري –العربية الإسلامية.

ولما كانت العبودية اللسانية تؤدي حتما إلى العبودية السياسية والثقافية، وهو درس تاريخي وحضاري أكده مفكروا فرنسا وعلماؤها وعملوا ويعملون لمواجهته –هم- في فرنسا ضد ما يسمونه بالإمبريالية الإنجليزية[1] منذ بداية الستينيات من القرن العشرين قصد حماية اللغة الفرنسية والدفاع عنها بكل الطرق، فقد كانت هذه العبودية اللسانية –نفسها- هي هدفهم المحوري الذي سعوا وما فتئوا يسعون لتحقيقه في الجزائر، وفي غيرها من دول العالم العربي والإسلامي عموما- عبر محاربة اللغة العربية والتقليل من شأنها لإحلال اللغة الفرنسية مكانها ضمن مشروع طويل المدى، كان القرن وربع القرن من الاحتلال، المرحلة الأولى منه وليستمر بعد استعادة الجزائر لاستقلالها السياسي في 1962م.

فقد عملت اتفاقيات إيفيان على تلغيم الاستقلال الجزائري ثقافيا لصالح التبعية الثقافية واللغوية لفرنسا ضمن سياسة الاستعمار الجديد ومشروع الفرنكفونية المستمر، وبدا ذلك واضحا أثناء السنوات الأولى للاستقلال في الجزائر فيما تضمنته هذه الاتفاقيات تحت عنوان "المساهمة

---

[1]-من هؤلاء روني إتيامبل "René Etiennble" في كتابه الشهير" Parlez vous Français ?"، دومينيك نوجيز "Dominique Nogez"، ميشيل سير "Michel Sir"، الآن ديكو "Alain Deko"، وجورج بومبيدو " George Pampidou" وكان بعض هؤلاء على رأس أعلى المناصب السياسية الفرنسية. انظر: ينسالم حميس، المرجع السابق، ص38.

الفرنسية في الرقي الاجتماعي والاقتصادي" وعبر كثير من النصوص والبنود[1] المجحفة والتي كانت اللغة الفرنسية محورها بشكل أو بآخر، بالإشارة الصريحة نادرا أو ضمنيا دائما، و لم يبتعد مفهوم التعاون الثقافي في هذه الاتفاقيات عن المنظور الاستعماري الفرنسي في استمرار تكوين الجزائريين على المبادئ الفرنسية ثقافيا وإيديولوجيا واجتماعيا وحضاريا قصد تحقيق استمرار الإشعاع للغة الفرنسية على حساب اللغة العربية، وذلك على الرغم من أن مفهوم التعاون في المنظور الجزائري يكمن في منح الجزائر أفاقا بغرض التبادل وفرصة لإشعاع قيمها الثقافية الخاصة[2] لكن مبدأ التبادل فكرة لا وجود لها في عنوان التعاون بين الدول الرأسمالية المتقدمة- وبين دول العالم الثالث كما تثبته معطيات التاريخ البعيد والقريب، وعبر الوقائع المختلفة المستمرة.

فقد دأبت الأمم المتحدة على تحديد عنوان التبادل والتعاون كأحد مبادئ القانون الدولي قبل الستينات من القرن العشرين في إطار مبادئ المساواة في السيادة وعدم التدخل، لكن ذلك تحول بعدها إلى قانون دولي للتعايش بين سيادات متنافسة[3]، وهو ما يعني ارتباطه بالقوة أو الهيمنة مما جعل التعاون الثقافي يحتل محور العلاقات ضمن السياسات الخارجية للدول الكبرى و لم يعد خافيا من ثم على أن التعاون الثقافي هو في الأساس وسيلة للتأثير لهذه الدول أو استمرار لتأثير الاستعمارية منها، ومن هذا المنظور يقول وزير فرنسي يساري سابق "Jean Pierre" "جان بير كو" انه لا يوجد قطاع يرتبط بمفهوم التعاون الفرنسي أكثر من قطاع الثقافة، فانتشار لغتنا وفرصة لإشعاع أفكارنا وفننا ومؤخرا لتقنياتنا كانت دائما على رأس انشغالاتنا».

---

(1)-انظر: دراسة هذه الاتفاقيات وتحليلا وافيا لكثير من أبعادها على مختلف الأصعدة ومنها المجال الثقافي واللغوي في:

-Salah Mihoubi, La politique de coopération Algéro Française, Bilan et persepectives, OPU, Publisud, Algérie, PP231, 255, 258, 259...

انظر نص: اتفاقيات إيفيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1987م.

انظر عرضا لبعض نصوصها وتحليلها في الواقع الجزائري غداة الاستقلال في: محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص23-26

(2)-Salah Mihoubi, Op-Cit, P16.

ويرجع الاستفاضة حول موقف الجزائريين من اتفاقيات إيفيان إلى: Ibid, PP25-56.

(3)-Ibid, P7.

والنص مأخوذ عن مقدمة الكتاب التي كتبها محمد البجاوي، وهو سفير سابق، وممثل أعلى للجزائر في فرنسا بين سنوات 1970-1979م، وقاضي من قضاة المحكمة العالمية في لاهاي، وهو حاليا وزير الخارجية للدولة الجزائرية.

وكان يجب أن يتجدد مفهوم المساعدة على التنمية عبر البعد الثقافي حتى يأخذ في الحسبان التحديات الجديدة، «فالمؤسسة الاجتماعية معقدة والثقافة توجد في قلب المجتمع، فهي وسيلة العلاقة، ووسيلة السيطرة، ووسيلة التعبير عن الشخصية والتعبير عن العبودية، ولهذا كان لا بد مقاربتها بحذر كبير» ويقول في مكان آخر أنه بالرغم من تعدد أشكال سياسة التعاون الثقافي الفرنسي في الجزائر فإنها تتواصل لتحقيق الأهداف نفسها مهما كانت طبيعة الحكومة في فرنسا لأن القضية بعد كل شيء هي إشعاع فرنسا في العالم بلغتها وثقافتها»[1]

وإذا كان الأمر بهذا الوضوح في سياسة التعاون الثقافي في المنظور الفرنسي (الاستعماري) فلسفة وتوجها فإنه من عدم الجدوى تجاهله في واقع الجزائر المستقلة سواء في بداية الاستقلال أو خلال التسعينات وحتى الآن، وخاصة في المجال الإعلامي وعلى مستوى لغة الإعلام فيه تحديدا، ذلك لأن التأثير الفرنسي مسألة إرادة وقرار استعماري ومشروع فرنسي مستمر، والذي يهمنا هو متابعة آليات تكريس ذلك التأثير جزائريا، وفيم إذا كانت قضية التحرر منه في المقابل أيضا مسألة قرار وطني مستقل وإرادة سياسية تتعلق بالسيادة منذ الأيام الأولى للاستقلال وحتى الآن، لأن الحديث عن الإعلام لا ينفصل عن الحديث عن النظام السياسي سواء في الجزائر أو في غيرها.

فقد نمط النظام السياسي في الجزائر النشاط الإعلامي عموما وتطور الصحافة المكتوبة منه خصوصا، والحديث ينصرف أساسا إلى الصحافة المكتوبة باللغة الفرنسية في الجزائر المستقلة باعتبار الارتباط الوثيق بين تطور الصحافة المكتوبة عموما وباللغة الفرنسية منها خاصة بموازين القوى في المواقع القيادية ومراكز القرار المختلفة من جهة، وباعتبار حقيقة أن العامل اللغوي-الفرنسي هو الحامل والموجه للواقع السياسي والإعلامي في الجزائر[2]. ثم باعتبار أن الذي أصبح ممكنا بعد سنة 1991، لم يكن كذلك قبلها في هذا المجال من حيث عملية الجهر به من طرف بعض الأحزاب والإعلان عنه ضمن مبادئها ومشاريعها ومواضيع تصريحاتها والتي كانت في الحقيقة هي صميم نشاطها منذ الاستقلال بوسيلة أو بأخرى عبر المجال الثقافي واللغوي منه تحديدا[3]، وهو ما أصبح معلوما لدى الجميع.

---

[1]-Salah Mihoubi, Op-Cit, P260.

[2]-فضيل دليو: الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والاغتراب، المستقبل العربي، ع255، 2000، ص47.

[3]-انظر: مؤلفات أحمد بن نعمان في الموضوع بالتنظير والوقائع وخاصة كتابه: فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، -

فحين تساءل المفكر والسياسي الفرنسي "برونو ايتيين" "Bruno Etienne" عن اهداف التعاون الفرنسي مع الجزائر، أكد أن الذين يتحكمون في جهاز الدولة، لمعرفتهم اللغة الفرنسية بعد 1962م هم الذين يستفيدون كل الاستفادة من هذا التعاون لأنه سينتج النظام لصالحهم هم أنفسهم ولصالح أطفالهم، ومن ثم فإن تمرير الثقافة من الدولة المستعمرة لا يوفر فقط سندا بنائيا للإمبريالية لكنه يوفر أيضا نماذج استهلاك أو نوع من المجتمع يبدأ تكوينه -فيما وراء الخطاب- بقوة في الجزائر»[1].

ويعتقد الاستراتيجيون الفرنسيون أن أولئك الذين يتكلمون الفرنسية في العالم يمثلون الفرق العسكرية المسلحة للفرنكفونية أي للنفوذ الفرنسي في العالم عبر الاستعمار الجديد ويؤكد كثير منهم بأن الفرنكفونية تحارب مبدأ التعريب في المغرب العربي.

وعلى الرغم من الإدراك السياسي في الجزائر لأبعاد مفهوم التعاون الثقافي الفرنسي وطنيا كما تثبته التوجهات الرسمية منذ الاستقلال في تحديد مفهومها لذات التعاون، عبر إقرار مختلف النصوص الرسمية الجزائرية لذلك، إلا أن المتابع لهذه النصوص يلاحظ أنها لم تجد طريقها إلى الترجمة الواقعية، مما يجعل المسافة بعيدة بين النص والواقع الفعلي.

فقد أقر الميثاق الوطني لسنة 1976م مثلا إيلاء اللغة العربية موقعا عريضا من الاهتمام وأكد أن اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري، وأن تعميم التعامل باللغة العربية والتحكم فيها على أساس أنها وسيلة وظيفية للإبداع ومهمة ضمن المهام الأولوية للمجتمع الجزائري على مستوى كل التمظهرات الثقافية والإيديولوجية الاشتراكية[2].

كما تبوأت اللغة العربية في مختلف النصوص الرسمية المرتبة الثانية مباشرة بعد الإسلام ضمن مبادئ الدولة الجزائرية وخصوصيات الشعب الجزائري.

ومع ذلك فإن تأجيل البت في الاستقلال اللغوي واقعيا حقيقة دشنت بها الدولة الجزائرية استقلالها منذ أول يوم منه لصالح اللغة الفرنسية التي استمر كونها لغة السياسة والديبلوماسية والإدارة

-مرجع سابق، فصل: الخلفيات والأهداف القريبة والبعيدة للحركة البربرية وفصل علاقة الحركة البربرية باللائكية وردود الأفعال الوطنية إزاءها.

[1]-Bruno Etienne, L'Algérie, Culture et revolution, le seuil, Paris, P358.

[2]-الميثاق الوطني سنة 1976م، مصدر سابق، ص85.

والاقتصاد... وتكريس ذلك بقوة في مجال الإعلام حقيقة أخرى نحاول شرحها عبر هذا الفصل.

ويربط بعض الباحثين[1] هذا التوجه بالسنوات الأولى فقط للاستقلال ويبرّرون ذلك منطقيا بالظروف الصعبة والأرث الاستعماري الثقيل مباشرة بعده وخاصة على المستوى التقني وغياب الكادر اللغوي المدرب باللغة العربية، واحتكار الشركات الفرنسية والأجنبية (الأوربية) ذات الصلة المباشرة بالنشاط الإعلامي وسوق المطبوع في الجزائر المستقلة مثل مسألة الاستيراد والتوزيع، ناهيك عن الرسالة الإعلامية القوية للصحافة الفرنسية التي استمر نشاطها في الجزائر غداة الاستقلال، إلا أن المتابع للإجراءات التي اتخذتها الحكومة الجزائرية قد أدت إلى تجاوز كل تلك الصعوبات فعلا بعد سنوات قليلة، وذلك عن طريق تأميم المقار، وإلغاء احتكار الشركات الفرنسية وإصدار صحافة جزائرية ذات رسالة وطنية، ومع ذلك فإن الأولوية كانت دوما لصالح اللغة الفرنسية، سواء في أول يومية تصدر في الجزائر المستقلة أو عدد اليوميات الصادرة باللغة الفرنسية في مقابل يومية واحدة باللغة العربية لفترة طويلة بعد الاستقلال أو في عدد سحب وتوزيع الصحافة المكتوبة بالفرنسية عبر القطر الجزائري مع أن جمهور الأوروبيين والفرنسيين وهم قراء الصحافة المكتوبة بالفرنسية —الاستعمارية– وقت الاحتلال قد غادروا الجزائر إلى فرنسا جماعيا بعد وقف إطلاق النار مباشرة، ولم يبق منهم ما يمكن أن يمد هذه الصحافة بالحياة والتي لم تستمر طويلا، واختفت بعد وقت قصير لتحنبها الخسارة المحققة[2] في ظل تلك الظروف.

وإذا كان عدد القراء من الجزائريين للغة العربية قليلا بفعل انتشار الأمية، وقلتهم بالنسبة للغة الفرنسية —في البداية–خاصة في المدن الكبرى فقط، فإن ذلك يفرض طرح مسألة إلى من كانت توجه الصحافة المكتوبة بالفرنسية بعدد تلك العناوين اليومية، والمتنوعة فيما بعد وعدد تلك النسخ الكثيرة المطردة الازدياد كما سنرى، ولماذا إصدارها على حساب اللغة العربية؟

ولم يولّ النشاط الإعلامي عموما بتشريع جزائري خاص يؤطره وينظمه ضمن متطلبات مرحلة الاستقلال وأولوياتها، وقد ردّ البعض ذلك إلى حداثة التجربة وطنيا وندرة ما يمكن أن يتطلب تنظيما خاصا سواء من ناحية الإطار البشري أو من ناحية ندرة الوسائل والأجهزة وقدمها

---

[1]–من هؤلاء الزبير سيف الإسلام، صالح بن بورة، رهير أحدادن، وهو ما سنفصل الحديث فيه لاحقا.

[2]-Belcasem Ahcène, Djaballah, Aspects du Nouvel ordre international de l'information, étude et document, Alger, OPU, 1980, P62.

بالنسبة للموجود منها، وكذا العدد القليل من الجرائد والمجلات والتي قد بدأت تصدر تدريجيا بعد الاستقلال ثم عدم الخبرة في الجزائر كدولة من دول العالم الثالث كما يقول "الزبير سيف الإسلام" حتى أنه وصف وزارات الإعلام التي أنشأتها كل دول العالم الثالث غداة استقلالها مباشرة «بأنها وزارات إعلام بلا إعلام وبأنها كانت مجرد تقليد لحكومات الاحتلال، أصبح وجودها ضروريا»، وبأن «شعوبنا حرمت من ممارسة سيادتها والتصرف في مصيرها زمنا طويلا، وكان لا بد لها بعد استعادة سيادتها من أن تخوض التجربة من جهة» ثم إلى «أن الإعلام لم يكن مفهوما ولا أهمية له تذكر» [1] من جهة أخرى.

ومن السهولة التأكيد على إدراك رجال الثورة الجزائرية لأهمية الإعلام عموما قبل الاستقلال والمكتوب منه خاصة كسلاح للمقاومة والتأثير، وتجربة الثورة ثرية جدا عبر النشريات ثم الجرائد التي أصدرتها، حتى أنها جعلت نسخة من جريدتها الرسمية "المجاهد" باللغة الفرنسية بأدواتها ورسالتها لتتوجه بها إلى العالم الخارجي فيم خصصت نسخة بالعربية بأدواتها ورسالتها أيضا للتتوجه بها إلى الساحة الداخلية[2]، وهو ما يؤكد وجود فلسفة وطنية تحرك التوجه الإعلامي الجزائري داخليا وخارجيا، لصالح تحقيق أهداف معنية محددة ومحسوبة فكيف يمكن نفي ذلك بعد استعادة الاستقلال مع حاجة المرحلة إلى أولويات ملحة لتكريس التحرر الثقافي والحضاري واللغوي...الخ، وقد كان نيل المهمة كافيا كفيلا بتحقيق أهدافها بنجاح عبر وضعها بيد الوطنيين بكل سيادة، كما كان من شأنها تجاوز الصعوبات الموضوعية منها والذاتية لمرحلة الاستقلال بتوفر الإرادة الوطنية التي كانت لا تزال مفعمة بروح الجهاد في سبيل تحرير الوطن. ويؤكد هذا الواقع ما خلص إليه "زهير إحدادان" في دراسته التاريخية للإعلام في الجزائر قبل الاستقلال في أن الجزائر قد" وجدت نفسها عندما تحررت برصيد وافر لانطلاقة سريعة وموفقة في الميدان الإعلامي، وحدد ذلك في ثلاث نقاط وهي أنه:

1-كان لها أجهزة قائمة.

2-كان لها صحافيون ذوو خبرة متينة.

3-كان يوجد شعور قوي بمكانة الإعلام في المجتمع وبالدور الذي يمكن أن يقوم به:

---

[1]-الزبير سيف الإسلام، علم الإعلام والسياسات الإعلامية في العالم الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص64

[2]-انظر مبحث: المجاهد جريدة الثورة الرسمية من هذه الرسالة.

وعلق على ذلك بأنه «لم يبق في المرحلة التي جاءت بعد الاستقلال إلا أن تدعم هذه المكاسب والجهود»[1].

ومهما يكن من أمر ندرة الوسائل وانعدام الكادر اللغوي المدرب وغيرها من العوائق، فإن هذه قد تم تجاوزها تدريجيا بعد فترة وجيزة فضلا عن اعتبارها إجابة عن السؤال المطروح في الأساس خاصة مع حقيقة إدراك أهمية النشاط الإعلامي في تكريس الخيارات المعلنة واقعيا ومن ثم أهمية ومصداقية ذلك في تعبئة الشعب حول القيادة السياسية في سبيل استكمال السيادة الوطنية لكن "إحدادن" وفي تفسيره عدم تخصيص الإعلام بتشريع خاص غداة الاستقلال في الجزائر رده إلى النشاط الإعلامي يعتبر له علاقة بالسيادة الوطنية وهو ما نص عليه القانون الذي أصدرته الحكومة الجزائرية في 31 ديسمبر 1962م في «أنه يبقى العمل جاريا حسب التشريع الفرنسي السابق في جميع الميادين التي ليس فيها تعارض مع السيادة الوطنية[2] ويتعلق الأمر بطبيعة الحال في هذا الإطار بالقانون الفرنسي الذي صدر في 29 جويلية 1881م في فرنسا والقوانين الإضافية التابعة له، والذي كان يعرف بقانون حرية الصحافة، حيث كان ينص على الحرية المطلقة في النشاط الصحافي وينص كذلك على الملكية الخاصة للصحافة المكتوبة[3].

ومن الجدير التنبيه إلى أن قانون 1881م الذي صدر في فرنسا، لما جرى تطبيقه في الجزائر أيام الاحتلال ألحقت بموجبه الصحافة المكتوبة باللغة العربية في الجزائر بالصحف الأجنبية، وكذا كل الصحف المزدوجة وذلك بمقتضى قانون شوطان 1938م الذي قرر أن اللغة العربية أجنبية في الجزائر، على الرغم من عدم استناد هذا القرار في الجزائر، فيما يتعلق بالصحافة على قانون رسمي يصرح بذلك -كما يقول "إحدادن"- وكان ذلك يتم فقط بقرار وزاري بسيط يصف الصحف العربية بالأجنبية والذي يكون غالبا باقتراح من الحاكم العام في الجزائر بذلك[4].

والحقيقة أن الباحثين في السياسة الإعلامية في الجزائر مثل "صالح بن بوزة"، و"إحدادن"

---

[1]-زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص94.

[2]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص121.

[3]-انظر: دراسة وتحليل للقانون في الفصل الثالث، الوضعية القانونية للصحافة الأهلية العربية والمزدوجة في:

-Zahir Ihaddaden, Histoire de la presse indigene en Algérie, Dés origines jusqu'en 1930, ENAL, Algérie, PP69-97.

[4]-Zahir Ihaddaden, Op-Cit, p77.

و"الزبير سيف الإسلام"، حين يعرضون للتشريع الفرنسي للإعلام والذي اصبح معمولا به في الجزائر استناد إلى قانون 31 ديسمبر 1962م، فإنما يركزون فيه على جانب حرية الصحافة، وحرية ملكية وسائل الإعلام أي خاصة الجانب المادي والجانب الإيديولوجي ولم يتناولوا البعد اللغوي فيه، حين يصبح التعامل بذات القانون جزائريا غداة الاستقلال في تحديد الموقف من اللغة الفرنسية إعلاميا –لغة المحتل– أو في المقابل تكريس اللغة العربية كخيار سيادي في المجال الإعلامي كما تقره النصوص الرسمية للدولة الجزائرية، ولذلك نجد "إحدادن" مثلا يركز على ظهور الصحافة ذات الملكية الخاصة، حين يقول: «فما وجود الصحافة الاستعمارية إلا تطبيقا لهذا القانون، وبأن هذه الحرية لا يتمتع بها الفرنسيون وحدهم، وإنما كذلك الجزائريون المسلمون[1]»، أما "بن بوزة" فيقول بأن «مجموع الإجراءات المتخذة في قطاع الإعلام خلال المرحلة 1962-1978م تبدو في ظاهرها للملاحظ الخارجي بأنها تندرج في إطار استرجاع السيادة الوطنية، وتطوير هذا القطاع إلا أنها في الواقع أيضا كانت تحت تأثير الوضع العام المهيمن والمرتبط بمجموع السياقات والشروط الذاتية والموضوعية[2]».

وإذا كانت كثير من هذه الإجراءات قد سمحت بالتحرر التدريجي من اتفاقيات إيفيان ماديا على الأقل وإيديولوجيا أيضا ضمن إنشاء نظام اشتراكي للإعلام في الجزائر، فقد أدت عمليا وقانونيا إلى تجميد الصحافة المكتوبة من حيث عدد الصحف وكذا من حيث نوعية الرسالة الإعلامية، وذلك عبر إلغاء الملكية الخاصة للصحافة، ثم وضع ما صدر منها مباشرة تحت رقابة الحكومة وهو ما يعني أن القرار الإعلامي في المحصلة قد اصبح جزائريا بحتا بما في ذلك قناته اللغوية –العربية– رسميا.

وترجمة هذه الإجراءات واقعيا في الفترة الممتدة بين 1962-1975م تقول:

–صدور أربعة يوميات كلها باللغة الفرنسية مقابل يومية واحدة باللغة العربية، بالإضافة إلى عناوين أخرى ظهرت أو بدأت تظهر متنوعة باللغة الفرنسية والتي يتبع بعضها بنسخة عربية.

–استمرار استيراد وتوزيع 291 عنوانا باللغة الفرنسية داخل الجزائر وبعدد نسخ يصل إلى

---

[1]–رهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص122.

[2]–صالح بن بوزة، تطور الإعلام الجزائري خلال الفترة 62-1978م، مجلة الثقافة، ع145، س22، 1997م، ص48.

324042 نسخة[1].

-تأخر قرار تعريب الصحف الجهوية بقسنطينة ووهران التي بدأت في 1972م و لم تنته إلى في 1974م بالنسبة للأولى وفي 1976 م بالنسبة للثانية.

وفيما تؤكد النصوص الرسمية مكانة اللغة العربية، وتوصي بإيلائها المكانة التي تستحقها ضمن مبادئ الدولة الجزائرية، تبين هذه الإجراءات واقعيا الأولوية الواضحة للغة الفرنسية، والحقيقة أن الموقف من مكانة اللغة العربية في المشروع الثقافي والحضاري للجزائر المستقلة بغض النظر عن الخطاب الرسمي كانت محل جدال محتدم بين ما بات يوصف في الجزائر بالمتفرنسين من جهة والمعربين من جهة أخرى، جدال يدل بوضوح على أثر المدرسة الفرنسية السيئ في محاربتها للغة العربية أساسا، وعلى إبعادها عن أن تكون لغة تعامل مجتمعي كنتيجة لواقع الاحتلال وطروحات منظرية طيلة فترة الاحتلال في الجزائر، والتي أصبحت هي ذاتها طروحات المتفرنسين في الجزائر وهذه المرة ليس بهدف محاربتها كما كانوا يعلنون وإنما بدعوى احترامها على أنها لغة الآخرة وليست لغة الدنيا في مقابل اعتماد اللغة الفرنسية لأنها كما يعتقدون لغة الثقافة والعصرنة والتقدم الذي تعمل الجزائر لبلوغه في أسرع وقت[2] ولأنها كما يدعون «النافذة التي يطل منها الإنسان المتخلف علي دنيا الاختراع والإبداع»[3]، وقد كانت الصحافة الجزائرية منبرا لهذا الجدال الذي سماه "عبد الله شريط" بحوار الطرشان"[4] بحكم عدم قراءة كل فريق لما يكتبه الفريق الآخر بسبب عدم تحكم كل منهما في اللغة التي تكتب بها مواضيع الجدال وردوده ومن ثم عدم إطلاعهما عليها[5].

---

(1)-صالح بن بورة، ، المرجع السابق، ص135.

(2)-انظر: طروحات مصطفى الأشرف، وزير التربية الوطنية السابق، عن اللغة العربية في عدد من فصول كتابه: الجزائر: الأمة والمجتمع، مرجع سابق، مثل: لغة الدنيا والآخرة، ص ص429-442. إفساد اللغة الشعبية، ص ص434-436. اللغات والثقافات الأجنبية، ص ص436-442. بين الفصحى والدارجة، ص431-432.

(3)-محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص22.

(4)-Abdellah Cheriet, Opinion sur la politique de l'enseignement et de l'arabisation, SNED, Algérie, P5.

(5)-فقد نشرت مقالات "مصطفى الأشرف" في صحيفة "El Moudjahid" باللغة الفرنسية ثم ترجمت ونشرت في الجرائد المكتوبة باللغة العربية مثل "الشعب" و"النصر" و"الجمهورية"، ومجلة الثقافة التي كانت تصدرها وزارة الثقافة الجزائرية، كما كانت طروحات "مصطفى الأشرف" موضوع حوارات صحفية بصفته وزيرا للتربية الوطنية في الجزائر 1977م... وذلك-

ويبدو أن نتيجة الجدال قد سبق حسمها واقعيا لصالح المفرنسين كما هو واضح في مجال الإعلام خاصة وفي غيره عموما بحكم تنفذ هؤلاء في مواقع القرار والذي قد أهلتهم إليه معرفتهم باللغة الفرنسية أساسا.

فقد اتجهت سياسة محو الأمية المتبعة في الجزائر من 1962-1972م كما يقول "إحدادن" «إلى محو الأمية باللغة الفرنسية»[1]، كما استمرت المدارس الجزائرية في تعليم اللغة الفرنسية رغم تعريب السنة الأولى والثانية من التعليم الابتدائي في نفس هذه الفترة.

وساهمت هذه السياسة في تكريس نفوذ اللغة الفرنسية وسيادتها رسميا واجتماعيا وتجاهل اللغة العربية مما كرس بالتالي المشكل الثقافي في الجزائر، وزيادة الهوة بين المفرنسين والمعربين، وإذا كان ذلك يعني للأوائل تقريبهم من مراكز المسؤولية والقرار «فإنه صيّر اللغة العربية أمرا غريبا في إدارتنا وفي سائر دواليب الدولة حتى اصبح ذو الثقافة الوطنية يشعر بالغربة وينعت بالإصبع على أنه يمثل التخلف والرجعية، كما يؤكد ذلك "محمد العربي الزبيري"[2].

وقد أدى ربط مشكل الأمية بمشكل التعريب كما كرسته هذه السياسة إلى نتائج سلبية على الواقع والمستقبل الثقافي في الجزائر، والذي لم يكن في الحقيقة سوى التطبيق العملي لوصفات الاستعمار الجديد في جوانبه الثقافية عبر مدرسة التغريب في الجزائر، وإذا كانت هذه قد زجت باللهجات المحلية إلى سطح الجدال ثم الصراع فيما بعد، فإن النتيجة الظاهرة الباطنة سواء علم قادة هذه المدرسة التغريبية أم جهلوا هو الإشعاع الثقافي واللغوي الفرنسي على حساب الانتماء العربي الإسلامي للجزائر، وهو ما لم يفتأ يعلنه ويصرح به ساسة فرنسا ومثقفوها ومفكروها وأعلامها...

وقد بين "الحسن بركة" الذي يسمى قادة المدرسة التغريبية" بمجموعات الامتياز و"بالجماعات الضاغطة" بان لها فعالية في ميادين حساسة على المستوى المركزي وخاصة في

-في مجلة "Révolution Africaine" وحواره الصحفي الفرنسي "Paul Balta" الذي نشر الحوار في جريدة " Le monde" الفرنسية في 1977م أيضا: وفي المقابل نشرت مقالات الأستاذ "عبد الله شريط" عن اللغة العربية وسياسة التعريب والتعليم في جريدة "الشعب" العربية في 1980م، لكنها لم تترجم إلى اللغة الفرنسية و لم تعمل الصحافة المكتوبة بالفرنسية على نقلها ورفضت طلبا بنشرها مما اضطر الكاتب –عبد الله شريط- إلى ترجمتها ونشرها، وهو موضوع المرجع نفسه، ص7؛ الذي قام بترجمته محمد العيد بورغدة.

[1]-زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، المرجع السابق، ص102.

[2]-محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص26.

الإدارة العامة في النشاط السياسي، ووصف مجال الإعلام بالميدان الخصب الذي تهيمن عليه هذه المجموعات فعليا متجاوزة في ذلك النصوص التشريعية والتنظيمية، وخصوصيات الشعب الجزائري ومشاعره، وكلها على حساب الإعلام الوطني لغة وفكرا»[1].

أما "فضيل دليو" فيصف هذه المجموعات بالفئات المتفرنسة ثقافيا التي ما فتئت تعمل بنجاح على إحكام سيطرتها على الصحافة المكتوبة[2] ووصفها أيضا بالجماعات الضاغطة الفرنكفيلية»[3].

وقد أعطت هيمنة هذه الفئات على الإدارة العامة مثل الوزارات والشركات والمؤسسات الاقتصادية والمالية، كما يشير إلى ذلك "حسن بركة"[4] أيضا الهيمنة بالتالي على القرار السياسي في تقهقر عملية تعريب الإدارة وغيرها، وتأجيل قرار تنفيذ التعريب في كل مرة تحت أعذار المرحلية والتدرج، ومواكبة العصر وأخيرا عصرنة المنظومة التربوية، وسمحت لها هيمنتها الكبيرة على وسائل الإعلام خاصة التلفزة والصحافة المكتوبة بالسلطة والقدرة على التأثير في الرأي العام على مر الأيام في محاولة تغييب الإعلام الوطني العربي منذ البداية، ثم الإعلام الوطني الإسلامي من الساحة الإعلامية والسياسية[5]، وهو الذي سيستمر في واقع الجزائر الثقافي والحضاري بشكل أو بآخر.

---

(1)-الحسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المنطلقات، الانعكاسات، النتائج، مرجع سابق، ص27.

(2)-فضيل دليو، المرجع السابق، ص47.

(3)-المرجع نفسه، ص49.

(4)-الحسن بركة، المرجع السابق، ص26-30.

(5)-المرجع نفسه، ص27.

المبحث الثاني: الإرث الاستعماري وأولويات التحرر الإعلامي

لقد استمرت الهيمنة الإعلامية الفرنسية أساسا والأجنبية الغربية عموما في الجزائر غداة استرجاعها لاستقلالها، وامتدت لأكثر من عقد من الزمن كما اتسعت لتشمل:

1-الصحافة الفرنسية المتواجدة داخل الجزائر:

وهي الصحافة التي كانت تصدر قبل الاستقلال واستمرت تصدر بعده مباشرة، بمقتضى تطبيق اتفاقيات إيفيان، أو صدرت بعد الاستقلال من طرف فرنسيين بمقتضى الاستفادة من قانون حرية الصحافة والملكية الخاصة للصحف.

وقد عملت الصحافة الاستعمارية الفرنسية على تغيير رسالتها الإعلامية من تمجيد الاحتلال ووصف المجاهدين الجزائريين بالقتلة والمجرمين والفلاقة والعصابات، وغيرها من الأوصاف إلى تمجيد الثورة الجزائرية ونظامها الثوري في الجزائر «مستعملة في ذلك النفاق المكشوف»[1]، بل وتعترف باستقلال الجزائر، وبوجود أمة جزائرية غير الأمة الفرنسية، كما باشرت بتغطية تكاد تكون موضوعية لنشاط الحكومة الجزائرية المستقلة ولنشاط الجزائريين بصفة عامة.

ومع هذا التغيير الهام كما يصفه "إحدادن"، فقد كانت تمثل دائما الوجود الفرنسي في الجزائر المستقلة، حيث استمرت هذه الصحافة كذلك في تمسكها بما كان يجري في فرنسا، وتقوم بتغطية النشاط السياسي الفرنسي[2] أيضا، ورغم تغيرها إلى نوع من الاعتدال فإن ذلك منها يبقى دوما مشبوها من حيث انعدام المصداقية بعد قرن وربع قرن من الظلم والقهر الحضاري والديني والإنساني للشعب الجزائري، ولأنها في المحصلة وسيلة لتكريس الغزو الفكري وتعميقه بين الجزائريين حتى وصفها بعضهم «بأنها كانت تعمل للقحط الفكري والجمود الثقافي في الجزائر»[3]

وكانت هذه الصحافة بلغتها الفرنسية، وتعدد عناوينها وعدد سحبها لكن أيضا برسالتها الإعلامية القوية بحكم خبرتها الطويلة وتجربتها الثرية في مجال الإعلام المكتوب، تعرقل نشوء

---

[1]-الزبير سيف الإسلام، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص48.

[2]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص120.

[3]-Belcacen Ahcene, Djaballah, Op-Cit, P58.

الصحافة الوطنية وتهدد ما ظهر منها بالفشل، خاصة وقد أصبحت تتوجه برسالتها إلى الجزائريين، فحين غادر الأوروبيون والفرنسيون جماعيا الجزائر بعد وقف إطلاق النار، أصبح الجزائريون يمثلون جمهورها في الجزائر، ويتكون معظم هؤلاء ممن ألفوا قراءتها قبل الاحتلال أو تدربوا على قراءتها بعد الاستقلال في غياب صحافة وطنية عربية قوية تستقطبهم.

واعتمدت هذه الصحافة في جذبها للجزائريين هذه المرة، والشباب منهم خاصة على الإعلانات الصغيرة المتعلقة بطلبات العمل، والإعلانات التجارية المختلفة، بالإضافة إلى نجاحها تقنيا وفنيا، واستقطابهم بالقصص ذات المواضيع المتسلسلة الجذابة رسوما وصورا، وكان الكثير منها يجعل صورا للنجمات والممثلات الفرنسيات على صدر صفحاتها الأولى[1].

وللإشارة، فقد كانت تصدر في الجزائر عند الاستقلال مباشرة خمس جرائد فرنسية يومية، بالإضافة إلى عدد كبير من الصحف المتنوعة منها ما كان يصدر بالعاصمة ومنها ما كان يصدر بالمدن الكبرى والمدن الصغرى... ومن بين هذه الصحف نذكر[2]:

1-الجزائر الجمهورية: "Alger Républicain"، وهي صحيفة خاصة تنتمي إلى إيديولوجية يسارية ماركسية، تصدر بالعاصمة.

2-برقية الجزائر "La dépêche d'Algérie" لصاحبها "Laurent Shiaffino" بقيت تصدر بعد الاستقلال، وغير عنوانها التي "La dépêche de dimanche"وكانت تصدر في العاصمة.

3-في الشرق الجزائري: كانت تصدر يومية "برقية قسنطينة" "La dépêche de Constantine" ذات الاتجاه "الجزائر الفرنسية" ويملكها نائب المدينة حينها "Leopold Morel"

4-وظهرت جريدة "الأحد صباحا"، "Dimanche Matin" بمساهمة "برقية قسنطينة، وخصصت للشرق الجزائري.

5-برقية الشرق "Le dépêche de l'est" وهي جريدة يومية يملكها "Charles Hunck"

[1]-Belcacen Ahcene, Djaballah, Op-Cit, P68.

[2]-انظر المعطيات هذه متفرقة في:

-زهير إحدادن، المدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص ص89.

-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص ص119-140.

وانظر أيضا: Belcacen Ahcene, Djaballah, Op-Cit, P58-62.

وهو رجل سياسي غني، وكانت تصدر في مدينة عنابة.

6-في الغرب الجزائري: كانت تصدر الجريدة اليومية"صدى وهران" "L'echo d'oran" وكذا جريدة يومية أخرى "صدى المساء" "L'echo du soir"، بصفة مستقلة لكل منهما ثم تصدران في عنوان واحد أسبوعي وهو "صدى الأحد" "L'echo de Dimanche" بداية من 4 جويلية 1962م ويختفي في أوت 1962م، وكل هذه الجرائد كانت تحت ملكية نائب سابق لمدينة وهران هو "Pierre Laffant" الذي كان خطه أوربيا إجمالا مضمونا وجمهورا.

7-جريدة "وهران الجمهورية" "Oran Républicain" وتصدر يوميا بمدينة وهران، وكانت ملكية خاصة بإشراف فرنسيين ويهود لكنها توقفت عن الصدور في 11 جويلية 1962م.

8-وكانت تصدر بمدينة وهران يومية أخرى هي"اليومية الوهرانية" "Le quotidien Oranais"

واستنادا "لزهير إحدادن" فقد كانت هذه الصحف الفرنسية الاستعمارية تسحب مجتمعة 300 ألف نسخة[1]، وهو ما يعني تهديدها للصحافة الوطنية الناشئة والتي لا تقوى على منافستها بالإضافة إلى الضرر الكبير الذي تتهدد بها القيم الوطنية وانتماء الجزائريين والذي لم يكتف فقط بالتقليل من عدد سحبها أو اختفاء بعضها أو صدور بعضها في عنوان واحد ما دامت تعتمد اللغة نفسها والرسالة نفسها.

ب-الصحافة الأجنبية في الجرائد غداة الاستقلال

والتي تضاف إلى الصحافة الفرنسية الرسالة والملكية في استقطابها للجزائريين وتهديدها للاستقلال الوطني باستمرار تواجدها في الجزائر بمقتضى اتفاقيات إيفيان من جهة وبمقتضى عقود الاستيراد التي كانت تحتكرها الشركات الفرنسية والتي تتحكم في عدد عناوينها وكذا توزيعها عبر الجزائر.

فقد كانت شركة "Hachette France" مثلا تحتكر استيراد المطبوعات بما فيها من جرائد ومجلات وكتب ونشريات وغيرها... حيث كانت تستورد أكثر من 2000 عنوانا، وكانت "وكالة فرنسا للصحافة" "Agence Française de presse" (AFP) تقتسم احتكار سوق توزيع الأخبار والمعلومات الصحافة من الجزائر مع "وكالة الأنباء والخدمات" " Agence

[1]-زهير احدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص96.

de Presse et de services" الفرنسية بالإضافة إلى تواجد "الاتحاد الصحفي العالمي" (UPI)[*] منذ وقت طويل في الجزائر، وكانت هذه الوكالات تقوم بتغذية كل الإدارات الجزائرية المركزية وكذا كل الجرائد والإذاعة والتلفزة، وكل التجمعات الشعبية، واستمر احتكارها لها بعد استعادة الاستقلال الوطني[1].

واعتبر هذا الوضع شاذا بكل المعايير، لأنه يكرس الهيمنة الأجنبية ويحيل الاستقلال الوطني إلى العدم على مختلف المستويات السياسية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية...فقد كانت شركة "Hachette France" تحقق 60% من أرباحها من بيع الكتب المدرسية والمكتبية وكل ما يتعلق بالوراقة والأدوات المدرسية ولواحقها المتنوعة، وكان لها 300 عامل ، 425 نقطة بيع عبر القطر الجزائري بما في ذلك أكشاك المحطات، وقد قدر رقم أعمالها في سنة 1963م لوحدها والتي اعتبرها حينها سنة الأزمة أكثر من ثلاث مليارات من الفرنك القديم وفي سنة 1964م حققت 4,6 مليار فرنك قديم، ولم تكن الجزائر تستفيد من هذه الأموال التي تقوم الشركة بتحولها مباشرة نحو فرنسا»[2]، ليبقى نصيب الجزائر منها صفرا.

وإذا كـــان من السهل تعداد الميادين ذات الصلة بالإعلام وخاصة الصحافة المكتوبة منها، وكان من اليسر التعبير عن تعقدها وكيفيات استمرار هيمنة الاحتلال من خلالها نظرا لارتباطها وتراكمها وقوتها وكذا إجحافها... فإنه من الصعب في مقابل ذلك متابعة أولويات التحرر منها، وفهـــم الإجراءات المتخذة في سبيل ذلك لصالح سياسة إعلامية وطنية وقرار سيّد يكرس ثوابت الأمـــة ومـــبادئ الدولة بعد حرب خلفت من النتائج ما جعل من هذا التوجه سياسيا وإعلاميا وثقافيا ولغويا... مهمة أقرب إلى المستحيل.

وإذا كانـــت الإجراءات المتخذة قد شملت كل الميادين في ذات الوقت فيبدو واضحا أنها اســـتهدفت تحقيق التحرر الإعلامي على المستوى الاقتصادي، برفع احتكار الشركات الفرنسية بوضـــعها تحـــت تصرف الدولة الجزائرية، ومحتوى الرسالة الإعلامية بتحويلها إلى رسالة وطنية أساسا وجاءت خطوات ذلك كمايلي:

(*) -UPI : Union Press International

(1)-Belcacem Ahcène, Djaballah, Op-Cit, P P55-56.

(2)-Ibid, P P57-58.

أ-تأميم الصحافة الفرنسية والأجنبية الاستعمارية.

ب-إنشاء صحافة يومية برسالة وطنية.

جـ-القضاء على احتكار الشركات الفرنسية اقتصاديا وثقافيا.

وعلى الرغم من عدم وجود تشريعات خاصة بالمجال الإعلامي عموما، فإن السلطة السياسية الجزائرية لم تعدم التبريرات الواقعية والموضوعية لاتخاذ ما كان يجب اتخاذه من الإجراءات أو اعتماده من اقامات مناسبة حسب وضعية كل مجال أو حسيما تمليه هذه الوضعية من حلول للصالح الوطني الآني حينها.

فبعد مغادرة الفرنسيين والأوربيين للجزائر وعدم استجابتهم لنداء الإعلام الجزائري بالعودة إلى الجزائر بعد الأجل الذي حدد لهم[1] وفرت السلطة المرر القانوني لتأميم الصحف ذات الملكية الخاصة التي كان يملكها هؤلاء وباعتبارها أملاكا شاغرة أممتها الحكومة وأصدرت في ذلك قرار في 18 سبتمبر 1963م وتولت إنشاء صحف على مطابع الجرائد المؤممة وهو الحال مثلا بالنسبة لكل من جريدة "برقية الجزائر" "La dépêche d'Algérie" والصحف الجهوية "برقية قسنطينة" و"صدى وهران" وغيرها، وبرر القرار هذا الإجراء «بأن هذه الصحافة تذكرنا بالعهد الاستعماري وأن وجودها لا يتلاءم مع السيادة الوطنية...» [2].

-اعتبار استمرار الصحافة الخاصة الفرنسية برسالتها القوية وسحبها الكبير تهديد للصحافة الوطنية الناشئة، رغم توجهها إلى الاعتدال -المشبوه-.

-في 1967م حجزت السلطات الجزائرية عددا كبيرا من الجرائد الفرنسية إثر العدوان الإسرائيلي على البلدان العربية وقامت وزارة الإعلام باتخاذ تدابير ضد استيراد ما يفوق عن مائة صحيفة بين يومية وأسبوعية ومجلات ثقافية أو سياسية ومختصة[3].

-في 1968م منعت توزيع بعض الصحف في الجزائر لأنها تحمل رسالة استعمارية

---

[1]-يقول الزبير سيف الإسلام «أن الثورة لم تستعمل معهم العنف على الإطلاق وعلى العكس صدرت التعليمات لكل المناضلين والشعب الجزائري بأن يحافظوا على سلامة الأوروبيين وأمنهم، كما وجه إليهم الإعلام الجزائري نداءات عبر الإذاعة والصحف والتصريحات لكي يعودوا إلى الجزائر، في أجل محدد، وإلا فإن أموالهم ستأمم ولا يبقى لهم حق في الجزائر. انظر: الإعلام والتنمية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص ص50-51.

[2]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص127.

[3]-Belcacen Alicène, Djaballah, Op-Cit, P60.

وعنصرية[1].

وكان التحدي المالي والاقتصادي عموما كافيا للعمل على مواجهة ومن ثم الحد من احتكار الشركات الفرنسية والأجنبية في مجال الإعلام وسوق المطبوع في الجزائر، واعتبرت السلطة الجزائرية أن استمرار هذه الشركات في الجزائر المستقلة «يعارض السيادة الوطنية ويمنع الجزائريين من التطور في أي اتجاه»[2]، ناهيك عن وجوب استفادتها من موارد هذه السوق لصالح الاقتصاد الوطني ومن ثم توالت القرارات والإجراءات في اتجاه الحد من نشاط هذه الشركات، وقد باشرت السلطة تطبيقها بإبعاد وكالة فرنسا للصحافة (AFP) لصالح شركة المطبوعات الوطنية الجزائرية (ENA) وتحديد نشاط "Havas Algérie"بوكالة وطنية جديدة للنشر والإشهار تحت وصاية الحزب في البداية قبل أن تتحول إلى "المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار" تحت وصاية وزارة الإعلام ثم إلى المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع في 1965م، قبل أن تضع حدا نهائيا لشركة "Hachette France"، هذه المرة بقرار تأميم صدر في 28 جانفي 1966م لم تبرره السلطة باحتكار الشركة التجارية والمالي في سوق المطبوع في الجزائر وإنما «لاستمرارها على النهج الاستعماري، فالكتب المدرسية التي كانت تستوردها كانت تخصص صفحات كاملة لصالح تمجيد الاستعمار»[3]، وأصبحت "الشركة الوطنية للنشر والتوزيع" هي التي تحتكر وحصريا:

-المطبوعات التجارية.

-استيراد كل المطبوعات (دوريات- مجلات- كتب- نشريات...

-احتكار توزيعها عبر كامل القطر الوطني.

-تصدير كل المطبوعات والكتب المنتجة في الجزائر[4].

وفي الاتجاه نفسه عملت السلطة الجزائرية على الحد من استيراد العدد الكبير من المطبوعات الفرنسية إلى الجزائر بما فيها الجرائد والمجلات والكتب فمن بين 291[5] جريدة كانت

---

(1)-زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص98.

(2)-Belcacen Alicène, Djaballah, Op-Cit, P60-61.

(3)-Ibid, P59.

(4)-Ibid, P62.

(5)-من بين هذه العناوين: Le monde, Le figaro, L'aurore, Carrefour, L'humanité, Aux Ecoutes, Le parisien.

تدخل الجزائر نزل العدد إلى 261 عنوانا وبررت ذلك بأن هذه العناوين برسالتها الممجدة للاستعمار تلقن الجزائريين كراهية لغتهم وقيمتهم الوطنية.

وإذا أمكن وصف التبريرات ومن تم الإجراءات المتخذة للحد من هيمنة فرنسا وشركائها وصحافتها بالشجاعة فإنها على مستوى قيم الشعب ولغته والخوف على الصحافة الوطنية الناشئة لا تجد لها صدى ومصداقية في الواقع الوطني، وهي ما تثبته الإجراءات المتخذة نفسها، فشركة " Hachette France" ستعود إلى الجزائر بعد أقل من شهر من منعها، وذلك بعد مفاوضات مع "الشركة الوطنية للنشر والتوزيع" ثم الاتفاق فيها على توقيع تعاون في باريس يقضي بالعودة الفورية "لها شيت" والذي وقع مباشرة في 24 فيفري 1966م[1]،مادامت مستوردات " Hachette France" كلها باللغة الفرنسية، ثم إن خفض عدد عناوين الصحف التي كانت تدخل الجزائر بواقع 30 عنوانا فقط من بين 291 عنوان أو تقليل عدد نسخ الصحافة المتواجدة في الجزائر من 433 ألف نسخة إلى 324 ألف نسخة يبقى رمزيا في مقابل خمس يوميات تسحب مجتمعة 227 ألف نسخة[2]، وهو ما يؤدي للحكم على فترة 62- 1975 في الجزائر إعلاميا بانها كانت فرنسية بامتياز لغة وإنتاجا وسوقا واستيرادا... وهو وضع "شاذ" بالتأكيد و"ظاهرة غريبة حقا" كما يقول إحدادن[3].

---

[1]-Belcacem Ahcène Djaballah, Op-Cit, P63.

[2]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص135.

[3]-المرجع نفسه، ص136.

المبحث الثالث: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، حظوة مستمرة

أول جريدة عرفتها الجزائر وعبرها المغرب العربي ككل هي "بريد الجزائر" " Estafette d'Alger"[1] التي أصدرها جنود الاحتلال الفرنسي في تاريخ يسجل فقدان الدولة الجزائرية لاستقلالها وسيادتها في حفل أقامه جنود الحملة الفرنسية وفي مكان له رمزيته الروحية الإسلامية في الجزائر العربية الإسلامية الذي كان قبالة "ضريح سيدي فرج" وظهرت في شكل نشرية في 26 جوان 1830م، ثم ظهرت في شكل جريدة في في عددها الأول في 01 جويلية 1830م، وفي عددها الثاني والأخير في 5 جويلية 1830م[2] وتختفي لتعوض بجريدة أخرى وعنوان آخر، لكنها افتتحت الصحافة التغريبية في الجزائر، حيث ستصدر أول جريدة في الجزائر المستقلة على الإطلاق باللغة الفرنسية بعنوان "EL Moudjahid" وباللغة الفرنسية أيضا والتي ستكون عميدة الجرائد الجزائرية وأكثرهن حظوة على مستوى رقم سحبها، ومساحة توزيعها، وعلى مستوى استئثارها بالدعم التقني والمادي والمعنوي طيلة فترة 62-1988م، قبل أن تتحول الجزائر إلى التعددية السياسية والإعلامية، أين تظهر كثير من العناوين باللغة الفرنسية، وسيكون صحافيوا "El Moudjahid" أنفسهم على رأس الكثير منها لكن برسالة إعلامية جديدة وغير مسبوقة في الجزائر المستقلة..

1-أول جريدة يومية للجزائر المستقلة، باللغة الفرنسية

صدرت أول جريدة يومية جزائرية محضة في 19 سبتمبر 1962م أي بعد أكثر من شهرين -73 يوما- من إعلان الاستقلال في 5 جويلية 1962م، بعنوان عربي مكتوب بالحروف العربية والفرنسية هو "الشعب" "El Chaâb" طبعت في الجزائر العاصمة على مطبعة جريدة استعمارية " Echo d'Alger" بعدما غادرها أصحابها وهدمتها المنظمة الإرهابية الفرنسية "OAS"، فقرر المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني إصلاحها تحت إشراف "صالح لوانشي" الذي عين مسؤولا

---

[1]-وردت في عدد من المراجع بعنوان "courrier d'Alger"، وبالعربية: بـ"ساعي الجزائر" أيضا والترجمة المناسبة لجريدة " Estafette d'Alger" هي "البريد الحربي" لأن مدلول كلمة "Estafette" يذهب تماما إلى هذا المعنى كما تقول نور سلمان، المرجع السابق، ص72.

[2]-انظر: تفاصيل أكثر عن هذه الجريدة في: الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص 18-19.

الجريدة[1]، واستمرت الجريدة بهذا العنوان حتى 1963م، أين تقرر ترجمته إلى الكلمة الفرنسية " Le peuple" هـــذه المرة مكتوبا باللغة الفرنسية فقط، واستمرت الجريدة بهذا العنوان حتى جوان 1965م أيـــن تغير عنوانها مرة أخرى، وتدمج في جريدة استعمارية أخرى، وتطبع على مطابعها وبإدماج عمّالها أيضا فيها وهي "Alger Républicain" الماركسية الأديولوجية وتصدر باسم " Moudjahid El"[2]، فقـــد كانـــت الجريدة الاستعمارية بحكم استعماريتها وملكيتها الخاصة، ورســـالتها القوية وعدد سحبها الكبير 80 ألف نسخة[3]، أكبر يومية في الجزائر ، ومنافس قوي للصحافة الجزائرية الناشئة، وهي معطيات أقلقت الحكومة الجزائرية وتطلب منها وضع حد لها، وهو ما تقرر في المؤتمر الثالث لجبهة التحرير الوطني الذي انعقد في الجزائر في أفريل 1964م، و لم يـــتحقق ذلك فعلا إلا في جويلية 1965م، وصدرت "El Moudjahid" الجديدة باللغة الفرنسية في 5 جويلـــية 1965م بعدمـــا كـــان مقررا صدورها في جوان 1965م، وذلك لموقف الجريدة الاستعمارية من أحداث 19 جوان ومعارضتها ذلك وكان أن توقفت عن الصدور لموقفها[4] وظهرت على مطابعها يومية "El Moudjahid" فيما صدرت على مطابع "Le peuple" يومية أخرى.

وبهـــذا تكون جريدة "Echaab" ثم "Le peuple" ثم "El Moudjahid" وكنها باللغة الفرنسية أول يومية للدولة الجزائرية المستقلة والتي ستحضى بالأولوية والاهتمام باستمرار.

2-خمس يوميات وطنية في الجزائر المستقلة، واحدة منها فقط باللغة العربية

حـــتى أفـــريل 1964م أصـــدرت السلطة الجزائرية خمس جرائد يومية أربعة منها باللغة الفرنسية في مقابل واحدة فقط باللغة العربية، وستملأ المجال الإعلامي اليومي في الجزائر حتى سنة 1974م تـــاريخ صدور ثاني يومية باللغة العربية، لكنها ستكون جهوية أقل سحبا وتوزيعا وأثرا فـــبعد إنشـــاء يومية "Echaab" باللغة الفرنسية، تقرر إنشاء يومية "الشعب" باللغة العربية الذى تأخر تحقيقه حتى 11 ديسمبر 1962[5]، وكانت الأسباب التقنية، وقلة التجربة للصحافة المكتوبة بالعربية خاصة في اليوميات، ثم قلة الكادر اللغوي المدرب في هذا المجال تقف كلها وراء تبرير هذا

---

(1)-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص123.

(2)-زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص 129.

(3)-المرجع نفسه، ص ص128-129.

(4)-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص129.

(5)-M'hammed Rabahi, Op-Cit, p32.

الـــتأخير، وفيم نجد "زهير إحدادن" يركز على هذه الأسباب لتبرير تأخر ظهور الصحافة اليومية باللغة العربية عموما في الجزائر مؤكدا على انعدام توفر جهاز "الليونيت" الذي يعمل باللغة العربية مـــن جهـــة، وبـــتفرغ الأغلبية الكبيرة من الذين كانت لهم خبرة بالصحافة باللغة العربية للعمل السياسي والإداري[1]، نجد "الزبير سيف الإسلام" وقد كان واحدا بين هؤلاء، يؤكد أنه «بالنسبة لجـــريدة الشـــعب لم يكن لنا فيها جهد كبير»، ويقول «فكانت مجموعة من الخريجين الشباب بالمشرق التفوا حولها وأنشأوها وانطلقت في الصدور»[2].

وإذا كانت المسألة تقنية بحتة أو تتعلق بالكادر اللغوي المدرب، فإنه لا يبدو أن يحول دون إصـــدار جريدة باللغة العربية إذا كان الأمر يتعلق بالسيادة واستكمال الاستقلال و لم يكن يتطلب ســـوى شـــراء ما يلزم من الأجهزة والاستعانة بالأشقاء العرب الذين لم يكونوا ليبخلوا في تأطير وبعـــث هـــذه الصحافة لتفوقهم حينها، ومساندتهم للثورة الجزائرية والشعب الجزائري مشهودة وبكـــل الوســـائل قبل الثورة وأثناءها سواء من كان منهم بالمغرب العربي أو بالمشرق العربي أو أصـــدقاء الثورة عبر العالم عموما، والقضية كما هو واضح قضية قرار يؤخذ وإرادة تنفذ، وقد تم بالفعل «الاستعانة بصحافيين من مصر ولبنان»[3] الذين تم بوصولهم تسهيل صدور اليومية العربية الأولى في الجزائر.

وقد صدرت اليومية الثالثة في الجزائر وهي باللغة الفرنسية، وذلك في مدينة وهران، فبعد مغـــادرة صـــحافيي الجريدة الاستعمارية الفرنسية "وهران الجمهورية" "Oran Republicain" وبعـــد عـــام تقريبا من استعادة الاستقلال الوطني، أصدرت الحكومة الجزائرية قرارا باعتبار مقر الصـــحيفة ملكا شاغرا، ويقضي بإصدار صحيفة جزائرية تطبع على مطابعها، وهي التي ستحمل عنوان "La Republique" "الجمهورية" وتظهر في 29 مارس 1963م[4].

أما في قسنطينة، فقد تقرر إصدار جريدة "Annasr" "النصر" باللغة الفرنسية وذلك على مطـــابع ومحـــال الجريدة الاستعمارية "برقية قسنطينة" "La dépêche de Constantine" وقد

---

(1)–زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص124.

(2)–الزبير سيف الإسلام، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص46.

(3)–زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص124.

(4)–زهير احدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص97.

ظهرت في سبتمبر 1963م، وكلف الزبير سيف الإسلام بإنشائها حينها[1].

وفي 14 أفريل 1964م، ظهرت في الجزائر أول يومية مسائية جزائرية، باللغة الفرنسية " Alger ce soir" أيضا والتي سهلت إصدارها عوامل كثيرة، فبعد أن تقرر إصدار جريدة " El Moudjahid" على مطابع "Alger Républicain" وبالتالي إخلاء مطبعة "Le peuple" تقرر إصدار اليومية المسائية على مطابع هذه الأخيرة، وتطلب الأمر تحضيرا طويلا شمل «تكوين صحافيين باللغة الفرنسية عبر ندوات كثيرة وذلك تحت إشراف بعض المختصين من فرنسا»، وكلف المتخرجون بإصدار المسائية اليومية الأولى في الجزائر التي ستحمل عنوان "الجزائر هذا المساء" "Alger ce soir" وذلك في 14 أفريل 1964م[2].

ومن الجدير الإشارة إلى أن ظاهرة إصدار الصحف باللغة الفرنسية قد استمرت في الجزائر، فبالإضافة إلى الجرائد اليومية باللغة الفرنسية، صدرت كثير من الصحف والمجلات الأسبوعية والدورية وبعض المطبوعات المتخصصة أو التابعة لقطاعات رسمية والتي كانت كلها تقريبا تصدر باللغة الفرنسية وكانت تتبع أحيانا بإصدار هذه العناوين في نسخة عربية -أو معربة عن النسخة الفرنسية- فيما بعد، ومنذ أن آلت ملكية المطابع في الجزائر للحكومة وظهرت بناء على ذلك "شركة المطابع الوطنية الجزائرية"[3]، التي كلفت بتسيير جميع المطابع سهلت عملية اصدار المطبوعات بما في ذلك الصحف والكتب ومختلف النشريات الأخرى ويمكن أن نذكر في هذا الإطار:

-مجلة "La Revolution Africaine" الأسبوعية: التي ظهرت باللغة الفرنسية في 02 فبراير 1963م تحت إشراف المحامي الفرنسي: "جاك فرجيس" [4].

-مجلة "El Djeich" الشهرية باللغة الفرنسية التي صدرت في جويلية 1963م ثم صدرت نسختها المعربة في مارس 1964م.

-الجريدة الاسبوعية " Algerie Actualite" باللغة الفرنسية وكانت قد كلفت بإنشائها جريدة

---

[1]-الزبير سيف الإسلام، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، المرجع السابق، ص48.

[2]-زهير احدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص125.

[3]-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص56.

[4]-زهير احدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص125.

"El Moudjahid"[1] وقد ظهرت في أكتوبر 1965م ، ويعتبرها الكثير أهم أسبوعية عرفتها الجزائر. من حيث عدد سحبها الذي بلغ في 1979م 100 ألف نسخة وبلغ اكثر من 200 ألف نسخة سنة 1989م لوحدها، هذا بالإضافة إلى رسالتها الاعلامية الجريئة على قيم المجتمع الجزائري المسلم، سواء على مستوى المضمون [2] أو الفنيات والصور والرسومات المرفقة.

-استمرار جريدة "El Moudjahid" الأسبوعية باللغة الفرنسية حتى 27 جوان 1964م.

3-تأخر قرار وتنفيذ تعريب اليوميتين الجهويتين "النصر" و"الجمهورية"

أربع يوميات وعدد متزايد من الاصدرات باللغة الفرنسية مقابل يومية واحدة، وضع شاذ عاشت عليه الجزائر بين 1962-1972م، ويذهب "زهير احدادن" أنه طيلة هذه الفترة لم يثر قلق المسؤولين ولا احتجاج القراء[3] وهو قول يوجب مراجعته في شقه الثاني إذا سلمنا بأن النشاط الإعلامي وإصدار الصحف إنما هو قرار سياسي أساسا، ومسألة اقتصادية، وإذا علمنا أن نسبة الأمية -باللغة العربية كانت تتراوح بين 75% و80% [4] من الشعب الجزائري وأن اللغة الفرنسية كانت تسيطر على الإعلام والإدارة والسياسة والاقتصاد....ثم وجود جمهور ألف قراءة الصحف الفرنسية لانعدام غيرها وندرتها لا حقا، فضلا عن أن مجهود محو الأمية لما جرى تطبيقه في هذه الفترة إنما قصد منها الأمية باللغة الفرنسية كما يؤكد "زهير احدادن" ...كل هذه الحقائق يبعد أي لوم عن القراء ناهيك عن الحكم عليهم بعدم الاحتجاج، لكن أن تكون نتيجة هذا الوضع أن يسجل عدم رواج اليومية العربية "الشعب" فيبدو من الأمور الطبيعية والتي كان عدد سحبها قليل في الأساس مقارنة بعدد سحب جريدة "El Moudjahid" وكذا جريدة "Alger ce soir" اليومية المسائية كما سنعرض له لاحقا.

وقد يكون قرار تعريب اليوميتين الجهويتين في كل من قسنطينة ووهران الذي اتخذه وزير الإعلام والثقافة حينها "أحمد طالب الإبراهيمي"[5] قد نضج بعد أن بدأت المدرسة الجزائرية تدفع

---

[1]-فضيل دليو، المرجع السابق، ص50.

[2]-وكان من كتابها مصطفى الأشرف، كاتب يسين. وكثير ممن عرفوا بموقفهم السلبي من اللغة العربية أو الدين الإسلامي.

[3]-زهير احدادن، المرجع السابق، ص125.

[4]-نجد ارقاما مختلفة80%-85%-90% في مراجع مختلفة، منها مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص432، محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص21، الزبير سيف الإسلام، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص52.

[5]-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص70.

خريجيها الذين يحسنون القراءة باللغة العربية، وقد يكون قد طرح تزامنا مع بدأ يفرضه التعريب من تغيير سيطرة اللغة الفرنسية على الساحة الجزائرية في كل الميادين[1].

وإذا كانت النصوص الرسمية الجزائرية تقر رسمية اللغة العربية فإنه لا يمكن فهم كيف طرح التعريب كمشكل سياسي والذي لم ينل فيها سوى القرارات والنصوص مع وقف التنفيذ المستمر إلى الآن.

وكانت"النصر" القسنطينية هي الأولى في إجراءات التعريب، التي بدأت في جويلية 1971م واستغرقت مدة ستة أشهر وتم تعريبها خلالها صفحة صفحة حتى ظهر العدد المعرب منها تماما في 3 جانفي 1972م.

وقد تأخر قرار تعريب الجهوية الوهرانية حتى سنة 1976م واستغرقت عملية تعريبها سنة كاملة بعد تعريب صفحة واحدة ثم ست صفحات واستكملت الأربع صفحات المتبقية في 3 جانفي 1977.[2]، لتظهر "الجمهورية" في وهران باللغة العربية لأول مرة ابتداء من ذات التاريخ.

ومع ذلك، فعلى الرغم من تغيير لغة الجريدتين الجهويتين، فإن كلا منهما لم تظهر بالشكل الفني الجذاب، الأمر الذي كان وراء عدم رواجهما وكثرة مرتجعاتهما[3]، ومن ثم انخفاض توزيعهما طيلة الفترة الممتدة من 1972م إلى 1977م بالنسبة لجريدة "النصر" القسنطينية وسنة 1977م بالنسبة لجريدة "الجمهورية" الوهرانية.

وبالإضافة إلى تأخر قرار التعريب للجهويتين والذي يطرح مسألة الاهتمام باللغة العربية في الجزائر في بداية الاستقلال، فإن "صالح بن بوزة" يرد عدم رواج هاتين الجريدتين إلى سياسة التعريب نفسها التي مستهما حيث يؤكد «أن قرار تعريب الجريدتين لم يتم بناء على خطة وتصور واضحين، فقد كان القسم الفني الذي كلّف بتعريبها ما يزال كله لا يتقن اللغة العربية، ورغم الاستعانة بصحفيين وتقنيين من جريدة الشعب في البداية للمساعدة على تعريب كلا الجريدتين، إلا أن هذه البداية كانت سيئة جدا، حيث ظهرت في شكل ترجمة رديئة بسبب مستوى المحررين

---

[1]–لقد مس قرار التعريب قطاع السمعي البصري أيضا وتم تعريب النشرة المصورة في التلفزة الوطنية سنة 1970م والإشهار في 1974م.

[2]–زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص133.

[3]–صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص70.

الذين أسندت إليهم عملية التعريب، مما جعلهم يجتهدون في حدود ما يسمح به ذلك المستوى». ويضيف "بن بوزة" أن الوزارة لم تكتف بذلك، وإنما وضعت على رأس جريدة النصر عند بداية تعريبها مديرا لا يتقن العربية إطلاقا»[1].

وفي غياب المعطيات والدراسات وكذا الأرقام المتنوعة حول الموضوع لا يمكن إلا تسجيل ملاحظة أن الصحافة العربية في الجزائر قبل الاستقلال قد سجلت رواجا كبيرا بين قرائها من الجزائريين خاصة منها صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كانت تهتم في إصدارها بالمضمون أساسا وبالإخراج أيضا، ويبقى السؤال مطروحا عن مدى اهتمام الجزائريين بمسألة الإخراج في الفترة المذكورة الموصوفة بانتشار الأمية عموما من جهة، ثم مدى اختلاف الاهتمام بالإخراج في الصحف المكتوبة باللغة الفرنسية والمكتوبة باللغة العربية، ما دامت كلها صحف عمومية ووطنية، وكان من المفروض أن تجلب الاهتمام نفسه مضمونا وإخراجا.

4-بين الصحافة المكتوبة بالفرنسية والمكتوبة بالعربية في الجزائر، تكوينا وتدريبا

منذ البداية لم تواجه الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر المستقلة عوائق تذكر كان يمكن أن تحول دون انطلاقها وسرعة رواجها وطنيا، فالحديث عن ظروف وصعوبات الاستقلال في المجال الإعلامي تكاد تحيط بالصحافة المكتوبة باللغة العربية حصريا، تضاف إليها مجموعة الإجراءات التي اتخذت في اتجاه الاهتمام بالصحافة المكتوبة باللغة الفرنسية عناوين وسحبا وتوزيعا ودعما ماديا ومعنويا مستمرا...دون الصحافة العربية.

فالصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر لم تتطلب استثمارا خاصا ولم تعد هي نفسها كذلك[2]، باعتبار انطلاقها على المطابع الاستعمارية التي اعتبرت أملاكا شاغرة وتم تأميمها، وهو ما ضمن انطلاقتها القوية ورواجها السريع، حتى أنه لم يتطلب سوى تغيير عناوين الجرائد الاستعمارية نفسها إلى عناوين وطنية جزائرية، بل ويتم بالطاقم الإداري والتقني والصحفي الفرنسي بعد إدماجه مع الجزائري مثلما هو الحال لجريدة "EL Moudjahid" بعد قرار دمج جريدة "Alger Républicain" بمحلها وطاقمها وعمالها.. [3]. وكذا الأمر بالنسبة للجرائد التي

---

[1]-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص71.

[2]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص125.

[3]-المرجع نفسه، ص129.

صدرت بالجزائر العاصمة أو تلك التي تم إصدارها في قسنطينة ووهران حيث صدرت جريدة "Algérie ce soir" على مطابع جريدة "Le peuple" وجريدة "Ennasr" مكان "La dépêche de Constantine" وجريدة الجمهورية مكان "Oran Rpublicain" كما رأينا.

أما الجرائد المكتوبة بالعربية فقد عانت منذ البداية من انعدام المطابع باللغة العربية أو قدم ما وجد منها –في النادر- وهو ما اضطر المسؤولين إلى شراء عدد قليل منها أو تحويل مخازن الحروف لبعض الآلات الموجودة منها من الفرنسية إلى الحروف العربية، ومن المفيد الإشارة إلى وجود عدد من المطابع العربية في الجزائر، وقد كان بعضها يعمل حتى بداية ثورة التحرير في 1954م وخلالها ويتعلق الأمر مثلا بمطابع جمعية العلماء التي كانت تصدر منها جريدة البصائر حتى 1956.[1]، وهو ما يطرح مسألة استثنائها من التأميم سنة 1964م، كما أممت المطابع الفرنسية الاستعمارية[2].

وقد كانت هذه المطبعة وغيرها بالصحف التي صدرت عليها وراء النهضة الإعلامية في الجزائر ونهضة الإعلام العربي أساسا[3] أثناء الاحتلال.

وقد عمدت السلطة الجزائرية وهي تأمم الصحافة الاستعمارية وتحويلها إلى صحافة وطنية إلى تدريب وتكوين عدد من الشباب الجزائريين حتى يتولوا مهمة تسيير هذه الصحف وإدارتها، فقد نظمت فترة تدريبية سنة 1964م في مدينة الجزائر وذلك بالتعاون مع وكالة الأنباء التشيكوسلوفاكية استفاد منها (25) صحافيا، وبفضل بعض هؤلاء الكوادر تم التمكن من إصدار الجريدة اليومية "Alger ce Soir"، كما تم تدريب عدد من الجزائريين هذه المرة تحت إشراف مختصين من فرنسا[4]، وهو ما يعني تجاوز مشكل ندرة الكادر اللغوي المدرب في الصحافة

---

(1)-وقد كانت تسمى بالمطبعة الجزائرية التي كانت تصدر منها جريدة البصائر حتى سنة 1956م، وقد أنشأها عبد الحميد بن باديس في 16 أفريل 1925م. انظر:

-محمد خير الدين، مذكرات، المرجع السابق، ص299.

-مفيدة بلهامل، المرجع السابق، ص ص494-495.

(2)-فصيل دليو، المرجع السابق، ص49.

(3)-انظر: عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص ص132-149.

(4)-Zahir Ihaddaden, La presse Algérienne de 1965 à nos jours, Thése de doctorat d'état, Paris, Université de droit, d'économie et des sciences sociales, Paris, 1984, P163.

المكتوبة باللغة الفرنسية، والذي سيتم القضاء عليه تدريجيا بعد إنشاء "المدرسة الوطنية العليا للصحافة" منذ 1964م.[1] والتي كانت لغة التدريس فيها هي اللغة الفرنسية قبل أن يتم تعريبها لاحقا... وفي المقابل لم تستفد الصحافة المكتوبة بالعربية بإجراء تكوين وتدريب كادر صحفي خاص بها لتسهيل مهمة ومن ثم تشجيع إصدار وتسيير صحافة مكتوبة باللغة العربية، واقتصر الأمر حتى سنة 1972م على إصدار "الشعب" الجريدة اليومية العربية الوحيدة في الجزائر المستقلة، الذي لم تتطلب مجهودا يذكر كما يقول "الزبير سيف الإسلام"[2]، والتي سيحدد لها وسط الجزائر فقط لتوزيعها كما سنرى.

ولما تقرر تعريب الجهويتين بقسنطينة ووهران في 1972م، استعرق تنفيذ هذا القرار سبع سنوات كاملة بالنسبة لجريدة "الجمهورية" بوهران رغم أن قرار التعريب قد شمل كلتا الجريدتين في وقت واحد ورغم إتمام ذلك بالنسبة لجريدة النصر خلال ستة أشهر فقط وهو ما يثير التساؤل والغرابة.

وتأتي مسألة الدعم المادي لتزيد من حدة السؤال فيما يتعلق بالتمييز الرسمي الملاحظ بين الصحافة المكتوبة بالفرنسية والصحافة المكتوبة باللغة العربية في الجزائر المستقلة، وتجمع المراجع المعتمدة في بحثنا بأن الدعم المالي قد توجه أساسا إلى الإعلام السمعي والمرئي على امتداد فترة 1966-1978م، حيث لم تستفد الصحافة المكتوبة سوى من 9,76% من مجموع ما خصص للنشاط الإعلامي في الجزائر والذي انخفض فيما بعد إلى 4,16%[3]، فإن الملاحظ أن هذا الدعم قد استأثرت به الصحافة المكتوبة بالفرنسية وذلك بحكم عدد عناوينها التي كانت تصدر منذ 1962م وخلال هذه الفترة سواء في ذلك منها اليوميات والأسبوعيات أو مختلف العناوين للمجلات المتنوعة التي صدرت بالفرنسية، فيم يبقى العمل بالإمكانيات نفسها بالنسبة للصحافة المكتوبة بالعربية، دون أي تجديد أو استيراد أو تدريب حتى أن الجهويتين اللتين تم تعريبهما مع

---

[1]-انظر: نبذة عن هذه المدرسة في الزبير سيف الإسلام، علم الإعلام والسياسات الإعلامية في العالم الثالث، المرجع السابق، ص16. وقد أدمجت في البداية مع المعهد الوطني للتسيير والتخطيط ثم استقلت عنه منذ 1966م، وكان يدرس بها مائة طالب وتضاعف هذا الرقم إلى ست مرات بين سنوات 1989-1990-2000م. انظر:

M'hammed Rabahi, Op-Cit, p18.

[2]-المرجع السابق، ص46-47.

[3]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص132.

نهاية هذه الفترة قد انخفض عدد سحب كل منها بشكل كبير جدا نظرا للغة الرديئة التي ظهرتا بها والتي لم تكن سوى ترجمة ركيكة لما يكتب في الصحف المكتوبة بالفرنسية من جهة ثم لتدني مستوى الإخراج الذي ظهرتا به أيضا مقارنة بالإخراج في الصحف المكتوبة بالفرنسية أيضا، حيث يورد "زهير إحدادن" رقم(11) ألف نسخة فقط بالنسبة لجريدة "النصر" سنة 1972م ورقم 7000 نسخة فقط بالنسبة لجريدة "الجمهورية" سنة 1977م الذي تضاعف إلى 14 ألف نسخة في 1979م.[1]، هذا في مقابل جريدة "El Moudjahid" التي كانت تسحب 203 نسخة لوحدها في الفترة الممتدة بين 1965م و1979م استنادا "لزهير إحدادن" دائما، ولذلك فإن "صالح بن بوزة" يصف إجراءات تنفيذ التعريب في هذه الفترة بأنها كانت في الواقع ضربة للتعريب في حد ذاته[2].

وتعد إجراءات الدعم التقني والمادي المتواصلة التي استأثرت بها الصحافة المكتوبة بالفرنسية على حساب الصحافة المكتوبة بالعربية في الجزائر المستقلة علامة هامة في تمييز الاهتمام الرسمي بينهما، والتي تضاف إلى مسألة الأولوية إنشاء أو متابعة وسحبا، فقد استفادت جريدة "El Moudjahid" من نظام الطباعة عن بعد Tele-im pression Fac-similé منذ 1975م بينما لم يتقرر دعم جريدة "الشعب" به إلا بعد ثلاثة عشر سنة بعد ذلك وكان بتاريخ أكتوبر 1988[3].

وفيما يلي جدول يلخص بعض الإصدارات ورقم سحبها بين سنة 1964م و1989م حسبما تفيد به بعض المراجع المعتمدة في بحثنا.

(1)-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص134.

(2)-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص71.

(3)-فضيل دليو، المرجع السابق، ص51.

جدول رقم (10): ملخص بعض الإصدارات باللغة الفرنسية والعربية وعدد سحبها بين 1964-1989 في الجزائر

السحب عبر السنوات / الجرائد	1964 1965	1969	1970	1972 1973	1974 1975	176	1977	1978	1979	1987	1989
El Moudjahid يومية	40.000	87000	100900	145000	130000 و 151000			203000			
Algérie –Actualité أسبوعية									100000		200.000
الشعب (يومية)	5000 و 15-10 ألف	68000 نسخة يوميا (مجتمعة)							90.000		
النصر (يومية جهوية)			20000	11000	17000		130000			60--70 ألف	
الجمهورية (يومية جهوية)						23000			14000	30--50 ألف	
Horizon (يومية وطنية)										200000	
المساء (يومية وطنية)									50000		100000

1-يعاد في هذه الأرقام إلى:

-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص ص122-136.

-زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص ص98-103.

-فضيل دليو، الصحافة الجزائرية بين الأصالة والاغتراب، مرجع سابق، ص ص49-51.

5-سياسة توزيع الصحافة الجزائرية وموقع الصحافة المكتوبة بالفرنسية منها

توزيع الصحافة يكمل حلقة الوصل بين الصحافة والقراء، وتعد هذه العملية معيارا أساسيا للفصل بين مسألة الاهتمام بوجود الصحافة وبين تمكين القراء منها بضمان وصولها إليهم فعلا، وبالرغم من انعدام الإحصائيات الدقيقة في فترة الستينيات والسبعينيات للصحافة في الجزائر إلا أن حجم السحب للجرائد بشكل عام تغيّر بإطراد باتجاه الزيادة كما تؤكده مختلف المراجع التي اعتمدناها في هذا المبحث.

وقد كانت شبكة توزيع الصحافة والكتاب التي وضعتها سلطات الاحتلال الفرنسي قبل الاستقلال لا تستجيب سوى لحاجات الكولون الفرنسيين والأوربيين عموما والوصول إليهم في كل المناطق التي كانوا يتواجدون فيها دون اعتبار للجزائريين[1].

وبعد استرجاع السيادة الوطنية بقيت خطوط الشبكة على حالها و لم يضف إليها خطوط جديدة إلا بعد منتصف السبعينات وتحديدا في 1976م وذلك بعد أن تم احتكار "الشركة الوطنية للنشر والتوزيع" لعملية توزيع الصحافة والمطبوعات بشكل تدريجي عبر كامل التراب الوطني[2]، والذي تم معه توسيع دائرة توزيع الصحافة الوطنية إلى أقصى المناطق الداخلية في الجزائر، وخاصة منها مدن الجنوب فيها، حيث أصبح يغطي مع نهاية سنة 1975م ما مجموعه 600 بلدية من بين 704 التي تتكون منها كل ولايات القطر»[3].

ومع الأخذبعين الاعتبار لمختلف العوامل التي قد تعيق عملية التوزيع، والتي تتفق فيها الجزائر مع معظم دول العالم الثالث في ذلك الوقت سواء ما كان يتعلق منها بمشكلة الأمية أو ضعف الوسائل المادية المخصصة للتوزيع أو المستوى الاجتماعي، فإن هناك عوامل أخرى تتدخل في عملية التوزيع لتجعل صحيفة ما تصل إلى القراء في مقابل منع صحيفة أخرى من الوصول إليهم، وتتبع هذه الأسباب أساسا من نظرة شركة التوزيع نفسها في قيامها بهذه المهمة، وتتمثل في التوفيق بين طابعها الاقتصادي كمؤسسة تجارية وصناعية وبين طابعها السياسي والثقافي في آن

---

[1]-Belcacem Ahcene Djaballah, Op-Cit, P58

[2]-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص69.

[3]-Idem, P59

واحد[1]، وهو ما يفرضه طابع الإنتاج الصحفي الوطني والأجنبي المستورد والذي يعد سياسيا وثقافيا في أهم جوانبه الرئيسية.

وفي هذه المجال تسجل ملاحظة الحظوة والأولوية التي تلقاها الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر رسميا على حساب الصحافة المكتوبة باللغة العربية ويذكر "بن بوزة" أن مسألة توزيع الصحف تصنف هذه في الجزائر إلى قسمين:

1-الصحف التي يجب أن توزع انطلاقا من الاعتبار السياسي، وتوجهات الدولة.

2-الصحف التي تخضع في توزيعها للنظرة التجارية[2].

وتستأثر صحف الصنف الأول بالأولوية في التوزيع كتوجه تم ضبطه وتقنين أسسه في الجزائر مع نهاية سنة 1976 م وذلك في عقد بين وزارة الإعلام والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، يقضي بضمان إيصال الصحف السياسية إلى الوطن الجزائري كله، على أن يتم ذلك بالشكل التالي:

أ-يومية "El Moudjahid" توزع في كامل التراب الوطني وفي اليوم نفسه من صدروها.

ب-يومية "الشعب" باللغة العربية توزع في منطقة الوسط الجزائري يوم صدروها وتوزع في الشرق والغرب الجزائري بعد أربع وعشرين ساعة أي بعد توزيع كل من جريدة "النصر" و"الجمهورية" في مناطق صدروهما.

جـ-توزع جريدة "النصر" في منطقة الشرق الجزائري و"الجمهورية" في منطقة الغرب الجزائري.

وتتضح الأولوية التي حضيت بها الصحافة المكتوبة بالفرنسية عبر جريدة " El Moudjahid" اليومية من خلال عدد السحب الذي بلغ 203 ألف نسخة لوحدها فترة 1965-1978م، وهو ما يعادل حينها ثلثي الصحافة الوطنية مجتمعة بما فيها المكتوبة بالعربية والفرنسية ثم من خلال أولويتها في التوزيع عبر كامل القطر الجزائري والذي تتولى ذلك الشركة العمومية

---

[1]-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص66.

[2]-المرجع نفسه، ص68.

"للنشر والتوزيع" عبر شبكة خطوطها والتي تمثل الخطوط الجوية الجزائرية واحدة منها[1]، لضمان إيصالها إلى أقصى مناطق الجنوب الجزائري ومن ثم لكل المواطنين الجزائريين عبر توزيعها على مستوى كل الأكشاك ومناطق بيع الصحافة المختلفة فيم تحدد الجريدة اليومية العربية "الشعب" أولا من حيث عدد سحبها نظرا لإمكانياتها البسيطة وغير المدعمة ثم بمنطقة توزيعها حصريا في الوسط الجزائري ثم في اليوم الموالي من صدورها في الشرق والغرب لضمان توزيع الصحافة الصادرة هنا وهو ما يعني أنها لن تصل إلى القراء إلا بعد أن تموت إعلاميا، بعد أن سبقت بـ" EL Moudjahid" أساسا ثم بالجرائد الجهوية ثانيا.

ونخلص عبر هذه الإجراءات إلى تأكيد الموقع المميز الذي حظيت به الصحافة المكتوبة بالفرنسية رسميا في الجزائر المستقلة وذلك عبر جريدة "El Moudjahid" وغيرها التي ما فتئت السلطة الجزائرية تقويتها منذ إنشائها الأمر الذي دفع إلى «وصفها في الأوساط الإعلامية بالصحيفة الناطقة باسم النظام إلى" جانب التلفزيون" كما يقول بن بوزة»[2].وقد أثبتنا أنها كانت الأولى في الظهور قبل الصحف العربية، وأول جريدة يومية، والأسبق من حيث الدعم الرسمي المادي والمعنوي والتقني، والأولى من حيث عدد السحب، ثم هي الوحيدة التي يفرض رسميا توزيعها عبر كامل التراب الوطني ومنع اليومية العربية من ذلك، مما يدفع بالتالي إلى القول أن الرسالة الإعلامية الرسمية في الجزائر تصاغ باللغة الفرنسية وتصل إلى الشعب باللغة الفرنسية،ـ وحيث أنها تصل عبر عنوان الثورة "El Moudjahid" باللغة الفرنسية فإن دلالة فعل الجهاد وهدفه وآفاقه ورمزيتها في الجزائر وبخصوصيتها الحضارية والثقافية –واللغوية- مما يطرح أكثر من تساؤل !

وتجدر الإشارة من جهة أخرى إلى أن استمرار توزيع الصحافة الفرنسية المستوردة في الجزائر مع الازدياد المطرد للصحافة الوطنية، وقد استأثرت به الصحافة المكتوبة بالفرنسية كما رأينا، وإذا كان يهدف نظريا إلى نوع من التوازن بين الإنتاج الوطني والأجنبي في الجزائر، فإن الأرقام في هذا المجال من عدد عناوين الصحف الفرنسية والجمهور الذي كانت تستهدفه ما يضع

---

[1]-يذكر صالح بن بوزة أن عملية التوزيع عبر التراب الوطني تتم بالإضافة إلى الخطوط الجوية بالنسبة للصحف السياسية واليومية وعبر سيارات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، وتتم عادة بالنسبة لبقية الصحف والمجلات وغيرها بوسائل النقل العمومي، وحافلات النقل البري وشركة السكك الحديدية . انظر: المرجع السابق، ص69.

[2]-المرجع نفسه، ص68.

السياسة الإعلامية والثقافية وكذا اللغوية في الجزائر على المحك حتى نهاية السبعينات على الأقل، فرغم القرار الذي اتخذ في 1975م والقاضي بتخفيض حجم توزيع الصحافة الفرنسية في الجزائر، فإن هذه الأخيرة تبقى سيدة الموقف منذ الاستقلال كما يقول بن بوزة[1]، حيث يتضح أن كل الصحافة الخاصة بالأطفال والرياضة وكذا الأغلبية الساحقة من الصحف النسائية يبقى مصدرها فرنسا، ويقدم "زهير إحدادن" أرقاما لسنتي 1966-1967م لعدد ما كان يستورد من فرنسا على التوالي 1055 و 800 عنوانا[2]، وهي أرقام ذات دلالة في تشكيل وتوجيه الأفكار وتغيير المواقف وفي غياب الرسالة القوية المنافسة لغة ومضمونا وإخراجا، وفي المدن الكبرى في الجزائر أين تدخل هذه العناوين إلى بيوت المثقفين باعتبار مستوى المعيشة وإتقان اللغة الفرنسية يوضح لنا أنه لا يجب الابتعاد كثيرا عن سؤال من المستفيد من الأزمة التي ستعيشها الجزائر منذ نهاية الثمانينيات إذا علمنا أن الإعلام سياسة، وأن السياسة الإعلامية إنما هي رسالة ثقافية وحضارية بامتياز، وأنه كما قال "فرانسوا ميتران": إن الفرنكفونية ليست هي اللغة الفرنسية فحسب، إذا لم تتوصل إلى الاقتناع بأن الانتماء إلى العالم الفرنكفوني سياسيا واقتصاديا وثقافيا..يمثل إضافة، فإننا سنكون قد فشلنا في العمل الذي بدأناه منذ عدة سنوات[3].

---

[1]-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص73.

[2]-المرجع نفسه، ص73. نقلا عن: زهير بن إحدادن، الصحافة الجزائرية بعد الاستقلال، جريدة الشعب، 1988/6/23.

[3]-نقلا عن: سالم حميش، الفرنكفونية...والفرنسية، المرجع السابق، ص33.

المبحث الرابع: اللغة العربية وقوانين الإعلام بعد 1967م في الجزائر

يبقى القرار الإعلامي اللغوي في الجزائر في حكم المسكوت عنه مع أنه واقعيا كان لصالح اللغة الفرنسية كما بينا وهذا حتى بعد 1967م التي يعدها الكثير الانطلاقة الحقيقية لتنظيم الصحافة المكتوبة، فالقوانين الأربعة التي صدرت في هذه السنة هدفت إلى وضع إطار عام وواضح للأهداف الإعلامية التي تناط بها مهمة المؤسسات الإعلامية ومنها القيام بوظيفة النشر والتعليق انطلاقا من الاختيارات الوطنية التي يصفها "بن بوزة" بتوجهات النظام السياسي في الجزائر[1]، والتي تتعلق بمختلف قطاعات الحياة الوطنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية...الخ، وتكون هذه القوانين قد أنهت العمل واقعيا -دون التصريح بذلك- بالقانون الفرنسي لحرية الصحافة الذي تم التعامل به حتى هذه السنة في الجزائر.

وفيم يؤكد الميثاق الوطني لسنة 1976م رسمية اللغة العربية وضرورة العمل على تعميمها ونشرها وإيلائها المكانة اللائقة بها في مختلف أوجه الحياة الوطنية من جهة، ويضع المؤتمر الرابع لحزب التحرير الوطني في 1979م من جهة أخرى الخطوط الكبرى للسياسة الإعلامية الجزائرية[2]، فإنه لم تتم في ذلك الإشارة إلى كيفيات الاهتمام باللغة العربية إعلاميا تكريس أولويتها واعتمادها فيما يمكن أن يكون تفسيرا وتفصيلا لتوجهات النظام السياسي في هذا المجال، وهو ما يدخل في التناقضات والغموض خاصة بعد الانخفاض المسجل في نسبة الأمية إلى 50%[3] كنتيجة لما بدأت تخرجه المدرسة الجزائرية ممن يقرؤون باللغة العربية وهو ما يعني أن يطرح التعريب كمطلب جماهيري تدريجيا كما يتبين في السنوات اللاحقة.

وفي 6 أفريل 1982م يصدر في الجزائر أول قانون للإعلام[4] وهو الأول أيضا الذي يشير بصراحة إلى اللغة العربية في مادة من مواده، كما يصدر في شهر جوان من نفس السنة التقرير الشامل للإعلام في الجزائر الذي نلخص منه في موضوعنا:

1-يعتبر الإعلام قطاعا استيراتيجيا له مساس بالسيادة الوطنية.

---

(1)-صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص62.

(2)-المرجع نفسه، ص102.

(3)-زهير إحدادن: مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، مرجع سابق، ص130.

(4)-ونشره ديوان المطبوعات الجامعية، والذي سينظم الإعلام بمقتضى القانون الأساسي العام للعامل الصادر في 1978م.

2-إعطاء الصبغة الثقافية للمؤسسات الإعلامية عوضا عن الطابع التجاري والصناعي.

3-الاهتمام بالرسالة الإعلامية قصد تحقيق التنمية بشرط خلق الثقة بين الإعلام والمواطن[1].

وتصرح هذه الخطوط العامة ببلوغ مهمة التحرّر الإعلامي نهايتها جزائريا بداية من ذات السنة ومن ثم العمل على ترجمة الاختيارات الوطنية أو توجهات النظام السياسي في الجزائر عبر الرسالة الإعلامية المحددة بوظائفها التكوينية والتوعوية والتبليغية والتي ستتم بداية من هذا التاريخ عبر مؤسسات جزائرية وطنية آل إليها احتكار النشاط الإعلامي طبعا ونشرا وسحبا وتوزيعا وهو ما يضمن إنجاح الرسالة الثقافية للمؤسسات الإعلامية الوطنية.

1-قانون الإعلام 1982م[2]:

منذ البداية حددت المادة الثالثة من القانون إطار حرية ممارسة الإعلام في الجزائر الذي سيكون «ضمن نطاق الاختيارات الإيديولوجية للبلاد والقيم الأخلاقية للأمة وتوجيهات القيادة السياسية المنبثقة عن الميثاق الوطني والدستور»[3].

وقد تضمنت المادة الرابعة –الوحيدة في كل مواد القانون- إشارة إلى اللغة العربية بوصفها "اللغة الوطنية" في البلاد واكتفت بالدعوة إلى «العمل دوما على استعمال اللغة الوطنية وتعميمها» عبر «نشريات إخبارية عامة ونشريات متخصصة ووسائل سمعية بصرية»[4]، على أن يكون «إصدار الصحف الأخبارية العامة من اختصاص الحزب والدولة لا غير، وتتولاه أجهزة وطنية يتم إنشاؤها وفقا للتنظيم المعمول به»[5]، بما يتصل مباشرة بموضوعها لا غير من جهة وبتوزيع

---

[1]-رهير إحدادن: الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص137.

[2]-يشمل قانون الإعلام لسنة 1982م على 128 مادة موزعة على خمسة أبواب واثني عشر فصلا كمايلي:

-الباب الأول: ويشمل المواد من 1 إلى 32 وتناول في فصلين: المبادئ العامة.

-الباب الثاني: ويشمل المواد من 33 إلى 58 وتناول في فصلين ممارسة المهنة الصحفية.

-الباب الثالث: ويشمل المواد من 59 إلى 68 وتناول في فصلين توزيع النشريات الدورية والتحول والبيع.

-الباب الرابع: ويشمل المواد من 69 إلى 84 وتناول في ثلاثة فصول الإبداعات الخاصة والمسؤولية والتصحيح وحق الرد.

-الباب الخامس: ويشمل المواد من 85 إلى 128 وتناول في ثلاثة فصول الأحكام الجزائية.

[3]-قانون الإعلام 1982م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص3.

[4]-المصدر نفسه، ص4.

[5]-المصدر نفسه، ص6.

الإعلام ذي الأصل الأجنبي في الجزائر باعتبار المبادلات الدولية والمثل الإنسانية ما دام ذلك يتم في إطار الاحترام للسيادة الوطنية واختيارات البلاد من جهة أخرى[1].

وقراءة هذه المواد –لغويا– تبين أن اللغة العربية لا يمكنها أن تحتل من هذا الفضاء الإعلامي الحيز اللائق ولا المكانة المنّوه بإيلائها لها رسميا لا بين النشريات الإخبارية التي تحتل فيها اللغة الفرنسية المكانة والحظوة كما وضحنا، ولا بين العدد الكبير من العناوين الأجنبية التي يسمح بدخولها وتوزيعها عبر التراب الوطني، والتي ستهدد بنوعيتها وإخراجها وكثرتها ورسالتها مكانة اللغة الوطنية في الجزائر واقعا ومستقبلا.

ومع احتكار الدولة لاستيراد وتوزيع النشريات الدورية الوطنية والأجنبية في كامل التراب الوطني، «كما نصت عليه المادة (60) من القانون[2] فإن سهولة دخول الدوريات المتخصصة التي رخص القانون للإدارات والهيئات العمومية وكذا للأشخاص عن طريق الاشتراك والذي لا يتطلب سوى إلى بلاغ مسبق لوزارة الإعلام أو عن طريق المؤسسات الاشتراكية المكلفة بالاستيراد والتوزيع»[3]، وهو ما أدى إلى تغريق السوق الإعلامي الجزائري بالنشريات الأجنبية حتى أصبحت الجزائر سنة 1986م تحتل المرتبة الثالثة مباشرة بعد بلجيكا وسويسرا من حيث استيراد الصحافة –والفرنسية تحديدا–[4].

ولم يكن الترخيص القانوني فقط وراء هذه الوضعية وإنما ما سهلها هو أن ارتفاع سعر البترول في هذه الفترة جعل من عملية الاستجابة لطلبات استيراد النشريات الفرنسية –اللغة المقصودة أساسا باللغة الأجنبية في الجزائر– والتي كانت مسألة "تسجيل وإحصاء" فحسب للعناوين المرغوبة؛ لا تتماشى وحقيقة شروط تخصصها علميا وتقنيا، ومن ثم فهي لم تكن في خدمة المؤسسات العمومية ولا إطارات الدولة بقدر ما كانت تستجيب لرغبة هؤلاء وحتى لرغبة أقربائهم كما يقول "محمد رباح"[5] لكن الأمر لم يستمر طويلا خاصة بعد انخفاض سعر البترول

---

[1]-قانون الإعلام 1982م، المصدر السابق، ص5-7.

[2]-المصدر نفسه، ص24.

[3]-المصدر نفسه، ص25.

[4]-M'hammed Rebahi, Op.cit, P196.

[5]-Ibid, P196.

بعد هذه السنة مما أدى إلى تقليل طلبات إطارات الدولة من الصحافة الفرنسية وتحديدها في بعض اليوميات قبل أن تهجر هذه الأكشاك الجزائرية لتعود إليها بعد مدة من ذلك، والمتابع للعناوين التي يوردها "محمد رباح" للصحافة الفرنسية التي كانت تدخل الجزائر في هذه الفترة[1] وكذا لمضامينها السياسية والإيديولوجية والثقافية، بالإضافة إلى كون كثير منها نشريات إخبارية في الأساس، قد لا يجد صدى للمواد التي نصت في الترخيص لها على ضرورة احترام اختيارات البلاد والسيادة الوطنية، فضلا عن القيم الاجتماعية والسلوكية والحضارية بما في ذلك معاداتها الصريحة للغة العربية والقيم الإسلامية التي تبقى تحت واقع التمييز كنتيجة لكل ذلك حتى هذا التاريخ.

ويضاف إلى كل ذلك الأجواء العالمية التي ميز نهاية الثمانينات وشعارات حقوق الأقليات وحرية التعبير والتفكير والاعتقاد والرأي والترفيه... التي كرستها النشريات الأجنبية برسالة إعلامية مغرية شكلا ومضمونا وأفكار جديدة وجريئة ضد ما تسميه بسلطة الأديان والأخلاق، ومن ثم التجريئ على مناهضتها وتقويضها في البلاد العربية الإسلامية وتقديم الدعم والمساندة لمن يقوم بذلك تحت ذات الشعارات ويقول "محمد رباح" أن الصحافة الأجنبية كانت تسجل المردود الأحسن إذا تضمنت مواضيع تتعلق بالجزائر»[2]. وفي هذا الإطار نذكر أن الصحافة الفرنسية قد قادت حملات مسعورة على السلطات الجزائرية بعد التصويت الديمقراطي بأغلبية ساحقة في ديسمبر 1990م لإقرار استخدام اللغة العربية في الإدارة العمومية والقطاع الخاص، والتي بدأتها السلطات الفرنسية وانساقت إليها حتى الصحف الرصينة مثل جريدة "La Monde" كما لو أن القضية شأن فرنسي داخلي وليس من اختصاص أمة مستقلة ودولة ذات سيادة مما أربك حتى أعتى المناوئين للعربية في الجزائر»[3].

وهذا لا يرقى قرار الدعوة إلى استعمال اللغة العربية الذي يحدد بجزء من مادة واحدة ين 128 مادة من قانون 1982م للإعلام إلى تكريس ذلك في واقع الفضاء الإعلامي الجزائري الذي تملأه الجرائد المكتوبة الفرنسية العمومية والخاصة الوطنية والأجنبية على مستوى الأكشاك وعلى مستوى الإدارات والمؤسسات العمومية ثم على مستوى جماهير المدن الكبرى والعاصمة أساسا

---

[1]-ويورد محمد رباح العناوين التالية: -Paris match, Le canard enchaîne, le Figaro, Le monde, France soir, Le nouvel observateur, Usine nouvelle, Cuisine, Madame Figaro...

[2]-M'hamed Rebahi, Op.cit, P197.

[3]-بن سالم حميش، الفرنكفونية.. والفرنسية، المرجع السابق، ص34.

وهو ما يسجل استمرار المفارقة بين النص الرسمي والواقع المعيش والذي ستكون أحداث أكتوبر 1988م إحدى نتائجه كما اتضح لاحقا.

2-قانون الإعلام 1990م: اللغة العربية تنويه غير ملزم

وبعد ثماني سنوات من صدور أول قانون للإعلام في الجزائر في 1982م صدر قانون الإعلام الجديد في 3 أفريل سنة 1990م[1] ليستجيب للتحولات التي شهدتها الساحة الإعلامية في الجزائر بعد تكاثر الصحف وانفتاح السوق على الإعلام، والتي سيترجم في الوقت نفسه التوجهات الجديدة للسياسة الجزائرية في تكريس التعددية السياسية والإعلامية كنتيجة لأحداث أكتوبر 1988م وخاصة في تجسيد حق المواطن في الإعلام وممارسته له والذي سيدخل هذه المرة تحت عنوان "الحريات الأساسية في التفكير والرأي والتعبير" كما تنص عليه المادة الثانية من المبادئ العامة للإعلام الجزائري من القانون[2].

وتوحي المادة 6 من قانون الإعلام لسنة 1990م بإلزامية استخدام اللغة العربية في الإعلام في الجزائر ونصت على «أن تصدر النشريات الدورية للإعلام العام باللغة العربية ابتداء من تاريخ

---

(1)-يشمل قانون الإعلام لسنة 1990م على 106 مادة موزعة على تسعة أبواب كمايلي:

الباب الأول ويتناول أحكام عامة من المادة 1 إلى المادة9.

الباب الثاني ويتناول تنظيم المهنة من المادة 10 إلى المادة 27 عبر فصلين هما على التوالي العناوين والأجهزة التابعة للقطاع العام، إصدار النشريات الدورية.

الباب الثالث ويتناول ممارسة مهنة الصحفي من المادة 28 إلى المادة 40.

الباب الرابع ويتناول المسؤولية وحق التصحيح وحق الرد ويشمل المواد 41 إلى المادة 52.

الباب الخامس ويتناول النشر والتوزيع والبيع بالتجول ويشمل المواد 53 إلى 58.

الباب السادس ويتناول المجلس الأعلى للإعلام ويشمل المواد من 59 إلى 76.

الباب السابع ويتناول أحكام جزائية ويشمل المواد من 77 إلى 99.

الباب الثامن ويتناول أحكام ختامية ويشمل المواد من 100 إلى 101.

الباب التاسع ويتناول أحكام انتقالية ويشمل المواد من 102 إلى 106.

انظر الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع14 بتاريخ 9 رمضان 1410هـ الموافق لـ4 أفريل 1990م، ص459-468.

(2)-المصدر نفسه، ص459.

صدور هذا القانون»[1]. فما مفهوم ذلك كما تشرحه المواد الأخرى من القانون وهل يترتب على مخالفة هذه المادة حكم جزائي في القانون أم لا؟ وهل تشمل كلمة الإعلام في هذه المادة الإعلام المكتوب والسمعي البصري ثم ما موقع الإعلام ذي اللغة الأجنبية والفرنسية تحديدا في المجال الإعلامي الجزائري؟

لما عرفت المادة 59 من القانون المجلس الأعلى للإعلام الذي تم استحداثه فيه بنص ذات المادة أسندت للمجلس ثلاثة عشر مهمة يتولاها المجلس بهدف احترام وتطبيق قانون الإعلام الجديد بوصفه «سلطة إدارية مستقلة ضابطة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي»[2]، فهو يضمن ويشجع ويسهر على إتقان التبليغ والدفاع عن الثقافة الوطنية، يحدد، يبدي رأيه، يمارس صلاحية المصالحة في حالة النزاع، ويسلم الرخص، وتتحدد مهمته فيما يتعلق باللغة العربية في «السهر على تشجيع وتدعيم النشر والبث باللغة العربية بكل الوسائل الملائمة» وأول ما يفهم من هذه المهمة هو عدم إلزامية استخدام اللغة العربية وإنما التشجيع على استخدامها وتدعيم ذلك بالوسائل الملائمة، ويؤكد هذا الفهم أنه لا يترتب على مخالفة نص هذه المادة أي حكم جزائي[3].

وتولّت المادة 15 من القانون شرح مفهوم النشريات الدورية للإعلام وتصنيفها، فهي كل الصحف والمجلات بكل أنواعها والتي تصدر في فترات منتظمة وتصنف إلى قسمين:

1-الصحف الأخبارية العامة وتعنى النشرية الدورية التي تشكل مصدرا للإعلام حول الأحداث الوطنية أو الدولية والموجهة إلى الجمهور وهو ما نصت عليه المادة 16 من القانون.

2-النشريات الدورية المتخصصة وتعني النشريات التي تتعلق بموضوعات خاصة في ميادين معينة كما تشرحه المادة 17[4] من القانون.

أنه ابتداء من المادة 6 نفسها التي دعت إلى استخدام اللغة العربية تحد من ذلك واقعيا باستدراكها «بأنه يمكن إصدار النشريات الدورية المخصصة للنشر والتوزيع الوطني أو الدولي

---

[1]-الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع14 بتاريخ 9 رمضان 1410هـ الموافق لـ4 أفريل 1990م، ص460.

[2]-المصدر نفسه، ص465.

[3]-يرجى مراجعة الباب السابع من القانون الذي يتناول الأحكام الجزائية، المصدر نفسه، ص ص466-467.

[4]-انظر نص المادة: 15، 16، 17 في المصدر نفسه، ص461.

وكذا النشريات المتخصصة باللغات الأجنبية بعد استشارة المجلس الأعلى للإعلام»[1].

ومن جهة أخرى يرخص القانون استيراد النشريات باللغات الأجنبية وكذا نشرها وتوزيعها وحتى بيعها بالتجول عبر التراب الوطني، وذلك بعد طلب تصريح مسبق لدى البلدية المعنية كما تفيد المادة 54 من القانون ويتم ذلك بعد استشارة المجلس الأعلى للإعلام أساسا وخاصة فيما يتعلق بالترخيص باستيرادها موضوع المادة 57[2].

ولم يحدد القانون اللغة أو اللغات الأجنبية المقصودة في مواده إلا أنه من الطبيعي واقعيا أن تكون اللغة الفرنسية- المقروءة من كثير من الجزائريين- هي المقصودة في الأساس ثم تأتي اللغة الإنجليزية بعد ذلك بصفة أقل ثم بقية اللغات التي تدرس قانونيا في الجزائر عبر ثانويات أو جامعات بعض المدن الكبرى.

وقد استثنى قانون الإعلام لسنة 1990م الإعلام المكتوب من التكفل باستعمال اللهجات الشعبية الجزائرية على أن تتولى ذلك الوسائل السمعية والبصرية التابعة للقطاع العام، وذلك قصد بث الثقافات الشعبية عبر تلك اللهجات كما تقول المادة 13 للتبليغ وترسيخ الوحدة الوطنية والقيم العربية الإسلامية في المجتمع الجزائري، أما كيفيات تطبيق هذه الإجراءات فيحدد عن طريق التنظيم كما تنص عليه ذات المادة[3].

وقد تكرسّ هذا التوجه واقعيا في الإعلام السمعي البصري رسميا في الجزائر، إلا أن هناك مطبوعات ظهرت باللهجة القبائلية أيضا أصدرها حزب الطليعة الاشتراكية كنسخة لجريدة " Alger Républicain" الفرنسية وذلك في سبتمبر 1989م ووصفها "محمد رباح" بالمرة الأولى في الصحافة الوطنية[4]، لكنه لم يذكر إذا كان ذلك قد توقف بعد ذلك أم لا وخاصة بعد التطورات والتعديلات الدستورية في 1996م.

ويبقى تفعيل النص بالزامية استعمال اللغة العربية في الإعلام المكتوب مسألة مرهونة بجدية القائمين بالعملية الإعلانية بداية من تكريس هذا الاختيار السياسي والثقافي بالعمل على أن تظهر

---

[1]-الجريدة الرسمية، ع14، 1990م، المصدر السابق، ص460.

[2]-المصدر نفسه، ص464.

[3]-المصدر نفسه، ص465.

[4]-M'hammed, Rebahi, Op.Cit, PP32-33.

النشريات باللغة العربية بالعدد الكافي الذي يستجيب لعدد القراء، ثم بالتنوع في المجالات التي تشمل انشغالاتهم العلمية والثقافية والإخبارية والفنية... وغيرها ثم خاصة بالمستوى الجذاب الذي يستقطبهم حتى يحد من المنافسة القوية للنشريات التي تصدر باللغة الفرنسية –تحديدا- سواء منها الوطنية أو الأجنبية والمستوردة التي أصبحت تملأ الفضاء الإعلامي الجزائري وتغرق السوق وتهدد بذلك الصحافة العربية واللغة العربية في الجزائر أيضا.

وتشهد مرحلة التسعينات التي ميّزها ظهور عدد كبير جدا من الإصدارات الوطنية بطريقة لم يسبق لها مثيل في كامل الوطن العربي الإسلامي حيث بلغ ما ظهر منها فقط بين 1989-1991م 140 جريدة، فقد ميزها أيضا التمييز المفرط في التعامل الإعلامي لصالح الجرائد المكتوبة بالفرنسية حسبما تشير إليه بعض الدراسات سواء كان الدعم مباشرا أو غير مباشر على حساب الجرائد باللغة العربية، وكان من الدعم المالي لجريدة "El Watan" مثلا أن كانت عائداتها الإعلانية لسنة 1993م تعادل عائدات بيعها التي كانت تبلغ حينها 125 ألف نسخة يوميا في ذات السنة، وذلك ما لم يتحقق لأي من الجرائد العربية والتي كانت تفوقها سحبا في الفترة نفسها[1]، ومع الزيادة المطردة لعناوين الجرائد وتنوعها، تسجل الصحف المكتوبة منها باللغة الفرنسية السبّق في العدد وطول الحياة فيم تضطر العناوين العربية إلى الاختفاء بسبب الضائقة المالية أو الديون أو طلبا للسلامة بعد الحجز والمصادرة إلى الأبد، كما سنحثه لاحقا.

وتعد الإشهار بالنسبة للصحافة المكتوبة بمثابة العمود الفقري لضمان حياتها واستمرارها[2] وعدم تنظيمه في الجزائر رسميا، بالتمييز بين الجرائد في الاستفادة منه يجعل مسألة الحرية الإعلامية على المحك، حيث سيحصر نجاح وانتشار أي جريدة تستفيد منه في المجال المادي فقط ولا علاقة له بالوظيفة الثقافية والإعلامية... التي تناط بها عادة الصحافة المكتوبة، وأن تحصر بالوظيفة السياسية كما يحدث في كثير من الأحيان تتحوّل بالدعم عن طريق الإشهار مسألة نفوذ فحسب.

وقد كان موضوع الدعم الرسمي لبعض العناوين خاصة عن طريق الإشهار والذي تضررت منه كثير من الجرائد العربية خاصة، وراء ظهور مؤشرات تنحو إلى تقديم قانون جديد للإعلام

---

[1]-فضيل دليو، المرجع السابق، ص52.

[2]-يرجى الاطلاع على موضوع الاشهار في الجزائر بين 1992-2001م في

M'hammed Rebahi, Op.cit, PP101-108

يتناول هذا الجانب بالتنظيم المناسب، خاصة وأن قانون 1990م اكتفى بالإشارة إلى إفراد موضوع الإشهار بقانون خاص لاحقا[1] ولكنه لم يتحقق ذلك وهو ما دفع البعض إلى القول بأن قانون 1990م قد كرس الانحراف بدلا من القضاء عليه بتنظيمه لصالح الاختيارات الوطنية الرسمية.

وبدأت تصريحات رسمية تصدر في اتجاه مراجعة قانون الإعلام بداية من حكومة "بلعيد عبد السلام" في 1992-1993م[2] وبعدها حكومة "أحمد أويحيى" في 1997م التي انتهت إلى اعتماد مجلس الوزراء لمشروع خاص بالإشهار في 28 فيفري 1999م، الذي من شأنه رفع احتكار شركات الإشهار العمومية على سوق الإشهار لكن المشروع رفضه مجلس الأمة في دورة جوان 1999م.[3]

ويبدو أنه منذ 1992م قد تغيرت كثير من المعطيات في الساحة الإعلامية الجزائرية وخاصة بعد أن أصبح لعدد كبير من الجرائد باللغة الفرنسية مطابعها الخاصة وهو ما يعني تحررها من قبضة التهديد المالي الذي يسببه موضوع الإشهار، وانتهت سنة 2001م بتصريحات رسمية حول التحرير الكامل لسوق الإشهار، حيث لم تعد "الشركة الوطنية للإشهار" تملك منه سوى 25%[4].

---

[1]-انظر المادة 100 من قانون الإعلام 1990م، المصدر السابق، ص468.

[2]-حسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المرجع السابق، ص28.

[3]-M'hammed, Rebahi, Op-Cit, P107-108.

[4]-Idem.

المبحث الخامس: الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر التعددية بين الكتابات الفرنسية والجزائرية

1-المهمة الجديدة، من النضال اللغوي إلى النضال الديمقراطي فرنكفونيا

مصطلح "الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر" الذي اخترناه في بحثنا تسميه الكتابات الفرنسية –والغربية عموما- بالصحافة الفرنكفونية، الذي يعادل مصطلح الفرنكفونية فيه مصطلح الاستعمار الجديد بكل أشكاله ووسائله وأهدافه وهو الذي سيتحاوز منذ فترة الثمانينات وفي المنطقة الإسلامية عموما ومنطقة المغرب العربي خصوصا، مهمة النضال اللغوي إلى نضال جديد بعد إقرار التعددية في الجزائر، وبعد أن أصبحت نتائج ذلك النضال تكوّن إحدى زوايا المشهد التعددي الجديد فيه سواء منه السياسي والثقافي والإعلامي وحتى اللغوي...وأضحت تلك النتائج مكتسبات واقعية وملموسة تستدعي المرور إلى المراحل الأخرى لنيل المزيد ضمن مشروع الفرنكفونية المتواصل.

وقد تحوّل مصطلح "المغرب العربي" إلى "المغرب الفرنكفوني" لغويا في الكتابات الغربية[1] وذلك رغما عن الجغرافيا والتاريخ والحقيقة والعلم، وأصبح الانتماء الجغرافي للمنطقة يحسب على البعد المتوسطي الأوحد فيها بدلا من البعد العربي الإسلامي ليتماشى مع الملفات الكبرى التي ستناط الصحافة الفرنكفونية بتحقيقها في المنطقة في المرحلة الجديدة.

ويمكن تلخيص هذه المهمة الجديدة في قيادة الانتظام في الحياة العالمية أي في الحضارة الأوربية الغربية فكرا وثقافة وسلوكا فقط على غير ما تعنيه الحضارة من التقدم التكنولوجي، والأمن الغذائي، والتقدم العلمي المتنوع في شقها الحقيقي، ولن يتم تحقيقه سوى باللغة الفرنسية في هذه المنطقة، وتتحول من ثم مهمة الصحافة الفرنكفونية من النضال اللغوي لصالح اللغة الفرنسية –وقد نجح- إلى مهمة النضال الديمقراطي فرنكفونيا أيضا هذه المرة.

ويؤكد "جيل كرامير" "Gilles Kraemer" وهو من أهم المنظرين للصحافة الفرنكفونية في المغرب العربي والشرق الأوسط أن الصحافة الفرنكفونية تأتي في طليعة عملية دمقرطة الدول

[1]-Bergros Asgeirsdottir, La francopho nie dans les pays du Maghreb, Le Maroc, L'Algérie, La Tunisie, Université d'Island, 2000, P2.

نقلا عن موقع: http:// www. ifi.fr/

المعنية[1]، ويعتقد الكاتب أن هذه الدول تعيش مرحلة إعادة تركيب جديدة "Recomposition" في مرحلة التعددية وهو ما يمثل فرصة مواتية للصحافة الفرنكفونية لقيادة عملية الدمقرطة ضمن المفاهيم والقيم الغربية، وتبقى اللغة الفرنسية عنده حصريا –الكفيلة بمصاحبة وتحقيق عملية التغيير في المنطقة لأنها وكما كانت دائما –كما يرى الكاتب وغيره من المنظرين أمثاله–، هي نافذة الحداثة والمعرفة، فهي تكوّن، وتربي الشعوب وتصطلع بدور اجتماعي كبير[2].

وبالرغم من التراجع الواقعي الذي تسجله اللغة الفرنسية أمام المد الانكلو-أمريكي الزاحف، حتى داخل فرنسا نفسها مما دفع حماتها إلى التنبيه إلى مخاطر اندثارها وتفككها من جهة[3]، ثم واقع اصطفافها بعيدا وراء اللغة اليابانية والصينية والانجليزية من حيث الفتوحات والاكتشافات العلمية الجديدة في عالم الإلكترونيات وتقنيات الفضاء وغيرها التي لم يكن موقعها فيها سوى الترجمة، تبقى نغمة الوثوقية المكابرة لدعاة الفرنكفونية –اللغوية– وحماتها تسجل المفارقات الأكثر غرابة[4].

ولما كانت الفرنكفونية وهي عنوان الاستعمار الجديد مسألة قرار استعماري وبالتالي قضية قوة ونفوذ... فإنها تستهدف الدول المعنية بالدمقرطة كما تصنّفها هذه المرة تحت شعارات الحريات العامة، وحقوق الإنسان في التعبير والرأي والاعتقاد لكن بالمعاني والمرجعيات الغامضة لتختصر بها وبغيرها، الملفات الكبرى للديمقراطية التعددية، وكان لزاما على أصحابها من شرعته مفاهيمها ووسائلها وآلياتها وأهدافها... وهو ما يستوجب اصطناع حالة الصراع بين أنظمة الدول المعنية بالدّمقرطة من جهة وبين من تكلفهم بأداء مهمة الدمقرطة نفسها، لأن الديمقراطية في هذه المنطقة لا علاقة لها بالإنسان ولا بالزمن، فلا هي من صناعة شعوب المنطقة، ولا هي حالة تراكمات ثقافية واجتماعية واقتصادية... كما هو الحال في أوربا، وإنما هي ديمقراطية معلبة، بمواصفات مفروضة من الخارج وقضية تكليف متعاملين من الداخل ومسألة ضغوط متنوعة

[1]–حين يتحدث "Gilles Kraemer" عن الدول المعنية بالدمقرطة فرنكفونيا فإنه يذكر: الجزائر، تونس، المغرب، تركيا، فلسطين، لبنان، مصر، ضمن دول حوض المتوسط انظر:

Gilles Kreamer, La presse francophone en Méditerranée, Maisoneuve et larose, servedit, 2002, P2 نقلا عن موقع: http:// www. ifi.fr/

[2]-Gilles Kraemer, Op-Cit, P2-3.

[3]–بن سالم حميش، المرجع السابق، ص38.

[4]–للإطلاع على الموضوع، ينظر: المرجع نفسه، ص ص39-44.

ومتواصلة حتى ولو بلغت إلى الصراع الدموي حين تواجه بالرفض من المعنيين بالتغيير على الشكل الذي تريد.. لأنها ببساطة هي استعمار جديد.

ولما لم تكن الشعارات كافية للتشجيع على هذا السير في هذا التغيير، وتجنبا لنتائج الرفض غير المحسوبة منذ البداية، تعمل آلة الدعاية الفرنكفونية وهي تصنع واقع الصراع بأن تجعل المكلفين بقيادة الديمقراطية عبر الصحافة الفرنكفونية في الجزائر ومنطقة المغرب العربي... طلائع لدعاة الحرية، والباحثين عن الحقيقة، والمنفتحين على العالم، والرافضين للتقوقع والتخلف ووصفهم بالنخبة الوطنية وهي صفات تضعهم مباشرة في مواجهة أنظمة حكوماتهم، واضطهادها لأن هذه الأنظمة متهمة عندهم برفض الانفتاح والتقدم واضطهاد حقوق الإنسان والأقليات، وهذه تهم تكفي بواحدة منها أن تثير كل المجتمع الدولي للتدخل لفرض العدالة التي يراها ويضبط الأمور في إطارها المحدد دوليا.

وحين يتحدث "كرامير" "Kraemer" عن الجزائر يقول «بأن الصحافة الفرنكفونية يمكن أن تقلق السلطة الجزائرية وتثير حفيظتها لأنها تمثل رمز التقدم والانفتاح على العالم، فالاطلاع على اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية في الجزائر يصبح مؤشرا لرفض التقوقع في دولة لم تدخلها أية جريدة منذ خمس سنوات»[1](*).

ومع الاعتقاد في نجاح النضال اللغوي الذي قادته الصحافة الفرنكفونية في الجزائر منذ الاستقلال بدليل الخطوة المستمرة التي استأثرت بها اللغة الفرنسية رسميا وفي مختلف المجالات وفي المجال الإعلامي على وجه الخصوص كما أثبتنا سابقا، وكان من نتائجه أن أصبحت الجزائر تعيش وضعا شاذا إعلاميا –كما وصفها "زهير إحدادن"–[2]، مع غموض مصير التعريب حتى الآن

---

[1]-Gilles Kraemer, Op-Cit, P2.

(*)-إن هجرة الصحافة الفرنسية للأكشاك في الجزائر في الفترة التي يتحدث Graemergie كان مرده إلى انخفاض سعر البترول في نهاية الثمانينات فأثر ذلك على سوق الإعلام الجزائري باتجاه قرار التقليل أو منع الاستيراد ومن ثم فإن ذلك القرار لم يكن له علاقة بمبدأ حرية التعبير ولا باضطهاد الصحافة الفرنكفونية. وللاطلاع على الموضوع يرجى الرجوع إلى:
M'hammed Rebahi, Op-Cit.P79.

[2]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص136.

ولأجل غير معروف[1] حتى أن "كرامير" "Craemer" نفسه ذهب إلى وصف الوضع الجزائري بالمفارقة والتناقض حين تساءل عن جدوى ما قال أنه سياسات التعريب في ظل الحيوية الكبيرة التي تميّز الفرنكفونية في الجزائر، وذهب إلى حدّ التنديد بهذه السياسات التي قال أنها تعيق الفرنكفونية والتي لولاها لكانت المنطقة جميعا فرنكفونية ويستشهد في ذلك بأن الجزائر هي الدولة المتوسطية التي ينتشر فيها أكبر عدد من الجرائد الفرنكفونية، وأن أرقام السحب لهذه الجرائد كانت دوما أكبر من الجرائد العربية[2].

ومع أن هذه اللغة الاستعمارية نفسها تشي بمن يقف وراء فشل ما سماه الكاتب بسياسات التعريب، فإن المغالاة في وصف حيوية الفرنكفونية التي لا يمكن ردها إلى عدد العناوين الفرنكفونية ولا إلى عدد سحبها الذي يرتبط بالنفوذ والدعم المادي ولا علاقة له برسالة إعلامية قوية يتهافت عليها الجزائريون الذي لا يقول به أحد، وفي غياب أرقام المرتجعات لا يمكن التعامل معها إلا في حدود ما يستفاد منها في فهم المهمة الجديدة التي ستناط بها الصحافة الفرنكفونية في المرحلة التعددية، والتي تكون هي نفسها وسيلة تحقيق النجاح في ذلك ومن ثم يفهم ما ذهب إليه "حسن بركة" حين ربط ما يسميه باللوبي الإعلامي الجديد في الجزائر بأنه يعمل لصالح مجموعات الامتياز في الداخل والخارج، وقد لخص وظيفتهم في مرحلة التعددية في محاولة تغيب الإعلام الوطني الإسلامي من الساحة الإعلامية والسياسية، كما نراه حاليا للأسف الشديد كما يقول»[3]

وفيما يشبه التبشير بهذه الصحافة والدعوة إلى قبولها، يقول منظروها بأنها صحافة الحداثة والمعرفة ، وأنها صحافة جديدة ومخالفة تماما لما عرفته دول المنطقة من صحف حتى الآن، فهي على خلاف الصحافة العربية في الجزائر لأن اللغة الفرنسية تسمح للمحررين بالحرية سواء في اختيار المواضيع أو في طريقة تناولها ومعالجتها حتى المواضع الأكثر حساسية في بعض المناطق كالجنس، والدين والدعارة [هكذا] ويستشهد "كراميل" "Craemer" بمسؤول جريدة نسوية مغربية يقول بأن اللغة العربية لا تسمح لنا بالذهاب بعيدا في هذه المواضيع»[4].

---

[1]-آخر مرسوم تشريعي يتناول قانون تعميم استعمال اللغة العربية في 1992م قرر تأجيل تطبيق القانون إلى غاية توفر الشروط اللازمة. انظر: الجريدة الرسمية، ع54، الصادرة بتاريخ 1992/07/15م، ص1487.

[2]-Gilles Graemer, Op-Cit, P2.

[3]-الحسن بركة، أبعاد الأزمة في الجزائر، المنطلقات، الانعكاسات النتائج، المرجع السابق، ص27.

[4]-Gilles Gaemer, Op-Cit, P1.

وبهذا الوضوح تتحدد فتوحات اللغة الفرنسية الحضارية في تغيير المنطقة وقيادتها نحو الديمقراطية والتعددية، والانفتاح على الحداثة والتقدم، وبذلك تصبح الدول والشعوب التي تدافع عن الفضيلة والقيم والالتزام بالدين متهمة بالانغلاق والتخلف في عرف الشريعة الجديدة التي تحمل الصحافة الفرنكفونية حق التعبير عنها ويتعدى ذلك إلى حق التجريئ على تعريض قيم الشعوب المعنية بالدمقرطة بالمفهوم الغربي، إلى الخطر ومجتمعاتها إلى التفكك، أو محاربتها لإرغامها على الإذعان الحضاري القسري، ولا يخفي "كرامير" تنديده بالانظمة العربية والإسلامية حين تمنع في صحفها كل ما يسيء للأديان السماوية كلها وتدافع عن ذلك بمعاقبة من يفعل ذلك، فيصفها "كرامير" بالإجراءات الردعية العنيفة[1].

ولن يتوقف الأمر عند التنديد بما يتعلق بحماة الفرنكفونية، حين تتحول القضية إلى ضرورة حماية هذه الصحافة نفسها ضد أعدائها في الداخل ويعني ذلك ضد الأنظمة والشعوب حتى تصبح عملية الكتابة باللغة الفرنسية نفسها كما يقول "كرامير" «طريقة للحماية من الاضطهاد المحقق وذلك بالاستفادة من التأثير الجيو سياسي الواسع للفرنكفونية، وبالتواجد على الساحة العالمية وتحقيق المكتسبات السياسية والاقتصادية»[2].

وهكذا تتحول الصحافة الفرنكفونية في الدول المعنية بالدمقرطة، العربية الإسلامية- ضحية تستدعي حمايتها من الأنظمة والشعوب التي تدافع عن ذاتها ولغتها وحضارتها وعلى أرضها...

وبين ثقافة الاستخفاف الغربي والفرنسي مثالا عنة في منطقة المغرب العربي، وبين الذوبان الحضاري لصنائع الغرب فيها عبر الصحافة الفرنكفونية، تصنع الديمقراطية في الضفة الجنوبية للمتوسط، حيث لا يتعدى مفهوم الحرية فيها سوى حرية الإذعان، ومفهوم الحقوق سوى حق تقديم الجثث، ويصبح الاستقواء بالفرنكفونية السبيل الوحيد للحرية وللسلام في المنطقة.

2-الكتابات الجزائرية ولغة الديماغوجية ديمقراطيا:

تختصر الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر في كتابات أصحابها عنها[3] مفهوم ووظيفة

---

(1)-Gilles Gaemer, Op-Cit, P2.

(2)-Ibid.

(3)-من هؤلاء:"محمد رباح" في كتابه "La presse Algérienne"،وهو صحفي قديم بجريدة "Alger Républicain"-

كل الصحافة التي عرفتها الجزائر، سواء قبل الاستقلال أو بعده، وتضاف إلى العامل اللغوي – اللغة الفرنسية لغة هذه الصحافة عامل التوجهات الإيديولوجية والسياسية والثقافية...

فكل ما صدر قبل الاستقلال، وباستثناء صحافة الاحتلال وصحافة الأحزاب السياسية المكتوبة بالفرنسية، لا يعرض المنظرون لهذه الصحافة منه سوى إلى جريدة "الجزائر الجمهورية" " Alger Républicain الفرنسية اللغة الشيوعية الاتجاه، التي يصفونها بالجريدة التي ليست كغيرها من الجرائد»[1].

-قبل الاستقلال، وكان مسؤول القسم الرياضي فيها بعد الاستقلال حتى 18 سبتمبر 1965م وهو تاريخ منع الجريدة، سبب معارضتها للتصحيح الثوري في 19 جوان 1965م وكان "محمد رباح" أحد الذين سجنوا بسبب ذلك ثم أطلق سراحه فيما بعد، وحين قرر حزب "الطليعة الاشتراكية" "PAGS" إعادة إصدار جريدته "Alger Républicain" كان "محمد رباح" على رأس جمعية أصدقاء الجريدة التي أصدرتها في سبتمبر 1989م قبل أن يصدر المرسوم الحكومي المتعلق بالصحافة المستقلة، وظهرت الجريدة في ثلاث نسخ بالفرنسية والعربية وكذا بالأمازيغية، وهو ما لم يسبق مثيل له في الجزائر أبدا. انظر:

M'hammed Rebbahi, Op-Cit, P32.

[1]-قصة جريدة "Alger Républicaine" تبدأ مع سنة 1938م حين أنشأها حزب الجبهة الشعبية الفرنسي المعارض في فرنسا وذلك لمعارضة ما كان يوظف حيها بالفاشية، وهو ما يعني أن الجريدة كانت فرنسية الروح والهدف والجنسية والاتجاه واللغة، ولا علاقة لها بالجزائر ولا بالجزائريين، احتفت في 1939م وعادت في 1943م بعد دخول القوات البريطانية والأمريكية إلى الجزائر في 1942م، وقد تحولت الجريدة إلى ملكية الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر – وهو فرع للحزب الشيوعي الفرنسي – وبدأ يهتم منذ ذلك الحين بشؤون الجزائريين بعد انضمام بعض هؤلاء إلى الحزب، ولما اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية. كان للحزب وجريدته- كما يقل "زهير إحدادن"- موقف تخبطي من الاحتلال تحول شيئا فشيئا إلى موقف الحياد مما أغضب عليه السلطات الاستعمارية ودفع إلى قرارها لوقف نشاط الحزب والجريدة، فانضم كثير من أعضاء ومناضلي الحزب وكذا الجريدة إلى جهاز الإعلام والدعاية في الثورة الجزائرية واحتلوا فيها مناصب حساسة.

ظهرت الجريدة بعد 1962م بنفس العنوان "Alger Républicain" ثم احتفت بعد موقفها من التصحيح الثوري في 19 جوان 1965م الذي قرر الرئيس هواري بومدين جزراة الاشتراكية في الجزائر بربطها بالقيم العربية والإسلامية للشعب الجزائري، وتحوّل مناضلوا الحزب الشيوعي الجزائري بعدها إلى النشاط السري مع إصدارهم لجريدة "صوت العرب".

وبعد أحداث أكتوبر 1989م قرر حزب الطليعة الاشتراكية "PAGS" وهو الاسم البديل للحزب الشيوعي الجزائري، إصدار جريدته "Alger Républicain" من جديد وتم له ذلك بعد دستور فيفري 1989م وظهرت الجريدة في سبتمبر 1989م وكان ظهورها متقطعا طيلة فترة 89-1994م إلى أن احتفت نهائيا بعد جوان 1994م بعد ما صدر منها أكثر من ألف عدد، وعزا محمد رابح اختفاء الجريدة إلى أسباب مادية لكنه رجح السبب الحقيقي في الخلاف بين إدارة الجريدة من جهة وهيئة التحرير فيها من جهة أخرى، وذلك حول مسألة الاستقلالية ونوعية الخطاب والرسالة الإعلامية التي تتبناها الجريدة مما أدى على استقيل كثير من صحافييها منها لصدروا عنوان جديدا هو "Le Matin" فيما يبقى عدد منهم وراء ظهور " Alger Républicain" بين الوقت والآخر قبل أن يختفي في جوان 1994م.

انظر هذه المعطيات في: زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص ص128-129.

وكذلك في: .M'Hammed Rebbahi, Op-Cit, PP30-34.

وما صدر من صحف بعد الاستقلال من 1962م إلى 1989م لا يرق إلى وصف الصحافة عند هؤلاء إلا جريدة وحيدة هي جريدة "الجمهورية" "La République" والتي يكمن سر نجاحها وعدد سحبها الكبير الذي بلغ 80 ألف نسخة يوميا، حسبهم في "حرية صوتها وفي مقالاتها النقدية، والتي انتهت كتجربة ناجحة كما يقولون في 1974م بعد أن عربت وتغيّر خطها الافتتاحي، فكان أن خسرت مصداقيتها وخسرت كذلك قراءها كما يقول "محمد رباح"[1].

-أما الصحافة التي ظهرت بعد 1989م وخاصة التي صدرت باللغة الفرنسية باستثناء جريدة الخبر العربية[2] فهي تلخص كل الصحافة الجزائرية عند هؤلاء، لأنها هي الصحافة التي "تعكس الأحداث وهي الصحافة التي تصنع الأحداث «ثم لأن الصحافة الجزائرية التي ظهرت في الجزائر قبل هذا التاريخ لا يمكن أن تدعي أنها ترقى إلى هذه المهمة إلا بعد دستور 1989م، وذلك بفضل الجرائد الخاصة التي «نضيف إليها دون مبالغة وصف المستقلة والحرة»[3].

ومن ثم فإن أهم ما يلخص تعريف الصحافة الجزائرية بعد دستور 1989م أنها هي الصحافة الخاصة والمستقلة والحرة، التي تمثلها في الغالب الصحافة المكتوبة بالفرنسية والتي ميزت الفضاء الإعلامي الجزائري بكثرة عناوينها وبأرقام سحبها غير المسبوقة منذ استقلال الجزائر، ولكن أيضا بخطابها غير المسبوق في الجزائر المستقلة ثقافيا وسياسيا وحضاريا...

وكل وصف من الأوصاف الثلاث –الخاصة، المستقلة– الحرة، لهذه الصحافة يقرر جانبا من جوانبها التي تمحور حولها عنوان التعددية الجديدة في الجزائر فيما بعد أحداث أكتوبر 1988م، فهي خاصة باعتبارها القانوني، حيث أنها غير تابعة للقطاع العمومي بل تابعة لشخص أو مجموعة

---

[1]-M'Hammed Rebbahi, Op-Cit, P10.

وتجدر الإشارة إلى أن حسارة الجريدة لجمهورها تعود إلى الصورة الرديئة التي ظهرت بها بعد تعريبها وإلى سياسة التعريب نفسها التي تمت بها حيث ظهرت في لغة رديئة وترجمة ركيكة وقد وصف ذلك بأنه كان ضربة للتعريب نفسه.

انظر: صالح بن بوزة، المرجع السابق، ص50.

لما تناول محمد رباح الحديث عن الصحف الجزائرية التي جعلها موضوع كتابه تحدث فقط عن عناوين الجرائد المكتوبة بالفرنسية، باستثناء الجريدة العربية الوحيدة التي ذكرها بين تلك العناوين وهي جريدة "الخبر" وقد تناول على التوالي الجرائد التالية: Soir d'Algérie, El Watan, Alger Républicain, Le matin.

كما كان حديثه يتمحور حول بقية العناوين الفرنسية التي كانت تصدر في الجزائر

[2]-M'Hammed Rebbahi, Op-Cit, P9.

[3]-Ibid, P12.

من الأشخاص[1] توفرت به أو بهم شروط قبول إصدار جريدة حسب قانون الإعلام السنة 1990م الذي أصبح ساري المفعول منذ تاريخ صدوره.

وهي مستقلة باعتبارها المادي فهي تموّل من طرف صاحبها أو أصحابها ولا تخضع في ذلك –نظريا على الأقل– لأي جهة سواء الحكومة أو الأحزاب السياسية المعتمدة رسميا إلا باعتبار أداء وظيفة ومهمة الإعلام والصحافة.

–وهي حرة، والحرية هنا– وهي الأساس في تعريف هذه الصحافة، تعني الحرية الإيديولوجية والسياسية تحديدا في توجهاتها واختياراتها وأفكارها التي تتبناها وتعتقد فيها، والتي تعمل عن طريق الصحافة على التعبير عنها وتشجيع انتشارها والتشجيع على قبولها من طرف غير المعتقدين فيها بمختلف الوسائل.

وبهذا فإن هذه الصحافة تحمل خطابا مغايرا للخطاب الرسمي سياسيا وإيديولوجيا وثقافيا... وهو ما يؤكد عليه دوما أصحاب هذه الصحافة حين الحديث عن التحرر من خطاب السلطة، ولا يتوقف الأمر بالحق في الاعتقاد في غيره والتعبير عن هذا الحق وكذا التعبير عن الخطاب المغاير وإنما الحق من معارضة خطاب السلطة ومواجهته أيضا بمختلف الوسائل، عبر الصحافة، القناة المشروعة ديمقراطيا لأداء وظيفة المعارضة ووظيفة الحق في التعبير عن هذه المعارضة من أجل تكريس التعددية. ومن ثم يأتي التفريق بين الصحافة العمومية والصحافة المستقلة الذي يتخذ منحى اعتباري في أحقية وصف الصحافة من عدمه كمعيار عند منظري الصحافة المكتوبة بالفرنسية، فعداها في الجزائر المستقلة «كانت تدور في فلك السلطة تعبر عن خطابها، الخطاب الواحد»[2].

وقد أسندت كثير من المبالغات في وصف الصحافة المستقلة –المكتوبة بالفرنسية– من طرف أصحابها أو ممن كان وراء إصدارها فيما تقوم به من مهام وأدوار وتميز أداءها، حيث وصفوها بـــ: الشجاعة، البطولية، التفاني، التضحية، الاحترافية، التلقائية، الوفاء، الوطنية،

---

[1]–معظم الجرائد الخاصة لديها وصعية شركة محدودة المسؤولية –SARL– وهي الأسهل في الإنشاء حيث يكفي لشخصين ورأس مـــال تقدر بـــ30 ألف دج بإنشائها، وهناك شركات محدودة المسؤولية وذات شخص واحد (EURL) لكن برأس مال يقدر بـــ50 ألف دج على الأقل.

[2]-M'hammed Rebbahi, Op-Cit, p39.

الانفتاح، الإنسانية، التسامح، كما وصف صحافييوها بمبالغات لا تقل عن الأولى –فهم يؤدون في الوقت ذاته واجب الإعلام والكفاح من أجل الحرية والديمقراطية وبأنهم وهم يؤدون عملهم يقومون بالتحدي غير المعقول.

–وأن تفانيهم في أداء مهمتهم مفعم بالرومانطقية، وتحركهم مسكون بإرادة الوصول إلى أعلى مستوى الاحترافية رغم خطورة الوضع...

–وبأن هذه الصحافة الجديدة كانت تواجه عدة جبهات في نفس الوقت: جبهة القتلة، جبهة الرقابة، جبهة التضليل، بصورة مستمرة، لكنها لم تنس في أي وقت ضرورات النوعية باكتشاف واحتلال أدنى فضاء للاستقلالية، والاهتمام بالتقدم التكنولوجي الحديث للاستجابة لما ينتظره القراء...

–وبقيامها بكل ذلك، وفي الوقت نفسه، استطاعت هذه الصحافة أن تحتل الفضاء الإعلامي الجزائري، وتستقطب الجمهور الواسع الذي سيتحرك –فيما بعد– في الأوقات الصعبة للدفاع عنها.. [1].

ويذهب أصحاب هذه الصحافة إلى ربط نجاحها وقوتها وسرعة استقطابها للقراء حسبهم إلى مبالغات أخرى تتمثل في العامل التكنولوجي والاحترافية والتفاني ثم إلى قوة الرسالة الإعلامية التي تعبر عنها وهي عوامل اخترنا مناقشتها وتبين موقع الوجاهة فيها من عدمه.

فقد كان توفر تكنولوجيا الإعلام، وتنوع أجهزتها الحديثة ثم سهولة اقتنائها وانفتاح سوقها خاصة بالنسبة للإعلام أن أصبح في متناول كل من يرغب في إصدار جريدة في أي وقت أن يحقق ذلك في أسرع وقت إذا توفر على الجانب المادي لشراء أجهزتها أساسا.

ومنذ صدور دستور التعددية في الجزائر وقانون الإعلام المكرس للتعددية الإعلامية، شهدت الجزائر ما يمكن وصفه بالانفجار الإعلامي غير المسبوق من حيث عدد العناوين التي ظهرت في وقت قصير ليتحول المشهد الصحفي الجزائري إلى لحظة استثنائية لم يتنبأ بها قبل1988م بالشكل الذي ظهرت به فمن عدد أقل من 20 عنوانا في 1980م.[2] وصل عدد العناوين إلى 48

---

[1]-M'hammed Rebbahi, Op-Cit, pp20-44.

[2]–هي ستة يوميات: اثنتان منها باللغة الفرنسية هي El Moudjahid و Horizon المسائية وأربع باللغة العربية هي:–

عنوانا في 1988م وإلى 74 عنوانا أو 120 عنوانا سنة 1991م استنادا إلى بعض المختصين، ومن رقم سحب 800 ألف نسخة يومية سنة 1988م بلغ في أكتوبر 1991م إلى مليون و437 ألف نسخة يوميا[1] بعد أن أصبح توفر ناسخة الكترونية PAO* وعدد من الحواسيب يكفي لإنشاء جريدة يصل سحبها إلى 50 ألف نسخة في الساعة[2].

وفي الجزائر، ومع توفر هذه الفرصة التكنولوجية للجميع -نظريا- فقد كان المستفيد الأكبر منها هو الصحافة المكتوبة باللغة الفرنسية كما هو واضح من كثرة العناوين التي ظهرت وتنوعها بين اليومية[3] والأسبوعية، الصباحية والمسائية، النسائية والثقافية والعلمية والاقتصادية... وغيرها، لكن الأهم في ذلك استمرارها على عكس العناوين العربية التي لم يستمر الكثير منها واختفى معظمها بعد وقت قصير من ظهورها متأثرا بالضائقة المالية أو طلبا للسلامة في غياب الدعم والمساندة، أو بعد ملاحقات قضائية تنهي حياتها بالمصادرة... إلى الأبد.

فبعد وقت قصير فقط من إنشائها تتحوّل الجرائد المكتوبة بالفرنسية -بالإضافة إلى جريدة الخبر- إلى مؤسسات إعلامية كبرى[4]، تنشئ لنفسها شبكات توزيع خاصة بها تضمن لها توزيع أعدادها عبر كامل التراب الوطني فقد أنشأت مثلا كل من جريدة "El Watan" و"Liberté" "الخبر" و"Alger republicain" شركة توزيع مشتركة هي شركة "Sodif"، ثم أنشأت جريدتا "الخبر" و"EL Watan" شركة "ALDP" خاصة سحبت بضمان توزيع هذه[5].

-الشعب، النصر، الجمهورية، المساء، وستة أسبوعيات ثلاثة باللغة الفرنسية هي: El Hadef, Révolution Africaine, Algérie Actualité، واثنتان باللغة العربية هي: المجاهد الأسبوعي والمنتخب (الرياضي) وواحدة في اللغتين هي المساء المغربي و Le parcours Maghrébin، بالإضافة إلى مجلات المنظمات الجماهيرية التابعة لحزب جبهة التحرير الوطني: الجزائرية، الثورة والعمل، والوحدة، وتضاف إلى هذه العناوين المعروفة، جريدة "صوت الشعب" التي كان يصدرها حزب الطليعة الاشتراكية بشكل غير منتظم وباللغة العربية حين كان لا يزال نشاطه سريا في الجزائر.

(1)-M'Hammed Rebbahi, Op-Cit, pp

* -PAD : Photocomopistion Assistée par Ordinateur.

(2)-Ibid, p10, p21.

(3)-يضاف إلى هذه استثنائيا جريدة "الحقبة" التي صدرت باللغة العربية والتي يحبسها الباحثون على الصحافة الجديدة المكتوبة بالفرنسية على أساس أنها ترجمة لخطابها ورسالتها وتوجهاتها. انظر: فضيل دليو، المرجع السابق، ص53.

(4)-يرجى الإطلاع على رأسمال هذه الجرائد التي تعلنه ضمن معلومات الجريدة على صفحة من صفحات كل عدد منها.

(5)-انظر: M'Hammed Rabahi, Op-Cit, P28.

-تنشئ لنفسها مكاتب فرعية عبر مختلف جهات الوطن وحتى في كثير من الولايات الداخلية والنائية فقد أنشأت جريدة "El Watan" مثلا عشرة مكاتب في كل من تبسة، تيزو وزو، عنابة، قسنطينة، بجاية، بسكرة، الجزائر، وهران، المسيلة، سطيف.

-تتولى إصدار ملاحق متنوعة، وعناوين أخرى، فقد أصدرت جريدة "Liberté" مثلا بداية من 1999م نشريات جهوية، واحدة منها موجهة "لمنطقة القبائل" وأعلنت عن مشاريع لنشر كتب وملاحق لليومية، كما أعلنت عن إنشاء جريدتين أيضا واحدة باللغة الفرنسية والثانية باللغة العربية في جريدة "Libre Algérie" "الجزائر الحرة"[1].

-تعتمد نظام السحب عن بعد لتضمن سحبها في الشرق والغرب.

-تعتمد على الإعلام الجواري بتوظيف عدد متزايد من المراسلين عبر التراب الوطني وكذلك في الخارج، فجريدة "El Watan" مثلا لها مراسلين في كندا وروما وبروكسيل، وفرنسا.

-تدخل عالم الانترنيت وتنال الجوائز، وتلفت إليها المؤسسات الإقليمية والمنظمات العالمية الثقافية والإعلامية والحقوقية التي تشيد برسالتها في مجال حقوق الإنسان الثقافية والدينية وحتى اللغوية وتختارها كنماذج يحتدي بها في هذا السياق وتقدم لها الدعم المادي والمعنوي والعلمي كما سنشرح ذلك فيمايلي.

-ورغم تعرض كثير منها إلى الملاحقات القضائية[2] في شخص مديريها أو بعض محرريها تتعلق ببعض المقالات التي توصف رسميا –بالمهددة للأمن العام، وبكشف أسرار غير مصرح بها، وبالقذف في حق شخصيات عسكرية أو رسمية... يتابع صحافيوها قضائيا لكن الجرائد تبقى في منأى من المصادرة النهائية لتواصل ولا تزال معظمها في أداء مهمتها ورسالتها الإعلامية وخطابها الخاص، ويلخص أصحابها كل ذلك بكل فخر في «مؤشر الحرية وتجاوز التحدي القانوني»[3].

-تحقق أرقام سحب بمئات الآلاف بعد فترة قصيرة من ظهورها فقد مرت جريدة " Le Soir

---

[1]-M'Hammed Rabahi, Op-Cit, P37.

[2]-Abrous et Dilem Convoqués par la police, Liberté 4 Mars 2002, p2.

وكثير من هذه الأخبار توردها هذه الصحف وتصدر بيانات بذلك تحمل فيه على منعها من حرية التعبير.

[3]-M'Hammed Rabahi, Op-Cit, p11.

d'Algérie" من رقم 20 ألف نسخة يوميا في 1990م إلى 150 ألف نسخة يوميا في 1991م ثم إلى 200 ألف نسخة يوميا فيما بعد قبل أن تتحول إلى جريدة صباحية بداية من 2001م.

وبلغ عدد سحب "El Watan" نهاية 1997م أكثر من 70 ألف نسخة يوميا، وجريدة "Horizon" 20 ألف نسخة يوميا بين 1989-1991م وجريدة "Liberté" بلغ أكثر من 40 ألف نسخة يوميا... [1].

وقد أثار هذا التطور السريع أقدم الجرائد الجزائرية وعميدها وهي جريدة"El Moudjahid" للتساؤل حول سر هذه الحيوية الاستثنائية وفي وضع كالذي كانت فيه الجزائر، خاصة وأن رقم سحبها قد انخفض من 300 ألف نسخة يوميا في 1988م إلى أقل من 20 ألف نسخة يوميا فقط في 1991م، ولم يرتفع طيلة التسعينات، ولم تكن جريدة "EL Moudjahid" منطقيا لتعدم الأموال والأجهزة ولا الدعم ولا الاحترافية وإنما لتفرق محرريها على العناوين الجديدة المكتوبة كلها باللغة الفرنسية بعد إقرار التعددية الإعلامية والتسهيلات التي رافقت ذلك رسميا.

-تتجاوز أزمة الورق كما أصبحت تعرف في الجزائر في الوقت الذي كانت فيه الأزمة وراء اختفاء كثير من العناوين العربية.

-تتجاوز مشكلة الإشهار، حتى أن عددا من العناوين المكتوبة بالفرنسية لم يمسها هذا المشكل أصلا حتى قبل أن يعلن عن تحرير مجال الإشهار رسميا[2]. ومن الجرائد التي يذكرها "محمد رباحي" هي: El Watan, Le soir d'Algérie, Liberté, Quotidien d'Oran, Le Matin بالإضافة إلى جريدة "الخبر"[3] التي تحسب على هذه الصحافة في توجهها مع اللغة العربية التي تصدر بها.

وإذا كان "الإشهار" وهو العمود الفقري للصحافة المكتوبة والفيصل في ضمان توازنها المادي ومن ثم في حياة الجريدة أو موتها، حتى أنه يقدم على المادة الصحفية نفسها وراء اختفاء كثير من العناوين العربية، أيضا فيم تبقى العناوين الفرنسية في منأى منه لتحتل المجال الإعلامي في الجزائر، فإن ذلك يؤكد بأن المسألة مادية قبل أن تكون فكرية، ويدعو إلى التساؤل عن حقيقة

---

[1]-يرجى الإطلاع على هذه الأرقام وغيرها في: فصيل دليو، المرجع السابق، ص53-56.

[2]-أعلن ذلك وزير الاتصال والثقافة، السيد محمد عبو، في 2001م، انظر: M'Hammed Rabahi, Op-Cit, p106.

[3]-Idem.

تمكن الصحف المكتوبة بالفرنسية من تجاوز كل القضايا المادية وتضمن استمرارها وتوزيعها وأعداد سحبها التي تتوجه بها إلى جمهورها في الجزائر، وهل القضية ترتبط فعلا بمسألة اقتصاد السوق وقوانينه الجديدة أم هي مسألة دعم انتقائي لتوجهات دون أخرى في الوضع المحلي والإقليمي والدولي الذي تعيشه الصحافة في الجزائر ولا تزال، فقد أشار "محمد رباحي" في حديثه عن المجلة النسائية "Mag 7" التي بلغ عدد سحبها في 1991م إلى 44 ألف نسخة وبنسبة مرتجعات 4% إلى أن الإشهار في هذه المجلة كان كله من فرنسا[1]، ومع غياب الأرقام والدراسات الإحصائية الدقيقة لا يمكن أن نحكم على وصول هذه الجرائد إلى هذا الجمهور من عدمه، فوجود هذه الصحافة شيء ووصولها إلى القراء فعلا شيء آخر.

أما وصف الاحترافية الجديدة الذي ألقى في عالم الصحافة الجزائرية فيما بعد التعددية والذي يصف به منظروا الصحافة الخاصة في الجزائر الصحافة المكتوبة بالفرنسية منها تحديدا كما فعل "محمد رباحي" فإن غموض هذا الوصف وعموميته يستدعي مقاربته من عدة جوانب لعل أهمها:

1-احترافية القائمين على هذه الصحافة، ويعني ذلك الصحافيين الذين يديرونها ويحررونها وقد يرتبط وصف الاحترافية في هذا الجانب بالممارسة الطويلة للصحافة التي تكسب الخبرة في مجال التحرير الإعلامي بقوالبه ولغته وفنياته من جهة، والخبرة في الإلمام بانشغالات الجمهور الذي تستهدفه ومن ثم تجمع بين أداء وظائف الصحافة المختلفة كوسيلة إعلامية، وبين تنوير المتلقي والموضوعية في نقل وتحليل المادة الإعلامية وتقديمها للجمهور بالصورة الأفضل إخراجا.

وفي غياب الدراسات الأكاديمية التي تحدد معاني الاحترافية، وتدرس الصحافة الجزائرية لتؤكد هذه المعاني أو تنفيها يبقى هذا الوصف بعيدا عن الحقيقة في واقع الإعلام الجزائري عموما، علما بأن الأسماء التي أصدرت الجرائد الخاصة المكتوبة باللغة الفرنسية تحديدا والتي يشار إليها بالاحترافية هي الأسماء نفسها التي كانت تسير وتحرر الصحافة العمومية، فالأسماء التي كانت وراء إنشاء صحيفة "El Watan" مثلا 19 منهم كانوا صحافيين في جريدة "El Moudjahid" العمومية، كما سبق وأن شرحنا، وصحافيوا جريدة "Le soir d'Algérie" أكثرهم من جريدة "Horizon" العمومية، بالإضافة إلى أن صحافيي جريدة "الخبر" كان معظمهم من جريدة "الشعب" و"المساء" العموميتان.

---

[1]-M'Hammed Rabahi, Op-Cit, p106.

والغريب أن هؤلاء لما كانوا في الصحافة العمومية قبل التعددية لم يكن يشملهم وصف الاحترافية وعلى العكس من ذلك وصفوا ووصفت كتاباتهم بالرتابة، والخطاب الواحد، وبأنها لا تثير فضول القارئ، وبأنها تنفر القراء، ووصف خطابهم الإعلامي بلغة الخشب والإعلام التلقيني، والديماغوجي وغيرها من الأوصاف حتى أنها لم تعتبر صحافة أصلا لا لغة ولا وظيفة ولا خطابا... وكان مجرد انتقال صحافيي الجرائد العمومية إلى جرائد خاصة أنشئت للتو، وبدأت طريق الممارسة الإعلامية، أصبح هؤلاء محترفين، يكتبون بشكل جديد، مختلف، لم يسبق للجزائريين أن أطلعوا على مثيله في الجزائر، يجذب القراء ويستقطبهم، وتصبح هذه الجرائد الخاصة والمكتوبة باللغة الفرنسية تحديدا- حديث القراء وموقع ثقتهم في الداخل والخارج، وبلغ الأمر إلى أن تكون منهم أنصارا يدافعون عنها لاحقا وقت الأزمات كما يقول "محمد رباح"[1].

وفيما عدا الأسماء التي اكتسبت احترافية المهنة على منابر الصحافة العمومية وعلى رأسها جميعا صحيفة "El Moudjahid"قبل التعددية[2]، فقد انضم إلى الجرائد الخاصة –المكتوبة بالفرنسية- جيل من الشباب لا علاقة لكثير منهم بالمجال الإعلامي ولا الكتابة الصحفية لا تخصصا ولا تكوينا، ومع ذلك فإن منظري هذه الصحافة قد استبدلوا وصف الاحترافية، العائب بصفات لا تقل عنها مبالغة حيث وصفوا هؤلاء الشباب بالمجموعات المجددة في المجال، التي تعوّض عدم خبرتها فيه بإرادة قوية وتفاني منقطع النظير[3].

ولم يطل الأمر بالصحافة -الخاصة- المكتوبة بالفرنسية حتى بدأت تتعرض لانتقادات مختلفة تتناول مستوى أدائها الصحفي كتابة ومصداقية وقوالب صحفية وهي محور ما يتعلق بالكتابة الصحفية وأساسها. وأصبحت هذه القضايا موضوع العديد من الكتابات على صفحات هذه الصحافة نفسها، وكانت بعض هذه الانتقادات تردها من طرف القراء وبعض السياسيين والمتابعين لكتاباتها من داخل الوطن وخارجه وكانت تتفق حول أنها لا ترقى إلا المستوى الذي ينتظره جمهورها منها، حتى أنها تناولت كثرة الأخطاء النحوية واللغوية التي عادة ما تتجاهلها هذه الصحافة وكان ذلك حتى من بعض المختصين الفرنسيين أنفسهم والذين تعنيهم اللغة الفرنسية –

---

[1]-M'hammed Rabahi, Op-Cit, p19.

[2]-فقد تفرق صحافيوا جريدة "El Moudjahid" العمومية على الجرائد: "El Watan" و "Liberté" و "Soir d'Algérie" وكان هؤلاء وراء تسييرها وإدارتها وإطلاقها وكذا تحريرها منذ البداية.

[3]-M'hammed, Rebahi, Op-cit, p27.

لغتهم- حين يتحدث أو يكتب بها الآخر.

فقد نقلت جريدة "El Watan" انتقاد "جون كوشنير" "Jean Kouchner" للصحفيين الجزائريين الذين وصفهم بنقص الخبرة في كتابة المقالات الصحفية[1].

ونقلت جريدة "Le Matin" انتقاد "كريستيان لوكومت" "Christian Lecomte" للصحفيين الجزائريين بعدم الاهتمام بتصحيح الأخطاء الكثيرة التي تستمر في الظهور مع أنه كان بالإمكان عدم وجودها أصلا[2].

وإذا كانت لغة الكتابة، وشكل الكتابة الصحفية نفسها موضع انتقاد المختصين في المجال تكوينا ولغة –فرنسية- وهو ما لا يمكن أن تصمد معه كثير من معاني الاحترافية فإنه لا يمكن الاستمرار في الاعتماد على التغني بشهداء المهنة وفي المقابل التضحية بجدية الكتابة ومصداقية المصادر، وموضوعية الطرح، وهي فقط بعض وجوه الاحترافية في الإعلام الجاد.

2-وبعد دعاوي العامل التكنلوجي والاحترافية، تأتي مسألة الرسالة الإعلامية الجديدة أو الخطاب الإعلامي الذي تتبناه الصحافة المكتوبة بالفرنسية، وتعمل على نشره في الجزائر، لتكون العصر الثالث الذي يبلي منظورها عليه سرّ نجاحها واحترافيتها..

وإذا ما أردنا جمع معطيات هذه الرسالة الإعلامية لابد من وضعها ضمن إطارها العالمي المعاصر، والذي تتم فيه عملية إعادة هيكلة النظام العالمي إيديولوجيا على أسس الديمقراطية والتعددية، ثم تحديدا ضمن مرجعيات هذه الأسس التي ترتبط بموازين القوة فيما بعد نهاية الحرب الباردة.

يقول "محمد رباح": «وعلى المدى البعيد، فالعولمة كما ترجمت بالنسبة للجزائر بالانضمام إلى الاتحاد الأوربي، والمنظمة العالمية للتجارة، تقتضي شروطا فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الإنسان، وهو ما يؤكده الدور المتنامي للمنظمات غير الحكومية على الساحة الدولية مثل "صحافيون بلا حدود" "RSF"، و"الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان "FIDH" و"منظمة العفو الدولية" "Annesty International"، ويمثل ضمانا لحماية الصحافة ضد الإجراءات التي

---

[1]-El Watan, 11 Mai 2000.

[2]-Le Matin, 31 Janvier 2002.

تستهدف منع حريتها»[1].

ولما كانت الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر هي صحافة "المغامرة الفكرية"[2] وهي الصحافة "التي تعكس الأحداث وتصنع الأحداث"[3]، كما ينظر لها أصحابها المحليون وهي قبل ذلك وبعده "محور الديمقراطية"[4]، كما يريدها منظروا الفرنكفونية أيضا في الدول المعنية بالدمقرطة عبر العالم ومنها الجزائر، فإن الأمر يستدعي قراءة مؤشرات الرسالة الإعلامية التي تتبناها الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر ليس فقط من خلال الوظيفة الموكلة لها فرنكفونيا، والتي تقتضي الدعم الذي تقدمه المنظمات الدولية لها دون غيرها –محليا– وإنما أيضا من خلال الدور الذي تقوم به هذه المنظمات لحماية هذه الصحافة تحديدا، ومن ثم حماية الديمقراطية أيضا لما تتماثل أو تتناغم وظيفة هذه الصحافة مع طروحات وأهداف هذه المنظمات.

وقد تكون هذه المؤشرات هي المحددات التي يتباين عندها نوعان من الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر.

أ–صحافة وطنية لا يكون الوعاء اللغوي فيها إلا وسيلة تحقق معنى الانفتاح عبر نافذة اللغة للإثراء الثقافي والعلمي والحضاري، ويقوم بدور مزدوج ففي الوقت الذي ينقل عن أخباره ومواقفه ورؤاه إلى الداخل للاستفادة والاطلاع والإثراء المحلي، يقوم في الوقت نفسه أخبار الداخل ورؤاه ومواقفه إلى الآخر في إرادة منه لتسجيل مساهمته أو تواجده ضمن محفل البشرية وليحقق من ثم معاني الاختلاف والتنوع في الكون عبر مختلف تجلياته، وحينها لا يكون التقدم هناك والتخلف هنا الذي ينحصر غالبا في الناحية المادية إلا أحد وجوه هذا الاختلاف والتنوع.

ب–صحافة مكتوبة بالفرنسية تتجاوز بالوعاء اللغوي حدود معاني الانفتاح على الآخر من كونه نافذة للاستثراء والاستفادة إلى نافذة للتماهي، وذلك بتحويل الآخر إلى حالة داخلية يتم عبرها الدخول في فخ إيديولوجيا الفرنكفونية كما يريدها أصحابها التي لا تتوقف برفض التوجه

---

(1)-M'hammed Rebbah, Op-cit, pp217-218.

(2)-Ibid, p9.

(3)-Ibid, p11.

(4)-Gilles Craemer, Op-cit, p2.

السياسي المتبع في البلد المعني بالدمقرطة والرافض للتغيير[1] -الجزائر في هذه الحالة- وإنما يتجاوزه إلى رفض ومن ثم محاربة وتهديد نظام لقيم والانتماء والخصوصيات التي سارت عليها الشعوب في هذا البلد منذ آلاف السنين.

فالصحافة الخاصة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر مثلا تعلن رفضها الخطاب السياسي الذي تصفه بالخطاب الواحد، وبلغة الخشب والتلقيني إعلاميا والديماغوجي، ولكنها في الوقت نفسه تتبنى وتعلن كسرها لما تسميه بالطابوهات، هذه الطابوهات التي لها علاقة مباشرة بنظام القيم والانتماء والخصوصيات التي تضعها في كفّة التخلف —ومن ثم كان رفضها وبالتالي محاربتها- لأنها تعمل من أجل الانخراط في الحداثة بقيمها وخصوصياتها التي ليست بالضرورة قيم المجتمع المحلي. وهنا فهي لا تبتعد كثيرا عن لغة الخشب والديماغوجيا والتلقين...

ومع غموض شعارات حقوق الإنسان المتزايدة، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا من جهة، وغموض شعار الحرية المتسارع في الجرأة على التعبير والتبشير بقيم الحداثة، ثم غموض حدود الصحافة -الخاصة- المكتوبة بالفرنسية في تكريسها في البلد المعني بالدمقرطة ومنها الجزائر تسجل تجليات الدعم المتنوع لهذه الصحافة دون غيرها من طرف المنظمات العالمية غير الحكومية ومن خلالها المنظمات التي تمثل الشرعية الدولية، لتجعل من الانفتاح، انفتاحا قسريا، وأحادي الاتجاه —نحو الآخر فحسب- وتجعل من الرسالة الإعلامية للصحافة المكتوبة بالفرنسية هي نشر رسالة العولمة في جوانبها السلبية التي تنشرها عبر منظماتها غير الحكومية، ولتحوّل من ثم مفهوم "السلطة الرابعة" في الدول المعنية بالدمقرطة من سلطة هذه الصحافة التي تدعي ذلك إلى سلطة هذه المنظمات في البلد المعني، والتي لا تحتل هذه الصحافة فيها إلا دور وسيلة الإثارة والتشهير وإشاعة الملفات المراد الحديث عنها. وهي ملفات محلية بطبيعة الحال إلى ملفات دولية تستدعي التدخل

---

[1]-Gilles Craemer, Op-cit, p2.

تتنوع وتختلف طرق الدعم لهذه الصحافة على مختلف المستويات والمجالات المعنوية والمادية مثل زيارة مقرات هذه الصحف من طـــرف سفراء بعض الدول الغربية للتعزية بعد وفاة أحد صحافييها، وتقديم دعم مادي، أو تبرع مآلات للمهنة وقد يكون عن طـــريق نقل بعض أخبارها عبر قنواتها المختلفة، وقد يكون بدعوة مديريها لحفلات في بعض السفارات، أو بمجازاتها بجوائز في مجالات لها علاقة بحرية التعبير باختيار صحافييها.

كمـــا قد يكون بدعوة مديريها أو صحافييها لزيارات أو تمكينهم من دورات تدريبية في مجال حقوق الإنسان والديمقراطية... وبالتـــنويه بعناوين منها. وتكفي واحدة من أساليب الدعم من منظمة عالمية أو من سفارة دولة كبرى لتكون رسالة حماية وسد لأي موقف رسمي ضدها...

المباشر المخوّل في هذه المرة لسلطة أكثر من سلطة المنظمات غير الحكومية نفسها.

وبناء على ذلك نخلص إلى أنه تحت حماية المنظمات الدولية في مجال حرية التعبير والصحافة تفصل الحقوق على مقاسات تتجاوز المحلي إلى العالمي، وعليه تتجاوز الصحافة المكتوبة بالفرنسية التي تتبنى الاستقواء بهذه المنظمات في مجال حرية التعبير بالذات، من وظيفة الإعلام وتنوير المجتمع إلى وظائف أخرى لكن وفي ظل نسبة الأمية في المجتمعات المعنية بالدمقرطة –ومنها الجزائر– من جهة وفي ظل نسبة المقروئية القليلة للغة الفرنسية مقارنة باللغة العربية كما تشير إلى ذلك الأرقام في هذا المجال فإن الضحيج الذي تحدثه الصحافة المكتوبة بالفرنسية على مختلف المستويات لا يتناسب مع حقيقة ما تعلن عنه من إقبال الجمهور عليها والذي سيتولى الدفاع عنها وقت الأزمات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجانب التطبيقي

الفصل السابع:الدراسة التحليلية للجرائد موضوع البحث

الفصل الثامن: موضوعات الخطاب الإسلامي

الفصل التاسع: عرض نتائج فئات ماذا قيل؟

الفصل العاشر: عرض نتائج فئات كيف قيل للخطاب الإسلامي ؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السابع:

الدراسة التحليلية للجرائد موضوع البحث

المبحث الأول: التعريف بمنهج الدراسة وتساؤلاتها

المبحث الثاني: تحديد مجتمع البحث وعينته

المبحث الثالث: التعريف بالجرائد المدروسة

المبحث الرابع: تحديد فئات التصنيف ووحدات التحليل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: التعريف بمنهج الدراسة التطبيقية وأسباب اختيار تحليل المضمون

يعتبر الباحثون في الصحافة أول من استخدم أسلوب تحليل المضمون، حيث تعود أول البحوث في ذلك إلى كتاب "تشارلز ميلرز" و"ولتر ليمبان" حول تقييم صحيفة "نيويورك تايمز" والذي ظهر في 1920م[1]، ثم تبعهم في ذلك الباحثون في علوم السياسة والاجتماع وغيرها والذين تشعبت بحوثهم وتشعبت معها وظائف وأهداف واستخدامات تحليل المضمون.

وقد درجت الدراسات الرائدة في المناهج في تناولها لتحليل المضمون على التركيز في تعريفه على أنه يمهد للوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال، وهو ما يعني بالإضافة إلى الموضوعية والتنظيم؛ الرصد العددي للمضمون الإعلامي بما يمكّن من قياسه والتحقق منه موضوعيا عبر التكرار الظاهر للرموز الاتصالية، ولذلك اعتمده على أسلوب تحليل المضمون باعتبار الأسلوب المفضل بامتياز في البحوث الوصفية من حيث كونه الأداة الرئيسية لجمع البيانات الكمية والنوعية لغرض الإجابة على أكبر قدر من التساؤلات التي تطرحها الدراسة، بالإضافة إلى كونه أداة للتنبؤ والتي يتجاوز فيها مجرد الوصف الكمي الموضوعي –وهي حيثيات هذا الأسلوب عمليا– إلى النتائج التي يمكن تعميمها على مصدر الرسالة الإعلامية وتأثيرها، ويزيد في اتساعها تفاعل عناصر العملية الاتصالية المختلفة مع بعضها البعض.

وشهدت تطبيقات أسلوب تحليل المحتوى تطورا واسعا طيلة فترة الثلاثينات، وحتى بداية النصف الثاني من القرن المنصرم، وذلك على يد عدد كبير من الباحثين أمثال "لازويل" "Lasswelle" و"كابلان" "Kaplan" و"جانيس" "Janis" و"كارترايت" "Carturight" و"لازافيلد" "Lazerfield" ، كما وضعت بحوث "بيرلسون" "Berelson" وغيره فيما بعد تشخيصا دقيقا للمتطلبات العلمية الرئيسية لهذا الأسلوب من البحث والذي توسّع تعريفه بالتالي إلى أنه «أسلوب فني منتظم لتحليل مضمون الرسالة الاتصالية وطريقة تناولها؛ إنه الأداة للملاحظة وتحليل مسلك وسائل الاتصالات الظاهري الخاص بوسائل منتقاة منها»[2].

---

[1]–مختار التهامي، المرجع السابق، ص16.

[2]–حلمي خضر سارى، صورة العرب فى الصحافة البريطانية، دراسة اجتماعية للثبات والتغير فى مجمل الصورة، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988، ص192 نقلا عن: (R.W. Budd, R.K. Thorp, and L. Donoheux, Content analysis of communication)

وإذا كان تحديد هذا التعريف لتحليل المضمون هو الإشارة إلى أنه أداة للملاحظة من جهة ثم تحديده لطريقة تناول الرسالة الإعلامية كموضوع مناسب للتحليل من جهة ثانية فإنه عموما لم يخرج عن التركيز على الاهتمام بالمحتوى الظاهري للرسالة ومن ثم فهو لم يتجاوز ما يصفه البعض بمرحلة الاتجاه الوصفي في تحليل المضمون والذي يراوح فيها مرحلة النشأة في أهم وظائفه وأهدافه ولذلك قللوا من أهميته ووصفوه بالنقص لاعتماده على الأساليب الكمية وافتقاره إلى النظرية منها في فهم أوسع وأعمق لمضمون وسائل الاتصال مما دفع إلى الدعوة إلى مداخل أكثر مرونة ليتحول تحليل المضمون عبر كثير من البحوث والدراسات التي كرست هذا المنحى إلى مرحلة سميت بمرحلة الاستدلال والتي نضج خلالها الاتجاه الداعي للتأكيد على الجانب النوعي في تحليل المضمون، والذي يتم به استكشاف المضمون الكامن في الرسالة الإعلامية.

وبناء على هذا التطور، درجت التعريفات على التأكيد بأن تحليل المضمون «أسلوب في البحث يهدف إلى الخروج باستدلالات صحيحة وشرعية من البيانات الخاصة بالمضمون»[1]. ومن ثم فلم يعد التأكيد على أهمية الجانب الكيفي لوحده في اعتماد تحليل المضمون بدعوى أنه طريقة عقيمة النظر ولا التقليل من أهمية الجانب الكمي منه بدعوى أنه مجرد طرق آلية للإجابة على التساؤلات أو التحقق من صحة الفرضيات، وإنما أصبح الاتجاه العلمي يفرض الجمع بين الجانبين معا في أسلوب تحليل المضمون لأن العلاقة بينهما دائرية وتكاملية، ويثري كل منهما الآخر وهو ما من شأنه تسهيل مهمة الباحث في الوصول إلى أهداف دراسته طالما التزم بالمطلب الأساس للتصنيف الذي يتمثل في الشمولية والتركيز والدقة والكفاية والتنظيم، وهو ما سنحاول اتباعه من خلال تطبيق الخطوات العملية لهذا الأسلوب فيما يلي.

---

[1]-حلمي حصر ساري، المرجع السابق، ص193 نقلا عن: (Holsti, Content analysis for the social sciences and humanities)

المبحث الثاني: تحديد مجتمع البحث وعينته

1-تحديد مجتمع البحث:

يعرف مجتمع البحث بأنه مجموع المفردات التي يستهدف الباحث دراستها لتحقيق نتائج الدراسة، ويمثل هذا المجتمع الكل أو المجموع الأكبر للمجتمع المستهدف للدراسة لتعميم نتائجها على كل مفرداته.

ولما كان من الصعوبة بمكان الوصول إلى المجتمع المستهدف كله لضخامته واتساعه من جهة، و«صعوبة تحليله بالدقة والسرعة المطلوبة»[1] فإنه يتم التركيز على ما يسمى في البحوث الإعلامية والاجتماعية بإطار الدراسة وهو ما يعرفه محمد عبد الحميد: «بالمجتمع المتاح أو الممكن الوصول إليه والاقتراب منه لجمع البيانات والذي يعتبر عادة جزءا ممثلا للمجتمع المستهدف، ويلبي حاجات الدراسة وأهدافها وتختار منه عينة البحث»[2].

ولما كان موضوع دراستنا هو: «الخطاب الإسلامي في الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية» وضخامة مجتمع البحث من حيث كثرة عناوين الجرائد، وأعدادها ثم اتساع الإطار الزمني الذي صدرت فيه، بالإضافة إلى تغير الرسالة الإعلامية موضوعيا فيها من فترة إلى أخرى، من رسالة استعمارية فرنسية، إلى رسالة إعلامية وطنية، ثم تغيرها في فترة الاستقلال من الرسالة الإعلامية في عهد الاشتراكية إلى الرسالة الإعلامية في عهد التعددية، فإن هذه المتغيرات تجعل من الصعوبة تحديد مجالات دراستها فضلا عن أنها تحتاج إلى عشرات منها وتستحيب كل منها على حدة إلى نمط معين من المناهج بما يخدم طبيعة الأهداف المتوخاة، ويضاف إلى ذلك كله صعوبة الإحاطة بالدراسة بالسرعة المطلوبة والدقة العلمية الضرورية لبحث أكاديمي مرتبط بآجال محددة..

ولتذليل هذه الصعوبات عمليا وعلميا من جهة، ولتسهيل مهمة البحث العلمي في أن يطرق كل المواضيع وإخضاعها للبحث والتحليل... فقد درجت مناهج البحث على اختيار عينة من المجتمع الكلي للموضوع تكون متاحة للباحث ولتكون من ثم موضوعا للدراسة والتحليل

---

(1)-محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، مصر، عالم الكتب، 2000، ص130.

(2)-محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1979، ص ص 90-91.

بوصفها ممثلة للمجتمع المستهدف في الأساس.

ويتم اختيار العينة بطريقة علمية تكون ممثلة لمجتمع البحث من خصائصه ووحداته، وقد وقع اختيار الباحثة على ثلاثة عناوين من الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وهي على التوالي: جريدة "Liberté"، "El Watan"، "El Moudjahid".

ويعود اختيار هذه العناوين موضوعا للدراسة والتحليل لاعتبارات عديدة منها ما يشير إليه كتاب المناهج عند الحديث عن اختيار العينة لتحليل مضمون مواد الاتصال والمتمثلة أساسا في «مراعاة اختيار الجرائد ذات التوزيع المرتفع»[1].

وقد تبين للباحثة من خلال دراستها الاستطلاعية للصحف الجزائرية والمكتوبة منها بالفرنسية أو ما كتب حولها خاصة فيما بعد إقرار التعددية، بأن العناوين المختارة تأتي على رأس الصحف الأكثر من حيث حجم السحب مقارنة مع الأخرى المكتوبة بالفرنسية وذلك حسب ما تعلنه بعض هذه الجرائد نفسها عن رقم سحبها عبر صفحاتها كما هو الشأن خاصة بجريدة " Liberté" في فترة الدراسة والذي تراوح بين 135710 ،164300[2] نسخة يوميا، فيم قدرت بعض المراجع عدد سحب جريدة "El Watan" في نهاية 1999، بنحو 103 ألف نسخة يوميا علما بأن هذه الصحيفة لا تعلن عن ذلك على صفحاتها أثناء فترة الدراسة، وفيما يتعلق بجريدة " El Moudjahid" فقد تراوح سحبها اليومي في نهاية الثمانينات وأواسط التسعينيات بين 300172 ،363338 نسخة يوميا كما كانت تعلنه على صفحاتها آنذاك[3] ولكن بعض المراجع تقدر سحبها بنحو 17 ألف نسخة يوميا فقط.

وتعني هذه الأرقام في مجملها أن هذه الجرائد موضوع البحث تستهدف جمهورا واسعا من القراء والذين يقرؤون باللغة الفرنسية تحديدا بغض النظر عن نسبة المقروئية بالنسبة لكل عنوان منها حقيقة، ونسبة المرتجعات التي لا تشير إليها أي من الجرائد الثلاث المختارة.

وقد لاحظت الباحثة اقتناء هذه العناوين المختارة في كثير من إدارات المؤسسات الرسمية

---

[1]- مختار التهامي، المرجع السابق، ص28.

[2]-يرجى الرجوع إلى الصفحة 23 من "Liberté" في فترة الدراسة موضوع البحث.

[3]-قامت الباحثة بالإطلاع على عينة من جريدة "المجاهد" بين "1988-1996م" وكانت الجريدة تعلن عن رقم سحبها في كل عدد على صفحاتها.

وغير الرسمية الثقافية منها والعلمية والاقتصادية بغض النظر عن كيفية اقتنائها وفيم إذا كانت الإدارة في هذه المؤسسات تقوم باختيار هذه العناوين لذاتها ضمن عناوين أخرى أم أن ذلك يعود لنشاط المكاتب الفرعية للجرائد موضوع البحث في توفير ومن ثم بيع هذه العناوين لمختلف المؤسسات وعليه فالقضية مرتبطة بالقوة المادية التي تتمتع بها المؤسسات الإعلامية التي تصدر هذه الجرائد ولا علاقة لها بالرسالة الإعلامية التي تقدمها أم أن الأمر متعلق بمعطيات أخرى.

ويبقى السبب الأهم في اختيار هذه العناوين الثلاثة موضوعا للدراسة هو تمكن الباحثة من العديد منها يسمح باختيار عينة علمية للبحث منها وذلك في مخبر الدراسات الدعوية والاتصالية الذي يترأسه الأستاذ الدكتور عبد الله بوحلال، فقد عانت الباحثة من عدم توفر عينة من هذه الجرائد التي اختارتها موضوعا للبحث في فترة 1988-1996م مما تسبب في تأكيد إنجاز البحث واضطر الباحثة إلى تغيير فترة البحث التي ستكون هذه المرة مرتبطة بإتاحة اقتنائها للعدد الكافي من الجرائد لتكون موضوعا للبحث.

2-الاطار الزمني للدراسة:

تتوفر أعداد كثيرة من الجرائد التي اختيرت لتكون موضوعا للدراسة والتي تغطي أغلب الشهور من سنة 2002م، تم اختيار عينة البحث من كل الجرائد المتوفرة لهذه السنة والتي تبدأ بشهر مارس 2002م وتنتهي بشهر أكتوبر من السنة نفسها، والذي سيكون بالتالي الإطار الزمني للدراسة. وقد تم اختيار عينة البحث فيها كما يأتي.

3-طريقة اختيار عينة البحث وحجمها:

في البداية تم جرد عدد الجرائد التي اختيرت موضوعا للبحث التي يتوفر عليها مخبر الدراسات الدعوية والاتصالية. ووضع جداول بأعداد كل عنوان منها ثم تصنيف هذه الأعداد حسب الشهور التي ظهرت فيها طيلة سنة 2002م، وتمت العملية بإحصاء ما يلي:

131 عددا بالنسبة لجريدة "Liberté" عبر الشهور التالية: مارس، أفريل، ماي، جوان، أوت، سبتمبر، أكتوبر.

85 عددا بالنسبة لجريدة "El Moudjahid" عبر الشهور نفسها.

153 عددا بالنسبة لجريدة "El Watan" عبر الشهور نفسها وهو ما نعرضه في الجدول التالي:

الشهور / الجرائد	مارس	أفريل	ماي	جوان	أوت	سبتمبر	أكتوبر	المجموع
Liberté	25	24	21	12	12	23	14	131
El Moudjahid	18	22	16	06	05	13	05	85
El Watan	26	26	23	16	15	24	23	153
المجموع	سنة 2002							369

الجدول رقم 11: العدد الإجمالي المتاح لمجتمع البحث للجرائد موضوع الدراسة.

فقد توفر للباحثة 369 عددا يمثل المجتمع الكلي المتاح للبحث الذي سيتم اختيار عينة البحث منه، وتم اعتماد الطريقة العشوائية المنتظمة في اختيارها، حيث تم ترقيم أعداد كل جريدة على حدة من أول عدد منها إلى آخر عدد ثم اختيار رقم –عشوائيا– من الأرقام الأولى ثم تحديد العدد الموالي بحساب ستة أعداد بين الرقم الأول والتالي وهكذا حتى تم الحصول على الأعداد التي ستكون عينة للبحث ومن ثم موضوع التحليل وهو ما بينه الجدول التالي:

الشهور / الجرائد	الأعداد المحصل عليها حسب كل شهر							
	مارس	أفريل	ماي	جوان	أوت	سبتمبر	أكتوبر	المجموع
Liberté	04	03	03	02	02	03	02	19
El Moudjahid	03	03	02	01	01	02	01	13
El Watan	04	04	03	02	02	04	03	22
المجموع	11	10	08	05	05	09	06	54

الجدول رقم 12: عينة الجرائد موضوع البحث.

وفيما يلي جدول بأعداد كل عنوان على حدة من جرائد العينة موضوع البحث تم فيه الإشارة إلى رقمه التسلسلي، ورقم العدد وكذا تاريخ صدوره. وعليه فقد تم اختيار 54 عددا لعينة البحث، 19 عددا منها من جريدة "Liberté"، 13 من جريدة "El Moudjahid"، 22 عددا من جريدة "El Watan".

الشهر	الرقم في العينة	رقم العدد	تاريخ صدوره
مارس 2002	1	2859	الاثنين 4 مارس 2002
	2	2866	الثلاثاء 12 مارس 2002
	3	2873	الأربعاء 20 مارس 2002
	4	2881	الجمعة 29-السبت 30 مارس 2002
أفريل 2002	5	2888	الأحد 7 أفريل 2002
	6	2896	الثلاثاء 16 أفريل 2002
	7	2903	الأربعاء 24 أفريل 2002
ماي 2002	8	2912	الاثنين 06 ماي 2002
	9	2919	الثلاثاء 14 ماي 2002
	10	2929	الأحد 26 ماي 2002
جوان 2002	11	2936	الاثنين 3 جوان 2002
	12	2943	الثلاثاء 11 جوان 2002
أوت 2002	13	2995	الأحد 11 أوت 2002
	14	3003	الثلاثاء 20 أوت 2002
سبتمبر 2002	15	3020	الاثنين 9 سبتمبر 2002
	16	3028	الأربعاء 18 سبتمبر 2002
	17	3035	الخميس 26 سبتمبر 2002
أكتوبر 2002	18	3043	الأحد 6 أكتوبر 2002
	19	3050	الاثنين 14 أكتوبر 2002

الجدول رقم 13: أعداد العينة من جريدة "Liberté" أرقامها وتاريخ صدورها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشهر	الرقم في العينة	رقم العدد	تاريخ صدوره
مارس 2002	1	11369	20 ذو الحجة 1422هـ/الاثنين 4 مارس 2002
	2	11377	29 ذو الحجة 1422هـ/الأربعاء 13 مارس 2002
	3	11383	6 محرم 1423هـ/الأربعاء 20 مارس 2002
أفريل 2002	4	11400	26 محرم 1423هـ/الثلاثاء 9 أفريل 2002
	5	11409	6-7 صفر 1423هـ/الجمعة 19-السبت 20 أفريل 2002
	6	11416	15 صفر 1423هـ/الأحد 28 أفريل 2002
ماي 2002	7	11423	24 صفر 1423هـ/الثلاثاء 7 ماي 2002
	8	11432	5-6 ربيع الأول 1423هـ/الجمعة 17-السبت 18 ماي 2002
جوان 2002	9	11454	1 ربيع الثاني 1423هـ/الأربعاء 12 جوان 2002
أوت 2002	10	11507	4 جمادى الثاني 1423هـ/الثلاثاء 13 أوت 2002
سبتمبر 2002	11	11533	5رجب 1423هـ/الخميس 12 سبتمبر 2002
	12	11546	20-21 رجب 1423هـ/الجمعة 27-السبت 28سبتمبر 2002
أكتوبر 2002	13	11560	7 شعبان 1423هـ/الاثنين 14 أكتوبر 2002

الجدول رقم 14: أعداد العينة من جريدة "El Moudjahid" أرقامها وتاريخ صدورها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشهر	الرقم في العينة	رقم العدد	تاريخ صدوره
مارس 2002	1	3418	الاثنين 4 مارس 2002
	2	3425	الثلاثاء 12 مارس 2002
	3	3432	الأربعاء 20 مارس 2002
	4	3439	الخميس 28 مارس 2002
أفريل 2002	5	3446	الجمعة 5-السبت 6 أفريل 2002
	6	3453	الأحد 14 أفريل 2002
	7	3460	الاثنين 22 أفريل 2002
	8	3466	الاثنين 29 أفريل 2002
ماي 2002	9	3474	الخميس 9 ماي 2002
	10	3481	الجمعة 17- السبت 18 ماي 2002
	11	3489	الاثنين 27 ماى 2002
جوان 2002	12	3496	الثلاثاء 4 جوان 2002
	13	3503	الأربعاء 12 جوان 2002
أوت 2002	14	3548	الأحد 04 أوت 2002
	15	3556	الثلاثاء 13 أوت 2002
سبتمبر 2002	16	3574	الثلاثاء 3 سبتمبر 2002
	17	3581	الأربعاء 11 سبتمبر 2002
	18	3588	الخميس 19 سبتمبر 2002
	19	3595	الجمعة27- السبت 28 سبتمبر 2002
أكتوبر 2002	20	3602	الأحد 6 أكتوبر 2002
	21	3609	الاثنين 14 أكتوبر 2002
	22	3619	الجمعة 25- السبت 26 أكتوبر 2002

الجدول رقم 15: أعداد العينة من جريدة "El Watan" أرقامها وتاريخ صدورها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: التعريف بالجرائد موضوع البحث

المطلب الأول: التعريف بجريدة "Liberté"

بادر إنشاء صحيفة "Liberté" في إطار التعددية الإعلامية في الجزائر الذي أتيحت فيه الفرصة لصحفيي الجرائد العمومية للاستفادة من تسهيلات وإعانات مالية لإنشاء صحف مستقلة. وقد بادر إلى إنشائها ثلاث صحافيين محترفين (يعملون في الصحافة العمومية) وهم على التوالي: "أحمد فطاني"، و"حسان وغلي"، و"علي عواف"، بالإضافة إلى رجل أعمال هو"يسعد ربراب"[1]

ظهرت الجريدة في 27 جوان 1992م، وحملت شعار " Le droit de savoir, le devoir d'informer" "الحق في أن نعلم، وواجب أن نعلم".

مقرها الإداري هو: 37 شارع العربي بن مهيدي، ص ب 178 الجزائر محطة، الجزائر العاصمة. مسيرها ومديرها العام: عيروس أوتودار، مدير تحريرها: وغلي حسان[2]، تصدر عن شركة SARL. BAEC برأس مال يقدر بـ300.000دج.

تطبع على مطابع SIA-SIE-SIO لتوزع في الوسط والغرب والشرق من الجزائر، وتتوفر الجريدة على مكاتب فرعية وجهوية في كل من: قسنطينة، وهران، عنابة، معسكر، السيدة، تيزي وزو، البويرة، بجاية، سكيكدة، الشلف، سطيف بالإضافة إلى مكاتبها بالخارج وخاصة بفرنسا، وهذا ما يسهل عملية توزيعها، وكثافة توفرها بالوسط الجزائري خاصة وعبر الوطن الجزائري عموما.

ويتراوح حجم السحب لجريدة "Liberté" حسبما تعلن عنه عبر صفحاتها بين 135710 و164300 نسخة يوميا، وتعتمد صحيفة "Liberté" كثيرا على الإشهار. فقد تم إحصاء 190.00 صفحة خصصت للمادة الإشهارية منها ما كان في صفحات كاملة، ومنها ما كان فضاءات مختلفة عبر صفحات الجريدة الأربع والعشرين، ويمثل الإشهار 42,67% من مجموع صفحات الجريدة "Liberté" في عينة البحث.

وتظهر "Liberté" في 24 صفحة قارة في الغالب مع تخصيصها أحيانا لمواضيع تحل محل الصفحات القارة وبعناوين متنوعة وهو ما نعرضه فيما يأتي:

---

(1)-عن نشرية إشهارية لجريدة "Liberté" تحصلت عليها الباحثة من المكتب الجهوي للجريدة بمدينة قسنطينة.

(2)-انظر الصفحة 23 من الجريدة دائما.

1-الصفحة الأولى: وتتضمن إلى جانب عنوان الجريدة وشعارها وبريدها، تاريخ العدد الميلادي فقط ورقمه، وكذا ثمنه بالعملة الوطنية والعملة الأوروبية (الأورو)، وقد يعلو عنوان الجريدة عنوان موضوع مختار ويحيطها يمينا وشمالا عنوان أو أكثر، لكن أهم عنوان بالجريدة فيتوسط الصفحة وبالخط العريض وعنوان آخر بخط أقل وبلون أحمر وعادة ما يعرض موضوع ثان أو ثالث مع توقيع صاحبه، وصورة للحدث موضوع المقال أو شخصيته المحورية إلى أسفل الصفحة مع الإشارة إلى مكان تتمته داخل الجريدة إذا لم يكتمل بالصفحة وكذا لكل العناوين الأخرى، وغالبا ما يُرفق أهم موضوع بالجريدة بصورة قد تستغرق نصف الصفحة أو أقل، كما قد تستغرق كل الصفحة لتكون خلفية للعناوين المعالجة فيها، وتمثل الصفحة الأولى 4.17% من مجموع صفحات عينة "Liberté" في البحث.

2-صفحات "L'actualité en question" "الأحداث محل الانشغال": وتبدأ من الصفحة الثانية مباشرة، وتشغل بين صفحتين وخمس صفحات عادة، وقد تستغرق ست صفحات كما في عدد واحد من العينة تقطع دائما بصفحة قارة في الصفحة الخامسة من الجريدة بعنوان " Le radar de liberté" وبصفحة أو أكثر تستعدها الجريدة أحيانا في مناسبات خاصة لمعالجة "ملف" أو "روبورتاج" أو "تحقيق" أو "مساهمة" أو موضوع ما تجعله عنوانا للصفحة مثل "الجامعة" في عدد 03 جوان 2002م.

وتهتم صفحات "الأحداث" كما يدل عليها اسمها عرض ومعالجة أهم الأحداث محل الانشغال بالنسبة للجريدة في الأساس أو ذات الأولوية عند مسؤوليها أو الجهات التي تنتمي إليها، وتخص القضايا السياسية والاقتصادية في الغالب.

وتحتوي الصفحة الثالثة من الجريدة ضمن صفحات الأحداث، المقال الافتتاحي للجريدة بعنوان دائم "L'édito" وعنوان متغير حسب الموضوع المعالج فيه، ويتداول على توقيعه صحافيوا الجريدة (الذكور دائما خلال العينة) ومنهم سعيد قاصد، سبتي ن، علي وافق، سليم ط‌امالي، بالإضافة إلى أسماء مؤسسها حسان وغلي ومديرها العام عبروس أوتودار.

وتخصص صفحات "الأحداث" فضاءات للإشهار تستغرق بين سدس الصفحة ونصفها أحيانا كما قد تأخذ صفحة كاملة.

وتمثل صفحات "الأحداث" 16.41% من مجموع صفحات "Liberté" في عينة البحث.

3-صفحة "Le Radar liberté" "رادار Liberté": هي صفحة واحدة تحتل رقم 5 بين صفحات الجريدة تقطع صفحات الأحداث دائما ويتوسط عنوان الصفحة أعلاها، وتتناول الصفحة كما يعنيه معنى "رادار" عرض عدد من الأخبار القصيرة التي تجمعها الجريدة وهي غير موقعة، بعناوين مختلفة الأحجام عن قضايا أو أحداث أو شخصيات بالإشارة إليها أو بشجبها أو بالسخرية منها أو بالتنبيه إلى زاوية اهتمام الجريدة فيها، ترفق بعض الأخبار منها بصور قد تكون ذات علاقة مباشرة بالموضوع أو بصورة فيها معنى ما يرتبط بها أو يعلق عليها مثل التعليق على حصة تلفزيونية أو شخصية سياسية أو ثقافية أو مؤسسة اقتصادية...إلخ، مع ملاحظة ارتباط مواضيع هذه الأخبار بطريقة ما بموقف الأحزاب RCD أو FFS منها. وتمثل صفحة رادار 4.17% من مجموع صفحات عينة"Liberté" في البحث مع الإشارة إلى انعدام تخصيص أي فضاء للإشهار فيها خلال فترة البحث.

4-صفحة "L'Algérie profonde" "الجزائر العميقة": مكانها في الجريدة هو الصفحة رقم 9، تظهر أحيانا وتغيب أحيانا لتحل محلها صفحة بعنوان آخر " Les nouvelles de Kabylie" أخبار منطقة القبائل، كما في عددين في العينة أو لتحل محلها صفحة إشهارية كما في ستة أعداد من العينة، غالبا ما تخصص حيز للإشهار من صفحة "الجزائر العميقة" استغرق في كل مرة ربع الصفحة.

وتتناول مواضيع الصفحة متناكل شرائح مختلفة من المواطنين عبر الولايات الجزائرية مثل قطاع التعليم، والتضامن الاجتماعي، والسكن ونقص مياه الشرب، والنقل وغيرها تعالج أخبار عن عدة ولايات كل منها على حدة تجمع اختصارات لعدة أخبار عن ولاية واحدة في حيز خاص، مع الإشارة إلى أن المادة التحريرية قد ترفق بصور للمواضيع أو الأخبار المعالجة، وتمثل صفحة "الجزائر العميقة" 1,92% من مجموع صفحات "Liberté" في عينة البحث.

5-صفحة "nouvelles de Kabylie" أخبار "منطقة القبائل": ظهرت في ست أعداد من العينة وفي صفحات كاملة دون حيز للإشهار في الصفحة التاسعة والصفحة الثامنة، وتتناول بالمعالجة لأخبار مدينتي "تيزي وزو" و"بجاية" غالبا وكذا بعض ولايات الوسط في الجزائر وتمثل الصفحة 1,32% من مجموع صفحات عينة الجريدة في البحث.

6-صفحة "Culture" "ثقافة": تحتل صفحة واحدة بين صفحات الجريدة هي رقم 11،

في عددين من العينة، واحتل الإشهار حيزا منها أحيانا و لم يتجاوز فيها سدس الصفحة، وتمثل صفحة ثقافة 16,54% من مجموع صفحات عينة "Liberté" في البحث.

7-صفحة "Etranger" "الخارج" أو "دولي": تحتل عادة صفحة واحدة هي رقم 15 من الجريدة قد احتفت في أربع أعداد من العينة وحل محلها صفحات إشهارية كما احتل الإشهار حيزا من صفحاتها غالبا واستغرق ربعها كما ظهر في تسع مرات منها وتحتل صفحة "الخارجي" 2,75% من مجموع صفحات عينة"Liberté" في البحث، واحتلت قضية فلسطين الموضوع الرئيس والغالب في معظم نصف أعداد العينة، لكن تحت عنوان الشرق الأوسط، ووصف العمليات الاستشهادية بالانتحارية ضد إسرائيل، ثم موضوع أفغانستان في أخبار وتحليلات أقل لتحتل قضية الحرب الأمريكية ضد العراق، تحضيرا أو متابعة عبر قرارات مجلس الأمن إزاءها والقرار الأمريكي البريطاني لضرب العراق، عبر أخبار قصيرة، وذلك في أغلب نصف أعداد العينة الباقي، بالإضافة إلى بعض أخبار الساعة الدولية.

8-صفحتا: "Des gens et des fais" "ناس وأحداث": وتحتلان عادة على التوالي الصفحة رقم 12 ، 13 واختفت في مرة واحدة فقط خلال العينة وذلك في العدد 6 أكتوبر وحل محلها على الصفحتين معالجة ملف المحروقات في الجزائر، وتمثل الصفحتان 7,90% من مجموع صفحات "Liberté" في عينة البحث. وتتناول الصفحة الأولى منهما ركنين ثابتين، الأول بعنوان "دقات قلب" بتوزيع دائم باسم "K.Noubi" يعرض قصصا متسلسلة أحصت الباحثة ثمانية تحمل كل منها عنوانها الخاص وترفق برسم يعبر عن موضوع الحلقة في العدد، وقد غاب الركن مرة واحدة في العدد 26 سبتمبر، لتحل محلها موضوع عن الأحلام بتوقيع "مهدي" مع دعوة للقراء لبعث رسائلهم وأسئلتهم حول أحلامهم لكن هذا الركن تلاشى ليعود الركن القديم إلى مكانه بتوقيع صاحبه.

والركن الثاني في الصفحة يحمل عنوان "حيثيات الزمن" الذي يظهر، بتوقيع دائم باسم "عديلة كاتبا" وهو أيضا عبارة عن قصص متسلسلة وتحمل كل منها عنوانها الخاص مع عنوان الحلقة في العدد ورسم يعبر عن موضوعها فيه وقد أحصيت سبع قصص في العينة.

أما الصفحة الثانية من "ناس وأحداث" ففيها ثلاثة أركان ثابتة.

1-ركن يحمل عنوان: "أيها المتهم، وقوف" ويتمثل في نقل وقائع بعض القضايا المطروحة

أمام محكمة العاصمة بمواضيع مختلفة يتداول على نقلها على شكل قصة حوارية غالبا توقيع صحافيين بالجريدة هي "إبراهيم أحمد" و"حميد بوزيد"، ويرفق موضوع كل عدد برسم عن الحدث في قاعة المحكمة.

2-ركن يحمل عنوان "قارات غير معروفة" لا يحمل أي توقيع ويعرض لموضوع أو موضوعين في شكل سردي مختصر لحدث في العالم يغلب على بعضها صفة الغرابة والاستثنائية كما يدل عليه عنوان الركن، وقد غاب الركن في عددين من العينة لتحل محله قصة مصورة متسلسلة بعنوان "أحزان الحب".

3-ركن يمتد على طول يمين الصفحة ويتمثل في عرض يومي للأبراج مع رسم لبرج اليوم في العدد ويحمل توقيع "مهدي".

9-صفحة "روبورتاج" "Reportage": وقد ظهرت في ستة أعداد من العينة، استغرقت صفحة واحدة في أربعة منها وصفحتين في عددين منها حصص ربع واحدة منهما للإشهار، ومثلت صفحات "الروبورتاج" 1,7% من مجموع صفحات عينة "Liberté" في البحث وعادة ما تضم عنوان الصفحة في إطار أو بنون أو بخط مميز في الصفحة الأولى من الجريدة.

10-صفحة "تحقيق" "Enquete": ظهرت في عدد واحد ومثّل 0,22% من مجموع صفحات عينة "Liberté" في البحث.

11-صفحات "ملف" "Dossier": وقد ظهرت في عددين واستغرقت صفحتين متتاليتين في كل منهما، ومثلت بذلك 0,88% من مجموع صفحات عينة "Liberté" في البحث وتناولت موضوع أحداث الشغب والعنف عبر عدة ولايات في الجزائر حسب الجريدة وموضوع القانون التمهيدي حول المخروقات واحتلت صفحتا "الحدث" على التوالي الصفحة الثانية والثالثة من الجريدة في المرتين.

12-صفحة رياضات "Sport": وتحتل عادة صفحة واحدة هي رقم 19 من الجريدة وقد احتلت صفحتين متتاليتين 18-19 في خمس أعداد واحتل الإشهار حيزا منها أحيانا ولم يزد عن ربعها، وتمثل صفحة رياضات 5,16% من مجموع صفحات "Liberté" في البحث.

13-صفحة استراحة: لم تظهر إلا ثلاث مرات في العينة من "Liberté" في البحث

ومثلت 0,65% من مجموع الصفحات منها وعرضت شبكات للكلمات المتقاطعة، والسهمية وكلمة السر.

14-صفحة "Télé-gramme": والكلمة مكونة من لفظين وتعني "برامج التلفزيون"، التي تظهر دائما على الصفحة رقم 23 من الجريدة، ويحتل الإشهار دوما حيزا منها يتعلق بعرض معلومات عن "Liberté" ومكاتبها ومطابعها، يستغرق خمس الصفحة وتمثل صفحة "Télé-gramme" 3,34% من مجموع صفحات "Liberté" في عينة البحث وتتناول الصفحة ما يلي:

أ-**برامج القنوات الفرنسية**: فقط وهي على التوالي: TF1 -Canal+ -TV5 -F2 -La 5e -Eurosport -Arte -F3 مع صور في رأس الصفحة ثلاثة في الغالب لما تختاره الجريدة من الأفلام أو المواضيع من البرامج وزمان عرضها في اليوم موضوع العدد. وأحيانا مع تلخيص لمنتقيات من الأفلام والمواضيع.

ب-**شبكة كلمات متقاطعة**: وحل شبكة سابقة بتوقيع فؤاد.ك.

جـ-**عمود دائم بعنوان "Scan Tout"**: وهو لفظ يتعلق بمجال الإنترنت يعني عملية مسح إلكتروني للموضوع أو للقضية المعالجة وبتوقيع دائم باسم "بن عدودة يوسف" وقد غاب لمرة واحدة في العينة وذلك في العدد 20 أوت 2002م.

د-**مواقيت الصلاة**: في زاوية أسفل الصفحة تتناول الجريدة في إطار أسود "مواقيت الصلاة" وهو عرض للمواقيت اليومية للصلاة لمدينة الجزائر وضواحيها.

15-الصفحة الأخيرة:تعد الجريدة كتابة عنوانها وشعارها على الصفحة الأخيرة التي تتناول:

أ-كاريكاتور يومي يقسم "علي ديلام" في المكان نفسه من الصفحة.

ب-مواضيع متنوعة تتعلق غالبا بآخر الأخبار على الساحة الوطنية أو ذات الصلة بها.

جـ-مقال رأي يكتبه دائما "حموش.م"، ويتناول القضايا الوطنية بوجهة نظر الكاتب أو الجريدة وعنوانه "ضد التيار".

د-ويستغرق حيز من الصفحة مادة إشهارية غالبا لا تتعدى ثمن الصفحة وتمثل الصفحة الأخيرة 3,60% من مجموع صفحات عينة "Liberté" في البحث.

وفيما يلي جدول يتناول قراءة مسحية لعينة جريدة "Liberté" بعرض مختلف أقسامها الدائمة وغير الدائمة وبنسبها المئوية فيها بالنسبة لمجموع صفحات "Liberté" الـ456.

عرض أقسام الجريدة	النسب المئوية	الأقسام الدائمة												الأقسام غير الدائمة							المجموع
		La première	L'actualité en question	L'Algérie profonde	Le Radar de liberté	Culture	Des gens et des fais	Sports	Télé-grannme	Etranger	Dernière	Publicité	Reportage	Enquête	Entretient	Page de détente	Contribution	Document	Dossier		
		4,17%	16,41%	1,92%	4,17%	3,63%	7,9%	5,16%	3,34%	2,75%	3,60%	42,67%	1,70%	0,22%	0,11%	0,66%	0,22%	0,44%	0,88%		%100

الجدول رقم 16: قراءة مسحية لعينة جريدة "Liberté" لأقسامها الدائمة وغير الدائمة ونسبها المئوية فيها

المطلب الثاني: التعريف بجريدة "El Moudjahid" "المجاهد اليومية"[1]

عرفت جريدة "المجاهد" منذ ظهورها تحولات كثيرة تبدأ من مكان الصدور إلى لغة الكتابة إلى الاسم الذي حملته، إلى نظام دورية الصدور وخلال ذلك تطورت سواء من ناحية الشكل أو المضمون الذي تغير من فترة ما قبل الاستقلال أي أثناء الثورة التحريرية المباركة إلى فترة ما بعد الاستقلال أين تحمل رسالة إعلامية جديدة تستجيب للمرحلة في معالجتها للوضع السياسي والثقافي للدولة الجزائرية، واعتبارا لذلك سنعرضها من خلال الآتي:

1-جريدة المجاهد أثناء ثورة التحرير: حسب المقدمة التي وضعت لمجموعة المجاهد التي طبعت ببوغوسلافيا في 1962م، فإن أول عدد صدر لجريدة "المجاهد" قد ظهر في منتصف جوان 1956.[2] وقد صادف ذلك تحولا كبيرا في مسار الثورة واستراتيجية جبهة التحرير الوطني، صدرت في البداية باللغة الفرنسية ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية في طبعة أخرى مستقلة، وكانت في هذه الفترة تطبع على "الرونيو" وتصدر في شكل وحجم يزيد قليلا عن الكراسة في ستة (06) صفحات كانت أشبه بالمنشور منها بالصحيفة، واحتفظت بشكلها وطريقة إخراجها في الأعداد الست الأولى منها واستطاعت أن تصدر ستة مرات بالجزائر العاصمة تحت الإشراف المباشر لأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ واستمرت في الصدور بطريقة غير منتظمة، وذلك حسب الإمكانيات والظروف حتى أوائل 1957م، أين تشتت هيئة تحريرها وانضم من بقي منهم إلى النضال بعد أن دمرت ماكيناتها وأرشيفها خلال معركة الجزائر.[3]

وقبل أن تصدر "المجاهد" بهذا العنوان صدرت تحت اسم "المقاومة الجزائرية" والتي ظهرت في ثلاث طبعات واحدة بباريس في نهاية 1955م، وثانية في المغرب أوائل 1956م، وثالثة في تونس في منتصف 1956م، وكانت كل طبعة تختلف عن الطبعة الأخرى سواء في أسلوبها الإعلامي أو طريقة

---

(1)- انظر الملحق رقم 2.

(2)-أحمد حمدي، المرجع السابق، 176. وانظر أيضا: زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997م، ص111.

(3)-ومع ذلك استمرت الثورة في توزيع المنشورات وإصدار مجلات جهوية، وكانت كل ولاية تصدر مجلة حسب إمكانياتها وتطلق عليها إسما، مثل الجبل، صدى الجبل، الأحرار... وهكذا فقد وضعت أسماء مختلفة لمجموعة من المطبوعات والنشريات. انظر: الزبير سيف الإسلام، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، المرجع السابق، ص45.

تحريرها، لكن الطبعات الثلاث كانت تدخل إلى الجزائر بطريقة سرية ويتم توزيعها على المناضلين، ولم يكن هناك أي تنسيق بين هذه الطبعات بسبب تشتت القوى الثورية، وكان هذا الأمر يسبب بدوره مشكلا للدعاية الجزائرية وهو ما حسمه "مؤتمر الصومام" بعد انعقاده في 20 أوت 1956م، حيث تقرر إلغاء كل طبعات "المقاومة الجزائرية" وتوحيدها في جريدة واحدة تحت اسم "المجاهد" واعتبارها اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني والناطق الرسمي باسم الثورة الجزائرية[1].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت "المجاهد" تصدر في الجزائر وتونس والمغرب وفرنسا لكن في طبعة واحدة وعلى شكل جريدة مطبوعة.

وفي هذه الفترة كانت "المجاهد" تطبع على مطبعة إسبانية على طريقة البسط "Aplat"[2]، وكانت تسحب حوالي 500 نسخة؛ كمية منها يوزع خارج الجزائر والبعض الآخر يدخل إلى الجزائر على ورق شفاف عن طريق الحدود، وظلت "المجاهد" تطبع بـــ"تطوان" في المغرب ابتداء من العدد الثامن المؤرخ بـــ5 جويلية 1957م إلى العدد العاشر سبتمبر 1957م، وبعد انعقاد المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته السنوية في أوت 1957م تقرر نقل "المجاهد" من "تطوان" إلى تونس وذلك بسبب بعد "تطوان" على مراكز الاتصال بالعالم وهو الأمر الذي يترتب عليه انعزال الجريدة، واختارت جبهة التحرير الوطني مدينة تونس لتفتحها على الخارج، فوفرت لها الظروف المادية والتقنية وأصبح "للمجاهد" مقر مستقر بتونس يعرفه الجميع من الجزائريين والأجانب، وصارت تطبع على آلة "Rotative" مع الصحف التونسية مقابل تعويض مالي.

وفي هذه الفترة اتخذت شكل "l'abloide" وحاولت الجريدة الظهور بانتظام بمعدل مرة كل نصف شهر، لكن كثيرا ما كانت تتعطل، وقد تقرر إسناد الإشراف عليها إلى السيد عبان رمضان الذي قرر بدوره فصل تحرير الطبعة الفرنسية عن الطبعة العربية من الجريدة[3] على أساس أن التوجيه الإعلامي داخليا وبالنسبة للدول العربية يختلف عن التوجيه الإعلامي بالنسبة إلى أوروبا والرأي العام الدولي؛ وقد كلف السيد "رضا مالك"[4] بالنسخة الفرنسية والذي استمر

---

[1]-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص45.

[2]-المرجع نفسه، ص111.

[3]-انظر: عواطف عبد الرحمن، المرجع السابق، ص55.

[4]-رضا مالك: تقلد عدة مسؤوليات ومناصب سياسية في الدولة الجزائرية المستقلة.

على رأسها حتى سنة 1961م.

وكانت هيئة التحرير في "المجاهد" باللغتين بالفرنسية والعربية والتي لم يتجاوز عدد أعضائها الخمسة لكل منها تجتمع لتحدد محاور كل عدد ثم يحرر العدد باللغة الفرنسية مستقلا عن العدد باللغة العربية، وكانت بعض المقالات الهامة تترجم مثل مقالات فرانتز فانون[1] الذي كان أحد أعضاء هيئة تحرير المجاهد الفرنسية بالإضافة إلى رضا مالك وعبد المالك تمام، وبيير شولي، وأحمد بومنجل المكلف بالعلاقة بالصحفيين الأجانب.

وبعد انفصال طبعتا "المجاهد" أصبحت كلا منهما جهازا منفصلا عن الآخر[2]، خاصة بعد ظهور الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م، والتي عوضت عمليا لجنة التنسيق والتنفيذ، وقد عادت "المجاهد" باللغة الفرنسية إلى أرض الوطن في شهر ماي سنة 1962م إلى البليدة في البداية ثم إلى العاصمة لاحقا، وفي هذه الفترة طبعت على مطابع "الجزائر الجمهورية" " Algérie Républicaine" قبل أن تتحول نهائيا إلى محلات "Echo d'Alger" التي تركت المكان للبومية الحالية[3].

2-"المجاهد" بعد الاستقلال:

أ-المجاهد في فترة الاشتراكية: كان عنوان "المجاهد" هو الاسم الذي اختير ليعوّض عنوان "الشعب" باللغة الفرنسية "Le Peuple" وهي الجريدة التي صدرت باللغة العربية والفرنسية بهذا العنوان من 19 سبتمبر 1962م، وحتى جوان 1965م لتبدأ "المجاهد" من هذا التاريخ كأول جردة يومية جزائرية باللغة الفرنسية وما عدا تعبير العنوان فإن المجاهد لم تكلّف استثمارا جديدا ولم تواجهها صعوبات البداية في وجود المطبعة والإرادة النضالية والكادر اللغوي، فقد احتلت "المجاهد" مطابع "Echo d'Alger" الاستعمارية بعد أن كلف "صالح لوانسي" بإصلاحها وذلك

---

(1)- فرانتز فانون، زنجي من المارتينيك يحمل الجنسية الفرنسية، طبيب مختص في الأمراض العقلية، وعلم من أعلام الفكر السياسي، ونضل من أبطال النضال في معركة التحرر من الاحتلال، انخرط في صفوف الثورة الجزائرية وكتب عنها أهم كتبه وتوفي سنة 1961م بأمريكا. انظر: "Les donnés de la terre" ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1984م، ط5، ص ص 6-9.

(2)- انظر: وزارة الإعلام، ملفات وثائقية، الإعلام خلال الثورة التحريرية، المجاهد جهاز الثورة الإيديولوجية يتكلم رضا مالك، الجزائر 1984م، ص15.

(3)-وزارة الإعلام، ملفات وثائقية، المرجع السابق، ص16.

بعد عملية تفجيرها على يد (OAS) وأصبحت ملكا شاغرا وجاهزا من حديد لطبع جريدة يومية عصرية[1] وهي عوامل حرمت منها الصحافة العربية في بداية الاستقلال التي اعترضتها عوائق كبيرة كان غياب الكادر اللغوي على رأسها بالإضافة إلى غياب المطابع باللغة العربية وهو ما تسبب في تأخر ظهورها في مرحلة استثنائية بعد استعادة السيادة الوطنية.وفي هذه الفترة بدأت "المجاهد" حياتها كأول جريدة يومية جزائرية وباللغة الفرنسية كانت كغيرها من اليوميات الأخرى التي تقرر إصدارها لاحقا باللغة الفرنسية أيضا تلتقي بنقل الأخبار التي تتولى وكالة الأنباء الجزائرية[2] توزيعها حتى أضحت اليوميات الجزائرية نسخا متشابهة من جهة وضعيفة من جهة أخرى، فهي لا تحمل رسالة إعلامية قوية يفترض أن ينتظرها جمهور القراء منها وذلك في ظل وجود الرسالة الإعلامية القوية التي تقدمها الجرائد الاستعمارية، والتي استمرت في الصدور بعد الاستقلال[3]، مما جعل الجرائد الجزائرية الوطنية لا تجد رواجا كبيرا بين القراء. وكانت هذه الحقيقة تؤكدها نسب السحب من جهة بالنسبة لكل من الجرائد الوطنية والجرائد الاستعمارية ونسبة المرجعات الكبيرة بالنسبة لليوميات الجزائرية، ويرد بعضهم هذه النسب إلى عدم ملاءمة شبكة التوزيع في هذه الفترة لأداء هذه المهمة وإنجاحها.

ولوضع حد لتأثير الصحافة الاستعمارية بخبرها ورسالتها القوية في جمهورها من الجزائريين (خاصة بالمدن الكبرى) [4]، تماشيا مع السيادة الوطنية في المجال الإعلامي والثقافي من جهة، ولتفسح المجال لتطور الصحافة الوطنية خاصة بعد التطورات السياسية التي عرفتها الجزائر والتي تم فيها إقامة النظام الاشتراكي، حيث احتكار الدولة والحزب لكافة وسائل الإعلام وتوحيد الرسالة الإعلامية لإنجاح الخيار الاشتراكي عبر إنجاح مبادئه وطروحاته ومشاريعه في مختلف المجالات وعلى كل المستويات.

[1] - انظر: زهير إحدادن: مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، المرجع السابق، ص195.

[2] - قبل الاستقلال كان بالجزائر بعض مكاتب تراسلي بعض الوكالات العالمية، بقي الحال كذلك حتى تم تحويل مركز وكالة الأنباء الجزائري التي أسستها الثورة في تونس إلى الجزائر العاصمة، وأصبحت تنشط كوكالة وطنية لها صلاحية احتكار التوزيع.

[3] - وهي على التوالي: Oran -Echo d'Oran -Alger Républicaine -La depêche d'Alger .La dépêche de Constantine -Républicaine

[4] - كان جمهورها العريض من الكولون أساسا وبعد هجرة هؤلاء الجماعية بعد الاستقلال استهدفت الجزائريين الذين تعوّدوا قراءة الفرنسية ولكن انتشار الأمية الكبير بين أفراد الشعب الجزائري في مختلف المدن عدا المدن الكبرى كالعاصمة ووهران وقسنطينة جعل من رسالتها الإعلامية وضعا إعلاميا استثنائيا.

وبعد اختفاء اليومية المسائية "Alger ce soir" في 31 أوت 1965م[*] لأسباب غير معروفة وظهور أسبوعية "Algérie actualité" باللغة الفرنسية في 24 أكتوبر 1965م تحتكر "المجاهد" الفضاء الإعلامي اليومي في الجزائر لتلعب دورا متزايد الأهمية في المجال الإعلامي، فقد بلغ حجم سحبها سنة 1970م مثلا 100900 نسخة فيم لم يتجاوز بعض الصحف اليومية الأخرى 68 ألف نسخة فقط، وتمثل "المجاهد" بهذا أكثر من ثلثي الصحافة المكتوبة في الجزائر بجميع أنواعها[1].

ولم تشهد "المجاهد" تغييرا هاما ويبقى حجم سحبها يطغى على الصحافة المكتوبة في الجزائر فيم باشرت الحكومة عملية تعريب اليوميات الأخرى منذ بداية السبعينات حين طرح موضوع التعريب كقضية سياسية[2] تفترض تغيير سيطرة اللغة الفرنسية في الميدان الثقافي والإعلامي، فشرع أولا في تعريب جريدة "النصر" بقسنطينة وعربت كليا في 1972م، وبعدها جريدة "الجمهورية" بوهران في 1977م.

أما تقنيا، فقد وافق المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني سنة 1979م على اللائحة الإعلامية الجديدة ووضع برنامج عمل لتحسين وضعية الإعلام ماديا ونوعيا وفي هذا الإطار استفادت "El Moudjahid" من دعم مالي سمح بشراء جهاز "أوفسيت" كبير يمكنها من طبع أكثر من مائة ألف نسخة في الساعة وجعل بذلك حدا لمعاناتها لسنوات من الأجهزة القديمة.

ب-"El Moudjahid" بعد إقرار التعددية: بعد إقرار التعددية تحولت "المجاهد" إلى مؤسسة إعلامية ذات رأس مال مستقل تابعة لحزب جبهة التحرير الوطني، تصدر عن " El Moudjahid Press" "صحافة المجاهد"، ومقرها الإداري 20، شارع الحرية بالجزائر العاصمة.

-مسيّر الجريدة ومديرها العام هو عبد المجيد شربال.

-مدير التحرير للجريدة هو العربي تيميزار[3].

وتطبع جريدة "El Moudjahid" على مطبعة الوسط المسماة "Simpal" ومطبعة الجزائر

(*)-ظهرت هذه الجريدة في 14 أفريل 1964م، وهكذا تكون قد عاشت 16 شهرا فقط.

(1)-زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، المرجع السابق، ص130.

(2)-المرجع نفسه، ص132.

(3)-خلال فترة الدراسة موضوع البحث.

ومطبعة الشرق بقسنطينة وكذا مطبعة الغرب بوهران وهو ما يسهل نشرها وتوزيعها عبر مختلف جهات الوطن الجزائري. بالإضافة إلى شبكة مكاتبها الجهوية ومراكزها الفرعية المتواجدة على التوالي في الجزائر العاصمة، وقسنطينة، وعنابة، ووهران، وتيزي وزو وعين الدفلى[1].

وعلى الرغم من أن جريدة "El Moudjahid" لا تذكر رقم سحبها فإن بعض المصادر تقدره بأكثر من 117 ألف نسخة يوميا في نهاية 1999م، وهو رقم يصغر بكثير حجم السحب لكل من جريدتي "Liberté" كما تشير إليه عبر صفحاتها والذي يبلغ حتى 164300 أحيانا أو جريدة "El Watan" كما تقدره بعض المراجع في 1999م بأكثر من 103 ألف نسخة يوميا. وهو ما يشير إلى حجم المنافسة الشديدة التي فرضت على "El Moudjahid" بعدما كانت ولوقت طويل –لأكثر من أربعين سنة– تحتكر الساحة الإعلامية في الجزائر عموما بما فيها الصحافة المكتوبة بالعربية والفرنسية مجتمعة.

وتعتمد الجريدة على الإشهار بصفة كبيرة، وأفادت الدراسة المسحية بأنها خصصت 84.4 من صفحاتها للإشهار من بين 312 صفحة، وهو العدد الإجمالي لصفحات عينة "المجاهد" في البحث، والذي لا تقل عن ثلاث صفحات في العدد الواحد، كما قد يستغرق اكثر من تسع صفحات كاملة منه، بالإضافة إلى فضاءات للإشهار عبر صفحات الجريدة الأخرى والتي تحتل أحيانا أكثر من نصف الصفحة فيها، ويمثل الإشهار 27.05% من مجموع صفحات عينة "المجاهد" في البحث.

وتتكون صحيفة المجاهد من أربع وعشرين صفحة وتتوفر على أقسام عديدة منها الدائمة ومنها المؤقتة، وهي كما يأتي:

1–الأقسام الدائمة:

–الصفحة الأولى: وتحتوي على عنوان الجريدة باللون الأحمر يعلوه تاريخ العدد بالهجري ثم بالميلادي، وكذا رقم العدد والبريد الإلكتروني للجريدة فيم يأتي شعار الجريدة أسفل العنوان، وباللون الأسود: وهو "الثورة بالشعب وإلى الشعب".

ومتابعة تاريخ هذا الشعار ومفهومه عبر المصادر والمراجع في الموضوع تفيد أنه يعود في

---

[1]–معلومات من كل عدد الجريدة تجدها في الصفحة.

الأصل إلى أدبيات وصحافة حزب "نجم شمال إفريقيا ثم" حزب الشعب الجزائري"، وبدأ بالظهور منذ 1933م عبر صحيفة "صوت الشعب" بمنطوق "الثورة من الشعب وإلى الشعب" ثم ظهر في صحيفة "الجزائر الحرة" والتي جاء شرحه فيها بما يلي:

من الشعب: معناه تجنب الوهم الإصلاحي وتلقين الشعب مبدأ الاعتماد على النفس على عمله المنظم والاستعداد للتضحية في كل الأوقات.

وإلى الشعب: يعني الكفاح من أجل استرجاع السيادة الوطنية واستحاعها لفائدة الشعب وحده وليس لفائدة أقلية من المحظوظين والمستغلين[1].

أما "رضا مالك" الذي كان مديرا "للمجاهد" في طبعتها الفرنسية في الفترة الممتدة بين 1957م ـ 1961م فيعلق على هذا الشعار بقوله: "من الشعب وإلى الشعب" تدل على هزيمة الولاء القبلي والإخواني وصعود إرادة لشعبية وطنية ذات دعوة ديمقراطية وحداثية تستطيع منع أي اتفاق مع المصالح الاستعمارية... مثل محاولات استرجاع الجزائر استقلالها من خلال فئة اجتماعية محظوظة»[2].

وقد أصبح هذا الشعار شعارا وطنيا بعد استعادة الاستقلال الوطني في الجزائر، حيث أصبح يرفع على كافة المؤسسات والإدارات العمومية وأملاك الدولة بما فيها وسائل الإعلام المكتوبة وعلى رأسها جريدة "El Moudjahid" في طبعتيها العربية والفرنسية ويشرح الميثاق الوطني لسنة 1986م هذا الشعار بأنه «يتلخص فيه المضمون الشعبي للثورة الديمقراطية، إذ أن مفهوم كلمة "الشعب" يجب أن يتصرف إلى الجماهير الشعبية وليس إلى فئة اجتماعية محظوظة قد تستحوذ على السلطة لفرض سيطرتها»[3].

وإذا أدى شعار الجريدة بخلفيته الإيديولوجية الواضحة دوره طيلة الفترة الاشتراكية في الجزائر بالتعبير عنها، فإن استمراره في فترة التعددية قد يطرح التساؤل عن مدى تعبيره عن المرحلة الجديدة وفي ظل الواقع الجزائري فيما بعد التسعينات من القرن المنصرم.

---

[1]-أحمد حمدي، المرجع السابق، ص 177.

[2]-المرجع نفسه، ص 178.

[3]-ميثاق 1986م، المصدر السابق، ص42.

ويحمل أسفل الصفحة الأولى طبيعة الجريدة وعلى أنها "يومية وطنية للإعلام"، وبريده وثمنه بالدينار والعملة الأوربية ومعلومات أخرى خاصة بالجريدة.

ويختلف إخراج الصفحة الأولى من حين لآخر من حيث حجم الخطوط واللون المستخدم فيها وطريقة عرضها وكذا مكان تواجدها من الصفحة، حيث عادة ما يكتب عنوان الجريدة إلى أعلى الصفحة تماما وأحيانا على جانبها وأحيانا وسط أعلى الصفحة ودائما ما يكتب باللون الأحمر.

وتعرض الصفحة الأولى عناوين المواضيع التي يتم تناولها عبر مختلف صفحات الجريدة مع الإشارة إليها، وغالبا ما ترفق بعض العناوين صورة للحدث أو للشخصية المحورية فيها، ويعبر حجمها عن أهمية الموضوع بالنسبة للجريدة والذي يدل عليه حجم الخط ولونه المستخدم في كتابة العنوان، وفيم يتم أحيانا تسطير العناوين والصور المرفقة لها تحاط العناوين والصور بخط أسود أو أحمر، وتمثل الصفحة الأولى 4،16% من مجموع صفحات عينة "المجاهد" في البحث.

القسم الوطني "الأمة" "La nation": وتستغرق بين الصفحتين والثماني صفحات وتحتل الصفحة الثانية وما بعدها غالبا متتالي أو متقطع بقسم آخر.

وتتضمن الصفحة الأولى منها والتي تخصص عادة لمجموعة من الأخبار القصيرة عنوانا دائما من الفم إلى الأذن "De bouche à oreille" ويكتب عدد منها في أطر بلون أسود مع إرفاق بعضها لصور للحدث موضوع الخبر أو شخصيته فيم توضع مجموعة من الأخبار الأخرى على طول جانب الصفحة بشكل متسلسل وعلى خلفية رمادية ولا يوجد أي توقيع بالصفحة، ويعالج الصفحات المتبقية من هذا القسم الأحداث الوطنية الجهوية والمحلية، السياسية منها والاقتصادية والثقافية والرياضية والنقابية والصحية... عبر أخبار أو تصريحات أو عبر مقالات تحليلية أو مقالات رأى أحيانا، كما تتناول صفحات القسم الوطني النشاط الرئاسي المتمثل في تغطية الزيارات الداخلية والخارجية لرئيس الجمهورية، وتحتل صفحات هذا القسم 21،78% من مجموع صفحات عينة "المجاهد".

قسم تعاون "Coopération": وتستغرق بين أقل من الصفحة والأربع الصفحات عبر العدد الواحد، وتحتل صفحات مختلفة منه فقد ظهرت في الصفحة6،7، 8، 9، 11، 13،وقد عابت في عددين من العينة بشكل متتالي أو متقطع بصفحات قسم أو أقسام أخرى دائمة أو غير دائمة.

وكما يدل عليه عنوان القسم فهو يعني تناول وتغطية وعرض وتحليل النشاط الدبلوماسي بوجوهه المختلفة مع استحواذ مواضيع الاستثمار والشراكة الاقتصادية العربية والأورومتوسطية على أكثر ما تناولته صفحاته، ويحتل الموضوع الأهم في الصفحة أو الصفحات مكانا بارزا منها بلون عنوانه أو حجمه أو مكان عرضه أو بالخلفية الملونة التي كتب عليها وترفق بعض المواضيع بصور للموضوع أو شخصية أو شخصياته، ويلاحظ غياب توقيع المواضيع غالبا عبر صفحات القسم، فقد نجد توقيعا واحدا أو اثنين فقط بينما يغيب في بقية المواضيع.

وتمثل صفحات "التعاون" 8,02% من مجموع صفحات عينة المجاهد في البحث.

قسم الحدث "L'évennement": وظهر كثيرا خلال العينة واستغرق بين ثلاث صفحات وثمانية وبشكل غير متقطع، ويتناول الحدث الأبرز في الساحة الوطنية أو الدولية مثل تناول خطاب رئيس الجمهورية بعرضه وعرض قراءات عدد من الشخصيات السياسية له وانطباعاتهم عنه وتعليقهم عليه وتحليل لبعض زواياه وردود أفعال الطبقة السياسية المختلفة، أو تناول زيارة ميدانية لرئيس الجمهورية بتغطيتها ونقل مختلف وجوه النشاطات التي قام بها سيادته في الولاية موضوع الزيارة، وقد يكون الحدث دوليا مثل تناول الذكرى الأولى لتفجيرات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية ومناقشة موضوع ما يسمى بالإرهاب بالتحليل ونقل وجهات النظر المختلفة حوله... وتمثل صفحات قسم الحدث 11,20% من مجموع صفحات عينة المجاهد موضوع البحث.

القسم الثقافي "Culture": ويظهر عادة في صفحة 15، لكنه ظهر أيضا في صفحة 16، 19، 21 ، يستغرق في كل مرة أقل من نصف الصفحة إلى أكثر من نصفها أحيانا إلا مرة واحدة، استغرق فيها أكثر من صفحتين متتاليتين، حيث تقتسم الصفحة إلى جانب ما يخصص منها للثقافة في الجريدة، حيز للإشهار يستغرق نصف الصفحة غالبا وحيز لعرض برامج التلفزيون.

ويتناول القسم الثقافي تعريف بمغني أو نشاطه، أو الحديث عن مهرجان للغيم أو للموسيقى، أو جوائز عنهما أو تكريم لشخصياتها، أو برامج السنما والنشاط المسرحي وأحيانا يتناول موضوعا عن الآثار، وذلك عبر خبر ومقال قصيرين، ويمثل القسم الثقافي 7,41% من مجموع صفحات العينة من المجاهد موضوع البحث.

وتضاف إلى القسم الثقافي وفي الصفحة نفسها العنوان الكبير: تلفزيون بالحروف -T.V:

«اليوم على شاشتكم الصغيرة-» والذي يعرض دائما لبرامج القنوات الفرنسية المتمثلة في: TF1، France2، M6، Canal+، France3، Arte دون صور ولا تلخيص في بعض الأعداد أو بعرض لصور لمختارات من أفلام السهرة أو لأبطالها، أو بعرض تلخيصات لمختارات من برامج هذه القنوات مع صور لموضوع الفيلم أو شخصيته المحورية، وقد عرضت الجريدة لبرامج التلفزة الجزائرية نادرا خلال العينة، وقد احتل الحيز الخاص بالتلفزيون نصف الصفحة أحيانا، كما خصص له صفحة كاملة في عدد واحد من العينة في العدد 12 سبتمبر.

القسم الرياضي "رياضات" "Sports": ويظهر عادة على صفحة واحدة هي صفحة 21 غالبا أو على صفحتين نادرا في العدد الواحد، وقد غاب اربع مرات خلال عينة البحث من الجاهد ، ويمثل القسم 3,56% من مجموع صفحات عينة الجاهد.

قسم الحياة اليومية "Vie quotidienne": وقد ظهرت دوما في الصفحة رقم 23 من الجريدة وعلى صفحة واحدة عبر كل الأعداد واحتوت على إعلانات للتعازي وذكرى للترحم على الأموات وتشكرات وتهاني بأعياد الميلاد وأعراس الزواج.

كما يحتوي القسم على مواضيع وأخبار قصيرة أحيانا في أطر من الخط الأسود وتتناول معلومات أمنية وغيرها بالإضافة إلى إعلانات أخرى.

وفي هذا القسم تتناول الصحيفة "أوقات الصلاة" في جانب من أعلى الصفحة خاصة بمدينة الجزائر وضواحيها وترفق عادة بصورة لمنارة مسجد.

وفي أسفل الصفحة تعرض الجريدة في إطار أسود معنون بالتعريف بالجريدة بعناوين مكاتبها الفرعية عبر الجزائر وإدارتها، ويمثل القسم نسبة 4,16% من مجموع صفحات الجاهد في عينة البحث.

قسم استراحة "Détente": والذي يظهر دائما في صفحة واحدة من العدد هي رقم 17 منه، واحتوت دائما بنفس الإخراج دوما على شبكات للكلمات المتقاطعة والسهمية والكلمة المخفية، ويمثل القسم 4,16% من مجموع صفحات الجاهد في عينة البحث.

***الصفحة الأخيرة:** تعيد الجريدة كتابة عنوانها هذه المرة باللغة العربية، وباللون الأحمر داخل إطار أسود يعلو الصفحة التي تتناول أخبارا وتعليقات في الغالب بعناوين مختلفة بالأسود

والأحمر بعضها داخل أطر أو على خلفية سوداء أو حمراء مرفقة في معظمها بصورة الشخصية المحورية موضوع المعالجة أو صورة للحدث موضوع الخبر أو التعليق، وقد تحل مقالات تحليلية أو انتقادية واحد أو أكثر محل الأخبار المعالجة في المواضيع المختلفة السياسية والثقافية والاقتصادية والدينية والرياضية الوطنية منها والدولية، ولا إشهار في الصفحة في عينة "المجاهد" في فترة الدراسة. وتمثل الصفحة الأخيرة بذلك 4,16% من مجموع صفحات الجريدة موضوع البحث، وفيما يلي جدول يلخص هذه المعطيات في قراءة مسحية لصفحات الجريدة بأقسامها الدائمة وغير الدائمة ونسبها المئوية عبر مجموع صفحات جريدة المجاهد 312 في البحث.

2-الأقسام غير الدائمة في الجريدة: حيث تتناول الجريدة عبر صفحات خاصة مواضيع تتعلق بمناسبات معينة ومنتقاة من طرف إدارة التحرير وتتراوح معالجتها بين الصفحة والخمس صفحات في العدد الواحد وخلال عينة البحث ظهرت كما يلي:

*صفحة تاريخ "**Histoire**": ظهرت في صفحة واحدة ومرة واحدة في ع 18 ماي، وكذا

*صفحة مجتمع "**Société**": في ع12 سبتمبر وبنسبة 0,31% لكل منهما من مجموع صفحات عينة المجاهد.

*اتفاقيات إيفيان "**Les accords d'Evian**": وظهرت مرة واحدة خلال العينة واستغرقت صفحتين (9-10)، وذلك في ع20 مارس أي بنسبة 0,64% من مجموع صفحات عينة المجاهد.

*الصحة "**Santé**": وظهرت مرتين في العينة إحداهما في صفحة واحدة في ع13 أوت وعلى صفحتين في ع7 ماي ومثلت بذلك 0,96% من مجموع صفحات عينة المجاهد.

*الشرق الأوسط "**Proche-orient**": الذي ظهر أربع مرات خلال عينة البحث، واستغرق نصف صفحة في ع18 ماي وصفحة واحدة في ع7 ماي، وصفحتين في ع9 أفريل وثلاث صفحات في ع20 أفريل وهو ما يعادل 2,07% من مجموع صفحات "المجاهد".

*صدى الحملة "**Echo de la compagne**": (الحملة الانتخابية)، وظهر مرة واحدة خلال عينة الجريدة واستغرق 5 صفحات متتالية، وذلك في ع28 سبتمبر وهو ما يعادل 1,59% من مجموع صفحات عينة المجاهد.

المطلب الثالث: التعريف بجريدة "El Watan"[1]

بعد الإضراب عن الكتابة التي شنّه صحافيوا الصحافة العمومية بهدف مواجهة قبضة الرقابة والمطالبة بإصلاح الصحافة العمومية، قرر عشرون صحافيا من جريدة "المجاهد" اليومية المكتوبة بالفرنسية أن يؤسسوا جريدة "الوطن" وذلك في أكتوبر 1990م تحت رئاسة "عمر بلهوشات" الاقتصادي التكويني والصحفي المهنة ليكون المدير العام للجريدة ومسؤول النشر فيها.

وانطلقت "الوطن" "El Watan" بـــ"45" خمسة وأربعين صحفيا بعد انضمام 25 صحفيا إليها، لكن الجريدة لم تظهر في تاريخها المحدد حيث ظهر العدد رقم واحد منها في 06 أكتوبر 1990م[2]، لتكون المنافسة المباشرة لجريدة الجزائر الوطنية الجزائرية جريدة " El Moudjahid" العقيدة، وتقدم جريدة الوطن نفسها باليومية المستقلة، تصدر بالجزائر العاصمة، حيث مقرها للإدارة والتحرير في دار الصحافة الطاهر جاووت، 4 شارع بشير عطار بساحة أول ماي سعرها: 10 دنانير وتعرض الجريدة ما يقابل سعرها بالعملة الأوربية والأمريكية، وتصدر الجريدة عن مؤسسة الوطن للصحافة، ويقدر رأسمالها الاجتماعي بـــ5148000دج، وقد قدر حجم السحب فيها في نهاية 1999- بأكثر من 103 ألف نسخة يوميا[3].

ويتم طبع جريدة الوطن على ثلاث مطابع على التوالي في الوسط والشرق والغرب وتوزع عبر شركة ALOP للوسط، وشركة SPA El Watan diffusion أما في الشرق فتوزعها شركة الخبر.

وقد ظهرت "El Watan" في البداية في "12 صفحة" من النوع الكبير الذي تم طبعه بواسطة أربع أجهزة إلكترونية وطابعة كلها معارة، وعمل القائمون على الجريدة بانتقاء مطبعة خاصة بـــ"الوطن" وذلك بتمعية جريدة الخبر المكتوبة بالعربية بعقد استثماري كلف 320 مليون دينار جزائري مع شركة ألمانية تعد الثالثة عالميا في صنع المطابع[4]، وهو ما عمل على أن يتشهد

[1]-انظر الملحق رقم3.

[2]-M'hamed Rebbah, La presse Algérienne, Journal d'un defi, Chihab éditions, Alger, 2002, P23.

[3]-Idem.

[4]-Ibid, P24.

"الوطن" نقلة نوعية على مستوى الإخراج والمضمون، وكذا الانتشار بعد دخوله عالم الويب في 1996م بموقعه الخاص على الشبكة العالمية للمعلومات، ثم بإنشاء عناوين إعلامية أخرى تحت اشرافه وتسييره مثل "الرياضي الأولمبي" وكذا إنشاء شركة اتصالات تسمى بـــ"A.com" ومنذ 17 جوان 2001م يطبع "الوطن" على آلته الخاصة.

وبعد ظهورها بمدة قصيرة حظيت "El Watan" باهتمام عربي ودولي، حيث نالت في شخص مديرها العام عديد الجوائز، فقد منحتها "الرابطة المغاربية للصحفيين المغاربة في ديسمبر 1993، أول جوائزها لحرية التعبير"[1].

ومنح "عمر بلهوشات" جائزة "الريشة الذهبية" تقديرا لجهوده في الدفاع عن حرية التعبير، وكذا جائزة حماية الصحافيين (C.P.J)[*]، ودعي بلهوشات لافتتاح نصب تذكاري للصحفيين المغتالين، وذلك بدعوة "هيلاري كلينتون" بواشنطن.

وبغض النظر عن جدارة هذه الجوائز وأهميتها فيما تمنح فيه، فإن بعض الجهات الإقليمية فيها والدولية في تضامنها مع بعض التوجهات السياسية في بعض الدول، وتشجيعها لبعض الطموحات الثقافية ومن يمثلها بالتالي قد يربط الجوائز التي تمنحها في ظل الظروف الاستثنائية التي عاشتها الجزائر بأهداف لا علاقة لها بالمهنية[2] ولا بالأهداف المعلنة عنها.

ولم تكن جرأة "El Watan" كما يصفها البعض بالأمر الذي يمكن تقمصه في الظروف التي رافقت ظهورها في الجزائر، حيث عرضت رئيسها لمحاولات اغتيال عديدة، وعرضت أسرة تحريرها إلى الاعتقالات والملاحقات القضائية بلغت إلى مصادرة الجريدة وتوقيفها في تواريخ متتالية، فقد تم توقيفها لمدة أسبوعين في بداية 1993م، ثم في نوفمبر 1994م، ومرة في1995م

---

[1] -جريدة الشعب تاريخ 13 ديسمبر 1993.

[*] -C.P.J : Cometee to protect journalists.

[2] -فقد أدرجت كثير من المنظمات الدولية غير الحكومية (ONG) موضوع حرية الصحافة ضمن اهتماماتها في الجزائر مثل منظمة "محققون بلا حدود" "Reporters sans frantières" ومنظمة "Humain Rights"، كما منح المركز العالمي للدراسات من أجل المحافظة وإحياء الممتلكات الثقافية (ICROM) المتواجد بروما، لصحافية ـــ"الوطن" هي "سهيلة حمادي" عن تحقيق قامت به حول الآثار الرومانية في تيبازة وذلك في ديسمبر 1997.

وكذا في 1998م[1]. وفي عام 1997م بلغ عدد قضايا "El Watan" أمام العدالة الجزائرية خمس وعشرين قضية تتهم تبدأ بالقذف وتنتهي إلى الأضرار بأمن الدولة[2].

وبين حقيقة نوايا الماخين للجوائز وحقيقة موضوع الجرأة التي يتحدث عنها البعض أو المهنية التي يذكرها البعض الآخر، تبقى حقيقة المقروئية في الوطن العربي، ونسبتها في ظل النسب العالية للأمية في اللغة العربية تفرض نفسها على غياب حقيقة هذه المقروئية في اللغة الفرنسية والشرائح التي تستهدفها الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، ويضع الجهات المانحة والجهات الممنوحة دون غيرها موضع المساءلة.

وتفيد الدراسة المسحية والاستطلاعية لعينة جريدة "El Watan" أن هذه الصحيفة تعتمد على الإشهار بنسبة كبيرة حيث يخصص في كل عدد (24 صفحة) ثلث الصفحات أو أكثر للإشهار بصفحات كاملة بالإضافة إلى مساحات عبر مختلف الصفحات والتي تتراوح بين سدس الصفحة ونصفها والتي تم حسابها في 17,83 صفحة أما توزيع صفحات الإشهار في أعداد العينة فكان كما يأتي:

-07 صفحات كاملة للإشهار في (16) عددا وحسابها 112 صفحة.

-08 صفحات كاملة للإشهار في (02) عددين وحسابه 16 صفحة.

-06 صفحات كاملة للإشهار في (02) عددين وحسابه 12 صفحة.

-09 صفحات كاملة في عدد (01) واحد.

-11 صفحة كاملة للإشهار في عدد واحد (01) هو (ع12 جوان والصادر في 32 صفحة).

وهذا يعني أنه عبر 22 عددا من عينة "El Watan" قد خصصت 177,83 صفحة كاملة للإشهار من مجموع 536 صفحة للعينة وهو ما يعادل 33,32% من المادة الإعلامية فيها.

وتتنوع المادة الإعلامية في "El Watan" عبر أقسام مختلفة في الجريدة منها ما هو ثابت حيث لا يخلو عدد أو أغلب الأعداد من العينة منها مثل: صفحات الأحداث "Actualité"

---

[1]- وهنا لا يعني أن "El Watan" هي الوحيدة في الفضاء الإعلامي في الجزائر التي مستها قرارات التوقيف وإنما شاركتها في ذلك الصحف المكتوبة بالفرنسية وخاصة المكتوبة بالعربية وقدمت لذلك أسباب مختلفة، ومن هذه الجرائد نذكر " Le matin"، "La nation" "الجزائر اليوم" "الصحافة" التي تم توقيفها نهائيا في 1992/08/19.

[2]-M'Hammed, Rebbahi, Op-Cit, P24.

الرياضة، المرحلة "Epoque"، ألعاب وترفيه، صفحة أخبار سيرتا "Cirta info" وصفحة مناطق "Régions". وهناك ما يظهر أحيانا ويغيب أحيانا أخرى مثل صفحة "ثقافة" و"اقتصاد" والحدث "Evennement" ومنها ما يوجد أحيانا ويغيب كثيرا مثل "أخبار سطيف" "أخبار عنابة"، وصفحة "الدولي" و"الملف" وأخبار "الشرق" وصفحة مجتمع "Société" و"الروبورتاج"، حسب عدد صفحاتها بين المرة الواحدة أو المرتين، والسبع مرات عبر عينة البحث، وفيما يلي توصيف صفحات "El Watan".

الصفحة الأولى: وتتضمن عنوان الجريدة وشعارها وتاريخ العدد ورقمه وثمنه وبريده الإلكتروني في أعلى الصفحة، مع الإشارة في كل عدد إلى عنوان الصفحة التي يخصصها العدد لمعالجة أخبار سيرتا "Cirta info" وأحيانا "Setif info" أو مع مناسبات خاصة مثل "الموندیال"، أو "هذا الصيف"، كل ذلك بفاصل خط أحمر عن المادة التحريرية للجريدة والتي تتضمن بالترتيب من الأعلى إلى الأسفل على أكبر عنوان لأهم موضوع بالعدد الذي قد يكون وطنيا عربيا أو دوليا مع مقدمة الموضوع وجزء منه الذي يكون في الغالب مقالا تحليليا، والإشارة إلى تتمته بإحدى الصفحات الداخلية أو بالصفحة الأخيرة أحيانا ويرفق الموضوع بصورة للحدث أو لشخصيات الفاعلة فيه. ويأتي تحته مباشرة وبفاصل خط الموضوع الثاني، بعنوان أقل حجما ومقدمة وجزء من الموضوع مع الإشارة إلى صفحة تتمته عبر الصفحات الداخلية للجريدة، ويرفق الموضوع الثاني أيضا بصورة لحدث أو لشخصية أو برسم أحيانا.

وتتضمن يسار الصفحة ما تسميه الجريدة تعليقا "Commentaire" في شكل عمود يمتد عاليا إلى نهاية الصفحة، يحمل عنوانا خاصا تبدأ كتابته بحرف أحمر ويحمل توقيع صاحبه دائما، وخلال عينة البحث تحول مكان هذا التعليق إلى الصفحة الأخيرة بداية من العدد رقم 3474 بتاريخ الخميس 9 ماي.

وتتضمن يمين الصفحة فهرسا للمواضيع التي يعالجها العدد بعنوان لها باللون الأسود، ثم تحول إلى اللون الأحمر، مع تلخيص لها وإشارة إلى صفحة تناولها ويرفق الفهرس بصورة لواحد فقط من مواضيعه قد يكون لشخصية فنية أو سياسية أو عسكرية أو رياضية جزائرية أو أجنبية وقد تكون رسما.

وعاليا ما تتضمن الصفحة الأولى إشهارا يمتد في أسفلها، وقد يستغرق سدسها كما في 14

عددا من أعداد العينة، كما قد يكون في زاوية الصفحة كما في 06 أعداد من العينة، وتمثل 2,23% من العينة.

صفحات "الأحداث" "Actualité": تستغرق عادة ثلاث صفحات على التوالي الثانية والثالثة والرابعة من الجريدة، كما في 18 عددا منها، وقد تستغرق أربع صفحات كما في 03 أعداد من العينة، وقد تغيب لصالح قسم آخر في الجريدة، وذلك بمناسبة معينة مثلما كان في 11 سبتمبر 2002م، حيث تناولت الموضوع في تسع صفحات لقسم الحدث "Evennement" للذكرى الأولى لتفجيرات نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتعد صفحات "الأحداث" قلب الجريدة وموقع لمراكز اهتمامها، حيث تعرض فيها مقالاتها للرأي والتحليل والتعليق والنقد لمختلف المواضيع ذات البعد الوطني أساسا وذات الاهتمام المقصود لذاته بالنسبة للجريدة، وترفق بعض المواضيع فيها بصور موضوعية للحدث وبشخصيته المحورية، وتشمل "الأحداث" أحيانا من الأخبار القصيرة.

ويتبع المواضيع عادة بتوقيع كتابها بالاسم كاملا أو بالحروف الأولى في الاسم في حالة كتابته لأكثر من موضوع في الصفحة نفسها، أو في غيرها، وقد خصصت الجريدة عبر عينتها في الدراسة 66 صفحة للأحداث من مجموع 536 صفحة أي بنسبة 12,32% من صفحاتها.

صفحة "L'Epoque" "المرحلة": تحتل الصفحة 23، وتضاف إلى صفحات "الأحداث" في تناولها للقضايا والأحداث الوطنية والجهوية في الجزائر نادرا ما تكون أجنبية (عربية أو غربية) عدد سبعة من الأخبار تصل إلى 07 أخبار، وفي شكل عمود تحت عنوان موحد هو "نقول لكم" "On vous le dit" وبعناوين فرعية خاصة لكل خبر على حدة، ويعالج بطريقة تشخيصية لمكان الحدث أو لشخصيته تصريحا أو تعليقا أو ردا، ويمتد على طول يمين الصفحة أو يكون في عمودين متوازيين من أعلى الصفحة إلى أسفلها.

ويتضمن وسط الصفحة مقالين غالبا أو ثلاثة أو تعليقات أكثر تفصيلا عن أخبار محلية ولائية أو جهوية، أما يسار الصفحة فيتضمن عنوان "رمشة عين" "Clin d'oeil" ظهر في 10 أعداد من العينة وحول إلى وسط الصفحة إلى الأسفل مرتين ليغيب في بقية الأعداد، وشملت الصفحة في 18 عددا من العينة زاوية للترفيه تمثلت في شبكة للكلمات المتقاطعة وحل لشبكة سابقة وغابت في بقية الأعداد.

وتأتي في الزاوية السفلى تماما من صفحة "Epoque" وفي إطار مساحته 11سم^2 "مواقيت الصلاة" بلون وخط عادي لا فرق بينه وبين خط الكتابة في الصفحة في 08 أعداد من العينة ليتربع الإطار نهائيا في بقية الأعداد تمثل 4,11% من مجموع صفحات عينة "الوطن".

صفحات "Cirta info"، "سيرتا أخبار" و"Setif info" و"Hyppone info"(*):

وهي صفحات للأخبار الجهوية في الولايات قسنطينة، وسطيف وعنابة، وتظهر عادة في الصفحة التاسعة بالنسبة لأخبار قسنطينة، والتي ظهرت في (21 عددا) من أعداد العينة، وقد غير مكانها إلى الصفحة السابعة في عددين (4 جوان، 13 أوت). كما ظهرت في الصفحة (11) الحادية عشر في العدد 25-26 أكتوبر، أما "أخبار سطيف" لم تظهر إلا في ثلاث أعداد من العينة فيم لم تظهر صفحة "أخبار عنابة" إلا في عددين فقط من العينة. وقد ظهرت أخبار سيرتا مع أخبار سطيف في ثلاثة أعداد، ومع أخبار عنابة في عددين واللتان تظهران عادة في الصفحة الثامنة من الجريدة.

وتتناول هذه الصفحات الأخبار في هذه الولايات تحديدا بالتحليل والتعليق مرفقة بصورة للحدث أو للشخصية أو برسم عنهما مع خبرين أو مع خبر ومقال.

وتتضمن "أخبار قسنطينة" عمود بعنوان "Focus" أي "نقطة ضوء" فيم تتضمن كل من صفحتي أخبار سطيف وعنابة عمودا بعنوان "Fait du jour" "حدث اليوم" وتشترك الصفحات الثلاث في عنوانين هما: "نظرة" "Regard" و"في الاستماع" "A l'écoute". وفيم يغير "Facus" " مكانه من أعلى الصفحة إلى أسفل الصفحة، إلى الوسط منذ عدد 9 ماي، تختفي عناوين "نظرة" وفي الاستماع من صفحات أخبار سطيف وعنابة.

وتمثل هذه الصفحات –الولائية- على التوالي 4,3% من مجموع صفحات عينة الوطن بالنسبة لأخبار قسنطينة، و0,56% بالنسبة لأخبار سطيف، و0,40% بالنسبة لأخبار عنابة.

صفحة "Est" "شرق" وصفحة "Régions" وصفحة "Société" "مجتمع": وتظهر على الجريدة على الصفحة الثامنة بالنسبة لـــ"شرق" وذلك في أربع أعداد من عينة البحث، وهو ما يعادل 0,75% من مجموع صفحات العينة.

(*)–Hyppone: هو الاسم الروماني لمدينة عنابة وسيرتا هو الاسم الروماني لمدينة قسنطينة.

وفي الصفحة السابعة عادة بالنسبة لـــ"مناطق" كما في 14 عددا من العينة وفي صفحة 11 في عدد واحد وصفحة 9 في عددين وصفحة 8 في عدد واحد، وصفحة 5 في عدد واحد أيضا وغابت في ثلاثة أعداد. كما استغرقت صفحتين متتاليتين، وذلك في أربعة أعداد من العينة، وبلغ عدد الصفحات التي ظهرت فيها ثلاثة وعشرون أي ما يعادل 4,30% من مجموع عينة "الوطن".

أما صفحة "مجتمع" التي ظهرت لمرة واحدة في عدد 4 أفريل، وعلى صفحة واحدة، فهو يعادل 0,2% من مجموع صفحات العينة من "El Watan".

وتضاف هذه الصفحات إلى صفحات الأخبار الولائية –قسنطينة، سطيف، عنابة في تناولها لأخبار مختلف الولايات في الجزائر بالمقال والنقد والرأي وإرفاق هذه أحيانا بصور أو رسوم.

صفحة "Evennement" "الحدث": وقد ظهرت مرتين فقط خلال عينة "الوطن" واستغرقت (09) صفحات كاملة في العدد 11 ستمبر لما تناولت الذكرى الأولى لتفجيرات نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما استغرقت صفحة واحدة في عدد 27-28 ستمبر وتناولت فيها الحديث عن دولة أفريقية (ساحل العاج) ومن ثم فإن ظهورها في 10 صفحات من العينة يعادل 1,87% من مجموع الصفحات فيها.

صفحة "Culture" "ثقافة": وظهرت في (12) عددا من العينة ولم تتجاوز في كل مرة صفحة واحدة يخصص حيز منها للإشهار أحيانا، ويصل إلى نصف الصفحة، وذلك عبر صفحات مختلفة من الجريدة، حيث ظهرت في الصفحة 11 و13 و15 و17 و21 و23.

وتضمنت صفحة "الثقافة" عبر تقارير قصيرة وأخبار وحوارات (قصيرة أيضا) لبعض ما يعرضه المسرح أو السينما ونشاط بعض المغنين (الشباب) الجزائريين في الجزائر أو الأحانب في الخارج وتعرض للتعريف ببعض هؤلاء وجديدهم في سوق الغناء، وتقارير عن معارض الكتب واللوحات التشكيلية ولمهرجانات الموسيقى والأفلام في الجزائر والخارج، وأحيانا للتعريف بكتاب وكاتبه جزائريا أو أجنبيا وللإطلاع على الآثار الرومانية في الجزائر. وتمثل صفحات الثقافة الثلاثة عشر التي ظهرت عبر عينة "الوطن" نسبة 2,24% من مجموع صفحات الجريدة.

صفحة "الاقتصاد" "Economie": وقد ظهرت في 13 عددا من العينة، ولم تتجاوز الصفحة الواحدة في كل مرة وخصص جزء من هذه للإشهار أحيانا، وذلك في الصفحة الخامسة

في 12عددا منها إلا مرة واحدة في صفحة (6) من الجريدة، وتتناول بالمقالات غالبا وبالأخبار بشكل أقل التحليل والتعليق للمواضيع والأحداث والقضايا والمؤسسات الاقتصادية في الجزائر وأحيانا في الخارج، مثل الاستثمار وإصلاح البنوك وسوق العمل والبطالة والدواء والمال والبورصة والمفاوضات مع الاتحاد الأوربي والمؤتمرات الاقتصادية ونشاط وزير الاقتصاد وتصريحاته، وكذا مواضيع الطاقة والغاز والفقر وأحيانا للتعريف بكتاب أو مجلة في الاقتصاد والتنمية. وقد عالجت صفحة الاقتصاد مواضيعها عبر أركان تظهر أحيانا وتغيب أحيانا أخرى، مثل "Indices" و" Echange" "تنوير" وأحداث وأرقام، ويوقع المقالات صحافيون بالجريدة أو مختصون في الاقتصاد تعليما أو إدارة أو خبرة، كما ترفق المواضيع أحيانا بصور موضوعية أو شخصية أو رسم.

وتمثل صفحات الاقتصاد 2,42% من مجموع صفحات عينة "الوطن".

صفحة "Dossier" "ملف": وقد ظهرت مرة واحدة في العينة. وذلك في عدد 20 مارس، في صفحتين هما الصفحة الخامسة والسادسة، خصص نصف الأخيرة للإشهار، وخصص ملف العدد لمناسبة 19 مارس تاريخ وقف إطلاق النار في الجزائر، وتناولت حوارا مع رئيس جمعية "الحقيقة من أجل الحركة" ربط فيه المسؤولية للدولة الفرنسية وطلب من الجزائريين دفن الحرب وبداية المصالحة»[1]. ومقال عن اتفاقيات إيفيان برؤية صحفي سويسري، وقراءة في أفكار حول المناسبة في كتابين والتوقيع كان لصحافيين بالجريدة وتمثل صفحتي الملف نسبة 0,4% من مجموع صفحات العينة.

صفحة "International" "دولي": وظهرت في 13 عددا يستغرق غالبا صفحة واحدة إلا في عدد واحد منها، احتل عنوانه صفحتين وخصص جزء منها للإشهار وتناول مواضيع دولية في مختلف الأحداث والقضايا مرفقة بعضها بصور، وكان مجموعة في عينة الوطن 14 صفحة وهو ما يعادل 2,61% من صفحات العينة.

صفحة "Reportage": ظهرت في سبعة أعداد، واستغرق صفحة واحدة في كل مرة هي الصفحة (13) في ثلاث مرات، وصفحة (5) في مرتين وصفحة (6) وصفحة (7) لمرة واحدة لكل منهما، وتناولت الصفحات عبر مقالات تحليلية في الغالب مواضيع وطنية ودولية ذات بعد

---

[1]-Nadjia, Bozeghrana, L'état français est responsable, El Watan, N°3432, Mercredi 20 Mars 2002.

سياسي وديني واجتماعي، مثل أحداث تيزي وزو، الإسلاميون في مصر وفلسطين وتركيا ولبنان بعد الحرب الأهلية، والجريمة في أمريكا والهجرة غير الشرعية عبر الحدود الغربية الجزائرية، وترفق المواضيع بصورة ذات دلالة مقصودة من الجريدة، وقد تلخص رأيها في الموضوع.

وتمثل صفحة "Reportage" بعدد صفحاتها السبع نسبة 1,30%من مجموع صفحات العينة.

صفحة "Espace lecteur" "**فضاء القراء**": وظهر في عددين فقط من عينة الوطن واستغرق عنوانه صفحة واحدة في كل مرة، هما الصفحة 13 مرة والصفحة 17 في الأخرى، وتعرض للرسائل ذات الطابع الجماعي وهو ما كانت تعلن عنه الجريدة لقرائها[1]. وقد خصص حيز من الصفحة للإشهار في العددين.

وتمثل صفحة "القراء" نسبة 0,4% بين مجموع صفحات العينة من "الوطن".

صفحة "Jeux et Détente" "**ألعاب واستراحة**": تظهر عادة في الصفحة (21) مع كل عدد، وظهرت في الصفحة 29 مرة وفي الصفحة 14 في ثلاثة أعداد، وكما يدل عليها عنوانها فهي فضاء للترفيه عبر عرض شبكات للكلمات المتقاطعة والسهمية وحلولها. وتمثل نسبة4,10% من مجموع صفحات العينة.

صفحة "تلفزيون" "Télévision": وتضاف لصفحات الترفيه والاستراحة، وتتمثل في عرض برامج التلفزيون والتي تظهر عادة على صفحة واحدة هي الصفحة (22)، عبر كل العينة إلا في عدد واحد منها هو عدد 4 جوان الذي ظهر في 32 صفحة، واحتلت فيه صفحة التلفزيون رقم 30 منها.

وبرنامج التلفزيون في جريدة "الوطن" يعني عرض برامج القنوات الفرنسية حصريا ولا مكان في الصفحة لبرامج التلفزيون الوطني الجزائري، وهذه القنوات هي على التوالي: (TF1 -F2 - F3 - +Canal- M6- F5- ARTE) وعادة ما تعرض الصفحة برنامج يوم واحد إلا في أعداد الخميس التي تعرض برامج يومين متتالين هما يوم الخميس والجمعة، وقد ظهر ذلك في أربعة أعداد من العينة.

وتصحب الجريدة برنامج كل قناة بصورة لفيلم السهرة، وتتمثل في صورة لأبطاله مع

---

[1]-El Watan, N°3503, Mercredi 12 juin 202, p17.

عنوان الفيلم وتلخيص فكرته الرئيسية أو لمباراة في كرة القدم مع صورة لها.

وتتضمن الصفحة بالإضافة إلى برنامج القنوات الفرنسية وعبر أركان متنوعة تظهر أحيانا وتغيب أحيانا وهي: "Actustar" وتحتوي جديد المغنيين والممثلين والمشطين في التلفزيون الفرنسي في حياتهم الفنية والخاصة، وهم في الغالب أمريكيون وأحيانا فرنسيون و"Programme " و"A voir" وهو تلخيص لفيلم من الأفلام المبرمجة للسهرة أو لبرنامج أو حصة تلفزيونية.

و"La vie des medias" و"Cinema" و"Notre selection" ومما تتضمنه حديث عن فيلم أو شخصية لمغني (ة) أو ممثل (ة) كما قد تكون لشخصية رياضية. أما الأفلام فهي عادة أمريكية وأحيانا فرنسية، وخلال عينة "الوطن" موضوع البحث لم تعرض صفحة تلفزيون إلا لموضوع واحد عن الجزائر، ويتعلق الأمر بالمهرجان السمعي البصري في مدينة بشار، وذلك في عدد الثلاثاء 4 جوان 2002م.

وتمثل صفحة تلفزيون ما نسبته 4,10% من مجموع صفحات عينة الوطن في البحث.

صفحات "Voilà l'été" "ها هو الصيف": التي ظهرت خلال فصل الصيف في ثلاثة أعداد من العينة، واستغرقت في كل منها ثلاثة صفحات، وتنضم إلى صفحات الترفيه، حيث تتضمن مقالات عن السياحة في العالم وفي الجزائر، وعن مهرجانات الموسيقى واللقاء مع المغنيين مع ركن بعنوان "Ephémérides" ويعرض إلى موقع تاريخ العدد في الأحداث في العالم، وركن آخر بعنوان "مفارقة"، ويعرض للحديث عن مواقف أو تصريحات متناقضة لشخصيات من عالم السياسة والرياضة وبعض الأحداث الطبيعية.

وترفق المواضيع بصور للحدث، أو بشخصيات أو برسم، وتشمل الصفحات على فضاء للإشهار لا يزيد عن سدس الصفحة غالبا، وقد مثلت هذه الصفحات 1,67% من مجموع عينة الوطن بالبحث.

صفحة "Sports": وتظهر عادة في الصفحة رقم 17 من الجريدة وتستغرق صفحة واحدة فقط، لكنها ظهرت أيضا في صفحات رقم 13 و16، وكذا ص21 في العدد 4 جوان الذي حوى 32 صفحة، كما استغرقت صفحتين في ستة أعداد من العينة.

وتعرض الصفحة أو الصفحتان أخبار كرة القدم أساسا ومختلف الرياضات الأخرى في

الجزائر أو عبر العالم العربي والغربي، وقد خصصت الجريدة صفحات إضافية للرياضة بمناسبة كأس العالم 2002م لتغطية الحدث ومتابعة نتائجه، وذلك عبر أربع صفحات في عدد 4 جوان وثلاث صفحات في عدد 12 جوان من العينة، وعلى ذلك تكون "الوطن" قد خصصت 6,53% صفحة للرياضة من مجموع صفحاتها.

صفحة "Petites annonces" "**إعلانات صغيرة**": وما تسميه بعض الصحف بالإعلانات المبوبة، وتظهر هذه الإعلانات عادة في الصفحتين رقم 19 و20 غالبا، وقد تظهر في الصفحات 20-21 كما في ثلاثة أعداد من العينة أو في صفحة واحدة، كما في ثلاثة أعداد أيضا كما ظهرت في صفحات 27 ،28 في عدد واحد في 04 جوان من العينة وتخصص هذه الصفحات لإعلانات عن هاتي وتعازي وتشكرات وذاكرة عن أموات، وفي جانب آخر تخصص لإعلانات عن بيع أو كراء محلات ودور سكن وعربات نقل وعروض عمل وبحث عن عمل وتبادلات واقتراحات مختلفة، وقد تخيل الإشهار حيز معين من الصفحة أحيانا. وتكون "الوطن" قد خصصت 7,64% من مجموع صفحاتها لهذه الإعلانات.

الصفحة الأخيرة: التي شهدت تغيرات في الإخراج من حيث أركانها ومواضيعها، وكذا من حيث إدخال اللون الأحمر أكثر فأكثر عليها، ويعاد كتابة عنوان الجريدة فقط، ثم مع شعارها وتاريخ العدد ضمن إطار أحمر بداية من عدد "4 جوان" من العينة، وكذا لتأطير العناوين المختلفة أو الهامة في الجريدة.

وتعالج في الصفحة الأخيرة مواضيعها ضمن مقالات تحليلية أو نقدية. كما تعرض للأخبار الأخيرة الوطنية منها والدولية العربية والأجنبية ضمن عناوين للأحداث أولا ثم ضمن أركان معنونة وفي مكان معين من الصفحة مثل "Mediascope" و"Sous le projecteur" و" Dernières infos" و"A la Der" قبل أن ينتقل إليها تعليق الصفحة الأولى "Commentaire" ليحتل مكانه في أعلى يمين الصفحة بداية من العدد 9 ماي من العينة، بالإضافة إلى حيز من الصفحة يعالج مواضيع مختلفة وطنية وأجنبية في شكل تعليق مختصر وفي إطار خاص عنوانه "رقم اليوم" تناول مثلا عدد اللاجئين الأفغان مرة، ومداخيل صناعة السياحة في العالم أو عدد التدخلات السنوية للحماية المدنية في الجزائر مرة وغيرها. ويخصص حيزا من الصفحة الأخيرة للإشهار غالبا ولا يزيد عن ثمنها، وتمثل الصفحة الأخيرة 2,23% من مجموع صفحات عينة الوطن.

وفيما يأتي جدول يعرض مختلف أقسام جريدة "الوطن" ونسبها المئوية عبر مجموع صفحات العينة موضوع البحث منها.

ويليها جدول يلخص أهم خصوصيات الجرائد الثلاثة موضوع الدراسة في عينة البحث وزمانها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صفحات El Watan		نسبها المئوية
Culture		2,24%
La une		2,23%
Régions + Cirta-infos + Setif-info + Hyppone-info + Société + Est	4,30%	10,51%
	4,30%	
	0,56%	
	0,40%	
	0,20%	
	0,75%	
Actualité + Epoque + Evénement	12,32%	18,3%
	4,11%	
	1,87%	
Sports + Mondial 02	5,23%	6,53%
	1,3%	
Coin lecteur		0,4%
Dossier		0,4%
Reportage		1,3%
International		2,61%
Economie		2,42%
Petites annonces		7,64%
Télévision		4,10%
Publicité		33,32%
La dernière		2,23%
الجموع		100

الجدول رقم 18 : عرض أقسام جريدة "El Watan" ونسبها المئوية عبر مجموع صفحات العينة موضوع البحث منها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خصوصياتها / عناوين الجرائد	1-المدير العام 2-رئيس التحرير	تاريخ أول ظهورها	مكان صدورها	دورية صدورها	شعارها	حجم سحبها اليومي	طبيعة التوزيع	عدد صفحاتها	نسبة الإشهار بين مجموع صفحاتها في العينة
1-Liberte	1-عيروس اوتودار 2-حسان وغلي	27 جوان 1992	الجزائر العاصمة	يومية	حل في العلم وواجب الإعلام	بين 135710 و 164.300 (فترة الدراسة)	وطني	24	41,66% عبر 19 عددا من الدراسة
2-El Moudjahid	1-عبد المجيد شربال 2-العربي تيمبزار	-قبل الاستقلال 1956 -بعد الاستقلال جوان 1965	الجزائر العاصمة	يومية	الثورة بالشعب والشعب	1988: بين 300172 و 363338 يوميا 1999: 117 نسخة	وطني	24	27,05% عبر 13 عددا من الدراسة
3-El Watan	1-عمر بلهوشات	أكتوبر 1990	الجزائر العاصمة	يومية	اليومية المستقلة	1999: قدر بأكثر من 103 ألف نسخة يوميا	وطني	24	33.176% عبر 22 عددا من الدراسة

الجدول رقم 19: هم خصوصيات الجرائد موضوع البحث عبر عينة الدراسة ورمانها

المبحث الرابع: تحديد فئات التصنيف ووحدات التحليل

أولا : تحديد فئات المضمون:

يقصد بفئات المضمون «تحديد العناصر الرئيسية والثانوية التي يتم وضع وحدات التحليل فيها: كلمة، موضوع، أو قيم..الخ والتي يمكن وضع كل صفة من صفات المحتوى فيها وتصنف على أساسها»[1].

وتحدّد معايير التصنيف على التوالي:

أ-بالإطار النظري لمشكلة البحث.

ب-من حدود ما يثيره البحث من فروض أو تساؤلات.

ج-من إطار النتائج المستهدفة من البحث [2].

ويشدد المختصون على أهمية الدقة والوضوح في تحديد فئات المضمون ويؤكدون على أن نجاح البحث أو فشله يتوقف على هذه الخطوة؛ حيث نجحت الدراسات التي تم فيها الإعداد الجيد والواضح لفئات التحليل بالتوصل إلى نتائج علمية وبحثية مثمرة، فيما فشلت دراسات أخرى في التوصل إلى نتائج ذات دلالة نظرا لعدم التدقيق في إعداد فئات التحليل منذ البداية [3]. ويركز الباحثون عادة في تحديد فئات المضمون بالإضافة إلى الاستقلالية والشمولية على ملاءمة الفئات لأهداف الدراسة، موضوع البحث، حيث يمكن أن تجيب فعلا عن التساؤلات أو تسمح باختبار الفروض[4].

ولتسهيل مهمة الباحث في اعتماد الدقة في تحديد فئات التحليل من المادة المقصودة بالبحث، يتم تقسيم هذه الفئات إلى فئتين رئيسيتين هما الفئات الخاصة بالمضمون والفئات الخاصة بالشكل. وكل منهما يتضمن فئات فرعية أو تفصيلية، وتفرض طبيعة كل دراسة تساؤلاتها وفروضها وكذا بأهدافها كيفية التصنيف وباعتماد فئة واحدة أو عدة فئات وفي دراستنا تم

---

[1]-رشدي طعيمة، المرجع السابق،ص62.

[2]-محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، المرجع السابق، ص 130.

[3]-سمير محمد حسين،المرجع السابق، صص264-265

[4]-محمد عبد الحميد، المرجع السابق،ص229.

تصنيف المادة الإعلامية موضوع الدراسة والتحليل إلى :

1 –فئات موضوع الاتصال: وتعد هذه الفئة أكثر الفئات عمومية في دراسات تحليل المضمون وهي تجيب على سؤال محوري هو حول ماذا تدور مادة الاتصال؟ وتعني تحديد مراكز الاهتمام لهذه المادة، وقد سمحت الدراسة المركزة للمادة الإعلامية عبر جرائد العينة موضوع البحث اعتماد ستة(06) فئات رئيسية، وكل فئة منها تتفرع إلى فئات ثانوية أو تفصيلية هي كما يلي :

1 الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت وتتناولها تحتها:

1-1 -القرآن الكريم.

1-2-الحديث النبوي.

1-3-السيرة النبوية.

1-4 -حكم شرعي (يتعلق بالحلال والحرام والمباح).

1-5 -العبادات الإسلامية(الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج).

1-6-قيم أخلاقية إسلامية.

1-7-الاجتهاد الشرعي.

1-8-شخص الرسول ﷺ

1-9-أشخاص الصحابة رضي الله عنهم.

1-10 -الجهاد.

2 الخطاب الإسلامي في المجال السياسي، وتتناول تحته:

2-1 -الأحزاب وشخصيات حزبية إسلامية.

2-2- الانتخابات والحملات الانتخابية.

2-3-مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية.

2-4- الإسلام والديمقراطية.

2-5-نظام الحكم في الإسلام.

3-الخطاب الإسلامي في المجال الأمني:

3-1-العنف (الإسلامي)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-2-الحرب على الإرهاب

3-3-العلاقة بتنظيم بالقاعدة.

3-4-جماعات مسلحة إسلامية (إرهابية).

4-الخطاب الإسلامي في المجال التربوي:

4-1-المدرسة القرآنية.

4-2-تعريب التعليم

4-3-تعميم التعريب

4-4-إصلاح المنظومة التربوية.

4-5-شخصية تربوية إسلامية (امرأة-رجل).

4-6-المرأة المسلمة.

5-الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي:

5-1-يوم العلم.

5-2-الكتاب الإسلامي.

5-3-حفلات ومناسبات ثقافية إسلامية.

5-4-شخصية ثقافية إسلامية.

5-5-تقاليد إسلامية.

6-الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري:

6-1-ثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية.

6-2-التاريخ الإسلامي للجزائر.

6-3-انتماء الجزائر العربي الإسلامي.

6-4-الانتماء إلى المغرب العربي.

6-5-العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر.

6-6-العلاقة مع الآخر.

II-فئة اتجاه مضمون الاتصال : وتعني الاتجاه الذي يعكسه مضمون المادة الإعلامية موضوع التحليل والتي تتحدد عموما في الاتجاهات الآتية:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-الاتجاه الايجابي: وهو الاتجاه الذي يتم التركيز فيه على الجوانب الإيجابية في الخطاب الإسلامي يدعو صراحة إلى قبوله والتعامل معه وتبنيه.

2-الاتجاه السلبي : وهو الاتجاه الذي يتم التركيز فيه على الجوانب السلبية في الخطاب الإسلامي أو يدعو صراحة إلى مواجهته وعدم التعامل معه ورفضه.

3-الاتجاه المحايد: وهو الاتجاه الذي يقدم فيه الخطاب الإسلامي بشكل متوازن، ويعرض بجوانبه المختلفة ويدعو إلى التعامل معه بحكمة وتبصر بفرز ما هو سلبي منه مما هو إيجابي منه.

4-الاتجاه غير الواضح:

III-فئة الموجع أو المصدر: وتفيد في معرفة طبيعة المراجع التي ترجع إليها أو تساق على لسانها المادة الإعلامية في الجرائد موضوع البحث، ومن ثم التعرف على مدى موضوعية مادة الاتصال في الاعتماد على مصادر معينة أو على مصادر متنوعة في كتابة مواضيعها لتقدمها إلى القارئ، وتم تحديد هذه المصادر في :

1-صحفي بالجريدة

2-شبكة المراسلين.

3-وكالة أنباء :-وطنية، -عربية من هي؟ ، -أجنبية من هي؟

4-مصادر رسمية- مؤسسة الرئاسة -وزارة-البرلمان (مجلس الأمة، المجلس الوطني الشعبي).

5-مصادر حزبية.

6-مصادر أمنية عسكرية.

7-مصادر أخرى: جمعيات، نقابات، منظمات جماهيرية جامعيون.

8-وسائل إعلام أخرى:-جرائد وطنية، عربية، أجنبية.

-قنوات تلفزيونية وطنية-عربية-أجنبية .

-إذاعات : وطنية-عربية-أجنبية.

9-دون توقيع.

IV-فئة وظيفة المضمون الاتصالي: وتفيد في معرفة ومن ثم قياس مدى فاعلية الرسالة الإعلامية في الجرائد موضوع البحث في معالجتها للخطاب الإسلامي من حيث تحديد طبيعتها ووظيفتها

مثل:

1-إعلام واختبار.
2-شرح وتفسير.
3-تشجيع على القبول.
4-تحريض على الرفض.

ثانيا : تحديد فئات شكل الاتصال:

وهي الفئات التي تجيب على سؤال كيف قيل؟

وتم اعتماد الفئات التالية:

I فئة الشكل أو القالب الصحفي: والمقصود بها تحديد القوالب الفنية التي تتخذها المواد الإعلامية في الجرائد موضوع البحث،والتي يستدل عن طريقها عن القيمة التي يعبر عنها الشكل المختار الذي عولج عبره الخطاب الإسلامي، وقد تم تصنيف الأشكال التالية:

1-المقال الافتتاحي
2-الخبر الصحفي.
3-تقرير صحفي.
4-مقال تحليلي.
5-مقال رأي.
6-حديث صحفي.
7-روبورتاج.
8-عمود صحفي.
9-عنوان صحفي.
10-الكاريكاتور.
11-رسم صحفي.
12-صورة صحفية.
13-خطاب رسمي (رئيس جمهورية، رئيس الحكومة)(*)

II فئة الموقع: ونعني بها تحديد موقع المادة الإعلامية التي تناولت الخطاب الإسلامي في الصحيفة، وقد درج الباحثون على تحديد ذلك عبر صفحات الجريدة، فاختلاف موقعها في أي صفحة من الجريدة يختلف من حيث دلالته في أي صفحة أخرى، وقد تم تحديد الصفحات كالتالي:

1-الصفحة الأولى.
2-الصفحة الأخيرة.
3-الصفحات الداخلية(تحدد).
4-صفحة متخصصة.

III فئة الوسيلة : والتي تعني الطريقة التي يتبعها المضمون الإعلامي لإقناع القارئ

(*)-لاحظت الباحثة في دراستها الاستطلاعية للجرائد موضوع البحث، تخصيص جريدة "EL Moudjahid" صفحات كاملة لنقل نص خطابات رئيس الجمهورية، وكذا خطابات رئيس الحكومة، وكذلك خصصت "الخطاب الرسمي" ضمن فئات الشكل الصحفي.

بوجهة النظر التي يسوّقها أو يعرضها أو يتبناها وتم تحديد ذلك في :

1-التعميم. 3-الاستمالات العاطفية.

2-الاستشهاد بمصادر مختلفة. 4-الأسلوب المباشر.

ثالثا: تحديد وحدات التحليل والقياس:

ويقصد بها التقسيمات الفرعية الثابتة التي تستخدم كأساس لعناصر الموضوع في صورته العددية والتي يتم عد الجوانب ذات الدلالة في الموضوع بناء عليها. وفي تراث تحليل المضمون توجد خمس أنواع من الوحدات، « وتعد أساسية لتحليل الرموز اللفظية وهي: الكلمات، الموضوعات، الشخصيات، المفردات، ومقاييس المساحة والزمن» [1].

وسنعتمد في بحثنا على وحدة المفردة ووحدة الموضوع ووحدة الكلمة.

-**وحدة المفردة:** وهي الوحدة الشائعة استعمالها في تحليل المضمون، وهي الوحدة الطبيعية التي يستخدمها منتج مادة الاتصال، وفي دراستنا هي الأنواع الصحفية المختلفة التي حسبت عبرها المادة الإعلامية في عينة الجرائد موضوع البحث.

-**وحدة الموضوع:** ونعني به الفكرة التي تدور حول مسألة معينة، وتعد وحدة الموضوع أهم وحدات تحليل المضمون وأصعبها في الوقت نفسه؛ لأنه يكشف عن الآراء والاتجاهات الرئيسية في مادة الاتصال كما تعود الصعوبة فيه إلى المجهود الذي يتطلبه من الباحث في قراءة كافة المادة الإعلامية لمعرفة الأفكار الرئيسية التي تدور حولها كل مفردة منها.

*__وحدة الكلمة:__ وهي أصغر وحدة من الوحدات المستخدمة في تحليل المضمون والتي يترتب عليها حصول الباحث على قوائم يسجل فيها تكرارات ورود كلمات هي هنا الفئات المختارة في المادة موضوع التحليل.

***العد والقياس:** وبعد تحديد فئات ووحدات التحليل تأتي مرحلة صياغة المحتوى بطريقة كمية ويتم ذلك باختيار وحدة العد أي ربط فئات المحتوى بوحدات التحليل بعلاقة معينة، وفي تحليل المحتوى توجد أربع طرق للعد والقياس وتتمثل في:

---

[1]-مختار التهامي، المرجع السابق، ص29.

1-اكتشاف في ما إذا كانت الفئات أو الوحدات موجودة أو غير موجودة في المحتوى.

2-التكرار الذي تظهر به الفئات أو الوحدات.

3-قياس كمية أو مساحة الفئات أو الوحدات المختارة.

4-قياس درجة الشدة التي تظهر بها الفئات والوحدات في المحتوى.

وفي بحثنا موضوع الدراسة تم اختيار الطريقة الأولى والثانية بمعنى اكتشاف ما إذا كانت الفئات أو الوحدات موجودة أو غير موجودة في المضمون الاتصالي، ثم رصد التكرار الذي تظهر به فئات الموضوع والاتجاه والمصدر من خلال وحدات التحليل المختارة.

رابعا: تصميم استمارة تحليل المضمون ودليلها[1]:

بعد تحديد فئات التحليل ووحداته تأتي مرحلة تصميم استمارة تحليل المضمون التي تتمثل عمليا في تحويل المعلومات أو ما يعرف بالبيانات اللفظية التي تم تصنيفها إلى بيانات كمية يعبر عنها عادة بالأرقام والرموز وذلك بهدف رصد معدلات التكرار عبر المادة الإعلامية المحللة، ومن ثم تأتي أهمية تصميم استمارة تحليل المضمون في تحقيقها لأكبر قدر من الموضوعية التي تحقق صفة لنتائج البحث في إجابته على تساؤلات الدراسة أو تحققه من فروضها، وذلك من نواحي عديدة منها:

1-أنها تساعد الباحث على اتباع نظام واحد في تحليل البيانات[2].

2-أنها تسهل عملية جمع البيانات وتفريغها في جداول تتحول فيها الألفاظ إلى أرقام، حيث « أن الأمر لن يتطلب من الباحث في حالة الدقة أكثر من التأشير على الحقول أو الخانات التي تشير إلى رموز المحتوى»[3].

3-تسهم في تحقيق قدر كبير من الثبات حين تتم مراعاة البساطة في تسجيل الرموز واستخدام الأرقام المعبرة عن البيانات.

4-أنها تختصر الجهد والوقت.

وتحتوى استمارة تحليل المضمون عادة على :

1-انظر: دليل استمارة تحليل المضمون في الملحق رقم 4.

2- شدي طعيمة، المرجع السابق،ص112.

3-محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، مرجع سابق، ص153.

أ-**البيانات الأولية**: للوثيقة موضوع البحث وهو في دراستنا ثلاث جرائد جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية.

ب-**فئات التحليل**

جـ-**وحدات التحليل**: التي تمثل في نفس الوقت وحدات العد في حالة استخدام التكرار كوسيلة للرصد والتسجيل.

د-**البيانات الكيفية**:التي لا يسمح تصميم الاستمارة بتسجيلها تسجيلا كميا، وبالنسبة لموضوع دراستنا فقد تم تصميم استمارة التحليل فيها بتقسيمها إلى ما يلي :

أولا: **البيانات الأولية**: وتشمل المعطيات الخاصة بالجرائد الثلاث موضوع البحث التي يتم تصنيفها عبر مجموعة من الخانات المرقمة وكل منها خاصة بمعلومة من المعطيات التي تتعلق بعنوان الجريدة، وتاريخ صدورها وعدد صدورها، وذلك كالتالي:

1

☐ وتحتوي على عنوان الجريدة

2 3 4

☐☐☐☐وتحتوي على تاريخ صدور الجريدة وهي على التوالي:2-اليوم،3-الشهر، 4-السنة.

5

☐ وتحتوي على رقم العدد.

ثانيا: **البيانات الكمية**: وبالطريقة نفسها يتم تصنيف خانات مرقمة بعدد فئات التحليل الرئيسية وكذا للفئات الفرعية التي تندرج تحتها، فعددنا:

1-فئة الموقع: والتي تندرج تحتها فئات فرعية هي الصفحة الأولى، الصفحة الأخيرة الصفحات الداخلية، صفحة متخصصة وقد ترجم ذلك في خانات تحمل كل منها رقم يعبر عن فئة فرعية واحدة كالتالي:

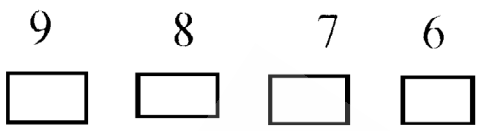

2-فئة الشكل أو القالب الصحفي: التي صب فيها تناول الحديث عن الإسلام أو ما يتعلق به، وقد تم تصنيف: ثلاثة عشر شكلا أو جنسا صحفيا، ومن ثم يكون عدد الخانات المصممة لهذه الفئة ثلاثة عشر خانة كل منها يشير إلى نوع صحفي واحد، وذلك كمايلي:

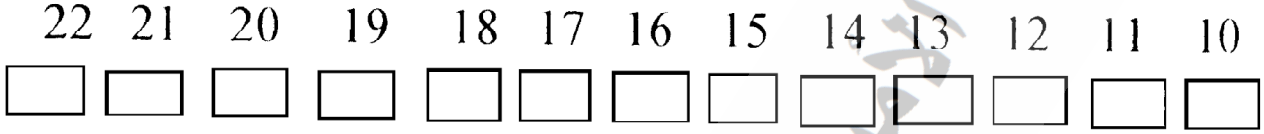

3 - فئة الموضوع :

1-الخطاب الإسلامي في المجال الديني للبحث، 2-في المجال السياسي، 3-في المجال الأمني. 4-في المجال التربوي، 5-في المجال الثقافي، 6-في المجال الحضاري، وعليه فقد تم تصميم ستة خانات مرقمة تسلسليا، وكل خانة منها يراد منها الإشارة إلى مجال واحد من المجالات المرصودة الستة، ثم تم تصميم خانات فرعية تندرج تحت كل فئة من هذه الفئات باختلاف عددها مع كل فئة منها وتم ذلك كما يلي:

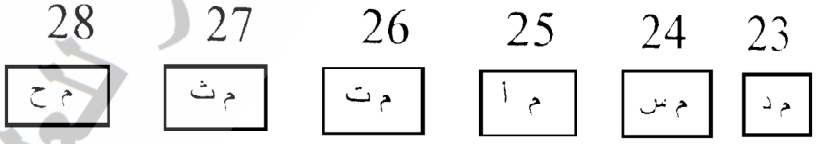

حيث أن الخانة(23) تشير إلى الفئة الرئيسية الأولى من فئات الموضوع التي يتناول الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت، والخانة (24) تشير إلى الفئة الرئيسية الثانية التي تتناول الحديث عن الخطاب الإسلامي في المجال السياسي وهكذا. ولما كان عدد الفئات الفرعية التي تندرج تحت الفئة الرئيسية الأولى هو عشرة، فقدتم تصميم عشر خانات مرقمة تسلسليا تحت هذه الفئة وهي كما يلي:

بالنسبة للفئة الرئيسية الأولى-الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت.

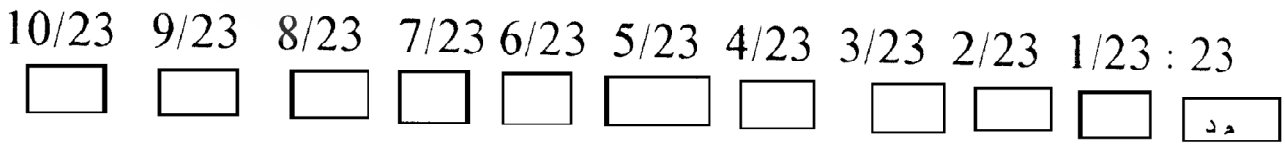

ولما كان عدد الفئات الفرعية التي تندرج تحت الفئة الرئيسية(26) مثلا، والتي تتناول الحديث

عن الخطاب الإسلامي في المجال التربوي، عددها ستة فقد تم تصميم ستة خانات مرقمة تسلسليا تندرج تحت فئة (26) كمايلي:

26 :	1/26	2/26	3/26	4/26	5/26	6/26
م ت						

وهكذا بالنسبة لبقية الفئات الرئيسية والفرعية التي تندرج تحتها في فئات الموضوع.

4-فئة المصدر أو المرجع: حيث تم تصنيف تسع فئات فرعية تحت هذه الفئة، وعليه فقد تم تصميم ثمانية خانات مرقمة تتضمن كل منها فئة فرعية وتم كما يلي:

29	30	31	32	33	34	35	36	37

بحيث تشير الخانة رقم 29-مثلا- إلى أن مصدر المادة الإعلامية التي تناولت الخطاب الإسلامي هو صحفي بالجريدة، بينما تشير الخانة رقم 35 مثلا إلى مصدره هو عسكري.

5-فئة الاتجاه: وتم تصنيف أربع فئات رئيسية وعليه تم تصميم أربع خانات تشير كل منها إلى واحدة من هذه الفئات وهي كمايلي:

38	39	40	41

بحيث تشير على التوالي إلى الاتجاه الإيجابي، السلبي، الحايد وغير الواضح.

6-**فئة وظيفة المضمون**: وتم تصنيف أربع فئات ومن ثم صممت أربع خانات تتناول كل منها فئة واحدة وتم ذلك كمايلي:

42	43	44	45

بحيث تشير الخانة رقم 42 -مثلا- إلى أن وظيفة المضمون كانت وظيفة إخبار وإعلام، وتشير الخانة 45إلى أن وظيفة المضمون تحرض على الرفض.

7-**فئة وسيلة الإقناع**: وقد تم تصنيف أربع فئات وصممت لها أربع خانات مرقمة تسلسليا وتشير كل منها إلى وسيلة من وسائل الإقناع المصنفة وهي كالتالي:

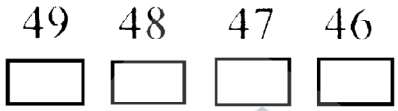

بحيث تشير الخانة –47–مثلا–إلى أن وسيلة الإقناع تمثلت في الاستشهاد بالمصادر المختلفة، بينما تشير الخانة رقم–49– بأن الوسيلة اعتمدت على الأسلوب المباشر.

ثالثا: الملاحظات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثامن:

موضوعات الخطاب الإسلامي

المبحث الأول: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "Liberté"

المبحث الثاني: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Moudjahid"

المبحث الثالث: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Watan"

المبحث الرابع: موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يتناول الفصل عرض موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد موضوع البحث على التوالي "Liberté" و"El Moudjahid" و"El Watan" التي جاءت على الشكل التالي.

المبحث الأول: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "Liberté"

ويلخصها الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	موضوعات للخطاب الإسلامي في "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	المجال السياسي	131	38,30
2	المجال الأمني	117	34,21
3	المجال الديني البحت	37	10,82
4	المجال التربوي	26	7,60
5	المجال الحضاري	23	6,73
6	المجال الثقافي	8	2,34
المجموع		342	100

الجدول رقم 20: نتائج موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "Liberté"

اهتمت جريدة "Liberté" بمختلف المجالات الستة التي تم تصنيف الخطاب الإسلامي فيها ولكن برز اهتمامها خاصة بالمجال السياسي والمجال الأمني اللذين سجلا على التوالي المرتبة الأولى والثانية واستغرقا لوحدهما ما يقرب من ثلاثة أرباع التكرارات المسجلة. بينما تقتسم المجالات الأربعة المتبقية مجتمعة الربع المتبقي من الترددات، وقد جاءت النتائج التي يفصلها الجدول رقم 20 أعلاه كمايلي:

-المجال السياسي سجل أكبر نسبة من الترددات 131 مرة واستغرق 38,30% من اهتمام الجريدة بالموضوع، وتفسير ذلك يرتبط بالانتخابات التي شهدتها الجزائر في مدة الدراسة سنة 2002م مع ملاحظة تأكيد ذلك فقط بالنسبة للترددات الكثيرة التي سجلت في الأعداد من العينة المتزامنة مع التشريعيات (شهر ماي) أثناء التحضير، وأثناء الحملة الانتخابية، وكذا بعد الانتخابات مباشرة في قراءة نتائجها، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للمحليات، حيث لم تسجل تكرارات تميز هذا الحدث في الأعداد المتزامنة مع المحليات (شهر أكتوبر).

-المجال الأمني سجل ترددات أقل من المجال السياسي، لكنها قريبة جدا منها (117 مرة) مقارنة مع تكرارات المجالات المتبقية، واستغرق من ثم 34,21% من اهتمام الجريدة بهذا المجال، وقد ميز تكرارات هذا المجال في جريدة "Liberté" توزيعها على مختلف الأعداد بما فيها تلك التي تزامنت مع ذكرى 11 سبتمبر لأحداث نيويورك، مع ملاحظة خلو فئة "العلاقة بالقاعدة" في هذا المجال من تسجيل أي تردد عبر 18 عددا بين 19 وهو ما نعرض له لاحقا مع الفئات الفرعية.

-المجال الديني البحت، من 131 و117 ترددا ينخفض تسجيل الترددات مع هذا المجال إلى 37 مرة فقط، أي بنسبة 10,82% فقط من اهتمام الجريدة بالخطاب الإسلامي في المجال الديني، البحت الذي خلت خمس فئات كاملة بين فئاته الفرعية من تسجيل أي تردد عبر 19 عددا للعينة التي جرت عليها الدراسة، ولهذا دلالة واضحة في توجه الجريدة عموما وسياستها في معالجة مختلف المضامين ضمن مرجعية تقف على كثير من جوانبها لاحقا.

-المجال التربوي يأتي في المرتبة الرابعة حيث رصد عبر 26 تكرارا في العينة التي جرت عليها الدراسة، أي بنسبة 7,60% من اهتمام الجريدة بهذا المجال.

-المجال الحضاري يأتي في المرتبة الخامسة بتسجيله 23 ترددا، وبالتالي 6,73% فقط من اهتمام الجريدة بهذا المجال في مضامينها وخطابها الإعلامي.

-المجال الثقافي يسجل في المرتبة الأخيرة وبنسبة هي الأقل عبر مختلف المجالات، حيث لم يرصد إلا عبر 8 ترددات، بالتالي لم تأخذ سوى 2,34% من اهتمام الجريدة، وسنعرض بالتفصيل لمختلف فئاته والفئات الفرعية لمختلف المجالات في الجداول الموالية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصها الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	موضوعات الخطاب الإسلامي في "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	المجال السياسي	42	24,28
2	المجال الديني	35	20,23
3	المجال الأمني	32	18,50
4	المجال الحضاري	31	17,92
5	المجال الثقافي	20	11,56
6	المجال التربوي	13	7,51
المجموع		173	100

الجدول رقم 21: نتائج موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Moudjahid"

وتبين قراءة هذه النتائج أنه ضمن 13 عددا من عينة "El Moudjahid" التي جرت عليها الدراسة تتصدر فئة المجال السياسي كل الفئات الرئيسية الست المعتمدة بعدد تكرارات بلغ 42 مرة وبنسبة مئوية تعادل 24.28%، وتأتي فئة المجال الديني في المرتبة الثانية بعدد تكرارات بلغ 35 وبنسبة مئوية عادلت 20.23%، ثم تأتي فئة المجال الأمني في المرتبة الثالثة بعدد تكرارات بلغ 32 مرة ونسبة مئوية عادلت 18.50%، وتأتي بعدها فئة المجال الحضاري في المرتبة الرابعة بعدد تكرارات بلغ 31 مرة ونسبة مئوية عادلت 17.92%، وتأتي فئة المجال الثقافي في المرتبة الخامسة بعدد تكرارات بلغ 20 مرة وبنسبة مئوية عادلت 11.56%، وتأتي في النهاية فئة المجال التربوي في المرتبة السادسة والأخيرة بعدد تكرارات بلغ 13 مرة وبنسبة مئوية عادلت7.51%.

وقد يفسر تصدر فئة المجال السياسي بقية الفئات الرئيسية الأخرى هو كون سنة 2002م وهي السنة التي تمت فيها دراسة الجرائد موضوع البحث قد ميزها العديد من الأحداث السياسية وخاصة منها الانتخابات التشريعية في 30 ماي 2002م، ثم الانتخابات المحلية في 10 أكتوبر 2002م، أيضا حيث شاركت بعض الأحزاب المصنفة بالإسلامية –حمس– والنهضة– وحركة الإصلاح الوطني– كما تضمنت الحملة الانتخابية في العمليتين تنافس مختلف الأحزاب المشاركة

عبر البرامج السياسية التي عبرت عنها الخطب والتصريحات الرسمية والحزبية وغيرها، وكان الخطاب الإسلامي بالفئات الفرعية التي اعتمدناها ضمن هذه الفئة الرئيسية مادة الكثير من هذه الأنشطة السياسية، وقد تابعت جريدة "El Moudjahid" هذه الأحداث بتغطيتها ونقل جانب هام منها عبر صفحاتها.

أما فئة المجال الديني التي جاء ترتيبها الثاني مباشرة بعد فئة المجال السياسي، فكان من الممكن أن تنتظم في المرتبة الثالثة وبعدد تكرارات أقل بكثير، ولما كانت "مواقيت الصلاة" التي تخصص لها الجريدة زاوية من صفحتها رقم 23 عبر كل عدد منها، فكان حساب هذه الفئة في المجال الديني ولو لم يكن المقصود منه "الصلاة" كركن من أركان الإسلام عبر تناولها في هذا الإطار بالدراسة أو بالتحليل لذاتها ولكن فحسب الإشارة إلى مواقيتها ضمن صفحة تخصصها الجريدة عادة لإعلانات التعازي، والترحم على الأموات، والإعلانات عن الوفيات وحفلات الميلاد وأخبار الجرائم والقتل، لكن تم اعتماد حسابها مع ذلك في فئة المجال الديني وهو ما زاد في عدد تكراراته وبالتالي ورود هذه الفئة في المرتبة الثانية بعد المجال السياسي وقبل المجال الأمني.

وجاءت فئة الخطاب الإسلامي في المجال الأمني المرتبة الثالثة باعتبار التكرارات الكثيرة في عينة الجريدة عند الحديث عن الإرهاب، والتطرف والعنف، والجماعات الإرهابية طريقة مباشرة أو عن طريق الإيحاء ومتابعتها للوضع الجزائري في هذا المجال في الفترة التي تم خلالها البحث من جهة ثم الوضع العالمي بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001م والتي أصبحت ألفاظ مثل الإرهاب والتطرف والعنف –وأوصاف كثيرة أخرى- لا تعني في حالة ذكرها في كثير من الأحيان إلا المسلمين والإسلام.

أما فئة المجال الحضاري فجاء ترتيبها الرابع ضمن الفئات الرئيسة، ويمكن تفسير ذلك بأن هذه الفئة قد تضمنت فئات فرعية تتعلق بالهوية الحضارية وثوابت الدولة الجزائرية وقد استأثرت هذه الفئات بالإشارة إليها شرحا أو تأكيدا أو تحديدا عبر كثير من التصريحات والخطب ضمن الحملتين الانتخابيتين اللتين تمتا خلال سنة 2002م أما السبب الثاني فيتصل بحدث دولي يتعلق بتفجيرات 11 سبتمبر 2001م والتي كانت سنة 2002م سنة الاحتفال بالذكرى الأولى لها، وقد خصصت لها الجريدة صفحات كثيرة للحديث عن الموضوع بنقل التصريحات الرسمية التي تتمحور في موضوعنا حول فئة "العلاقة بالآخر" ضمن فئة المجال الحضاري، حيث كان الحديث عن

الإسلام والمسلمين موضوعها الرئيسي.

ويضاف إلى اهتمام جريدة "El Moudjahid" بقضية فلسطين حيث خصصت لها صفحات منها لتناولها ومتابعة جديدها كقضية عربية أو إسلامية –المسجد الأقصى– ويأتي ذكرها بتكراراته العديدة ليجعل من فئة الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في المرتبة الرابعة.

وجاءت نسب المجال الثقافي والتربوي قليلة مقارنة بالمجالات الأربعة الأولى وسنعرض لتحليل ذلك بإيراد نماذج مختلفة عبر الفئات الفرعية تدريجيا.

المبحث الثالث: موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Watan"

ويلخصها الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	موضوعات للخطاب الإسلامي في "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية%
1	المجال الأمني	149	39,42
2	المجال السياسي	121	32,01
3	المجال الديني البحت	45	11,90
4	المجال الحضاري	40	10,58
5	المجال التربوي	16	4,24
6	المجال الثقافي	07	1,85
المجموع		378	100

الجدول رقم 22: نتائج موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Watan"

تظهر نتائج هذا الجدول بأن جريدة "El Watan" قد اهتمت بمختلف المجالات للخطاب الإسلامي المعتمدة لكن بدرجات متفاوتة جدا والترتيب الذي جاءت عليه النتائج تبين أن اهتمامها الأكبر كان بالمجال الأمني خاصة، وهو الذي جاء في المرتبة الأولى بـــ149 تكرارا وبنسبة 39,42% من حيز ذلك الاهتمام وذلك بالرغم أن فترة الدراسة كانت غنية بمختلف الأحداث الأخرى والمناسبات وخاصة السياسية منها التي ترتبط بالانتخابات التشريعية والمحلية التي جرت في 2002م.

وقد لاحظت الباحثة أن تكرارات هذا المجال –الأمني– قد سجلت هي الأخرى تفاوتا كبيرا عبر أعداد العينة حيث تخلو بعضها من أي حديث عن الخطاب الإسلامي في هذا المجال، بينما تسجل أعداد أخرى تكرارات كثيرة وخاصة منها العدد رقم 3581 الذي تزامن مع ذكرى تفجيرات نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية والذي خصصته الجريدة للحدث، كما لاحظت أن التكرارات التي سجلت في الأعداد التي تلت 11 سبتمبر كانت أكثر من التكرارات التي سجلت في الأعداد التي صدرت قبل 11 سبتمبر على الرغم من قلتها مقارنة بأعداد ما صدر منها قبله في العينة.

ويأتي المجال السياسي في المرتبة الثانية ترتيبا بعد المجال الأمني وقد سجل 121 تكرارا وبالتالي أخذ نسبة 32.01% من اهتمام الجريدة بين الفئات الرئيسية، ولاحظت الباحثة أن أغلب التكرارات قد سجلت في الفترة التي سبقت أو تزامنت أو تلت مباشرة الانتخابات التشريعية والمحلية، وقد قلت التكرارات قبل هذه المناسبات حتى خلت منها بعض الأعداد تماما(رقم 3460) والأعداد على التوالي (رقم 3503، 3548، 3548) أو سجلت بين تكرار واحد وأربع تكرارات في بقية الأعداد.

ومن ثم فقد سجلت الأعداد على التوالي (رقم 3474، 3481، 3489) والتي ترتبط بمناسبة الانتخابات التشريعية أعلى نسبة من التكرارات وذلك رغم عدم مشاركة حزب "التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" (RCD) الذي تحسب الجريدة عليه حتى يصفها الكثير على أنها الناطق باسم هذا الحزب وهو ما ثبت للباحثة بعد دراستها لها، وكذا عدم مشاركة حزب "جبهة القوى الاشتراكية" (FFS) التي اشتركت مع MDS, FD, RCD, RCD, ANR[1] لمقاطعة هذه الانتخابات إلا أن متابعة مجريات هذا الحدث السياسي الهام من طرف الجريدة كان قويا كما تثبته الأرقام حيث راهنت منذ البداية على فشل التشريعيات، لكن هذه قد جرت في موعدها ولم تتأثر بحملة المقاطعة السياسية لتلك الأحزاب والتي أكدتها في المقابل المتابعة الإعلامية عبر جرائدها.

وقد قل عدد التكرارات في فترة ما بين التشريعيات والمحليات لكنها تعود لتسجل أعلى الأرقام وخاصة عبر الأعداد على التوالي (رقم: 3588-3594-3603) وهي الأعداد التي تزامنت مع التحضير للانتخابات المحلية والتي تمت فيها الحملة الانتخابية لمختلف الأحزاب المشاركة ومنها

[1]-Le Front du boycott se renforce, Liberté, N°2903, Mercredi 24 Avril, 2002, P1-3.

الأحزاب الإسلامية، كما أصبحت توصف في الخطاب الإعلامي عموما، وقد سجلت أعلى نسبة من التكرارات في العدد (رقم 3609) التي تزامن مع فترة إعلان النتائج وتحليلها والتعليق عليها.

ويأتي فئة المجال الديني البحت في المرتبة الثالثة بعيدا بعد المجال الأمني والسياسي وسجلت 45 تكرارا واحتلت بذلك 11,90% من اهتمام الجريدة بين الفئات الرئيسية المعتمدة وقد لاحظت الباحثة خلو أربع فئات فرعية تماما من تسجيل أي اهتمام بها عبر الفئات الفرعية العشر التي تم تصنيفها في هذا المجال، بينما تراوحت تكرارات الفئات الأخرى بين التكرار الواحد (مرتين) وتكرارين (مرة واحدة) وثلاثة تكرارات (مرة واحدة) وعشر تكرارات (مرة واحدة) وسجلت فئة "عبادات إسلامية" 28 تكرارا وهي أعلى نسبة منها عبر كل الفئات كما هو واضح، والتي كانت "عبادة الصلاة" الأكثر ورودا. وتفاجأت الباحثة بأن أغلب التكرارات كانت في الاتجاه السلبي، وغير الواضح وهو ما تشرحه لاحقا.

ويأتي المجال الحضاري في المرتبة الرابعة بنسبة بعيدة كثيرا من حيث التكرارات عن المجال الأمني والسياسي –الأول والثاني–، لكنها قريبة من المجال الديني البحت، حيث سجل 40 تكرارا وهو ما يعني أنه احتل 10,58% من اهتمام الجريدة بهذا المجال بين مختلف المجالات المعتمدة وهي الفئات الرئيسية للموضوع، ولاحظت الباحثة انه من بين كل الفئات الفرعية التي تم تصنيفها في هذا المجال والتي تراوح تكرارها بين المرة والست مرات فإن فئة "العلاقة مع الآخر" ضمن هذه الفئات قد كان لها حصة الأسد حيث سجلت العدد الأكبر من التكرارات كما سنشرح ذلك لاحقا.

ويأتي المجال التربوي في المرتبة الخامسة بتسجيله لـــ16 تكرارا فقط ضمن مختلف الفئات الرئيسية الست التي تم اعتمادها واحتل بذلك نسبة 4,24% من مجمل التكرارات وبالتالي من اهتمام الجريدة، وقد لاحظت الباحثة خلو ثلاث فئات من أي اهتمام للجريدة بها وهي على التوالي فئة "المدرسة القرآنية"، "تعريب التعليم"، و"شخصية تربوية إسلامية" وتراوحت تكرارات الفئات المتبقية بين التكرارين لفئة "تعميم التعريب" والتي سجلت كليهما ضمن الاتجاه السلبي، كما سيتم توضيحه لاحقا، وستة تكرارات لفئة "المرأة المسلمة"، وثماني تكرارات لفئة "إصلاح المنظومة التربوية".

وأخيرا يسجل "المجال الثقافي" المرتبة السادسة والأخيرة ضمن الفئات الرئيسية لمختلف

المجالات التي تم تصنيف الخطاب الإسلامي فيها، وذلك بتسجيل 7 تكرارات فقط، وهي نسبة قليلة جدا مقارنة بالمجال الأمني 149 تكرارا أو المجال السياسي 121 تكرارا، وبالتالي احتل1,85% فقط من اهتمام الجريدة وهو مؤشر سلبي على اهتمامها بالمجال الثقافي والتربوي قبله خاصة وأنها مع مختلف العناوين المستقلة ضمن الصحافة الحرة في الجزائر تتخذ من المجال الثقافي انشغالها الرئيسي في أهدافها لتغيير المجتمع الجزائري للولوج إلى عصر الحداثة والتقدم وحرية الفكر والتعبير. وقد يفسّر نتائج هذا المجال مفهوم الجريدة للثقافة والمجالات الثقافية وكذا آليات تحقيق أهداف التغيير التي كما تبينه النتائج في الجدول رقم 23 واهتمامها بالمجال الأمني ثم السياسي ثم الديني ثم الحضاري ث التربوي ثم الثقافي، ويرتبط هذا الاهتمام بطبيعة الحال بفترة الدراسة من جهة ومن ثم بالظروف الدولية والمحلية التي صنعت الأحداث وبالتال حددت وجهة وترتيب الاهتمام بها ضمن كل ذلك.

المبحث الرابع: موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد المبحوثة

ويلخصها الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

جرائد العينة / موضوعات الخطاب الإسلامي	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
المجال السياسي	1	131	38,30	1	42	24,28	2	121	32,01	2	294	32,92
المجال الأمني	2	117	34,21	3	32	18,50	1	149	39,42	1	298	33,37
المجال الديني	3	37	10,82	2	35	20,23	3	45	11,90	3	117	13,10
المجال الحضاري	5	23	6,73	4	31	17,92	4	40	10,58	4	94	10,53
المجال التربوي	4	26	7,60	6	13	7,51	5	16	4,24	5	55	6,16
المجال الثقافي	6	8	2,34	5	20	11,56	6	7	1,85	6	35	3,92
المجموع		342	100		173	100		378	100		893	100

الجدول رقم 23: موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد المبحوثة

لا بد من الإشارة إلى الاختلاف في أعداد العينة بالنسبة للجرائد الثلاثة موضوع الدراسة،

فهي 22 عددا بالنسبة لجريدة "Liberté" و19 عددا بالنسبة لجريدة "El Watan" و13 عدد لجريدة "El Moudjahid" مع ملاحظة كثرة التكرارات بالنسبة لجريدة "EL Watan"، مع قلة أعدادها مقارنة بجريدة "Liberté" ويفيد الجدول رقم 23 أنه يمكن تحديد الاختلاف بين الجرائد الثلاث على مستوى الترتيب بين مجموعتين من المجالات، وذلك بين مجموعة المجال السياسي والأمني والديني من جهة ومجموعة المجال التربوي والحضاري والثقافي من جهة أخرى.

وتفيد النتائج النهائية لموضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث بأن مجموع التكرارات قد بلغت 893، وقد توزعت على المجالات المعتمدة بالترتيب الموالي:

1-المجال الأمني سجل المرتبة الأولى برصده 298 مرة عبر مجموع عينة البحث وبنسبة 33,37%. وقد اختلف ترتيب هذا المجال في كل جريدة على حدة، فهو في المرتبة الأولى في "El Watan" الذي حاز بها على أكبر نسبة ترددات وكذا أكبر نسبة مئوية كانت أكبر من النسبة النهائية نفسها، بينما احتل المرتبة الثانية في "Liberté" وكانت نسبته بها أقرب من نسبته في "El Watan" واحتل المرتبة الثالثة في "El Moudjahid" ومع نسبة قليلة مقارنة بالجريدتين الأخريين.

2-المجال السياسي سجل المرتبة الثانية برصده 294 مرة عبر مجموع عينة البحث وبنسبة 32,92%. وقد احتل المرتبة نفسها في كل من "Liberté" و"EL Moudjahid" بينما احتل المرتبة الثانية في "El Watan".

3-مجال الديني سجل المرتبة الثالثة برصده 117 مرة عبر مجموع عينة البحث وبنسبة 13,10%، واحتل المرتبة الثالثة أيضا في كل من "Liberté" و"El Watan" بينما احتل المرتبة الثانية في "El Watan".

4-المجال الحضاري سجل المرتبة الرابعة برصده 94 مرة عبر مجموع عينة البحث وبنسبة 10,53%. واحتل المرتبة الرابعة أيضا في جريدة "El watan" و"El Moudjahid" بينما احتل المرتبة الخامسة في "Liberté".

5-المجال التربوي سجل المرتبة الخامسة برصده 55 مرة عبر مجموع عينة البحث وبنسبة 6,16%، وقد اختلف ترتيبه في كل جريدة على حدة فهو في المرتبة الرابعة في "Liberté" والخامسة في "El Watan" والسادسة في "El Moudjahid".

6-المجال الثقافي سجل المرتبة السادسة والأخيرة برصده 35 مرة عبر مجموع عينة البحث وبنسبة 3,92% فقط، واحتل المرتبة السادسة أيضا في كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" وبنسبة لم تتجاوز على التوالي 1,85% و2,34%، بينما احتل المرتبة الخامسة في "El Moudjahid".

ويعرض هذه النتائج في الشكل البياني التالي:

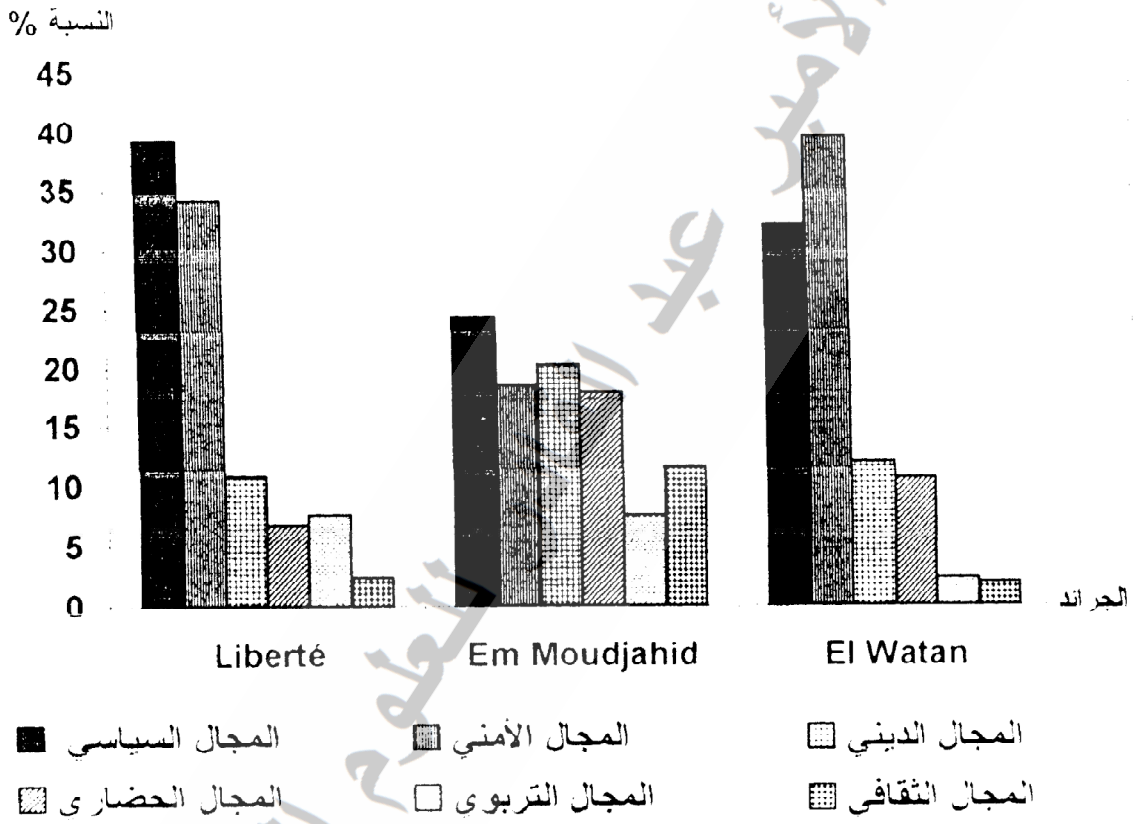

الشكل رقم 3: موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد موضوع البحث

لقد عرض الفصل الثامن إلى موضوعات الخطاب الإسلامي في فئاته الرئيسية التي اعتمدتها الدراسة. ويعرض الفصل التاسع إلى بحث الفئات الفرعية لكل موضوع من المواضيع المصنفة عبر كل جريدة على حدة، ثم في عرض وقراءة نتائج كل موضوع في الجرائد موضوع البحث في جدول شامل يعضده شكل توضيحي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التاسع:

عرض نتائج فئات ماذا قيل؟

المبحث الأول: الخطاب الإسلامي في المجال السياسي

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي في المجال الديني

المبحث الرابع: الخطاب الإسلامي في المجال التربوي

المبحث الخامس: الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري

المبحث السادس: الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وسنعرض لبيانات ونتائج عينة الجرائد موضوع البحث على التوالي: "Liberté" و" El Moudjahid" و"El Watan" المتكون عبر جداول تلخص مختلف الفئات الفرعية المعتمدة وذلك بعد قراءة العينة كميا وكيفيا، وذلك بالترتيب الموالي:

المبحث الأول: الخطاب الإسلامي في المجال السياسي

أولا: الخطاب الإسلامي في المجال السياسي عبر جريدة "Liberté"

ويبرزه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال السياسي في "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	أحزاب وشخصيات حزبية إسلامية	47	35,88
2	الانتخابات والحملات الانتخابية	39	29,77
3	مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية	30	22,90
4	الإسلام والديمقراطية	8	6,11
5	نظام الحكم في الإسلام	7	5,34
المجموع		131	100

الجدول رقم 24: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في جريدة "Liberté"

ركزت جريدة "Liberté" كما هو واضح في الجدول أعلاه على فئات: "الأحزاب والشخصيات الحزبية الإسلامية" و"الانتخابات والحملات الانتخابية" و"مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية" ولم تعر نفس الاهتمام بفئتي "الإسلام والديمقراطية" و"نظام الحكم في الإسلام" ويمكن قراءة ذلك بداية بالتمييز بين الاهتمام بالوقائع والمظاهر وبين الأفكار والمبادئ والمرجعيات أو الأصول، وهو في موضوعنا "الخطاب الإسلامي" فقد عالجت الجريدة من المواضيع والمضامين التي تنقلها عن الأحزاب والشخصيات الحزبية الإسلامية أو عن مواقفها إزاء الأحداث والقضايا السياسية، وغيرها التي كانت موضوع الساعة عبر فترة الدراسة وعينتها بينما لم تهتم بعرض ذلك على علاقة ما تنقله عن هذه الأحزاب والشخصيات بموقف الإسلام عبر نصوصه الواضحة من تلك المواقف والوقائع، وقد يفسر ذلك موضوعيا بنمط الجريدة فهي يومية وإخبارية في الأساس، ومع ذلك فإن النسب القليلة جدا التي سجلتها الفئتين "الإسلام والديمقراطية" و"نظام الحكم في

الإسلام" مؤشر على توجه الجريدة في عدم إعطاء الموضوع ما يلزم من التوضيح مع أنه هو المحور في الجدال السياسي وأكثر من ذلك في الأحداث التي عاشتها الجزائر في الفترة ما بعد إقرار التعددية في الجزائر، والذي تمثل الجريدة فيه لسان فريق ناشط جدا وطرف حاسم –نظريا– في المعادلة السياسية في الجزائر، ناهيك عن أنها تتوجه إلى جمهور تدعي واجبها في إعلامه وتثقيفه وتوعيته من جهة، وتحمل شعار حقه في التمكن من المعلومات من جهة أخرى، ثم وهو الأهم، موقعها من القضية التي ترتبط بإحدى مكونات الهوية الوطنية ومبادئ الدولة الجزائرية التي جرت العودة إلى الجدال حولها بعد نهاية الحزب الواحد في الجزائر، بما يستدعي أولوية الاهتمام بالنصوص بدلا بمن يمثلها وقد كان موقف الجريدة سلبي جدا من هذه المواضيع كما تبينها مضامينها التي سنعرض لنماذج منها تباعا.

وقراءة الجدول رقم 24 تبين أن جريدة "Liberté" قد وزعت اهتمامها على مختلف الفئات الفرعية المعتمدة في هذا المجال، لكن بنسب متفاوتة ومتباعدة خاصة بين الفئات الثلاثة الأولى منها وبين الفئتين الأخيرتين منها، وقد رصدت الباحثة أغلب الترددات بشكل مكثف ودفعة واحدة عبر أربعة أعداد من العينة هي على التوالي رقم: 2919-2929-2936 . 2873 وإن بشكل أقل، وتراوحت الترددات بين اثنين وخمسة عبر بعض الأعداد بينما خلت أربع من أعداد العينة المنتقبة من أي تردد في أي فئة في هذا المجال.

وقد كان اهتمام الجريدة الرئيسي كان "بالأحزاب والشخصيات الحزبية الإسلامية"، حيث سجلت هذه الفئة أكبر عدد من التكرارات في فئة الخطاب الإسلامي في المجال السياسي، وهي 47 مرة واستغرقت بالتالي 35,88% من مجمل الترددات وهو ما يعني أكثر من ثلث اهتمام الجريدة بها لوحدها. وواضح أن الاهتمام بالأحزاب والشخصيات الحزبية الإسلامية ارتبط بوقت الانتخابات فقط، والتشريعية منها تحديدا، بينما تجاهلتهم الجريدة تماما أو بشكل كبير في بقية الأوقات وفي أحداث الأحرى ضيقة فترة الدراسة، في مقابل انشغال الجريدة الكبير بالشخصيات والأحزاب اللائكية، مثلا التي كان موضوع معظم المضامين والعناوين والأشكال الصحفية، وقد حصرت الجريدة الحديث عنها في منطقة القبائل التي تخصص لها فيها الأربع صفحات الأولى منها عبر عينة الدراسة، يمكن القول بناء على ذلك أن جريدة "Liberté" قد حصرت الحياة والأحداث الوطنية كلها تقريبا ومادتها الإعلامية عنها كلية في أحداث وجديد وشخصيات

المنطقة، بالإضافة أنها خصصت صفحة كاملة بهذا العنوان "جديد منطقة القبائل" ظهرت في خمس أعداد من العينة، وذلك قبل أن تصدر ملحقا خاصا بالمنطقة وبالعنوان نفسه أعلنت عنه عبر صفحاتها.

وعرضت جريدة "Liberté" مثلا لتقييم مستوى أداء أول برلمان تعددي في الجزائر بعد الاستقلال بمناسبة نهاية عهدته البرلمانية قامت "Liberté" باستطلاع رأي رؤساء مختلف الكتل البرلمانية المشاركة في المجلس الشعبي الوطني بدأتها على التوالي ـــ RND، RCD، FFS، FLN وحتى المستقلين وذلك في نصف صفحتها الثانية كاملا بينما تجاهلت تماما رؤساء كتل الأحزاب الإسلامية الممثلة في المجلس، رغم أهميتها العددية ونتائج الانتخابات المهمة التي كانت وراء مشاركتها في الحكم ديمقراطيا، ويفهم القارئ للعرض المذكور اقتصار أول مجلس تعددي في الجزائر على الأحزاب اللائكية أساسا والوطنية والمستقلين وهي التي عرضت الجريدة بها فقط عبر عناوينها ومضمونها[1].

ويفسر التجاهل الواضح من طرف الجريدة للأحزاب والشخصيات الحزبية الإسلامية فيما عدا رمز الانتخابات من باب عدم اعتبار الجريدة لما تمثله هذه الأحزاب والشخصيات وتحقيرها لما تقدمه من خطاب ومرجعية وتوجه، وتسجيل أنها غير مهتمة بما يقولون تماما بأسلوب يتميز بالجرأة والاتجاه المسبق الواضح في المرات التي عرضت فيها للحديث عنها فيها بلغ حدّ التهكم والسخرية، أو من باب المعالاة في قناعتها بالتوجه الذي تمثله والخطاب الذي تتبناه وتنشط في عرضه والسخرية في ذلك جرأة متناهية في فرضه ومواجهة الجميع في سبيله[2]. فالإسلاميون عموما بما فيهم رؤساء الأحزاب الإسلامية في الجريدة هم «أشخاص غير أسوياء عقليا، أو مصروعين

---

[1]-Hamid, Saidani, Fin du mandat de L'APN, Les chefs de groupes font le bilan. Liberté, N°2859, Lundi, 4 Mars, 2002, P2.

[2] - المقصود هنا تعمد جريدة الخبر ومصاميمها المختلفة ـــ وكذا للصور التي ترفقها لمواضيعها، ورسوماتها والكاريكاتور فيها بالإضافة لعنوانها الجرأة المتناهية في الانتباه والمعاني في معظم الأحيان التي تعرض بها وتعالج بها الآراء والأفكار والتوجهات بالجريدة، وذلك سواء آراء الشخصيات الرسمية بما فيهم رئيس الجمهورية نفسه ووزراء الدولة، أو الشخصيات العسكرية خاصة جنرالات وزارة الدفاع الوطني، أو إزاء القيم الأخلاقية للشعب الجزائري والمستمدة منها من الدين خاصة، مما سنعرض له في بعض الممدوح لاحقا وكذا عبر الملاحق، والجدير بالذكر أن هذه الجرأة قد كلفت الجريدة كثيرا من الملاحقات القضائية بتهم القذف وكشف أسرار غير مصرح بها، وتعلن الجريدة نفسها عن ذلك عبر صفحاتها عندما يتم استدعاء صحافييها للمثول أمام العدالة الجزائرية.

غائبين عن الوعي وغيبيين وهم عادة "أنصاف واعين وأنصاف مجانين"[1]، وأنهم خطباء بلا موهبة وكلامهم تافه لا معنى له»[2].

وحزب "محفوظ نحناح" مثلا "متحجر العقل ومتوقف الخيال" En panne d'imagination"[3] أما "عبد الله جاب الله" «هذا الفقير الذي يعرف كيف يتحدث إلى أبناء سكيكدة الفقراء لأنه هو نفسه خرج من الفقر مثلهم»[4]، وهو هذا الشخص الذي يقول كلاما فارغا لا معنى له» "Cet hurburlu"[5].

مع ملاحظة الباحثة أن "سعيد سعدي" في المقابل –مثلا– لما تتحدث عنه الجريدة فدائما بأسلوب الإكبار والتقدير فهو "الرئيس" "Le président Sadi" عادة، وهو "الدكتور سعدي" دائما فيها، أما الاحزاب اللائيكية فهي التي تتخذ القرارات بنضج... [6].

وتؤكد مرتبة "فئة الانتخابات والحملات الانتخابية" ما سبقنا إليه من تحليل، حيث سجلت 39 ترددا عبر عينة "Liberté" واستغرقت 29,77% من اهتمام هذه بهذا الموضوع، وقد رصدت أغلب التكرارات بكثافة ودفعة واحدة في الأعداد 2919 –2929– 2936 لكن أيضا في الأعداد 2873 و 2912 بدرجة أقل بينما تفرقت التكرارات المتبقية بين بقية أعداد الجريدة الأخرى.

وقد تابعت "Liberté" عملية التحضير للانتخابات التشريعية عبر متابعة قوائم الترشيحات للأحزاب المعلن عنها أو ما استطاعت الجريدة الوصول إليه عبر مصادرها الخاصة، لأن الأحزاب الإسلامية عادة ما تحيط قوائمها بالسرية التامة –كما تقول الجريدة–[7]، ثم تابعت الجريدة

[1]-Lyès Bendaoud, Le debat n'a pas eu lieu, Liberté, N°2929, Dimanche 26 Mai 2002, P3.
مع ملاحظة أن وصف العرع ووصف مجانين "Les fous de dieu" هي الأوصاف التي يصف بها الغرب –ثم كل العلمانيين من الليبراليين والشيوعيين قبلهم– كل متدين وملتزم بالدين الإسلامي.

[2]-N.Sebti, Le public, ce grand absent, liberté, N°2929, Idem.

[3]-hassan, Moaii, Le MSP, le soleil et le... tamis, liberté, N°2929, Ibid, P6.

[4]-N.Sebra, Skikda, La fraise pour plus tard, Liberté, N°2929, Idem.

[5]-N.S, Le public, Ce grand absent, Liberté N°2929, Ibid, P3.

[6]-Autoudert Abrous, Morosité, liberté, N°2919, Mardi, 14 Mai 2002, P3.

[7]-Djaâfar Bensalem, Oran, Entre vrais candidats et candidats «Lièvres», Liberté, N°2873, Mercredi 20 Mars 2002, P4.

حيثيات الحملة الانتخابية وجديدها ومظاهرها خاصة وأن عددا من الأحزاب اللائكية قد قاطعت التشريعيات وكذا المحليات، وقد خصصت "Liberté" كثيرا من عناوين صفحتها الأولى للحدث وكذا العناوين الفرعية التي تتضمن تغطيته عبر الولايات الجزائرية، ونقلها عبر مختلف صفحاتها الداخلية.

وفي عرضها للأحزاب الإسلامية عبر هذا الحدث السياسي ركزت جريدة "Liberté" على «أن هذه الأحزاب لا تهتم بعرض البرامج، وإنما تعتمد على مغازلة الجماهير ودغدغة مشاعرهم الدينية واللعب على ورقة الحداثة والتقدم»[1].

أما عن برامج الأحزاب الإسلامية وهي ما تسميه الجريدة بـــ"الإسلام السياسي" أو "الإسلاميزم" عادة، فهي «طروحات الجهلة والقتلة التي لا تصلح سوى لقطع رؤوس الأطفال»[2]، وهي التي تعتمد على اليقينيات الرجعية التي تصنع الأحداث الواضحة كل يوم، تقتل، تغتصب، تحطم، تدمر[3]، «وهي الإسلاميزم، والأصولية، وأسطورة الدولة الإسلامية التي تراجعت ولم تعد راسخة حتى في الفيافي (المناطق النائية الجزائرية)، وأنها لم تعد تخيف أحدا وليس في استطاعتها مفاجأة أحد»[4].

وقد كان موقف الجريدة واضحا وحادا في رفض مجرد مشاركة الأحزاب الإسلامية في الانتخابات في الجزائر، ليس بناء على مواقف هذه الأحزاب وبرامجها، وإنما لأنها هي نفسها تمثل استمرارا للإرهاب في الجزائر، فلا فرق في جريدة "Liberté" بين الأحزاب "حركة مجتمع السلم"، و"النهضة"، و"حركة الإصلاح الوطني"، وبين "الجبهة الإسلامية للانقاذ" المحلة، «فحيث يوجد إسلاميزم يوجد إرهاب والقضية تكمن عندها فقط في السؤال: هل الإسلاميزم هو الذي ينتج الإرهاب أم أن الإرهاب هو الذي ينتج الإسلاميزم»[5].

وترى الجريدة أن الحرب المعلنة في الجزائر منذ 1991، كانت كما هو مفترض منها هي

(1)-L.B, Le débat n'a pas eu lieu, Liberté, N°2929, Op-cit, P3.

(2)-M.Hammouche, la dernière tentation de la concorde, Liberté, N°2859, Op-Cit, P24

(3)-M.A, chronique d'une haine légitime, Liberté, N°2873, Op-Cit, P11.

(4)-M.A.O, Le syndrômede la salle vide hante la compagne, liberté, N°2919, op-Cit, 3

(5)-M.Hammouche, La dernière tentation de la concorde, Liberté, N°2859, Op-Cit, P24

القضاء على الإرهاب –الإسلاميزم– حتى آخر آثاره، لكن وجود هذه الأحزاب هو دليل فشل –هذه الحرب– الذريع في تحقيق هذه الأهداف[1]، فقد جاء في مقال عنوانه: "لم يكن هناك حوار" «إن ممثلي الجمهوريين يحركون طيف الإرهاب وينسون أن الحرب التي قادوها خلال عشر سنوات كان الهدف منها هو القضاء حتى على آثاره». «فالأحزاب الإسلامية –وهي الطيف المقصود– التي فشلت في فرض برامجها بالقوة سابقا تفرح جدا لمجرد استدعائها للمشاركة في الانتخابات»، «لأن كل مشاركة لها هي خطوة هامة بالنسبة لها»[2]، فالنواب الإسلاميون «يستفيدون بعدها ويسمح لهم بالدخول من الباب العريض بفوزهم في الانتخابات، من فرض مشاريعهم عبر القانون بعد أن فشلوا في تحقيقها بقوة الإرهاب»[3]. وقد يقصي أي باحث عبر هذا التحليل على مفهوم الديمقراطية عند طيف الديمقراطيين في الجزائر.

ولذلك كانت الجريدة تخوف من نجاح الإسلاميين من إعادة سيناريو 1991، خاصة بعد مقاطعة "الديمقراطيين" للانتخابات، «لأن مقاطعة الانتخاب –كما يقول– يفيد بكل تأكيد المتطرفين والإرهابيين، هؤلاء الذين يتحركون ويعبئون بقوة مع كل انتخابات»[4].

وجاءت فئة "مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية" في المرتبة الثالثة، وذلك برصدها 30 مرة عبر عينة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة، 18 منها سجلت عبر عددين فقط من أعداد جريدة هما العدد 2929، 2936 وتفرقت بقية التكرارات على سبع أعداد أخرى، فيما خلت تسع أعداد من تسجيل أي تردد لهذه الفئة وهو ما يؤكد عدم الاهتمام والتجاهل عموما للجريدة للحديث عن الأحزاب الإسلامية أو عن شخصياتها.

وتحت هذه الفئة نسجل تركيز جريدة "Liberté" على موضوعين أفرغت فيهما الجهد والمتابعة والتحليل، وهما ترشيح النائبين عبر قوائم الانتخاب، ومطالبة الأحزاب الإسلامية بإطلاق سراح زعيمي الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحلة، وذلك عبر عدة مقالات وعناوين، وخاصة منها المقال الافتتاحي ومقالات "م حموش" في الصفحة الأخيرة الذي تعده الباحثة أهم مقال في الجريدة من

(1)-Salim Tamani, Ratage, liberté, N°2929, Op-Cit, P3

(2)-L.B, LE débat n'a pas eu lieu, Liberté, N°2929, Op-Cit, P3.

(3)-Outoudert Abrous, Morosité, Liberté, N°2919, Idem, P3.

(4)-M.A.O, Une équation à plusieurs inconnues, Liberté, N°2903, Mercredi 24 Avril 2002, P2.

حيث ما يطرح فيه، والأسلوب الذي يطرح به، وجرأة المواقف التي يتخذها المقال بوضوح وقوة.

وقد جاء في عنوان "الإغراء الأخير للمصالحة": «إن الوطن يحبس أنفاسه من مسألة إمكانية تسلل التائبين إلى قائمة الانتخاب، ووصفت سياسة المصالحة الوطنية بالنفاق المبدئي للدولة»، ومن ثم تحدد الجريدة موقفها المبدئي أيضا حين تقول: «إن منع المسار الانتخابي في البداية ثم تحريره عبر تسريع ملفات التائبين لا يمكن أن يؤدي بالجمهورية إلى شيء، فالجزائر كانت مدعوة منذ 1989م للحسم في مسألة محددة هي "موقع الإرهاب في المشروع الوطني"...». وهناك أخطر من "التائبين"، هذه الأحزاب الإسلامية، غرابتهم، التي تستفيد من وضعية رجل دولة وغالبا من وظيفة رجل السياسي، فليس هناك إذا من أهمية إضافة التناقض إلى الأضحوكة»[1].

ورغم أن الجريدة أكدت أن «حركة الإصلاح الوطني لم تعلن سوى عن اثنين من مرشحيها وأنها قد أحاطت ذلك بسرية تامة»، إلا أنها ذهبت في المقابل إلى تأكيد «أنها تعلم بأن عناصر من التائبين ينتمون إلى "AIS" "الجيش الإسلامي المسلح" قد انقسموا على قوائم الإصلاح من جهة وحزب النهضة من جهة أخرى»[2].

وتساءلت الجريدة في نهاية مقال لها في الصفحة الثانية بقولها: «هل للجزائر الوسائل كما لفرنسا إزاء "لوبين" "Le Pen"، لمنع صعود الإسلاميين في 30 ماي»[3].

وتابعت "Liberté" موضوع ترشيح التائبين بتأكيد «رفض هذا الترشيح من طرف الإدارة ومن ثم منع مشاركتهم في تشريعيات 2002.»[4].

وبفارق كبير تسجل فئة "الإسلام والديمقراطية" المرتبة الرابعة بتسجيلها لـ8تكرارات فقط عبر 19 عددا لجريدة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة، وقد استغرقت من ثم بنسبة 6,11% من اهتمامها بالموضوع.

(1)-M.Hammouche, La dernière tentation de la concorde, Liberté, N°2859, Op-Cit, P24

(2)-A.B, Une totale Indifférence, Liberté, N°2903, Op-Cit, P2.

(3)-M.A.O, Une équation à plusieurs inconnues, Liberté, N°2903, Idem.

(4)-S.R, Ennahda est victime d'un complot, Liberté N°2936, Lundi, 3 Juin 2002, P6

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولم يكن تناول الجريدة لموضوع "الإسلام والديموقراطية" في إطار معالجة مستقلة، وعبر أشكال صحفية وفضاءات تحرير عبر صفحات الجريدة تعطي القضية اعتبارها العلمي والتاريخي تفسيرا واستقراء ومناقشة، وإنما جاء ذلك على شكل تسجيل مواقف مبدئية في شكل تعليقات سلبية عموما نقرؤها عبر مضامين سياسية أو غير سياسية، ومن ثم فإن المسألة تبقى مرتبطة بمواقف سياسية لأحزاب جزائرية تمثل الجريدة لسان بعضها تعرض ضمن كتابات صحفية، لم ترجع فيها الصحيفة للمختصين في المجال، أو لا تريد بحث الموضوع في الأساس، بناء على موقفها المبدئي الرافض. فالديمقراطية في خطر في الجزائر في 2002م كما كانت مهددة في 1991م، و«كما هددها الإسلاميزم في 1991م فإنه بعد 11 سنة بعدها لا زال يهددها»[1]. وأن الديمقراطية الوحيدة التي يمثلها الإسلاميزم كما يعبر عنه كاريكاتور الجريدة في عدد آخر هو الوصول إلى الحكم بالقتل والإرهاب[2].

وتأتي فئة "نظام الحكم في الإسلام" في المرتبة الأخيرة في اهتمام الجريدة بالموضوع، وقد رصدت ترددها السبع السلبية كلها عبر أربع أعداد فقط من عينة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة، واستغرقت نسبة 5,34% من مجمل التكرارات في المجال السياسي. وتبين هذه التكرارات أن موقف الجريدة مبدئي وجذري في هذه المسألة، سواء من حيث المصطلحات التي تستعملها أو من حيث الأحكام التي تعبر بها عبر المضامين في الجريدة، والتي كما في فئة "الإسلام والديمقراطية" تبقى مواقف سياسية لم تسند إلى المختصين ولم تعالج بشكل علمي توضح فيه مختلف الجوانب حتى تبنى عليه تلك الأحكام المراد إقناع الجمهور بها عبر اتجاهات غاية في السلبية والمغالاة لا فرق بينها وبين الطروحات الغربية في كثير من الأحيان.

فقد نقلت الجريدة على لسان "سعيد سعدي" رئيس حزب "التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" فيما قالت أنها محاضرة له في "سيدي عيش" قال فيها: إن برنامج الصومام والحركة الديمقراطية وهو النص المشيد للأمة الجزائرية، أعطى معنى وتداعيات للنضال المدني، نحو إنشاء جمهورية ديمقراطية واجتماعية محررة من الشيطنة وسلطة الأصوليين»[3]. وأضافت الجريدة في

[1]-L.B, Le débat n'a pas eu lieu, Liberté, N°2929, Op-Cit, P3.

[2]-Ibid, P24.

[3]-L.dahmane, Said sadi à sidi Aïch, concretiser L'état algérien démocratique et social, Liberté, N°3003, Mardi 20 Août 2002, P2.

فقرة أخرى قوله «أن نضال الديمقراطيين في الجزائر المعاصرة لم يتغير ويهدف إلى إنشاء دولة جزائرية ديمقراطية واجتماعية ويرفض جمهورية لاهوتية»[1]، ولم تختلف بقية الترددات عن الأحكام نفسها والمقالة ذاتها.

ثانيا: الخطاب الإسلامي في المجال السياسي عبر جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال السياسي في "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسب المئوية %
1	الانتخابات والحملات الانتخابية	20	47,62
2	أحزاب وشخصيات حزبية إسلامية	11	26,19
3	مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية	06	14,28
4	الإسلام والديمقراطية	03	7,15
5	نظام الحكم في الإسلام	2	4,76
المجموع		42	100

الجدول رقم 25: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في جريدة "EL Moudjahid"

وتفيد قراءة نتائج الفئات الفرعية للخطاب الإسلامية في المجال السياسي أن الفئة الفرعية المتعلقة بـــ"الانتخابات والحملات الانتخابية" قد تصدرت بقية الفئات الفرعية الأخرى، بعدد تكرارات بلغ 20 مرة خلال عينة البحث، وبنسبة مئوية عادلت 47,62% وهو ما يقترب من نصف التكرارات في هذه الفئة بينما تقتسم بقية الفئات النصف الآخر من التكرارات، حيث جاءت فئة "الأحزاب والشخصيات الحزبية الإسلامية" في المرتبة الثانية بعدد تكرارات بلغ 11مرة وبنسبة مئوية عادلت 26,19% وجاءت بعدها فئة "مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية" بعدد تكرارات بلغ 06 مرات وبنسبة مئوية عادلت 14,28%، وتأتي فئة "الإسلام والديمقراطية" في المرتبة الرابعة بثلاث تكرارات فقط، وبنسبة مئوية عادلت 7,15% وبعدها فئة "نظام الحكم في الإسلام" بتكرارين فقط وبنسبة مئوية عادلت 4,76% وهي كما يلاحظ تكرارات قليلة جدا.

[1]-L.dahmane, Saïd sadi à sidi Aïch, concretiser L'état algérien démocratique et social, Liberté, N°3003, Op-Cit, P2.

ويرتبط ترتيب نتائج هذه الفئات على الشكل الذي تم بحدث الانتخابات التشريعية ثم المحلية التي شهدتها سنة 2002م في الأساس، حيث تجدر الإشارة إلى أن التحضير لتشريعيات 30 ماي 2002م مثلا بدأ رسميا الأسبوع الأول من شهر مارس –4 مارس 2002م- كما كان الحديث عن هذه الانتخابات قبل هذا التاريخ وبعده موضوع خبر أو تقرير أو تصريح أو غيره في كل عدد تقريبا وذلك حتى تاريخ إجرائها المحدد، وكذلك كان الأمر بالنسبة للمحليات التي تم التحضير لها قبل تاريخ إجرائها بوقت طويل، وكانت مشاركة الأحزاب الإسلامية وتنافس البرامج التي تتناول الحديث عن مختلف المجالات يفسر تصدر هذه الفئة الفرعية لبقية الفئات الفرعية الأخرى في المجال السياسي ويفسر تصدر هذا المجال بدوره فئات الموضوع الرئيسة كما سبق وان بينا، وقد تضمنت الأخبار والتعاليق في العديد من المرات صور مرفقة تعرض للأحزاب الإسلامية أثناء فترة التحضير للانتخابات أو أثناء الحملة الانتخابية ولقياداتها أو شخصياتها عبر النشاطات السياسية التي كانوا يزاولونها على غرار كل الأحزاب المتبارية في الانتخابات عبر كامل التراب الوطني الجزائري.

وعلى ذلك تأتي الفئات الثلاث الأولى مجتمعة بعدد تكرارات 37 مرة وبنسبة مئوية تعادل 88.09% فيم تأتي الفئة "الإسلام والديمقراطية"، وفئة "نظام الحكم في الإسلام" مجتمعين بعدد تكرار 5 فقط وبنسبة مئوية تعادل 11.90% وهو ما يشير إلى أن الجريدة يهمها مواقف الأحزاب الإسلامية التي تنقل تصريحات شخصياتها وتغطي نشاطاتها لكن في المقابل لا تتبنى مفهومها الخاص عبر تحليلاتها أو مقالاتها التي كان يمكن أن تعرض لموضوع نظام الحكم في الإسلام وكذا موقف الإسلام من الديمقراطية مما ينوّر القراء ويجعلهم على بينة من الأمر علميا وتاريخيا وحضاريا ويربط ذلك من ثم بالنصوص الرسمية التي تؤكد على الخصوصية الحضارية لشعب الجزائري والمبادئ الأساسية للدولة الجزائرية.

وبناء على ذلك فإن الجريدة تبين في هذا المجال موقف الأحزاب الإسلامية عبر مشاركتها في الانتخابات التعددية من الخيار الديمقراطي بعد أحداث 5 أكتوبر 1988 فيم لا تظهر في المقابل موقف الجريدة فيما كان يمكن أن تعرضه من موقف الإسلام من الديمقراطية ونظام الحكم في الإسلام، حتى يتبين موقفها هي كجريدة تعبر عن قطاع كبير من الشعب الجزائري، وكجريدة عمومية أولا وكلسان حال حزب جبهة التحرير الوطني ثانيا.

وتجدر الإشارة إلى أن "فئة الإسلام والديمقراطية" في المرات الثلاث التي ذكرت فيها عبر عينة "El Moudjahid" وردت في إطار سلبي وناف لأي علاقة للإسلام بالديمقراطية وقد كانت كما يلي:

1-تناولت تعليقا على صورة لرئيس حزب النهضة "السيد عبد الله جاب الله" يجلس إلى جانب رئيسة حزب العمال السيدة "لويزة حنون" في أثناء حضورها في غرفة البرلمان، فجلوسهما الواحد بجانب الآخر علقت عليه الجريدة بعنوان : الوحدة داخل التعددية، وبنص يقول بأن «الديمقراطية هي أن تتقبل الآخر وتحترم أفكاره حتى ولو لم تكن توافق عليها»[1].

2-بينما جاء ذكر الإسلام وعلاقته بالديمقراطية في المرة الثانية في إطار الملتقى الدولي حول العولمة والأمن الذي انعقد في الجزائر في الفترة ما بين 6-7 ماي 2002م، تحت عنوان : الإرهاب: الباحثون الجزائريون يتهمون.... وجاء في تغطية الجريدة لتدخلات بعض المشاركين قوله: «...إن الجزائر تدافع بشراسة على دولتها الوطنية ومبادئها الجمهورية ضد الهجمة العنيفة المهددة للهوية والبربرية للإسلام السياسي الإرهابي...، وأنها وهي تتبنى خيار الحداثة والتقدم وتعارض الأهداف الاستبدادية للإسلام العالمي فهي تنظم بصورة حثيثة إلى العالم الحديث، عالم العولمة»[2].

3-ووردت المرة الثالثة لفئة "الإسلام والديمقراطية" أثناء المؤتمر الذي سبقت الإشارة إليه، عبر ألهام مشارك آخر –باحث جامعي- ما سماه "تيار فكري أحادي" فبينما ينتمي إلى من وصفهم –باشتراكيين ثوريين وتسكيين وجامعيين مرتبطين بوسائل الإعلام ودور النشر بأنهم يحاولون "عقلنة الإسلام" عبر أربع طروحات تريد أن توحي بأن الإسلام هو امتداد للموضة، وبأنه مسع الحداثة الداخلية، وأنه رد فعل للحداثة الفوضوية وبأنه ذو بعد ديمقراطي».

هؤلاء الجامعيون يدافعون عن فكرة أن التيار الإسلامي التقليدي البسيط والمقاوم يجب أن يتلاشى لصالح الاتجاه المتنوع، المفكر، المرتبط بالديمقراطية...»[3].

[1]-Unis dans la diversité, El Moudjahid, N°11409, Vendredi, 19 Samedi 20 Avril 2002, P2.

[2]-Terrorisme : Des chercheurs Algériens accusent El Moudjahid, N°11423, mardi 7 Mai, 2002, P11.

[3]-Terrorisme : Des chercheurs Algériens accusent El Moudjahid, N°11423, mardi 7 Mai, 2002, P11.

ويفهم من هذه الفقرات التي نقلتها الجريدة على لسان هؤلاء الجامعيين الجزائريين أن الإسلام في نظرهم لا علاقة له بالعقل، ولا الوطنية، ولا الحداثة، ولا الديمقراطية، وأن الذي يقوم بذلك –من باحثين جامعيين فرنسيين، بحثوا في الموضوع وأثبتوا ذلك عبر دراستهم، بأن دراساتهم هذه تمثل تيار أحادي –شاذ– وأن دراساتهم لم تكن لتعرف النور لو لا ارتباط هذه الأوساط بوسائل الإعلام ودور النشر التي سمحت بنشرها وربط هذه الفقرات بالفقرات السابقة ضمن المؤتمر نفسه، يختصر الإسلام في صورة "الإسلام السياسي الإرهابي"، ذو الأهداف الاستبدادية العالمية، وأن الجزائر تدافع بشراسة على دولتها الوطنية ومبادئها الجمهورية وتتبنى خيار الحداثة والتقدم، وتنتظم بصورة حثيثة إلى العالم الحديث، عالم العولمة...

وقد اكتفت الجريدة "EL Moudjahid" في تغطيتها للمؤتمر موضوع الاقتباس فقط بنقل فقرات من محاضرات المشاركين دون أن تقدم ردودا عليها وكانت تنتقل من مشارك إلى آخر مما لا يوضح موقفها فيما إذا كانت توافق على ما قاله وإن كان نقل الفقرات المقتبسة نفسها مؤشر واضح في ذلك.

لم تسجل فئة "نظام الحكم في الإسلام" إلا ترددين بين 42 تردد لمختلف الفئات، واحتلت من ثم المرتبة الأخيرة في النتائج الخاصة بـ"El Moudjahid".

ثالثا: الخطاب الاسلامي في المجال السياسي في جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال السياسي في "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية%
1	أحزاب وشخصيات إسلامية	44	36,36
2	الانتخابات والحملات الانتخابية	42	34,71
3	مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية	27	22,31
4	الإسلام والديمقراطية	07	5,79
5	نظام الحكم في الإسلام	01	0,83
المجموع		121	100

الجدول رقم 26: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في جريدة "El Watan"

وتظهر نتائج هذا الجدول أن فئة "أحزاب وشخصيات إسلامية" قد سجلت أكثر التردات وذلك بـــ44 مرة واحتلت بذلك المرتبة الأولى بين مختلف الفئات الفرعية المصنفة تحت هذه الفئة الرئيسية، وقد استغرقت 36,36% من اهتمام الجريدة بهذا الموضوع وهو ما يعني رقميا أيضا أكثر من ثلث التكرارات لوحدها، وقد تنوعت هذه التكرارات بين الحديث عن الأحزاب الإسلامية وقادتها وبين إيراد صور لشخصياتها، ولاحظت الباحثة أن حركة الإصلاح الوطني ورئيسها عبد الله جاب الله قد فاقت من حيث عدد ترددها بقية الأحزاب الإسلامية الأخرى في العينة. تأتي بعدها حركة النهضة ورئيسها الحبيب آدمي ثم بعدها حركة مجتمع السلم ورئيسها محفوظ نحناح بالإضافة إلى بعض شخصياتها السياسية المشاركة في الحكومة.

وتأتي فئة "الانتخابات والحملات الانتخابية" في المرتبة الثانية حيث سجلت 42 ترددا وعادلت من ثم 34,71% من اهتمام الجريدة بهذه الموضوع وهي نسبة قريبة من الفئة الأولى، ومن تحت التكرارات أيضا، وقد سجلت أغلب التكرارات أثناء التحضير للانتخابات التي شهدتها الجزائر سنة 2002م التشريعية منها والمحلية وخاصة أثناء الحملة الانتخابية وارتبطت بمتابعة نشاط الأحزاب الإسلامية وأسماء مرشحيها وطرق عملها والتعليق على نتائج الانتخابات.

ولاحظت الباحثة أن الجريدة قد ركزت على موضوع "التائبين" وهو ما أصبح يوصف به المتهمون بجرائم الإرهاب بعد استفادتهم من قانون الوئام المدني وخاصة عن إمكانية مشاركتهم في الانتخابات عبر الترشيحات ضمن قوائم الأحزاب السياسية.

وتابعت الجريدة ذلك عن كثب عبر العديد من المواضيع والعناوين وإن كانت عبر العناوين بصفة أقل. لكنها تكون على رأس الصفحة وبالخط العريض، مثل عنوان أوردته الجريدة أثناء الحملة الانتخابية لتشريعيات 10 ماي 2002م: عبد الله جاب الله: قوائمنا مفتوحة، بما في ذلك للتائبين، وكان هذا رد على سؤال بين خمسة أسئلة، وجاء في آخر الحوار الصحفي الذي أجرته الجريدة مع رئيس حركة الإصلاح الوطني اختارته الجريدة بين كل الأحوبة ليكون عنوانا للحوار[1]. ولاحظت الباحثة الأسلوب السلبي عموما الذي تصاغ به المضامين وكذا العناوين في هذا المجال.

---

[1]-Djamei Amrouche, Abdeliah Djaballiah, Nos Listes sont ouvertes, y compris aux repentis, El Watan, N°3453, Dimanche 14 Avril 2002, p2.

وتأتي فئة "مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية" في المرتبة الثالثة بتسجيلها 27 تكرارا عبر عينة "El Watan" واستغرقت بالتالي 22,37% من اهتمامها في هذا الموضوع، وقد سجلت الباحثة عمومية الأحكام السلبية ضد الأحزاب الإسلامية عبر مختلف المضامين والعناوين أيضا علاقتها بالحزب المحل "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" وقادتها "عباسي مدني" و"علي بلحاج"، ولاحظت الباحثة أن تناول مواضيع عن الأحزاب الإسلامية يكون في القالب في النصف الأسفل من الصفحات المخصصة للحديث عن الأحزاب أثناء الحملة الانتخابية وكذا عموما في التعليقات على النتائج مع أن عناوينها أقل في العمق والخط[1].

أما فئة "الإسلام والديمقراطية" التي سجلت 07 ترددات فقط وهي نسبة قليلة جدا وبعيدة عن نسبة الفئات الأولى، وجاءت في المرتبة الرابعة حيث لم تستغرق سوى 5,79% من اهتمام الجريدة بهذا الموضوع، وتبين التكرارات أن الجريدة لم تهتم بعرض موضوع "الإسلام والديمقراطية" عبر تحاليل أو حوارات مع مختصين في المجال لبيان ذلك علميا أو تاريخيا، وقد يكون نوع الجريدة –يومية– مبررا لذلك والتي تعتمد على الخبر بصفة أساسية، لكن عدد المقالات التحليلية والتقارير الصحفية والحوارات الصحفية مع بعض "المختصين" على قلتها لكن مع ثراء ما ورد فيها من آراء وأحكام وتقارير تتعلق بالمواضيع حول الجماعات الإسلامية والإرهاب والمتابعة الحثيثة، وذلك مما يدعو إلى ضرورة التوازن والموضوعية خاصة وأن الموضوع يتعلق بوجوب نفي الربط بين سلوك ومواقف بعض المسلمين وبين الإسلام بنصوصه وأحكامه الواضحة في هذا الشأن من جهة، وكان لابد عدم الاكتفاء أو نقل آراء على لسان بعض الشخصيات السياسية أو الحزبية ذات التوجه المختلف وحتى الأجنبية منها دينيا خاصة لتكون مصدرا تتبنى آراؤها وتصبح إعلاما وثقافة في متناول جمهور المفروض أن يوجه إلى الأفكار السليمة والصحيحة، وقد سجلت التكرارات في إطار موقف يبقي أي علاقة بين ما تسميه الجريدة بـــ"الإسلاميزم والديمقراطية".

ولم تسجل فئة "نظام الحكم في الإسلام" إلا مرة واحدة عبر عينة "El Watan" وجاءت بذلك في المرتبة الخامسة والأخيرة بعيدا عن مختلف الفئات المعتمدة في هذا المجال، واستغرقت نسبة 0.83%من اهتمام الجريدة، وورد ضمن مقال رأي تضمنته الصفحة الأخيرة من العدد رقم

[1]-M'Hammed, H. Critique de Sadi Contre Boutaflika et Ait Ahmed, El Watan, N° 3595, Vendredi 27, Samedi 28 Septembre, 2002, p3.

3595 عنونه صاحبه "إغراء الديكتاتورية" وهي قراءة لكاتب المقال، للتيارات الثلاثة التي تقتسم اللعبة السياسية في الجزائر وهي التيار الوطني والديمقراطي والإسلامي، وورد فيه أن قطاعا من المجتمع يرفضون قيام جمهورية إسلامية على أساس من الشريعة[1].

رابعا: الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في الجرائد موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 27 للنتائج الكلية لفئة الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في الجرائد موضوع البحث والتي جاءت في الشكل التالي:

جرائد العينة / الخطاب الإسلامي في المجال السياسي	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
أحزاب وشخصيات حزبية إسلامية	1	47	35,88	2	11	26,19	1	44	36,36	1	102	34,69
الانتخابات والحملات الانتخابية	2	39	29,77	1	20	47,62	2	42	34,71	2	101	34,35
مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية	3	30	22,90	3	6	14,28	3	27	22,31	3	66	22,44
الإسلام والديمقراطية	4	8	6,11	4	3	7,15	4	7	5,79	4	18	6,12
نظام الحكم في الإسلام	5	7	5,34	5	2	4,76	5	1	0,83	5	10	3,40
المجموع		131	100		42	100		121	100		294	100

الجدول رقم 27: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في الجرائد موضوع البحث

تشترك عينة الجرائد الثلاثة موضوع البحث في تسجيل كل من فئتي "أحزاب وشخصيات حزبية إسلامية" و"الانتخابات والحملات الانتخابية" أكثر الترددات بها، مقارنة بالفئات الثلاثة الأخرى في المجال السياسي بينما يختلف في ترتيبها بين المرتبة الأولى والثانية فيها، حيث احتلت فئة "أحزاب وشخصيات حزبية إسلامية" في المرتبة الأولى في كل من جريدتي "Liberté" و" El

[1]-Chawki Amari, La tentation de la dictature, El Watan, N°3595, Vendredi 27, Samedi 28 Septembre 2002, p24.

Watan" في حين جاءت في المرتبة الثانية في جريدة "El Moudjahid"، وفي المقابل احتلت فئة "الانتخابات والحملات الانتخابية" المرتبة الأولى في جريدة "El Moudjahid"، بينما جاءت في المرتبة الثانية في كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" . وجاءت الفئات الثلاثة الأخرى على الترتيب نفسه في الجرائد الثلاثة موضوع البحث.

وتفيد بيانات الجدول رقم 25 أن النتائج بقيت على الترتيب الذي كانت عليه في كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" فيما يتعلق بالفئتين الأوليين، بينما حافظت على الترتيب نفسه مع بقية الفئات في هذا المجال في الجرائد الثلاثة موضوع البحث، وقد جاءت النتائج النهائية كمايلي:

1-احتلت فئة "أحزاب وشخصيات حزبية إسلامية" المرتبة الأولى برصدها 102 مرة في عينة البحث الإجمالية، واستغراقها 34,69% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا المجال.

2-احتلت فئة "الانتخابات والحملات الانتخابية" المرتبة الثانية برصدها 101 مرة في عينة البحث الإجمالية واستغراقها 34,35% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا المجال.

3-احتلت فئة "مواقف سياسية للأحزاب الإسلامية" المرتبة الثالثة برصدها 66 مرة في العينة الإجمالية للبحث، واستغرقتها 22,44% من اهتمام الجرائد موضوع الدراسة بهذا المجال.

4-احتلت فئة "الإسلام والديمقراطية" المرتبة الرابعة برصدها 18 مرة في العينة الإجمالية للبحث واستغراقها 6,12% من اهتمام الجرائد موضوع الدراسة بهذا المجال.

6-احتلت فئة "نظام الحكم في الإسلام" المرتبة الخامسة والأخيرة برصدها 10 مرات في العينة الإجمالية للبحث واستغرقتها 3,40% من اهتمام الجرائد موضوع الدراسة بهذا المجال.

وفيما يلي نعرض لهذه النتائج في الشكل البياني الآتي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

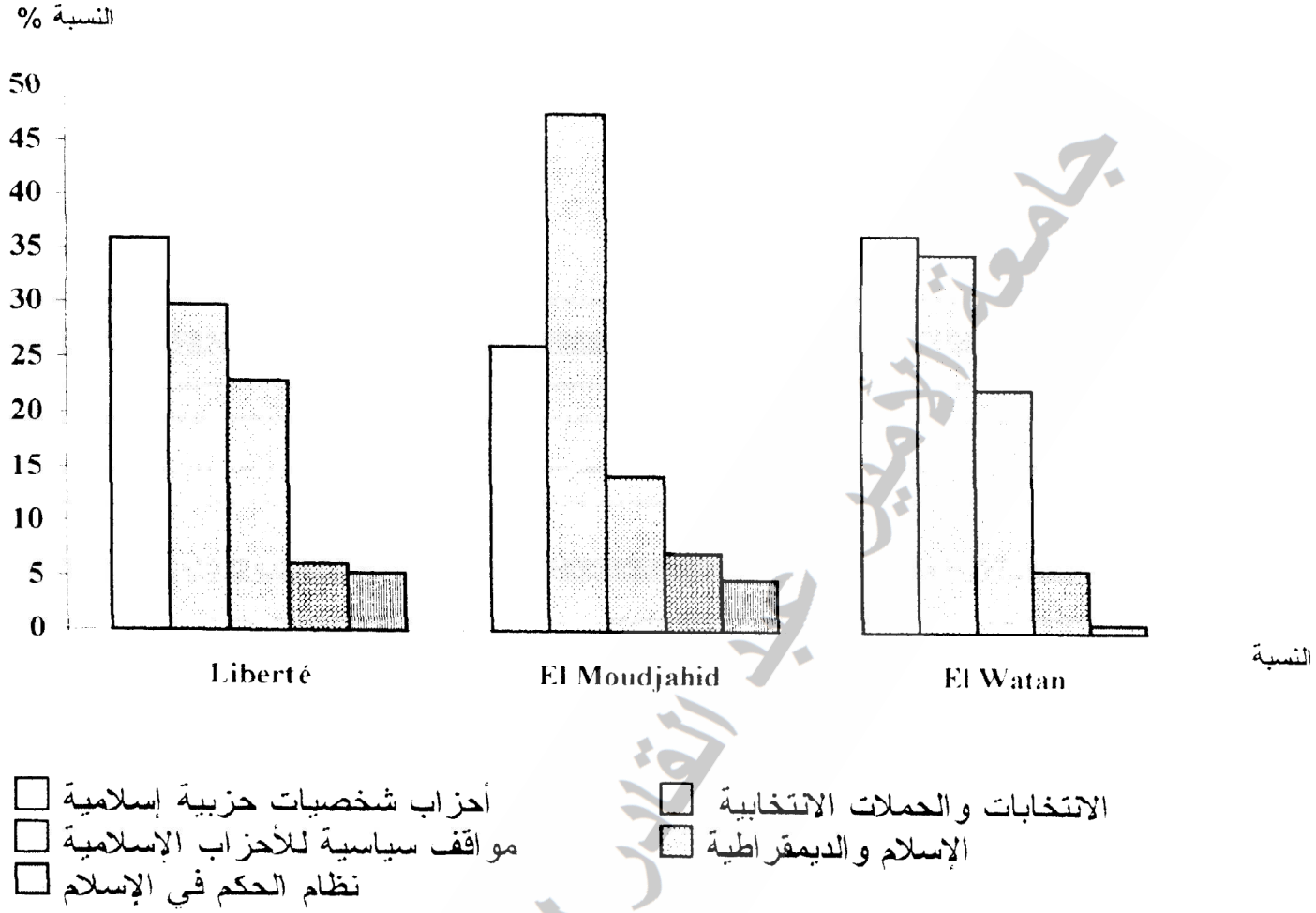

الشكل رقم 4: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في الجرائد موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني

أولا: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني عبر عينة جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها، والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة

الترتيب	فئات المجال الأمني في "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	العنف (الإسلامي)	46	39,32
2	جماعات إسلاميه (إرهابيه)	42	35,90
3	الحرب على الإرهاب	28	23,93
4	العلاقة بتنظيم القاعدة	1	0,85
المجموع		117	100

الجدول رقم 28: نتائج الخطاب الاسلامي في المجال الأمني في جريدة "Liberté"

تفرقت تكرارات الفئات الفرعية في المجال الأمني على ثلاثة منها خاصة بشكل ملاحظ من الفئات الأربعة المعتمدة في هذا المجال، وقد سجلت اثنتان منها نسبا متقاربة وهما على التوالي فئة العنف (الإسلامي) وفئة "جماعات إسلامية إرهابية" وسجلت الأولى منها أكبر عدد من التردادات 46 مرة وجاءت بذلك في المرتبة الأولى مستغرقة بالتالي نسبة 39,32% من مجمل التكرارات المسجلة عبر العينة التي جرت عليها الدراسة، ثم تنتها مباشرة فئة "جماعات إسلامية إرهابية" بالمرتبة الثانية بتسجيلها 42 ترددا واستغراقها من ثم نسبة 35,90% من مجمل الترددات في فئة المجال الأمني، وكما هو واضح فقد استغرقت الفئتان لوحدهما نسبة 75,20%، وهو ما يعادل أكثر من ثلثي مجمل التردادات في هذا المجال.

وقد جاءت فئة "الحرب على الإرهاب" في المرتبة الثالثة بتسجيلها نسبة أقل من الفئتين الأوليين على التوالي، لكن تبقى هامة في فهم توجه الجريدة وخطها الإعلامي في ترتيب الاهتمام وبالشكل المطلوب، حيث سجلت هذه الفئة 28 ترددا عبر العينة المدروسة، واستغرقت من ثم نسبة 23,93% ويعني ربع التكرارات تقريبا.

ولم تسجل فئة "العلاقة بتنظيم القاعدة" إلا ترددا واحدا فقط عبر أعداد الجريدة ولم تستغرق إلا 0,85% من اهتمام الجريدة بالموضوع ضمن هذا المجال.

وسنعرض إلى نماذج تردد هذه الفئات عبر أعداد جريدة "Liberté" للإطلاع على الإطار الذي عولجت عبره وكيفية عرضها فيه.

ويفيدنا جدول تفريغ البيانات للخطاب الإسلامي في المجال الأمني، أن فئة العنف (الإسلامي) قد رصدت عبر كل أعداد الجريدة لم يخل منها إلا واحدا فقط وتراوحت الترددات بين الواحد والسبع مرات يتم فيها ربط العنف بالوصف الإسلامي مباشرة بكل صراحة ووضوح بالقول مثلا الإرهابيون الإسلاميون وفي مرات قليلة إيحاء أو ربطا بالجماعات الإسلامية، وهو ما يعطي الانطباع بأن قضية ربط العنف والإرهاب بالوصف الإسلامي محسومة في جريدة "Liberté".

وقد وردت تكرارات فئة "جماعات إسلامية إرهابية" في 14 عددا من 19 عددا للعينة الإجمالية المدروسة وتراوح ترددها بين المرة الواحدة والثمانية مرات وكانت جماعة AIS, GSPC, GIA على التوالي، وبهذا الترتيب تذكر محليا كما تعرض الجريدة على مستوى العالم الإسلامي والعالمي لجماعة طالبان، تنظيم القاعدة، منظمة المقاومة الإسلامية الفلسطينية "حماس" التي دائما ما تصفها جريدة "Liberté" بالأوصاف: راديكالية، متطرفة أو إرهابية، مع ملاحظة ثبوت ذكرها بالإسلامية في مقابل عدم ذكر اللون السياسي أو النشاط النضالي للفصائل الفلسطينية الأخرى. وتسجل الباحثة تذبذب الجريدة في وصف "حماس" الفلسطينية على غرار الإطار الذي تذكر فيه، فهي دوما إسلامية متطرفة، إرهابية كما أشرنا، لكنها وصفتها منظمة المقاومة[1] الفلسطينية حين وردت في إطار التنديد العالمي والعربي بتفجير إسرائيل لمقر الرئيس الفلسطيني في رام الله والمجازر التي أوقعتها بين الفلسطينيين، التي وصفت فيها جريدة "Liberté" رئيس وزراء الدولة اليهودية بـ "جزار صبرا يعود" حيث لم يكن مع فداحة الانتهاكات الإسرائيلية، إلا وصف كتائب الجهاد في فلسطين بالمقاومة منطقيا على الأقل[2]، وذلك مع أن مصطلح الانتفاضة نفسه الذي تتداوله مختلف وسائل الإعلام العربية والأجنبية بما فيها جريدة "Liberté"، هي مرتبطة أساسا بانتفاضة الأقصى، وهو وصفها الحقيقي، وكما هو واضح وصفها إسلامي مبدأ وهدفا.

أما الجماعات الإسلامية في الجزائر وبغض النظر عن أحداث العنف والإجرام التي تنسب

[1]-R.H. L'intifadha continuera, Liberté, N°2881, Vendredi 29, Samedi 30 Mars 2002, P15.
[2]-Le Boucher de Sabra recidive, Idem.

اليها بشكل الى مباشرة، فقد ربطتها الجريدة في عدد منها بمشروع "المدرسة الأصيلة" التي كان يدعو اليها وزير التربية الوطنية السابق "علي بن محمد" وذلك في صفحة أسرار الجريدة " RADAR" في خبر غير موقع عنوانه "إصلاح المدرسة "بن محمد" في "حرب ضد بن زاغو" ضمنته الجريدة ضلالا من الشكوك والتهمة بشخص الوزير وذلك بعد أن نظم احتماعا في الموضوع حضره أحد النائبين كما أشارت الجريدة إلى ذلك، والتي اختتمت نص الخبر بتعليق في شكل تساؤل: يحمل كل المعاني: «هل يذهب" بن محمد" حتى إلى حد طلب الدعم من النائبين لقطع الطريق على إصلاحات "بن زاغو"»[1] مع ما يحمله وصف "النائبين من معنى الإرهاب والإجرام...في الجزائر.

أما فئة "الحرب على الإرهاب" فقد ترددت عبر 15 عددا من أعداد العينة 19 وتراوحت بين التردد الواحد (عشر مرات) والخمس مرات على الأكثر، لكن بشكل غير متقطع بين أعداد الجريدة، وقد سجلت الباحثة غموض مفهوم وجرم الإرهاب وخاصة معيار وصف الجرم بالإرهاب، من عدمه في الجريدة في كثير من الأخبار والتقارير والمقالات...فيها خاصة في الجزائر، فقد أوردت الجريدة على رأس صفحتها الأخيرة في عدد منها ما يفيد ذلك عنوانا ومضمونا، فالمجموعات التي ألقي عليها القبض من طرف قوات الأمن في إطار ما يعرف بالحرب على الإرهاب عادة، ظهرت بأنها مجموعات من الأشرار وليست إرهابية، وقد كان هؤلاء الأشرار يمتهنون تروبع سائقي السيارات الأجرة في مدينة "تيزي وزو"، وبعضهم كان يقوم بوضع الكمائن على طرق عدد من القرى حول المدينة، وقد قامت منذ مدة بعملية سطو على إدارة البريد وسرقت مائة مليون سنتيم، وكان أفراد هذه المجموعات يضعون أغطية على الرأس "Encagoulés" وتستخدم أسلحة نارية وبنادق صيد وغيرها، استرجعتها قوات الأمن، وذكرت الجريدة أعمار أفراد المجموعة وحروف أسمائهم الأولى، وقد عنونت الجريدة على ذلك: «كانوا ينتحلون صفة الإرهابيين بغطاء الرأس Encagoulés، أشرار أوقفتهم الشرطة في تيزي وزو»[2]، وكان بخط أكبر وأغمق. وأوردت خبر آخر وبالعنوان نفسه "ينتحلون صفة إرهابيين" وفي تيزي وزو أيضا

[1]-Reforme de l'école , Ben Mahamed en guerre contre Benzarhou, Liberté, N°2859, Op-Cit, P5.

[2]-B.T. Ils Se faisaient passer pour des terroristes encagoulés, des malfaiteurs arrêtés par la police à Tizi-ouzou, Liberté, N°2929, Op-Cit, P24.

جاء فيها: هذه المجموعة التي تزرع جو الرعب في المنطقة، عبر مختلف العمليات، كمائن مزيفة، انتهاكات المنازل، سرقة الأموال، وقد استرجعت منها أسلحة مختلفة بيضاء، سيوف سكاكين قناصة، بنادق صيد رشاش، سراويل عسكرية، ولحي مزيفة... وجدها مصالح الأمن بعد تفتيش منازل المجموعة التي وصفتها الجريدة بالأشرار فقط، دون الإرهابيين[1].

وقراءة هذه التقارير وغيرها تستدعي التساؤل عن المعيار في وصف هذه الجرائم أحيانا بالإرهاب، وبالتالي ربطها بالوصف الإسلامي، أو بالجماعات الإسلامية، وأحيانا تصنف بأعمال شريرة وأصحابها مجرد أشرار.

أما فئة "العلاقة بالقاعدة"، ففي المرة الوحيدة التي رصد ترددها فيها كان في إطار تناول الجريدة لسياسة "المصالحة الوطنية" التي ترفضها "Liberté" بشدة وجرأة ملفتة، وجاء ذلك على لسان مقالها الافتتاحي الذي قال كاتبه بأن «هذه السياسة تسير ضد تيار الأحواء العالمية التي تشهد تحالفا كونيا للقضاء على الإرهاب بعد 11 سبتمبر، لكن النظام الجزائري يبرئ الإرهابيين، مع هذه السياسة، وإذ كانت ثمرة ونتيجة استفتاء شعبي عام، فإن الإسلاميين فقط هم الذين دعموها بصراحة، فهم الوحيدون الذين يستفيدون منها، وقد كانت رسالة فهمها الإرهاب الإسلامي –في الجزائر– وفك رموزها وراح يضرب من جديد في قلب العاصمة»[2]

وقد وردت في الجريدة إيحاءات عبر عدد من أشكالها الصحفية التي تناول خاصة موضوع العنف (الإسلامي) و"الجماعات الإسلامية (الإرهابية)" تربط فيها ما يحدث في الجزائر بتنظيم القاعدة، أو بزعيمها "أسامة بن لادن" لكن بطرق غير مباشرة، وهو ما لم يستدع تسجيلها عبر هذه الفئة في المجال الأمني، ومن ذلك ما ورد في عنوان خبر عن الحرب على "الإرهاب" في الجزائر، مثلا اسم "أسامة".. ما هو إلا اسم لأمير لجماعة GSPC عرف بكونه وراء العديد من العمليات في وسط الوطن»[3]. ولا تخفى هذه الإشارة المعاني التي تحاول إيصالها.

وقد يفسر عدم تسجيل هذه الفئة لترددات أكثر كما كان متوقعا، هو عدم وجود العدد المتزامن بذكرى أحداث نيويورك في 11 سبتمبر والتي خصصت لها الجرائد الجزائرية أعدادها في

(1)-Ils se faisaient passer pour des terroristes, Liberté, N°2859, Lundi 4 Mars 2002, P24.

(2)-Said Chokri, Déphasage, Liberté N°3028 Mercredi 18 septembre 2002, P3.

(3)-S.I, Oussama, Un Emir, Liberté, N°3020, op-Cit, P3.

التاريخ المذكور، ومنها جرائد عينة البحث، الذى جرت عليه الدراسة "El Moudjahid" و"El Watan".

ثانيا: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني عبر عينة جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها، والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الأمني في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسب المئوية %
1	الحرب على الإرهاب	16	50
2	العنف (الإسلامي)	7	21,88
3	جماعات إسلامية مسلحة (إرهابية)	6	18,75
4	العلاقة بتنظيم القاعدة	3	9,37
المجموع		32	100

الجدول رقم 29: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في جريدة "El Moudjahid"

وتبين قراءة بيانات هذا الجدول أن فئة "الحرب على الإرهاب" تتصدر بقية الفئات المعتمدة، حيث تكررت 6 مرات وجاءت من ثم بنسبة 50%، وسجلت فئة العنف (الإسلامي) والمرتبة الثانية بسبع تكرارات واستغرقت 21,88% من مجمل التكرارات وقد وردت في أكثر الأحيان مقرونة بالجماعة الإرهابية، وسجلت فئة "جماعات إسلامية مسلحة" المرتبة الثالثة بستة تكرارات وبنسبة 18,75% فيم جاءت فئة علاقة الخطاب الإسلامي بالقاعدة في المرتبة الرابعة وبثلاث تكرارات، وهو ما عادل 9,37%، أو إيحاء بالجماعات الإسلامية المسلحة.

وهذه النسب يبررها الوضع المحلي والعالمي خاصة بعد تفجيرات نيويورك التي أعلنت الولايات المتحدة على إثرها ما سمته بالتحالف العالمي للحرب على الإرهاب وعلى المستوى العسكري تحديدا وباشرت ذلك واقعيا في أفغانستان ثم عبر العديد من الدول الإسلامية الأخرى، وبدا من الأهمية حينها تحديد موقف الجزائر ككل الدول في هذا الاتجاه مع أن الذي كان يحدث في الجزائر لا علاقة له بما حدث في أمريكا، وهو ما عبرت عنه "العلاقة بالقاعدة" التي جاءت بثلاث تكرارات، ولذلك كانت أغلب التكرارات الواردة في فئة "الحرب على الإرهاب" ضمن خطابات وتصريحات رسمية كما لاحظته الباحثة هذا من جهة، ومن جهة ثانية نظرا لغموض

مفهوم الإرهاب الذي تقود أمريكا الحرب عليه، فلما عقد اجتماع رؤساء حكومات الاتحاد الإفريقي حول الوقاية والحرب على الإرهاب، في الجزائر في 11 سبتمبر 2002م[1]، ركز المؤتمر على نوع وخصوصية الإرهاب الذي يضرب إفريقيا، وربطوه بشبكات غسيل الأموال والجريمة المنظمة العابرة للقارات، وشبكات المخدرات والاتجار بالسلاح، وبناء على ذلك عرض مفهوم آخر للإرهاب ووضعت له اقتراحات لمحاربته لا تعنى بالضرورة مفهوم الإرهاب الذى تحاربه أمريكا، ولا تعتمد الوسائل التي تعتمدها أمريكا، وبدا واضحا في هذا المجال المفهوم الإفريقي للإرهاب وكذا الحرب على الإرهاب، في أن الحرب على الجوع والفقر والظلم والتهميش هي أول الحرب على الإرهاب، وارتبطت اقتراحات الحلول بنظام عالمي أكثر عدالة على مستوى دعم الجميع من أجل حوار الثقافات والحضارات ونشر قيم التفاهم والاحترام، ثم رد العدالة للشعوب التي ليس لها طريق سوى المقاومة المسلحة لاسترجاع حقوقها[2].

وقد رصدت الباحثة العديد من الأوصاف للجماعات المسلحة عبر صفحات العينة مثل جماعات الدمويين، الراديكالية، الإرهابية، أمراء الإرهاب، واعتمدت ما كان منها مقترنا بالوصف الإسلامي وهو ما كانت تذكره الجريدة حين تورد هذه الجماعات بالاسم والتي تشير إليه عادة بالحروف الأول مثل GIA (الجماعة الإسلامية المسلحة)[3]، أو نسبتها إلى أحد قادتها "جماعة حسان حطاب" وجماعة "GSPC"[4].

[1]- انظر بعضا لوقائع الاجتماع، الذي تضمنت خطاب رئيس الجمهورية وتصريحات رؤساء الحكومات الإفريقية، بالإضافة إلى تحليلات حول الموضوع، وقد استغرق خمس صفحات كاملة من الجريدة انظر:

El Moudjahid, N°11533, Op-Cit, P7-11.

[2]- La lutte contre le terrorisme doit être un ..., El Moudjahid, N°11533 , Op Cit, P8 9.

[3]-Deux terroristes abattus après de Blida, El Moudjahid, N°11560, Op-Cit, P23.

[4]-Un des deux terroristes abattues à l'université de blida serait le numero deux du GSPC, El Moudjahid, N° 11432, 18 Mai 2002, P23.

ثالثا: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني عبر عنة جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب والنتائج المحصل عليها، والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الأمني في "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية%
1	جماعات إسلامية مسلحة (إرهابية)	51	34,23
2	العنف (الإسلامي)	38	25,50
3	الحرب على الإرهاب	36	24,16
4	العلاقة بتنظيم القاعدة	24	16,11
المجموع		149	100

الجدول رقم 30: نتائج الخطاب الاسلامي في المجال الأمني في جريدة "El Watan"

وتظهر نتائج الجدول رقم 30 أن فئة "جماعات إسلامية مسلحة" قد سجلت أكثر التكرارات بين الفئات الأربع التي تم تصنيفها في هذا المجال، فقد ترددت 51 مرة ومع خلو بعض أعداد العينة منها كالأعداد على التوالي رقم (3432، 3439، 3466، 3489، 3496، 3603، 3619) إلا أنها حاضرة بكثرة في الأعداد المتبقية وقد احتلت جماعة GIA[1] أكثر GSPC[2] و AIS[3] هذا الترتيب بأغلبية التكرارات، كما أكثرت الجريدة من ذكر ووصف "الإسلامية" "المسلحة" وربطه بأحداث العنف التي تحدث في الجزائر أو في العالم، وبأوصاف أخرى مثل جماعات مسلحة إرهابية، منظمة أو إجرامية دموية، همجية. ولقد لاحظت الباحثة أن منظمة "حماس" الفلسطينية دائما ما تذكرها جريدة "El Watan" تحت هذا التصنيف وكذا بوصفها بالإرهابية[4] رغم موقف الجريدة الذي تعبر عنه عن كفاح الشعب الفلسطيني المقاومة من أجل العادلة والتي تصفها الجريدة بقضية تحرير، وتقرير مصير وعطش للاستقلال، ورفض للاستسلام.

(1)-GIA : Groupes Islamiques Armés — الجماعات الإسلامية المسلحة.

(2)-GSPC: Groupes Salafistes pour la prédication et le combat

الجماعة الإسلامية للدعوة والقتال

(3)-AIS : Armée Islamique du Salut — الجيش الإسلامي للإنقاذ

(4)-El Watan, N°3446, Op-Cit, P6.

ووصفت مجازر إسرائيل بالبربرية[1] وذلك في إطار مناسبة مرور سنتين على الانتفاضة الفلسطينية التي ارتبط اسمها انتفاضة الأقصى بيوم أن انتهك "شارون" ساحة المسجد الأقصى، والقضية اسما ومسببا وجهادا وهدفا إسلامية كما هو واضح.

وتسجل الباحثة الغموض والتناقض في موقف الجريدة من الجهاد الذي تقوم به المنظمة الإسلامية وكذا موقف المسلمين وغضبهم من ما تقوم به إسرائيل، من مجازر في جنين ونابلس وحصار الرئيس "ياسر عرفات" وحين يعبر المصريون عن غضبهم عبر المظاهرات تصفهم جريدة "El Watan" بالمتطرفين في عناوين مقالاتها[2].

-وجاءت فئة "العنف (الإسلامي)" في المرتبة الثانية، حيث ترددت 38 مرة عبر عينة الجريدة واحتلت بذلك 25,50% من اهتمامها بهذا الموضوع وهو ما يعادل الربع بين التكرارات المختلفة الأخرى.

وقد سجلت أكثر التكرارات منها في العدد رقم 3581 الذي خصصته الجريدة لذكرى تفجيرات 11 سبتمبر في نيويورك، وسجلت أيضا لكن بنسبة أقل في الأعداد على التوالي رقم 3466- 3474- 3548- 3594- 3609- 3619 من الجريدة.

ويلاحظ أن نسبة التكرارات من هذه الفئة قد سجلت بعد 11 سبتمبر 2002م أكثر مما سجلت قبله للأسباب نفسها التي ذكرناها سابقا.

وتجدر الإشارة إلى أن ارتباط وصف العنف بالإسلامي قد كان آليا عبر مختلف أعداد الجريدة التي تم تسجيل هذه الفئة بها، وإن لم يكن مرتبطا بالعبارة نفسها أحيانا إلا أن الجريدة في كل مرة تتبنى في معرض الحديث عن العنف ربطه بجماعة إسلامية أو باسم أحد قادتها أو أمرائها ثم تربطه بإرهابي تائب الذي أكثرت الجريدة الحديث عنه عبر سياسة "الوئام المدني" ورفضها لما أصبح يعرف بـ"التائبين" وهم الذين استفادوا من العفو عبر هذه السياسة بأن يتمتعوا بحقوقهم السياسية وذلك بالمشاركة في الانتخابات وخاصة عبر ترشحهم على قوائم الأحزاب الأخرى.

[1]-Fares Chahine, Deux années d'intifadha palestinienne, une soif de liberté, El Watan, N°3595, Vendredi 27, Samedi 28 septembre 2002, p11.

[2]-Djamila Benhabib, L'Egypte entre colère et pragmatisme, El Watan, N°3466, Lundi 29 Avril 2002, P11.

أما عالميا، فترتبط الجريدة هذه الفئة خاصة بالجهاد الذي تقوم به جماعة حماس الإسلامية ضد مجازر الاحتلال الإسرائيلي، وكذا بالتفجيرات التي يتهم الإسلاميون بالتخطيط لها أو القيام بها ضد أهداف غربية أو في دول غربية.

وجاءت فئة "الحرب على الإرهاب" في المرتبة الثالثة لكن بنسبة قريبة جدا من فئة العنف (الإسلامي) حيث ترددت 36 مرة واحتلت بذلك 24,16% من اهتمام الجريدة بهذا الموضوع وتقترب بذلك أيضا من ربع التكرارات الواردة في المجال –الأمني–.

ولاحظت الباحثة أن أكثر التكرارات لهذه الفئة قد سجلت دفعة واحدة في العدد رقم 3581 حيث سجلت فيه 12 تكرارا بين 36 تكرارا توزعت على كل أعداد العينة كما لاحظت أن التكرارات التي سجلت بعد 11 سبتمبر كانت الأكثر في مقابل ما سجل منها قبل 11 سبتمبر.

وإذ كان الاتجاه السلبي قد غلب عموما على تكرارات هذه الفئة والتي ترتبط صراحة أو إيحاءا بالوصف الإسلامي فإن الباحثة قد سجلت ترددات أشارت فيها الجريدة إلى أشخاص أو جماعات تستغل الأجواء الأمنية الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر لتقوم بإجرامها قتلا أو سطوا أو غيره تحت غطاء الإرهاب مما يؤكد غموض مفهوم الإرهاب أيضا وغموض معايير الحكم به خاصة وأن إعلان وصف الإرهاب من عدمه يتم بعد القبض مباشرة على المشتبه بهم أو وصف حيثيات جرائم ترتكب هنا وهناك دون التعرف على المجرمين لفرارهم قبل القبض عليهم، أو يتم ذلك من باب التخمين كالقول مثلا –كما يعتقد–.

كما أوردت الجريدة في عدد من المواضيع ما أشارت إليه على أنه استغلال إسرائيل لغطاء الحرب على الإرهاب (في العدد رقم 3595)[1] لتقوم بمجازرها وانتهاكاتها في الأراضي الفلسطينية المحتلة وللشعب الفلسطيني، التي تصفها الجريدة نفسها بالبربرية وفي المقابل تصف رد المنظمات الجهادية الفلسطينية عليها دائما بالانتحارية[2].

[1]-Farès Chachin, Deux ans d'intifadha palestinienne, Une soif de liberté, El Watan, N°3595, Vendredi 27 Samedi, 28 Septembre 2002, P11.

[2]-AFP, Promesses tenues de Hamas, El Watan, N°3474, Jeudi 9 Mai 2002, P4.

وتعلق الأمر بالمجازر الإسرائيلية في جنين ونابلس مثل (رقم 3453) [1]، (رقم 3481)، مع ملاحظة أن جريدة "El Watan" قد خصت منظمة حماس بين الفصائل الجهادية الفلسطينية فقط بوصف الإسلامية الإرهابية حين تعرض كتائب عز الدين القسام الذراع العسكري للمنظمة.

ولم تلاحظ الباحثة وصف الجريدة للفصائل الجهادية الفلسطينية الاخرى بهذا الوصف مثل كتائب الأقصى التابعة لحركة فتح.

وقد ترددت أكثر التكرارات في هذه الفئة في (رقم 3584، 3609) على التوالي من الجريدة، وارتبط العدد الأول بذكرى تفجيرات نيويورك التي خصصت لها الجريدة عددا خاصا تناولتها فيه عبر مختلف صفحاتها بينما ارتبط العدد (رقم 3609) بتفجيرات بالي بأندونيسيا التي وقعت في 13 أكتوبر 2002، والتي تناولتها الجريدة على صفحة منها[2].

ولاحظت الباحثة أن أغلب ما تردد من تكرارات في هذه الفئة قد تضمنته أخبار قصيرة تساوت فيها نسبة التوقيع التي غالبا ما تكون بالحروف الأولى فقط لأسماء الصحفيين بنسبة عدم التوقيع فيها تقريبا، بينما جاءت نسبة هامة منها ضمن تقارير صحفية أيضا خاصة التي يبعث بها مراسلوا الجريدة من الخارج من مكاتب الجريدة بباريس مثلا ومراسليها من روما ولندن وكندا والتي دائما ما تحمل توقيعات الصحفيين كاملة والتي يذكر فيها بالإضافة الى وصف الجماعات الإسلامية وصف الإرهابية، الأصولية والراديكالية والمتطرفة بسهولة وبصفة آلية في أكثرها وتربطها باتهامات العنف والإجرام بمجرد الاشتباه دون متابعة التحقق من التهمة بعد التحريات التي تقوم بها السلطات المعنية خاصة وأن كثيرا من الإسلاميين قد ثبتت براءتهم فعلا، وكان يفترض من الجريدة تحري الموضوعية والحياد وانتظار نتائج التحقيقات[3] خاصة وأن معيار التهمة عالميا في أجواء ما بعد أحداث 11 سبتمبر في هذه القضايا هو الإسلام، وهو ما تنبهت إليه الجريدة فعلا في العدد رقم 3588 وضمنته عنوانا كبيرا على صفحتها الأولى "جزائريون مقبوض

---

[1]-T. Hocine, Masacre a Jenine et naplouse, El Watan, N°3453, Dimanche 14 Avril 2002, p24.

[2]-El Watan, N°3609, Lundi 14 Octobre 2002, p11.

[3]-El Watan, N°3588, Jeudi 19 Septembre 2002, p1-11.

علوم في قراءة أمريكية: كثير منهم لا علاقة لهم بالقاعدة"[1]. ومع ذلك يبقى المثال الأهم في خطاب جريدة "El Watan" هو وصف الجماعات الإسلامية بالتطرف والإرهاب حيث شمل كل الأحزاب الإسلامية في الجزائر وعبر العالم الإسلامي فيما تصفه بـ "Islamisme terroriste" في العدد (رقم 3446) [2] والعدد (رقم 3581)، وذلك في موضوع "الا ينظر الجنوب أمريكا" الذي جاء فيه أن "العالم يستمر في اعتبار الإرهابيين معارضين ويجب التفاوض معهم"[3]. وهو ما يدعو إلى الغرابة والعجب حول ما إذا كانت قضية ما يسمى "الإرهاب" والحرب على الإرهاب تتحدّد بالمسؤولية، وتسقط بالبراءة، أم أن المسألة تتجاوز هذه وتلك، وقد تتجاوز قاموس الحقيقة والعدالة والقانون في ظل واقع يضج بالأحداث المتسارعة يختلط فيها المحلي والعالمي وتعد الحقيقة في ذلك الغائب الكبير.

رابعا: الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

حرائد العينة / الخطاب الإسلامي في المجال الأمني	Liberté			El Moudjahid			El Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
العنف (الإسلامي)	1	46	39,32	2	7	21,88	2	38	25,50	2	91	30,54
جماعات إسلامية (إرهابية)	2	42	35,90	3	6	18,75	1	51	34,23	1	99	33,22
الحرب على الإرهاب	3	28	23,93	1	16	50	3	36	24,16	3	80	26,85
العلاقة بتنظيم القاعدة	4	1	0,84	4	3	9,37	4	24	16,11	4	28	9,39
المجموع		117	100		32	100		149	100		298	100

الجدول رقم 31: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في الجرائد موضوع البحث

[1] كشفت كثير من التقارير والمصادر الأمريكية المطلعة والتي لها علاقة مباشرة بالإرهاب في أمريكا، ومصادر رسمية وحزبية أخرى أنه 9 قضايا من بين 10 من قضايا المسلمين المتهمين بالإرهاب قد تمت بالبراءة وإطلاق سراح المعتقلين لانتفاء التهمة، وقد ورد هذا الخبر عبر حصة بلا حدود في قناة الجزيرة وكان الضيف فيها ضابط مخابرات عسكرية بريطاني، في شهر جويلية 2007.

[2]-Salima Themcani, L'enjeux c'est récupérer la base Islamiste, El Watan, N°3446, Jeudi 9 Mai 2002, P5.

[3]-Nadjma Bouzeghane, Quand le Sud regarde l'Amérique, El watan, N°3581, 11 Septembre 2002, p11.

تفاوتت واختلفت فئات "المجال الأمني" ترتيبا في الجرائد الثلاثة موضوع البحث بين الفئات الثلاثة الأولى: "العنف (الإسلامي)"، "جماعات إسلامية (إرهابية)" و"الحرب على الإرهاب" من جهة وبين فئة "العلاقة بتنظيم القاعدة" من جهة أخرى، فقد احتلت هذه الفئة المرتبة الرابعة مع الجرائد الثلاثة وكذا في النتائج النهائية التي تفيدنا بها بيانات الجدول رقم 29 التي جاءت كمايلي:

1 -"جماعات إسلامية (إرهابية)" احتلت المرتبة الأولى برصدها 99 مرة في العينة الإجمالية للبحث واستغراقها 33,22% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا المجال.

2-فئة "العنف (الإسلامي)" احتلت المرتبة الثانية برصدها 91 مرة في العينة الإجمالية للبحث واستغراقها 30,54% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا المجال.

3-فئة "الحرب على الإرهاب" احتلت المرتبة الثالثة برصدها 80 مرة في العينة الإجمالية للبحث واستغراقها 26,85% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا المجال.

4-فئة "العلاقة بتنظيم القاعدة" احتلت المرتبة الرابعة والأخيرة برصدها 28 مرة في العينة الإجمالية للبحث واستغراقها 9,39% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا المجال.

ونعرض نتائج هذا الجدول في الشكل الموالي:

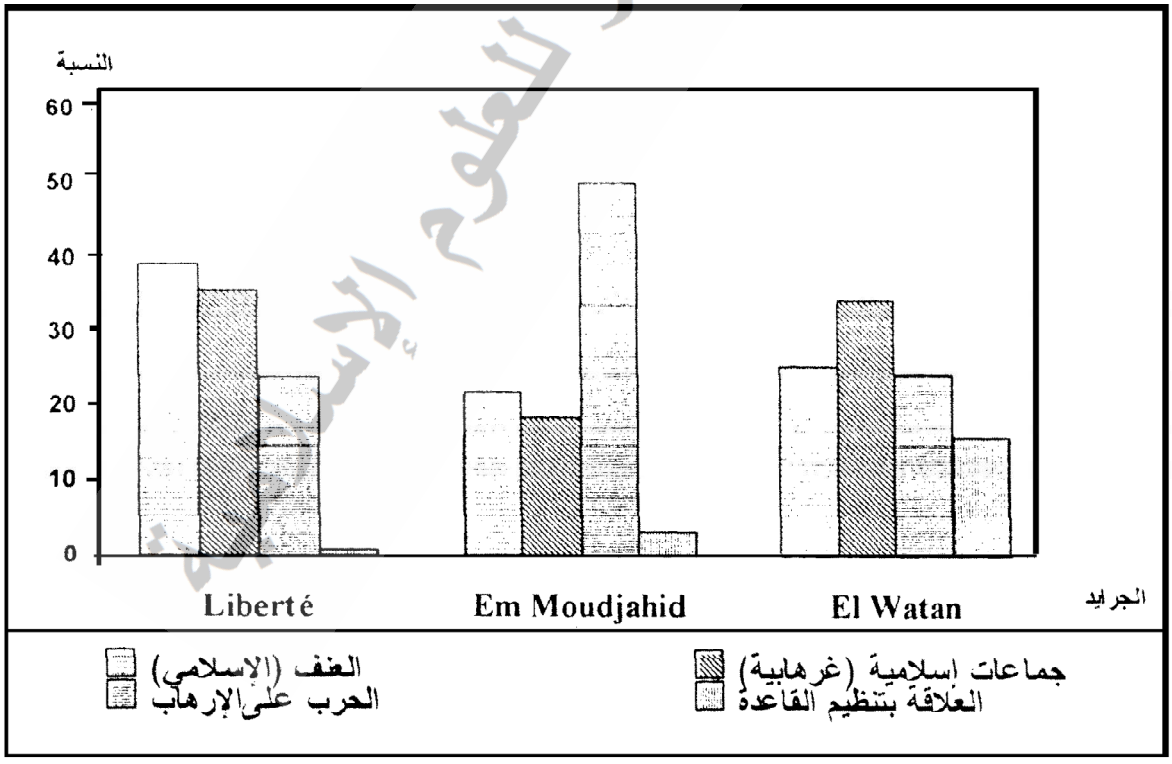

الشكل رقم 5: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في الجرائد موضوع البحث

المبحث الثالث: الخطاب الإسلامي في المجال الديني

أولا: الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت عبر عينة جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليها في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الديني في "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	عبادات إسلامية	22	59,46
2	حكم شرعي	09	24,32
3	القران الكريم	04	10,81
4	الجهاد	02	5,41
5	شخص الرسول ﷺ	-	-
	قيم أخلاقية إسلامية	-	-
	الحديث النبوي الشريف	-	-
	السيرة النبوية	-	-
	الاجتهاد الشرعي	-	-
	شخصيات الصحابة ﷺ	-	-
المجموع		37	100

الجدول رقم32: نتائج فئة الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت عبر عينة جريدة "Liberté"

لم تسجل ست فئات بين العشر فئات المعتمدة في فئة الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت أي تردد عبر عينة جريدة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة والمتكونة من 19 عددا، وتتمثل هذه الفئات على التوالي في: "شخصية الرسول ﷺ" و"قيم أخلاقية إسلامية"، "الحديث النبوي الشريف" "السيرة النبوية، "الاجتهاد الشرعي" و"شخصيات الصحابة رضي الله عنهم" وقراءة ذلك بداية يؤشر إلى دلالات واضحة في مسألة اهتمام الجريدة بهذه المواضيع عموما، أما الفئات الأربعة المتبقية فقد سجلت ترددات قليلة على العموم، وفيما عدا فئة عبادة "الصلاة" التي سجلت 22 ترددا، واستغرقت لوحدها 59,46% من مجمل الترددات، فلم تتعد ترددات الفئات الأخرى على التوالي المرة الواحدة والأربع مرات والتسع مرات، وقد ارتبطت ترددات "عبادة

الصلاة" بمواقيت الصلاة التي تخصص لها الجريدة حيزا متميزا في صحفتها رقم 23، والتي تخصصها عادة لبرامج قنوات التلفزيون الفرنسي مع صور لأهم أفلام السهرة المختارة بينها في الجريدة، بالإضافة إلى لعبة الكلمات المتقاطعة بشبكتها في العدد وحل الشبكة السابقة، لتأتي مواقيت الصلاة في الزاوية السفلى من الجريدة في إطار يحمل عنوان "الحياة الدينية"، مصحوبة بالتاريخ الهجري لعدد اليوم، ولذلك فقد رصدت ضمن فئة "العبادات" بواقع تردد واحد مع كل عدد، وفيما عدا ذلك فقد سجلت فئة العبادات ثلاث تكرارات أخرى، اثنتان منها ذكرت فيهما عبادة الصلاة أيضا، وقد ارتبطت الأولى مباشرة بالإرهاب في أفغانستان، وذلك بإشارة الجريدة بأن «صلاة العيد ستقام في المسجد الذي بناه طالبان طلبة الدين [هكذا] " Etudiants de la religion" في شمال قندهار، حيث ستقام الاحتفالات على امتدادا ثلاثة أيام، ينتظر أن تشهد كل الممنوعات التي كانت وقت طالبان»[1](!).

وأما الثانية فقد وردت في عنوان كبير في صفحة أسرار الجريدة "Liberté" مفاده أن "الصلاة لا تجوز حسب الوالي"[2] وكان الغرض من الخبر التنبيه إلى الأوساخ التي تعرفها ولاية البليدة، والذي بلغ الأمر إلى الحد الذي صرح الوالي بأن الصلاة لا تجوز، ولكن أيضا إيحاء إلى أن البليدة تعرف في الجزائر بأنها مركز الحزب الإسلامي "حمس". ويبقى ربط "الصلاة" بالأوساخ ملفت للانتباه.

والعبادة الثانية في فئة العبادات الإسلامية، فهي عن شهر رمضان المعظم وقد أوردته الجريدة ضمن تهكم جريء لكاتب عمود "Scan-tout" عن اهتمام الجزائريين بالسؤال والاستفتاء في قضايا الصوم، وذلك عبر حصة "فتاوى على الهواء"، امتد إلى السخرية من حرمة الشهر الكريم نفسه، حيث جاء على لسانه: «لنتصور أننا في عز رمضان، وكنت ممتدا على سريري وفمي مفتوحا وكان في اتجاه السقف الذي يواجه عمود الماء فيه حنفي تماما، ونزل المطر وكنت قد نمت وفمي مفتوح دائما، وصب الماء مباشرة في فمي في الوقت الذي تزامن مع آذان

[1]-Après la chutte d'Al –Quaïda, Le cours du mouton d'effondre, Liberté, N°2895, Lundi, 4 Mars 2002, P13.

[2]-Hygiène à Blida, La prière n'est pas valable, selon le wali, Liberté, N°2888, Dimanche, 7 Avril 2002, P5.

الفجر، هل أعدّ صائما أم مفطرا؟ وأضاف: هذا معقد أليس كذلك؟[1].

ورصدت فئة "الحكم الشرعي" عبر تسع ترددات في ثمانية أعداد من عينة "Liberté " التي جرت عليها الدراسة وقد استغرقت بالتالي 24,32% من مجمل الترددات في هذه الفئة، وقد رصدت في إطار سلبي في مجملها وتنوع بين عدم الاكتراث بالأحكام الشرعية الصريحة، وبين فهم واضح بالعلوم الشرعية، حيث ارتبطت أربعة منها بشرب الخمر والمخدرات، والذي تجاوزت الجريدة حرمته الواضحة في الإسلام بنصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة، إلى تبريره اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وهي المرات الثلاث التي رصد فيها تناولها للموضوع.

"فشرب الخمر" و"تعاطي المخدرات" يرتبط بالظروف السوداوية وحاله الإحباط التي يعيشها الشباب في منطقة القبائل حتى أنها نقلت على لسان أحدهم «كيف تريدون أن لا نتعاطى المخدرات في هذا البلد؟» وركزت الجريدة على أنواع من هذه المخدرات وانتشارها في كل زاوية من أحياء المدينة[2].

"وشرب الخمر" في نظر الجريدة هي مسألة إيديولوجية يرفعها النظام الجزائري في وجه "العروش" لإظهار انحرافهم السلوكي أمام الشعب الجزائري، وما عدا ذلك فقد أطالت الجريدة لدد على النظام بأنه هو المتعامل الأول في مجال الكحول إنتاجا وتجارة واستهلاكا، وتذكير بعض من فيه بأن كثيرا من أماكن تعاطي هذه النشوانيات [الخمرات] في مدينة "تيزي وزو" كانت منحا كثير منهم وحينها لم يكن هؤلاء يكترثون لهذا الانحراف ، ثم أول ضحايا تعاطي الخمور هو كثير منهم أنفسهم [3].(!)

و"بيع الخمر" يستفيد منه سكان مدينة "مغنية" في الصيف، لأن مصدر رزق لهم، فهي الفترة الوحيدة من السنة التي يمكنهم العمل فيها في ظل البطالة وغياب أي مظهر لنشاط الثقافي، و لم تكترث الجريدة في عرض أنواع الخمور وأسعارها المختلفة، ومقارنة ما يباع منها في الحانات

[1]-Youcef Benadouda, Scoopes et autres, cassages de sucre, Liberté , N°3035 Jeudi 26 Septembre 2002, P23.

[2]-M.Nazim, La jeunesse Kabyle, Le "rêve d'être", Pathetique chant de barricade, Liberté N°3003, Op-Cit, P8.

[3]-M.Hammouche, La télévision de la discorde, Liberté N°2881, Op-Cit, P24 .

عنها في السوق السوداء... [1]، وقد يصعب على قارئ هذه المضامين -بغض النظر عن الصورة العامة التي تعرضها الجريدة عن الوطن الجزائري- التفريق بينها وبين المضامين الغربية، مع أن مسألة حرمة الخمر واضحة في الإسلام، وهو ما لا نجد له موقع في مضامين "Liberté". في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وقوله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وعاصرها وساقيها وحاملها وبائعها...»[3].

وأما الدعوة إلى ليس الحجاب فهو عنف ضد النساء في الجزائر[4]، وأن الرجل؛ الزوج؛ الأخ، الزميل في العمل... هو الذي يقوم بفرض ذلك أو يدعو إليه، والجريدة تصف من يفعل ذلك بالتحجر العقلي.

وكانت العلاقات خارج إطار الزواج الشرعي على طريقة الأفلام المدبلجة موضوع القصص المتسلسلة التي تعرضها الجريدة في صفحاتها رقم 12 دائما، تتجاهل خلالها الأحكام الشرعية، كما تطرح فيها العديد من القضايا خارج إطار الشريعة الإسلامية قيما وأخلاقا، على أنها تربط ذلك بحقوق المرأة والحياة العصرية من وجهة نظر الجريدة عموما، كالحديث عن النوادي الليلية وما تتعلق بها من سلوكات الحرام شرعا[5].

وتأتي فئة "القرآن الكريم" في المرتبة الثالثة بين فئات المجال الديني في الجريدة حيث رصدت أربع مرات واستغرقت 10.91% من مجمل التكرارات في هذا المجال، جاءت الأولى في معرض وصف خطاب لرئيس حزب "حمس" «على أنه في الوقت الذي يعقد فيه الصفقات (!) يدعي

[1]-B.Henine, Marsat Ben M'Hidi. Voyage au bout de la frontière, un pied ici, un pied là bas, Liberté N°3020, Lundi 9 Septembre 2002, P9.

[2]-المائدة: 90.

[3]-هناك روايات كثيرة لأحاديث تحريم الخمر، وهذا الحديث أخرجه القرطبي، م6 (ك-ل)، ص 60.

[4]-Youcef Benadouda, Scoopes et autres, cassages de sucre, Liberté N°3035, Op-Cit, P23.

[5] ينظر القصص المتسلسلة في الجريدة التي تحمل عنوان: "chronique du temps qui passe" وكذا " " Coups de Coeur"، والتي ترفق بعناوين فرعية عبر الأعداد، منها مثلا: غيرة، اختيار، ملاحقات، سارقة الحب، صراخ الليل...

احترام آيات القرآن المقدس»[1].

أما الثانية فجاءت في معرض الحديث عن شخصية نمساوية يقول "ابن القذافي" أن أصلها عربي ويتعلق الأمر بالرجل القوي لليمين المتطرف في النمسا "جويرع هالدير" «الذي يفكر في اعتناق الإسلام، وأنه طلب نسخة من القرآن باللغة الألمانية»[2].

وفي المرة الثالثة ذكرت في إطار الاحتفال بيوم 19 مارس في إحدى ضواحي "تيزو وزو" أين عارض العروش حضور السلطات الرسمية في الاحتفال وكان من الفوضى والضجيج «أن إمام المسجد لم يستطع أن يقول الفاتحة»[3].

وكما هو واضح لم يكن ذكر القرآن الكريم في المرات التي ورد في الجريدة إلا للإشارة عرضا إلى مواقف مقصودة لذاتها، لا علاقة لها بكتاب الله من أي جهة، وفيما عدا ذلك فقد سجلت الباحثة عبارات من قبيل "اليقينيات الرجعية" و"الأطروحات الأصولية" حين تعبر الجريدة عن مرجعية الخطاب الإسلامي ولم ترصدها الباحثة في فئة "القرآن الكريم" لاحتوائها على أكثر من معنى مع الإشارة إليها في فئات أخرى في مكانها من عينة "Liberté".

وقد رصدت فئة "الجهاد" مرتين عبر عينة جريدة "Liberté" واستغرقت نسبة 5,41% من مجمل الترددات في فئة المجال الديني وقد ارتبطت في المرتين بقضية فلسطين المحتلة، وفيما تذكر الجريدة مصطلح الجهاد المفهوم لدى المسلمين والعرب فإن الباحثة قد لاحظت تقديم ترجمة للمصطلح بالحرب المقدسة الذي يستخدمه الغرب عادة[4]، ومن الجدير الإشارة إلى أن العمليات الاستشهادية التي تقوم بها فصائل المقاومة الفلسطينة للرد على الاحتلال اليهودي، دائما ما تصفها الجريدة بالعمليات الانتحارية وتنسبها إلى الفصائل الفلسطينية والتي تصفها بالجماعات الراديكالية، أو الإسلامية الأصولية في كل المرات التي عرضت فيها وغالبا ما تكون المواضيع غير موقعة.

---

(1)-Youcef Benadouda, Le FLN pour un jour, l'Afelen pour toujours, liberté, N°2936, Op-Cit, P23.

(2)-Joerg halder, est arabe, selon le fils de Kadhafi, Liberté, N°2866, Mardi 12 Mars, 2002, P13.

(3)-Mohamed l'Hocine, Incidents au carré des martyrs, Des arouches se sont opposes à la présence des officiels à une telle ceremonie, Liberté, N°2873, Op-Cit, P2.

(4)-Hamas, FPLP, FDLP, L'intifadha se poursuivra, Liberté, N°3003, Op-Cit, P15.

ثانيا: الخطاب الإسلامي في المجال الديني في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليها في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الديني في "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسب المئوية %
1	عبادات إسلامية	16	45,71
2	القرآن الكريم	7	20
3	شخص الرسول ﷺ	4	11,43
4	الجهاد	3	8,58
5	قيم أخلاقية إسلامية	2	5,71
	الحديث النبوي الشريف	2	5,71
6	حكم شرعي	1	2,86
7	السيرة النبوية	-	-
	الاجتهاد الشرعي	-	-
	شخصيات الصحابة -رضي الله عنهم-	-	-
المجموع		35	100

الجدول رقم 33: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني في عينة "El Moudjahid"

ويتبين من قراءة هذه النتائج أن فئة "عبادات إسلامية" تتصدر بقية الفئات المعتمدة وذلك بـ16 تكرارا وبنسبة مئوية تعادل 45,71% تأتي بعدها فئة "القرآن الكريم" بسبع تكرارات وبنسبة مئوية تعادل 20%، وتأتي فئة شخص الرسول ﷺ في المرتبة الثالثة بأربع تكرارات وبنسبة مئوية تعادل 11,43% متبوعة بفئة "الجهاد" بثلاث تكرارات و8,58%،وتتساوى بعدها فئة "قيم أخلاقية إسلامية" وفئة "الحديث النبوي الشريف" بتكرارين لكل منهما وبنسبة 5,71% لكل واحدة. وتأتي بعدها فئة "حكم شرعي" بتكرار واحد فقط وبنسبة 2,86%. فيما لم يظهر لفئة "السيرة النبوية" وفئة "الاجتهاد الشرعي" و"شخصيات الصحابة" في عينة"EL Moudjahid" وجاءت نسبتها صفرا.

وقد تصدر ذكر "الصلاة" فئة "العبادات الإسلامية" التي تمثلت في الإشارة إلى "مواقيت

الصلاة" في الصفحة 23 من كل عدد من عينة جريدة "El Moudjahid" وكما هو واضح ليس للحديث عن الصلاة كركن من أركان الإسلام، وضمن موضوع علمي أو فقهي أو غيره، وإنما فقط للإشارة إلى مواقيت الصلاة في -العاصمة وضواحيها- أما العبادات الأخرى فسجلنا "الحج" وذلك لمرتين إحداهما في (ع1) من العينة عبر عنوان خبر ومضمونه عن عودة الحجاج من موسم حج 2002، بالإشارة إلى برنامج وتواريخ الرحلات[1].

ثم سجلنا ذكر شهر رمضان الذي ظهر ضمن إعلان برنامج شهر رمضان الذي أعدته وزارة الشؤون الدينية وأعلنته عبر الجرائد، وكان ذلك في (ع13) من العينة[2].

وتكون فئة العبادات الإسلامية رغم عدد تكرارها الكبير الذي يقترب من نصف تكرارات هذه الفئة الا أنها لم تتناول لذاتها عرضا أو تعليما أو عبرة وإنما تمت الإشارة إليها في مناسبات تتعلق بما تفرضه حياة المجتمع وخصوصياته.

ولم يأت ذكر القرآن الكريم في تناول الحديث عنه لذاته في أي عنوان أو موضوع من مواضيع الجريدة، حتى أن الآية الوحيدة التي نلاحظ ورودها في كل عدد من العينة من " El Moudjahid" هي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[3] باللغة الفرنسية بطبيعة الحال. وذلك عقب إعلانات عن وفيات الأشخاص أو للتعازي أو في ذكرى الترحم على المتوفين والذي تخصص الجريدة جزءا من صفحة "الحياة اليومية" "Vie Quotidienne" التي تحتل فيها الصفحة 23 .

وقد ذكر القرآن الكريم بإضافة وصف"المقدس" "Sacre"ضمن تناول التعريف بشخصيات بعض الزوايا وأصحاب الأضرحة والتي يتم إيرادها ضمن زيارة رسمية لإحدى الولايات الجزائرية ويتم خلالها زيارة إحدى زوايا أو أحد الأضرحة التي دفن بها مؤسس الزاوية أو شيخها.

وذكر القرآن الكريم بهذه الصفة ثلاث مرات مرتين منها في (ع8) من العينة.

[1]-Phase retour du Hadj 2002, Prochaine arrivée le 5 Mars à 9^{H}35, El Moudjahid. N°11369, Lundi, 4 Mars, 2002, P2.

[2]-Ramadhan 1423, Programmes d'animation culturelle et religieuse, L'ENTV et L'ENRS sont prêtes, EL Moudjahid, N°11560, Op-Cit, P4.

[3]-البقرة، 156.

-عند التعريف بالولي الصالح الشيخ "عمر أبو حفص الزموري" الذي تم تكريمه بإحياء ذكرى وفاته الثانية عشر واحتضن الاحتفال مقر مركز الصحافة لجريدة "El Moudjahid" أشير عبر ذلك إلى أن الشيخ "بدأ حياته بالقرآن"[1].

-وخلال الحفل نفسه نقلت الجريدة عن انطباعات بعض المشاركين الذين أشار أحدهم إلى أن الشيخ «قد انضم إلى جمعية العلماء دون أن تكون له أغراض مادية في وقت كان تعليم القرآن وسيلة للاسترزاق»[2].

-عند زيارة رئيس الجمهورية لضريح الشيخ بن خليفة بن تمرة بمدينة تيسمسيلت حيث تمت الإشارة إلى أن صاحب الضريح قد حفظ القرآن[3] الكريم.

-وأوردت الجريدة في (ع11) من العينة صورة لكتاب الله دون عنوان أو تعليق وذلك في تقرير صحفي عن أول حفل للمديح الديني بالأمازيغية في مدينة تيزي وزو تحت عنوان "تحية لرجال الزوايا ورجال الإيمان»[4].

-وجاء ذكر القرآن الكريم في (ع11) أيضا من العينة ضمن محاضرة للرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" في الملتقى العلمي الوطني حول: وحدة المجتمع الجزائر عبر الأمثال في مدينة تيارت، حين أشار إلى أن المستشرق جاك بيرك (المولود بفرندة إحدى مدن تيارت التي زارها الرئيس بالمناسبة) قد ترجم القرآن الكريم[5].

وتضمن (ع10) من العينة إشارة إلى القرآن الكريم وذلك عبر تقرير صحفي عن تقاليد اجتماعية في مدينة بشار في تخصيص العائلات ليوم "صدقة" بعد وفاه أحدهم يتجمع "الطلبة" "Les Tolbats"[وصف يطلق على حفاظ القرآن] بعد الأكل...«لقراءة القرآن في حوديني»[6].

(1)-D. Akila, Un theologien hors pair, EL Moudjahid, N°11432, Op-Cit, P12

(2)-Abla.F, Abderrahmane Bouhafs, Idem.

(3)-Visite au mausolée de Sidi Ahmed Benkhelifa Ben Tamra, El Moudjahid, N°11560, P9.

(4)-Morad.A, Hommage aux zaouïas et aux hommes de foi, El Moudjahid, N°11533, Op.Cit, P24

(5)-La réconciliation nationale est un choix que le peuple à librement revendiqué, El Moudjahid, N° 11560, Op-Cit, P7.

(6)-Bechar, La "sadaqa", un moment de convivialité, El Moudjahid, N°11507, Mardi 13 Août, 2002, P9

-ونشرت "El Moudjahid" في (ع13) من العينة برنامج وزارة الشؤون الدينية الذى أعدته بمناسبة شهر رمضان والذي تضمن الإشارة إلى حصص متلفزة وإذاعية لتفسير سور من القرآن الكريم»[1].

أما ذكر شخص الرسول ﷺ فقد ورد في بعض الأعداد نفسها التي ذكر فيها القرآن الكريم وبذات الإشارة إلى أن الشخصيات المعرف بها ينتهي نسبها إلى الرسول ﷺ كما هو الأمر مثلا في التعريف بالولي الصالح عمر أبو حفص الزموري الذي أشارت الجريدة في التعريف به إلى نسبة ينتهي إلى الحسين ابن فاطمة بنت الرسول ﷺ [2].

-وفي تغطية زيارة الرئيس الجمهورية إلى مدينة بسكرة التي تم فيها الإشارة إلى الفاتح "عقبة بن نافع" على أنه مبعوث الرسول ﷺ والذي يقول عنها الصحفي بأنه أنهى معركته الأخيرة في بسكرة مع كسيلة[3].

وجاء ذكر شخص الرسول ﷺ، في (ع2) من العينة و ذلك في مقال عن تاريخ أول محرم الذي ارتبط بهجرة الرسول ﷺ وإجراء مقارنة رقمية بين التأريخ الهجري والتاريخ القريقوري "Gregorien"[4].

أما فئة "الجهاد" فلم ترد في الجريدة بهذا المصطلح وإنما عبارات تعني فعل الجهاد إسلاميا بالتضحية في سبيل الله لنيل الشهادة، كما جاءت ضمن الحديث عن جمعية "المجاهدين" وتكرر ذكرها ثلاث مرات نذكر منها ما ورد في أحد خطابات الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" لما تحدث عن ثورة التحرير أشار إلى «أن كثيرا من البطلات والأبطال عاهدوا الله على استرجاع الحرية والسيادة الوطنية مهما كان الثمن الذي يجب تقديمه وقد صدقوا في الإيفاء بهذا العهد وساهموا في إعلاء ألوان الجزائر...» [5].

(1)-Ramadhan 1423, Programmes, El Moudjahid, N°11560 , Op-Cit, P4

(2)-N.Z, Un discours très attendu, El Moudjahid, N°11560, Op-Cit, P12.

(3)-Ibid, P12.

(4)-Boudjemaâ Haïchour, Le 1er Mouharem sera celébré le vendredi 15 Mars, El Moudjahid, N°14377, Mecredi 13 Mars, 2002, P24.

(5)-La reconciliation nationale est u choix que le peuple a librement revendiqué, El Moudjahid, N° 11560, Op-Cit, P6.

أما ذكر فئة "الحديث النبوي" في عينة "El Moudjahid" فجاءت في إطار عرض الحياة العلمية لتتبع زاوية على أنه "تعلم الحديث" دون إضافة إلى الرسول ﷺ. وورد ذلك في (ع8) وكذا في (ع13). وتأتي فئة "القيم الإسلامية" التي تساوي تكرارها مع فئة "الحديث النبوي" بربطها مباشرة بالدين الإسلامي وقد جاء ذلك في العينة مثلا في خطاب لرئيس الحكومة – السابق– "أحمد أويحي" في الاحتفال بالذكرى الأولى لتفجيرات نيويورك في 11 سبتمبر 2001م الذي عقدته سفارة الولايات المتحدة بالجزائر حين قال فيه: «إن الإرهاب لا يمكن أن ينتسب إلى الإسلام، لأن الإسلام هو دين التسامح والسلام»[1].

-أما فئة "الحكم الشرعي" فوردت مرة واحدة بين 35 مرة من الترددات، واحتلت المرتبة الأخيرة في ترتيب الفئات الفرعية لهذا المجال.

-ولم تسجل فئة "الاجتهاد الشرعي" ولا "السيرة النبوية" ولا "شخصيات الصحابة ﷺ" أي مرة خلال كل العينة من "El Moudjahid" وجاءت من ثم نسبتهما صفرا.

[1]-M.Ahmed Ou Yahia, sympathie, solidarité et engagement, El Moudjahid, N°11533, Op-Cit, P13

ثالثا: الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت في جريدة "El Watan "

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليها في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الديني في "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية%
1	عبادات إسلامية	28	62,22
2	حكم شرعي	10	22,22
3	الجهاد	03	6,67
4	القرآن الكريم	02	4,45
5	شخص الرسول ﷺ	01	2,22
	شخصيات الصحابة –رضي الله عنهم–	01	2,22
6	قيم أخلاقية إسلامية		
	حديث نبوي		
	سيرة نبوية		
	الاجتهاد الشرعي		
المجموع		45	100

الجدول رقم 34: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت في جريدة "El Watan"

رغم التصنيفات العشر للفئات الفرعية التي تم تصنيفها في الدراسة ضمن فئة الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت، فقد سجلت ستة منها فقط تكرارات عبر عينة "El Watan" بينما حصلت حالات أربع منها تماما في جدول تفريغ البيانات، وتراوحت الترددات في الجدول بين التردد الواحد و28 ترددا وجاء ترتيب الفئات فيه كما يلي:

ترددت فئة "عبادات إسلامية" 28 مرة في عينة جريدة "El Watan" واحتلت من ثم المرتبة الأولى بنسبة 62,22% من مجمل التكرارات تحت هذه الفئة، ويتعلق الأمر أساسا بتكرارات "عبادة الصلاة" التي تتردد مرة في كل عدد وذلك في الزاوية السفلى تماما في الصفحة رقم 23 من الجريدة التي يجمعها عنوان "L'époque" وكانت الجريدة تخصص لمواقيت الصلاة في إطار عنوانه الحياة الدينية يميزها عن بقية المادة الصحفية الأخرى وذلك في الأعداد الأولى من العينة، ثم نزعت

هذا الإطار نهائيا في بقية الأعداد[1]. وبالتالي كان 22 ترددا لهذه الصفة وتعلقت بقية التكرارات بأخبار ضمن تقرير أو قصة طريفة أو مقال عن الإرهاب، حيث وردت "عبادة الصلاة" ضمن تقرير قصير عن زيارة رئيس الجمهورية لمدينة عنابة في الشرق الجزائري والتي أقام الصلاة في أحد المساجد بالمدينة القديمة بها[2].

وقد وردت "عبادة الصلاة" أيضا وهذه المرة عبر صورة أرفقتها "El Watan" لموضوع في العدد الذي خصصته لذكرى تفجيرات نيويورك 11 سبتمبر وفي العدد الذي يحمل التاريخ نفسه الموضوع عن اهتمام البريطانيين بالقرآن الكريم واتجاههم لشرائه وقراءته بشكل غير مسبوق، وتتضمن الصورة صفوف من الشباب المسلمين وهم يكبرون للصلاة[3].

ووردت "عبادة الحج والعمرة" عبر قصة –طريفة– موضوعها النحل أوردها صحفي "EL Watan" بشكل مضحك ومفاده أن رجلا رفض اصطحاب خطيبته معه لقضاء شهر العسل في مكة ولأداء فريضة الحج في نفس الوقت وآثر أن يذهب لوحده ولأداء العمرة فقط وذلك لغلاء التذاكر[4].

ووردت "عبادة الحج" أيضا في مضمون خبر غير موقع مفاده التحقيق الذي تقوم به السلطات العمومية حول الظروف التي تم فيها «قيام عدد من المواطنين القيام بالحج إلى مكة دون المرور بالقرعة التي تنظمها الدولة»[5].

وردت عبادة الحج مرة أخرى ضمن مقال تحليلي عن يقظة خلايا الإرهاب النائمة في إيطاليا أثير في فقرة منه أن شرطة مكافحة الإرهاب ألقت القبض على متهم بتكوين جماعة إرهابية بعد عودته من مكة، وفي فقرة أخرى بعد عودته من "العربية السعودية"[6].

(1)- راجع مرجعه لصفحة رقم 23 من كل عدد "El Watan".

(2)-A. Bounouaret, troisième visite de Bouteflika, El Watan, N°3574, Mardi 3 septembre 2002, p2.

(3)-Mohand Afrouth, Un intérêt inattendu pour l'Islam, El Watan, N°3581, Op-cit, p4.

(4)-B.Abdelhai, Les noces de l'avare, El Watan, N°3496, Mardi 4 juin 2002, p23.

(5)-El Watan, N°3418, Lundi 4 mars 2002, p2.

(6)-Nacera Ben Ali, Le reveil des cellules dormantes, El Watan N°3418, Op-cit, p24.

أما عادة "الصوم" فقد وردت في خبر غير موقع تضمن الحديث عن الاستعداد لشهر رمضان المقبل بإعداد مطاعم للفقراء عبر إحدى الولايات الجزائرية[1].

وترددت فئة "حكم شرعي" 10 مرات واحتلت بذلك المرتبة الأولى بين بقية الفئات واستغرقت 22,22% من اهتمام الجريدة بالموضوع.

وسجلت الباحثة أن ستة تكرارات من بين العشر كانت حول "الخمر" كسلعة، ومنتوج اقتصادي، وكمادة مستهلكة من طرف شاربين محبين لها، وورد أغلبها عبر أخبار غير موقعة وتقارير موقعة في الصفحات الداخلية للجريدة هي على التوالي ص4-7-8-9-23، وذلك في أربعة اعداد من العينة تورد الباحثة ترجمة لأهم ما جاء في بعضها بدون تعليق مع الإشارة إلا أنها صنفتها تحت فئة "حكم شرعي" لأن موضوع الخمر وحكمها في الإسلام منصوص على حرمته بالأدلة الشرعية المتفق عليها بالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس وبقية المصادر الشرعية الأخرى في ع3432، تحت عنوان: ...بالكأس، يتحدث عن مكان وطريقة جديدة لبيع الخمر. وهو "إن أحد الباعة للمشروبات الروحية اخترع طريقة جديدة لإسعاد الباحثين عنها وهي بيع الخمر بالكأس... فالمستهلك لا يضطر لدفع كثير من المال في شراء زجاجة كاملة غالبا ما تكون مغشوشة... يمكنه أن يرجع إلى بيته جذلانا باستهلاكه بالكأس حسب قدرته على التحكم في الطريق لكن أيضا حسب حزينته[2].

في ع3432 (أيضا): في تقرير عن المخدرات في الوسط المدرسي. جاء ذكر الخمر ضمن المواد التي إذا استهلكت بطريقة غير منتظمة أو مبالغ فيها... يمكن أن يكون لها أثر سيء جدا...[3]. وهو ما يعني أنها إذا استهلكت بطريقة نظامية لا يكون لها أثر سلبي ولا اكتراث لجريدة بالحكم الشرعي لتحريم الخمر. والنصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة الشريفة في الموضوع.

في ع3425: تحت عنوان "خمر... واحدة أخرى"

(1)-Huit restos du cœur, pour le Ramadhan, El Watan, N°3909, Lundi 14 Octobre 2002, p7

(2)-Au Verre. Al Watan. N°3432. Mercredi 20 Mars 2002. p9.

(3)-Ali.D, La toxicomanie en milieu scolaire, Ibid, p7.

يتحدث الخبر عن: "أن انفتاح السوق الخاص يعطي ثماره بطريقة نظامية، ماركة جديدة لخمر أحسية.. واحدة أخرى، سيتم تصنيعها قريبا في الجزائر لأسباب لها علاقة بالمنافسة... صاحب هذه المبادرة يؤكد أن السوق له إمكانية النظر في أي منتوج، المهم أن يكون ذو نوعية، ويفترض أن المنافسة تعد اكبر محرك وتدفع إلى الاتجاه الصحيح، وينهي كاتب الخبر بدعوة عامة لـ: أيها الشاربون إلى كؤوسكم "A vos Chopes "[1].

في ع3439: تحت عنوان "خمر في الحنفيات"، وهو خبر غير موقع قال كاتبه أنه ليس نكتة وإنما هي حقيقة واقعية.. وهو أن أحدهم عمد إلى ربط مواسير الماء بمواسير معصرة خمر في منطقة.. وكان تعليقه: هواة الخمر استحسنوا هذا الفعل غير المقصود، وان الفاعل ربما أراد أن يقاسم فرحته مع أهل حيّه، وأن القضية سجلت ضد مجهول[2].

في ع3574 جاء في موضوع عنوانه "وهران، الحانات مأمورة بإغلاق أبوابها أيام الجمعة، وبقي تعجب باعة الخمور لإحياء هذا القرار الذي أحيي في 2002م بعدما ظنوا أنه ألغي منذ 25 سنة التي لم يطبق فيها خلالها[3].

ووردت "الخمر" ضمن تقرير عن نشاط لرئيس حركة مجتمع السلم الذي اقتبس صحفي " El Watan" من خطاب "محفوظ نحناح" جاء فيه حديثه عن 33 وزيرا جزائريا سابقا غادروا الجزائر ليعيشوا في فرنسا، وعلق على ذلك بأن رئيس حمس يشير برقم 33 إلى ماركة خمر تحمل هذا الاسم[4].

ومن المفيد تسجيل أسلوب الطرافة التي صبغت بها أخبار هذا الموضوع وهي أقرب للسخرية وعدم الاهتمام مع أنها تنشر أحيانا على الصفحات نفسها التي تخصص الجريدة زاويتها لتسقي منها مواقيت الصلاة.

وقد سجلت "فئة الجهاد"، ثلاث ترددات في العينة، اثنتان منها بصيغة "الجهاد" والأخرى

---

(1)-Une bière, encore une, El Watan, N°3425, Mardi 12 Mars 2002, p23

(2)-Du vin dans robinets. El Watan. N°3439. Jeudi 28 Mars 2002. p23.

(3)-B.Riad, Oran les bars sommés de fermer le vendredi, El Watan, N°3574, Mardi 3 Septembre, p4.

(4)-T. Ahcène, Nahnah, pour l'amnistie fiscale, El Watan, N°3489, Lundi 27 Mai 2002, p9.

بصيغة "المنظمات الجهادية" وجاءت في المرتبة الثالثة وبنسبة 6,67% من مجمل التكرارات ومن ثم من اهتمام الجريدة، ووردت كلها في عدد واحد منها ضمن حوار صحفي أجرته"El Watan" مع وزير الداخلية الباكستاني بعد أسبوع من ذكرى تفجيرات نيويورك في 11 سبتمبر 2001م، وخصصت له الجريدة جزء من الصفحة الأولى والصفحة رقم 11 منها كاملة. تنقل الباحثة الفقرات التي وردت فيها "فئة الجهاد" بعد ترجمة أسئلة الصحيفة ورد الوزير فيما يلي:

El Watan: يتخذ بلدكم جانبا من الحرب (Guerre) ضد الإرهاب الذي باشر الأمريكيون بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001م، عام من بعد، ما تقييمكم لهذه الحرب (Lutte)؟

الوزير الباكستاني: قبل 11 سبتمبر كان هناك فوضى في أفغانستان أين تواجد بها جماعات إسلامية مسلحة ومنظمات جهادية كل منها يفرض قانونه، لكن بعد 11 سبتمبر اتخذ القرار لفرض النظام والقانون في هذه المنطقة، لأن الحكومة وحدها هي المخوّلة للدعوة إلى الجهاد أو قيادته وباكستان منعت نشاط هذه المنظمات.

El Watan: كثير من الدول العربية تتهم باكستان بدعمها الأفغان العرب لتصدير "الجهاد" إلى بلدانهم ماذا تعلقون على هذا الموضوع؟

الوزير الباكستاني: ..هذا خطأ كبير منهم، نحن لنا حدود مع أفغانستان لكن لسنا مسؤولين عن هذا "الجهاد" الذي يحدث هناك... [1].

وسجلت فئة "القرآن الكريم" مرتين بصيغة "القرآن" فقط، واحتلت من ثم المرتبة الرابعة بنسبة 4,45% من مجمل الترددات ومن اهتمام الجريدة.

أما المرة الأولى فوردت في موضوع عن تداعيات تفجيرات نيويورك في الغرب يتحدث عن "اهتمام غير متوقع بالإسلام" وبعنوان فرعي مفاده "بيع القرآن ازداد في بريطانيا منذ 11 سبتمبر"[2]. والمرة الثانية فورد ذكر القرآن الكريم ضمن تقرير يسجل أهم الأفكار التي تطرق له خطاب رئيس حركة الإصلاح الوطني في نشاط انتخابي وترجمه الباحثة بالأسلوب الذي ورد في الجريدة فجاء فيه:

[1]-S.T, Nous avons arrêté dix algériens, El Watan, N°3588, Jeudi 19 septembre 2002, p11.

[2]-El Watan, N°3581, op-cit, p4.

«...السياسة الدينية هي الغالبة دائما عند الناطق الرسمي "لحركة الإصلاح الوطني" الذي أول ما يرجع إليه هو القرآن الحل الأوحد للأزمة السياسية عنده، ومع هذا لمعارضة النظام فهو – "عبد الله جاب الله"– يعتبر أن مظاهر التزوير بعدم تمثيل المنتخبين، الاغتناء غير المشروع...إلخ ليست سوى العلامات الظاهرة وليست هي أسباب الأزمة، لأجل تحقيق المشروع الإسلامي المتمكن من قلبه، والذي يرفضه هو القيم الأخلاقية المنحطة التي تتركز حول شرب الخمر والدعارة لكن أيضا احتكار الصهيونية للمؤسسات المالية العالمية»[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الجريدة تصحب عددا قليلا من أخبار الوفيات بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2]، وهي الآية الوحيدة التي وردت في الجريدة عبر كل العينة، والتي عادة ما تختتم به هذه الأخبار، مع ملاحظة كتابتها أحيانا بالعربية وبالحروف الفرنسية والخطأ في نصها[3]، وعموما فإنها لم تذكر إلا قليلا عبر صفحات الجريدة بدلا من ذلك فإنها تفضل أن تختمها بصيغة دعاء: «ندعو الله القوي أن يتقبلك برحمته المقدسة ويتقبلك في جنته الواسعة، ارقد بسلام» وذلك مع وفيات المسلمين وغير المسلمين كما يبدو من أسماء بعض من يتم الترحم عليهم عبر الجريدة.

كما تسجل الباحثة ملاحظة استخدام "El Watan" الرموز الإسلامية مثل المسجد –مكة المكرمة– المصلي يوم الجمعة مكان عبادة المسلمين غالبا في معرض الحديث عن العنف والإجرام، أو الحزن واليأس وحتى للطرافة والاستحمام.

وتأتي فئة "شخص الرسول" ﷺ مع "شخصيات الصحابة" رضي الله عنهم، في المرتبة الخامسة بتكرار واحد فقط لكل واحدة منها، وبنسبة 2,22% لكل منهما، مع ملاحظة عدم الصلاة على الرسول ﷺ ولا الرضى على الصحابة، وبطريقة متيرة للتساؤل وجاءت في معرض تقرير عن المهرجان الواحد والعشرين للفيلم في مدينة إسطانبول بتركيا، بدأه صاحبه بوصف

[1]-El Watan, N°3481, op-cit, p3.

[2]-البقرة، 156.

[3]-El Watan, N°3609, Op-Cit, p5.

(مع ملاحظة أن الجريدة عادة ما تورد هذه الأخبار في الصفحة رقم 20 منها واستثناء في الصفحات الداخلية أحيانا (كما هو واضح في هذا العدد).

الرحلة من البداية... قال فيها: «...زمن للمساجد، علي والسليمانية، زمن للمعارض في متحف "توب كابي"، خزف صيني، تماثيل مقدسة، بقايا الرسول وأصحابه، |كهذا |كتابات أموية وجواهر عثمانية... [1]، وكان من المفروض إبداء الاحترام عند ذكر الرسول ﷺ وذكره بالشكل الذي يثير ذلك في نفوس المتلقين أيضا، فالله تعالى يأمر المسلمين باتباع ذكر الرسول ﷺ بالصلاة والسلام عليه وهو بنص الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]. مع التذكير أن الجريدة لما عرضت للحديث عن بابا الفاتيكان في فئة من فئات المجال الحضاري كما سنعرض له لاحقا سحبت الباحثة التقديس والهيبة التي كتب بها الموضوع، وخصصت له الجريدة عنوانا وصورة ومضمونا أقرب إلى العادة، وجاء في العنوان نفسه ما يوحي بذلك "مباركة مقدسة"، كما سنورد الحديث عنه في موضعه لاحقا.

وتتساوى فئات أربعة من الفئات الفرعية في المرتبة الأخيرة، وهي على التوالي: "سيرة نبوية" و"الاجتهاد الشرعي"، و"الحديث النبوي"، و"قيم أخلاقية إسلامية" في عدم تسجيل أي منها أي تردد عبر عينة "El Watan" ولم تكن ضمن اهتمامها.

[1]-Azzedine Mabrouki, Sur les rives du Bosphore, El Watan, N°3466, Lundi 29 Avril 2002, p15.

[2]-الأحزاب، 56.

رابعا: الخطاب الإسلامي في المجال الديني في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

جرائد العينة / الخطاب الاسلامي في المجال الديني	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
عبادات إسلامية	1	22	59,46	1	16	45,71	1	28	62,22	1	66	56,41
حكم شرعي	2	9	24,32	6	1	2,86	2	10	22,22	2	20	17,09
القرآن الكريم	3	4	1,81	2	7	20	4	2	4,45	3	13	11,11
الجهاد	4	2	5,41	4	3	8,57	3	3	66,67	4	8	6,84
شخص الرسول ﷺ				3	4	11,43	5	1	2,22	5	5	4,27
قيم أخلاقية إسلامية				5	2	5,71				6	2	1,71
الحديث النبوي الشريف				5	2	5,71				6	2	1,71
السيرة النبوية												
الاجتهاد الشرعي												
شخصيات الصحابة ﷺ							5	1	2,22	7	1	0,86
المجموع		37	100		35	100		45	100		117	100

الجدول رقم 35: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني في الجرائد موضوع البحث

بين عشر فئات صنف فيها الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحث لم تهتم جريدة "Liberté" سوى بأربعة منها فقط، وجريدة "El Watan" بستة منها، أما "El Moudjahid" فاهتمت بسبعة –بأغلبها تقريبا– وقد ميزت هذه الفئات ترددها القليلة عموما، لكن المتقاربة بين الجرائد الثلاثة موضوع البحث وهي 37 مرة بالنسبة لجريدة "Liberté" و35 مرة بالنسبة لجريدة "El Moudjahid" و45 مرة بالنسبة لجريدة "El Watan" هذا علما بأن أعداد العينة تختلف من جريدة لأخرى. وهي على التوالي 22عددا، 13 عددا، 19عددا، وتفيدنا بيانات الجدول رقم 33 بالنتائج النهائية لهذا المجال التي جاءت على الشكل الموالي.

1-فئة "عبادات إسلامية" احتلت المرتبة الأولى بـــ66 ترددا عبر العينة الإجمالية للبحث، و56,41% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا الموضوع، وقد اشتركت الجرائد الثلاثة

في ترتيب هذه الفئة في المرتبة الأولى مع ورود كثيرها في سياقات الحديث عن "الإرهاب" أو حتى للتسلية.

2-فئة "حكم شرعي" احتلت المرتبة الثانية بـــ20 ترددا عبر العينة الإجمالية للبحث و17,09% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا الموضوع، واحتلت المرتبة الثانية أيضا في كل من "Liberté" و"El Watan" بينما جاءت في المرتبة السادسة في "El Moudjahid".

3-فئة"القرآن الكريم" احتلت المرتبة الثالثة بـــ13ترددا عبر العينة الإجمالية للبحث وبنسبة11,11% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا الموضوع، وتفاوتت الجرائد في ترتيب هذه الفئة فهي في المرتبة الثانية في "El Moudjahid" والثالثة في "Liberté" والرابعة في "El Watan".

4-فئة "الجهاد" احتلت المرتبة الرابعة بثمانية ترددات عبر العينة الإجمالية للبحث ونسبة 6,84% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا الموضوع، واشتركت "Liberté" و"El Moudjahid" في ترتيب هذه الفئة في المرتبة الرابعة أيضا، بينما جاءت في الثالثة في "El Watan".

5-فئة "شخص الرسول ﷺ" احتلت المرتبة الخامسة بخمسة ترددات عبر العينة الإجمالية للبحث وبنسبة 4,27% من اهتمام الجرائد موضوع البحث بهذا الموضوع، واحتلت فئة "الحديث النبوي الشريف" المرتبة الخامسة أيضا في "El Watan" والثالثة في "El Moudjahid" بينما لم يرد ذكر الرسول ﷺ ولا مرة في عينة "Liberté"، أما فئة "قيم أخلاقية إسلامية"، فقد احتلت المرتبة الخامسة في "El Moudjahid" بينما لم تهتم أي من "Liberté" أو "El Watan" عن أية قيمة أخلاقية إسلامية.

6-فئة "الحديث النبوي" وفئة "قيم أخلاقية إسلامية" تحتلان المرتبة السادسة بترددين عبر العينة الإجمالية للبحث وبنسبة 1,71% لكل منهما، واحتلت هذه الفئة المرتبة الخامسة في "El Moudjahid" فيما لم يرد ذكر عن "الحديث النبوي الشريف" في أي من "Liberté" و"El Moudjahid".

7-فئة "شخصيات الصحابة ﷺ" تحتل المرتبة السابعة بتردد واحد فقط عبر العينة الإجمالية للبحث وبنسبة 0,86%، واحتلت هذه الفئة المرتبة الخامسة في "El Watan"، بينما لم يرد أي ذكر لهذه الفئة فردا أو جماعة في كل من "Liberté" و"El Moudjahid".

ولم تسجل كل من فئة "السيرة النبوية" و"الاجتهاد الشرعي" أي تردد في كل العينة، ولم يكن موضوع اهتمام البتة في الجرائد موضوع الدراسة.

ونعرض فيما يلي لهذه النتائج في الشكل البياني الموالي:

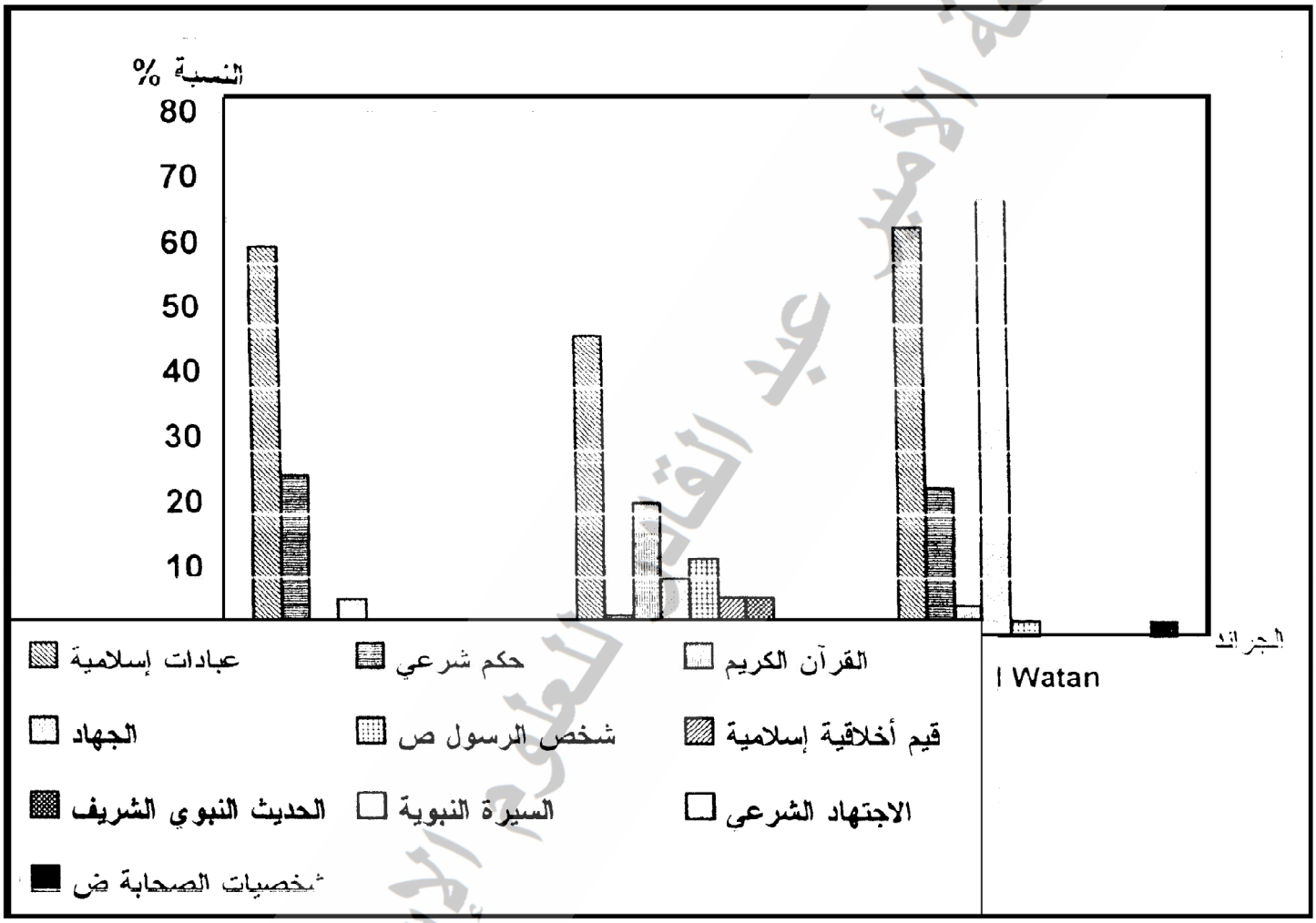

الشكل رقم 6: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني في الجرائد موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: الخطاب الإسلامي في المجال التربوي

أولا: الخطاب الإسلامي في المجال التربوي عبر عينة جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال التربوي في عينة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	المرأة المسلمة	12	46,16
2	إصلاح المنظومة التربوية	7	26,92
3	شخصية تربوية إسلامية	4	15,38
4	المدرسة القرآنية	3	11,54
5	تعميم التعريب	—	—
	تعريب التعليم	—	—
المجموع		26	100

الجدول رقم 36: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في جريدة "Liberté"

تفيد نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي بأن فئة "المرأة المسلمة" في المرتبة الأولى حيث رصدت عبر 12 ترددا واستغرقت نسبة 46,16% من مجمل التكرارات في فئة المجال التربوي.

وتمثلت بعض الترددات في صور لا علاقة لها بمضمون الموضوع المرفقة به. وبعضها تعطي الإيحاء بالصورة أو بالمضمون إلى وضع المرأة في تصور الإسلاميين خاصة وفي بعض جهات العرض. ثم تضامين متنوعة تقدم الجريدة تصورها الخاص للمرأة كضحية أو فريسة سهلة للإرهاب الإسلامي، أو بعناوين جذابة أحيانا تحصر المرأة في جسدها وعبر تعابير بعيدة عن القيم الجزائرية الأصيلة المرتبطة بالحشمة والأخلاق والدين الإسلامي عموما.

فهي "أرنب السباق"[1] في الحملات الانتخابية وفي برامج الإسلاميين، وهي التي لا تزال محافظة جدا في مدينة تبسة، حيث لا تخرج حتى للسوق، وأن ذلك مرتبط بالعرف وضغط المجتمع

---

[1]-Elections legistatives (I), A la recherche de "Livres", Liberté, N°2866, Mardi 12 Mars 2002, P5.

أكثر من ارتباطه بالتقاليد[1]، وهي ضحية الإرهاب الإسلامي، التي يقدمها زوجها الإرهابي لشهوة أحد الأمراء في المخيمات الإرهابية الإسلامية، والتي يقتلها أخوها الإرهابي لأنها ترفض لبس الحجاب، كما في قصة "ليلى عسلاوي"[2]، التي قدمت لها الجريدة قراءة مفعمة بالكراهية للاستلاميزم وتناولتها ثلاث مرات عبر أعداد العينة،وهي الإعلامية التي تقع تحت ضغط قوي لزملائها حتى تتوقف عن التشبه بالغربيات وأن تضع الحجاب[3]، وهي راقصة ملهى قديمة يقتلها الإرهاب الإسلامي كموضوع فيلم يصور في النوادي الليلية في الجزائر[4]، وهي أرملة لسبع أطفال يقوم الإرهاب الإسلامي بحرق بيتها[5] (!) ، وهي مناضلة في الحركة النسوية يقتلها الإرهاب الإسلامي يقام لها ذكرى وترحم في مدينة تيزي وزو [6]

وهي بناسبها الإسلامي "Le Bacale" في أفغانستان زاوية من زوايا التراجيديا التي يعيشها هذا البلد –المسلم– مع الإشارة إلى أن الشعب الأفغاني محافظ ولا يمكن أن يتقبل بسهولة أن يفرض عليه تقاليد غريبة عنه[7]، بمعنى يفرض على المرأة نزع الحجاب في أفغانستان.

ومع هذا الصنف من النساء الذي ركزت عليه الجريدة أو الجوانب الإنسانية والثقافية التي كانت فريسة للإرهاب الإسلامي فيها توجد صورة أخرى تقدمها جريدة "Liberté" للمرأة فهي المغنية والممثلة الأمريكية والفرنسية، وكذا الجزائرية عبر برامج القنوات التلفزيونية الفرنسية حصريا، التي تنقل الجريدة جديدها وحياتها وجمالها وزواجها وطلاقها وحملها... وهي المرأة البربرية دوما –الجزائرية بوشمها وأصالتها البربرية حصريا كذلك.

وهي المرأة –ما– بلباس نومها ممددة على سرير مرة وموضوع لقصص الحب والغيرة

[1]-D Benchenouf, Un été à Tebessa, ou sont-ils donc les beaux jours ? Liberté N°3020, Lundi 9 Septembre 2002, P9

[2]-M.A, Les jumaux de la huit "de Leila Aslaoui, chronique d'une haine legitime, Liberté, N°2873, Op-Cit, P11.

[3]-Youcef Benadouda, Cassage de sucre, Liberté, N°3035, Op-Cit, P23.

[4]-Wahida, Labrèche le neorealisme à l'algérienne, Liberté, N°2936, Op-Cit, P11.

[5]-Ahmed Chnaoui, Ain Turk (Ain Delfa), un domicile incendiée par des terroristes, Liberté, N°3020, Lundi, 9 Septembre 2002, P24.

[6]-Tizi-ouzon, Comme- moration de l'assassinat de Nabila Djahine, Liberté, N°2859, Op-Cit, P24.

[7]-Taharhoudré, Aucun pays Musulman n'est à l'abri d'une tragédie à l'Afghane, Liberté, N°2888, Op-Cit, P15.

والخيانة الزوجية والعلاقات غير الشرعية، عبر حياة الناس مرات أو موضوع ألبوم غنائي من نوع "الراي" مع صورة لامرأة شقراء جميلة وتعليق "زين بلادي" و"مستقبل الرجل الجزائري"، بعنوان "تكريما للمرأة الجزائرية" مرات أخرى[1]. وتصور جريدة "Liberté" للصورة التي تعرضها للمرأة فيها واضح، وخطابها الإعلامي في ذلك هو التركيز على جسد المرأة عبر لوحات تشكيلية تصفها بـ«سانفونية للمرأة ونشيد تحية لجسد أبدع الفنان في عرضه بكل الأحاسيس...

فالجسد الأنثوي هو مبدأ الإبداع وشعلة الموهبة ومحرك الخيال وبعبارات أخرى هو التعبير عن خيالات حسية لفنان، عن اللبيدو الممنوع أو المرفوض أو المنسي والذي تستدعيه الذاكرة لتتحرر عن طريق الأحاسيس... ولما يتحرر الفنان من الممنوع، فإنه يعطي الحرية لدوافعه، ويفتح أبواب مشاعره ليرسم على كل لوحة ما يغذي أحلامه ويشعل حواسه..[2].

وهو دائما التركيز على جسد المرأة دون عقلها وفكرها... فالمرأة في الجزائر تعيش تحت الضغط المبالغ لتقاليد والأعراف، وفي مجتمع محافظ لا يعطيها حقوقها كاملة في التمتع بجسدها – ملكها– في استخدامه كما يحلو لها، وفي قراءتها لفيلم "نساء الجزائر" [العاصمة] توجه دعوة لتحرير المرأة وتقديم كل العقبات أمامها لتتمكن من تحقيق ذاتها كعنصر مفكر والسماح لها باكتساب واستثمار فضاءات أخرى، لكن ذلك كان عبر تركيز الجريدة على صورة المرأة في "حمام" (!) فضاؤها الخاص –كما تقول– حيث تعبر فيه دون أي ممنوعات عن جسدها بكل جمال وراحة وحرية....(!)

وتعتبر "Liberté" بأن هذا الخطاب الأنثوي –في الفيلم– يأتي لمواجهة التيار الآخر المحافظ بما فيه الإسلاميين مضافا إليه التقاليد[3].

وكما هو ملاحظ عبر النماذج المقدمة استأثار صفحة الثقافة بالجريدة –رقم 11– في تناول الجريدة لموضوع المرأة أساسا، وفي ذلك معاني لها دلالاتها في الخطاب الإعلامي الذي تتبناه الجريدة وتروج له عبر تقديم الصورة التي تريدها أو ترفضها للمرأة تحت شعار التقدم والحداثة.

وتأتي فئة "إصلاح المنظومة التربوية" في جريدة "Liberté" في المرتبة الثانية، حيث رصدت

[1]-Djawida, Abbas, Un hommage à la femme Algérienne, Liberté, N°2859, Op-Cit, P11.
[2]-Idjer Yacine, Hymne à la femme, Liberté, N°2929, Op-Cit, P11.
[3]-Idjer Yacine, Voix d'Eve, Voix Revendicatives, Liberté, N°3003, Op-Cit, P11.

سبع مرات وعادلت نسبة 26,92% من مجمل التكرارات، وهو موضوع تجاذب بين الأحزاب الإسلامية وبين الأحزاب اللائكية من جهة أخرى والتي يتمحور الحديث عندها حول البعد اللغوي أساسا سواء عبر دعوتها إدخال اللغة الفرنسية في الطور الابتدائي، ومنذ السنة الثانية منه أو عبر إقرار دسترة الأمازيغية التي يدخل من ثم ضمن مراجعة جذرية التاريخ الجزائري، وكذا ترسيمها في مختلف المستويات التعليمية، ثم تصحيح مناهج التاريخ التعليمية للجزائر المعاصرة التي لو تركت على ما هي عليه فإنها لن تؤدي بالوطن سوى نحو نظام طالبان، وعليه «فإصلاح المنظومة التربوية بناء على كل ذلك هو أكثر من ضرورة»[1]، والإسراع في تطبيقه أدعى إلى حلحلة أحداث العنف في منطقة القبائل التي كانت تجمعاتها الكثيرة والمختلفة، وأحزابها الفاعلة، وبالأحداث التي شهدتها طيلة سنة 2002م، والتي لخصتها مطالب ما أصبح يعرف "بالعروش"، وراء اقتراحات بن زاغو في ملف إصلاح المنظومة التربوية، ومن ثم تابعت الجريدة ذلك إعلانا أو إقرارا أو "تطبيقا بعناوين ومضامين أخبار أو تقارير عن قرارات رئيس الجمهورية مثلا[2]، عن بداية تعليم الأمازيغية في مدينة غرداية[3].

وفي المقابل اعتبرت جريدة "Liberté" موقف "الأحزاب الإسلامية" في رفضها للإصلاحات المقترحة تطرفا وإرهابا، وربطت دعوة بعض الشخصيات الوطنية لمشروع "مدرسة أصيلة" بالإرهاب أيضا، وذلك عبر خبر أوردته في صفحة أسرارها "Radar" عن حضور نائب من جماعة "AIS" كما تقول لاجتماع حول ملف إصلاح المنظومة التربوية نشطه وزير التربية الوطنية السابق "علي بن محمد"، أهته بسؤال يتضمن هذا المعنى «هل سيذهب بن محمد إلى حد ضم الدعم من التائبين لقطع الطريق لإصلاحات بن زاغو؟(!) وذلك بعد تساءلت العلاقة بين التائب والوزير[4]. والحقيقة أن رفض الأحزاب الإسلامية لم يكن لمبدأ الإصلاحات في حد ذاته وإنما لكونها قدمت من لجنة موازية ومن ثم فقد تمت خارج صلاحية البرلمان، وهو السلطة الوحيدة المخولة بالتشريع والنظر في الملفات المرتبطة بالمصير الثقافي وغيره للشعب والدولة

(1)-Quand les charlatans se mettent à L'écriture de l'histoire, Liberté, N°3020, Op-Cit, P5.

(2)-Said Rabia, Décisions du président de la République, L'application avant le 18 Avril, Prochain, Liberté, N°2873, Op-Cit, P2.

(3)-Des cette année à chardaia, La langue Amazighe enseignée, Liberté, N°3020, Op-Cit, P5.

(4)-Reformes de l'école, Ben Mohamed en guerre contre Benzaghou, Liberté, N°2866, Op-Cit, P5.

الجزائرية، مما يجعل منها بالشكل الذي تم إقرارها به غير ديمقراطية، من جهة، ثم باعتبار فحوى الإصلاحات المقترحة نفسها والتي فسرتها خطيرة على مبادئ وثوابت الشعب والدولة الجزائرية في بعدها اللغوي كمرحلة أولى ثم بعدها الديني على الأمد البعيد.

وقد سجلت فئة "شخصية تربوية إسلامية" أربع ترددات عبر عينة جريدة "Liberté" واستغرقت نسبة 15,38% من مجمل التكرارات في فئة المجال التربوي، ورصدت كلها ضمن مضامين سلبية بدا منها غرض الجريدة في التشكيك في نوايا وأهداف شخصية تربوية جزائرية تقف وراء مشروع المدرسة الأصلية في الجزائر[1]، أو في الإشارة إلى انتهازية بعض الأحزاب الإسلامية في ترشيحها لإمام كشخصية معروفة ومحترمة، ومحبوبة من طرف الشباب خاصة، في مدية حنشلة لضمان النجاح[2]، أو في التهكم والسخرية بأساتذة الشريعة الإسلامية عبر تعليقها على حصة "فتاوى على الهوى"، حين قالت بأنهم يجلسون على "آرائك عتيقة" وأنهم يجيبون على أسئلة –مضحكة- بأجوبة لا تقل عنها في غبائها[3]، أو في تعميم صفة وأهداف الإرهاب على شخصيات علماء استضافتهم قناة الجزيرة القطرية للحوار ومناقشة موضوع الانتخابات في الجزائر، ووصفتهم الجريدة بأنهم يلبسون البدلات الحميلة، لكنهم حضروا لترويج للإسلام العالمي والدفاع عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ، التي حرمها النظام الجزائري من المشاركة الديمقراطية في الانتخابات فيها[4].

وأخيرا تأتي فئة "المدرسة القرآنية" في المرتبة الرابعة بتسجيلها لثلاث ترددات عبر عينة جريدة "Liberté" واستغراقها لنسبة 11,54% من مجمل التكرارات في فئة المجال التربوي، وقد رصدت في عددين أحدهما عبر عنوان كبير ومضمون مفاده أن «دراهم التيليطون ذهبت لنجدة المدارس القرآنية في عين تموشنت في إشارة للجريدة أنه كان يجب أن تصرف في مجالات أخرى تحتاج إليها الولاية، ورفضها أن تصرف في ترميم المدارس القرآنية[5]، أما في العدد الآخر فوردت

(1)-Reformes de l'école..., Liberté, N°2859, Op-Cit, P5.

(2)-Abdellah, Cheballah, Khenchela, Le couscous décisif, Liberté, N°2919, Op-Cit, P2.

(3)-Youcef Benadouda, Cassage de sucre, Liberté, N°3035, Op-Cit, P23.

(4)-Youcef Benadouda, Le FLN pour un join, L'Afelen pour touhours, Liberté, N°2936, Op-Cit, P23.

(5)-M.Laradj, Ain Tmouchnet, L'argent du théleton au secours des écoles coraniques, Liberté, N°2912, Op-Cit, P9.

عبر التعريف بشخصية الفنان الجزائري الراحل رشيد قسنطيني، الذي تخرج في بداية تعليمه من مدرسة قرآنية[1].

ولم تسجل كل من فئة "تعريب التعليم" وكذا "تعميم التعريب" أي تردد عبر كل عينة جريدة "Liberté".

ويفسر ذلك بموقف الجريدة الواضح من الهوية والثوابت الوطنية كما وضحناه سابقا، وفيما يتعلق منه بالبعد اللغوي خصوصا حيث تتجاهل الجريدة تماما البعد العربي للهوية الجزائرية، وكذا للشعب الجزائري، وكل ما أوردته "Liberté" وقد أحصته وتابعته الباحثة بدقة في هذا المجال وفي كلا الموضوعين "تعريب التعليم" و"تعميم التعريب" لكن أيضا بما يرتبط بهما من مختلف الفئات في المجال التربوي، والمجالات الأخرى عموما، كما وضحناها في مكانها فكل ما تناولته الجريدة هو عن البربر أصلا ونسلا وتاريخا وآثارا وحروفا وشخصيات ثقافية وسياسية وتاريخية... من منطقة القبائل أساسا أو شخصيات جزائرية أو أجنبية لها علاقة بالأهداف والانشغالات الثقافية والحضارية للأحزاب الفاعلة فيها.

فالجريدة تتحدث عن اللغة العربية على أنها من لجهات الشمال الإفريقي[2] وتسخر من وجود طريقة عصرية تعلم بها اللغات الحية، وحتى العربية، وتتساءل محذرة عن إحدى الشخصيات السياسية "هل هو ضد الأمازيغية" في عنوان كبير بهذا المعنى[3]، وتسخر من إعلان "حزب التجمع الوطني الديمقراطي" عن برنامج لمحو الأمية من جهة وحثه على محو الأمية في اللغة الفرنسية أولا التي أخطأ الحزب في كتابة إعلانه بها[4]، وتحدث عن فشل اللغة العربية التي تسميها بالكلاسيكية. ثم إن الجريدة غالبا ما تخصص جزءا من صفحتها الثقافية لدروس متسلسلة "للأمازيغية" وهي عبارة عن ترجمة حرفية لكلمات باللغة الفرنسية يقابلها كتابتها بحروف "أمازيغية"، وفي المقابل يبين الجدول الموالي نماذج من الكتب والأفلام التي ينتقيها الجريدة وتقدم لها قراءة في صفحتها الثقافية أو تعلن عنها في مذكرتها الثقافية أو تجري حوارا مع كاتبها أو مخرجها رصدها الباحثة

---

[1]-Anissa.B, Rachid Ksentini, L'Homme orchestre, Liberté, N°2995, Dimanche 11 Août 2002, P11.

[2]-Idjer, Yacine, Une méthode d'apprentissage efficace, Liberté, N°3043, Dimanche 6 Octobre 2002, P11.

[3]-Nourani est-il contre tamazight ? Liberté, N°3035, Op-Cit, P5.

[4]-Le RND, Propose une compagne "d'analphabétisation", Liberté, N°3043, Op-Cit, P5.

لتأكيد توجه الجريدة فيما يتعلق برفض تعريب التعليم وتعميم التعريب.

ثانيا: الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في جريدة "El Moudjahid"

ونلخصه في الجدول الموالي حسب الترتيب الذي ظهر في الدراسة

الترتيب	فئات المجال التربوي في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسب المئوية %
1	المرأة المسلمة	7	53,85
2	إصلاح المنظومة التربوية	3	23,08
3	شخصية تربوية إسلامية	1	7,69
4	المدرسة القرآنية	1	7,69
5	تعريب التعليم	1	7,69
6	تعميم التعريب		
المجموع		13	100

الجدول رقم37: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في جريدة "El Moudjahid"

يبين الجدول أعلاه بأن فئة "المرأة المسلمة" تأتي في المرتبة الأولى بسبع تكرارات وبنسبة 53,85% بين مختلف الفئات الفرعية لفئة الخطاب الإسلامي في المجال التربوي، وتشير الباحثة أنها رصدت أغلب هذه التكرارات عبر صور لنساء محجبات في مناسبات مختلفة في معرض الكتاب (مرة واحدة) أو ضمن جمهور المستقبلين لرئيس الجمهورية خلال زيارة ميدانية أو ضمن مجموعة من المواطنين في اعتصامهم أمام المجلس الوطني الشعبي ضمن ضحايا الإرهاب وبدعوة من المنظمة الوطنية لضحايا الإرهاب (ONVT)[1].

وصورة لامرأة محجبة بين أخريين غير محجبتين ضمن موضوع عن الانتخابات التشريعية وبعنوان "الانتخابات النسوية بقوة"[2] ثم صورة لامرأتين فلسطينيتين محجبتين حول آثار الدمار بعد مجازر إسرائيل في جنين[3]، كما رصدت الباحثة حديث عن المرأة المنتمية للأحزاب الإسلامية

(1)-F.B, Sit- In de l'ONVT devant L'APN, El Moudjahid, N°11396, Op-Cit, P11.

(2)-Legislatives, L'électorat féminin, El Moudjahid, N°11383, 20 Mars 2002, P1.

(3)-La Palestine au cœur, El Moudjahid, N°11409, 19-20 avril, 2002, P1.

في عنوان صحفي عن حزب حركة الإصلاح الوطني الذي رشح امرأتين على رأس القائمة في ولاية تيزي وزو في الانتخابات التشريعية التي جرت في 30 ماي 2002م[1] ورصدت مرة أخرى حديث عن المرأة ودعوة رئيس حزب –النهضة– الذي دعا إلى تعليم المرأة تعليما إسلاميا[2].

وتأتي فئة "إصلاح المنظومة التربوية" بثلاث تكرارات وبنسبة مئوية تعادل 23,08% وهي ترتب الثانية مباشرة فئة "المرأة المسلمة"، وجاء تكرار هذه الفئة ضمن خطابات وتصريحات رسمية وحزبية متناقضة، بعضها يؤيد هذه الإصلاحات –ضمن الإصلاحات الأخرى في مجال العدالة والاقتصاد والإدارة– ويربط القيام بها بمستقبل الجزائر نفسه، وذلك عبر عنوان كبير نشرته " El Moudjahid" في (ع12) مثلا وضمن الحملة الانتخابية للمحليات حين صرح رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي أنه: «بدون إصلاح لا يوجد مستقبل»[3]، فيما نقلت الجريدة عن نفس المسؤول قوله: «لا نحتاج إلى شيوخ يعلموننا الإسلام»[4] وفي المقابل نقلت الجريدة موقف حزب –حركة مجتمع السلم– (حمس) من الإصلاحات الجارية في ميدان المنظومة التربوية وبأنه ضد الإصلاحات التي اقترحتها لجنة "بن زاغو" مرة وضد أن تقر الإصلاحات خارج شرعية المجلس الوطني الشعبي في لجان موزازية[5].

وتتساوى كل من فئة "شخصية تربوية إسلامية" بترددها مرة واحدة "المدرسة القرآنية" وفئة "تعريب التعليم" وبنسبة مئوية تساوي 7,69 لكل منها، وفيم جاءت الأولى ضمن إعلان عن محاضرة عن اللغة العربية من شخصية في المجال التربوي[6] جاءت الثانية والثالثة ضمن دعوة رئيس حزب النهضة إلى العمل من أجل مدرسة إسلامية الروح عربية اللسان[7].

ولم ترصد الباحثة أي ذكر لفئة "تعميم التعريب" في العينة التي جرت عليها الدراسة من جريدة "El Moudjahid".

[1]-MRN, Djaballah courtise la kabylie, El Moudjahid, N°11416, 28 Avril 2002, P5

[2]-La reconciliation nationale pour réaliser la stabilité, El Moudjahid, N°11432, Op-Cit, P4

[3]-F.D, Sans reformes, il n'ya pas d'avenir, El Moudjahid, N°11546, 27-28 Septembre, P5

[4]-Poursuivre la lutte contre la corruption.., El Moudjahid, N°11432, Op-Cit, P5

[5]-Poursuivre la lutte contre la corruption.., El Moudjahid, N°11432, Op-Cit, P5

[6]-Conférence au HCI, El Moudjahid, N°11454, Op-Cit, P2

[7]-La reconciliation nationale pour réaliser la stabilité, El Moudjahid, N°11432, Op-Cit, P4

ثالثا: الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في جريدة "El Watan"

ونلخص بياناته في الجدول الموالي حسب الترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة

الترتيب	لخطاب الإسلامي في المجال التربوي في جريدة "EL Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية%
1	إصلاح المنظومة التربوية	8	50
2	المرأة المسلمة	6	37,5
3	تعميم التعريب	02	12,5
	تعريب التعميم		
4	المدرسة القرآنية		
	شخصية تربوية إسلامية		
المجموع		16	100

الجدول رقم38: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربيوي في جريدة "El Watan "

وتبين قراءة الجدول بأن فئة "إصلاح المنظومة التربوية" تحتل المرتبة الأولى بتسجيلها 8 تكرارات وبالتالي تستغرق 50% من مجمل التكرارات، ومن اهتمام الجريدة بهذا الموضوع.

وحسبما تظهره بيانات جدول هذه الفئة فإن ثمانية من تكراراتها كلها قد وردت في الصفحات الداخلية وجاءت على التوالي في رقم 2-3-4-7-9 ثم تكرار في 23. منها ولاحظت الباحثة أن الصفحات الأولى خاصة 2-3-4 قد ظهرت فيها فئة " إصلاح المنظومة التربوية" مرتبطة بمواقف الأحزاب اللائكية والصفحات 7و9 ارتبطت فيها بمواقف الأحزاب الإسلامية وإن وردت في مجملها في إطار النشاطات الحزبية لهذه الأحزاب أثناء الحملة الانتخابية، وقد احتلت التقارير الصحفية العدد الأكبر من الأشكال الصحفية التي وردت عبرها هذه الفئة بالإضافة إلى شكل العمود الصحفي الذي ظهرت فيه هذه الفئة لمرة واحدة.

وفي هذا الإطار جاء تقييم عمود طرفة عين " Clein d'oeil" للوضع الجزائري لما عنونه به صاحبه " تناقضات النظام" «غموض الاتجاه الثقافي الذي تعيشه الجزائر في وقت يظهر فيه عجز المنظومة التربوية التي هي موضوع كل الإصلاحات على تسيير الأزمات المختلفة وجديدها هذه

الرة حول أحور الأساتذة المضربين»[1].

وفي تقرير للجريدة فيما عنونته: " وزراء التربية العرب، في مؤتمر" نقلت على لسان رئيس الجمهورية في خطاب افتتاحه للمؤتمر عن ضرورة إصلاح التربوية والدور الذي يجب أن تلعبه المدرسة في زمن التكنولوجيا .. وعلى «أن الجزائر يجب أن تنفتح على اللغات الحية ومن ثم أن تكسر كل الطابوهات».

وفي فقرة أخرى نقلت الجريدة عنه قوله: نحن ندعو إلى السلام والحوار ومتفتحون على كل الأفكار، لكن نرفض أن يمس أحد برموز مقدساتنا"[2].

ونقلت الجريدة تساءل رئيس الحزب الجمهوري " رضا مالك" في عدد آخر منها عن عدم البدء في إصلاح المنظومة التربوية والعدالة وقوله: إنه كلما تأخر ذلك كلما زاد " Le Pourrissement" [3]، أي التفسخ أو التقيح.

ويرد تكرار آخر فيما نقلته الجريدة عبر تقرير عن نشاط انتخابي للأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني السابق –علي بن فليس– وذلك في أكبر عنوان الصحافة رقم 2 في الجريدة هو: «جبهة التحرير الوطني تساند تقرير بن زاغو» وتثنية بعنوان فرعي: "بن فليس" يخاطر بإعلان مساندته بكل صراحة لتقرير بن زاغو، مع تكرير ذلك مرتين عبر مقدمة التقرير ومضمونه، مع إشارة كاتبه إلى أن هذه المخاطرة تناقض موقف قدماء جبهة التحرير الرافض لهذا التقرير تماما كالإسلاميين من حماس والنهضة والمحافظين.

وتضيف الجريدة على لسان "بن فليس" قوله: إن تقرير بن زاغو سوف يتم تطبيقه مرحلة بعد مرحلة وحسب القدرات المالية للدولة[4].وفي الزاوية السفلى تماما من الصفحة رقم3 من العدد نفسه تعرض الجريدة لموقف "حزب النهضة" هو موضوع تكرار أخر لفئة "إصلاح المنظومة التربوية"، وضعت له الجريدة عنوانا هو : "أدهى ضد إصلاح المدرسة" الذي نقلت عنه قوله: "

(1)-M. salim , ies contradictions du système, El watan, N°3418, Lundi 4 mars 2002, p23.
(2)-Nabila Amin. Les ministres arabes en congrès à Alger. El Watan. N°3460. Pp-cit. p4.
(3)-Kamel Benelkadi, L'ANR absente aux élection, El Watan, N°3556, Op-cit, p3.
(4)-El Watan, N°3489, op-cit, p2.

لضمان مدرسة بعيدة عن تحكم اللائكيين[1].

أما موضوع التكرار السادس فيتعلق بموقف "حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية" RCD نقلت الجريدة على لسان رئيسه "سعيد سعدي" قوله بأن حزبه نجح في فرض وجهات نظره فيما يتعلق بالإصلاحات خاصة إصلاح العدالة، المدرسة والإدارة[2].

وعرضت الجريدة لموقف حركة "الإصلاح الوطني" وحركة "مجتمع السلم" وفيهما تردد التكرار السابع والثامن لهذه الفئة في العينة وأوردت الصفحة رقم 7 عن رئيس الإصلاح "عبد الله جاب الله" قوله: «أن التقرير النهائي للمنظومة التربوية، وسيلة لمحاربة هذه الأمة وخلق الفوضى في المجتمع»[3].

فيما اعتبر "محفوظ نحناح" -رحمه الله- أن المجلس الشعبي هو الإطار الشرعي الوحيد للنشاط وكل محاولة للمرور خارجه هي ضد الديمقراطية وعلق كاتب التقرير الذي نقل موقف "حمس" بأن "نحناح" يشير في ذلك إلى اللجان التي أنشأتها الرئاسة لإصلاح العدالة والإدارة والمدرسة -الاقتصاد ، وخاصة منها لجنة بن زاغو لإصلاح المنظومة التربوية[4].

وكما توضحه تكرارات هذه الفئة بالشكل التي ظهرت به عبر أعداد عينة "El Watan" بأن قضية إصلاح المنظومة التربوية هو سياسي في الأساس ومحوره هو اللغة العربية والدين الإسلامي.

وتسجل فئة "المرأة المسلمة" ستة مرات عبر عينة جريدة "El Watan" عبر الصفحات رقم 1-4-9-11-24، وجاءت خمس منها في شكل صورة صحفية مرافقة لموضوع لا علاقة له مباشرة بالمرأة، وهو ما يوحي بعدم الاهتمام بها لذاتها وجاءت في المرتبة الثانية وبنية 37.5% من مجمل التكرارات ومن ثم من اهتمام الجريدة. ففي العدد 3460 صورة لنساء فلسطينيات محجبات حول جثامين لشهداء فلسطينيين بعد مجزرة اليهود في جنين ونابلس، وقد أرفقت بموضوع عن اجتماع الدورة الوزارية العادية الأورو متوسطية وتحت عنوان "اتفاق مهدد بجدية"، وعلقت

---

(1)-El Watan, N°3489, op-cit, p3.

(2)-Hamed H. Critiques de Sadi contre Bouteflika et Ait Ahmed, El Watan. N°3595, vendredi 27, Samedi 28 septembre 2002, p3.

(3)-Fodil S. Djaballah, courtise l'ex-Fis, El Watan, N°3489, op-cit, p7.

(4)-L. Hacène, Nahnah pour l'amnestie Fiscale, El Watan, Ibid, p9.

الجريدة على الصورة بـــ: «على أوروبا تطبيق المبادئ التي تنادي بها»[1].

أما التردد الثاني فورد في صورة نساء فلسطينيات محجبات وهن في وضع حزن وبكاء مرفقة بموضوع عن مجازر اليهود في جنين ونابلس وعلقت عليها بـــ: «الملاحظون الأوروبيون متخوفون من اكتشاف المقابر الجماعية في جنين ونابلس»[2].

وجاء التردد الثالث ضمن صورة فتيات جامعيات محجبات وغير محجبات بدون تعليق وأرفقت بموضوع عن الأسبوع العلمي الذي أعدته الجزائر لأول مرة على المستوى الوطني واختيرت مدينة قسنطينة لاحتضانه[3].

وورد التكرار الرابع والخامس عبر صورة ومضمون هذه المرة ضمن الاحتفال باليوم العالمي للمرأة عن عنوانه "العنف ضد المرأة قضية صحة عمومية"، لكن مضمونه قانوني وسياسي يتعلق بالحديث عن تقديم مشروع "قانون لأول مرة في الجزائر حول حماية المرأة والطفل وحقهما في الصحة والجنس [هكذا] ومنع الحمل وكل المظاهر الاجتماعية لصحة المرأة، وأخيرا مشاكل العنف ضد النساء".

أما الصورة، فموضوعها امرأة عجوز على سرير مستشفى وطبيب يقبس نبضها مع تعليق الجريدة "حماية المرأة يمر عبر تمكين أفضل من العلاج"[4].

وورد التكرار السادس ضمن صورة لامرأة أفغانية بلباسها الإسلامي اختارتها الجريدة من بين صور معرض عالمي للصور الصحفية، وضعتها في الصفحة الأولى وعلقت عليها لقطات تخلّد البؤس الإنساني في أفغانستان[5]. كما أعادت إرفاقها للموضوع في الصفحات الداخلية بحجم كبير.

وسجلت فئة "تعميم التعريب" تكرارين واحتلت بذلك المرتبة الثالثة وبنسبة 12,50% من مجمل التكرارات في هذا المجال وبالتالي من اهتمام الجريدة به.

---

(1)-T. Hocine, Un processus sérieusement menacé, El Watan, N°3460, op-cit, p11.

(2)-T. Hocine. Une catastrophe humanitaire. El Watan. N°3453. Dimanche 14 Avril 2002, p24.

(3)-Karima Bendjédou, El Watan, Op-cit, p9.

(4)-Djamila Kourta, Une affaire de santé publique, El Watan, N°3425, pp1-4.

(5)-Visa pour l'image de perpignan, El Watan, N°3588, Jeudi 19 septembre 2002. PP1-12.

وقد كشفت الجريدة عبر التكرارين موقفها الرافض للتعريب بشكل سلبي وصريح تجاهه، ففي التكرار الأول فورد في مقال رأي عنونته الجريدة بـــ"العروش مصير محلي أو وطني؟" تضمن تلخيص محاضرة وصفتها "El Watan" بالمهمة وجاء فيها "أن كل من حكومة ليبيا والجزائر فرضت على شعوبها سياسة قسرية للتعريب"[1].

واختارت الجريدة هذه المحاضرة من ضمن أعمال ملتقى دولي يعقد لأول مرة في الجزائر لبحث موضوع حول "النخبة والمجتمع" الذي نظمه مركز البحوث في الاقتصاد التطبيقي والتنمية "CREAD" في إحدى واحات تيميمون وحضرته شخصيات من تونس ومصر والجزائر، وما قالت الجريدة أنه خبراء من فرنسا وبريطانيا، تناولته الجريدة في رأس صفحتها بعنوان كبير "النخبة المجتمع الحكم"، ثم عنوان المقال تحليلي حول الملتقى عنونته "التخوف من الخلف"[2] وترجمته: من يحمل مشعل النضال بعد العروش؟ ! يبين الظلال السياسية التي عقد الملتقى في إطارها وأهدافها.

أما التكرار الثاني فقد ورد في مقال تحليلي مطوّل للصحفي Ali Bahman جاء مضمونه سلبي جدا ضد العربية والتعريب عنونه بـــ"الجزرة والعصا" وعرض فيه ما يبدو أنه تحليل كرونولوجي لنضال الحركة البربرية وخاصة فيما يتعلق بالمطالب الثقافية التي تعمل لتحقيقها، وذلك على يد ما أصبح يعرف في الجزائر بـــ"العروش" الذين وصفهم صاحب المقال بـــ"الأهم في الضفة السياسية "في الجزائر وجاء فيه إنه يجب أن نبحث في التاريخ القريب والبعيد عن أسباب هذه الكراهية الجبهوية ضد الحركة البربرية، فالتياران السياسيان والإيديولوجيان اللذان يغرقان النظام بمذهبهما ورجالهما هما "الإسلاميزم" والشعبوية "Populisme"، وهما المعلنان أعداء ضد البربرية باسم نظرة مغرقة في العروبية جعلت من الجزائر مجتمعا ودولة أحادية اللغة، والعربية القانونية لغتها الوحيدة، لغة وطنية ورسمية..."[3].

ولم يرد في عينة جريدة "El Watan" أي شكل أو مضمون صحفي عن اللغة العربية أو عن التعريب عدا ما ذكر في سلبيته الواضحة، وسجلت الباحثة أنه كلما تطرق الحديث حول

(1)-Nordine Ghrin, Arch, destin locai ou national? El Watan, N°3439, Jeudi 28 mars 2002, p6.
(2)-Idem.
(3)-Ali Bahman, La carotte et le bâton, Ibid, p24.

موضوع اللغة من قريب أو من بعيد في الجزائر، سياسيا، ثقافيا، رسميا وحزبيا إلا وكانت "الأمازيغية"، هي موضوع المطالبة والمفاخرة أو الضحية، ولم تسجل بقية الفئات وهي "تعريب التعليم" و"المدرسة القرآنية" وشخصية تربوية إسلامية" أي تردد في عينة جريدة "El Watan" تساوت في المرتبة الأخيرة وبكونها خارج اهتمام الجريدة.

رابعا: الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 39 للنتائج الكلية لفئة الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

جرائد العينة / الخطاب الإسلامي في المجال التربوي	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
المرأة المسلمة	1	12	46,16	1	7	53,85	2	6	37,50	1	25	45,45
إصلاح المنظومة التربوية	2	7	26,92	2	3	23,08	1	8	50	2	18	32,73
شخصية تربوية إسلامية	3	4	15,38	3	1	7,69	-	-	-	3	5	9,09
المدرسة القرآنية	4	3	11,54	3	1	7,69	-	-	-	4	4	7,27
تعميم التعريب							3	2	12,50	5	2	3,64
تعريب التعليم	—	—	—	3	1	7,69				6	1	1,82
المجموع		26	100		13	100		16	100		55	100

الجدول رقم 39: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

استأثرت كل من فئة "المرأة المسلمة" و"إصلاح المنظومة التربوية" بأكثر الترددات في الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي كانت قليلة عموما واحتلت المرتبة الأولى والثانية على اختلاف بينها، فيما غابت فئة أو ثلاث فئات بين الستة تماما من اهتمام الجرائد موضوع البحث بها.

وتبين بيانات الجدول رقم 39 النتائج النهائية لهذا المجال في الجرائد الثلاثة موضوع الدراسة والتي جاءت على الشكل الموالي:

1-فئة "المرأة المسلمة" احتلت المرتبة الأولى بـــ25 ترددا ونسبة 45،45% من اهتمام الجرائد بهذا الموضوع، وقد اشتركت كل من "Liberté" و"EL Moudjahid" في ترتيبها الأولى بينما جاءت في المرتبة الثانية في "El Watan".

2-فئة "إصلاح المنظومة التربوية" احتلت المرتبة الثانية بـــ18 ترددا ونسبة 32،73% من اهتمام الجرائد بهذا الموضوع، وقد اشتركت كل من "Liberté" و"El Moudjahid" في ترتيبها الثانية بينما احتلت المرتبة الأولى في "El Watan".

3-فئة "شخصية تربوية إسلامية" احتلت المرتبة الثالثة بخمس ترددات ونسبة 9،09% من اهتمام الجرائد بهذا الموضوع، وقد احتلت المرتبة نفسها "الثالثة" أيضا في "Liberté" و" El Moudjahid"، في حين لم يتم تداولها بتاتا في "El Watan".

4-فئة "المدرسة القرآنية" احتلت المرتبة الرابعة بأربعة ترددات ونسبة 9،09% من اهتمام الجرائد بهذا الموضوع، احتلت على التوالي المرتبة الثالثة والرابعة في "El Moudjahid" و"Liberté" ولن تتناولها عينة "El Watan".

5-فئة "تعميم التعريب" احتلت المرتبة الخامسة بترددين وبنسبة 3،64%، ولم يتم ذكرها سوى في "El Watan" وفي سياق سلبي ورافض.

6-فئة "تعريب التعليم" احتلت المرتبة السادسة -الأخيرة- بتردد واحد فقط ونسبة 1،82%. ولم يتم تسجيلها سوى في جريدة "El Moudjahid" وفي سياق رسمي.

ونعرض فيما يلي هذه النتائج في الشكل البياني الموالي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

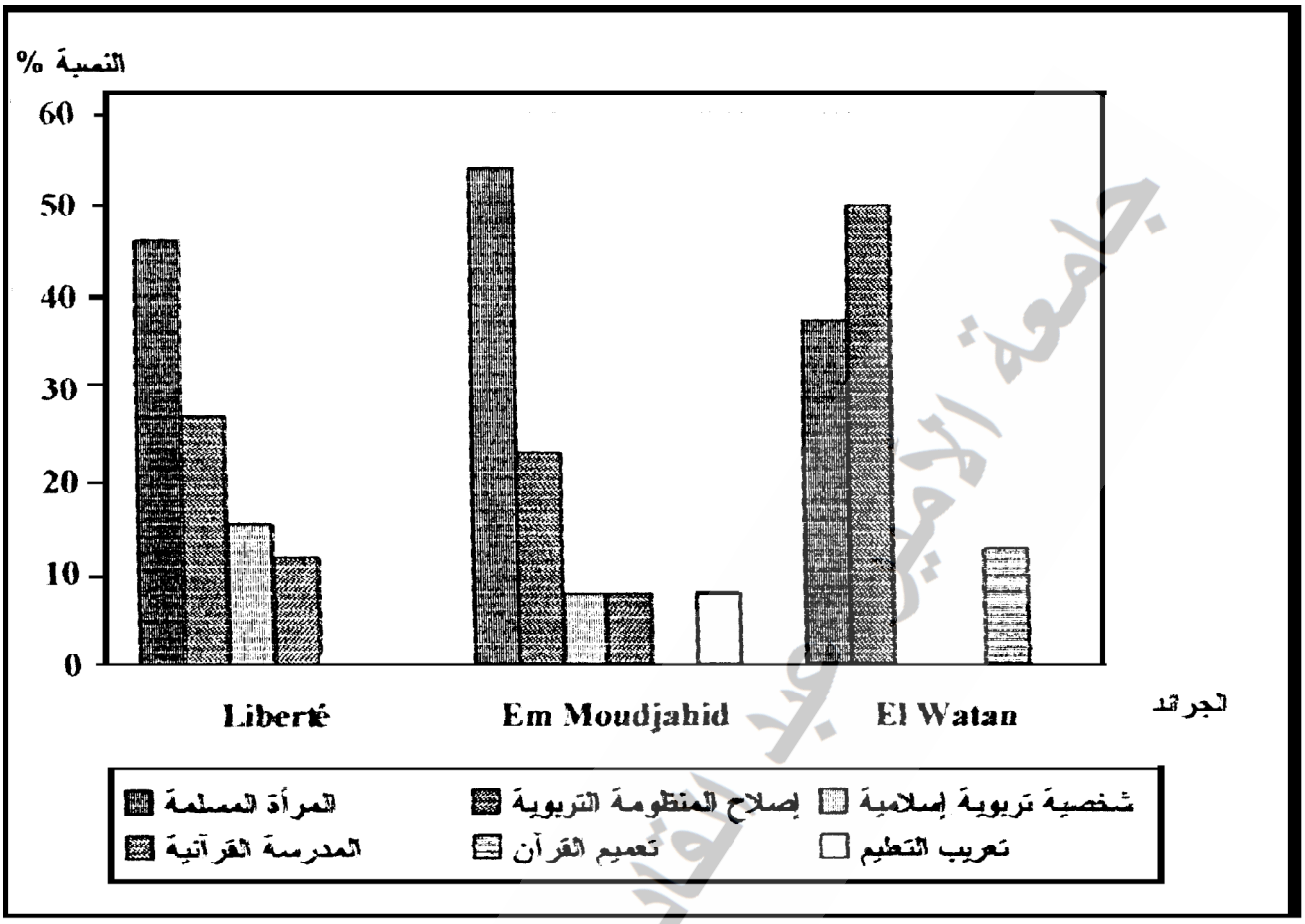

الشكل رقم 7: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد موضوع البحث

المبحث الخامس: الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري

أولا: الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري عبر عينة جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب االنتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة

الترتيب	فئات المجال الحضاري في عينة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	العلاقة مع الآخر	17	73,91
2	ثوابت الشخصيه الوطنيه الجزائريه	5	21,74
3	انتماء الجزائر إلى المغرب العربي	1	04,35
	الانتماء العربي الإسلامي للجزائر		
4	التاريخ الإسلامي للجزائر		
	العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر		
المجموع		23	100

الجدول رقم40: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "Liberté"

من الجدير الإشارة في بداية قراءة هذا الجدول وبقية جداول فئات الموضوع المعتمدة وهي عبر التوالي المجال الحضاري، المجال الثقافي والمجال التربوي في جريدة "Liberté" وخاصة فيما يتعلق منها برموز الهوية الوطنية فيها عموما أنها من أكثر المواضيع إثارة للجدل وتبدو معها أن عقارب الساعة الحضارية والثقافية والتربوية في هذه الصحيفة تدور خارج الزمن والواقع والحقيقة الجزائرية جملة وتفصيلا، وذلك بانعدام مفهوم الشعب الجزائري تماما في الجريدة وكذا مفهوم "الأمة" وهما موضوع رموز الهوية نفسها التي تصنع لحمتها وتميزها عن باقي الشعوب والأمم... وقد وثقت الباحثة باهتمام المواضيع التي تعبّر عن توجه الجريدة في هذا المجال خاصة عبر الأشكال الصحفية المحورية فيها، وهي المقال الافتتاحي في صفحتها الثانية، والعمود الصحفي الذي يميز صفحتها 23، والمقال الذي يميز الصفحة 24 ثم الكاركاتور الذي يلخص موضوعه وجهة نظر الجريدة في الأحداث والقضايا، والمواضيع التي حوتها عبر مختلف صفحاتها، وبالإضافة إلى ذلك تأتي صفحة "الثقافة" التي تفرغ فيها الجريدة الجهد الفكري والفني لترسيخ خطها الحضاري والثقافي عبر عرض كتب قصصية "Romans" في الأساس ذات بعد إيديولوجي واضح،

ومعارض في تشكيلي وقراءة لأفلام كلها بالقبائلية.. تتجاوز الجريدة بها الموقف السياسي -كما شرحناه فيما سبق- إلى الموقف الحضاري الذي يريده القائمون عليها ضاربا في التاريخ ومن ثم مبدئيا. بهدف إقناع الجمهور المتوجهة إليهم وكسبه لمناصرته وإعلاء صوته، "ففي القبائل" كل الطرق تؤدي إلى الاستقلال "والدولة الفيدرالية" وهو العنوان الذي اختارته الجريدة على لسان "حركة استقلال منطقة القبائل" "MAK" في صفحتها الثانية من العدد 2866[1].

والجزائر هي "أمة في ورشة" وهو عنوان كتاب قدمت الجريدة قراءة له في صفحة الثقافة ها تحت عنوان "كتاب يشرح الجزائر"[2]، وإعلان عن كتاب عنوانه "الجزائر: لغاتها، آدابها، تواريخها" "Algérie, ses Langues ses lettres, ses Histoires"[3]، أما "الشعب الجزائر" الغائب مصطلحا دوما في جريدة "Liberté" فهو: الميزابيون والشعانبة، وهو الإباضية والمالكية في غرداية[4]، وهو النمامشة والعمامرة في خنشلة[5] وتبسة وهو البدو، الطوارق في الجنوب... وهو دائما القبائل في تيزي وزو وبجاية وبويرة وبومرداس... تربطهم علاقة مقدسة في الأولى، وكسكسي مقرر في الثانية، أما في القبائل "فهم حركة تمرد تاريخية تمتد إلى كل الجزائر"[6]، وغير معنيين[7] بـ "16 أفريل"، الرمز الذي يوحد الجزائريين تحت ثلاثية "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا"، كما يعبر عن ذلك الكاركاتور وتعليق صاحب الكاريكاتور في العدد 2896، في هذا الإطار الذي يقرؤه المتابع لعينة جريدة "Liberté" لنفهم بيانات ونتائج جداول فئات البعد الحضاري والثقافي والتربوي في الجريدة.

ويبين الجدول رقم 40 أن ثلاثة بين ستة فئات "المجال الحضاري" فقط قد سجلت بعض الترددات عبر صفحات الجريدة مع ملاحظة استئثار فئة "العلاقة مع الآخر" لجملها، فقد سجلت لوحدها 17 تكرارا في هذا المجال، واستغرقت بالتالي نسبة 73,91%، أي ما يقارب ثلاثة أرباع

(1)-A.M, en Kabylie, tous les chemins mènent à l'autonomie, Liberté N°2866, Mardi 12 Mars 2002, P2.

(2)-Djamida, Abas, Un livre pour expliquer l'Algérie, Liberté, N°299, Op-Cit, P11.

(3)-Algérie, ses langues, ses lettres, ses histoires, Liberté, Idem.

(4)-L.B Hozabites, Chaâmba, La sainte alliance, Liberté, N°2919, Op-Cit, P3.

(5)-A.C, Khenchela, Le couscous décisif, Liberté, Ibid, P2.

(6)-Messages Kabyles, est son premièr film, Liberté, N°2896, Op-Cit, P5.

(7)-Ali Dylem, "Karikature", Liberté, Ibid, P24. وانظر: الملحق رقم

التكرارات المرصودة عبر عينة الجريدة في هذا المجال، ويمثل الآخر أساسا فرنسا ثم على التوالي: اليهود، أوربا، الفاتيكان، الغرب عموما.

ففرنسا حاضرة بقوة عبر الأحداث الثقافية في الجزائر، حيث لا يبرر الفعل الحضاري الجزائري –في الجريدة– إلا عبر التكوين والتدريب والمشاركة والمباركة الفرنسية،واتضح ذلك عبر مختلف مجالات الفضاء السمعي البصري، والفيلم، الفن التشكيلي، الموسيقى، المسرح، الكتاب، وكذا النشاط الجمعوي، ففرنسا مثلا هي "Gilles Gramer" مدير مركز التكوين والاحتراف الصحفي، الذي زار الجزائر، التقى فيها بـــ:"«واحد وثمانين شخصية إعلامية من بينها نقابة الصحافيين، جمعية الناشرين، ومسؤولي وزارة الإعلام، وزار خمس وعشرين إدارة تحرير وطنية، وحضر مخططا للتكوين ومن ثم برنامج عمل اقترحه على الجزائريين»[1].

وهي: «الأخت البيضاء في القبائل: "Sœur blanche en Kabylie" التي حسرها الثقافة البربرية والتي أنفقت حياتها "للغة القبائلية" تدريسا وتأليفا وتكوينا، حيث درست القبائلية في عين الحمام ثم في تيزي وزو، أنشأت في 1946م ملف المعلومات البربرية "FDB" وأنشأت مدرسة تعليم الأخوات، ومركز الدراسات البربرية النسوية في تيزي وزو، حصلت في 1947م على شهادة في البربرية من جامعة الجزائر |وقت الاحتلال| وباشرت عدة أسفار إلى الجنوب الجزائري لتقارب بين الاختلافات في البربرية ونشرت ما لا يقل عن 30 مقالا في الموضوع، ونشرت في 1960م مع الأب "DAllet" كتاب "مدخل إلى (اللغة البربرية)، وفي 1987م كتاب "طريقة تعلم البربرية"..[2].

وهذا يعني أنها لم تغادر الجزائر في 1994م إلا بعد أن استقرت البربرية بها حروفا، وتعليما ومؤسسات في تيزي وزو وغيرها، مع ملاحظة أن الصورة المرفقة للمقال للمرأة المسيحية بلباسها الكنسي وبالصليب على صدرها، وكذا الأسلوب المؤثر الذي عالجت به الجريدة الموضوع يوحي كل ذلك بالاحترام والعرفان الكبير لنشاطها.

وفرنسا هي المركز الثقافي الفرنسي هنا والجمعية الثقافية هناك والجمعية الأدبية في مكان

(1)-Le directeur du CFPJ à Alger, un plan de formation pour les journalistes en préparation, Liberté, N°2859, Op-Cit, P5.

(2)-Decés de sœur Madelaine Allain, La culture bèrbère perd une amïe, Liberté N°3020, Lundi 9 Septembre 2002, P11.

انظر الملحق رقم

ثالث، وفرنسا هي القنوات التلفزية الفرنسية التي تعرض لها الجريدة في صفحتها رقم 23 مع تلخيص لما تنتقيه من أفلام السهرة فيها، بخطابها الحضاري والثقافي والتربوي والسلوكي ... وتغييب تام للقناة الوطنية.

أما الآخر "اليهودي" الذي يرتبط ذكره في الجريدة بالقضية الفلسطينية التي تسمى فيها عادة بقضية الشرق الأوسط، ومع تناول الجريدة لكثير من المواضيع في متابعتها للأحداث، فإنه يلاحظ غموض واضح في موقف الجريدة من القضية عموما، بغض النظر عن وصفها بالتطرف والإرهاب والأصولية والراديكالية لمختلف الفصائل الجهادية في فلسطين، كما سبق وأن شرحنا ذلك سياسيا، لكن يضاف إليه غموضها من مسألة التطبيع مع اليهود، حيث تصف "الدول الإسلامية التي تعارض التطبيع مع اليهود بالدول المتطرفة"[1]، وما عدا ذلك فالآخر يظهر مثلا في تناول الجريدة لموضوع الحوار الإسلامي المسيحي مع صورة لبابا الفاتيكان[2]، وباستقبال "السويد" لمسلمة هي "تسليمة نسرين"، بعد أن حكم عليها بسنة سجنا بسبب إساءتها للمشاعر الدينية للمسلمين عبر كتاباتها[3]، وهي تعيش بين فرنسا والهند، وغير ذلك.

وقد رصدت فئة "ثوابت الشخصية الوطنية" التي تختصرها الجريدة بمصطلح "الثوابت" عبر خمس ترددات واستغرقت من ثم نسبة 21,74% من مجملها عبر عينة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة، وقد تناولتها فيها الجريدة كلها في إطار ما تسميه "أزمة الهوية"[4]، «فموضوع الثوابت حسب الجريدة لم يخرج مناقشته أبدا في الجزائر»[5]، ثم «أن الاهتمام بالثوابت أساسا قد تبخر كما يعطيه انطباع المنتخبين في وهران»[6]، ثم هو «موضوع مراجعة جذرية في أول مصدر جدير بالثقة في الجزائر، ضمن قرارات رئيس الجمهورية بمناسبة ذكرى مقتل "قرماح ماسينيسا"[7]

---

(1)-F.H, Un autre libyen, des pays connus jusque- la pour leur positions extremistes, Proposent la reconnaissance d'Israël, Liberté, N°2859, Op-Cit, P15.

(2)-Dialogue Islamo- chretien, Artissime reçue le 15 Mai au vatican, Liberté, N°2912, Lundi 6 Mai 2002, P5.

(3)-Un an de prison pour taslima Nasreen, Liberté, N°3050, Lundi 14 Octobre 2002, P15.

(4)-Djaouida Abbas, Un livre pour expliquer l'Algérie, Liberté, N°2929, Op-Cit, P11.

(5)-Lyès Bendaoud, Le débat n'a pas eu lieu, Liberté, N°2929, Ibid, P3.

(6)-B.Ghrissi, Elections législatives, Effervescence des partis à oran, Liberté, N°2859, Op-Cit, P2.

(7)-Said Rabia, L'application avant le 18 avril prochain, liberté, N°2873, Op-Cit, P2.

وفيما يتعلق بالإسلام، إحدى ثوابت الشخصية الوطنية فقد أولت الجريدة اهتماما بموضوع أظهرته على واجهة صفحتها الأخيرة حول «حرية الأديان والاعتقاد، موفد الأمم المتحدة في الجزائر" ومع أن العنوان أريد له أن يركز على موضوع الدين، إلا أن المضمون قد تحدث عن موضوع حقوق الإنسان دون تحديد»[1]. أما فيما تعلق باللغة العربية المكوّن الأساسي الثاني لثوابت الشخصية الوطنية، فقد وردت في إطار الرفض والسلبية عموما ويرجى الإطلاع عليها في فئات المجال التربوي.

وقد سجلت فئة "الانتماء إلى المغرب العربي" والمراد منه مصطلح "المغرب العربي" تحديدا باعتبار الجزائر إحدى خمس دول تندرج تحت هذا الوصف الحضاري، فلم تسجل الفئة إلا ترددا واحدا فقط عبر عينة "Liberté" المدروسة، ولم تحز إلا على نسبة 4,35% من مجمل التكرارات فيها، ونقلتها الجريدة في إطار الحديث عن الندوة الصحفية التي نشطها وزير الخارجية الجزائري- عبد العزيز بلخادم حينها- والتي كان موضوعها عن احتماع لقاء القمة لدول المغرب العربي[2]، وكما هو ملاحظ فلم نكن المرة الوحيدة التي أشير فيها لهذا الموضوع القصد منها الحديث عن المغرب العربي كقضية انتماء حضاري، أو له علاقة بهذا الانتماء من أي ناحية كانت، بل لم يكن المقصود من تناوله لذاته في الأساس وفيما عدا ذلك فكلما كان الحديث حول دول المغرب العربي. فإن وصف الجريدة هو "دول المغرب "Les Pays du Maghreb" فقط دون وصف العربي. في المجال السياسي والحضاري والثقافي الخ .

ولم تسجل فئات "الانتماء العربي الإسلامي للجزائر" و"التاريخ الإسلامي". وكذا "العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر"، أي تردد عبر كامل عينة جريدة "Liberté" التي جرت دراستها، بينما سجلت مضامين رافضة، وسلبية جدا في هذا المجال كان بينها ما يتهكم بالوجود العربي المكثف في فرنسا مثلا وبأسلوب يفيد أن الكاتب «كان يغير مكان سكنه من مكان لآخر هروبا من الوجود العربي فيها بدون جدوى»[3]، كما ركزت الجريدة في عدد من المضامين على تأكيد عدم عروبة الجزائر، عبر تجاهلها الحديث أصلا عن البعد العربي الجزائري، بالإضافة إلى نقل

(1)-K.R, Liberté de religion et de conviction, un rapporteur spécial de l'ONU à Alger. liberté, N°3035, Op-Cit, P24.

(2)-Hassan, Ouandjeli, Départ, Liberté N°2943 Mardi 11 Juin 2002, P3.

(3)-Youcef Benadouda, Les ovnis du paradou (et le scrutin officiel), liberté, N°2913, Lundi 6 Mai 2002, P23.

شعارات مسيرة خرجت فيها نساء في عزازقة (ضواحي تيزي وزو) كتب عليها "صححوا التاريخ، الجزائر ليست عربية"[1].

أما التاريخ الجزائري حسب الجريدة، فقد كتبه مشعوذون "Des charlatants"[2] وهي –أي الجريدة– تعمل لتغييره، فأزمة الهوية التي يعيشها الشباب في القبائل سببها أنهم لقنوا في المدرسة صورة خاطئة عن ذاتهم تحت غطاء مذهب مغلوط هو الوحدة الوطنية[3]، ومن ثم وجب تغيير ذلك حتى في أول نص قانوني في الجزائر وهو الدستور «بضرورة الحديث عن الجزائر قبل القرن السابع قبل المسيح، للعودة إلى أول بربري "Caspien" مرورا بشاشناك مؤسس ثاني حكم للفراعنة»[4]، بهذا الوضوح والمبدئية تتناول جريدة "Liberté" التاريخ الجزائري، فهو عندها أساسا تاريخ بربر –قديما– وتاريخ شهداء الديمقراطية بعد 5 أكتوبر 1988م، وأحداث الربيع الأسود... في الجزائر المعاصرة، وهو بين هذا وذاك «تاريخ الفرنسيين لما كانوا أسياد الساعة في الجزائر، وهو الذي يدور حول شخصية محورية اسمها "مريم"، كما في القصة التي قدمتها الجريدة وقالت بأن هذه الكتب –القصص– مع أنها غير تاريخية ولكن فيها من التعاليم والدروس ما يجب أخذه بعين الاعتبار لترسم تاريخنا وأشار العنوان الفرعي لهذا الموضوع في الجريدة قولها: انطباعات تعطي لتاريخ متخيّل مكان تاريخ حقيقي»[5]، «وهو في النهاية تاريخ مجموعات اثنية مختلفة تربط بين بعضها المصالح وقت الانتخابات فيم تبقى الأخرى موضوع دراسة وبحث مثل "الطوارق" فالجزائر هي «Une nation qui se construit encore...»[6]، وفي مقابل تجاهل الآثار الإسلامية في الجزائر، حصر مفهوم الآثار في "Liberté" في رسومات "Tassili" التي تسميها بالبربرية، والتي تقول أنها "قاومت ريح الرمل والشمس"، ثم هي الآثار والحضارة الأوراسية والتي

[1]-Kahina Slimani, Les femmes ont marché à Azazga, Liberté, N°2919, Op-Cit, P4.

[2]-Quand les charlatants se mettent à l'écriture de l'Histoire, Liberté, N°3020, Lundi 9 Septembre 2002, P5.

[3]-M. Nazim, Le reve d etre Pathetique chant de barricade, Liberte, N°3003, Op-Cit, P8.

[4]-Said Rabia, L'application avant le 18 Avril Prochain, Liberté, N°2873, Op-Cit, P2.

[5]-MA. Les Blés d'or du chelif de Belgacem Aït Ayachia, toute une époque, Liberté, N° , Op-Cit, P11.

[6]-Djaouida Abbas, Un Livre pour expliquer l'Algerie, Liberté, N°2929, Dimanche 26 Mai 2002, P11.

سمتها الجريدة "بالجمهورية الأوراسية"[1] بمعنى أن الحكم فيها كان بيد الشعب، ولم يكن في يد سلطة دينية –لا هوية – وتعني بذلك الإسلام.

ومفيد أن نشير أن كل الكتب –وكذا الأفلام والجمعيات– ومعارض اللوحات التشكيلية التي قدمت الجريدة لها قراءة أو تعليقا عبر صفحة الثقافة أساسا، وكذا عبر صفحاتها الأخرى أحيانا وهي قصص "Ramans" كانت لشخصيات من منطقة القبائل، أو لشخصيات لها موقف من الإسلاميين والإسلاميزم –سلبي عادة– بالإضافة إلى خطابات رؤساء الأحزاب والشخصيات في منطقة القبائل حضريا والتي تعطيها الجريدة طابع "المحاضرة" وصفا ومضمونا بغرض التأكيد على صدقية وعلمية ما يرد فيها من أفكار وآراء، ولكن عدم الاختصاص لهؤلاء العلمي والتاريخي، فيها سرعان ما يكشف عن الموقف السياسي والإيديولوجي الذي تعبر عنه بوضوح.

ثانيا: الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "El Moudjahid"

ونلخصه في الجدول الموالي حسب الترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة

الترتيب	فئات المجال الحضاري في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسب المئوية %
1	الانتماء العربي الإسلامي للجزائر	14	45,16
2	العلاقة مع الآخر	9	29,03
3	انتماء الجزائر إلى المغرب العربي	5	16,13
4	ثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية	2	6,45
5	التاريخ الإسلامي للجزائر	1	3,23
6	العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر		
المجموع		31	100

الجدول رقم 41: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "EL Moudjahid"

تبين قراءة بيانات الجدول أن فئة "الانتماء العربي الإسلامي للجزائر" تتصدر بقية الفئات المعتمدة الأخرى حيث تكررت 14 مرة وجاءت بنسبة مئوية تعادل 45,16% متبوعة بفئة "العلاقة مع الآخر" بتسع تكرارات ونسبة مئوية تعادل 29,03% ثم تأتي فئة "انتماء الجزائر على

[1]-Forum aurassien, Civilisation et culture, Liberté, N°2866, Mardi 12Mars 2002, P11.

المغرب العربي" في المرتبة الثالثة وذلك بخمس تكرارات ونسبة مئوية تعادل 16,13 % وتأتي فئة "ثوابت الشخصية الوطنية" في المرتبة الرابعة بتكرارين فقط، وبنسبة مئوية تساوي 6,45%، فيم تسجل فئة "التاريخ الإسلامي للجزائر" مرة واحدة ونسبة مئوية تعادل 3,23% والمرتبة الخامسة في حين لم نسجل أي ذكر لفئة "العمارة الإسلامية في الجزائر" غير أعداد عينة "El Moudjahid" ومن ثم تأتي في المرتبة الأخيرة وبنسبة صفر.

ويمكن تفسير تصدر فئة الانتماء العربي الإسلامي للجزائر "لكل الفئات المرصودة للخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في تكرر التنويه بهذا الانتماء في عدد من الخطابات الرسمية أثناء الحملة الانتخابية للانتخابات التي شهدتها هذه السنة خاصة التشريعية منها في 30 ماي 2002- سواء على سبيل التذكير بها أو الدفاع عنها أو الدعوة إلى تكريسها أو ضمن ما يواجه الجزائر ضمن الأمة العربية والإسلامية من تحديات ثم وورد التنويه بها في إطار مساندة قضية فلسطين التي تنبع من وحدة الانتماء والمصير، رغم عدم الإشارة إلى ذلك بوضوح.

ونذكر في هذا الشأن مثلا تنويه الرئيس "عبد العزيز بوتفليقة" بدور الحضارة العربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي للجزائر عبر الزيانيين والحماديين والمرابطين والموحدين... الذين قادوا معاركهم المظفرة تحت راية الإسلام... وقد جاء ذلك في رسالة له بعث بها أعضاء البرلمان بعد اتخاذ القرار بدسترة الأمازيغية... [1]. وقد نشرت الجريدة هذا الخطاب في العدد 4 من عينة البحث، وفي تغطية الجريدة لنشاطات الأحزاب عبر الوطن نقلت عن الأمين العام لحزب "التجمع الوطني الديمقراطي"، في خطاب له في مدينة خنشلة تحت عنوان "لا يمكن أن يكون هناك استقرار إلا بالقضاء على الإرهاب" قوله: «إن الذين يظنون أن الإسلام هو الحل لكل مشاكل الوطن هم مخطئون لأنه مهما كانت هذه التيارات الدينية، فإن الشعب الجزائري مسلم أبا عن جد وهذا منذ ظهور الإسلام»[2].

وفي العدد نفسه (ع 8) نقلت الجريدة عن أمين عام "حزب النهضة" الحبيب آدمي في إطار نشاط الحزب في قسنطينة و سطيف «تأييده إنشاء دولة جزائرية إسلامية أصيلة و متفتحة على

[1]-Nous avons accompli votre devoir devant l'Histoire, El Moudjahid, N°11400 , Mardi 09 Avril 2002, P4

[2]-Il ne peut y avoir de stabilité qu'avec l'eradication du terrorisme, El Moudjahid, N° 11432, Op-Cit, P4

الديموقراطية الاجتماعية»[1].

وجاءت فئة "العلاقة مع الآخر" في تسع تكرارات وما يفسر ذلك هو ما شهدته هذه السنة 2002م من شيوع فكرة العولمة وحوار الثقافات والحضارات، والتحالف العالمي للحرب على الإرهاب وقد كانت الجزائر ومن ثم صحافتها تؤكد على موقفها من أحداث العالم ضمن هذه الاتجاهات أولا في العلاقة مع الغرب عموما ومع أمريكا خصوصا التي تقود ما تسميه "الحرب على الإرهاب" في دولتين مسلمتين هما العراق وأفغانستان، وكذا اليهود الذين يقتلون الفلسطينيين تحت نفس غطاء "الحرب على الإرهاب" أيضا، وكانت هذه المواقف التي نقلتها الجريدة قد أشارت إليها ضمن مواقف رسمية أو حزبية وكذا في مناسبات علمية، وجاء ذكر هذه الفئة في ستة أعداد من العينة نذكر منها مثلا ما ذكره "الرئيس عبد العزيز بوتفليقة" في خطابه في اجتماع رؤساء الاتحاد الإفريقي الذي عقد بالجزائر حول "محاربة الإرهاب" وجاء تحت عنوان "الحرب على الإرهاب يجب أن يكون مسارا علميا ومتعدد الجوانب"، أشار فيه إلى وجوب التفريق بين الإرهاب والمقاومة المشروعة للشعوب في سبيل تقرير مصيرها واستعادة سيادتها وجاء فيه «إن المقاومة المشروعة لهذه الدول والتي يتم مساندتها غالبا بوسائل قليلة وإرادة واهية لا يمكن وبأي حال من الأحوال أن تخلط بالإرهاب والمجتمع الدولي يجب أن يكون في مستوى مسؤولياته لتأكيد على الحق في العدالة...»[2].

وقد وردت فئة "الانتماء إلى المغرب العربي" في الجريدة ضمن الحديث عن اتحاد المغرب العربي في 5 من 7 تكرارات تم رصدها في العينة وكان ذلك في عناوين لاجتماعات أو مفاوضات مع الاتحاد الأوربي ويفيد بأن الانتماء إلى المغرب العربي يغلب عليه التوجه الاقتصادي بقضاياه المختلفة التي تناولتها المواضيع تلك العناوين ونذكر منها مثلا: ما جاء في (ع9) من العينة في تقرير صحفي بعنوان "البرلمان الأوربي مع شراكة مع المغرب العربي" والتي تردد فيها مصطلح المغرب العربي، ومصطلح المغرب دون وصف العربي وتناولت بعض عباراته تمنيات الاتحاد الأوربية بأن تمكن تنمية الشراكة بين دول المغرب العربي وأن يسهل إيجاد جو هادئ في المنطقة في صالح كل شعوب المنطقة، ودعوة الاتحاد الأوروبي دول "المغرب" «بضمان التعددية السياسية، وطلبه على

[1]-Idem.

[2]-La lutte contre le terrorisme doit être un processus universel et multidimensionnel, El Moudjahid, N°11533, Op-Cit, P9.

المستوى الاقتصادي بتقوية التبادلات الاقتصادية والخدمات ومن ثم دعوة دول الاتحاد الأوربي في المقابل لتنمية شروط التصدير نحو أوربا للمنتوجات الآتية من دول المغرب بشكل محسوس»[1].

وتسجل فئة "ثوابت الشخصية الوطنية" التي وردت أيضا بمصطلح "الهوية الوطنية" بتكرارين خلال عينة البحث من "El Moudjahid" وجاء ذكره مرة أثناء الحملة الانتخابية لتشريعيات 30 ماي 2002م على لسان رئيس الحركة الوطنية للأمل (MNE) "محمد هادف" حين ذكر بأن «الهوية الوطنية –العربية والإسلام– قد قررت منذ القرن التاسع الميلادي»[2]. وذكرت في المرة الثانية من طرف رئيس "التجمع الوطني الديمقراطي" لما قال: «إن المخاطر التي تهدد وحدة الشعب الجزائري مرتبطة بالإرهاب وكذلك بالأصولية المتطرفة التي تفسد رموز الشخصية الوطنية»[3].

وقد وردت فئة "التاريخ الإسلامي للجزائر" بتكرار واحد وجاءت في محاضرة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في ملتقى"وحدة المجتمع الجزائري من خلال الأمثال «بمدينة تيارت، والتي تحدث فيه عن الدولة الرستمية التي كونت»، دولة مستقلة في الجزائر وفي المغرب الإسلامي على نفس الأسس التي تؤسس عليها الدولة الوطنية[4] ولم تذكر فئة "العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر" وحيث عرضت الجريدة للحديث عن شهر التراث الذي تناولت فيه نمط البناء في منطقة "بني زاب" ومدينة "غرداية" لم ترد في التقرير إشارة واحدة لما هو إسلامي في العمارة سواء في ربطه بتاريخ بنائه، ولا بسكان المنطقة وورد مصطلح "القصور" مكررا في التقرير وهو المصطلح الذي شاع استخدامه منذ سنوات لوصف القلاع والقصور والآثار في الجزائر بردها إلى ما تسميه الجريدة "النمط الأمازيغي"[5].

---

[1]-Le parlement européen pour un partenariat privilégie avec l'union du Maghreb arabe. El Moudjahid, N° 11454, Mercredi, 12 Juin 2002, Op-Cit, P14.

[2]-Un forum des partis politiques, El Moudjahid, N°11546, 27-28 septempbre 2002, Op-Cit, P8.

[3]-poursuivre la lutte contre la corruption et la bureaucratie qui signent le pays, El Moudjahid, N°11432, 18 Mai 2002 , P4.

[4]-La reconciliation nationale est un choix…, El Moudjahid, N°11460, Op-Cit, P4-5.

[5]-Un mois pour l'emoi, El Moudjahid, N° 11416, Dimanche, 28 Avril 2002, P15.

ثالثا: الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الحضاري في جريدة "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية%
1	العلاقة مع الآخر	27	69,23
2	الانتماء العربي الإسلامي للجزائر	06	15,38
3	ثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية	04	10,26
4	انتماء الجزائر إلى المغرب العربي	02	5,13
5	التاريخ الإسلامي الجزائري العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر		
المجموع		39	100

الجدول رقم 42: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "El Watan"

تبين قراءة الجدول رقم 42 أن فئة "العلاقة مع الآخر" تحتل المرتبة الأولى ضمن مختلف الفئات الفرعية التي تم تصنيفها عبر المجال الحضاري، وقد سجلت لوحدها 27 ترددا وهو ما يعادل 69,23% من اهتمام الجريدة بهذا الموضوع وقد ظهرت التكرارات في 17 من بين 22 عددا وهي العينة الكلية لجريدة "El Watan".

وتنوع حديث الجريدة عن علاقة المسلمين والإسلام بالآخر محليا وعالميا، وتمثله عبر مواضيع الجريدة فرنسا، الاتحاد الأوربي ونظرة الجنوب إلى الولايات المتحدة والفاتيكان وكذا عن انتفاضة الأقصى في مواجهة انتهاكات اليهود...

ولاحظت الباحثة حضور الآخر القوي والإيجابي في مقابل الحضور السلبي "للأنا" المسلم أو الإسلامي إزاءه وذلك عبر تبني نقل الحديث على لسان الآخر أو فعله موقفا وتوجيها وتحديدا والذي يختصر في أغلبها تقريبا في محاربة ما يسمى (الإرهاب) حيث نجد مثلا تقرير الاتحاد الأوربي وخبرائه حول مصاحبة الجزائر للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ومنظمة التجارة العالمية على أساس من العلاقات الثقافية و"محاربة الإرهاب" بين وسائل ومجالات أخرى، ونجد التماهي مع وجهة نظر الآخر، الأوروبي وغيره في تقديم وصفات محاربة ما يسمى الإرهاب وتقديمها بشكل من

الجاهزية والوثوقية والخبرة والتلقين مثل الحوار الذي أجرته الجريدة مع (باحث جامعي كندي) واختارت له عنوانا يلخص ما أشرنا إليه: "التحدي هو استعادة القاعدة الإسلامية"[1]، مع العناوين الفرعية التي رافقت الحوار.

ونجد أيضا موضوعا يتحدث عن الفاتيكان بنوع من التقديس وتناول مباركة الفاتيكان لجمعية "Artissime" الجزائرية التي تنشط في مجال تقريب الأديان . وجاء عنوانه "اعتراف مقدس لـــ ارتيسيم"[2]، رافقتها بصورة للبابا يتوسط أعضاء الجمعية في مقر الفاتيكان بروما.

ونجد موضوعا عن "نادي الروتاري العالمي" الذي يتواجد في الجزائر منذ 1997م الذي تعتبره الجريدة جمعية خيرية وإنسانية وتقدمه على أساس ذلك عبر نشاطه في عدد من الولايات في الجزائر في مجال الصحة والتربية والتعليم والثقافة وغيره، مع أن الجريدة تنقل رأي الأحزاب الإسلامية بان "الروتاري" منظمة ماسونية وصهيونية سرية إلا أنها تعتبر ذلك "أفكارا رجعية روجت لها أحزاب سياسية تعتقد في سلطة غيبية لا علاقة لها بالشؤون الاجتماعية وجاء نص ذلك: "Obédiences Islamistes" وتبنت رفض أحد نشطاء الروتاري في الجزائر، لوصفه بالماسونية وبكونه منظمة صهيونية كما قالت على أن هذا النادي ذو اهداف إنسانية وخيرية بحتة، وقد كان هذا نفسه فحوى عنوان الجريدة لتقديمه لجمهورها[3].

ونجد مواضيع أخرى، مثل الحديث عن المسلمين في فرنسا، وعن اقدام الإسلاميين في باكستان بضرب مصالح المسيحيين، وكلها مضامين سلبية للمسلمين والإسلاميين عموما.

وجاءت فئة "الانتماء العربي الإسلامي" في المرتبة الثانية لكن بنسبة قليلة مقارنة بالفئة الأولى، وسجلت 6 تكرارات فقط، واحتلت بذلك 15,38% من اهتمام الجريدة بهذا الموضوع بين مجمل التكرارات.

أما فئة "ثوابت الشخصية الوطنية" فسجلت أربع تكرارات عبر عينة "El Watan" واحتلت بذلك 10,26% من اهتماماتها بين مجمل التكرارات.

---

(1)-Salima Tlamceni, L'enjeu est de récupérer la base islamiste, El Watan, N°3474, Jeudi 9 Mai 2002, p5.

(2)-Nacera Ben Ali, Sacrée reconnaissance pour Artissime, El Watan, N°3481, vendredi 17, Samedi 18 Mai 2002, p24.

(3)-N. Bounouaret, Aides aux associations de Annaba, El Watan, N° mardi 4 juin 2002, P31.

وجاءت فئة "الانتماء إلى المغرب العربي" في المرتبة الرابعة بتسجيلها لتكرارين وتستغرق بذلك 5.13% من اهتمام الجريدة وفي المرتين نقلت على لسان طرف آخر أو وجهة نظره، لكن الجريدة تفضل التعبير عنه "بالمغرب" فحسب سواء عبر العنوان أو داخل المضمون فيما عدا اقتباساتها عن الطرف الذي تستند إليه، فجاء في تقديم كتاب عنوانه "اتحاد المغرب العربي" كما تبينه صورة غلاف الكتاب الذي أوردته الجريدة جاء عنوان المقال: "الاندماج الجهوي والتنمية الاقتصادية للمغرب" وتحدث مضمونه عن عجز دول المغرب العربي عن تحقيق اتحادها رغم توفر كل ما يمكن من ذلك مثل اللغة والدين.. لكن الاتفاق الذي تم عقده في 1989م كان من عمل المسؤولين فقط، حيث لم يستشر هؤلاء شعوبهم حول هذا التقارب الكبير، الذي تبدو ضرورة تحققه في آفاق سنة 2010م ملحة لاعتبارات اقتصادية على أساس منطقة تبادل حر أكيدة الاستفادة بأكبر قدر ممكن من لعبة التنافس العالمي»[1].

وأما المرة الثانية فورد في مضمون عن شروط الاتحاد الأوربي لتحقيق الشراكة مع دول اتحاد المغرب العربي وخاصة منها الجزائر ثالث دولة تعقد هذا الاتفاق مع الاتحاد الأوروبي بعد كل من تونس والمغرب والذي يمر حتما عبر تحقيق وتفعيل اتحاد المغرب العربي اقتصاديا واختارت له الجريدة عناوين فرعية تتحدث عن "دول المغرب" دون وصف العربي في مقابل الاتحاد الاوروبي، وكذا عنوان المقال الذي أرادته الجريدة عن "حقوق الإنسان في الجزائر" مشيرة في ذلك إلى منطقة القبائل فحسب كما جاء في الموضوع[2].

ولم تسجل كل من فئة "التاريخ الإسلامي" للجزائر وكذا فئة "العمارة والآثار الإسلامية" في الجزائر أي تردد وجاءت بنسبة صفر عبر عينة "El Watan" دلالة على عدم اهتمام الجريدة بهذه المواضيع، وفي المقابل لاحظت الباحثة مواضيع في الجريدة تتناول الآثار الرومانية وكذا المسيحية والحديث عنها بأساليب تنم عن الاحترام والتقديس. وفي إطار أبعاد ثقافية وحضارية واضحة عنوانا ومضمونا من ذلك مثلا في العدد رقم 3609 الذي تناول التعريف بكنيسة قديمة بمدينة تبسة تحت عنوان "كنيسة مريم المقدسة"، والذي يسجل مضمونه المبالغة في تمجيد تاريخ

(1)-N. Grin, Intégration régionale et développement économique du Maghreb, El Watan, n°3439, Jeudi 18 Mars 2002, p5.

(2)-Rezki S . et Agence, Débat sur l'Algérie au parlement Européen, Presse et droit de l'homme au menu, El Watan, N° 3503, Mercredi 12 jin 2002, p24.

الكنيسة وأصحابها الذي وصفته الجريدة بالعبقري والذي تنفي ذلك المجد والعبقرية عن من يعيش الآن حول الكنيسة من سكان مدينة تبسة، تقتبس منه الباحثة ما يلي:

"لا شيء يجمع المجتمع التبسي الحالي والمجتمع العبقري، ذي الأيادي والأراضي المجيد المنحصر والمدفون في كتب التاريخ..".

أسس الكنيسة الموجودة على عمق أكثر من تسع أمتار من العمق وتحتوي على البقايا الحقيقية للمسيحيين الأوائل، ودون أن نشهد ذلك فإن تواجد هذه العمارة يدفعنا للتفكير في العهود الدموية تحت روما، في زمن التضحية في سبيل الإيمان الجديد ولشهداء المسيحية الذى يرقدون في الكنيسة بسلام..." [1]،وقد استغرق المقال نصف الصفحة تقريبا بعنوان كبير ورسم موضح للكنيسة.

كما نجد حديثا عن الآثار الرومانية ويصور عنها في صفحة الثقافة في الجريدة، بأسلوب يستحضر أهميتها التاريخية والحضارية والثقافية ويربطها بالمؤسسات العالمية لحفظ التراث وحتى السفارات الغربية لحمايتها والعمل عن طريقها لاستصدار تشريعات قانونية محلية في هذا الاتجاه[2]

في مقابل خلو الجريدة من الحديث عن التاريخ الإسلامي للجزائر نجد في أكثر من موضوع اهتمام الجريدة بالحديث عن العائلات البربرية الحاكمة في التاريخ قبل الميلاد في الجزائر، وعن التاريخ البربري وعن كيفيات وضرورة تغيير البرامج المدرسية لتضمينها تاريخ الجزائر البربري وعرضت الجريدة في ذلك عبر تقديم كتب بأسلوب أقرب إلى الرومانطقية في التعني بذلك مثل كتاب "هاماستان الصنهاجي" القصة الحوارية "المؤثرة" كما تقول الجريدة أحداثا ومهارة وتاريخا وخصصت له نصف صفحة الثقافة بها تحت عنوان "أمير في المغرب من القرن الألف"[3].

وتلاحظ الباحثة أن تخصيص صفحة الثقافة لتناول هذه المواضيع وبالأسلوب المذكور يسجل الكثير من الدلالات على توجه الاهتمام وأبعاده في جريدة "El Watan".

(1)-, B.Abdelhai, Tebessa, La basilique sainte-Marie, Crispine, El Watan, N°3609, Lundi 14 Octobre 2002, p7.

(2)-M'hamed.H, Tipaza patrimoine universel, SOS, Cité en danger, El Watan, N°3588, Jeudi 19 septembre 2002, p12.

(3)-Abdelkrim Djilali, Un prince dans le Maghreb de l'an mil, El Watan, N°3453, Dimanche 14 Avril 2002, p17.

رابعا: الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 43 للنتائج الكلية لفئة الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في الجرائد موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

جرائد العينة / الخطاب الاسلامي في المجال الحضاري	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
العلاقة بالآخر	1	17	73,91	2	9	29,03	1	27	69,23	1	53	56,99
ثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية	2	5	21,74	4	2	6,45	3	4	10,26	3	11	11,83
انتماء الجزائر إلى المغرب العربي	3	1	4,35	3	5	16,13	4	2	5,13	4	8	8,60
الانتماء العربي الإسلامي للجزائر				1	14	45,16	2	6	15,38	2	21	21,50
التاريخ الإسلامي الجزائري				5	1	3,23				5	1	1,08
العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر												
المجموع		23	100		31	100		39	100		93	100

الجدول رقم 43: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في الجرائد موضوع البحث

غابت فئة "العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر"، من تسجيل أي تردد في عينة الجرائد الثلاثة موضوع البحث، بينما غابت فئة "التاريخ الإسلامي للجزائر" في كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" ، فيم سجلت ترددا واحدا فقط في جريدة "El Moudjahid" وغابت فئة "الانتماء العربي الإسلامي" أيضا من "Liberté" واختلف ترتيب الفئات الأربعة المتبقية بين الجرائد الثلاثة.

وتبين بيانات الجدول رقم 41 النتائج النهائية للمجال الحضاري في الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

1-فئة "العلاقة بالآخر" احتلت المرتبة الأولى بـــ53 ترددا وبنسبة 56,99%، وجاءت في المرتبة الأولى أيضا في كل من "Liberté" و"El Watan" بينما جاءت في المرتبة الثانية في " El Moudjahid".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-فئة "الانتماء العربي الإسلامي" احتلت المرتبة الثانية بـــ20 ترددا وبنسبة 21,50% واحتلت هذه الفئة المرتبة نفسها في "El Watan" والمرتبة الأولى في "El Moudjahid"، بينما لم يرد ذكرها البتة في عينة "Liberté".

3-فئة "ثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية" احتلت المرتبة الثالثة بـــ11 ترددا وبنسبة 11,83% من اهتمام الجرائد موضوع الدراسة بهذا الموضوع، وقد تفاوت ترتيب هذه الفئة، فهي الثانية في "Liberté" والثالثة في "El Moudjahid" والرابعة في "El Watan".

4-فئة "انتماء الجزائر إلى المغرب العربي" احتلت المرتبة الرابعة بثمانية ترددات وبنسبة 8,60% من اهتمام الجرائد موضوع الدراسة بهذا الموضوع، وقد اشتركت "El Watan" في ترتيب هذه الفئة في المرتبة الرابعة، بينما احتلت هذه المرتبة الثالثة في كل من "Liberté" و" El Moudjahid".

5-فئة "التاريخ الإسلامي للجزائر" احتلت المرتبة الخامسة بتردد واحد ورد في " El Moudjahid" فقط، وبنسبة 1,08% فيما لم تهتم كل من "Liberté" و"El Watan" بالموضوع أصلا.

ولم تسجل فئة العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر أي تردد ولم تكن ضمن اهتمام الجرائد موضوع البحث البتة.

ونعرض هذه النتائج في الشكل الموالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

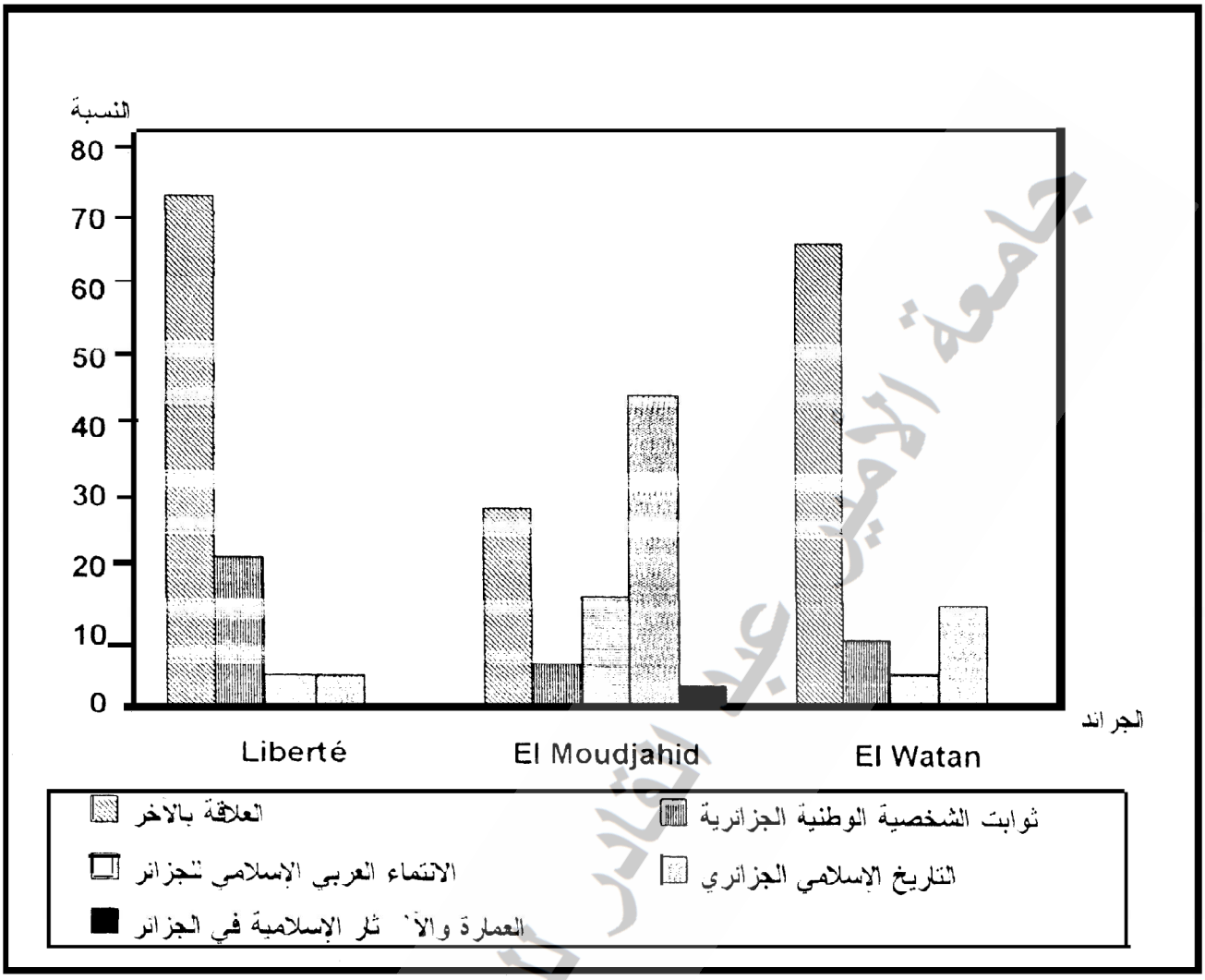

الشكل رقم 8: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في الجرائد موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس: الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي

أولا: الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي عبر عينة جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب البيانات والنتائج المحصل عليها وكذا حسب الترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الثقافي في جريدة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	يوم العلم	4	50
2	حفلات ومناسبات إسلامية	3	37,50
3	شخصية ثقافية إسلامية	1	12,50
4	تقاليد إسلامية	-	-
5	الكتاب الإسلامي	-	-
المجموع		8	100

الجدول رقم 44: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "Liberté"

توزعت فئات المجال الثقافي على ثلاثة فئات بين الخمسة المعتمدة وجاءت فئة يوم العلم في المرتبة الأولى برصدها أربع ترددات في عينة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة واستغرقت نسبة 50% من مجمل التكرارات في هذا المجال، وقد سجلت كلها في العدد المتزامن مع تاريخ 16 أفريل الذي تتخذه الجزائر يوما وطنيا للعلم، ووردت أهمها عبر كاريكاتور لـــ"علي ديلام" في الصفحة الأخيرة، عنونه صاحبه "16 أفريل، الجزائريون يحتفلون بيوم العلم" " les Algériens célèbrent la journée du savoir"، لكن طريقة كتابة هذا العنوان في اللغة الفرنسية كما يبينه الرسم الموالي، ينم عن سخرية واضحة مع التعليق الذي رافق الكاريكاتور "نحن لسنا معنيين"[1]. كما ذكر في عنوان ومضمون خبرين في مذكرة الجريدة بصفحتها الثقافية عن عروض فنية ومسرحية للأطفال أعلن عن زمن عرضها ومكانها بالمناسبة، وذكر الأطفال في هذا المجال له دلالته في الموضوع.

وقد سجلت فئة "حفلات ومناسبات إسلامية" ثلاث تكرارات واستغرقت بالتالي نسبة

[1]-Programme d'animation yaoun et-ilm, Liberté, N°2896, Op-Cit, P11.

37,50% من مجمل تكرارات هذا المجال في جريدة "Liberté" بشكل سلبي جدا، فقد ذكرت العيد الأضحى المبارك في إطار خبر بحث عن "كلب" بإرفاق صورة الكلب[1] في المرة الأولى، وذكرته في إطار الحديث عن ثمن كبش العيد في أفغانستان في عنوان كبير وبخط غامق "بعد سقوط القاعدة، سعر الكبش ينحط"[2].

أما المناسبة الإسلامية الثانية التي تناولتها الجريدة بالحديث فكانت "المولد النبوي الشريف" وذلك في أهم مقالاتها وبقلم أهم صحافيها وعلى إحدى أهم واجهتيها الصفحة الأخيرة تحت عنوان كبير وباللون الأحمر هو "ثقافة الشر" جاء فيه: «إن مهرجان المفرقعات الجماعي الذي أحياه الجزائريون خلال الأيام التي سبقت المولد بلغ ذروته عشية الاحتفال الذي اشتهر أنه للتقوى والمفترض منه إحياء ذكرى مولد النبي [ﷺ][3].

إن الإدعاء بتربية الطفل بدعوته كل سنة للمتعة بالفرجة على الحيوان الذي يذبح (الدجاجة) ليست وسيلة تربوية، إنه توراث للوحشية، ولا يجب من ثم العجب من نتائج تجاوزاتنا الخاصة على سلوكات أطفالنا، إن ثقافة الشر تسكن فينا»[4].

ويبقى الغموض في تحديد مصدر وكيفية الاحتفال بهذه المناسبة والتي لا علاقة لها لا بالمناسبة في حد ذاتها إسلاميا، ولا بالمحتفل به ﷺ لكن ربط ثقافة الشر بالمولد النبوي الشريف تسجل أكثر من دلالة، مع الإشارة أن ذكر الرسول ﷺ في الجريدة لم يرفق بالصلاة عليه فيها.

وسجلت فئة "شخصية ثقافية إسلامية" ترددا واحدا وبالتالي نسبة 12,50%، وقد وردت في جريدة عبر لسان رئيس الجمهورية في حديثه عن شخصية "ابن خلدون" وكتاباته وعلمه واقتبست الجريدة النص المقصود منها تأكيده عبر إيراد الخبر وهو «إنني إذا ذكرت ابن خلدون، فلأنه من الأوائل الذين وعوا أهمية وغنى الأدب الشفوي والذي أشار إلى هذه الأهمية بذكره لتراث الشفوي الأمازيغي»[5]، ولم تسجل كل من فئة "تقاليد إسلامية" و"الكتاب الإسلامي"

---

[1]-Avis de recherche, liberté, N°2859, Op-Cit, P6.

[2]-Après la chute d'Al Qaïda, le cours du monton s'effondre ,Liberté, N°2859, Op-Cit, P13.

[3]-جريدة لا تذكر جملة ﷺ بعد ذكر الرسول ﷺ، وهذه إضافة للباحثة.

[4]-M.Hhammouche, La culture du Mal, Liberté, N°2929, Op-Cit, P24.

[5]-Bouteflika Rend Hommage à Ibn Khaldoun et Berque, liberté, N°3050, Lundi 14 Octobre 2002, P24.

أي تردد في الجريدة و لم تكن من ثم في مجال اهتمامها البتة.

وجدير بالإشارة، إلى أن عينة جريدة "Liberté" التي جرت دراستها كانت حافلة بالمناسبات الفكرية والثقافية والفنية، وكذا غنية بكثير من الكتب التي قدمتها الجريدة عبر قراءة خاصة لمضمونها أو حوار مع كاتبها أو تقديم صورة صحفية عن شخصيتها، كما تناولت الحديث عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية والجمعيات التي تنشط في جمعه والاهتمام به وعرضه ومتابعته، والحديث عن معرض الكتاب الدولي في الجزائر وتصنيفها لمواضيع الكتب المعروضة فيه، وقد أشارت أنه في 2002م عرض المعرض كتابين عن القاعدة، عنوان أحدهما "خط الرعب(!).

وتشير الباحثة أن كل الكتب التي قدمتها الجريدة دون استثناء –وقد قامت بتوثيق ذلك تدور حول ثلاث مواضيع:

1-كراهية الأصولية، والإسلاميزم، الإرهاب، التطرف وغيرها من المطصلحات المترادفة في الجريدة، والتخويف منها وتهويل أعمالها ووصفها بكل الأوصاف الدموية والعنيفة والوحشية، وإيرادها في المجالات السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية بهذه المعاني، مثل كتاب "ليلى عسلاوي" الذي تناولته الجريدة ثلاث مرات في ثلاثة أعداد وكان عنوانها له هو "كراهية مزمنة مشروعة "Chronique d'une haine ligitime"، ووصف الكراهية بالمزمنة أي الدائمة والمستمرة ثم شرعية هذه الكراهية وديمومتها مغالاة قد تبرر سنوات التسعينيات لكنها قبل ذلك وبعد ذلك مثير للغرابة.

2-لها علاقة مباشرة بالدعوة إلى تأييد البعد البربري للجزائر –بتجاهل ونفي البعد العربي والإسلامي تماما- وذلك عبر الشخصيات والآثار والانتماء واللغة والأزياء والثقافة...

3-ارتباط المناسبات فيها وكذا الشخصيات بالحضور الفرنسي، لغة، دعما، شخصيات، فنون مسرحية ونشاطات جمعوية وكذا دينية، وقد سبق وان قدمنا نماذج لكل ذلك عبر الفئات السابقة والحالية في هذا المجال.

ثانيا: الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الثقافي في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسب المئوية %
1	حفلات ومناسبات إسلامية	10	50
2	شخصيه ثقافيه إسلاميه	8	40
3	تقاليد إسلامية	2	10
4	الكتاب الإسلامي	-	-
	يوم العلم	-	-
المجموع		20	100

الجدول رقم 45: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "El Moudjahid"

تأتي فئة الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في المرتبة ما قبل الأخيرة ضمن بقية الفئات الرئيسية، وقد تم رصد وتسجيل تكرارات لثلاث فئات فرعية فيها فقط بين الفئات الخمس المعتمدة وكانت على التوالي فئة "حفلات ومناسبات إسلامية" التي جاءت بعشر تكرارات ونسبة مئوية تعادل 50%، واحتلت المرتبة الأولى وسجلت فئة "شخصية ثقافية إسلامية" ثمانية تكرارات ونسبة 40% فيما لم تسجل فئة "تقاليد إسلامية" سوى تكرارين أي بنسبة 10% ولم ترصد الباحثة ذكر "ليوم العلم" مع أن العينة احتوت على عددين قريبين من الحدث وهما على التوالي ع 9 أفريل 2002م وعدد 19 أفريل 2002م والتي تكون عادة فترة للتحضير للمناسبة عبر مختلف التظاهرات الثقافية والعلمية والرياضية والفنية باعتبارها مناسبة وطنية يحتفل بها منذ السنوات الأولى للاستقلال، أو لاستمرار برنامج الاحتفال بها بعد مرور اليوم المحدد لها، وقد يبرر عدم تناولها كون الجريدة يومية واهتمامها الأساسي بالأخبار والمواضيع الجديدة على الساحتين المحلية والدولية.

وقد تنوع ورود فئة "حفلات ومناسبات إسلامية" في العينة بين العلمية والفنية كالإعلان عن محاضرات علمية، تناول إحداها البعد الروحي لثورة نوفمبر (ع13) أو الإعلان عن برنامج شهر رمضان الذي تناول الإشارة إلى تضمنه الاحتفال بغزوة بدر وبليلة القدر –المباركة–.

أما الفئة فتتعلق بما نشرته الجريدة عن المهرجان الأول للمديح الديني للزوايا (ع11) من العينة، كما رصدت الباحثة البعد العربي الإسلامي في هذه المناسبات وسجلت حضور قضية فلسطين بتكرارين ضمن مجموع تكرارات هذه الفئة لكن تربطهما أكثر بالمجازر التي قامت بها إسرائيل في مدينة جنين والتي أثارت في إرهابها ووحشيتها الرأي العام الدولي عبر الأمم المتحدة التي عبرت عن هول المجازر، وبالإضافة إلى التضامن السياسي الذي عبرت عنه صفحتها الثقافية في بضعة سطور للحديث عن "مسرحية القدس لن تسقط" وركزت فيه على أوقات عرضها بالعاصمة وعنابة ووهران، كما تناولت الصفحة الأخيرة من (ع13) من العينة موضوعا عن مشاركة الجزائر فنيا عبر المساهمة في تسجيل أغنية "نداء الأقصى" التي وعدت بتخصيص 35% من إيراداتها لتضامن مع الشعب الفلسطيني[1].

أما فئة "شخصيات ثقافية إسلامية" فقد لاحظت الباحثة أن ورودها في " El Moudjahid" ارتبط في الغالب بشيوخ الزوايا وأضرحتهم 5 مرات بين 8 تكرارات كلهم رجال بالإضافة إلى امرأة شاعرة تخصص شعرها في مديح للأولياء الصالحين وأضرحتهم وكانت الجريدة قد خصصت للتعريف بهذه الشاعرة موضوعا في (ع9) من العينة تحت عنوان: "شاعرة المقاسين وأضرحتهم"[2].

وجاءت فئة "تقاليد إسلامية" التي رصدت لمرتين في الجريدة، مرة في إطار نشاط حزبي أثناء الحملة الانتخابية دعا فيه رئيس حركة النهضة "محمد آدمي" إلى العمل من أجل عائلة جزائرية منعمة بقيم إسلامية وتقاليد جزائرية أصيلة تضمنه (ع8) من العينة ومرة عبر موضوع تقليد اجتماعي ديني في مدينة التل وكذا في كثير من المدن الجزائرية لقراءة القرآن الكريم في يوم حاص بعد وفاة أحد أفراد العائلة سمته الجريدة بيوم "صدقة".

---

[1]-Abdou dariassa, Nida El-Aqsa, El Moudjahid, N° 11560, Op-Cit, P24.

[2]-La Poctesse des saints et de leurs mausolées, El Moudjahid, N°11454, 12 Juin 2002, P24.

ثالثا: الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المجال الثقافي في جريدة "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية%
1	حفلات ومناسبات ثقافية إسلامية	04	57,14
2	شخصية ثقافية إسلامية	02	28,57
3	يوم العلم	01	14,28
4	تقاليد إسلامية	-	-
	الكتاب الإسلامي	-	-
المجموع		7	100

الجدول رقم 46: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "El Watan"

لم تسجل فئة الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي تكرارات كثيرة عبر مختلف الفئات الرئيس المعتمدة في البحث، وقد جاء في المرتبة الأخيرة بينها كما وضحنا، وقد سجلت فئاته الفرعية ترددات تراوحت بين المرة الواحدة والأربع مرات، كما يبينه الجدول رقم 46.

وجاءت فئة "حفلات ومناسبات ثقافية إسلامية" في المرتبة الأولى بين الفئات الفرعية بتسجيلها 4 ترددات وبالتالي استغرقت 57,14% من مجمل اهتمام الجريدة بهذا المجال، وقد وردت ثلاثة منها في عدد واحد من العينة تزامن مع مناسبة المولد النبوي الشريف، لكن ذكر هذه المناسبة في الجريدة لم يرتبط بالمحتفل به فيها وهو الرسول ﷺ الذي لم يرد اسمه الشريف أصلا في المرات الثلاث فيها، كما لم يرتبط بدلالة المناسبة بالنسبة للمسلمين والعالم الإسلامي وغير ذلك مما تثيره هذه المناسبة الإسلامية وأجوائها.

وجاء الموضوع الأول الذي ذكر فيه –المولد النبوي– للحديث حول المرقعات التي تستورد بالأموال الباهضة وبالعملة الأجنبية، والتي تؤصل ثقافة العنف[1]، عنوانا ومضمونا ولا تخفى ظلال ما يوحي به العنوان وربطه بهذه المناسبة الإسلامية، والتي أجاز العلماء المسلمون الاحتفال بها ليكون مناسبة للذكر والدرس والعبرة والعلم والتوسعة على الأهل ولا علاقة لها

[1]-B.A, Petards et culture de la violence, El Watan, N°3489, Lundi 27 mai 2002, p7.

بالمرتفعات والعنف..

وجاء الموضوع الثاني للحديث حول غلاء لحوم الدجاج الذي "طار" كما جاء في العنوان "طيران الدجاج"[1].

وجاء الموضوع الثالث حول نشاط حزبي "لحركة مجتمع السلم" بدأ بالإشارة إلى تأخر التشيخ لخطاب عن موعد الاجتماع المحدد "بثلاث ساعات في يوم المولد"[2].

كما سجلت هذه الفئة في إطار نشاط حزبي أيضا هذه المرة لحزب جبهة التحرير الوطني الذي استفاد أمينه العام "علي بن فليس" من العطلة الطويلة للمولد النبوي، لزيارة عدد من الولايات، ليعلن أمام الجمهور مساندته لتقرير "بن زاغو"، ويدعو مجموع الأساتذة للانخراط في «دار الإصلاح»[3].

وكل الترددات كما بينا لا علاقة لها بالمناسبة التي ذكرت فيها وإنما تحمل دلالات سلبية.

وجاءت فئة "شخصية ثقافية إسلامية" في المرتبة الثانية بتسجيلها لتكرارين وبالتالي بنسبة 28,57% من مجمل التكرارات ومن ثم من اهتمام الجريدة بهذا المجال. ويتعلق الأمر بشخصية الإمام عبد الحميد بن باديس –رحمه الله–.

وقد سجل التكراران في العدد نفسه من العينة (رقم 3446) وجاءت في إظهار التحضير للأسبوع العلمي الذي تعده الجزائر لأول مرة على المستوى الوطني واختيرت مدينة قسنطينة لاحتضانه، وجاء ذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس في إطار خبر عرض برنامج الأسبوع العلمي الذي يتضمن برنامجا خاصا باسم بن باديس –رحمه الله– ويدور حول شخصيته[4].

أما المرة الثانية ففي إطار الحدث نفسه وفي موضوع آخر تضمن الإشارة إلى الاحتفال

---

(1)-H.B, L'envoi du poulet, Ibid, p9.

(2)-T. Hacène, Nahnah pour l'amnistie fiscal, El Watan, N°3489, op-cit, p9.

(3)-Fayçal Metaoui, Le FLN soutient le rapport benzaghou, El Watan, N°3489, Lundi 27 Mai 2002, p2.

(4)-Une histoire d'exclusivité, El Watan, N°3446, op-cit, p9.

بذكرى العالم "عبد الحميد بن باديس"[1].

وجاءت فئة "يوم العلم" في المرتبة الثالثة بتكرار واحد فقط وبنسبة 14,29%، كانت في إطار الاحتفال بمناسبة 16 أفريل الذي تخصصه الجزائر للاحتفال بيوم العلم في هذا التاريخ في كل سنة بالإشارة إلى ذلك في خبرا وردته الجريدة في عددها 3446 السابق ذكره.

وأما فئة "تقاليد إسلامية" وكذا فئة "الكتاب الإسلامي" فلم تسجل أي منهما أي تكرار عبر عينة جريدة "El Watan" ولم تحض باهتمامها البتة.

ومن الجدير الإشارة إلى أنه قد وردت في الجريدة ما وصفته "بتقاليد الأجداد" وذلك عبر موضوع خصصت له الجريدة عنوانا كبيرا على عرض الصفحة كاملا "رقصات روحانية" ويتعلق بما وصفته الجريدة "بالجذبة" وتناوله صاحبه في تعبيرات وعبارات لغوية وأسلوبية روحية شفافة، ولا يكمن الأمر فيما قال صاحب المقال أنها رقصة منتشرة في الجزائر، وموجودة في كل منطقة وأن لها قواعد خاصة، وأنها تقام عند أضرحة المرابطين، وأن الكثيرين يعتقدون أنها تشفي من الأمراض العصبية وتطرد الأرواح الشريرة وسماها "بأمراض الجن" وخاصة بالنسبة للفتيات يوم عرسهن واللائي يزرن الضريح لأداء هذه الرقصة... وإنما يتعلق الأمر بربطها بما سمته الجريدة "بتقاليد الأجداد" في عنوان فرعي للمقال.. وهي عبارة على غموضها عموما فإن عبارات مثل الأرواح الشريرة، زيارة الضريح لطرد الجن.. ترتبط بالشعوذة وهو ما نهى عنه الإسلام جملة وتفصيلا ومن ثم يصعب فهم ربطه بما قالت الجريدة أنه تقاليد الأجداد، إلا إذا كان هدف صاحب الموضوع أن يربط بالجذبة، ثم ربط كل ذلك عبر "ضريح المرابط" الذي قد يعني رجل صالح إسلامي بالدين الإسلامي، فلم يعد ذلك ألبوم يعتقد فيه سوى من لا علم له بالإسلام أو من الدروس والجهلة أو المعرضون. ويبقى السؤال عن أي "أجداد" يتحدث عنهم الموضوع؟[2].

---

[1]-Karima Bendjeddou, Université, première semaine scientifique, El Watan, Idem.

[2]-في ترجمتها لعنوان المقال، لم تجد الباحثة أنسب من "رقصات روحية"، مع أن الترجمة الحرفية هي رقصات مصفية.

انظر: N.C, une chorégraphie purificatrice, El Watan, N°3548, Dimanche 4 Août 2002, p13.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 47 للنتائج الكلية لفئة الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

حرائد العينة / الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
يوم العلم	1	4	50	-	-	-	3	1	14,29	3	5	14,29
حفلات ومناسبات إسلامية	2	3	37,50	1	10	50	1	4	57,14	1	17	48,57
شخصية ثقافية إسلامية	3	1	12,50	2	8	40	2	2	28,57	2	11	31,43
تقاليد إسلامية	-	-	-	3	2	10	-	-		4	2	5,71
الكتاب الإسلامي												
المجموع	/	8	100	/	20	100	/	7	100	/	35	100

الجدول رقم 47: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في الجرائد موضوع البحث

ظهر اهتمام الجرائد موضوع البحث بثلاث فئات بين الفئات الخمس التي صنف فيها الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي والتي سجلت ترددات قليلة تراوحت بين التردد الواحد والعشرة فقط، وقد غابت فئة "الكتاب الإسلامي" من تسجيل أي تردد في الجرائد الثلاثة موضوع البحث.

وتبين بيانات الجدول رقم 47 النتائج النهائية للخطاب الإسلامي في المجال الثقافي وقد جاءت على الشكل الموالي:

1-فئة "حفلات ومناسبات إسلامية" احتلت المرتبة الأولى بـــ17 ترددا في العينة الإجمالية للجرائد وبنسبة 48,57% من اهتمامها بهذا الموضوع، وقد اشتركت كل من "El Watan" و"El Moudjahid" في الترتيب الأول لهذه الفئة بينما جاءت في المرتبة الثانية في "Liberté".

2-فئة"شخصية ثقافية إسلامية" احتلت المرتبة الثانية بـــ11 ترددا في العينة الإجمالية للجرائد موضوع البحث وبنسبة 31,43% من اهتمامها بهذا الموضوع، واشتركت كل من "El Moudjahid" و"El Watan" في هذا الترتيب، بينما احتلت هذه الفئة في المرتبة الثالثة في

"Liberte".

3-فئة "يوم العلم" احتلت المرتبة الثالثة بخمس ترددات في العينة الإجمالية للجرائد موضوع البحث وبنسبة 14,29% من اهتمامها بهذا الموضوع، وكانت هي المرتبة نفسها التي احتلتها هذه الفئة في "El Watan" بينما كانت في المرتبة الأولى في "Liberté" ولم ترد في عينة "El Moudjahid" لغياب الأعداد التي تتزامن وهذا التاريخ.

4-فئة "تقاليد إسلامية" احتلت المرتبة الرابعة بترددين فقط في العينة الإجمالية للجرائد موضوع البحث وبنسبة 05,71% فقط من اهتمامها بهذا الموضوع. وقد احتلت هذه المرتبة الثالثة في "El Moudjahid" بينما غابت في كل من "Liberté" و"El Watan".

ولم تسجل فئة "الكتاب الإسلامي" أي تردد عبر عينة الجرائد الثلاثة موضوع البحث ولم تكن من ثم ضمن اهتمامها البتة.

وفيما يلي نعرض لهذه النتائج في الشكل الموالي:

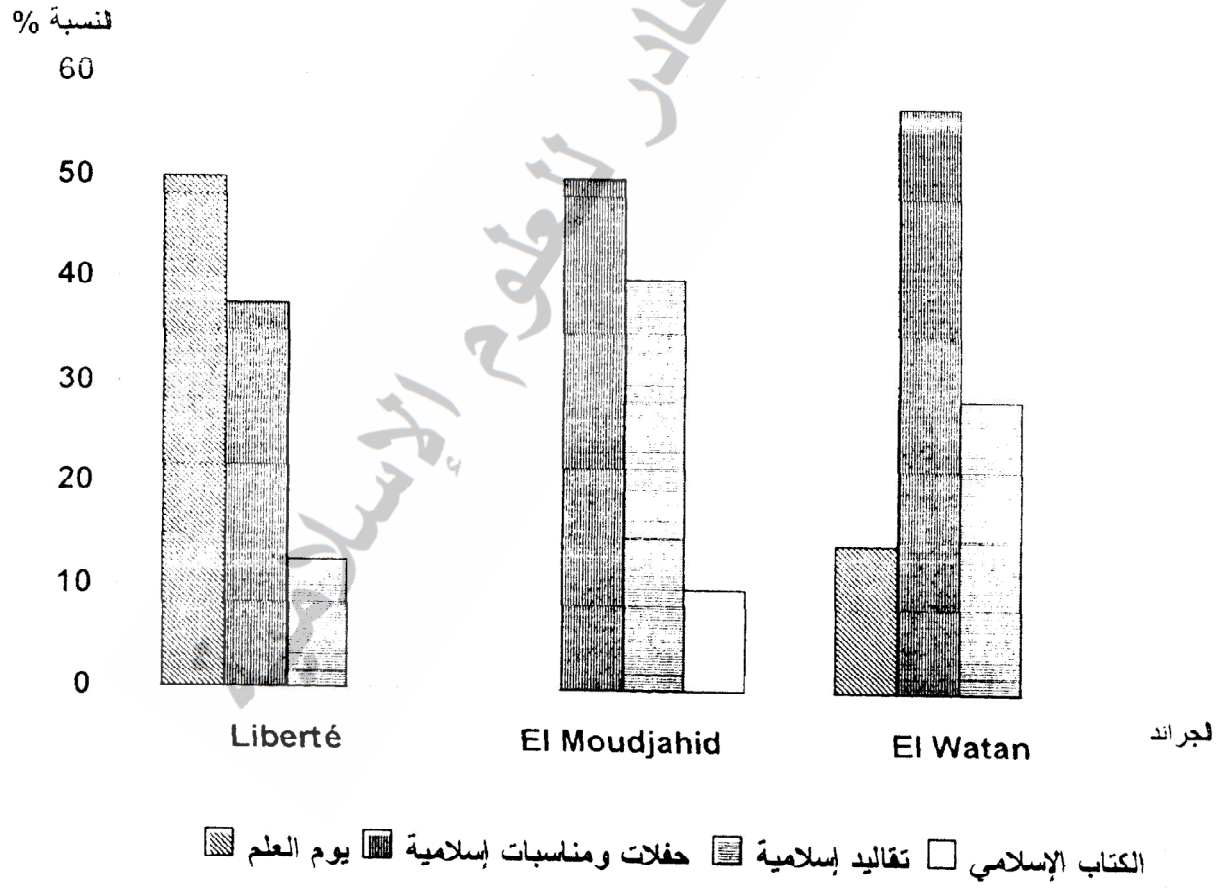

الشكل رقم 9: نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في الجرائد موضوع البحث

وقد عرض الفصل التاسع إلى ترتيب وقراءة مختلف الفئات الفرعية التي صنفت تحت كل موضوع من مواضيع الخطاب الإسلامي التي اعتمدها الدراسة للإجابة عن فئات ماذا قيل؟

وسيعرض الفصل العاشر للإجابة عن فئات كيف قيل؟ عبر عرض نتائج وقراءة مختلف التي اعتمدها الدراسة، عبر كل جريدة على حدة ثم بعرض قراءة لنتائج ذلك في جدول شامل للجرائد موضوع البحث مع كل فئة من الفئات المصنفة تحت هذا العنوان بعضها شكل بياني موضح.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل العاشر:

فئات كيف قيل الخطاب الإسلامي؟

المبحث الأول: فئة الموقع

المبحث الثاني: فئة الشكل الصحفي

المبحث الثالث: فئة وظيفة المضمون

المبحث الرابع: فئة تحقيق المضمون

المبحث الخامس: فئة الاتجاه

المبحث السادس: فئة المرجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نعرض في هذا الفصل إلى بيانات ونتائج فئات كيف قيل؟ في الجرائد موضوع البحث، وذلك حسب الترتيب الموالي:

المبحث الأول: نتائج فئة الموقع في الجرائد الثلاث موضوع البحث

أولا: بيانات ونتائج فئة الموقع في جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات الموقع في جريدة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	الصفحات الداخلية	247	80,98
2	الصفحة الأخيرة	42	13,77
3	الصفحة الأولى	16	5,25
4	صفحات متخصّصة	-	-
المجموع		305	100

الجدول رقم 48: نتائج فئة "الموقع" في عينة جريدة "Liberté"

توزعت تكرارات الخطاب الإسلامي في عينة جريدة "Liberté" المتكونة من 19 عددا جرت عليها الدراسة، على مختلف صفحات الجريدة فيما عدا صفحات الإشهار.

ويفيد الجدول رقم 48 أن فئة "الصفحات الداخلية" قد استأثرت بالعدد الأكبر لتكرارات الخطاب الإسلامي في الجريدة وهي الصفحات بين (2-23)، حيث رصد فيها 247 مرة واستغرق من ثم نسبة 80,98% من مجمل ما رصد منها عبر صفحات الجريدة، وهو أمر طبيعي لاحتواء هذه الصفحات لمادة التحريرية للجريدة مضامين وعناوين وغيرها، في مقابل واجهتي الصحيفة، الصفحة الأولى والأخيرة.

وقد تراوحت التكرارات عبر مختلف صفحات الجريدة الداخلية بين تكرارين و38 تكرارا، ولاحظت الباحثة أن الصفحة رقم 3 من الجريدة قد سجلت بها أعلى نسبة من هذه التكرارات، وتأتي بعدها صفحة أسرار الجريدة "Radar" ثم تأتي الصفحات على التوالي رقم 2-11 و30-4 و15-13-9-8 و21، فيما خلت بقية الصفحات تماما من تسجيل أي تردد، وأغلبها مخصص للإشهار بالصحيفة.

وتأتي الصفحة الأخيرة في المرتبة الثانية حيث رصد بها 42 ترددا للخطاب الإسلامي، ومن ثم تستأثر بنسبة 13,77% من مجمل التكرارات عبر صفحات الجريدة، بينما تأتي "الصفحة الأولى" في المرتبة الثالثة حيث لم يسجل بها سوى 16 ترددا أي بنسبة 5,25%، وقد تمثلت في معظمها في عناوين رئيسية أو فرعية وهي التي تكون موضوع المعالجة والتحليل في الصفحات الداخلية وبعضها في الصفحة الأخيرة.

ولم نسجل فئة "صفحات متخصصة" أي تردد للخطاب الإسلامي عبر الجريدة

ثانيا: بيانات ونتائج فئة الموقع في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات الموقع في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	صفحات الداخلية	83	77,57
2	الصفحه الأخيره	15	14,01
3	الصفحة الأولى	9	8,42
4	صفحة متخصصة	-	-
المجموع		107	100

الجدول رقم 49: نتائج فئة الموقع في جريدة "El Moudjahid"

الصفحات الداخلية تستأثر في جريدة "El Moudjahid" بأعلى نسب تكرارات الخطاب الإسلامي، حيث رصدت 83 مرة واستغرقت 77,57% ولهذا ما يبرره منطقيا بعدد الصفحات عبر مجمل العينة، وقد لاحظت الباحثة أن الصفحات رقم: 2، 4، 5، 23 من الجريدة كانت الأكثر ورودا للخطاب الإسلامي فيها، حيث تراوح ذكره فيها بين 10 و15 مرة، وإذا كانت الصفحات رقم 4 و5 وهي على التوالي صفحات "الأمة" –"الحدث"– "Nation" في أكثرها وارتبطت في فترة البحث خاصة بالتحضير للانتخابات التشريعية وكذا المحلية وقد كانت هذه الصفحات هي مركز الجريدة في طرح وتناول أهم مواضيعها ولذلك ارتبطت معالجتها لمواضيع لها علاقة بالخطاب الإسلامي خاصة في المجال السياسي والأمني، وذلك عبر التصريحات السياسية والخطب الرسمية وغيرها، وجاءت الصفحة رقم 23 في العينة وهي صفحة "الحياة العملية" التي

يخصص أذن الجريدة فيها لمواقيت الصلاة يبرر عدد تكرار الخطاب الإسلامي فيها بـــ15 مرة كما تبينه جداول تفريغ البيانات.

وجاء تكرار الموضوع في الصفحة الأولى بتسع مرات وبنسبة 8,42% بينما جاء في الصفحة الأخيرة بـــ15 مرة واستغرقت 14,01% وهو مؤشر على مستوى الاهتمام لجريدة " El Moudjahid" بمواضيع الخطاب الإسلامي خلال فترة البحث التي تميزت بمباشرة أمريكا ما سمته التحالف العالمي للحرب على الإرهاب في عدد من الدول الإسلامية في ظل غموض عام لمفهوم "الإرهاب".

ثالثا: بيانات ونتائج فئة الموقع في جريدة "El Watan"

ونلخصه في الجدول الموالي حسب الترتيب الذي ظهرت عليه خلال الدراسة

الترتيب	فئات الموقع في جريدة "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	الصفحات الداخلية	232	78,91
2	الصفحه الأخيره	39	13,27
3	الصفحة الأولى	23	7,82
4	صفحات متخصصة	-	-
المجموع		294	100

الجدول رقم 50: نتائج فئة الموقع في عينة جريدة "El watan"

سجلت فئة "الصفحات الداخلية" أكثر التكرارات بين فئات الموقع عبر عينة جريدة "El Watan" وكان عددها 232 مرة وهو ما يعادل 78,91% من مجموع 294 مرة لظهور مختلف فئات الخطاب الإسلامي الرئيسية والفرعية، وهو أمر منطقي لكثرة عدد الصفحات الداخلية بالمواضيع التي تتناولها الجريدة بشأنه فيها.

وقد كانت الصفحات على التوالي رقم: 23، 9، 4، 3، 2، 7 "قد سجلت بها أكثر التكرارات وتراوحت بالترتيب التنازلي بين 37 مرة و10 مرات، بينما لم تتجاوز التكرارات في الصفحات رقم 12 و13-15 ،17- 16 ،10 و 21، الثلاث تكرارات فيما لم يسجل أي تردد في الصفحات 14-18-19-20 في الأعداد من العينة التي صدرت في 24 صفحة، بالإضافة إلى

الصفحات رقم 25، 30 في العدد الوحيد في العينة الذي صدر في 32 صفحة وذلك بمناسبة كأس العالم في كرة القدم، وقد خصصت هذه الصفحات للإشهار في الجريدة.

وجاءت فئة "الصفحة الأخيرة" في المرتبة الثانية بـ39 تردادا عبر عينة جريدة "El Watan" وهو ما يعادل 13,27% من التردادات وهي نسبة قليلة مقارنة بالفئة الأولى لكنها منطقية أيضا سواء بالنسبة للفئة الأولى أو للفئة الثالثة التي تليها مباشرة وهي فئة الصفحة الأولى التي سجل ورود الخطاب الإسلامي فيها 23 مرة وتستغرق بالتالي نسبة 7,82% من مجمل التكرارات الخاصة بهذه الفئة عبر العينة موضوع البحث، وتخصصها الجريدة لعناوين المواضيع التي سيتم معالجتها عبر الصفحات الداخلية أو الصفحة الأخيرة والتي قد يتعلق واحد منها أو أكثر من فئات الخطاب الإسلامي المعتمدة وهو ما يفسر العدد الكبير من التكرارات في الصفحة الأخيرة مقارنة بعددها في الصفحة الأولى، ونستنتج منه أنه عبر مختلف التكرارات فإنه يوجد تكرار واحد على الأقل في الصفحة الأولى، وأكثر من تكرار واحد عبر أغلب الصفحات الأخيرة من الجريدة في حين لم تسجل فئة "صفحات متخصصة" أي تكرار عبر عينة "El Watan".

رابعا: نتائج فئة الموقع في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 51 للنتائج الكلية لفئة "الموقع" عبر الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

جرائد العينة / فئات الموقع	Liberté			El Moudjahid			El Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
الصفحات الداخلية	1	247	80,98	1	83	77,57	1	232	78,91	1	562	79,6
الصفحة الأخيرة	2	42	13,77	2	15	14,01	2	39	13,27	2	96	13,60
الصفحة الأولى	3	16	5,25	3	9	8,42	3	23	7,82	3	48	6,80
صفحات متخصصة	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
المجموع	/	305	100	/	107	100	/	294	100	/	706	100

الجدول رقم 51: نتائج فئة الموقع في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

لم تهتم الجرائد الثلاثة موضوع البحث بإيلاء صفحات متخصصة للخطاب الإسلامي،

حيث لم تسجل هذه الفئة أي تردد البتة في العينة الإجمالية للبحث، وعموما لم تتغير النتائج النهائية كما يبينها الجدول رقم 51 عن النتائج في الجرائد الثلاثة من حيث ترتيب الفئات الأربعة التي صنف فيها موقع الخطاب الإسلامي عبر صفحات الجرائد في الدراسة، فقد استأثرت الصفحات الداخلية (ص2-23) بمعظم الترددات في الجرائد موضوع البحث التي احتلت المرتبة الأولى فيها كلها، وكذا في النتائج النهائية بـــ562 ترددا وبنسبة 79,60% من الصفحات التي عولج فيها الخطاب الإسلامي في مختلف موضوعاته وفئاته الفرعية.

وجاءت فئة "الصفحة الأخيرة" في المرتبة الثانية بـــ96 ترددا وبنسبة 13,60% من الصفحات التي تناولت الخطاب الإسلام فيها.

وجاءت في الأخير فئة "الصفحة الأولى" في المرتبة الثالثة بـــ48 ترددا وبنسبة 6,80% من مجمل الصفحات التي تناولت الخطاب الإسلامي.

ونعرض هذه النتائج في الشكل البياني الموالي.

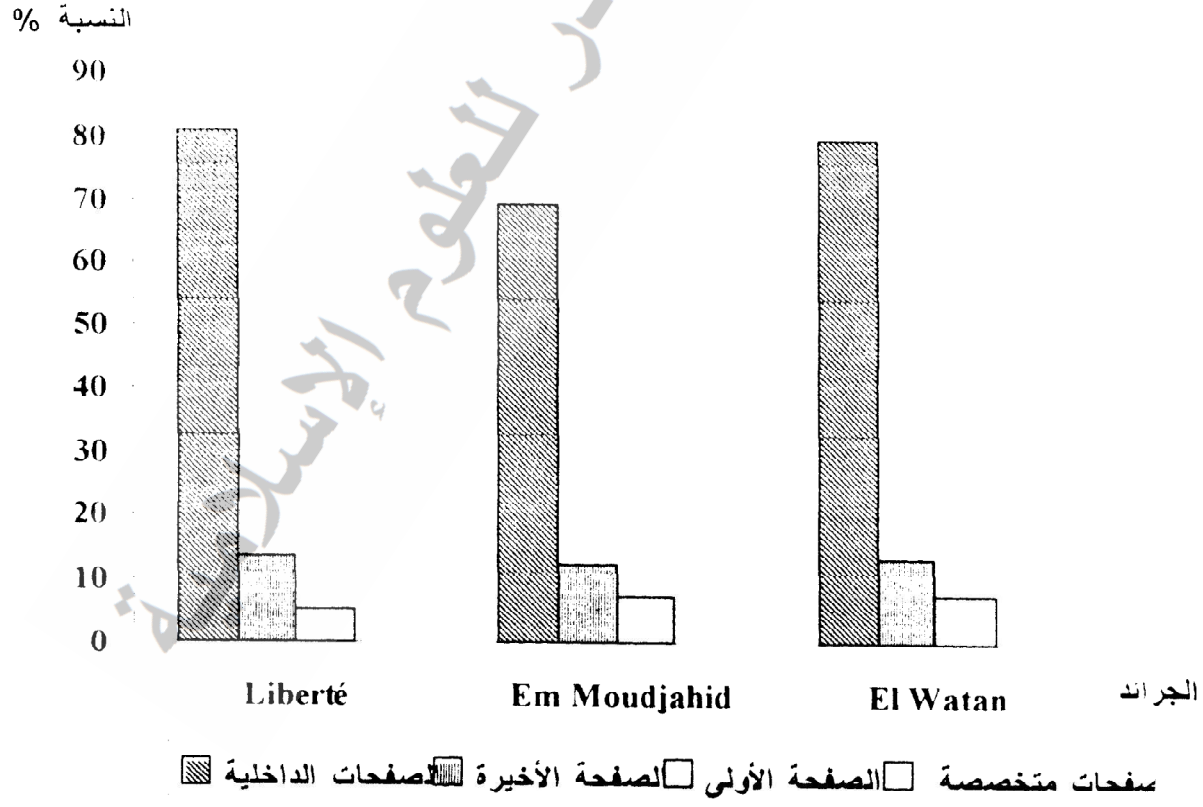

الشكل رقم 10 : نتائج فئة الموقع في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

المبحث الثاني: نتائج فئة "الشكل الصحفي" في الجرائد الثلاث موضوع البحث

أولا: بيانات ونتائج فئة الشكل الصحفي في جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات الشكل في جريدة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	خبر صحفي	60	26,79
2	تقرير صحفي	45	20,09
3	عنوان صحفي[1]	42	18,75
4	مقال تحليلي	29	12,95
5	مقال رأي	15	6,70
6	صورة صحفية	10	4,45
7	كاركاتور	8	3,57
8	مقال افتتاحي	5	2,23
	حديث صحفي	5	2,23
9	عمود صحفي	4	1,78
10	روبورتاج	1	0,45
11	رسم	-	-
	خطاب رسمي (رئيس الجمهورية رئيس الحكومة)	-	-
المجموع		224	100

الجدول رقم 52: نتائج فئة "الشكل الصحفي" في عينة جريدة "Liberté"

توزعت فئات الشكل الصحفي في جريدة "Liberté" على مختلف الأشكال الصحفية المصنفة في الدراسة لكن بنسب متفاوتة يمكن أن نميز من خلالها بين أربع فئات ظهرت بشكل بارز بتسجيلها لأكثر التكرارات في هذه الفئة تراوحت بين 29 و60 مرة وبين السبع الفئات المتبقية التي تراوحت تكرارات خمس منها بين التكرار الواحد و15 تكرار بينما لم تسجل الفئتين

[1]-وقد تم التعامل بطبيعة الحال مع العناوين التي تحمل مضمونا له علاقة بالإسلام والخطاب الإسلامي.

"رسم" و"خطاب رسمي" أي تكرار في هذه الفئة.

وبين الفئات الأربع الأكثر ورودا في الجريدة برزت فئة "الخبر الصحفي" التي سجلت لوحدها 60 ترددا مستغرقة بذلك 26.79% من مجمل التكرارات أو أكثر من ربع (1/4) ما ورد من تكرارات في فئة الشكل الصحفي، وهو ما يؤكد على طبيعة الجريدة بكونها يومية خبرية ويعتبر "الخبر الصحفي" شكلها الأساسي في مادتها التحريرية، وقد توزعت أخبار "Liberté" على مختلف المجالات المعتمدة في الدراسة وإن كان المجال الأمني والسياسي على التوالي، قد استأثرا بأكثرها والتي تمحورت فيها حول أخبار الجريمة (الإرهاب) والجماعات الإرهابية، وكذا أخبار الأحزاب والشخصيات الحزبية الإسلامية أثناء الحملات الانتخابية للتشريعيات والمحليات.

وتبرز ملاحظة افتقار فن الخبر الصحفي في جريدة "Liberté" إلى الحيادية والموضوعية في كثير من الأحيان، حيث يتميز بالإيحاء والتعليق من جهة، ثم بعدم الدقة أحيانا خاصة فيما يتعلق بعمومض معيار وصف الجرم بالإرهاب في الجريدة، فهي تنقل حيثيات واحدة، لجرم واحد، لكنها تصفها مرة بالإرهاب ومرة أخرى بأعمال أشرار، تقمصوا صفة إرهابيين مع الاختلاف المعروف بين الوصفين من حيث ما يترتب على كل منهما من حكم وجزاء، فقد أوردت الجريدة خبرا عن جماعة أشرار تقوم بترويع السكان (يقرب تيزي وزو) وتنصيب الحواجز الزيفة، تنتهك منازل المواطنين، تسطو على الأموال وحين فتشت مصالح الأمن منازل المجموعة وجدت فيها أسلحة بيضاء، سيوف، سكاكين قناصة، بنادق صيد، سراويل عسكرية، لحى مزيفة (!) ومع ذلك تكتفي الجريدة بوصفهم بجماعة أشرار وأنهم ينتحلون صفة إرهابين[1].

وجاء في مضمون عنوان وخبر عن مقتل –إرهابيين– من طرف قوات الأمن التي استرجعت مسدسات آلية، هنا نهاية الخبر، وتصيف الجريدة «منطقة البليدة مشهورة بكونها مجال نشاط لجماعة رشيد أبو تراب الذي وعد بمواصلة طريق سلفه "عنتر زواوي".. [2]. وإذا كان ربط الجريدة بين الفقرتين واضح فإن الرابط الواقعي غامض وتعليق الجريدة أضاف للخبر ما ليس منه مما يضر بدقة الخبر وحياده.

---

[1]-Une bande de Malfaiteurs armés arretée a Draâ EL Mizane, Ils se faisaient passer pour des terroristes, Liberté, N°2859, Op-Cit, P24.

[2]-Blida, Deux terroristes abattus, Liberté, N°3050, Lundi 14 Octobre 2002, P24.

وقد لاحظت الباحثة أن أكثر أخبار "Liberté" تنشر في صفحة أسرار الجريدة "Radar" وكذا في صفحتها الأخيرة.

واعتمدت جريدة "Liberté" على فئة "التقرير الصحفي" بنسبة هامة لكن أقل من فئة الخبر، حيث رصدت هذه الفئة 45 مرة واستغرقت من ثم نسبة 20.09% من مجمل التكرارات، وقد تراوحت عبر أعداد العينة بين التردد الواحد والثماني ترددات بينما خلا عددان من أي تقرير يتناول الخطاب الإسلامي، وقد تنوعت هذه الفئة بين تناولها للمضامين الثقافية والتربوية لكن أساسا السياسة عبر الجريدة.

وبرزت فئة "العنوان الصحفي" في "Liberté"، حيث رصدت 42 مرة واستغرقت نسبة 18.75% من مجمل ما ورد في فئة الشكل الصحفي من ترددات وتميزت بالحدّة والقوة والجرأة عموما، وهو ما يؤشر إلى قوة القائمين على الجريدة أو تنفذهم بالوصول إلى مصادر الخبر أو تسجيل موقفها من الأحداث بمقالاة واضحة، وإن كانت عناوين الأخبار التي تعلقت بأخبار الجماعات الإسلامية المسلحة والإرهابيين، قد سجلت أكثر الترددات، والتي تكون متضمنة في مفردات العناوين الرئيسية أو الفرعية منها.

وسجلت فئة "المقال التحليلي" 29 تردد واستغرقت بذلك 12.95% من مجمل التكرارات في الفئة -الشكل الصحفي- بالجريدة، وتراوحت عبر أعداد العينة بين المرة الواحدة (في ستة أعداد) والمرتين (في أربع أعداد) والثلاث مرات (في عدد واحد) واستأثر العدد 2929 بأكثر الترددات إحصاء في هذا الشكل.

وتميز المقال التحليلي في جريدة "Liberté" بكثافة المادة التحريرية وبالسلبية عموما فيما يتعلق منها بالخطاب الإسلامي في فئاته المعتمدة في الدراسة، ويبدو ذلك من إيراده للأسماء والحيثيات ثم بالعبارات الجريئة والقوية في التهمة إذا كان موضوع تهمة وفي السخرية والتهكم حتى ولو كان الأمر يفترض عدم الإدغال في ذلك احتراما للرأي الآخر وشخصيات الآخرين، واستأثرت التحليلات السياسية عبر هذا الشكل في تناول موقف الجريدة من الانتخابات ومشاركة الأحزاب الإسلامية فيها والتعليق على نتائجها.

ويأتي شكل "مقال الرأي" في المرتبة الخامسة كما يوضحه الجدول أعلاه، حيث رصد عبر 15 ترددا واستغرق 6.70% من مجمل التكرارات، وهي نسبة قليلة مقارنة بنسب الأشكال الأربع

السابقة، لكن تعبر عن بروز هذا الشكل أيضا في الجريدة وتراوح تردده عبر الأعداد بين المرة الواحدة (سبعة أعداد) والمرتين (عدد واحد) والثلاث مرات (في عددين)، ولم يخرج مقال الرأي عن ميزة الجريدة في الجرأة والحدة، والمبالغة أحيانا وخاصة في ذلك ما ورد في مضامين الصحفي "يوسف بن عدودة" فيما يتعلق بالتهكم من أساتذة الشريعة الإسلامية، ومن الفتوى الشرعية، ومن الحدة في موقفه من الحجاب أو في إيحاءاته السلبية تجاه الأحزاب الإسلامية وشخصياتها عبر مقالات رأي غيره من الصحفيين في الجريدة.

وسجلت فئة "الصورة الصحفية" عشر ترددات عبر عينة جريدة "Liberté" واستغرقت نسبة 4.45% من مجمل ما ورد منها في هذه الفئة، وتنوعت بين صور لنساء محجبات أو شخصيات رؤساء الأحزاب الإسلامية، مرفقة لمواضيع تسجل بها الجريدة إيحاءاتها عبر الصورة لمعاني مختلفة، وقد تراوحت هذه التكرارات بين المرة الواحدة والثلاث مرات، عبر ستة أعداد بينما خلا 13 عددا منها.

وتأتي فئة "كاركاتور" في المرتبة السابعة في ترتيب الأشكال الصحفية التي اعتمدت عليها جريدة "Liberté" وقد رصدت ثماني مرات واستغرقت 3.57% من مجمل التكرارات في هذه الفئة.

وقد فرض فن "الكاركاتور" نفسه منذ 1988م كشكل هام من أشكال التعبير في الصحافة الجزائرية والساخرة منها على وجه الخصوص، واعتمدت عليه الصحافة المكتوبة بالفرنسة ومن بينها جريدتنا "Liberté" كوسيلة تبليغ وتكوين الرأي العام، حيث يستطيع هذا الشكل الصحفي أن يبلغ ويوضح الرسالة التي يحملها في ثناياه من جهة ثم سهولة قراءة هذه الرسالة من طرف القارئ كما أثبتته دراسة عن الموضوع لجريدة "Le Matin"[1].

وكسر "الكاركاتور" في جريدة "Liberté" مفهوم حرية التعبير الذي تتبناه الجريدة لكونه يحمل رأيا لا خبرا.

وتميز "كاريكاتور" "Liberté" في تناوله للخطاب الإسلامي بالجرأة الشديدة سواء من حيث الآراء التي يعرضها أو الطريقة التي يطرحها بها أو التعليقات التي ترفق مع الرسم الكاريكاتوري، وقد جاءت في مجملها في سياق ملفت للانتباه وسنعرض لذلك نماذج في الملاحق.

---

[1]- سعيد بناني، أليسة حمادي، الكاريكاتور كوسيلة إعلام وتكوين الرأي العام، دراسة حالة جريدة "Liberté"، مذكرة ليسانس، معهد الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1993-1994.

وتناول "المقال الافتتاحي" في جريدة "Liberté" للخطاب الإسلامي خمس مرات وهي التي رصد فيها عبر العينة التي جرت عليها الدراسة واستغرق 2,23% من مجمل التكرارات في فئة الشكل الصحفي، وقد تداول على كتابته في الجريدة عدد من الصحافيين مع ملاحظة غياب الأسماء المسؤولة فيه، وللمقال الافتتاحي في "Liberté" عنوان ثابت "L'édito" وعناوين تختلف حسب مضمون المقال الذي يأتي في الصفحة الثانية من الجريدة، بدلا من الصفحة الأولى مكانه الطبيعي كما هو معروف.

وتساوت فئة "حديث صحفي" مع فئة "المقال الافتتاحي" حيث رصدت خمس مرات واستغرقت هي أيضا 2,23% من مجمل التكرارات.

وسجلت فئة "عمود صحفي" أربع ترددات في عينة جريدة "Liberté"واستغرق1,78% من مجمل التكرارات في هذه الفئة.

وجاءت فئة "روبورتاج" في المرتبة الأخيرة، حيث لم ترصد إلا مرة واحد وسجلت من ثم 0,45% فقط من التكرارات.

ولم تسجل فئة "الرسم" و"خطاب رسمي" أي تردد في عينة جريدة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة، مع أن الجريدة تعتمد الرسم البدوي أيضا –فيما عدا الكاريكاتور–في تناول بعض المواضيع لكن أيا منها لم يعرض إلى الخطاب الإسلامي في مختلف الفئات المعتمدة، أما فيما يتعلق "بالخطاب الرسمي" فالجريدة لا تنقل نصوص الخطابات الرسمية على صفحاتها كما تفعل جريدة "El Moudjahid" وبدلا من ذلك وتقتبس منها جملا أو عبارات تخدم اتجاهها في مضامين مختلفة وخاصة منها الثقافية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: بيانات ونتائج فئة الشكل الصحفي في جريدة "El Moudjahid"

ونلخصه في الجدول الموالي حسب الترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة

الترتيب	فئات الشكل في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	تقرير صحفي	38	32,48
2	خبر صحفي	26	22,22
3	صورة صحفية (مرفقة)	17	14,53
	عنوان صحفي	17	14,53
4	مقال تحليلي	9	7,69
5	مقال رأي	7	5,98
6	خطاب رسمي رئيس الجمهورية رئيس الحكومة	3	2,57
7	حديث صحفي	-	-
	عمود صحفي	-	-
	ريبورتاج	-	-
	مقال افتتاحي	-	-
	كاريكاتير	-	-
	رسم	-	-
المجموع		117	100

الجدول رقم 53: نتائج فئة الشكل الصحفي في عينة جريده "El Moudjahid"

تعد الأشكال الصحفية بمثابة الصورة النهائية التي يظهر بها الموضوع على صفحات الجرائد، وترتبط مسألة اختيار هذه للأشكال الصحفية التي تقدم بها مواضيعها للقراء، بالإضافة إلى طبيعة الموضوع والجمهور الذي تستهدفه ووظيفته الشكل إلى موقف الجريدة نفسها من الموضوع ومن ثم تأتي أهمية تحديد هذه الأشكال عبر الجريدة وبالتالي إظهار مدى اهتمامها بالمواضيع المختلفة التي تقدم من خلالها خطابها الإعلامي ورسالتها الإعلامية.

وقراءة الجدول الخاص بفئة الشكل الصحفي الذي قدمت به جريدة "EL Moudjahid"

الخطاب الإسلامي تبين أن شكل التقرير الصحفي استأثر بأكبر التكرارات وجاء في المرتبة الأولى بين مختلف الأشكال التي رصدتها الباحثة، فقد جاء بـــ38 تكرارا وبنسبة مئوية تعادل 32.48% ومن ثم استغرق أكثر من ثلث أشكال الجريدة في عرضها للخطاب الإسلامي، ويأتي "الخبر الصحفي" في المرتبة الثانية بـــ26 تكرارا، مستغرقا 22.22%، وهو ما يعني أن الجريدة في اهتمامها بالخطاب الإسلامي اعتمدت الرواية الموضوعية له، ومع نقلها للرواية بمنظور ذاتي نظرا لكون الصحفي شاهد عيان وهو شرط أساسي وضروري بالنسبة لشكل التقرير الصحفي[1]، كما يؤكد ذلك المختصون في هذا المجال من جهة أو نقلها لمعطيات الخبر في شكلها الخام يفيد بأن "El Moudjahid" في نقلها لقضايا الخطاب الإسلامي أو عرضها له أو بيان موقفها منه إنما يتم عبر ما تنقله من معلومات وتتابعه من أحداث وتغطية من نشاطات فهي بالتالي تنقل الخطاب وتعرضه، ولا تصنعه إلا فيما تتبناه الجريدة من الخطاب الرسمي والذي يعد سمة الجريدة الأساسية في نقله بنصه عبر صفحاتها، في مختلف المناسبات، ولذلك خصصت الباحثة شكل "الخطاب الرسمي" كفئة مستقلة، حيث أنها لم تدرجه ضمن أي شكل من الأشكال الصحفية وقد رصدت ما تناول الخطاب الإسلامي منه عبر الجريدة في ثلاث تكرارات وبنسبة مئوية تعادل 2.57%.

وفي المقابل جاءت فئة "المقال التحليلي" و"مقال الرأي" متقاربين في التكرارات لكن بصفة أقل بكثير من كل من فئة "التقرير الصحفي" و"الخبر الصحفي" حيث جاء بـــتكرارات بالنسبة "للمقال التحليلي" وبنسبة مئوية يعادل 7.69%، و7 تكرارات بالنسبة لمقال الرأي وبنسبة مئوية تعادل 5.98%.

وقد تساوت فئة "العنوان الصحفي" مع فئة "صورة صحفية" واللتين وردتا بـــ17 تكرارا لكل منهما وبنسبة مئوية تعادل 14.53% لكل واحدة منهما، وقد لاحظت الباحثة أن الصورة المرفقة للمواضيع ذات العلاقة بالخطاب الإسلامي قد ركزت على صور رؤساء الأحزاب الإسلامية، وعلى صورة بعض النساء المحجبات.

ولم ترصد الباحثة أي تكرار لبقية الأشكال الصحفية في عينة "El Moudjahid" وهي فئة "المقال الافتتاحي" و"الكاريكاتور" و"الرسم" و"الحديث الصحفي" و"الروبورتاج" و"العمود الصحفي" والتي جاءت كلها بنسبة صفر وهو ما تعده الباحثة نقصا في تنويع المادة الإعلامية،

---

[1]-انظر: نصر الدين العياضي، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص13.

بالنسبة لجريدة "El Moudjahid" خاصة لأهمية الأشكال الغائبة في طرح الأفكار وترسيخ القناعات، لكن اهتمام الجريدة "بالخبر" و"النشاط الرسمي" الذي يستغرق أكثر صفحاتها بمختلف تظاهراته قد يكون أغنى الجريدة في ذلك للتعبير عن طريقه في هذا المجال.

ثالثا: بيانات ونتائج فئة "الشكل الصحفي" في جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات الشكل في جريدة El Watan	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	تقرير صحفي	78	29,00
2	خبر صحفي	59	21,93
3	عنوان صحفي	43	15,98
4	مقال تحليلي	39	14,50
5	مقال رأي	15	5,58
	صورة صحفية	15	5,58
6	مقال افتتاحي	06	2,23
	حديث صحفي	05	1,86
	عمود صحفي	05	1,86
8	روبورتاج	02	0,74
	رسم	02	0,74
9	خطاب رسمي (رئيس جمهورية- رئيس الحكومة)		
	كاريكاتور		
	المجموع	269	100

الجدول رقم 54: نتائج فئة الشكل الصحفي في جريدة "El Watan"

تفيد نتائج الجدول أعلاه أن جريدة "El Watan" قد اعتمدت في الأساس على شكل "التقرير الصحفي" في تقديمها للخطاب الإسلامي، وقد تردد هذا الشكل 78 مرة عبر العينة التي جرت عليها الدراسة، واستغرق 29,00% من مجموع الأشكال الأخرى التي احتوتها الجريدة،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد تركز هذا الشكل على تغطية النشاطات الحزبية أو الكثير من الأحداث المتنوعة السياسية والثقافية خاصة عبر الجزائر العاصمة، وولايات الوسط الجزائرية مثل تيزي وزو وبجاية وبومرداس وبليدة وغيرها، وذلك عن طريق العمل الجواري الذي نشطت به الجريدة عبر شبكة مكاتبها وصحافييها، وكانت للأحزاب الفاعلة في منطقة القبائل وجمعياتها وأحداثها حصة الأسد في كل ذلك، وبعض مناطق الجزائر الأخرى لكن بنسبة أقل بكثير.

وقد اعتمدت الجريدة أيضا وبكثرة على شكل "الخبر الصحفي" وإن كان قد سجل نسبة أقل من شكل التقرير وهي 59 تكرارا، واستغرق بالتالي نسبة 21,93%بين مجموع الأشكال التي اعتمدتها الجريدة وتركزت مواضيع "الخبر الصحفي" حول أخبار الجرائم والعنف و"الإرهاب" والجماعات الإسلامية المسلحة"، التي برزت بشكل كبير إحصائيا مع ملاحظة أن "الخبر" في جريدة "El Watan" وفي هذه المواضيع بالذات، لا يحتوي على معلومات نهائية ودقيقة والتي تميز حيادية هذا الشكل وموضوعيته، فغالبا ما تقدم الجريدة وصف العمل الإجرامي "بالإرهاب" أو تنسبه إلى "إرهابيين" أو إلى "جماعات إسلامية" تذكرها بالاسم أو بتذكر ما يفيد ذلك بذكر وصف "الأمير" وغيره، وكل ذلك في عنوان الخبر وكذا في مضمونه ثم تأتي في خاتمة الخبر لتذييله ما يفيد أن هوية الفاعلين لم تحدد بعد أو أنها في إطار البحث والتأكد.

وقد تبدأ الجريدة "الخبر" بتقديم تهمة الإرهاب"، فقط على سبيل ما تقول في المضمون أنه «يعتقد أن الفاعلين ينتمون إلى جماعة فلان أو الأمير فلان، أو تذييله فقط بكلمة كما يظن ومما جاء فيه: «وقد أسفرت عملية التمشيط عن استرجاع أسلحة نارية وكميات من الأطعمة تركها الإرهابيون الذين كان عددهم عشرة، كما يعتقد»[1].

وفي المقابل تعنون الجريدة بعض الأخبار بما يفيد أن المجرمين قد تقمصوا شكل أو أعمال الإرهابيين وإجرامهم ولذلك فهم ليسوا بإرهابيين مثل ما أوردته "El Watan" في عددها 3595 كعنوان خبر يفيد ذلك[2] مع أن الجرم في هذا الخبر يوصف في خبر آخر بوصف الإرهاب. وهذه الملاحظات وغيرها تدعو إلى التساؤل عن معايير تصنيف الجرم بالإرهاب في الجريدة من عدمه من

---

(1)-M.Abdelkarim, Terrorisme, Ratissage à Meriine, El Watan, N°3602, Dimanche 6 Octobre 2002, P2.

(2)-Ils se faisaient passer pour des terroristes, El Watan, N°3595, Vendredi, 27 Septembre 2002, P23.

جهة، وهو ما يؤكد الغموض الذي يلف هذا المصطلح منذ ظهر وحتى الآن سواء على المستوى العالمي والمحلي لكنه من جهة أخرى يفقد "الخبر" في جريدة "El Watan" أهم عناصر تعريفه والتي تتمثل في أنه «تقرير يصف في دقة وموضوعية حادثة أو واقعة أو فكرة صحيحة تمس مصالح أكبر عدد ممكن من القراء وهي تثير اهتمامهم بقدر ما تساهم في تنمية المجتمع وترقيته»[1]. فحين تتدخل الجريدة في شرح الخبر والتعليق عليه وإضافة ما ليس فيه إليه حينها يتحول إلى موقف جاهز وتقرير غير واقعي ويمكن تعميم هذه الملاحظات على العناوين بالجريدة أيضا. ويراد من حدارة هذه الملاحظات إيراد هذه العناوين وهذه الأخبار على أهم الصفحات قراءة في الجريدة وهي إحدى واجهتيها –الصفحة الأخيرة–، وكذا الصفحة رقم2، و3 ورقم 23 منها وعلاقة ذلك بمهمة إعلام المواطن بالموضوعية والمصداقية المطلوبة.

وقد ظهرت فئة "عنوان صحفي" بشكل بارز في عينة "El Watan" حيث سجلت ثالث أكبر نسبة من التكرارات بين مختلف الأشكال الصحفية التي تضمنت الخطاب الإسلامي في الجريدة وبلغت 43 مرة واستغرقت بالتالي نسبة 15,98% منها، وتنوعت هذه الفئة بين العناوين الرئيسية للمواضيع التي تنتهج الصحيفة فيها أسلوب التلخيص وبين العناوين الفرعية التي تتضمن تفاصيل جديدة وتضيف أحكاما أو تسجل مواقف مع ملاحظة السلبية الغالبة في مضمون العناوين الرئيسية منها والفرعية عبر العدد الواحد وأعداد العينة والتي تنوعت بين السخرية، والتهكم، أو تسجيل نقيصة، أو تعميم تهمة أو تحذير مبالغ فيه وخاصة عبر عناوين التقارير الصحفية عن نشاطات الأحزاب الإسلامية وشخصياتها وزعمائها وكذا أشكال صحفية أخرى تتناول ذكر الإسلاميين عموما أو مضامين التي تتناول الخطاب الإسلامي عبر الفئات المختلفة التي تم رصدها بهذه الدراسة وفيما يلي نماذج من ذلك توردها الباحثة للتدليل على هذه الملاحظات وتتعلق على التوالي بزعيم حركة مجتمع السلم، الأستاذ محفوظ نحناح –رحمه الله– ورئيس حزب النهضة الدكتور لحسب آدمي، ثم رئيس حركة الإصلاح الوطني السيد عبد الله جاب الله وبعدها مواضيع أخرى.

-Une scène pour Nahnah, vite (!)[*] [2]

---

[1]-فاروق أبو زيد، فن التحرير الصحفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1984، ص56.

[*]-التسطير مقصود من الباحثة

[2]-El watan, N°3474, Jeudi 9 Mai 2002, P23.

-Nahnah, ne veut pas régler le problème du logement[1].

-Nahnah pour l'Amnestie fiscale,

... il est cette fois, d'accord pour blanchir l'argent sale[2].

-Nahnah, L'astuce[3].

-Lahbib Adami mort de jalousie[4].

-Adami de la montagne[5].

-Adami contre la reforme de l'école[6].

-Djaballah, Courtise L'eX- Fis[7].

-Peu de monde pour la sortie de Djaballah à Oran ;
c'est devant une salle presque vide que le leader de MRN a appelé les électeurs à voter[8].

-Djaballah, "El Islah est la deuxième force politique"[9].

-Regression du MSP et d'Ennahdha.

**Nahnah malade n'a pu mener à terme la compagne electorale..*

**Après le départ de Djaballah , Le mouvement Annahdha a connu une grande chute sous l'ère Adami*[10]

-Percée Islamiste à M'sila[11].

-Skikda, La Wilaya entre les mains d'El islah[12].

-La fin des Illusions :

**Une chose est sûre : le discours islamiste ne fait plus recette.*

[1]-El Watan, N°3448, Vendredi 17, Semedi 18 Mai 2002, P3.

[2]-El Watan, N°3489, Lundi 27 Mai 2002, P9.

[3]-Ibid, P23.

[4]-El Watan, N°3448, Op Cit, P23.

[5]-Ibid, P9.

[6]-El Watan, N° 3489, Op-Cit, P3.

[7]-Ibid, P7.

[8]-El Watan, N° 3448, Op Cit, P3.

[9]-El Watan, N° 3609, Lundi 14 Octobre 2002, P2.

[10]-Ibid, P4.

[11]-Idem.

[12]-El Watan, N° 3619, vendredi 25 Samedi 26 Octobre 2002, P9.

*Attention aux désillusions[1].

-L'opinion Egyptienne et la situation en palestine.

*Les Islamistes veulent récupérer la rue.

*Beaucoup de questions se posent à propos de la place des intégristes sur la scène politique[2].

واعتمدت الجريدة على "المقال التحليلي" وبنسبة كبيرة أيضا، وقد سجل 39 ترددا وذلك بنسبة 14.50% من مجمل ما اعتمدته الجريدة من أشكال صحفية ومقارنة مع نسبة بقية الأشكال المرصودة في الدراسة، وهو ما يدل على أن الجريدة تهتم بتوضيح وتفسير وشرح الأحداث لجمهورها وتقديم وجهة نظرها من خلالها بهدف إقناعه بها إزاء الاتجاهات التي تتبناها وتروج لها وتعمل على ضم أكبر عدد ممكن من القراء لمنصارتها ومسايرتها في ذلك... وتسجل الباحثة أنه لم يتناول المقال التحليلي في أي مرة الخطاب الإسلامي لذاته في مختلف مضامينه بالتحليل أو الدفاع أو التفسير وإنما يأتي ذكره ضمن ربط الأحداث والتعليقات والأخبار الواردة في المقال بمضمون إسلامي أو شخصية إسلامية حزبية أساسا في موضوعنا.

وتأتي بقية الأشكال المصحفية التي اعتمدتها الجريدة بعد الأشكال الأربعة الأولى بنسبة قليلة مثلما هو الأمر بالنسبة لكل من "الصورة الصحفية" و"مقال الرأي" اللذين سجل كل منهما 15 تكرارا واستغرقا بالتالي 5.58% فقط بين مجمل الأشكال الصحفية الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن الصورة التي تواجدت في أعداد العينة لم تستعمل في مجملها لتدعيم المقالات أو المواضيع بشكل مباشر، وقد أرفقت في الغالب دون وضع تعليق عليها أو عنوان تحتها مع المضامين أو الشخصيات الإسلامية وهي الأكثر في العينة. ويترك ذلك لحصافة القارئ في قراءتها ضمن مضمون الموضوع الذي أرفقت به في إيراد صورة لزعيم حزب إسلامي في حالة سكون أقرب إلى الجمود –مثلا– في مقابل صورة لزعيم حزب لائكي في حالة خطاب وحركة وابتسام مع إيراد الألقاب العلمية بالنسبة للثاني وتجاهلها بالنسبة للأول...الخ.

وتأتي فئة "المقال الافتتاحي" في المرتبة السادسة ضمن الترتيب الذي ظهرت عليه الأنواع الصحفية التي اعتمدت عليها جريدة "El Watan" عبر العينة التي جرت عليها الدراسة، حيث

---

[1]-El Watan, N° 3474, Op-Cit, P13.

[2]-El Watan, N° 3489, Op-Cit, P7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سجلت 6 تكرارات فقط واستغرقت بالتالي 2.23% من مجموع الفئات الأخرى، وهو أمر طبيعي باعتبار المقال الافتتاحي واحد في كل عدد، وبالنسبة لجريدة "El Watan" فقد ظهر في الصفحة الأولى في الأعداد التسعة الأولى من العينة، وفي الصفحة الأخيرة في الأعداد المتبقية منها وذلك في إطار مميز بعنوان ذات "تعليق" بالإضافة إلى عنوان خاص بكل موضوع عبر العينة وتداول على كتابته عدد من الصحفيين بالجريدة مع ملاحظة غياب أسماء الصحافيات تماما عن كتابة تعليق الجريدة مع وجودهن المكثف مع مختلف الأشكال الصحفية الأخرى والمضامين الهامة فيها، وتحوّل التعليق من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة يعطي الانطباع بأن مضمونه يسجل فعلا موقفا خاصا بالجريدة وخطابا واضحا لما أوردته من مضامين عبر صفحاتها الأربع والعشرين وهو الذي يلخصه عنوان المقال "تعليق" ويشبع معناه فعلا لسياسة الجريدة.

وتتساوى فئة "الحديث الصحفي" مع فئة "العمود الصحفي" في تسجيل كل منهما لخمس تكرارات عبر عينة "El Watan" التي جرت عليها الدراسة واستغراقهما لنسبة 1.86% من مجمل الفئات الأخرى التي اعتمدت عليها الجريدة .

وقلة فئة "الحديث الصحفي" كما هو واضح لا يتناسب مع عدد المراسلين والمكاتب والمبعوثين والتوقيعات الكثيفة عبر الجريدة ولا يتماشى مع كثافة النشاط الإعلامي الحواري الذي تقوم به الجريدة كما تعبر عنه تلك التوقيعات، خاصة إذا كان "الحديث الصحفي" يعطي الانطباع بصدقية المصدر من جهة، وصدقية الوقائع والأحداث حين تنقل بالشكل الصحيح الذي حدثت به أو التي أرادها موقعوها أن تظهر عليه فعلا، وقد لاحظت الباحثة في المقابل أن الجريدة هي التي تقوم عبر صحافيها بنقل الأحداث والتعليق عليها بالشكل الذي يعكس وجهة نظر الجريدة إيجابا أو سلبا مع ثباتها في هذا الاتجاه أو ذاك عبر كل العينة، مما يشكل عدم توازن غالبا بين حقيقة ما وقع فعلا وما أرادت الجريدة نقله تحديدا وهو ما يسهل ملاحظته على المتابع للحدث الواحد عبر وجهات نظر مختلفة أو عبر عناوين صحفية متعددة.

وقد تفسر قلة فئة "الحديث الصحفي" بجريدة "El Watan" باعتبارها جريدة إخبارية أساسا ومع ذلك تبقى القراءة الذاتية لخلفية الأحداث والتعليق عليها هي سيدة الموقف عبر مختلف الأشكال التي عبرت بها الجريدة في عينة الدراسة عموما.

أما فئة "العمود الصحفي" فوجوده مع قلته دليل على تنويع الجريدة لفنياتها التحريرية فيها

مع ملاحظة سيادة المادة الخبرية في هذا الشكل عبر الجريدة التي تدل على تواجد الجريدة الكثيف عبر المناطق والأماكن موضوع الخبر، ويثبت نشاطها الجواري الكبير فيها ومن ثم تكريس مفهوم الصحافة اليومية الإخبارية من جهة ويبين أن طريقة انتقاء الأخبار والحوادث والأماكن وأسلوب عرضها في حد ذاته خطاب إعلامي يوضح سياسة الجريدة ويحدد اتجاهها وموقفها من كل ما تنقل وتعرض، إيجابا أو سلبا أو تجاهلا وهو ما تعبر عنه نسبة 1.85% من مجمل الفئات الأخرى المتضمنة للخطاب الإسلامي في الجريدة.

وقد سجلت كل من فئتي "روبورتاج" و"رسم" تكرارين فقط عبر عينة "El Watan" واستغرقتا بالتالي 0.75% من مجمل الأشكال الصحفية التي اعتمدت عليها الجريدة ومع قلة فئة "الروبورتاج" عموما عبر العينة التي جرت عليها الدراسة حيث لم تسجل إلا سبعة فقط عبر 22 عددا من "El Watan" إلا أن ذلك طبيعي في الجرائد اليومية الإخبارية، وقد حوى مضمون إثنان منهما الخطاب الإسلامي عبر الفئات الرئيسية المعتمدة في البحث، ولاحظت الباحثة عدم إشباع عدد منها لتعريف وتقنية فن الروبورتاج من حيث استطلاع الوقائع والأحداث من جهة ومن حيث الحيادية في تفسير الظروف والملابسات التي تحيط بالوقائع والعوامل المؤثرة فيها من جهة أخرى، كما تعرفه المراجع في الموضوع[1]، لإغراق بعضها في سرد المادة التاريخية الماضية التي تكون أكثر من ثلثي المادة الإعلامية ثم صياغته بأسلوب تحاملي يظهر توجه الصحفي وموقفه ووجهة نظره أكثر من نقل الواقع واستطلاع الحقائق، ويطرح السؤال عن سبب إدراج الصحيفة تحت عنوان صفحة "Reportage"[2].

وقد اعتمدت "El Watan" على الرسم اليدوي كثيرا عبر صفحاتها وخاصة في التعبير عن الانشغالات الاجتماعية للمواطن الجزائري، وكذا عن المواقف الاجتماعية والسياسية المختلفة وترفق الصحيفة رسوماتها مع مختلف الأشكال الصحفية الأخرى عبر المضامين المختلفة في الصفحات الداخلية وكذا الصفحة الأخيرة أحيانا بالتعليق على تلك المواقف عبر نصوص حوارية أو تأملية (مونولوج) التي يرفق بالرسم والذي يكون موضوعه شخص أو اثنين في الغالب أو أكثر أحيانا، ولا ترفق الرسوم بالتوقيعات في الجريدة، ولم تعتمد جريدة "El Watan" على نقل

---

[1]-انظر: إجلال خليفة، اتجاهات حديثة في التحرير الصحفي، دار الهلال للطباعة، مصر، ط1، 1972، ج1، ص65-75.

[2]-Djamila Barhabib, Les Islamistes veulent recuperer La rue, El Watan, N°3474 Jeudi 9Mai, 2002, P13.

نصوص الخطب الرسمية كاملة على صفحاتها كما تفعله جريدة "El Moudjahid" مثلا ولاحظت الباحثة عدم اهتمام واضح للجريدة بتغطية النشاطات الرسمية، حيث لم تخصص فضاءات عبر صفحاتها لذلك إلا ما ورد منها ضمن أخبار قصيرة عبر تقارير صحفية أو أي أشكال صحفية أخرى تقتبس منها الجريدة جملة أو نصا قصيرا من النص الرسمي (الذي قد يكون قدمه مباشرة، أو رسالة خطية بعث بها الرئيس للمشاركة في نشاط علمي أو غيره ويقرأ نيابة عنه) مما تعلق به أو تؤكد عليه على مضمون موضوع ما تهدف إلى إبرازه دون غيره.

و لم تعتمد جريدة "El Watan" "الكاركاتور" كشكل خاص في صفحة محددة، وبتوقيع صحفي معروف بالجريدة كما تفعله جريدة "Liberté" مثلا

وبهذا تكون جريدة "El Watan" قد نوعت مادتها الإعلامية عبر اعتمادها على أغلب الأشكال الصحفية المعروفة في فنيات التحرير الصحفي والتي تم تصنيفها عبر هذه الفئة من فئات "كيف قيل" في موضوع دراستنا مع ملاحظة اخلالها أحيانا ببعض زوايا تعريف هذه الأشكال أو وظائفها "كالخبر الصحفي" و"الروبورتاج" وهو ما قد يتطلب دراسات أخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: نتائج فئة "الشكل الصحفي" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

جرائد العينة / فئات الشكل الصحفي	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
خبر صحفي	1	60	26,79	2	26	22,22	2	59	21,93	2	145	23,77
تقرير صحفي	2	45	20,09	1	38	32,48	1	78	29,00	1	161	26,39
عنوان صحفي	3	42	18,75	3	17	14,53	3	43	15,98	3	102	16,72
مقال تحليلي	4	29	12,95	4	9	7,69	4	39	14,50	4	77	12,62
مقال الرأي	5	15	6,70	5	7	5,98	5	15	5,58	6	37	6,07
صورة صحفية	6	10	4,45	3	17	14,53	5	15	5,58	5	42	6,89
كاريكاتور	7	8	3,57	-	-	-	-	-	-	10	8	1,31
مقال افتتاحي	8	5	2,23	-	-	-	6	6	2,23	7	11	1,80
حديث صحفي	8	5	2,23	-	-	-	7	5	1,86	8	10	1,63
عمود صحفي	9	4	1,78	-	-	-	7	5	1,86	9	9	1,47
روبورتاج	10	1	0,45	-	-	-	8	2	0,74	11	3	0,50
رسم	-	-		-			8	2	0,74	12	2	0,33
خطاب رسمي		-	-	6	3	2,57	-	-	-	11	3	0,50
المجموع	/	224	100	/	117	100	/	269	100	/	610	100

الجدول رقم 55: نتائج فئة "الشكل الصحفي" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

اقتصرت جريدة "El Moudjahid" في تناولها للخطاب الإسلامي على سبعة أشكال بين 13 شكلا صحفيا تم تصنيف هذه الفئة فيها. فيم تناولته كل من جريدة "Liberté" و" EL Watan" في تسعة أشكال صحفية عبر صفحاتها.

ولم يسجل ترتيب الفئات الخمسة الأولى في الصحف الثلاثة موضوع البحث تفاوتا،

حيث جاءت الأشكال الصحفية على التوالي الخبر، التقرير، العنوان، المقال التحليلي ومقال الرأي، في المراتب الأولى مع اختلاف بين ترتيب كل من الخبر والتقرير بين جريدتي "El Moudjahid" و"El watan" من جهة، وجريدة "Liberté" من جهة أخرى.

وقد اعتمدت الجرائد الثلاثة أساسا على التقرير الصحفي وكذا الخبر الصحفي بشكل أقل لتناول ومعالجة الخطاب الإسلامي فيها، وتفيد بيانات الجدول رقم 53 النتائج النهائية في الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي جاءت كمايلي:

1-فئة "التقرير الصحفي" احتلت المرتبة الأولى بـــ161 ترددا وبنسبة 26.39% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وقد احتلت هذه الفئة المرتبة نفسها في كل من "El Watan" و"El Moudjahid" ، بينما احتلت المرتبة الثانية في "Liberté".

2-فئة "الخبر الصحفي" احتلت المرتبة الثانية بـــ145 ترددا وبنسبة 23.77% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وقد احتلت "الخبر" المرتبة نفسها في كل من "El Watan" و" El Moudjahid"، بينما جاء في المرتبة الأولى في "Liberté".

3-فئة "عنوان صحفي" احتلت المرتبة الثالثة بـــ102 ترددا وبنسبة 16.72% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وقد احتل المرتبة نفسها في الجرائد الثلاثة.

4-فئة "مقال تحليلي" احتلت المرتبة الرابعة بـــ77 ترددا وبنسبة 12.62% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وقد احتلت هذه الفئة المرتبة نفسها في الجرائد الثلاثة.

5-فئة "صورة صحفية" احتلت المرتبة الخامسة بـــ42 ترددا وبنسبة 6.89% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وقد تفاوت ترتيب هذه الفئة في الجرائد بين المرتبة الثالثة في " El Moudjahid" والخامسة في "El Watan"، والسادسة في "Liberté".

6-فئة "مقال الرأي" احتلت المرتبة السادسة بـــ37 ترددا وبنسبة 6.07% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، بينما احتلت المرتبة الخامسة في الجرائد الثلاثة على التوالي.

7- فئة "مقال افتتاحي" احتلت المرتبة السابعة بـــ11 ترددا وبنسبة 1.80% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وقد احتلت هذه الفئة المرتبة السادسة في "El Watan"، والمرتبة الثامنة في "Liberté" في حين غابت عن "El Moudjahid".

8- فئة "حديث صحفي" احتلت المرتبة الثامنة بـ10 ترددا وبنسبة 1,63% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وسجلت هذه الفئة المرتبة السابعة في "El Watan"، والمرتبة الثامنة في "Liberté" وغاب عن "El Moudjahid".

9- فئة "عمود صحفي" احتلت المرتبة التاسعة بتسع ترددات وبنسبة 1,47% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، واشتركت "Liberté" في ترتيب هذه الفئة في المرتبة التاسعة، بينما احتلت هذه الفئة المرتبة السابعة في "El Watan" وغابت في "El Moudjahid".

10- فئة "كاريكاتور" احتلت المرتبة العاشرة بثماني ترددات وبنسبة 1,31% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، ولم تسجل هذه الفئة سوى بجريدة "Liberté".

11- فئة "روبورتاج" احتلت المرتبة الحادية عشرة بثلاثة ترددات وبنسبة 0,50% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، وقد احتلت على التوالي المرتبة الثامنة والعاشرة في "El Watan"، و"Liberté" فيما غابت عن "El Moudjahid"، وقد تساوت فئة "خطاب رسمي" مع فئة "روبورتاج" في المرتبة الحادية عشر، مع أنها لم تسجل سوى في "El Moudjahid" فيما غابت عن كل من "Liberté" و"El Watan".

12- فئة "رسم" احتلت المرتبة الثانية عشر والأخيرة بترددين فقط وبنسبة 0,33% من مجمل الأشكال المعتمد عليها، ولم تسجل هذه الفئة سوى في جريدة "El Watan".

وفيما يلي نعرض هذه النتائج في الشكل البياني التالي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

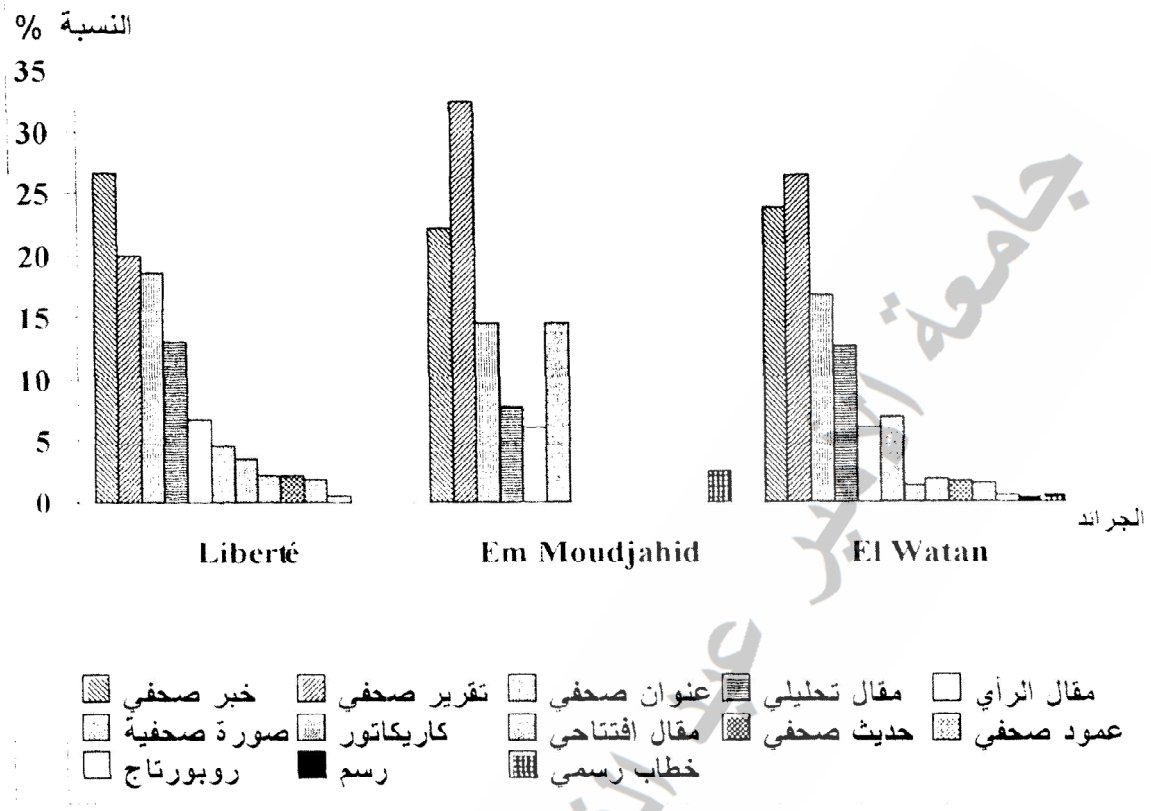

الشكل رقم11: نتائج فئة "الشكل الصحفي" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المحث الثالث: نتائج فئة "وظيفة المضمون" في الجرائد موضوع البحث

أولا: بيانات ونتائج فئة "وظيفة المضمون" في جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات وظيفة المضمون في جريدة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	إعلام وإخبار	92	36,08
2	شرح وتفسير	81	31,76
3	تحريض على الرفض	74	29,02
4	تشجيع على القبول	08	3,14
المجموع		255	100

الجدول رقم 56: نتائج فئة وظيفة المضمون في عينة جريدة "Liberté"

تبين نتائج الجدول رقم 56 أن جريدة "Liberté" قد ركزت على وظيفة "الإعلام والإخبار"، حيث رصدت 92 مرة واستغرقت 36,08% من مجمل التكرارات في هذه الفئة وهو ما يعني أكثر من ثلث الوظائف المصنفة والتي اعتمدتها الجريدة في معالجتها للخطاب الإسلامي وتؤكد هذه النسبة طبيعة الجريدة في كونها إخبارية أساسا، وقد تمحورت هذه الوظيفة في الجريدة على المجال الأمني والسياسي حول أخبار الإجرام والعنف والجماعات الإرهابية من جهة وأخبار الأحزاب والشخصيات الإسلامية والتي تكثر الجريدة منها في صفحتها الأخيرة بالنسبة للأولى وفي الصفحات الخمس الأولى منها عموما أوقات الانتخابات.

وقد سجلت وظيفة "شرح وتفسير" نسبة هامة وغير بعيدة عن وظيفة "الإعلام والإخبار" في الجريدة، حيث رصدت 81 مرة واستغرقت 31,76% من مجمل التكرارات وبالتالي من مختلف الوظائف المعتمدة في هذه الفئة، وهو ما يؤشر إلى أن الجريدة لا تكتفي بنقل الخبر فقط، وإنما تقوم أيضا بشرحه وتفسيره للقارئ عبر تقديم وجهة نظرها وتسجيل موقفها بما يبرر إيرادها لهذه الأخبار بالذات في الأساس، وقد تولت التقارير الصحفية وكذا مختلف المقالات -التحليلي والرأي والافتتاحي- بتقديم زوايا وخلفيات وأحداث أخرى للقيام بهذه الوظيفة في الجريدة.

وبرزت وظيفة "تحريض على الرفض" بشكل بارز في عينة جريدة "Liberté" التي جرت

عليها الدراسة وذلك عبر عدد المرات التي رصدت فيها حيث سجلت 74 ترددا واستغرقت 29,02% من مجمل التكرارات وبالتالي الوظائف المعتمدة وهو ما له دلالة واضحة في تسجيل موقف الجريدة، وتوجه خطابها الإعلامي الذي يتعلق بالخطاب الإسلامي، وقد رصدت الباحثة كثافة السلبية التي عالجت بها الجريدة بمختلف أشكالها الصحفية ومضامينها التحريرية، وهو ما قدمت له النماذج الكثيرة عبر مختلف المجالات الرئيسية المعتمدة في هذه الدراسة.

وتأتي وظيفة "تشجيع على القبول" في المرتبة الأخيرة حيث لم تسجل سوى ثمانية ترددات فقط وبالتالي تستغرق 3,14% من مجمل التكرارات في هذه الفئة وهو ملفت للملاحظة.

ثانيا: بيانات ونتائج فئة "وظيفة المضمون" في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات وظيفة المضمون في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	إعلام وإخبار	45	47,37
2	شرح وتفسير	24	25,26
3	تحريض على الرفض	18	18,95
4	تشجيع على القبول	8	8,42
المجموع		95	100

الجدول رقم 57: نتائج فئة "وظيفة المضمون" في جريدة "El Moudjahid"

تظهر بيانات الجدول رقم 57 نتائج فئة "وظيفة المضمون" الذي تعرضه جريدة "El Moudjahid" على جمهورها، فقد جاءت فئة "إعلام وإخبار" بـ45 تكرارا واستغرقت 47,37% وهو ما يقرب من نصف التكرارات التي وردت بها الفئات الأخرى وتحتل بذلك المرتبة الأولى، وتأتي بعدها فئة "شرح وتفسير" بـ24 تكرارا وبنسبة 25,26% وبالتالي تستغرق ربع التكرارات، ويمكن أن يستدل بذلك على أن جريدة "El Moudjahid" تعتمد على "وظيفة الإعلام" والإخبار أساسا، بمعنى أنها تقوم بتقرير الواقع كما هو وتنقله للقراء بالحياد والموضوعية التي تتطلب أحيانا الشرح والتفسير أيضا لكن دون اتخاذ موقف إزاء ما تنقله إلا في حالات قليلة وهو ما تعبر عنه فئة "تحريض على الرفض" التي جاءت في المرتبة الثالثة بـ18 تكرارا بنسبة

18,95%. ومع ذلك فإن هذه النسبة من "التحريض على الرفض" معتبرة مقارنة بفئة "تشجيع على القبول" التي جاءت في المرتبة الأخيرة بثماني تكرارات وبنسبة مئوية تعادل 8,42%.

وقد لاحظت الباحثة أن وظيفة "الإعلام والإخبار" وكذا وظيفة "الشرح والتفسير" قد تركزت على التوالي، على مواقيت الصلاة الإعلان عن انتهاء موسم الحج ونشاطات الأحزاب الإسلامية، والزيارات الرسمية إلى بعض الولايات التي تم خلالها زيادة بعض الزوايا والتعريف بشيوخها وزيارة الأضرحة، الإعلان عن برنامج شهر رمضان، ثم على أخبار جرائم "الإرهاب" والجماعات المسلحة، كما تناولت الحديث عن اتحاد المغرب العربي... وقد تمت الإشارة إلى أماكن هذه المواضيع وتهميشها مع الفئات الأخرى أما فئة "التحريض على الرفض" فقد تركز تهميشها الحديث عنها عبر تكراراتها حول "رفض الإسلاموية" والوقوف ضد من يوظفون الإسلام لأغراض سياسية، ومواجهة –الاسلاميزم- "Islamisme" لحماية "الديمقراطية" وجاء في ع7 من العينة مثلا، في المؤتمر الدولي حول العولمة "والإرهاب" ما نقلته الجريدة على لسان باحث ومستشار في سوناطراك قوله: الجزائر اليوم توجد في أول الصفوف للحرب على الإرهاب، لأنها منذ عشر سنوات تدافع بشراسة على دولتها الوطنية ومبادئها الجمهورية ضد الهجمة العنيفة والبربرية الإسلام السياسي الإرهابي الذي يمسح الهوية ويقضي عليها»[1]

وركزت تكرارات فئة "التشجيع على القبول" كما لاحظت الباحثة، على مساندة قضية فلسطين والشعب الفلسطيني، وتشجيع الدعوة للحوار بين الثقافات والحضارات، وعلى احترام وتوقير شيوخ الزوايا والأضرحة، وجاء في (ع11) من العينة مثلا: «بأن شيوخ الزوايا حافظوا على التراث الأصيل بالعلم والعمل وبالكلمة والصوت والصورة، واليوم يساهم الحفل عن طريق هذا التراث في نشر الحب والأخوة، والدعوة إلى التضامن ورص الصفوف، وهو ما يدفعنا إلى دعم ونشر هذا النوع من الحفلات» وقد نقلت "El Moudjahid" ذلك عن رسالة من وزيرة الثقافة للحفل الذي كان الأول من نوعه في الجزائر وكان حول المديح الديني بالأمازيغية وذلك في مقال تحت عنوان "تحية الزوايا ورجال الإيمان"[2].

---

[1]-Terrorisme : Des chercheurs algériens accusent, El Moudjahid, N°11423, Op-Cit, P11.

[2]-Mourad.A, Hommage aux Zaouias et.., El Moudjahid, N°11533, Op-Cit, P24.

ثالثا: بيانات و نتائج فئة "وظيفة المضمون" في جريدة "El Watan"

ويلخصها الجدول الموالى حسب الترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات وظيفة المضمون عبر جريدة "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	إعلام وإخبار	110	38,46
2	شرح وتفسير	101	35,31
3	تحريض على الرفض	65	22,73
4	تشجيع على القبول	10	3,50
المجموع		286	100

الجدول رقم 58: نتائج فئة وظيفة المضمون في جريدة "El Watan"

ركزت جريدة "El Watan" على وظيفة "الإعلام والإخبار" وهي الفئة التي سجلت أكثر الترددات بين مختلف فئات "وظيفة المضمون" وهي 110 مرة واستغرقت بالتالي 38,46% من مجمل التكرارات التي تم رصدها في الدراسة وقد يعود ذلك إلى نمط الجريدة باعتبارها يومية وإخبارية والتي تعتمد أساسا على متابعة الأخبار ورصدها لنقلها بالسرعة والجدة اللازمة للجمهور، وقد اعتمدت الجريدة على وظيفة "الشرح والتفسير" بنسبة هامة أيضا حيث سجلت 101 تكرارا واستغرقت 35,31% من مجمل التكرارات، وهو ما يفيد أن "El Watan" تولي أهمية لهذه الوظيفة والتي تتولى فيها مهمة الشرح والتفسير لزوايا وخلفيات الأحداث والوقائع والأفكار عبر المقالات التي تعبر بها جريدة "El Watan" عن خطابها ورسالتها الإعلامية وتوجهاتها لإقناع جمهورها بها بهدف توجيهه إلى تبنيها أو مناصرتها أو رفضها حسب ما تريده الجريدة منه.

وجاءت فئة "تحريض على الرفض" في المرتبة الثالثة حيث سجلت 65 تكرارا واستغرقت 22,73% بين مختلف الوظائف عبر الجريدة وهي نسبة لها دلالتها في إبراز موقف الجريدة وطريقة معالجتها للمضامين الإسلامية فيها عبر مختلف الفئات الرئيسية المعتمدة في الدراسة والتي لم تخف الجريدة من خلالها رفضها بصراحة ووضوح وجرأة، باستخدام الأشكال والأساليب الصحفية في ذلك، لما تسميه بـــ"Islamisme" الذي تعتبره معيقا ومنافيا للانفتاح والحداثة. وإذا كان ذلك

قد بدا بكثرة في الموضوعات السياسية للخطاب الإسلامي في الجريدة والتي هو مرتبط دوما فيها بالموضوعات الأمنية، فإن المواضيع الاجتماعية والثقافية والتربوية تعد المجال الخصب لرصد وظيفة "التحريض على الرفض" عبر الأساليب والأوصاف والأحكام السلبية المختلفة والمتنوعة، كموضوع إصلاح المنظومة التربوية[1] وقضايا المرأة وتبني الجريدة لدعوة الحرية الجنسية كحق من حقوق المرأة وتمكينها من العلاج في هذا الإطار وتصنيفها ذلك كقضية "صحة عمومية"[2].

وكذا قضايا الفنون التشكيلية والموسيقى والغناء والرقص والسينما على الشكل والمفهوم الذي بدت عليه عبر مواضيع الجريدة، وتبقى المواضيع الدينية البحتة وكذا المواضيع الحضارية الإسلامية مجال هام لرصد وظيفة التحريض على الرفض وإن كان الغموض يميز الكثير منها في عدم وضوح أو صعوبة تحديد موقف الجريدة مع افتراض وضوح الأمر فقهيا فيها مثل قضية الخمر والذي تحدثت عنه "El Watan" بشكل يوحي بعدم اكتراثها بحرمتها إسلاميا[3]، أو افتراض وجوب التعليق والرد مثلا حين يتعلق الأمر بالإساءة إلى الدين الإسلامي نفسه، فقد نقلت " El Watan" مثلا **خبر إساءة أحد الفرنسيين للإسلام لكن الجريدة اكتفت بخبر تأجيل المحاكمة وسجلت تعليق محامية هذا الفرنسي بأنه «لزم نص القانون الفرنسي لأنه كما قدرت انتقد الإسلام بوصفه دينا** ولم ينتقد المسلمين ولم يتحدث بما يمكن وصفه بدعوة إلى الكراهية أو العنف ضدهم (!) وأضافت بأنه لا يجب أن نتوقف عند المسؤولية الأخلاقية لأن القضية هي قانونية بحتة لا علاقة لها **بالأخلاق وقالت: إذا عليكم بالهدوء**(!) ثم اقتبست الجريدة نص الإساءة على لسان صاحبها لتنهي بها الخبر: **فالدين الأكثر غباء في العالم هو طبعا الإسلام كما أضاف»**،

---

[1] يعد موضوع تعميم اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الفرنسية منذ السنوات الأولى من التعليم الأساسي محور الجدال الذي كان قائما حول قضية إصلاح المنظومة التربوية التي اقترحها رئيس الحكومة "محمد بن زاغو" الذي كلفه رئيس الجمهورية بهذا الملف، وقد رحب بها الأحزاب العلمانية في الجزائر على رأسها الأحزاب الفاعلة في منطقة القبائل مثل RCD و FFS لكن أيضا حزب PR الحزب الجمهوري الذي يتزعمه "رضا مالك"، كما تبناه حزب جبهة التحرير الوطني على لسان أمينها العام السابق "علي بن فليس"، وفي المقابل اعتبرت الأحزاب الإسلامية ذلك تهديدا لمقومات وثوابت الدولة والشعب الجزائري من الناحية اللغوية تحديدا من جهة وبأنها تجاوز لصلاحيات وسلطة البرلمان لكونها لجنة موازية وغير دمقراطية من جهة أخرى، وقد أعلن وزير التربية الوطنية أبو بكر بن بوزيد، على بداية تطبيقها منذ الدخول المدرسي 2003 بالتدرج.

[2]-Djamila Kourta, N°3425, Op-Cit, P1-4.

[3]- سبق وأن أشرت إلى ذلك وفي مواضعه المختلفة انظر منها مثلا:

A.L, Au Verre, El Watan, N°3432, Op-Cit, P9.

وذلك بعد أن سحبت عنوان الكتاب ومكان وتاريخ صدوره[1]، دون تسجيل أي استنكار أو رد فعل أو تحديد موقف أو حتى وجهة نظر، ومن هذه الإساءة بدا معها رضى جريدة "El Watan" على الإساءة ونصها وأنها لا تأبه بالمسؤولية الأخلاقية على الشكل الذي يدعو إلى التساؤل حول أهمية نقل الجريدة للخبر في الأساس بعدما جعلت له عنوان باسم ذلك فرنسي باللون الأبيض وفي إطار أحمر وما الذي استهدفته وراء ذلك، وهل الواجب والحق في الإعلام يتوقف عند نقل المعلومات حتى ولو كانت مهنية ومسيئة للمتلقي الذي تتحدث باسمه وتدافع عن حقه في التمكن من المعلومات... ثم لماذا تغيب هذه الحيادية النصية لما يتعلق بأخبار تقدم فيها تهمة الإرهاب قبل تحديد هوية الفاعل وتحديد وصف الجرم بناء على ذلك كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك.

وفي الأخير تأتي فئة "تشجيع على القبول" التي لم تسجل سوى 10 تكرارات بين مجموع ما ورد منها عبر فئة وظيفة المضمون واستغرقت منها نسبة 3,50% فقط عبر العينة المدروسة وهذه النسبة وغيرها تفيدنا في الوقوف على بعض زوايا معاني الاستقلالية وحرية التعبير حسب المفهوم الذي تتبناه الصحافة الحرة في الجزائر وخاصة المكتوبة منها باللغة الفرنسية، والذي تشترك معها صحيفة "El Watan" عبر الوعاء اللغوي الذي تكتب فيه.

---

[1]-N.B, Le Verdict renvoyé au 22 Octobre, El Watan, N°3588, Op-Cit, P24.

وانظر الملحق رقم

رابعا: نتائج فئة "وظيفة المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 59 النتائج الكلية لفئة "وظيفة المضمون" عبر الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

جرائد العينة / فئات وظيفة المضمون	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
إعلام وإخبار	1	92	36,08	1	45	47,37	1	110	38,46	1	247	38,84
شرح وتفسير	2	81	31,76	2	24	25,26	2	101	35,31	2	206	32,38
تحريض على الرفض	3	74	29,02	3	18	18,95	3	65	22,73	3	157	24,69
تشجيع على القبول	4	8	3,14	4	8	8,42	4	10	3,50	4	26	4,09
المجموع	/	255	100	/	95	100	/	286	100	/	636	100

الجدول رقم 59: نتائج فئة "وظيفة المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

تماثل ترتيب النتائج النهائية التي ظهرت في الجدول رقم 59 مع الترتيب الذي ظهرت عليه في نتائج كل جريدة على حدة:

1- وقد استأثرت وظيفة "الإعلام والإخبار" بأكثر الترددات في العينة الإجمالية للبحث، حيث احتلت المرتبة الأولى بـــ247 ترددا وبنسبة 38,84% من الوظائف التي اعتمدتها الصحف موضوع البحث.

2-احتلت وظيفة "الشرح والتفسير" المرتبة الثانية بـــ206 ترددا وبنسبة 32,38% من مجمل الوظائف التي اعتمدتها الصحف موضوع البحث.

3-احتلت وظيفة "التحريض على الرفض" المرتبة الثالثة بـــ157 ترددا وبنسبة 24,69% من مجمل الوظائف التي اعتمدتها الصحف موضوع البحث.

4-واحتلت وظيفة "تشجيع على القبول" المرتبة الرابعة والأخيرة بـــ26 ترددا فقط وبنسبة 4,09% من مجمل الوظائف التي اعتمدتها الصحف موضوع البحث.

ونعرض لهذه النتائج في الشكل البياني التالي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

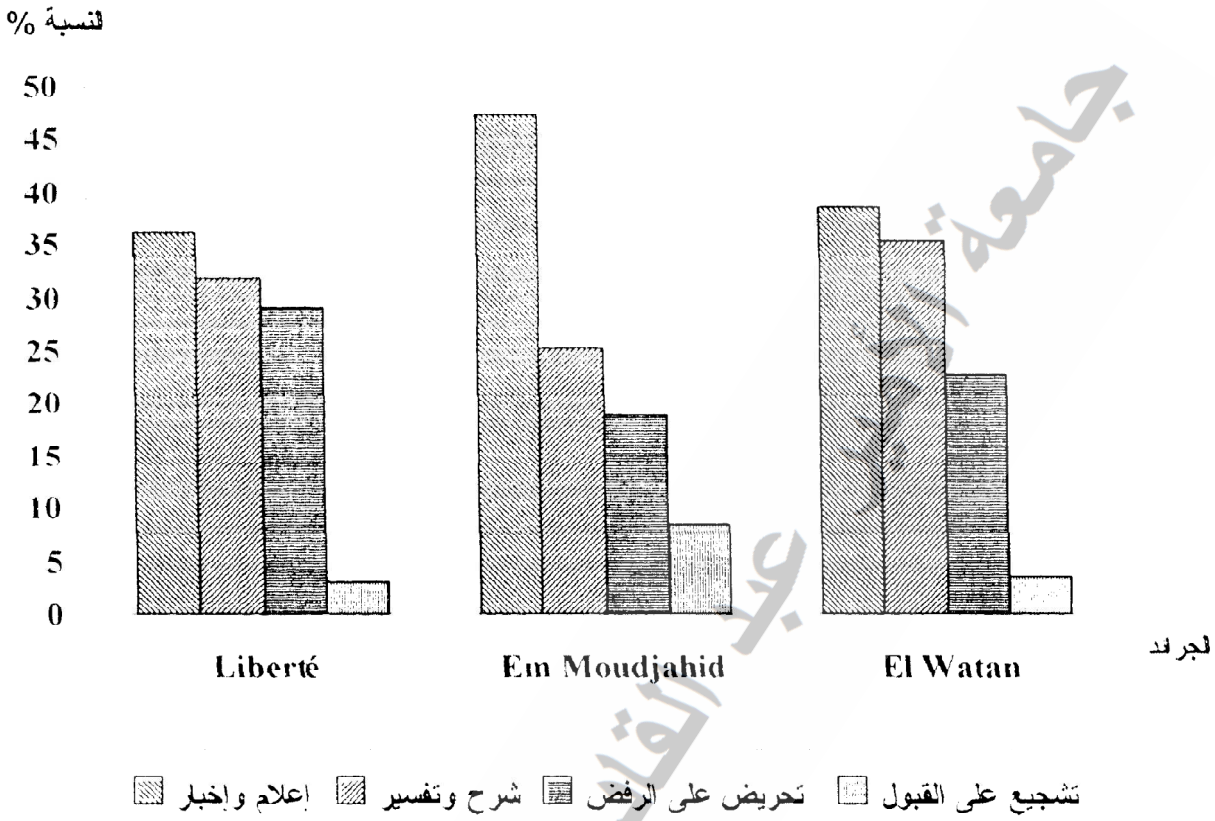

الشكل رقم 12: نتائج فئة "وظيفة المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في الجرائد موضوع البحث

أولا: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات "وسيلة تحقيق المضمون" في جريدة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	الأسلوب المباشر	151	58,07
2	التعميم	82	31,54
3	الاستمالات العاطفية	25	09,62
4	الاستشهاد بالمصادر المختلفة	02	0,77
المجموع		260	100

الجدول رقم 60: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في عينة جريدة "Liberté"

ركزت جريدة "Liberté" في تحقيق مضامينها على الأسلوب المباشر، وهي الوسيلة التي استأثرت بأكبر عدد من تكرارات هذه الفئة كما تبينه بيانات ونتائج الجدول رقم 60، حيث رصدت 151 مرة عبر أعداد العينة واستغرقت لوحدها 58,07% أي أكثر من نصف الوسائل المعتمدة في هذه الفئة، ويؤكد ذلك مفهوم الجريدة لحرية التعبير سواء في طبيعة الأفكار ونوعية الأحداث والقضايا التي تعالجها أو في طريقة معالجتها وهو ما لاحظته الباحثة وقدمت له النماذج الكثيرة عبر الفئات المختلفة للموضوع فيما أشارت إليه بالحدة والجرأة والمبالغة أحيانا، ولذلك دلالته على تنفذ القائمين على الجريدة أو تنقد الأحزاب التي تنتمي إليها أو تتبنى خطابها والذي يبدو في كثير من الأحيان نضاليا مجندا أكثر من كونه إعلامي موضوعي في الجريدة، وهو أيضا ما يفسّر حدة المواقف والتعبير عنها بوضوح لا لبس فيه مما لا تخفيه الجريدة عبر مختلف مضامينها أو توقيعات صحافييها في قضايا سياسية أو ثقافية لها علاقة مباشرة بالثوابت الوطنية دينا ولغة وقيما، وقد تعرضت الجريدة في شخص مديرها وعدد من صحافييها بسبب ذلك إلى الملاحقة والمساءلة القضائية وكان ذلك نفسه مضمون عدد من مقالاتها أو تقاريرها والتي تتناولها بنفس الجرأة والحدة والتحدي[1].

[1]-Les dessins de Dilem au bois-des-arcades, Liberté, N°2903, Mercredi 24 Avril 2002, p5.

و رصدت وسيلة التعميم 82 مرة عبر عينة "Liberté" التي جرت عليها الدراسة واستغرقت 31.54% أي ما يقرب من الثلث لمجمل التكرارات في هذه الفئة وهي نسبة هامة ولها دلالتها في طريقة معالجة الجريدة للمضامين الخاصة بالخطاب الإسلامي وخاصة في المجال الأمني.

أما فئة الاستمالات العاطفية فسجلت 25 ترددا عبر عينة "Liberté" واستغرقت 9,62% من مجمل التكرارات التي رصدت في هذه الفئة وهذا يدل أن الجريدة لم تعتمد كثيرا على هذه الوسيلة نظرا لمبدئية موقفها والحسم الذي تتبناه في معالجتها لمضامين الخطاب الإسلامي في مقابل الأساليب العاطفية المؤثرة التي تعتمدها الجريدة حين تناولها للمضامين الثقافية والحضارية التي تتعلق بمنطقة القبائل وقضية الهوية البربرية والأمازيغية والمرأة البربرية التي تتغنى بجمالها ووشمها وأصالتها البربرية.

ولابد أن نشير أن الاستمالات العاطفية المسجلة تحت كلها نحو السلبية بإثارة عاطفة الكراهية ضد الخطاب الإسلامي، أو الإسلاميزم كما تسميه الجريدة والتي دائما ما تذكره مقرونا بالقتل والهدم والاغتصاب، والإجرام حتى أنها وصفت تلك الكراهية بأنها مزمنة ومشروعة[1]، أو تذكره في معرض التهويل والتخويف منه والتحريض على رفضه وقطع الطريق عليه سياسيا وثقافيا...

وتأتي فئة الاستشهاد بالمصادر المختلفة في المرتبة الأخيرة حيث رصدت لمرتين فقط استغرقت 0,77% من تكرارات وقد اعتمدت الجريدة أساسا على صحافييها كمصدر لمختلف مادتها التحريرية سواء في ذلك الأخبار والتحاليل حتى أن القارئ لمقالاتها المختلفة لا يجد سوى وجهة نظر الجريدة، ولا يجد رأي غيرها وهو ما يسجل عدم التوازن الكبير الذي يميز الجريدة بسبب غياب ما كان يفترض منها لوجهة نظر أخرى حتى تحقق هدف الموضوعية والحياد، لكن ذلك غائب عموما في جريدة "Liberté" خاصة وقد اتضح بعد دراستها بأنها جهوية أكثر منها وطنية، حيث تمحورت مضامينها حول انشغالات وقضايا وأحداث وشخصيات وأحزاب وجمعيات منطقة القبائل بشكل أساسي وقد قدمنا لذلك نماذج كثيرة عبر الفئات الرئيسية للموضوع.

[1]-MA, Chronique d'une haine légitime, Liberté, N°2873, Op-cit, p11.

ثانيا: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون"، في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات وسيلة تحقيق في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	الأسلوب المباشر	52	62,65
2	التعميم	17	20,48
3	الاستمالات العاطفية	11	13,26
4	الاستشهاد بمصادر مختلفة	3	3,61
المجموع		83	100

الجدول رقم 61: بيانات ونتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في جريدة "El Moudjahid"

ويبين الجدول رقم 61 بأن جريدة "El Moudjahid" تتبع عدة وسائل لتحقيق الغايات التي تطمح إلى تحقيقها عبر رسالتها وتتمثل في العينة موضوع دراستنا على التوالي فيمايلي:

فئة "الأسلوب المباشر" التي تكررت 52 مرة واحتلت بذلك المرتبة الأولى بنسبة 62,65%، أي ما يقرب من ثلاثة أرباع التكرارات الواردة في هذه الفئة الوسيلة وتأتي بعدها فئة "التعميم" بـــ17 تكرارا وبنسبة 20,48% وبذلك تحتل المرتبة الثانية فيم تحتل فئة "الاستمالات العاطفية" المرتبة الثالثة بـــ11 تكرارا وبنسبة مئوية تعادل 13,26% ولم ترصد الباحثة سوى ثلاث تكرارات لفئة "الاستشهاد بمصادر مختلفة" التي تأتي بذلك في المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية تساوي 3,61%.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات وسيلة تحقيق المضمون في جريدة"El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	الأسلوب المباشر	130	51,38
2	التعميم	58	22,92
3	الاستمالات العاطفية	40	15,81
4	الاستشهاد بمصادر مختلفة	25	9,89
المجموع		253	100

الجدول رقم 62: بيانات ونتائج فئة الوسيلة في جريدة "El watan"

اعتمدت جريدة "El Watan" على "الأسلوب المباشر" في تحقيق مضمونها كما تبينه نتائج الجدول رقم 62 أعلاه حيث تم رصد 130 ترددا لهذه الفئة التي استغرقت أكثر من نصف ما ورد من تكرارات فيها هذه الفئة أي 51,38%، فيم تقتسم الفئات الفرعية الأخرى بقيتها، حيث سجلت "فئة التعميم" 58 ترددا واستغرقت 22,92% من مجمل التكرارات وسجلت فئة "الاستمالات العاطفية" 40 تكرارا واستغرقت 15,81% منها و لم تعتمد "El Watan" كثيرا على أسلوب "الاستشهاد بالمصادر المختلفة" حيث لم تسجل هذه الفئة إلا 25 تكرارا واستغرق بالتالي 9,89% فقط من مجمل التكرارات وهو ما يؤكد اعتماد الجريدة على شبكة صحافييها ومراسيلها ومكاتبها ومبعوثها لتوقيع المادة الإعلامية، وإقناع جمهورها بما تعرضه من أفكار وآراء، مع ملاحظة اعتماد الجريدة على مصادر غير واضحة بوصفها بالمطلعة والجديرة بالثقة التي تبقى في حكم المجهول لتعذر بالتالي تسميتها وتصنيفها.

وتثبت هذه النتائج جرأة الصحيفة في الإفصاح والتعبير عن موقفها وآرائها واتجاهها في معالجتها لمواضيع الخطاب الإسلامي ومن ثم عدم المواربة أو انتظار محاسبة من أحد على أساس ما تحمله من شعار الاستقلالية وحرية العبير، والحق في الإعلام وقد وجدت في الأخبار والتقارير الصحفية خاصة طريقها إلى ذلك.

رابعا: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 63 للنتائج الكلية لفئة "وسيلة تحقيق المضمون" عبر الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

جرائد العينة / فئات وسيلة تحقيق المضمون	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
الأسلوب المباشر	1	151	58,07	1	52	69,16	1	130	51,38	1	333	55,87
التعميم	2	82	31,54	2	17	20,48	2	58	22,92	2	157	26,34
الاستمالات العاطفية	3	25	9,62	3	11	13,26	3	40	15,81	3	76	12,76
الاستشهاد بمصادر مختلفة	4	2	0,77	4	3	3,61	4	25	9,89	4	30	5,03
المجموع	/	260	100	/	83	100	/	253	100	/	596	100

الجدول رقم 63: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

تماثل ترتيب النتائج النهائية التي ظهرت في الجدول رقم 63 لفئة "وسيلة تحقيق المضمون" مع الترتيب الذي ظهرت عليه في نتائج كل جريدة على حدة، وقد ظهر الفرق كبيرا بين الوسيلة الأولى والأخيرة التي استخدمتها الجرائد موضوع البحث في تحقيق مضمونها، وجاءت النتائج النهائية كمايأتي:

1-احتلت وسيلة "الأسلوب المباشر" المرتبة الأولى، بـــ333 ترددا وبنسبة 55,87% من مجمل الوسائل التي استخدمتها الجرائد موضوع البحث.

2-احتلت وسيلة "التعميم" المرتبة الثانية بـــ157 ترددا وبنسبة 26,34% من مجمل الوسائل التي استخدمتها الجرائد موضوع البحث.

3-احتلت وسيلة "الاستمالات العاطفية" المرتبة الثالثة بـــ76 ترددا وبنسبة 12,76% من مجمل الوسائل التي استخدمتها الجرائد موضوع البحث.

4-احتلت وسيلة "الاستشهاد بمصادر مختلفة" المرتبة الرابعة والأخيرة بـــ30 ترددا وبنسبة 5,03% فقط، من مجمل الوسائل التي استخدمتها الجرائد موضوع البحث.

وفيما يلي نعرض هذه النتائج في الشكل التالي:

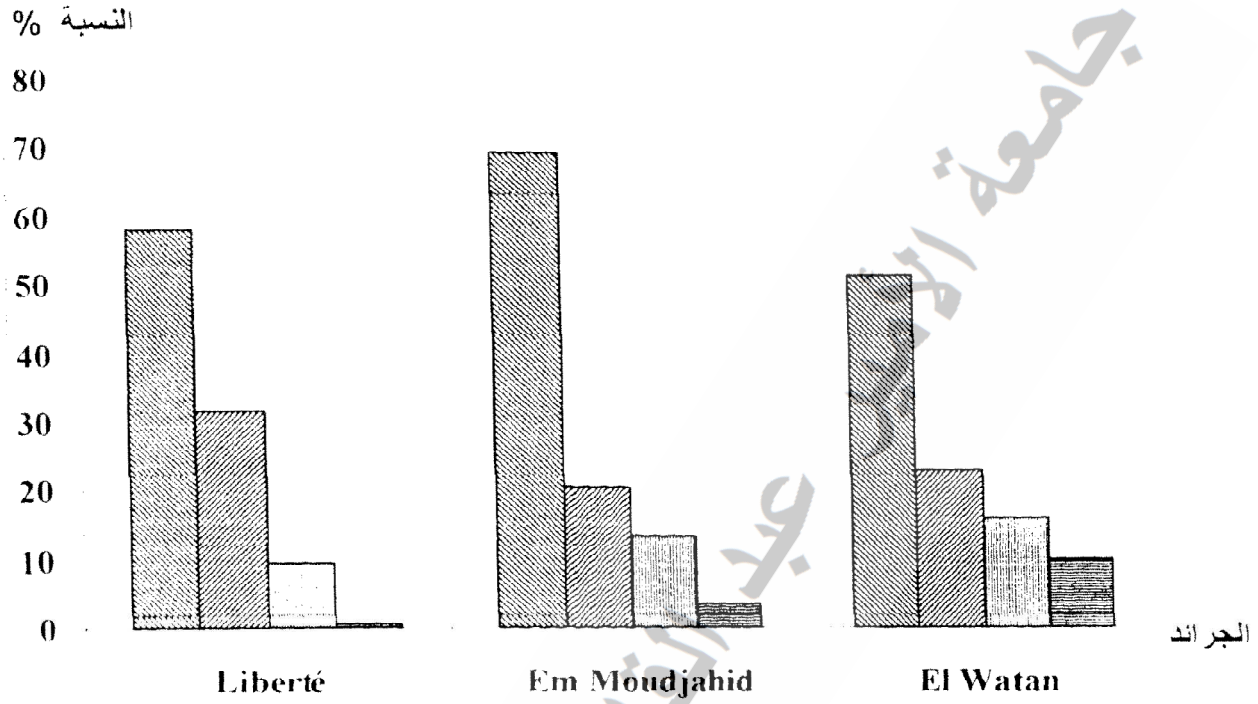

الشكل رقم 13: نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس: نتائج فئة "الاتجاه" في الجرائد موضوع البحث

أولا: نتائج فئة "اتجاه المضمون" في جريدة "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات الاتجاه في جريدة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية
1	سلبي	124	51,24
2	غير واضح	79	32,64
3	محايد	39	16,12
4	إيجابي	-	-
المجموع		242	100

الجدول رقم 64: نتائج فئة "اتجاه المضمون" في عينة جريدة "Liberté"

تفيد نتائج الجدول رقم 64 لفئة اتجاه المضمون في عينة جريدة "Liberté" بأن فئة الاتجاه السلبي قد سجلت أكثر التردادات في هذه الفئة، حيث رصدت 124 مرة واستغرقت 51,24% أي أكثر من نصف التكرارات لوحدها، وقد تراوحت عبر أعداد العينة بين التكرار الواحد والتسعة عشر تكرارا على أنه لم يخل عدد واحد من العينة من تسجيل اتجاه سلبي فيه في تناوله للخطاب الإسلامي ودلت النماذج الكثيرة التي قدمناها لمختلف الفئات الرئيسية للموضوع على ذلك من حيث كثافة السلبية والكراهية التي سجلت تهكما وسخرية وعدم اكتراث أو تجاهل...

وسجلت فئة الاتجاه "غير الواضح" 79 ترددا واستغرقت 32,64% وهو ما يقرب من ثلث التكرارات بهذه الفئة، ويعني عدم الوضوح في عينة "Liberté" هو الغموض الواضح أو المقصود أحيانا، أو صعوبة متابعة موقف الجريدة كوصفها الدول التي تعارض التطبيع مع اليهود بالدول المتطرفة، أو باطالة الجريدة لوصف قتلى اليهود، وعرض ذلك بأسلوب من الإنسانية والعاطفة في مقابل إيراد شهداء الانتفاضة بالانتحاريين وبقياداتها وفصائلها الجهادية بالمتطرفة والإرهابية، خاصة وأن سنة 2002م قد شهدت من انتهاكات اليهود ومجازرهم في حق الشعب الفلسطيني في جنين ونابلس التي أثارت المجتمع الدولي للتنديد ضدها من جهة كما شهدت حصار الدبابات

الإسرائيلية لمقر الرئيس "ياسر عرفات" التي بادرت إلى قصفه وتصريحات اليهود بقتله[1] مع الإشارة إلى أن مضامين هذه المواضيع لا توقع في جريدة "Liberté" كلما كان مضمونها له علاقة بإبداء موقف أو انتقاد ضد اليهود شخصيات وانتهاكات وهو ما تابعته الباحثة ووثقته.

وتضاف إلى عدم وضوح اتجاه الجريدة في كثير من المواضيع السياسية والحضارية عدم وضوح اتجاهها في المواضيع ذات البعد الديني البحت مثل الأحكام الشرعية والقيم والأخلاق الإسلامية والتي تسجل الباحثة مسؤولية صعوبة عدم البث فيها مع وضوحها شرعيا ودينيا وجاء تسجيلها لذلك في فئة الاتجاه غير الواضح.

ويأتي "الاتجاه المحايد" في المرتبة الثالثة حيث رصد 39 مرة واستغرق 16.12% من مجمل التكرارات في فئة الاتجاه وتنوعت مواضيع هذه الفئة بين أخبار الجريمة والإرهاب التي تنسب الجريدة فيها نقل الوقائع لسلطات الأمن أحيانا وبين المضامين المتعلقة بالقضية الفلسطينية التي تعرض الجريدة فيها لكرونولوجيا الأحداث يبدو منها إشارة إلى حيادها في ذلك مع أن الواضح أن المقصود من هذه الإشارة قد يفهمه المتابع بسهولة عبر الأسلوب والعبارات المعتمدة.

ولم تسجل فئة الاتجاه الإيجابي أي تردد عبر عينة جريدة "Liberté" في تناولها وعرضها ومعالجتها للخطاب الإسلامي في مختلف فئاته الرئيسية المعتمدة، ولذلك دلالة ملفتة للانتباه وتسجلها الباحثة بكل مسؤولية بعد قراءة وتحليل مضامين الجريدة عنوانا عنوانا وموضوعا موضوعا عبر مختلف الصفحات.

[1]-Arafat, toujours otage de Sharon, Liberté, N°2873 Mercredi 20 Mars 2002, p15.

ثانيا: نتائج فئة "اتجاه المضمون" في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب االنتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات اتجاه المضمون في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	اتجاه محايد	30	28,85
2	اتجاه سلبي	29	27,88
3	اتجاه إيجابي	26	25
4	اتجاه غير واضح	19	18,27
المجموع		104	100

الجدول رقم 65: نتائج فئة "اتجاه المضمون" في عينة جريدة "EL Moudjahid"

برزت فئة "الاتجاه المحايد" في جريدة "El Moudjahid" وجاءت في المرتبة الأولى بين مختلف التكرارات التي رصدت في العينة التي جرت عليها الدراسة حيث رصدت 30 مرة وسجلت بالتالي 28,85% بين مختلف الفئات الفرعية وهو ما يعادل ربعها تقريبا.

وجاءت فئة الاتجاه السلبي في المرتبة الثانية بـ29 تكرارا وبنسبة مئوية تساوى 27,88% ثم جاءت بعدها فئة الاتجاه الإيجابي بـ26 تكرارا وبنسبة 25% أما فئة الاتجاه غير الواضح فقد احتلت المرتبة الأخيرة –الرابعة- بـ19 تكرارا وبنسبة مئوية تعادل 18,27%.

وتعني هذه النتائج التي تؤكد نتائج الجدول رقم 32، أن جريدة "El Moudjahid" باعتبارها جريدة عمومية، ولأنها لسان جبهة التحرير الوطني في بعده التاريخي والثوري والسياسي خاصة تعتمد موقف الحياد في الغالب، وتتساوى تقريبا نتائج اتجاهاتها السلبية والإيجابية في موضوع الدراسة، وبالتالي فهي تعبر حسبما تلاحظه الباحثة عن اتجاه من الغموض وعدم الحسم خاصة في ظل الوضع العالمي الذي تتحكم فيه موازين القوى، وغموض مفهوم ما يسمى "الإرهاب" ثقافيا وحضاريا وسياسيا، ثم "الحرب على الإرهاب" الذي تجتمع له القوى الكبرى في العالم ولا تجعل لبقية الدول –العالم الثالث- هامش الاختيار في الانضمام إليها من عدمه وبصور مختلفة يجعل اعتماد الغموض وعدم الحسم في المواقف ما يسمح بذلك الهامش من جهة ومن جهة أخرى ظهور مطالب ثقافية غير مسبوقة في الجزائر من طرف بعض الأحزاب في ظل النشاط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحوظ للعديد من المنظمات الحقوقية العالمية في مجالات حقوق الإنسان عبر دول العالم الثالث خاصة وفي نفس المساقات العالمية كان يدفع إلى توجه عدم الحسم في اتخاذ المواقف بحساب ما يترتب عليها من تداعيات ونتائج ومن ثم يعبر عنها من خطاب إعلامي ما يفسر هذه النتائج في التعبير والحديث باسم شرائح واسعة صامتة من المجتمع، ويدخل ذلك في النهاية في توجه عدم إهمال الكل للحفاظ على الجزء أو العكس، في انتظار أن تسير القضايا والأحداث إلى الوضوح والسريان الطبيعي تدريجيا، ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى نسبة الاتجاه السلبي قد فاقت الاتجاه الإيجابي كما عبرت عنه نتائج الجدول رقم63.

ثالثا: بيانات ونتائج فئة الاتجاه في جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات الاتجاه في جريدة "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	اتجاه سلبي	129	49,43
2	اتجاه غير واضح	89	34,10
3	اتجاه محايد	34	13,03
4	اتجاه إيجابي	09	3,44
المجموع		261	100

الجدول رقم 66: نتائج فئة الاتجاه في جريدة "El Watan"

تظهر نتائج جدول فئات الاتجاه عبر عينة "El Watan" التي جرت عليها الدراسة بروز الاتجاه السلبي بوضوح وبكثرة وذلك برصد تردده 129 مرة واستغراقه من ثم 49,43%، أي ما يقرب من نصف مجمل التكرارات المسجلة في هذه الفئة، وقد ظهرت هذه الترددات مع مختلف الفئات الرئيسية المعتمدة وكذا مختلف الأشكال الصحفية التي اعتمدتها الجريدة في معالجتها لمواضيع الخطاب الإسلامي وإذا كان الاتجاه السلبي يعني فيما يعينه الانتقاد وعدم الرضى والرفض فإنه تجاوز في جريدة "El Watan" إلى السخرية والتهكم[1] غير الأخلاقي، والتهمة والتعميم

[1]-فقد تضمن تقرير لنشاط قام به رئيس حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (RCD) تهكمها بوزير ينتمي لحزب حركة مجتمع السلم (MSP) اتفق وأن تواجدا في الموقع نفسه نقلته الجريدة في عبارات على لسان سعيد سعدي وهو يترل من سيارته، ينظر إلى "وزير الصيد" و لم يتمالك عن التعليق، "لقد اصبح المطبخ السياسي أكثر تسمما". انظر:

والتجاهل أحيانا بغض النظر عن المواقع التي تعرض فيها الجريدة لهذه المضامين، في أسفل الصفحة، خاصة مع المواضيع الإسلامية ضمن البعد السياسي، وقد سبق وأن عرضنا نماذج لذلك عبر قراءتنا للفئات السابقة، عناوين وصورا مرفقة ومضامين...

وتجدر الإشارة إلى أن "El Watan" لم تعرض في معالجتها وتناولها للخطاب الإسلامي مختلف الأبعاد إلى المسائل الجوهرية في الأساس، ولا قامت بمناقشة ذلك مع بعض من يحملون هذا الخطاب في بعده السياسي ولا المختصين في القضايا الإسلامية الأخرى حين يتعلق الأمر بالشؤون التربوية والعلمية والحضارية والدينية البحتة.

ولقد لاحظنا ذلك في موضوع "الخمر" مثلا؛ عدم اكتراث الجريدة بتناول الحديث عنها بالشكل الذي نقلناه في موضعه مع أن القضية محسومة شرعيا، وكان من المفروض أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار لأنها تتوجه إلى جمهور مسلم يعتقد في حرمه الخمر وشاربها... بالإضافة إلى أسلوب حديث الجريدة عن الرسول ﷺ في المرتين اللتين ثم ذكره فيها عبر العينة بعدم الصلاة عليه وإيرادها له ﷺ عبر زيارة المتحف في اسطانبول ضمن تغطية لمهرجان أفلام وكان ذكره متأخرا في برنامج السياحة بعد الأوحات التشكيلية والسينما وخزف الصين[1]، وكان من الواجب إبراز ما يتميز المسلم من تعظيم لرسول الله أقل ما فيه الصلاة عليه ﷺ استجابة لأمر الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]، مع رصد الباحثة ربط كثير من الرموز الإسلامية كالمسجد، ويوم الجمعة، ومكة المكرمة والجنة في الجريدة بالحديث عن الجريمة والإرهاب والعنف، وكذا بالسخرية وقد عرضنا نماذج عن ذلك فيما سبق.

ولم تسجل عبر عينة "El Watan" التي جرت عليها الدراسة وعبر الفئات المختلفة التي رصدناها لهذا الغرض –التنويع– معالجة أي موضوع عبر تحليل أو نقاش أو عرض لمضمون إسلامي بما يتطلبه من البعد الشرعي والعلمي المختص، وكان اهتمام الجريدة في الأساس منصبا على متابعة الأحداث والأحزاب والشخصيات الإسلامية وتناولت في ذلك الحديث عن لباس هذه

--M'hammed,H, Critiques de Said Sadi contre Bouteflika et Ait Ahmed, El Watan, N°3595, Op-Cit, P3.

وقد كتب التعليق على شكل عمود بخط أكبر وأعمق عن بقية المواضيع الأخرى في الصفحة المذكورة.

[1]-Azzedine Mabrouk, Sur les rives du Bosphore, El Watan, N°3466, Op-Cit, P15.

[2]-الأحزاب، 56.

الشخصيات وطريقة خطابها أمام الجمهور، وحتى طريقة دخولها إلى قاع الخطاب أثناء النشاطات السياسية[1]، وكل هذه لا علاقة لها بالخطاب الإسلامي في مضامينه المختلفة وإلا فهي أمور هامشية بعيدة عما يجب الاهتمام به ونقده حتى أنه يمكن القول أن جريدة "El Watan" قد حصرت الخطاب الإسلامي في مواقف وشخصيات بعينها، وكأنها غير معنية بالمساهمة في التصحيح أو الدفاع أو عرض وجهة النظر الإسلامية بطريقة موضوعية ومحايدة تقدم بها للقارئ، فهمها ثم موقفها مما كان يتعرض له الإسلام محليا وعالميا من تشويه وقد سجلت الباحثة عدم رد فعل الجريدة على إساءة الفرنسي للإسلام، حيث اختارت أن تنهي الخبر الذي أوردت فيه هذه الإساءة نص الإساءة نفسها على لسان صاحبها: «إن أغبى ديانة في العالم هي ديننا الإسلام»[2]، دون أن تعلق بكلمة وهو ما يفتح عين القارئ على كل الانطباعات، وقد كان التعميم في غالب الأحيان في القضايا والمواقف والأفكار مما يسجل على الجريدة كاتجاه سلبي وبعيد عن الاعتدال والتوازن والموضوعية خاصة وهي تلجأ إلى التعبير عن موقفها في قضايا عديدة مرتبطة بالإسلام والمسلمين عبر تبني أساليب ومواقف وآراء وتحليلات أجنبية يزيد جهلها بالطبيعي بالإسلام ظهور عدائها الواضح والصريح له. وننقل في هذا الصدد ما جاء في المقال الافتتاحي للجريدة في عددها الصادر في 1 سبتمبر 2002م والذي كتبه مدير الجريدة "عمر بلهوشات" جاء فيه: «...إن الجزائر تنفست أخيرا، 11 سبتمبر قد نوّر المجتمع الدولي على فداحة المأساة التي يعانيها الجزائريون منذ عشرة سنوات من جراء الإرهاب الإسلامي. ولا يمكن للعالم الغربي أن يقيم توازنا ما بين إسلاميين مُنعوا من فوزهم الانتخابي في 1991م وبين نظام مرتشي وسلطوي –أكيد- لكنه يعمل لصالح الديمقراطية، لقد كان الجزائريون بحاجة ماسة لـ11 سبتمبر ليدعوا بناء ديمقراطية والقطيعة مع اقتصاد المافيا والريع»[3]

وفي موضوعين في عدد واحد وعبر صفحتين متتاليتين أحدهما على شكل "مقال تحليلي"

---

[1]-فمحفوظ نحناح –مثلا- يلبس بدلة كاكي مثلا: وهو شعبوي ويدحل القاعة على الطريقة الأمريكية كما في ع3489 ص 9)، بوجـــرة سلطاني رجل الاستعراض كما في ع3595، ص9) مثلا: وعبد الله جاب الله يتحدث بلغة عربية فصيحة بلهب الجمـــاهير، وهـــو شعبوي، ومواقفه متحجرة وما قبل تاريخية كما في ع3602، ص24) مثلا: وأدمي من الجبل في عنوان له دلالة سلبية لارتباطها بالقتل والإرهاب ومضمون ساخر لا علاقة له بالخطاب الذي ألقاه الرجل أثناء الحملة الانتخابية كما في ع3481، ص9).

[2]-N.B : Le verdict renvoyé, El Watan, N°3588, Op-Cit, P24.

[3]-OMAR Belhouchet, Le 11 Septembre et Nous, El Watan, N°3581, Op-Cit, P24.

والآخر "حوار صحفي مع أستاذ جامعي من كندا، حملت الجريدة عنوانها الرئيسي: "الحرب على الإرهاب" ونقلت تحت ذلك مضامين لها دلالات دينية وحضارية ووطنية تستدعي الانتباه خاصة من حيث العناوين والمواضيع المرفقة الأخرى، وطريقة عرضها عبر الصفحتين[1]. وقد كانت العناوين الرئيسية من حيث الحجم والغمق على التوالي: «الإرهاب المتبقي |المترسب| هو الأخطر" و"التحدي هو استعادة القاعدة الإسلامية" الذي أرفق بعنوان فرعي يقول "إن خطر الإسلاميزم يبقى تأثيره على الشباب" مع ملاحظة أن الموضوعين في الصفحتين كان من توقيع واحد هو: سليمة [illegible]، وتكتفي الباحثة بنقل جزء من الحوار وترك البقية القارئ في الملحق في نهاية البحث[2].

-"El Watan": هل يتعلق الأمر بالقاعدة الاجتماعية نفسها التي تتغذى منها حركة مجتمع السلم؟

-**الباحث الجامعي الكندي**: بالتأكيد يتعلق الأمر بالقاعدة نفسها، والمعركة الحقيقية ضد الإسلاميزم هي القدرة على استعادتها، ولتحقيق ذلك لا بد من تعاقب الأنظمة السياسية.

-"El Watan": الديمقراطية؟

-**الباحث الجامعي الكندي**: ليس فقط الديمقراطية، لأن هذه هي طريقة تنظيمية تتماشى مع الجميع، لا بد لنا من نظام يسمح بالقول مثلا إنه من الأفيد أن نشترك من أن لا نستطيع فعل ذلك... يعني إذا كنا في نظام تحس فيه جماعة كبيرة بالضياع، يجب أن تبدو الحلول فورية: إن مشكلة "الإسلاميزم" هو أنه يترجم أزمة بنيوية، لا يستطيع حلها فقط عن طريق

---

[1] لاحظت الباحثة أن الجريدة تنهج طريقة مدروسة في عرض العناوين والمواضيع والصور، وبغض النظر عن كون ذلك في حد ذاته فن إعلامي في الإخراج الصحفي، بالإضافة إلى انتقاء مواضيع بعينها دون غيرها أو عرضها في صفحات أخرى، فإن الهدف يكمن في أن هذه مضامين والأحكام والمواقف لا يمكن التصريح بالربط بينها بوضوح عبر التحليل والتفسير، ومن ثم ينتهج أسلوب الغموض وعدم الوضوح الظاهر لتحقيق ذلك، خاصة حين يتعلق الأمر بمواضيع حساسة -الإرهاب- الإسلاميزم حركة حماس الفلسطينية، الأحزاب السياسية التي تعلن رفضها للعنف...)، وهو ما يتحدث مصطلح مفهوم الدعاية أو التضليل، البروباقندا، وتكتفي الباحثة بنقل مختلف العناوين في الصفحتين على أن الموضوع يقترح للبحث والدراسة المستقلة. (الإرهاب المترسب هو الأخطر. -16 قتيلا في تل أبيب. -وعود حماس الموفاة. -سؤالان لـ"مايا ساحلي" (حول قضايا العولمة والأمن). -التحدي هو استعادة القاعدة الإسلامية. -تفجير في كراتشي. -"مشرف"في الجزائر من 15 إلى 17 جانفي). انظر: El Watan, N°3474, Op-Cit, P4-5.

[2] -وللإطلاع على نص الحوار، انظر الملحق رقم.

الأسلوب الأمني، ولكن يجب الأخذ بالاعتبار أن يمكن 700 مليون شاب مسلم من الشعور بأفق [مستقبل]، إن عوامل عدم الاستقرار لا يمكن القضاء عليها فقط بالقوة، يجب أن تفرض حلولا حقيقية.

-"El Watan": هذا يعني أن الإرهاب سيستمر طويلا في الجزائر...

-الباحث الجامعي الكندي: إن الجزائر تمثل نموذجا خاصا، باعتبار أن فكرة الحركة الوطنية راسخة جدا، لما أقول بقوة هذا لا يعني فقط النخبة [الوطنية] وإنما كل المجتمع لأن أفكار الجزائري مرتبطة كثيرا باللاشعور [اللاوعي]، إلا أنه يجب الآن عصرنته»[1]. (!)

ويثبت هذا الجزء اليسير من الحوار المطوّل عمق التحليل الغربي لمفهومه الخاص للإرهاب في إطار الخطر الذي يهدد مصالح الغرب ووضعه لاستراتيجية متكاملة لمواجهة ذلك الخطر للحفاظ على مصالحه، ونفوذه التي حازها بفعل الاحتلال القديم والحديث، ومن ثم تصوره للحلول التي تضع حدا لتلك التهديدات لصالح الغرب عموما ضمن شرعية "صراع الحضارات" و"نهاية التاريخ"، و"العولمة" وتحت شعارات الحداثة ومشاريع الشراكة والمصاحبة الاقتصادية والتعاون الأمني... ووقائع الإصلاحات الثقافية المختلفة والتربوية خصوصا التي تلخص كيفيات استعادة القاعدة الإسلامية -غربيا- حسب الباحث الكندي، الذي تحدث عن 700 مليون شاب مسلم. فالقضية كما هو واضح مصالح غربية، واستراتيجية غربية للحفاظ عليها بعدما ظهر بين المسلمين من يعي مواجهة استمرار الغرب في ابتزاز مقدرات الشعوب الإسلامية إلى الأبد، ولذلك في تحليله "للإرهاب" في الجزائر، ربطه بالحركة الوطنية الجزائرية خصوصا وشعبا "كل المجتمع" لأن مرجعيتها وأفكارها مرتبطة "باللاشعور" كما قال.

و"اللاشعور" هنا أو "الأفكار الطوباوية" والإسلاميزم وكذا بالأصولية والراديكالية كما سماها الباحث المحاور في فقرات أخرى من الحوار، فهي المحور في استراتيجية الغرب في عملية "عصرنتها" ضمن الحلول التي يقترح لفعل ذلك.

وعليه لم يكن يهم الباحث ما حدث ويحدث في الجزائر -وهو موضوع الحوار في الجريدة- إلا بالحديث عن الحلول الغربية التي تؤيد مصالح الغرب فيها حتى ولو كان بالتعاون مع

---

[1]-El Watan, N°3474, Op-Cit, P5.

الإسلاميين براقماتيا ومرحليا على الأقل، لأن التحدي عند الغرب هو استعادة القاعدة الإسلامية ليس في الجزائر فقط، وإنما في الوطن الإسلامي كلية –700 مليون شاب– فالقضية أولا وأخير حلول غربية لإشكالية غربية– وهو ما بدا أنه تجاوز طرح الجريدة ومفهومها وتصورها "الضيق" لما يسمى "الإرهاب".

وموضوع هذا الحوار نموذجنا في فئة الاتجاه السلبي، يطرح أكثر من ملاحظة أهمها:

–السطحية الحضارية والثقافية، التي تتناول بها جريدة "El Watan" موضوعا هاما لما يسمى "الإرهاب" و"الحرب على الإرهاب"[1].

–تكريس الخطاب الغربي مفهوما وحلولا واستراتيجية... بطريقة أحادية الاتجاه مقابل غياب "الرأي المستقل" يبدو فيه تجاوز "El Watan" القابلية إلى التماهي

–لا تاريخية طرح "El Watan" لخلفيات الملف، فالغرب يتحدث عن مبادئ والجريدة تتحدث عن أشياء وجزئيات وحوادث متفرقة آنية.

–تكريس شرعية حق الغرب في ابتزاز مقدرات الشعوب تحت شعار "المصالح" والمقابل تكريس شرعية نفي حق الشعوب في استعادة خيراتها ومواجهة الغرب الغاصب لها وانتزاعها من يده، بتجاهلها تماما.

وقد برز الاتجاه "غير الواضح" أيضا في جريدة "El Watan" بدرجة أقل من "الاتجاه السلبي" الواضح لكن بنسبة هامة رقما ودلالة، حيث رصدت الباحثة 89 ترددا لذلك وهو ما يعادل نسبة 34.10% أي أكثر من ثلث التكرارات في هذه الفئة.

ولئن كانت دلالة هذه الفئة تؤكد دلالة الفئة السابقة من أكثر من ناحية فإنها تعبر عن أن المواقف والآراء والتوجهات لم تحسم نهائيا في الجريدة وقد تخضع للمراجعة ويمكن قراءة ذلك من نواحي عديدة منها:

–فقد تكون للإشارة إلى تنوع الآراء والمواقف واختلافها في الجريدة وإرادتها لتكريس حرية الرأي فيها مع الإبقاء على الأولوية والغلبة للاتجاه الأول.

---

[1]–ترى الباحثة أن هذا الموضوع جديدر بالدراسة عبر الجرائد الجزائرية، بإجراء مقارنات بين الجرائد العربية والفرنكفونية حوله أو بدراسته في كل منها بشكل مستقل.

-وقد تكون للإبقاء على هامش الغموض تحسبا لتغير اتجاه الأحداث والوقائع خاصة في المجال السياسي.

-وقد تكون إرادة عدم المراهنة على الجرأة المبالغ فيها للتعبير على الاتجاهات والمواقف حفاظا على الجمهور القارئ وبغية اكتساب عدد آخر منهم عبر "احترام" بعض المبادئ والتقاليد التي تسود سواء المجتمع.

-وقد تكون بعدم الحسم في موقف الرفض ومعاداة بعض الرموز مخافة الوقوع تحت طائلة المساءلة القانونية والدستورية وكذا الاجتماعية.

وقد لاحظت الباحثة كثرة رصدها لهذا الاتجاه في المضامين الثقافية والحضارية والدينية في الجريدة، كما رصدته عبر تناول جريدة "El Watan" للمنظمة الجهادية الإسلامية "حماس" والانتفاضة الفلسطينية، وتذبذب الجريدة بين حق الشعب الفلسطيني في المقاومة لاسترجاع أرضه ووطنه وبين وصف مقاومة "حماس" لليهود بالإرهاب والتطرف والعنف في كل المرات التي ورد فيها ذكر "حماس" من جهة، ومن جهة أخرى ربط الانتفاضة الفلسطينية بالمسجد الأقصى بعدما انتهكه "أريال شارون" وبين وصف ما قامت به فصائل الجهاد الفلسطينية بما فيها "حماس" بالعنف والإرهاب.(1)

وتأتي فئة "الاتجاه المحايد" في المرتبة الثالثة، وقد رصدت عبر 34 ترددا في العينة التي جرت عليها الدراسة واستغرقت بالتالي نسبة 13,03% من مجمل التكرارات في هذه الفئة.

ودلالة هذا الاتجاه هو تساوي تركيز الجريدة على الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية بشكل متوازن يعطي الانطباع بأن موقف الجريدة محايد في الموضوع الذي تطرحه وذلك بذكر رأي طرفي أو أطراف الموضوع في نفس الوقت دون تدخلها في الترجيح للواحد منها على الآخر وتترك مهمة ذلك للقارئ.

وكما هو ملاحظ فإن نسبة هذه الفئة قليلة جدا مقارنة بالفئتين الأوتين وقد رصدتها الباحثة في المضامين السياسية وخاصة أثناء التحضير للانتخابات في الجزائر، التشريعية والمحلية، وهو ما يتغير عند تحليل الجريدة للنتائج بعدها. ورصدتها أحيانا عبر عرض وجهة النظر اليهودية مقابل

(1)-Fares Chahine, El Watan, N°3592, Op-Cit, P11.

-AFP : Promesses Tenues de Hamas, El Watan, N°3474, P4.

وجهة نظر عربية أو فلسطينية، دون تدخل الجريدة بالتعليق مع أن الأمر يتطلب ذلك وهو ما يسجل على الجريدة ويكرس موقفها الغامض عموما من المقاومة الفلسطينية كما وضحناه سابقا.

وتأتي في الأخير فئة "الاتجاه الإيجابي" التي لم تسجل سوى 9 تكرارات عبر العينة التي جرت عليها الدراسة، واستغرقت بالتالي نسبة 3,44% من مجمل الترددات في هذه الفئة، ومن نماذج ذلك مثلا تناول الجريدة لموضوع "مطاعم رمضان"[1]، التي ساهمت فيها حركة الإصلاح الوطني وعالجته الجريدة بالإيجابية عموما.

رابعا: نتائج فئة "الاتجاه" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 67 للنتائج الكلية لفئة "الاتجاه" عبر الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

جرائد العينة / فئات الاتجاه	Liberté			El Moudjahid			EL Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
سلبي	1	124	51,24	2	29	27,88	1	129	49,43	1	282	46,46
غير واضح	2	79	32,64	4	19	18,27	2	89	34,10	2	187	30,81
محايد	3	39	16,12	1	30	28,85	3	34	13,03	3	103	16,97
إيجابي	-	-	-	3	26	25	4	9	3,44	4	35	5,76
المجموع	/	242	100	/	104	100	/	261	100	/	607	100

الجدول رقم 67: نتائج فئة "الاتجاه" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

اختلف ترتيب فئات الاتجاه في جريدة "El Moudjahid" على ترتيبها في كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" التي تماثل ترتيب نتائجهما وتقاربت بيانات جداولهما، وقد جاءت النتائج النهائية كما يبينه الجدول رقم 67 كمايأتي:

1-برز "الاتجاه السلبي" في المرتبة الأولى بـــ282 ترددا ونسبة 46,46% من مجمل الاتجاهات التي ظهرت بالجرائد الثلاثة موضوع البحث.

---

[1]-Huit Restos du cœur, Pour le Ramadhan, El Watan, N°3909, Op-Cit, P7.

مع ملاحظة استخدام التعبير المسيحي (Restos de cœur) الغربية.

2-واحتل الاتجاه "غير الواضح" المرتبة الثانية بـ187 ترددا ونسبة 30,81% من مجمل الاتجاهات التي ظهرت في الجرائد الثلاثة موضوع البحث.

3-وجاءت فئة "الاتجاه المحايد" في المرتبة الثالثة بـ103 ترددا ونسبة 16,97% من مجمل الاتجاهات التي ظهرت في الجرائد الثلاثة موضوع البحث.

4-وجاءت فئة "الاتجاه الإيجابي" في المرتبة الرابعة -الأخيرة- بـ35 ترددا وبنسبة 5,76% فقط من مجمل الاتجاهات التي ظهرت في الجرائد الثلاثة موضوع البحث.

وفيمايلي نعرض هذه النتائج في الشكل الموالي:

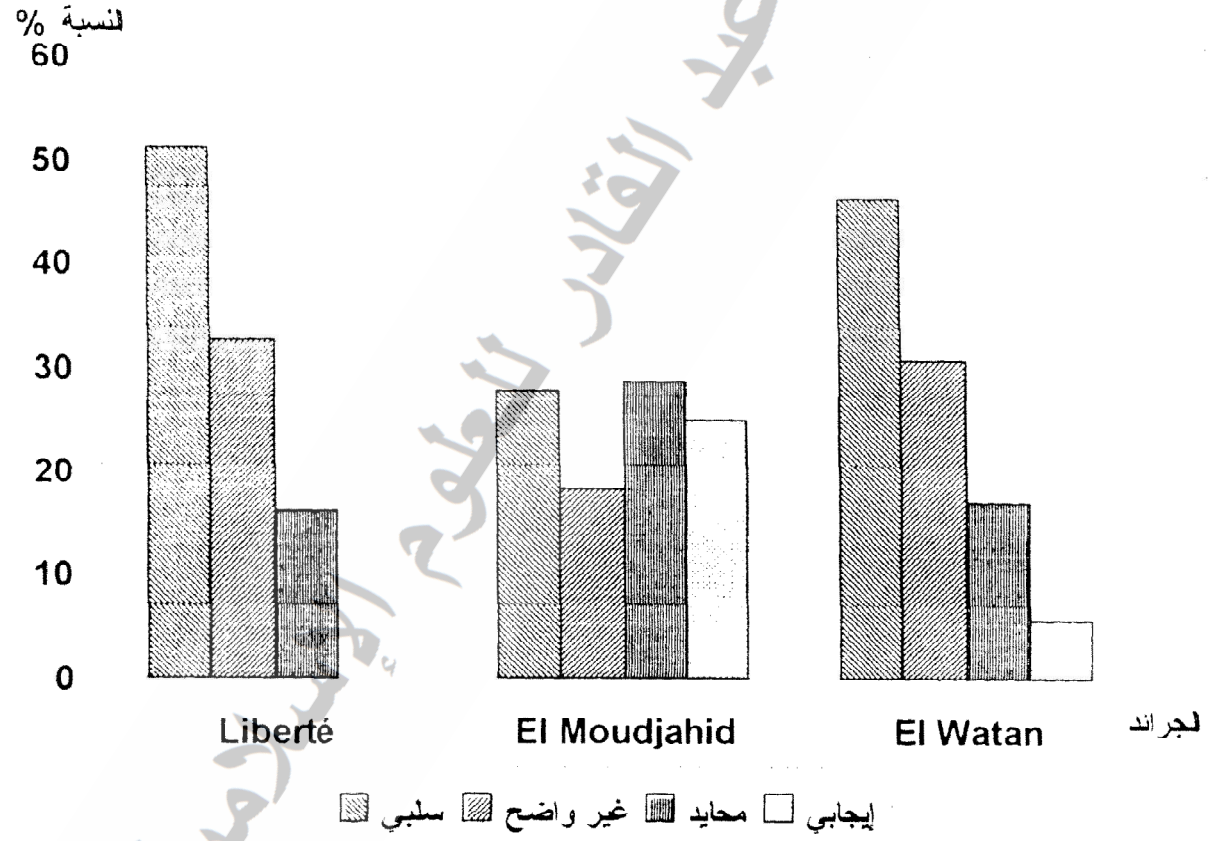

الجدول رقم 14: نتائج فئة "الاتجاه" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس: نتائج فئة "المرجع" في الجرائد موضوع البحث

أولا: نتائج فئة "المرجع" في "Liberté"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات "المرجع" في جريدة "Liberté"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	صحفي بالجريدة	124	70,46
2	دون توقيع	50	28,42
3	مصدر رسمي (رئاسة، حكومة، ولاية)	01	0,56
	وكالة أنباء	01	0,56
4	وسائل إعلام أخرى (تفزيونات-إذاعات-دوريات)	-	-
	مصدر عسكري	-	-
	مصدر حزبي	-	-
	مصادر أخرى (مجموعات ضغط-جمعيات-نقابات-جامعيون)	-	
	مراسل صحفي	-	-
المجموع		176	100

الجدول رقم 68: بيانات ونتائج فئة "المرجع" في جريدة "Liberté"

يبين هذا الجدول بأن جريدة "Liberté" قد اعتمدت على صحافييها في تحرير مادتها الإعلامية للخطاب الإسلامي بصفة أساسية فقد سجلت فئة صحفي بالجريدة أكبر نسبة من الترددات عبر عينة الجريدة تمثلت في 124 مرة واستغرقت من ثم 70,46% أي أكثر من ثلثي التكرارات في هذه الفئة، وتتبع الجريدة أسلوب إيراد التوقيعات بالأسماء كاملة على رأس الموضوع، ثم بالتوقيع بالحروف الأولى في نهايته وقد يوقع الموضوع فقط بالحروف الأولى كما في بعض أخبار الجماعات الإرهابية والجريمة والتي لها علاقة بالمجال الأمني غالبا، وكذا توقع بعض المواضيع المتعلقة بالقضية الفلسطينية بالحروف الأولى فقط، وتنزع في كثير منها، وقد لاحظت الباحثة كثرة الصحافيين من جهة والصحافيات أيضا على أن أسماء مثل: م.حموش، أ. داهمان،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لباس بن داود، يوسف بن عدودة تأتي على رأس أهم المواضيع في كثير من الأحيان ومن النساء تأتي أسماء مثل سامية لقمان، جويدة عباس، أنيسة بوزان، عديلة كاتيا..

واعتمدت الجريدة على أسلوب عدم توقيع المواضيع بنسبة أقل لكن لها دلالتها بين مختلف فئات المرجع فيها، حيث رصد فئة دون توقيع 50 مرة وسجلت 28,42% وهو ما يعني أن أكثر من ربع المواضيع الخاصة بالخطاب الإسلامي لم توقع في الجريدة. وقد سجلت هذه الترددات مع الأخبار ذات الطبيعة الأمنية والتي ترتبط بالقبض "على الإرهابيين" دون المجرمين، وكذا في كثير من المواضيع المتعلقة بالقضية الفلسطينية، كما تعتمد الصحيفة عدم توقيع أخبار صفحة الأسرار فيها "Radar" في الغالب وهو ما يفسر هذه النسبة عموما.

وجاءت كل من فئة "مصدر رسمي" و"وكالة الأنباء" في المرتبة الثالثة برصدهما عبر تردد واحد واستغراق كل منها 0,56% من مجمل الفئات ولم تسجل بقية الفئات أي تردد في عينة جريدة "Liberté".

ثانيا: بيانات ونتائج فئة المرجع " في جريدة "El Moudjahid"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المرجع في جريدة "El Moudjahid"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	دون توقيع	36	33,96
2	صحفي بالجريدة	27	25,47
3	مصادر حزبي	24	22,64
4	مصادر رسمي	9	8,49
5	مصادر أخرى	8	7,55
6	وسائل إعلام أخرى	2	1,89
7	وكالة أنباء	-	-
	مراسل صحفي	-	-
	مصدر عسكري	-	-
المجموع		106	100

الجدول رقم 69: بيانات ونتائج فئة "المرجع" في جريدة "El Moudjahid"

تراعي الصحف للحفاظ على مصداقيتها واستقطاب جمهورها دقة المراجع أو المصادر التي توقع بها مادتها الإعلامية أو تعود إليها لجمع معلوماتها عن مختلف المواضيع التي تتناولها عبر صفحاتها.

ويبين الجدول رقم 69 بأن المواضيع التي تظهر بدون توقيع في "El Moudjahid" ترددت 36 مرة وهو ما يعادل 33,96% أي أكثر من ربع الفئات الأخرى، وبذلك تحتل هذه الفئة المرتبة الأولى بين مختلف الفئات الأخرى المرصودة في فئات المرجع، وقد يبرز ذلك اعتماد الجريدة في خطابها الإسلامي على عدم توقيع مواضيعها التي قد تكون مترجمة عن وكالات أنباء أو عن مصادر إعلامية منبورة من التوقيع أو على أخبار تعتمد فيها توظيف عدة مضامين في نفس الموضوع، وقد تعود أحيانا إلى طبيعة الموضوع الإعلامي الأمنية أو تتطلب عدم توقيع الموضوع لذات السبب في ظل الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر، وتأتي فئة "صحفي بالجريدة" في المرتبة الثاني مباشرة لكن بصفة أقل، حيث ترددت بـــ27 مرة وبنسبة 25,47%، وقد لاحظت الباحثة انعدام التوقيعات النسوية في الجريدة بالإضافة إلى ورود أسماء قليلة جدا عموما في التوقيعات، ويأتي على رأسها توقيع محمد الطاهر الأنوار. وتأتي فئة "المصدر الحزبي" الذي تكرر 24 مرة وبنسبة مئوية تعادل 22,64% ويرتبط هذا العدد الكبير بين مختلف التكرارات للفئات الأخرى، بالنشاط الحزبي الذي رافق الحملة الانتخابية الخاصة بتشريعيات ماي 2002م وبمحليات أكتوبر 2002 أيضا.

وتأتي فئة "المصدر الرسمي" التي وردت تسع مرات اقتسمتها مصادر رئاسية خاصة بتصريحات أو خطب رئاسية ومصادر حكومية خاصة بتصريحات رئيس الحكومة أو حطه، وقد استغرقت 8,49% من مجموع التكرارات في هذه الفئة، وجاءت فئة "المصدر الرسمي" وغيرهم بـــ 8 تكراراتها في المرتبة الخامسة بنسبة 7,55%، واقتسمها هنا كتاب جامعيون، وإطارات سابقون في الحكومة. ولم تعتمد "El Moudjahid" في خطابها الإسلامي إلا مرتين على فئة "وسائل إعلام" أخرى، تمثلت مرة في تقرير عن الاتحاد الأوربي ومرة عن وكالة المخابرات الأمريكية وقد جاءت هذه الفئة في المرتبة ما قبل الأخيرة وبنسبة مئوية تعادل 1,89%.

ولم تسجل كل من فئة "وسائل إعلام أخرى" و"وكالة أنباء" و"مراسل صحفي" أي تكرار في العينة التي جرت عليها الدراسة.

ثالثا: نتائج فئة "المرجع" في جريدة "El Watan"

ويلخصه الجدول الموالي حسب النتائج المحصل عليها والترتيب الذي ظهرت عليه في الدراسة.

الترتيب	فئات المرجع في جريدة "El Watan"	عدد التكرارات	النسبة المئوية %
1	صحفي بالجريدة	161	71,88
2	دون توقيع	40	17,86
3	مراسل صحفي	14	6,25
4	وسائل إعلام أخرى	04	1,79
5	وكالة أنباء	03	1,33
6	مصادر أخرى	02	0,89
7	مصدر عسكري أمني	-	-
	مصدر حزبي	-	-
	مصدر رسمي	-	-
المجموع		224	100

الجدول رقم 70: نتائج فئة المرجع في جريدة "El Watan"

من الواضح أن صحيفة "El Watan" تنتهج إظهار توقيعات صحافييها المرافقة لمختلف مادتها التحريرية فيها وذلك ما يظهر من الصفحة الأولى للجريدة، وتأتي هذه التوقيعات على رأس المواضيع في الغالب وبالأسماء كاملة في الغالب الأعم عبر الصفحة الأولى، كما تأتي تحت المواضيع أحيانا بالأسماء كاملة أو بالحروف الأولى بالإشارة إلى مكان إتمام معالجتها داخل الجريدة، وتغيب التوقيعات في الصفحة الأولى مع فهرس العناوين وملخصات المواضيع لما تكون هذه أقل من ثلاثة مواضيع. أما في الصفحات الداخلية فتكثر التوقيعات بالأسماء كاملة عموما وتقل مع أخبار الجرائم والأخبار الأمنية.

ولاحظت الباحثة إلى جانب كثرة التوقيعات في الجريدة تساويها فيما يتعلق منها بالصحفيين الرجال والصحافيات، ثم ورود أسماء النساء على مختلف المواضيع والهامة منها عبر الجريدة من حيث نوعية المواضيع السياسة والأمنية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وأكثر المواضيع تحليلا وردت

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بأسماء نسوية، على أن تردد توقيع اسم علي باهمان وسليمة تلمساني قد طغيا على مختلف الأسماء، لكن لم تسجل الباحثة ورود أي اسم نسوي على المقال الافتتاحي بالجريدة.

وقراءة الجدول تبين أن جريدة "El Watan" تعتمد في مصادرها لمواضيع الخطاب الإسلامي على صحفييها أساسا وهو ما تعبر عنه النسبة التي سجلتها هذه الفئة 161 تكرار وهو ما يعادل 71,88% من مجمل التكرارات ويظهر سياسة الجريدة في هذا المجال وقد صحبت هذه التوقيعات التقارير الصحفية، والحوارات، ومواضيع المراسلين والمبعوثين الخاصين للجريدة سواء إلى خارج الوطن أو إلى بعض الولايات النائية وحيث لا يوجد للجريدة فيها مكتب خاص.

وسجلت فئة "دون توقيع" 40 تكرارا وهي نسبة قليلة مقارنة بفئة "صحفي بالجريدة" ويؤكد سياستها أو منهجها في هذا المجال حيث تعادل 17.86% فقط من مجمل مصادرها عبر العينة.

ووردت فئة "مراسل صحفي" 14 مرة وسجلت بالتالي 6,25% من مجمل مصادر الجريدة في فترة البحث، وقد لاحظت الباحثة أن للجريدة مراسلين في روما، وفي كندا وبروكسل.

ولاحظت الباحثة من جهة أخرى أن أكثر الاتجاهات السلبية فيما يتعلق بمواضيع الخطاب الإسلامي عبر فئاته المعتمدة قد سجلت في كتابات المراسلين الذين يستخدمون عبارات وأحكام لا نجد فرقا بينها وبين العبارات والأحكام والأوصاف التي تطلقها الكتابات الغربية في تناولها لمثل هذه المواضيع.

وسجلت فئة وسائل إعلام أخرى وكلها أجنبية 4 تكرارات واستغرقت بالتالي 1,79% من مجمل التكرارات في عينة "El Watan" وقد تمثلت ثلاثة منها في وسائل إعلام أمريكية هي على التوالي: جريدة "New york times" ومجلة "Education digest" الإلكترونية، ومجلة " Black light review"، ووسيلة إعلامية (فرنسية-ألمانية) هي قناة "ARTE" التلفزيونية واعتمدت "El Watan" قليلا جدا على وكالات الأنباء بحيث لم تسجل هذه الفئة إلا ثلاث تكرارات عبر العينة وبالتالي بنسبة 1,33% فقط ويتعلق الأمر بوكالة الأنباء الفرنسية "AFP" مرتين ووكالة الأنباء الجزائرية "APS" مرة واحدة وأخيرا تسجل فئة مصادر أخرى "تكرارين عبر عينة"El Watan" خلال فترة البحث وسجلت بذلك بنسبة 0,89%. وتمثلت في لجنة الاتحاد الأوروبي مرة ولجنة القدس في الثانية.

وتشير الباحثة أن بعض المواضيع تضمنها الجريدة لما يوحي أنها تعتمد على مصادر فيما

تنقله عنها من آراء أو حوارات مثل "اعتمادا على مصادر جديرة بالثقة" وأحيانا "مصادر مطلعة" وأحيانا "تقول مصادرنا" لكن لم يتم اعتماد هذه الإشارات لعدم وضوحها.

ولم تسجل بقية الفئات المعتمدة الأخرى أي تسجيل والتي قد تكون هي نفسها ما تقول الجريدة عنه "مصادرنا" "مصادر مطلعة" لكن لم يتم اعتمادها، كما أشرنا.

رابعا: نتائج فئة "المرجع" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

ونعرض في الجدول رقم 71 للنتائج الكلية لفئة "وسيلة تحقيق المضمون" عبر الجرائد الثلاثة موضوع البحث والتي جاءت على الشكل التالي:

جرائد العينة / فئات المرجع	Liberté			El Moudjahid			El Watan			المجموع		
	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%	ت	ك	%
صحفي بالجريدة	1	124	70,46	2	27	25,47	1	161	71,88	1	312	61,66
دون توقيع	2	50	28,42	1	36	33,96	2	40	17,86	2	126	24,90
مصدر رسمي	3	1	0,56	4	9	8,49	-	-	-	5	10	1,98
وكالة أنباء	3	1	0,56	-	-		5	3	1,33	7	4	0,79
وسائل إعلام أخرى	-	-	-	6	2	1,89	4	4	1,79	6	6	1,18
مراسل صحفي	-	-	-	-	-	-	3	14	6,25	4	14	2,77
مصدر عسكري	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
مصدر حزبي	-	-	-	3	24	22,64	-	-	-	3	24	4,74
مصادر أخرى	-	-	-	5	8	7,55	6	2	0,89	5	10	1,98
المجموع	/	176	100	/	106	100	/	224	100	/	506	100

الجدول رقم 71: نتائج فئة "المرجع" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

اعتمدت الجرائد الثلاثة موضوع البحث على صحافييها كمرجع أساسي لتوقيع مادتها الإعلامية أو على عدم توقيعها وهي النتائج التي ظهرت عبر جداول الجرائد الثلاثة في فئة مرجع المضمون الإعلامي، إلا أنه اختلف ترتيبها في جريدة "El Moudjahid" من جهة عنها في كل من جريدتي "Liberté" و"El watan" من جهة أخرى فقد جاءت فئة "صحفي بالجريدة" في

المرتبة الأولى في كل من جريدتي "Liberté" وبنتائج متقاربة بينما جاءت في المرتبة الثانية في جريدة "El Moudjahid" وكان ترتيب فئة "دون توقيع" في المرتبة الأولى في "El Moudjahid" بينما جاءت في المرتبة الثانية في كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" وبنتائج متقاربة أيضا، وفيم تعتمد "El Moudjahid" و"El Watan" على ستة مراجع في تحرير مادتها الإعلامية التي تناولت الخطاب الإسلامي تقتصر جريدة "Liberté" على أربع فقط بين التسعة المصنفة في هذه الفئة وكان نتائج اثنتان منهما رمزية جدا، حيث لم تتعد التكرار الواحد فقط. وأظهرت النتائج النهائية بروز الفئتين "صحفي بالجريدة" و"دون توقيع" كذلك بين مختلف الفئات المعتمدة في فئة المرجع وإن كانت متفاوتة جدا إحصائيا، كما توضحها نتائج الجدول رقم 69.

1-احتلت فئة "صحفي بالجريدة" المرتبة الأولى بـــ312 تكرارا ضمن العينة الإجمالية للبحث وبنسبة 61,66% من مجمل فئات المرجع.

2-جاءت فئة "دون توقيع" في المرتبة الثانية بـــ126 تكرارا وبنسبة 24,90% من مجمل فئات المرجع.

3-جاءت فئة "مصدر حزبي" في المرتبة الثالثة بـــ24 تكرارا وبنسبة 4,74% من مجمل فئات المرجع.

4-جاءت فئة "مراسل صحفي" في المرتبة الرابعة بـــ14 تكرارا وبنسبة 2,77% من مجمل فئات المرجع.

5-تساوت كل من فئة "مصادر أخرى" وفئة "مصدر رسمي" في المرتبة الخامسة بعشرة تكرارات وبنسبة 1,98% من مجمل فئات المرجع لكل منهما.

6-جاءت فئة "وسائل إعلام أخرى" في المرتبة السادسة بست تكرارات وبنسبة 1,18% من مجمل فئات المرجع.

7-جاءت فئة "وكالة أنباء" في المرتبة السابعة بأربع تكرارات وبنسبة 0,79% من مجمل فئات المرجع.

ولم تسجل فئة "مصدر عسكري" أي تردد في مجمل العينة.

ونوضح هذه النتائج في الشكل التالي:

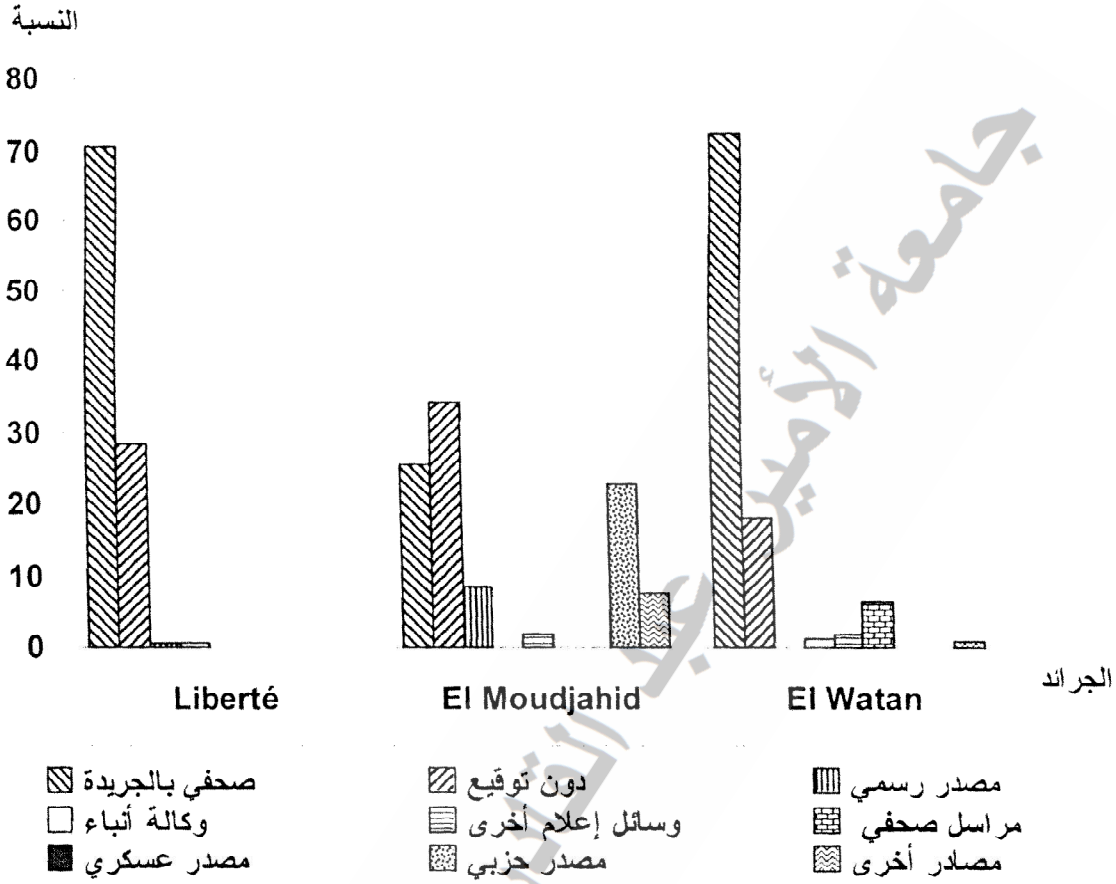

الشكل رقم 15: نتائج فئة "المرجع" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة واستنتاجات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تناولت الدراسة "الخطاب الإسلامي" في الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، وذلك عبر ثلاث جرائد تعد واحدة منها –أو كانت تعد– عميدة الإعلام في الجزائر، بما فيه الصحافة المكتوبة عموما والمكتوبة بالفرنسية على وجه الخصوص، وذلك على كل الأصعدة من حيث رقم سحبها، ومساحة توزيعها في القطر الجزائري، ومن حيث ملكيتها والحظوة التي وليت لها منذ ظهورها قبل أن تصبح عنوانا بين عناوين كثيرة زاحمتها ثم سبقتها في أرقام سحبها ومساحة توزيعها، وكذا في خطابها الإعلامي الذي تحول معها من الخطاب الموجه إلى خطاب يتمترس بالحق في الإعلام وحرية التعبير، ليسجل طروحات غير مسبوقة ولغة جريئة في متابعة الأحداث وتسجيل المواقف والإعلان عن التوجهات، تلك بعض سمات كل من جريدة "Liberté" و" El Watan" موضوع البحث، بالإضافة إلى "El Moudjahid".

وقسمت الدراسة إلى مقدمة وقسمين أحدهما نظري والآخر تطبيقي وإلى عشرة فصول بمباحثها ومطالبها، وخاتمة.

وفيم اهتمت الفصول النظرية للبحث بالإجابة عن تساؤلات البحث النظرية، فقد اهتمت فصول البحث التطبيقية بالإجابة عن تساؤلات الدراسة التطبيقية والتحقق من فروضها، وقد حاولت الباحثة استخدام ما يناسب من المناهج حتى تتمكن من الإجابة على مختلف تساؤلات الدراسة، واختارت لذلك منهجا متكاملا لتحقيق المطلوب.

أما الفصل الأول فقد أكد على أصالة لفظ الخطاب في لغة الضاد وداخل النظام المعرفي العربي وقد تم تتبع ذلك في مصادر العربية المختلفة بداية من القرآن الكريم والحديث النبوي، ونهاية عند دوائر المعارف ومعاجم العربية وخلص البحث إلى أن لفظ الخطابة والخطاب مرادفان في اللغة العربية، حيث لا فرق عند إطلاقهما فيها بغض النظر عن تفصيلات كل مجال، فهو يعبر عن الفعل الاتصالي الذي يكون مكتوبا أو شفويا والذي تقع فيه المحاجة والنقاش في أي شأن من شؤون الأمة ومصالحها، ويلقى على المنبر المسجدي أو الإعلامي أو السياسي أو غيره.

وهو من أعظم الآلات السياسية والدينية والعلمية لأنه واسطة في التأثير على العقول والقلوب وحمل متلقيه على الاستجابة لما يقصد صاحب الخطاب تحقيق الإقناع بشأنه. وقد استوعبت الدعوة الإسلامية مسمّى الخطاب مع ظهور الإسلام، حيث أصبحت سمة المجتمع المسلم الجديد في مقابل الحضارات وأنظمة الحكم والحياة الأخرى، كما أصبحت الخطابة أو الخطاب

وسيلة الإسلام التبليغية في كل حوادث الأمة وملماتها ومآسيها السياسية والتعليمية والتربوية والعسكرية والاقتصادية، حتى اعتراها واعتراه ما اعترى الأمة من أسباب انحطاط خارجية وداخلية وأثر ذلك على شعوبها وقادة الرأي فيها، وبالتالي على خطابها في مقابل الآخر.

أما مصطلح الخطاب فقد اعتمده الفكر النقدي العربي المعاصر ليحمل دلالة المصطلح النقدي في اللغات والثقافة الأجنبية Discours في الفرنسية وDiscourse في الإنجليزية، وقد ارتبط بحقل الدراسات اللغوية ثم بمناهج البحث وخاصة منها تحليل المحتوى الذى ساهمت المدرسة الأمريكية والفرنسية في تطور دراسة النصوص خاصة من ناحية شروط إنتاجها والميكانيزمات الخطابية المتحكمة فيها أو المكيفة لها.

وتلاحظ الباحثة التشابه الكبير في مضامين هذه الدراسات مع المضامين العربية الإسلامية التي عرضتها الدراسة في تتبع مفهوم الخطاب عند الأصوليين، خاصة وهي إذ تشير إلى ذلك فإنها تنبه إلى ضرورة أن يبدأ الباحثون المسلمون بتأصيل مصطلحات بحوثهم عبر مضامينها الإسلامية، بدل المرور مباشرة أو الاكتفاء بالكتابات الأجنبية فيها، والتركيز على ذلك ليس لأن ذلك من باب منطق أولوية دراسة الأسبق عن السابق فقط، ولكن للحيلولة دون مزيد من الاستلاب في المجال الأكاديمي وتقريرا لواقع السبق للعلماء المسلمين وخدمة للحقيقة العلمية من مضانها الأصلية.

كما أثبتت على لسان عدد من الباحثين في التفكير النقدي العربي أن العرب قد ضبطوا قوانين الخطاب واستنبطوا نظامه، ولكن فلاسفة الخطاب –الغربيين– باعترافهم لم يكونوا على إطلاع تام على التفكير اللغوي عند العرب، وأنهم لو فعلوا ذلك لأدركت اللسانيات في الوقت الحالي ما قد لا تدركه إلا بعد أمد بعيد.

وبعد عرضها لتعريفات عديدة لدلالة مصطلح الخطاب في اللغة والثقافة العربية خلصت الباحثة إلى ضبط مصطلح الخطاب في ثلاث مستويات:

1-الشأن أو الغرض.

2-الكلام الحامل لشأن أو غرض.

3-سلطة لإنجاز الشأن أو الغرض.

ومحصلة هذا الشأن هو الرسالة المعبّر عنها، والمشروع الحضاري أو مشروع التغيير،

والسلطة الكفيلة بالإنجاز هذا المشروع وهو ما ينفي الاهتمام فيه على التوالي بصاحب الخطاب ومضمون الخطاب وسلطة تنفيذ هذا الخطاب.

أما عن الخطاب الإسلامي فقد تم تقديم العديد من التعريفات لهذا المصطلح وردت الباحثة على شبهة وصفه ووضعه ضمن البعد السياسي فحسب في مختلف الدراسات الأجنبية والكتابات العربية والجزائرية من جهة ثم شبه الخلط المقصود أحيانا كثيرة بين الخطاب الإسلامي والدين الإسلامي نفسه، ثم التعميم غير العلمي وغير الحضاري بين الخطاب الإسلامي المحدد بنظام الإسلام شريعة وحكما وأخلاقا وقيما... وبين الخطاب الديني كبعد حضاري بشري لا تشترك الشعوب في مختلف أبعاد مفهومها للدين فيه بالتأكيد لتنتهي الباحثة إلى تأصيل الخطاب الإسلامي مفهوما خاصا محددا بالإسلام دينا وباجتهادات المسلمين في الزمان والمكان والقضية موضوع الاحتماد سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو حضاريا أو غيرها. وهو التالي تعريفه:

الخطاب الإسلامي هو التأسيس المتجدد للمهمة الإسلامية العظمى، وهي تجديد دنيا المسلمين بالإحياء لفكر الإسلام في مختلف ميادين الحياة حتى يعود لهذه الأمة مكانها الطبيعي الذي أراده الله لها، مكان صدارة الدنيا وإمامة العالم والشهود الحضاري على الناس أجمعين تحققا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

ولتحقيق هذا الاتجاه في تبني هذا التعريف الجامع ركزت الباحثة على تتبع نشأة ومسيرة وتطور الخطاب الإسلامي عبر المقاربات الإسلامية، التي استنبطتها من مفهوم المفكرين المسلمين وعرضت على التوالي قراءة "قانون النشأة والمسيرة والتطور"، وقانون "الدورة الحضارية: النهضة النشأة الأوج والأفول" وكان هدفها من ذلك التأكيد على أصالة الخطاب الإسلامي من جهة ثم على جدارته الحضارية من جهة أخرى بحياة بدور التجديد فيه رغم الكبوات الحضارية المتلاحقة والتي ماهي إلا حالات طارئة عليه يتم تجديد حياتها بالعودة إلى الإسلام، كما في ظروف البعثة الأولى، باختلاف القائم على الشهود الحضاري بين المسلمين أنفسهم. إذ لا رسول بعد رسول الله ﷺ.

ولاستكمال التأكيد على أصالة هذه القراءات نفسها وتماوي القراءات الغربية عرضت الباحثة لقراءة منها ضمن المنهج الجدلي الذي أسسه أصحابه وأطلقوا عليه "دورات الأزمات والاستجابات الأصولية" والذي ركزوا فيه على البعد السياسي تحديدا في الخطاب الإسلامي

مستعدين كل الأبعاد الأخرى، ومع اعترافهم بقصور توجههم، ومن ثم فشل ما يستهدفونه من عمل متواصل لإثارة الأزمات لتغييبه، وهي ديدن حربهم الحضارية ضد العالم الإسلامي، إلا أن إصرارهم على السير في اتجاه التسييس فقط تم استمرار انكشاف قصور ذلك لم يزد من أصالة وجدارة القراءات الإسلامية والحضارية المنصفة فقط، وإنما أدى أيضا إلى توجيه الدراسات فيما أصبح يعرف بالإسلامولوجيا في الغرب تحديدا إلى مقاربات جديدة بدأت تتكشف مراجعاتها ضمن أطر ضيقة بين المختصين، لكن بإجراءات عملية في المواجهة في المقابل من جديد بدأ يعيشها العالم الإسلامي والعالم عموما منذ نهاية القرن المنصرم.

وقد توقفت الباحثة لعرض ذلك وتقويمه بين القراءة الاستشراقية والإسلامية وتبني مؤشرات ذلك استرجاعا واستشرافا مركزة على السنن الكونية الحتمية من تعاقب الحضارات، وسنة التدافع والتداول، وسنة الاستبدال فيما استنبطته من القرآن الكريم والسنة النبوية وبعض القراءات الحضارية في الموضوع.

ولتعميق فهم أسباب التركيز الغربي على البعد السياسي في الخطاب الإسلامي أساسيا، وتداعيات ذلك على الواقع الحضاري عموما للأمة الإسلامية، ومن ثم وعي تهم القصور من هذا الاتجاه وإلصاقها بالخطاب الإسلامي من جهة ولأن النهضة والتخلف قضية نظام حكم ومن ثم تدابير وإجراءات وقوانين وفي المحصلة قرار سياسي تحديدا من جهة أخرى، فقد اهتمت الباحثة باستقراء هذا الموضوع وهدفت من ذلك إلى تتبع موقع الخطاب الإسلامي من ذلك القرار، وجودا أو عدما، فعالية أو قصورا، حيث عرضت لذلك عبر قراءة للاجتهادات الإسلامية النهضوية منذ نهاية القرن الثامن عشر ورصد لتوجهاتها على صعيد الإجابة على هاجس النهضة في الوطن الإسلامي، وتوصلت إلى أنه لا علاقة لذلك بما يصفه بعضهم بصدمة اللقاء مع الغرب أساسا، باعتبار أن القضية مبدئية إسلاميا وهي وعي الخطاب الإسلامي بأزمة التخلف ومتطلبات النهوض والتحضر.

ونبهت الباحثة إلى أن حلول الخطاب الإسلامي حينها في هذا الاتجاه كانت تقدّم رفض الرافد الغربي وإفشال مشروعه الغريب عن الأمة عبر وسائل هدفت إلى امتصاص حالة الاختلال في التوازن الوجودي التي باشرتها الأنظمة السلطوية المفروضة خارجيا، أو الأنظة المحلية، ومن ثم تعبيد عملية التأقلم مع الوضعية الراهنة بالشكل الذي يخفف وطأتها على الشعوب الإسلامية

ويكفل شيئا من الانسجام ونوعا من تحقيق الذات الظاهري الذي كانت تستهدفه عمليات التغيير القسرية وبأياد محلية، ويبقى الخطاب الإسلامي قبل ذلك وبعده المفصل الأساسي في مشروعية الدفاع عن الذات وممانعة عمليات التحديث على حساب مقومات وضمير الأمة الحضارية عبر تعدد منابره وفصائله التي بدأت تتحدد معالمها وقسماتها في دول العالم الإسلامي عبر الأحداث والمراحل المختلفة، ويبقى الأهم في هذه المسيرة هو تطوير الخطاب الإسلامي المعاصر من التفكير حول مشاريع النهضة التي ثبت عدم جدواها لبعدها عن مراكز القرار والتنفيذ ليتحول إلى تعبئة الأمة سياسيا بين ما تريد الأمة وبين هذه المراكز، خاصة بعدما تحوّل الغرب إلى حالة داخلية ومشروعه الاستعماري الغربي إلى المرجع والقدوة والغاية مقابل تقلص كامل وانتقاد مستلب ضد المدنية الغربية الإسلامية.

وتقول تحاليل قادة الحركة الإسلامية بأن ذلك التحول كان أكثر فأكثر حتمية لكن دون التخلي عن الفعل الثقافي والحضاري الذي كرس تدريجيا تجذير المقاومة للاستلاب لخطاب التغريب الذي تفرد بالقرار الحضاري باسم الشعوب، ومع فشله في إحداث أي تقدم إيجابي قد قدم المسوغات لذلك التحول وزاد من تكريسه التزوع الشعبي الواسع إلى العودة إلى الدين ومنطلقاته بسبب ذات المسوّغ على مستوى الممارسة والإنجاز، وإذ يزيد الخطاب الإسلامي القوة في استحقاق المشروعية في مواجهة الغرب العالمي والتغريب المحلي فإنه يدفع إلى الرهان على الاهتمام بالفكر والحوار. كما تمثلته الفصائل الأخيرة من الحركة الإسلامية في العمل على إصلاح منهجية الفكر الإسلامية المعرفة والاهتداء إلى اصل الأزمة وموقع الخلل حيث الاضطراب في مصادر الفكر وطرائقه ومناهجه الذي نجم عنه الاستعداد للتخلي عن خاصية الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان التنادي من ثم بضرورة الإصلاح على:

1-إعادة من سقط من فئات الأمة في الاستلاب الحضاري فكرا وثقافة وسلوكا.

2-رد الثقافة الأوروبية إلى حجمها الحقيقي وحدودها الطبيعية.

3-تصحيح الثقافة البشرية بردها إلى توازن المادة والروح.

4-المساهمة في تحقيق سعادة البشر التي جنت الحصاد المر من أحادية التوجيه ومركزية القرار ولا تزال.

ومن المفارقات التي توقفت الباحثة لتحليلها والرد عليها لما عرضت إلى جزأرة الخطاب

الإسلامي قصور البعض في وعي الإسلام -كدين- وعدم إدراكهم لمكانته في المجتمع، حتى أنهم يتجاوزون الخطاب الإسلامي في الجزائر بعد نهاية الاحتلال واعتبارهم له خطابا تقليديا تجاوزه الزمن بعدم صلاحيته مقابل الخطاب الليبرالي والماركسي في الجزائر في قرار المشروع الحضاري للمجتمع وهو ما يعني مسح أربعة عشر قرنا من الزمن مقابل قرن أو أقل بالنسبة للخطابين الآخرين ويعني مرة أخرى أن اهتمامهم كان بخطاب الساسة والنخبة الذي يملك سلطة القرار والفعل مقابل خطاب الجماهير الصامتة بما فيها غير الصامتة لكن الممنوعة والممنوع بها من صوت العلماء والدعاة والمفكرين في التنبيه إلى عدم تجاوز خطاب الأمة في الانتماء والخصوصية والواقع.

ونبهت الباحثة أن الخطاب الإسلامي في الجزائر وإن خفت وقت الاحتلال فإنه كان أعلى وأصدق في إحياء الشعب وبعث روحه لوعي ذاته ومن ثم للعمل لتحرير نفسه من المحتل المختلف عنه دينا ولغة وأرضا وقد عبر عن نفسه منذ السنوات الأولى للاحتلال جهادا ضد الفرنسيين عبر الثورات العسكرية التي مست مختلف مناطق الجزائر لكن تشتتها في المكان والزمان وعدد تكافئها عددا وعدة مع المحتل سهّل أمر قمعها بالشاعة التي عرف بها الفرنسيون فإذا لم يكن وعي الجزائريين بكيانهم المستقل وانتمائهم العربي الإسلامي وجهادهم في سبيل تحرير أنفسهم خطابا إسلاميا ضد خطاب الإنجيل وشعار الحضارة واللغة الفرنسية فأي معنى للخطاب الإسلامي في فكر ووعي من يتجاوزه.

وعرضت الباحثة إلى تنوع وسائل جهاد الجزائريين إضافة إلى خطاب البارود واستخدامهم لوسائل الوقت من دبلوماسية عبر عرائض الرفض والاحتجاجات والمطالب التي تلح على القومية الدينية والحضارية الإسلامية للشعب الجزائري ضد منهجية تهديم المساجد والأوقاف والمدارس، وخطاب الهجرة إلى بلدان العالم الإسلامي حماية للأرواح وتجنبا لتعقد الظروف من البعض وخطاب المظاهرات والتجمهر، وخطاب الانكفاء على الذات وخطاب المقاطعة للمدرسة والمستشفى الفرنسية رفضا للتنصير، فإذا لم تكن تجليات هذه الخطابات كلها إسلامية فماذا يعني الخطاب الإسلامي في الجزائر قبل أن تتنادى أصوات العلماء لجمع الشمل ومنهجه العمل وتحديد الأهداف وتقسيم المراحل وإعداد المناهج والبرامج وتنويع الوسائل لمقاومة حضارية طويلة الأمد لمواجهة الحرب الدينية والحضارية الفرنسية المستهدفة لدين الأمة ولغتها، فكانت الصحافة والمعارضة والنقد ولغة السياسة وكان التعليم المكتبي والمسجدي وخطاب القرآن والحديث والفقه

وكان الكتاب وخطاب التاريخ والشعر والعربية والحضارة والذي أنتج كل ذلك.

فقم يابن البلاد اليوم وانهض ... بلا مهل فقد طال القعود
وقل يابن البلاد لكل لص ... تجلى الصبح وانتبه الرقود
فخض يا ابن الجزائر المنايا ... تظلك البنود أو اللحود

و

نحن إلى حقوق نفوسنا ... وتأبى علينا قوة الغشم
ونقص عن الفصحى ونلهى بغيرها ... وليس سوى الفصحى لسان لنارسمي
وما نحن إلا من سلاله يعرب ... فمن رام عنها فصلنا الباء بالرغم

و

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله ... أو قال مات فقد كذب
أو رام إذ ماجاله ... رام المحال من الطلب
يانشىء أنت رجاؤنا ... وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها ... وخض الخطوب ولا تهب

فإذا لم يكن هذا خطاب إسلامي فما هو الخطاب الإسلامي؟!

وقد أنتجت النهضة الحضارية والدينية والثقافية والتاريخية واللغوية التي قادها علماء الجزائر التي لم تجعل الثورة ممكنة فحسب بل جعلت حلم الاستقلال واقعا رغم تشكيك فصائل الليبرالية والشيوعية في الجزائر في مقدرة الشعب الجزائري بالقيام بذلك، فالثورة التي تلقفها الشعب كانت ثورته من أجل كرامته ودينه ولغته التي هدرها فرنسا طيلة قرن وأكثر من الاحتلال.

والخطاب الإسلامي في عمله للاستقلال منذ الثلاثينات كان يعني الاستقلال الحقيقي غير المنقوص، استقلال الدين واللغة والجغرافيا، "الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني" وحذر العلماء الشعب الجزائري من الذين يحلمون باستقلال بلا تاريخ ولا إسلام ولا عربية وقالوا: إن المرحلة الجديدة مرحلة للكفاح والاعتماد على النفس وغلق القلوب على فرنسا إلى الأبد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والاستعداد لمعركة ضارية بعدها إما الحياة وإما الممات[1].

وقال ابن باديس:

-حذار أيها الشعب المسلم.. الأبي من الذين يخدعونك حذار من الذين ينومونك ويخدرونك، حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك وقوميتك ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك.

-استوح أيها الشعب الإسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك، اعتمد على الله ثم على نفسك[2].

وفي هذا اهتم الخطاب الإسلامي في الجزائر باستقلال الهوية قبل استقلال الجنسية في تحديد مبادئ الدولة الجزائرية في إطار مبادئ الإسلام، واللغة العربية.

ولما انطلقت الثورة كانت في إطار مبدإ الجهاد لحماية حرية الدين والبلاد وبرهن المجاهدون حقا وصدقا على مكانة الجهاد، ووضع الشعب الجزائري مجاهديه مع مكانة الملائكة والصحابة، كما أثبتت شهادات قادة الثورة وخرجت الصحيفة الرسمية للثورة، وحزب جبهة التحرير تحت عنوان "المجاهد".

وقد ظهرت معها أصوات تشكك وتشط وتجادل في معنى الجهاد من ليبراليي الداخل والخارج، وطرحت تساؤلات حول الثورة هل هي ثورة دينية متعصبة؟ حرب مقدسة؟ ومن شيوعيي الداخل والخارج أيضا حول إمكانية عدم تجاوب الأنظمة الشيوعية لدعم الثورة بسبب هذا الاسم وكأن الكنيسة والبعثات التنصيرية والأخوات البيض كانوا في الجزائر لنشر الإسلام والسلام؟! ومع ذلك فلا المجاهدون شككوا في نصر الله الذي يؤمنون به في تحقيق إحدى الحسنين ولا القائمون على "المجاهد" ساسة وإعلاميين ومنظرين -منها- تأخروا في وعي ما يحاك والرد عليه. وبغض النظر عن صدقية من اختار عنوان "المجاهد" والجهاد مبدأ للثورة وجريدتها أو من استغله لاحتواء مشاعر الشعب الجزائري المسلم -حطب الثورة- أو ذر التراب في العيون بواقع "برنامج طرابلس" لاحقا، والنصوص الرسمية في جزائر الاستقلال فيما بعد، فإن واقع صناعة

---

[1] -محمد المبلي، المرجع السابق، ص26.

[2] -الشهاب، أوت، 1937.

النخبة البديلة في الجزائر التي صنعتها فرنسا حتى تحل محلها وقت خروجها بعد أن بات واضحا هزيمتها العسكرية في الجزائر قد أصبحت هذه كما يسميها "فرانتز فانون" صوت ثقافة المستعمر" الذي يحقق بها:

- -منع استكمال العدة النظرية للنخبة الصانعة للمجتمع في تصورها للدولة العصرية بما يتلاءم ونموها الطبيعي بأصولها الإسلامية وهويتها الخاصة.
- -عزل النخبة الفكرية الجادة واضعا إياها في منطقة الفراغ بتعطيل حضورها وانتهاء إلى سحب مشروعية وجودها وبالتالي التشكيك في توجهاتها واتهامها.
- -وفي المقابل التمكين لفئة عملية منخرطة في مشروعه التغريبي محققة لأهدافه تبريرا وتشويشا وتعطيلا.

وقد تابعت الباحثة تكوين هذه الفئة –النخبة– في الجزائر منذ 1875م إلى 1962م وتصنيفها وكيفيات اختيارها والأهداف التي وكّل إليها تحقيقها في كل مرحلة، السياسة منها والدينية والحضارية واللغوية، والتي بدأت بالإيمان بحضارة فرنسا وانتهت برفض حضارة الإسلام دينا ودولة.

وعرضت الباحثة إلى نتائج سياسة الفرنسة وبداية سياسة الفرنكفونية في الجزائر في عزل الخطاب الإسلامي عمليا بعزل مشروعه وعزل من يمثله وتحليلاته ومساهمته في صنع مستقبل الجزائر من جهة، وإضعاف اللغة العربية وتهديد العامية الجزائرية نفسها بالزوال من جهة أخرى، وقد تم ذلك عبر النخبة الشيوعية التي لم تكن تثق في الإسلام وتعتبره إيديولوجية رجعية تعبر عن مصالح الطبقة الإقطاعية واعتباره مجرد تاريخ مضى وأن لا علاقة له بالثورة، أو حصره في بعض الشكليات كما اعترف بذلك ميثاق 1986م نفسه في مراجعته لميثاق 1976م، ولعل أهم حقائق نجاح هذه النخبة هو الحقيقة التي استقلت عليها الجزائر هي المبادئ الاشتراكية على أساس أنها أكثر المناهج عقلانية بقيمها ومثلها العليا وأفكارها، والتي نصت النصوص على وجوب حمايتها والدفاع عنها بل والتضحية في سبيلها وأنه خيار لا رجعة فيه بدلا من مبادئ الإسلام وأخلاقه وقيمه والتي نص عليها بيان أول نوفمبر واكتفت النصوص الرسمية فيما بعد بالإشارة إلى مجرد احترامه.

وقد تم ذلك أيضا عبر نخبة القوة الثالثة والاستعمار الجديد للجزائر (الفرنكفونية) التي بدأتها فرنسا بسياسة "الجزائر فرنسية ثم سياسة" الجزائر جزائرية" بديلا عن الجزائر العربية المسلمة، وكونت الجماعة (النخبة) التي اختارتها فرنسا ووكلت إليها إنجاح هذه السياسية، – البورجوازية الجزائرية– التي تحل محل الفرنسيين في إدارة الجزائر، وبعد أن تم شرعنتها عبر "اتفاقيات إيفيان" عبر نص الإبقاء على الجهاز الإداري الاستعماري[3]. ويضاف إليها الجهاز الثقافي والاقتصادي والتعليمي المثقف المتجنس بالفرنسية عموما وكانت هذه صورة الاستقلال الذي لعمته فرنسا وعاشت عليه الجزائر ولا تزال.

وإذا كان "برنامج طرابلس" الذي يؤكد "محمد حربي" أنه يحمل بصمات الحزب الشيوعي الجزائري قد تجاوز بيان أول نوفمبر في مراجعة دور الإسلام في مستقبل الدولة الجزائرية، فقد تم به أيضا مراجعة مرجعية الثورة المباركة نفسها في دوافعها ومبادئها بشحنة إيديولوجية عارمة ووضع لها ما سماه خط عقائدي جديد، فمن الجهاد في سبيل الله إلى الكفاح والنضال، ومن الشعب الجزائري إلى طبقة الفلاحين والعمال والبروليتاريا، بالإضافة إلى الحتمية التاريخية، الطلائع الثورية... مقابل الروح الإقطاعية والرجعية والعهد البائد وانتهى إلى تجاوز هدف الاستقلال في الجزائر إلى هدف أبعد هو الثورة الشاملة والتغيير الجذري للمجتمع.

وقد توقفت الباحثة عند الطليعة الواعية التي أناطها "برنامج طرابلس" بصياغة المشروع الحضاري للجزائر المستقلة والتي تبقى هي نفسها مشروع تكوين في الجزائر المستقلة واكتفت الباحثة في غياب الإجابة عمن تكون هذه الطليعة الثورية بطرح أسئلة رأتها مشروعة في هذا الإطار عمن يتولى تكوين هذه الطليعة الثورية؟ والعلاقة بين صناع الاستقلال –المجاهدون في سبيل الله– وصناع المستقبل–الطليعة الواعية؟ ثم من خوّل لصناع المستقبل لوحدهم الحق في الاستئثار بمهمة تقرير المصير الحضاري للجزائر وللشعب الجزائري؟ وتابعت الباحثة قراءة النصوص الرسمية في الجزائر بداية من دستور 1963م وبيان 19 جوان 1965م وانتهاء إلى نصوص الاشتراكية في الجزائرية عبر ميثاق ودستور 1976م ،1986م، والتي كرست الأفكار والمرجعية والمبادئ الاشتراكية للجزائر على أنها خيار لا رجعة فيه وتسخير الدولة والحزب والمنظمات الجماهيرية وكل الشعب لإنجاحها والدفاع عنها ودعمها وحمايتها ومنع مراجعة قرار اختيارها في

---

[3] –نصفي الخولي، المرجع السابق، ص16.

مستقبل الجزائر، الذي تم على أساس أنها مبادئ التنظيم الاجتماعي الأكثر عقلانية وعدالة وإنسانية كما جاء في ميثاق 1976م (ص28).

وتوقفت الباحثة عند نصوص الميثاق الذي جعلت من الاشتراكية في الجزائر واجب إسلامي وان بناء الاشتراكية فيها يتماشى مع ازدهار القيم الإسلامية وأنه على الشعب الجزائري وكل العالم الإسلامي إذ أراد أن ينبعث من جديد من إعادة بناء الفكر الإسلامي —نفسه- وتحويره تحويرا كاملا بالتحول من الإصلاح إلى الثورة الاجتماعية ضمن المبادئ الاشتراكية وعندها سيدرك أنه يقوم على أحسن وجه بما تفرضه عليه العقيدة الإسلامية!

ومع صعوبة الربط بين الإسلام —الدين- والاشتراكية —الأفكار البشرية- وكيف تتحول هذه إلى واجب إسلامي يستدعي مراجعة كل الفكر الإسلامي على ضوئها تمحيصا لعقيدة المسلم في الجزائر وفي العالم الإسلامي كله... اكتفت الباحثة بطرح أسئلة رأتها مشروعة أيضا نحو

-ما الذي أبقت الاشتراكية في الجزائر للدين الإسلامي من معاني الدين في الممارسة الدنيوية والسياسية وغيرها في الجزائر، وما الذي بقي للاشتراكية حتى لا تتحول إلى دين؟

-ماذا يتبقى من مفهوم الحياة الروحية المستلهمة من الإسلام بصفتها الموجه لحياة المسلم حين تحددها الاشتراكية في احترام حرية الفكر وحرية الضمير؟

-ماذا يتبقى من علاقة الجزائري المسلم بالإسلام أو احترامه له أو الاهتمام بتعاليمه إذا تحوّل كما تفترض مبادئ الاشتراكية إلى إنسان جديد، الصانع الحر والواعي للمجتمع الجديد، البناء للاشتراكية، المحتك الإيديولوجي والسياسي الذي يدرك مواطن مصلحة الدولة الاشتراكية ويدافع عنها بكل حماس وتفان إلى درجة التضحية من أجلها وترجمة مثلها العليا إلى واقع ملموس؟ ويؤيدها بقوة ولن يقبل مجتمعا آخر غير المجتمع الاشتراكي؟

-ماذا يتبقى من مفهوم مجتمع مسلم إذا كان بناء الاشتراكية يتأسس على تصفية البنيات القديمة بكل جوانبها العتيقة والبالية والرجعية، والقضاء على العقليات المتخلفة والرواسب المتبقية والعمل على الحيلولة دون عودتها، لان الاستمرارية الثورية لا يمكن أن تتحقق سوى بالقطيعة مع الماضي وبالسمو فوق الصراع الدائر بين الفكر التقليدي والتفكير المعاصر؟ (ميثاق 1976م-ص 29).

ولأن الرهان على النصوص والممارسات الميدانية قد وُوجه بقصور الاستجابة الشعبية في الواقع الجزائري من جهة، ورفض كثير من أصحاب المصالح في الجزائر من جهة أخرى مع ما رافقها من سلوكات ربطت نصوص الاشتراكية بمرجعيتها الشيوعية في موقفها من الدين والأخلاق الذي لخصه ميثاق 1986م بالاختلالات والسلبيات ووصفها بالتفاوت بين التطبيقات الاجتماعية والأهداف الثقافية والروحية وبين مراجعته لميثاق 1976م في ضوئه، فقد قرر هذه المرة «تكوين مجتمع عارف بشخصيته معتد بماضيه وتراثه معتمد على ذاته وإمكانياته متوجه إلى مستقبله مستعين بربه» (ميثاق 86م ص36).

ولئن كبحت مراجعة ميثاق 1986م جموح الشحنة الإيديولوجية التي ملأت نصوص ميثاق 1976م وأشارت بالوصف الدقيق لما رافق تطبيق الاشتراكية في الجزائر من أنماط سلوكية، «تدعي أن الإسلام مجرد تاريخ مضى وأن الدين لا علاقة له بالثورة، ويحصر الإسلام في مجموعة من الشكليات ومظاهر بعيدة عن الدين مثبطة لأعمال الفكر معادية للاجتهاد» (ميثاق 1986م ص37)، «وتسعى إلى تحويل الصحوة الإسلامية إلى مجرد مدّ طقوسي سطحي»... فإن مد المراجعة لم يمس مبدأ الاشتراكية ولا مبدأ اختيارها في الجزائر، ولم يع أنه لا يمكن الفصل بين الاشتراكية والعداء للدين في جوهرها وأن عملية التكييف لا بد أن تنتهي منطقيا إلى تغليب أحدها على الآخر، والذي لن يكون في الواقع سوى الاشتراكية —في الجزائر– في ضوء سياج حمايتها وردع من يناوئها وتصفية كل ما يمكن أن يعرقل استمرارها لأنها تبقى دائما المبادئ الأكثر عقلانية وعدالة وإنسانية، كما ينص الميثاق على ذلك!

وما يلخص مراجعة ميثاق 1986م عنوان محوري هو "من أجل إنقاذ الاشتراكية في الجزائر" والعمل على تكييف الإسلام لمبادئها ونصوصها ومثلها... وليس العكس ومحاولة ما يمكن وصفه باشتراكية الإسلام وليس إسلام الاشتراكية، وقد تم ذلك واقعيا بعملية عزل وتغليف منهجية للإسلام وذلك:

1-بالتأكيد على البعد الإسلامي —من جديد– للاختيار الاشتراكي وعلى البعد الإسلامي للاشتراكية نفسها التي جعلها ميثاق 1986م عميقة الجذور في الجزائر، بعيدة التاريخ فيها مع انتفاء منطق ذلك عمليا وتاريخيا وواقعيا...

2-بالإلحاح على الاقتناع بالخيار الاشتراكي في المشروع الحضاري وبناء المجتمع الجزائري

حماية وتضحية ودفاعا وحتمية قبل الإسلام ترتيبا بطريقة تنتفي معها فكرة التوازن.

3-تجاوز الإسلام نفسه مبدأ ومنهجا بشكل يتغنى بالإسلام ويتبنى الاشتراكية بوصفها الوسيلة المفضلة لتحقيق العدالة وتوفير العيش الكريم ومنع الاستغلال وتأكيد المساواة.

4-بعدم التفريق المقصود أو غير المقصود بين الإسلام كدين وبين الخطاب الإسلامي والتاريخ الإسلامي الذي يعني اجتهادات المسلمين ومنهم الجزائريين المرتبطة بالزمان والمكان.

5-بالتركيز على الماضوية في رسم صورة الإسلام وتأكيدها في الواقع الجزائري بهدف مجرد عدم قطع الصلة به دون تبني لمفاهيمه وتطبيق لمبادئه في صياغة الواقع والمستقبل.

6-بالتأكيد على حتمية الاستمرار في تثبيت الاشتراكية عبر إحداث التحولات الفكرية والأخلاقية للنجاح في معركة الإبداع وتحديد دور الإسلام في إذكاء المشاعر والتأثير في الجماهير لصنع البطولات في تثبيت الاشتراكية وتغذية القناعة بها بالمراهنة على قوة تكيف الجزائريين بالانفتاح على التقدم وتعزيز صلتهم بواقع العصر، ولجعل الثورة الاشتراكية ثورة شعبية تماما كما جعل من ثورة نوفمبر المجيدة.

وتوقفت الباحثة عند نصوص التعددية في الجزائر وتابعت موقع الخطاب الإسلامي في الاختيار الجديد في الجزائر الذي بدأ في 1989م بمسح عقيدة حتمية الاختيار الذي لا رجعة فيه – الاشتراكية- والتي مسحت معها إيديولوجية الثبوتية في رسم الإقناعات والإقناعات فكريا وحضاريا وثقافيا... ومهدت بلغة أكثر تواضعا صيغ المراجعات لنصوص تتعلق بالهوية الجزائرية، ومشروع المجتمع الجزائري من جديد ثم بتنظيم الحياة الحزبية التي عرفتها الساحة الجزائرية ببروز الأحزاب الإسلامية لأول مرة في الجزائر، وذلك عبر نصوص دستور 1996م فيما بعد.

- -بالتأكيد على الطابع الجمهوري الديمقراطي لدولة جزائرية دينها الإسلام.
- -بالتأكيد على إسلامية الشعب الجزائري دون عروبته كما كانت تؤكد على ذلك المواثيق السابقة وإضافة البعد الأمازيغي لمكونات الهوية الوطنية.
- -بالتأكيد على أن الجزائر أرض الإسلام، وأرض عربية بإضافة البعد المتوسطي والإفريقي.
- -تعهد رئيس الجمهورية باحترام الدين الإسلامي وتمجيده.

- -تحديد غاية المؤسسات الرسمية في المحافظة على الهوية الوطنية وأنه لا يجوز لها القيام بسلوك مخالف للخلق الإسلامي...
- -التأكيد على عدم المساس بحرمة المعتقد وحرمة حرية الرأي مع ملاحظة عدم تحديد قراءة حرمة المعتقد كحق من حقوق الإنسان أم كحق من حقوق المواطن ومن ثم طرح مسألة التعددية الدينية من عدمها مع عدم ما يؤكده أو ينفيه.
- -استحداث المجلس الإسلامي الأعلى دون تحديد وظيفته في البداية ثم تحديدها في دستور 1996م على أساس أنه مؤسسة استشارية.
- -تحديد مهام المؤسسة الإسلامية الرسمية وتحديد صلاحيات وزير الشؤون الدينية بوضوح.

وقد خلصت الباحثة بعد عرضها لنشاط الخطاب الإسلامي في الجزائر المستقلة إلى أن مسألة طرح موقع الإسلام في المشروع الحضاري للمجتمع الجزائري وعلاقته بالدولة في فترة الاشتراكية قد بقي في منطقة الظل مقارنة بسؤال التنمية الذي اختزل جميع الأسئلة الأخرى بهدف استكمال الاستقلال السياسي بالاستقلال الاقتصادي وللخروج نهائيا من دائرة التبعية -الوجه الجديد للاستعمار في الجزائر-.

وإذا كان اختيار الاشتراكية وسيلة الجزائر لتحقيق ذلك الهدف والتعبير عن تموقعها الايديولوجي ضد المعسكر الرأسمالي الذي يمثله الاحتلال الفرنسي فقد سجل توكيل النخبة الفرنكوشيوعية أو "حزب فرنسا"، كما أصبح يعرف في الجزائر تطبيق الاشتراكية من المفارقات الإيديولوجية والسياسية في تاريخ الجزائر المعاصرة، ذلك لأن تلك النخبة لم تكن في الحقيقة سوى الفئات التكنوقراطية والبيروقراطية، البورجوازية الأصول والفرنسية اللغة والثقافة، التي أعدتها فرنسا لإنجاح سياسة الفرنكفونية في الجزائر بعد الاستقلال وفي غياب البروليتاريا الجزائرية تاريخيا وواقعيا من جهة، وتفشي الأمية من جهة أخرى، فقد آل إلى هذه النخبة -المفارقة- توجيه القرار السياسي في الجزائر والقرار الحضاري عموما عبر الدوائر المختلفة التي تتوزع عبرها سياسة إعلاما وثقافة واقتصادا ونقابة...

وقد عملت السلطة الجزائرية كما تؤكده دراسة "فرانسوا بورغات" " François Bourgat" على منع الخطاب الإسلامي من أن يشكل مركز قوة مستقلة عن سياسة الحزب

الواحد لأكثر من عشرين سنة وذلك عبر مباشرة ترسيم المؤسسة الإسلامية وتحويل أئمة المساجد والدعاة والعلماء إلى مجرد موظفين وربطهم بجرية محددة للتقليل من إمكانية المعارضة ثم توظيف منبر المسجد للخطاب الرسمي الوحيد باسم الإسلام وللرضى وللدعاية والدعم.

وذلك لم يمنع الخطاب الإسلامي من أن يجد طريقة إلى التعبير عن نفسه ولا أن يجد طريقه للعمل الثقافي والتعليمي والدعوي وكذا الإعلامي، إلا أن ظروف المنع قد حدّت من آثار توسعه، فقد بدأ عبر المواقف الفردية وبعض النداءات والبيانات لرفض علمانية الدولة والتأكيد على مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتعلق ببعض المظاهر الاجتماعية الغريبة التي كان الخطاب السياسي يرعب فيها ثم رفض التوجه الاشتراكي.

وسجلت سنة 1963م ظهور "جمعية القيم" وقد كانت الجمعية الإسلامية الوحيدة التي باشرت النشاط الإسلامي بعد الاستقلال وملأت الفراغ الديني الكبير الذي كانت تعيشه الجزائر، ومع أن نشاط الجمعية قد اتسم بالطابع العلمي والثقافي والإعلامي إلا أن ذلك لم يحل دون منعها وإقالة رئيسها من أمانة جامعة الجزائر واتهامها بالعمالة والإرهاب بعد أن بعثت برقية التماس للرئيس المصري "جمال عبد الناصر" بشأن إعدامه للشهيد "سيد قطب".

وسجلت سنة 1965م موقف الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" الذي ضمنه بيانه "ضد الانحراف العقدي والسياسي" والذي أشار فيه إلى الأزمة الروحية التي كان يتخبط فيها الشعب الجزائري لطول فترة محاربة الإسلام في عهد الاحتلال من جهة ثم التوجه العلماني بصياغة المشروع الحضاري للمجتمع الجزائري في المنظور الاشتراكي الأجنبي ومن ثم دعوته إلى ضرورة تصحيح الوضع بصياغة هذا المشروع من صميم جذور الشعب -العربية الإسلامية- وبوجوب إعطاء الإسلام مكانته في التشريع حتى تشيد حضارة الجزائر على تقوى من الله ورضوانه.

وقد نشط الخطاب الإسلامي لمواجهة السيار الجزائري وانطلق منذ نهاية الستينات من كليات العلوم الدقيقة والطب بصفة خاصة وتناوله المثقفون والمتعلمون منهم اللغة الفرنسية تحديدا باعتبار اختصاصاتهم العلمية البحتة التي كانت لغة تعليمها اللغة الفرنسية في الجزائر وتمحورت قضايا الجدال طيلة الستينات في مناقشة قانون الأسرة التي ساهم عدد من العلماء في مناقشته في وزارة العدل وعلى رأسهم الشيخ "عبد اللطيف سلطاني" حتى لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية أما السبعينات فقد ميزها قانون الثورة الزراعية الذي رفضه الخطاب الإسلامي في محتواه الشيوعي

وكان كتاب "عبد اللطيف سلطاني" "المزدكية هي أصل الاشتراكية"، ورغم منع طبعه وتوزيعه في الجزائر قد عرف رواجا كبيرا بين الجزائريين بالإضافة إلى كتابه في سبيل العقيدة الإسلامية في 1982م فيما بعد، ومحاضراته التي لم تجد لها فقط صدى بين المثقفين عموما وإنما أيضا في فقرات ميثاق 1986م في مراجعته للاشتراكية. ومع أن المشرع الجزائري لم يفعل ذلك نزولا عند وجاهة براهين مخالفتها للإسلام واكتفى بالاعتراف بالاختلالات الثقافية والروحية والاجتماعية دون ردها إلى العقيدة الاشتراكية وأخلاقها ومثلها ومبادئها.. وهو ما يجعل من ميثاق 1986م محاولة لاحتواء الخطاب الإسلامي لما بدا من نجاحه في توجيه أنظار الجزائريين إلى الإسلام وحضارته ومبادئه وأخلاقه... من جديد.

وسجل مشروع "مالك بن نبي" الإسلامي بداية التحول في انتقال الخطاب الإسلامي في الجزائر من مواجهة اليسار من شكله المطلق إلى تقديم البديل عبر طرح مشروع الحضارة الإسلامية والعمل للعودة إلى أسسها الأولى من جديد واستطاع "مالك بن نبي" أن يوجه أنظار الشباب المثقف إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير.

وتعد كتب "مالك بن نبي" إلى ألفها كلها في إطار مشكلة الحضارة الترجمة الفكرية لمشروعه التغييري في الجزائر التي كانت مخبرهُ الذي لم يعكس فقط فهمه لطبيعة المشكلة وأسبابها وأعراضها وإنما اقتراحه لأساليب ووسائل حلها أيضا.

وكانت كتب "الظاهرة القرآنية"، "شروط النهضة" و"مذكرات شاهد القرن" ثم "وجهة العالم الإسلامي" و"فكرة كومنولث إسلامي" أساس مشروعه الذي يتمحور حول بعث الروح التي تحافظ على استمرار البناء الحضاري والتي تتجسد في القيم الخلقية التي تعد عنده المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية ولن يكون ذلك إلا عن طريق القرآن الكريم.

ولم يبق مشروع "مالك بن نبي" حبيس الكتب، فقد استقال من الوظيفة الرسمية في الجامعة والوزارة وتفرغ للتعليم والدرس والمحاضرة وكذا للكتابة في الجرائد.

ويجمع الباحثون أن خطاب "مالك بن نبي" قد أضحى الخطاب الوحيد المؤثر في الأوساط الجامعية كما أصبح فكره موضوع اهتمام ودراسة داخل الجزائر وخارجها، وأنه قام بتجديد العمل الديني بالمعنى الواسع للكلمة إصلاحا واجتماعا واقتصادا وعقيدة...

وكانت الانطلاقة المنهجية للفعل الإسلامي في الجزائر مع تنظيم ملتقيات التعريف بالفكر الإسلامي التي كان وراءها "مالك بن نبي" وقد أصبحت مناسبة علمية وطنية ودولية تتحول الجزائر فيها إلى قبلة للعلماء والمفكرين والدعاة والفقهاء للمحاضرة والندوة والرحلة ونقلها مباشرة عبر التلفزة الوطنية وتغطيتها من مختلف وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة الجزائرية والعربية زاد من إشعاعها وتأثيرها في الجمهور الجزائري.

وقد عرفت الجزائر أربع وعشرين ملتقى من ديسمبر 1968م إلى ديسمبر 1990م أحاطت بقضايا الفكر والثقافة والفقه والفلسفة والسياسة والدعوة والروح... في العالم المعاصر وقدمت لها الرؤية الإسلامية وساهمت هذه الملتقيات في نضج الصحوة الإسلامية في الجزائر التي لم يطل بها الزمن حتى تتحول إلى التعددية.

وفيم يراهن المشرع الجزائري من جديد على عبقرية الجزائري على التكيف والتفتح على التقدم الذي يختزل دواعي التحول السياسي في الجزائر تقف جملة من الأسباب والعوامل الداخلية ومنها الخارجية سرّعت ذلك التحول ودفعت التحاليل المختلفة إلى الحكم عليه بالارتجالي وتحميل مسؤولية عدم انتظام المسلسل الديمقراطي الذي يوصل إلى نظام تعددي حقيقي وهو ما يفسر سرعة التعديلات الدستورية التي مست نصوص دستور 1989م نفسه أي بعد سبع سنوات فقط من إقراره.

وتجمع مختلف التحليلات لعوامل الخارجية في التحول الديمقراطي في الجزائر وهو ما أثبتته وقائع التسعينات وما بعدها في الجزائر، على الاستهداف الغربي للإسلام تحت غطاء الأصولية باعتبارها خطرا ومصدرا للإرهاب وما سمته فرنسا بالتطرف الديني المناهض للغرب في المنطقة وقادت المجموعة الأوربية تكريسا لهذا التوجه عبر القوات الأوربية في إفريقيا من مواجهة الشيوعية إلى محاربة الخطر الأصولي في الضفة الجنوبية للمتوسط جيوسياسيا بالتركيز على هوية الثقافة والأمن والعرق الأوربية من جهة ومرجعية الحروب الصليبية من جهة أخرى للنجاح في هذه الحرب.

أما إقليميا فدعت مختلف المؤتمرات في منطقة المغرب العربي في ظل تزايد المد الديمقراطي في العديد من الدول الإسلامية إلى تشجيع قيام الاستقرار بين دول المنطقة المغاربية وعدم السماح لكل ما يمكن أن يمس النظام السياسي فيها ومن ثم العمل على تحييد الإسلام من الحياة السياسية

والاقتصادية وحصره في بعض الجوانب الاجتماعية ومن ثم الإبقاء على الطابع الجمهوري العلماني فيها وتدعيمه.

وتنوعت العوامل الداخلية التي تقف وراء التحول التعددي في الجزائر بين أزمة المشاركة الشعبية في سياسة الدولة، وبين أزمة عدالة التوزيع وصعوبة اختراق الجهاز الإداري الموروث عن فرنسا وانتشار البطالة وتلف المديونية وظاهرة الفساد والرشوة التي انتشرت بين مسؤولي الدولة والحزب الحاكم والتي انتهت إلى أزمة الشرعية السياسية في نهاية الثمانينات بعد تهاوي الشرعية التاريخية والشرعية الثورية أمام جيل الاستقلال.

وإذا كان دستور 1989م قد فتح الباب في الجزائر لاستيعاب القوى السياسية المعارضة فإن دستور 1996م اهتم بشرح وتحديد إنشاء الأحزاب وأهدافها وممارستها نشاطها وكذا بترتيباتها المالية والعقوبات التي تتعرض لها في حال مخالفتها للقانون.

ورغم العدد الكبير من الأحزاب التي تكونت في الجزائر فإنها تصنف في تيارين كبيرين هما:

*تيار وطني تغريبي لائكي ويلتقي مع مختلف الأحزاب التي تنضوي تحته على:

-رفضه للغة العربية كلغة وطنية رسمية للدولة الجزائرية.

-رفضه لأي دور للدين الإسلامي في إدارة المجتمع وسياسة الدولة ولا تتعدى علاقة الجزائري به احترامه له كتراث ماضي وحصره في مجال العبادات.

-رفضه لإقامة دولة إسلامية بمفهومه الغربي الذي يتبناه.

وتصب مواقف هذا التيار الفاعل والنشيط بتنفذه في مختلف مراكز القرار وراء كثير من القضايا الحضارية في الجزائر وعلى رأسها تجميد قانون اللغة لعربية وفي المقابل ترسيم إحدى اللهجات الجزائرية والإبقاء على مكانة اللغة الفرنسية في المنظومة التربوية رغم أن المفاوض الجزائري قد بت لصالح السيادة الكاملة للغة العربية منذ 1962م.

*التيار الوطني العربي الإسلامي والذي يلتقي مع مختلف الأحزاب التي تتفق معه على:

-رد الاعتبار للإسلام في إدارة المجتمع وسياسة البلاد.

-الدعوة إلى إقامة دولة إسلامية يكون مصدر تشريعها القرآن الكريم.

-ضبط الحريات الأساسية في الوطن بمقومات الأمة.

-استلهام قوانين الأسرة والمنظومة التربوية من مقاصد الشريعة الإسلامية.

-القبول بمنطق التعايش في إطار التعددية والشورى.

وقد أثارت تعديلات دستور 1996م حفيظة مختلف الأحزاب في الجزائر ومنها الأحزاب الإسلامية التي رأت أنها تستهدفها هي بالذات في ضوء جديد الساحة السياسية الجزائرية فيما بعد أول انتخابات تعددية نجح فيها التيار الإسلامي بالأكثرية وهزيمة حزب جبهة التحرير الوطني، ولذلك كانت قراءتها للمواد المعدلة والجديدة بالحيلولة دون تكرار ما حدث وضمان عدم وجود تغييرات جذرية في التوجهات السياسية السائدة.

كما ركزت انتقادات مختلف الأحزاب في الجزائر إلى رفض الديمقراطية الموجهة والمبرمجة من وراء المكاتب وأكدت على أن الديمقراطية في الجزائر والدول المعنية بالدمقرطة غربيا بما فيها دول العالم الإسلامي خاصة أين ظهرت فيها المعارضة الإسلامية تبقى محدودة ضمن الخطوط التي وضعها الغرب ورهن خدمة مصالحه وذلك عبر ترويض هذه المعارضة واحتوائها إن أمكن دون الوصول بها إلى صورة ناضجة من الديمقراطية الحقيقية.

وقد خاضت أهم الأحزاب الإسلامية تجربة الانتخابات التعددية في كل مرة وكان نجاحها باهرا تجاوز كل التوقعات مما أثار اتجاه الحد منها وبلغ إلى حد إلغاء نتائجها كما حدث في 1990م.

ومنذ 1990م شهدت الجزائر العديد من الانتخابات الرئاسية منها والتشريعية والمحلية وكان ترتيب الأحزاب الإسلامية فيها كما يلي:

-الانتخابات المحلية في 1990م فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

-الانتخابات التشريعية في 1991م فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ رغم اعتقال زعيميها وقد تم إلغاء نتائجها وانتهت إلى إعلان حالة الطوارئ.

-الانتخابات الرئاسية في 1995م جاءت نتائج الأحزاب الإسلامية في المرتبة الثانية عبر مشاركة "حركة مجتمع السلم" تحت رئاسة "محفوظ نحناح".

-الانتخابات التشريعية في 1997م شاركت فيها عشرة أحزاب وكانت نتائج الأحزاب الإسلامية في المرتبة الثانية "لحركة مجتمع السلم" والمرتبة الرابعة لحركة النهضة "فيم جاءت نتائج التيار التغريبي العلماني في المرتبة الخامسة بالنسبة لـــ"جبهة القوى الاشتراكية" والمرتبة السادسة

بالنسبة لـــ"التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية".

-الانتخابات المحلية 1997م جاءت نتائج الأحزاب الإسلامية في المرتبة الثانية بعد التيار الوطني وقد صنف البعض نتائجها المتوقعة تحت عنوان تدوير السلطة بدل التداول عليها.

-الانتخابات الرئاسية في 1999م وبغض النظر عن ظروف ومعطيات إجرائها فإن الصوت الإسلامي الذي مثله كل من "أحمد طالب الإبراهيمي" و"عبد الله جاب الله" قد جاء في المرتبة الثانية بعيدا أمام التيار التغريبي وكان لذلك دلالة على أكثر من مستوى على صعيد قوة الخطاب الإسلامي وقوة قاعدته الشعبية عبر صندوق التعددية.

-الانتخابات التشريعية في 2002م شاركت فيها الأحزاب الإسلامية وقاطعتها الأحزاب اللائكية مراهنة على إفشالها، وجاءت نتائجها في المرتبة الثالثة والرابعة على التوالي بالنسبة "لحركة الإصلاح الوطني" و"حركة مجتمع السلم" والمرتبة الثامنة بالنسبة "لحركة النهضة".

وقد قدمت العديد من الأحزاب طعونا ضد ما قالت أنها عمليات تزوير واسعة وضد نتائج الانتخابات واكتفت بعضها بالحديث عن التزوير دون تقديم الطعون لاعتقادهم في لا جدواها.

وذهبت الصحافة المكتوبة بالفرنسية –اللائكية– منها خصوصا بعيدا في تحاملها ضد الخطاب الإسلامي والأحزاب الإسلامية في تعليقها على نتائج الانتخابات مركزة على ما قالت أنه تراجع التيار الإسلامي من جهة وعلى تغير خطاب الإسلاميين لصالح الديمقراطية وحقوق الإنسان على حساب إنشاء الدولة الإسلامية لكن هذه الصحافة لم تأخذ بعين الاعتبار التعديلات الدستورية التي أقرها دستور 1996م خاصة تلك التي تتعلق بشروط تكوين الأحزاب بداية من أسمائها ومبادئها وأهدافها والتي بدونها لم يكن ليسمح لها بالمشاركة في الانتخابات من جهة ثم عدم غياب الأهداف الدائمة للأحزاب الإسلامية في واقع الحملة الانتخابية من جهة أخرى.

وفي حين أجمعت التحليلات على أن الرابح الأكبر كان حزب جبهة التحرير الوطني، وقد أجمعت أيضا أن النتائج متوقعة، فإنها أكدت هذه النتائج كرست اتجاه تدوير الديمقراطية في الدول المعنية بالدمقرطة في العالم ويعني العمل على عدم انتظار تغيير كبير فيها بما يمكن عدم التحكم فيه رغم شعارات الشفافية التي يصر عليها الغرب الذي يتابع باهتمام شديد الانتخابات التعددية عبر العالم الإسلامي.

ومع كل ما قيل فإن الانتخابات الديمقراطية ونتائجها في الجزائر سجلت انتظام الأحزاب الإسلامية في الحياة السياسية من خلال قواعدها الانتخابية لكن أيضا من خلال طروحاتها وبرامجها وشعاراتها كمكون أساسي للشعب الجزائري وكصوت مسموع للتعبير عن ثوابته وخصوصياته العربية الإسلامية.

جاءت الإجابة على تساؤلات الدراسة التطبيقية فيما يلي:

أولا: موضوعات الخطاب الإسلامي وفئات ماذا قيل في صحف الدراسة:

تناولت الصحف موضوع الدراسة الخطاب الإسلامي في مختلف المجالات المرصودة بالبحث وهي المجال الأمني والسياسي والديني والحضاري والثقافي والتربوي، لكن بشكل متفاوت حيث ظهر تركيزها خاصة على مجالين منها هما المجال الأمني والمجال السياسي خاصة وهما اللذين حصدا لوحدهما 592 بين 893 وأكثر من 66% من مجمل العينة. فيما اقتسمت بقية المجالات بقية النتائج.

1-وقد تصدّر المجال الأمني أساسا موضوعات الخطاب الإسلامي التي تناولتها الجرائد الثلاثة في النتائج النهائية وذلك في 298 ترددا ونسبة 33,37% مع اختلاف ترتيبه في كل جريدة على حدة، فهو في المرتبة الأولى في جريدة "El Watan" وهو في المرتبة الثانية في جريدة " Liberté" وهو في المرتبة الثالثة في جريدة "El Moudjahid".

وقد ارتبط ذكر الإسلام وكذا العديد من الرموز الإسلامية كالمسجد ومكة المكرمة، والصلاة والشخصيات الإسلامية غير الحزبية، والحزبية، بالإشارة كثيرا وبالتصريح أحيانا بأحداث العنف والقتل والتطرف والإرهاب، والجماعات الإرهابية.

2-وجاء المجال السياسي في المرتبة الثانية بعد المجال الأمني لكن بنتائج قريبة جدا منها وهي 294 ونسبة 32,92% من مجمل العينة.

وقد تماثلت نتائج جريدة "El Watan" مع النتائج النهائية في ترتيب المجال السياسي بعد المجال الأمني بينما جاء ترتيبه في المرتبة الأولى قبله في كل من جريدة "Liberté" و" El Moudjahid".

وربط الخطاب الإسلامي بالمجال الأمني أساسا من جهة وبالمجال السياسي من جهة أخرى

في صحف الدراسة وفي إطارها الزمني وهو سنة 2002م في عالم العولمة والديمقراطية عالميا وإقليميا ومحليا، خاصة من حيث المعايير والمفاهيم والتطبيقات في الدول المعنية بالدمقرطة غربيا كالجزائر.

وجاء التركيز في نتائج فئات "المجال الأمني" على التوالي: على الجماعات الإسلامية (الإرهابية)، والعنف (الإسلامي)، والحرب على (الإرهاب) بالتصريح بوصف للإرهاب غالبا وبالإيحاء أحيانا مضافا للجماعات الإسلامية، فيم سجلت فئة "العلاقة بتنظيم القاعدة المرتبة الرابعة في مجمل النتائج وبنسب ضئيلة جدا.

3-وقد تناولت صحف الدراسة الخطاب الإسلامي في المجال الديني في المرتبة الثالثة وبنسبة أقل بكثير من المجالين الأولين –الأمني والسياسي على التوالي- وقد تماثل ترتيب نتائج كل من "Liberté" و"El Watan" مع ترتيب النتائج النهائية، بينما جاء المجال الديني في المرتبة الثانية في جريدة "El Moudjahid".

ومن المفيد الإشارة إلى أنه لولا فئة "مواقيت الصلاة" وهي إحدى فئات المجال الديني والتي تم رصدها عبر كل أعداد العينة لكان ترتيب المجال الديني في الأخير تماما بالنسبة للنتائج النهائية كما بالنسبة لكل جريدة على حدة خاصة وأن الجرائد لم تعالج كثيرا من المضامين الإسلامية وتجاهلها تماما أو لم تكترث بحكم الحلال والحرام فيها أو لم توليها ما يجب لها من التوقير والهيبة والتقديس مثل شخصية الرسول ﷺ، وأحكام القرآن الكريم وكذا بعض الشخصيات الإسلامة ثم العلماء والمفتين الذين ورد ذكرهم بكثير من السخرية والتهكم والتهجم وفي المقابل تذكر الشخصيات المسيحية من البابا أو بعض المنصرات بما تحس القارئ فيها بالوقار وحتى التمجيد وهو ما يطرح تساؤلات حول مفهوم حرية التعبير، ومفهوم الدين وفهم الصحف للإسلام كما تبينها نتائج فئات هذا الموضوع الفرعية، وكذا موقعها في الدفاع عن الإسلام وقيمه وأخلاقه ومقدساته –فيما عدا الخطاب الرسمي- وكذا الثقافة الإسلامية في مجتمع معروف بتمسكه بالإسلام ودينه ودين الدولة الرسمي وحق الجمهور الذي تتوجه إليهم وترفع شعار إعلامه وحقه في الموضوعية.

ولم يرد ذكر للفئات على التوالي: القيم الأخلاقية الإسلامية، والسيرة النبوية، والاجتهاد الشرعي في الجرائد الثلاثة، أما فئة "الجهاد" فقد وصفتها "Liberté" بالمصطلح الغربي (الحرب المقدسة)، وارتبط ذكرها بفلسطين، أين تصف جهاد الفلسطينيين فيها بالعمليات الانتحارية رغم

اعترافها ببشاعة ما يقوم به اليهود، بينما ارتبط ذكر فئة "الرسول ﷺ" و"القرآن الكريم" و"الحديث النبوي" في جريدة "El Moudjahid" بالتعريف بشيوخ الزوايا، وارتبط ذكر القرآن الكريم في " El Watan" بالشخصيات الحزبية الإسلامية، وفي سياق سلبي، حيث تشير بسخرية الجريدة إلى أنه الحل الأوحد للأزمة عند بعضهم، أو إدعاء احترامه عند بعضهم الآخر.

4-وجاء الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في المرتبة الرابعة في النتائج النهائية، وقد اشتركت في ذلك كل من جريدتي "El Watan" و"El Moudjahid" فيما جاء في المرتبة الخامسة في جريدة "Liberté".

ومن الملاحظة المثيرة للانتباه في هذا المجال حضور "الآخر" بكثرة في مختلف المضامين وخاصة في جريدة "Liberté" و"El Watan" وخاصة الحضور الفرنسي على مختلف المستويات في التوجيه الفكري واللغوي، والنشاط الجمعوي والمساعدة الإعلامية والثقافية، والبعد الديني مثل الكنيسة والتنصير.

ولم تهتم الجرائد موضوع البحث بـــ"التاريخ الإسلامي للجزائر " ولا "العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر"، ولم يرد ذكرهما في أي منهما، وجاء ذكر انتماء الجزائر للمغرب العربي فيها على لسان أطراف أخرى عبر مفاوضات مع الاتحاد الأوروبي أو لقاء مسؤولي اتحاد المغرب العربي، الذي يذكر بهذا الوصف واعتبار الجزائر إحدى مكوناته.

وجاء الحديث عن "انتماء الجزائر للعالم العربي والإسلامي" وكذا "عن "التاريخ الإسلامي للجزائر" عبر الخطاب الرسمي فقط في جريدة "El Moudjahid" في مناسبات مختلفة.

5-جاء الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في المرتبة الخامسة في النتائج النهائية واشتركت في ذلك جريدة "El Watan" بينما اختلف في كل من "Liberté" التي احتل فيها المرتبة الرابعة وجريدة "El Moudjahid" التي احتل فيها المرتبة السادسة وقد ارتبطت هذه النتائج بالسلبية العامة التي تناولت بها صحف الدراسة لهذه المضامين عبر الفئات لهذا المجال الفرعية أو تجاهلها أساسا.

ولم تسجل فئة "تعميم التعريب" أي ذكر في الجرائد موضوع البحث، واشتركت كل من "Liberté" و"El Watan" في عدم الاهتمام بفئة "تعريب التعليم" أيضا، وجاء ذكر "إصلاح

المنظومة التربوية" على أنه أكثر من ضروري، والدعوة إلى الإسراع فيه، فكلما تأخر ذلك كلما زاد " Le pourrissement" "التعفن" -كما تقول "El Watan"-، أما من يرفض "إصلاح المنظومة التربوية" فهم متطرفون وإرهابيون -كما تقول "Liberté"-.

6-جاء الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في المرتبة السادسة -الأخيرة- بين المجالات التي تناولته فيها صحف الدراسة وقد اشتركت في ترتيبه كل من جريدتي "Liberté" و" El Watan" بينما جاء في المرتبة الخامسة في جريدة "El Moudjahid".

وقد سجل هذا المجال أقل التردادات في العينة الإجمالية للبحث، حيث لم تتعد 35 ترددا و 3,92% فقط فيها.

و لم تهتم الجرائد موضوع البحث بموضوع "الكتاب الإسلامي"، واشتركت كل من " El Watan" و"Liberté" بعدم الحديث عن "التقاليد الإسلامية"، أما فئة "يوم العلم" فأعلنت " Liberté" أنها غير معنية بذلك عبر كاريكاتور صفحتها الأخيرة، وبوصف الجزائريين الذين يحتفلون بذلك "Algériens".

ويفسّر هذه النتائج تجاهل الجرائد موضوع البحث لعدد من الفئات الفرعية ضمن هذا المجال أو ورود هذه بنسب غير هامة، ويبقى موضوع مفهوم الثقافة في هذه الجرائد ومجالات التركيز عبرها فيها التي تهتم بالغناء والمغنيين والحفلات الموسيقية الأجنبية في الغالب، ومجال الرقص الشعبي والفنون التشكيلية التي تهتم فيها بمواضيع و شخصيات بعينها خاصة في كل من جريدتي " Liberté" و"El Watan".

وتشير الباحثة إلى توثيقها نماذج لمختلف الأمثلة عن المجالات المدروسة كل في السياق الذي وردت فيه مصدرا وتوقيعا ومضمونا وتاريخا وصفحة.

وقد انتهت إلى نتائج أخرى يمكن تلخيصها في:

- تقارب النتائج والترتيب وكذا طريقة المعالجة بين كل من جريدتي "Liberté" و" El Watan"والتي تختلف عن جريدة "El Moudjahid".
- نسبة الجرأة التي ميزت مضامين كل من "Liberté" و"El Watan" إزاء أحكام الإسلام، وعلمائه وفقهائه وشخصياته والتي لم تختلف في ذلك عن جرأتها على الشخصيات الحزبية

الإسلامية وغير الحزبية في السخرية منها والتهكم بها والتشكيك فيها وكذا على كثير من قيم المجتمع.

- غموض موقف "Liberté" و"El Watan" من بعض أحكام الإسلام مثل تحريم الخمر الذي جاءت مضامين فيها تذكر بيعه وشربه في مناطق من الجزائر بما لا يدعو للتشهير به بل العكس.
- غموض الوعي بالإسلام كدين وعدم التفريق بينه وبين الخطاب الإسلامي وإذا كان اتجاه كل من "Liberté" و"El Watan" هو التجاهل وعدم الاكتراث فإن جريدة " El Moudjahid" قد حصرت الحديث عن الإسلام بربطه بالزوايا والأضرحة.
- اشتراك صحف الدراسة بإيرادمواقيت الصلاة في الصفحة رقم 23 من الجريدة مع أخبار الجريمة "والإرهاب" من جهة وأخبار الموت وإعلانات التعازي وذكرى الترحم، واشتركت كل من "Liberté" و"El Watan" في إيرادها في أسفل الصفحة مع برامج القنوات التلفزية الفرنسية وتحت شبكات الكلمات المتقاطعة.

مع ملاحظة أن الخطاب الإسلامي في المجال الديني كان سيأتي في المرتبة الأخيرة في الترتيب العام لنتائج العينة بنسبة قليلة جدا لولا أن رصدت مواقيت الصلاة مع كل عدد من صحف العينة.

- تشترك صحف العينة في عدم اعتمادها على مختصين في تناولها للخطاب الإسلامي من علماء ومختصين مسلمين وعلى العكس فقد أجرت حوارات مع مختصين في "الإرهاب"والجماعات المسلحة الإسلامية، وهي في ذلك تتبنى الطروحات الغربية سواء في التركيز على الجانب السياسي في الخطاب الإسلامي أو في التركيز على الجانب الأمني في التعامل معه، كما تتبنى المصطلحات والمفاهيم الغربية نفسها وأحيانا في مواقفها التي لا تفرق بين الإسلام والخطاب الإسلامي من جهة خاصة وأن مواقفها من الإسلام كما الخطاب الإسلامي مبدئية لها علاقة بالانتماء والخصوصية والاختلاف الحضاري.

وبناء على ما تقدم فإن البحث يسجل الغموض الواضح في مفهوم الديمقراطية وحرية التعبير في ظل كثير من التعميمات وعدم تحديد المواقف بوضوح في صحف الدراسة إزاء موقعها

ومسؤوليتها في الدفاع عن الإسلام عندما يتعلق الأمر باتجاه اتهام الإسلام، أو تناوله في الطروحات الغربية بما يتطلب ذلك من ردّ وشرح وعرض متوازن وموضوعي.

وقد تكون كل نتيجة من النتائج والملاحظات المتوصل إليها إلى مزيد من البحوث والدراسات لتحليلها وتأكيدها ولذلك فإن الباحثة عرضتها بهدف اقتراحها على الباحثين في مجال الإعلام، ومجال الدعوة والإعلام حتى يولوها اهتمامهم العلمي والأكاديمي.

ثانيا: الإجابة عن تساؤلات كيف قيل في صحف الدراسة

1-عالجت الصحف موضوع البحث الخطاب الإسلامي في صفحاتها الداخلية بصفة مركزية وقد استأثرت هذه الصفحات بأكثر الترددات 562 مرة عبر العينة الإجمالية وبنسبة 79,60% منها، وجاءت الصفحة الأخيرة في المرتبة الثانية برقم تردد أقل بكثير وهو 96 مرة فقط وبنسبة 13,60%، بينما لم تتردد الخطاب الإسلامي في الصفحة الأولى إلا 48 مرة وبنسبة 6,80% فقط وغالبا ما كان عبر العناوين الرئيسية أو الفرعية أحيانا.

ولم تعرض الصحف الثلاثة موضوع الدراسة لتناول الخطاب الإسلامي في صفحات متخصصة كما لم تناقش مضامينه مع متخصصين أو مع أصحابه وممثليه في أي مرة وهو أمر يستدعي التوقف ويضيف تأكيد وحصر هذه الصحافة للخطاب الإسلامي في الجزائر في المجال الأمني والسياسي فحسب، مع الإشارة إلى اشتراك الصحف الثلاثة في ترتيب نتائج هذه الفئة.

2-نوعت صحيفتين من الصحف موضوع البحث هما "Liberté" و"El Watan" مادة تناولها للخطاب الإسلامي باستخدامها للكثير من الأنماط الصحفية المعروفة في فنيات التحرير والتي صنفت منها الباحثة 13 نوعا فيم اقتصرت جريدة "El Moudjahid" على سبع منها فقط، وقد اعتمدت الصحف الثلاثة أساسا على التقرير الصحفي الذي احتل المرتبة الأولى في النتائج النهائية للدراسة باشتراك كل من جريدة "El Moudjahid" و"El Watan"في هذه المرتبة بينما اعتمدت على "الخبر الصحفي" بشكل أقل وهو الذي احتل فيها المرتبة الثانية واشتركت في الترتيب نفسه كل من "El Moudjahid" و"El Watan" وفي المقابل احتل الخبر الصحفي المرتبة الأولى في "Liberté"، وتأتي فئة "عنوان صحفي" في المرتبة الثالثة في النتائج النهائية كما في الجرائد الثلاثة أيضا.

واعتمدت الجرائد على "المقال التحليلي" وهي الفئة التي احتلت المرتبة الرابعة في كل جريدة على حدة وبالتالي في النتائج النهائية.

وتعد الفئات الأربع المذكورة هي الأكثر من حيث النتائج في الجرائد موضوع الدراسة وتراوحت تنازليا بين 26,39% و12,62% بين الفئة الأولى والرابعة.

وقد اعتمدت صحف الدراسة على "الصورة الصحفية" و"مقال الرأي" لكن بصفة أقل، حيث احتلت الفئتان على التوالي المرتبة الخامسة والسادسة في النتائج النهائية وبنسب متقاربة كانت على التوالي 6,89% و6,07%.

أما بالنسبة لبقية الأشكال التي اعتمدت عليها صحيفتين فقط من صحف الدراسة وهما " Liberté" و"El Watan"، فقد جاءت بنسب قليلة لم تتعد 1,80% بالنسبة "للمقال الافتتاحي" في المرتبة السابعة و0,33% بالنسبة إلى فئة "رسم" التي احتلت المرتبة الثانية عشر.

وقد تميزت صحيفة "El Moudjahid" لوحدها بين صحف الدراسة في اعتمادها على "الخطاب الرسمي" حيث كانت تنقله على صفحاتها في مختلف المناسبات وإن جاء في الترتيب النهائي في المرتبة الحادية عشر بنسبة 0,50% بين مختلف الفئات المصنفة.

3-تماثلت نتائج ترتيب الوظائف الأربعة المصنفة في هذه الفئة في كل جريدة على حدة في الدراسة مع النتائج النهائية التي تبين أن الصحف المدروسة اعتمدت أساسا على وظيفة "الإعلام والإخبار" التي سجلت أكثر الترددات وأكبر نسبة هي 38,84%.

واعتمدت صحف الدراسة أيضا على وظيفة "شرح وتفسير" وبنسب غير بعيدة عن نتائج الوظيفة الأولى مقارنة ببقية النتائج وجاءت في المرتبة الثانية بـــ32,38%.

ومع أن وظيفة "تحريض على الرفض" جاءت في المرتبة الثالثة إلا أن نسبتها تبقى هامة في اعتماد الصحف المختلفة عليها حيث سجلت 157ترددا و24,69% في النتائج النهائية.

وقد سجلت فئة "تشجيع على القبول" المرتبة الرابعة والأخيرة في نتائج الدراسة بـــ26 ترددا و4,09% فقط وهي نسبة قليلة جدا مقارنة مع مختلف الفئات ولذلك دلالات كثيرة سواء على مستوى كل جريدة على حدة أو على مستوى نتائج الدراسة أيضا في تناولها للخطاب الإسلامي في الجزائر.

4- لم يختلف ترتيب نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في كل جريدة من جرائد الدراسة الثلاثة عنه في النتائج النهائية التي تبين أنها اعتمدت أساسا على وسيلة "الأسلوب المباشر" في تحقيق المضمون وقد احتلت هذه الفئة المرتبة الأولى بعدد ترددات بلغت 333 ونسبة تجاوزت نصف النتائج الكلية وهي 55,87%.

واعتمدت جرائد الدراسة على وسيلة "التعميم" التي جاءت في المرتبة الثانية وكذا على وسيلة "الاستمالات العاطفية" التي جاءت في المرتبة الثالثة وتراوحت نتائج الوسيلتين على التوالي 26,34% و12,76%، ولم تعتمد جرائد الدراسة على وسيلة "الاستشهاد بمصادر مختلفة" إلا 30 مرة من 596 ترددا لمختلف الوسائل، وجاءت من ثم في المرتبة الرابعة والأخيرة وبنسبة لم تتعد 5,03% فقط.

وقد تؤشر هذه النتائج على الجرأة والمبدئية في مواقف الجرائد موضوع الدراسة خاصة في طبيعة المواضيع التي كانت تتناولها في مختلف المجالات للخطاب الإسلامي وتسجيل مواقفها بشكل حاد أو غامض ومثير للجدل.

5- كان اتجاه الصحف موضوع البحث من الخطاب الإسلامي سلبيا أساسا، وقد ظهر ذلك من عدد المرات الكثيرة التي رصد فيها هذا الاتجاه وهي 282 مرة بما نسبته 46,46% من مجمل العينة، واحتل المرتبة الأولى واشتركت في ذلك كل من جريدة "Liberté" و"El Watan" فيما احتل المرتبة الثانية في جريدة "El Moudjahid".

- وفي المقابل لم يرصد الاتجاه الإيجابي إلا 35 مرة عبر مجمل العينة وجاء بالتالي في المرتبة الأخيرة في الترتيب النهائي بنسبة لم تتعد 5,76%، وفيم اشتركت جريدة "El Watan" في ترتيب هذا الاتجاه في الأخير، فإن جريدة "Liberté" لم يرصد بها أي اتجاه إيجابي نحو الخطاب الإسلامي في مختلف فئاته التي صنف فيها، بينما انتظم هذا الاتجاه في المرتبة الثالثة بالنسبة لجريدة "El Moudjahid" وتحمل هذه النتائج الكثير من الدلالات والمعاني على صعيد معايير الديمقراطية وحرية التعبير في تسجيل المواقف إزاء الخطاب الإسلامي الذي يختلط كثيرا بالإسلام نفسه كدين في الجزائر في ماضيه البعيد والقريب وحاضره بها الذي سجلت الباحثة بصدده ملاحظات الجهل به وبأحكامه وحدوده وتجاوزها أحيانا والتجاهل لقيمه من جهة ثم ملاحظات المواقف السلبية عموما إزاء اللغة العربية والانتماء العربي الإسلامي للجزائر خاصة بالنسبة

لجريدتي "Liberté" و"El Watan".

وتفيد النتائج النهائية بأن "الاتجاه غير الواضح" قد سجل المرتبة الثانية برصده 187 مرة ونسبة 30,81% واشتركت في الترتيب نفسه كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" وبنسب كبيرة فيهما بينما سجل هذا الاتجاه المرتبة الرابعة في جريدة "El Moudjahid".

ويسجل هذا الاتجاه الغموض الغالب على كثير من المضامين في الصحف موضوع الدراسة في تناولها للخطاب الإسلامي في مختلف المجالات المدروسة، وقد كان من المهم إظهار موقفها إزاءها في ظل شعار الحق في الإعلام وخدمة القراء خاصة حيث يتطلب الأمر الشرح والتفسير، وقد يكون ذلك منها اختيار للطريق الأسلم في ظل الأجواء التي عاشتها الجزائر لكن أيضا طريق الغموض إزاء التموقع من الخطاب العالمي حول العولمة والديمقراطية، لكن حين يتعلق الأمر بالدفاع عن الإسلام نفسه وقد كان المستهدف أساسا وليس خطاب الإسلاميين فإن الأمر يتعدى مجرد التنبيه وقد سجلت الباحثة ذلك بالنماذج بتوقيفها من مظانها صفحة وتاريخا وتوقيعا.

أما "الاتجاه المحايد" فجاء في المرتبة الثالثة في النتائج الكلية للدراسة بنسبة 16,97% وقد اشتركت في ترتيبه كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" فيما جاء في المرتبة الأولى بالنسبة لجريدة "El Moudjahid" وقد يزيد ترتيب هذا الاتجاه اتجاه الغموض بالنسبة لهذه الجريدة باختلاف الاعتبارات الوطنية والتاريخية والسياسية التي يفترض أن تحمل في إطارها ضرورة الدفاع عن الإسلام وتسجيل المواقف الواضحة في ذلك، ومع تميزها في عدم السلبية الغالبة في كل من جريدة "Liberté" و"El Watan" فإن النتائج تثبت أنها كانت أقل من المستوى المأمول في ذلك.

6-اعتمدت الجرائد موضوع البحث على صحافييها كمرجع أساسي في مادتها التحريرية التي عالجت الخطاب الإسلامي في مختلف المجالات المرصودة.

وقد اشتركت كل من جريدتي "Liberté" و"El Watan" في ترتيب فئة "صحفي بالجريدة" في المرتبة الأولى مع النتائج النهائية على خلاف جريدة "El Moudjahid" التي جاءت فيها هذه الفئة في المرتبة الثانية.

واستأثرت فئة "صحفي بالجريدة" لوحدها بأكثر الترددات التي بلغت 312 بين 506 ترددا

وبنسبة 61,66%.

ولم توقع صحف الدراسة مواضيعها فيما يتعلق بالخطاب الإسلامي في 126 بين 506 مرة وبنسبة 24,90% ولذلك جاءت هذه الفئة "دون توقيع" في المرتبة الثانية في الترتيب العام، وقد اختلفت نتائج جريدة "El Moudjahid" عن النتائج النهائية حيث استأثرت فئة "دون توقيع" فيها بالمرتبة الأولى، فيما جاءت في المرتبة الثانية كذلك في كل من جريدتي "Liberté" و" El Watan".

وفيما عدا هذه النتائج الهامة تقتسم بقية المراجع السبعة الأخرى المرصودة في الدراسة بقية الترددات والمراتب التي تراوحت عموما بين 0,79% و4,74% التي جاءت كالتالي في النتائج النهائية، والتي جاءت فيها الفئات على التوالي: "مصدر حزبي"، "مراسل صحفي"، "مصدر رسمي"، "ومصادر أخرى"، وسائل إعلام أخرى "وكالة أنباء" في المراتب: الثالثة، الرابعة، الخامسة، السادسة والسابعة.

ونلاحظ أن الجرائد لم تعتمد على كل هذه المصادر مجتمعة في نتائجها الخاصة.

فجريدة "Liberté" لم تعتمد سوى على أربعة بين تسعة مراجع، فهي لم تعتمد على "المصدر الرسمي" ولا على "المصدر الحزبي" ولا على "المراسل الصحفي" مثلا.

كما أن جريدة "El Watan" لم تعتمد على "المصدر الرسمي" ولا "المصدر الحزبي" مثلا، بينما سجلت لوحدها اعتمادها على "المراسل الصحفي" بين الصحف الأخرى.

أما جريدة "El Moudjahid" فلم تعتمد على فئة "وكالة الأنباء" ولا على "المراسل الصحفي" بينما اعتمدت على "المصدر الحزبي"، و"المصدر الرسمي".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من نظر للصحافة "المكتوبة بالفرنسة" من الغربيين وخاصة فيما يتعلق بدورها وأهدافها في التاريخ المعاصر للدول العربية والإسلامية، وهي الدول المعنية بالدمقرطة، كما يخطط هؤلاء، والتي تأتي هذه الصحافة بناء على ذلك إلا أن تكون فرونكفونية بامتياز، يؤكدون أن هذه الصحافة الفرنكفونية تأتي في طليعة عملية دمقرطة هذه الدول، وواقع إعادة التركيب الذي تعيشه هذه الدول منذ نهاية الثمانينيات من القرن المنصرم يمثل فرصة مواتية للصحافة الفرنكفونية لقيادة عملية الدمقرطة، ضمن المفاهيم والقيم الغربية، ويجعلون من اللغة الفرنسية -حصريا- الكفيلة بمصاحبة وتحقيق عملية التغيير لأنها -وكما كانت دائما كما يزعمون- هي نافذة الحداثة والمعرفة، فهي التي تكوّن وتربي الشعوب وتطلع بدور اجتماعي كبير فيها.

ويبشر المنظرون الغربيون بأن الصحافة الفرنكفونية والتي سوف تحمل عنوان صحافة الحداثة والمعرفة، بأنها صحافة جديدة ومخالفة تماما لما عرفته دول المنطقة من صحف حتى الآن؛ فهي على خلاف الصحافة المكتوبة باللغة العربية في الجزائر وغيرها، لأن اللغة الفرنسية ستسمح للمحررين بالحرية سواء في اختيار المواضيع أو في طريقة تناولها ومعالجتها حتى المواضيع الأكثر حساسية كالجنس والدين والدعارة [هكذا]، والتي لا تسمح اللغة العربية لهم بالذهاب بعيدا فيها.

أما المنظرون الجزائريون وهم المنشئون لهذه الصحافة ومحرروها، خاصة فيما بعد التحول إلى التعددية، فلم يكونوا بعيدين عن التبشير بهذه الصحافة الجديدة، وهذا الأسلوب المتحرر وبصراحة واضحة كما بيّنا، فهي كما يقولون صحافة تتابع الأحداث لكنها -وهو الأهم- صحافة تصنع الحدث...

وحين تم اختيار موضوع الدراسة الخطاب الإسلامي في الصحافة المكتوبة بالفرنسية في الجزائر، تم تحديد تساؤلاته ومواضيعه ووضع فرضياته ضمن الإطار الزمني الذي طرحت قضية البحث خلاله، ثم الجرائد التي تم بحثها فيها، وهي جريدة "Liberté" و"El Watan" و" El Moudjahid"، التي يجمع بينها كون محرري ومنشئي كل من "Liberté" و"El Watan" ما هم في الواقع سوى محرري جريدة "El Moudjahid"، عميدة الجرائد الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والتي تربى على خطاها الإعلامي جيل الاستقلال في المجتمع الجزائري المسلم.

وفي الإجابة على تساؤلات الدراسة وفرضياتها، فقد سجلت النتائج الاتجاه السلبي العام في تناول المادة الإعلامية إزاء الخطاب الإسلامي في مختلف المجالات التي رصد فيها، كما رصدت

الملاحظات التالية:

-الخطـــاب الإسلامي في المجال السياسي، وقد كان محور اهتمام الجرائد موضوع البحث، فقد بنت الجرائد اهتمامها به على موقف ثابت في ذلك، ولم تستطلع فيه رأي علماء الإسلام أو المختصـــين أو المـــثقفين الإسلاميين في معرفة ومن ثم في شرح ونشر موقف الإسلام من السياسة وموقـــع هـــذه منه، وغياب هذه الخلفية العلمية المختصة يقدح في موضوعية ما يفترض أن يوجه لإعلان ومن ثم تنوير الجمهور وبالتالي في هدف توجيه الرأي العام المستهدف.

-الخطـــاب الإسلامي في المجال الأمني، ورغم صعوبة المرحلة التي مرت بها الجزائر في الفترة المدروســـة وما قبلها، فإن خطاب الجرائد موضوع البحث بني أيضا على موقف ثابت خاصة من حيـــث المادة الإخبارية التي تتضمن هذه الموضوعات، فلقد لاحظت الدراسة أن الجرائد كثيرا ما تتصـــرف في الأخـــبار بالـــزيادة بعبارات تفيد الحكم بتهمة العنف والإرهاب على سبيل الظن والاعتقاد لا على سبيل التحقيق، وقد وثقت الدراسة العديد من النماذج في هذا الاتجاه.

-الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت، وكانت نتائجه أكثر إثارة للتساؤل والغرابة... فأوقـــات الصـــلاة خصص لها ذيل الصفحة ما قبل الأخيرة بعد عرض لعبة الكلمات المتقاطعة، وعـــرض بـــرامج القنوات الفرنسية، بملخصات لأفلام وبرامج أو شخصيات في التمثيل والرقص والغـــناء أو غيرهـــا، أو في أعـــلى الصفحة ما قبل الأخيرة أيضا، لكن مع أخبار العنف والجريمة وإعلانـــات المـــوت والـــتعازي والترحم والتأبين... أما أحكام الشريعة فتم تناولها في سياق من السخرية والتسلية أو النكتة، مع أن حكم التحريم لبعضها معلوم بالضرورة بنصوص القرآن الكريم والســـنة والإجمـــاع، وكذلك كان الأمر بالنسبة لتناول علماء الإسلام من المختصين في العلوم الشـــرعية. مـــن الذين تتعامل معهم مؤسسة الشؤون الدينية وكذا التلفزيون الجزائري، فكانت الإشـــارة إلـــيهم تـــتم بالـــتهكم اللاذع والأوصاف الساخرة لهم ولفتواهم، وحتى من مواضيع المشاهدين التي يستفتونهم فيها.

ولم يذكر الرسول ﷺ إلا نادرا في العينة، لم يصل عليه –صلى الله عليه وسلم– إلا مرتين، وتم ذكره في زيارات رسمية إلى الأضرحة والزوايا، أما مولده الشريف فاختارت جريدة "Liberté " أن تتناولـــه في ســـياق عنوان "ثقافة الشر" " La culture du Mal" وانتهت إلى خلاصة "أن الشر يسكن فينا"، مع أن ما يحدث في الاحتفال بهذه المناسبة لا علاقة له بأمر أو نهي من النصوص

الشرعية، أما جريدة "EL Watan"، فتناولته أيضا في سياق عنوان "ثقافة العنف" " La culture de la Violence"، ثم عن غلاء الدجاج و"طيرانه"(!) "L'envol du poulet" الذي **يتجدد في يوم ربيع الأول من كل سنة**، وهو أسلوب يتجاوز السخرية والتهكم بشخصية المحتفل به ﷺ.

وفيم غابت مجرد الإشارة إلى السيرة النبوية، والاجتهاد الشرعي، وشخصيات الصحابة، وارتبط ذكر مكة، والحج، والمسجد، والمصليات بالعنف والإجرام، اعتبرت "Liberté" مقابلة "بابا الفاتيكان" لجمعية نسوية جزائرية تنشط في مجال "حوار الأديان" **بالمباركة المقدسة**، أما الكنيسة التي تتواجد بتبسة فتمثل زمن المجد، وأن الشعب في تبسة لم ولن يرتق إلى فهم أو مستوى ذلك المجد أبدا [هكذا]...

وحين تؤبن الوطن امرأة مسيحية تختار لذلك عبارات التقديس والإجلال لما بذلته طيلة حياتها في الجزائر -أكثر من ثلاثين سنة- في تأليف المعاجم والكتب ونشر المقالات حول "الأمازيغية" حرفا وتراثا...

وحين يسخر أحد الفرنسيين من الإسلام لم يرد عليه واكتفي بنقل نص الإساءة في نهاية المقال بالقول **أليس الإسلام هو أغبى ديانة في العالم!** (!)...

-الخطاب الإسلامي في المجال التربوي، وسجل اتجاها سلبيا إزاء مختلف موضوعاته وخاصة موقف الرفض لقضية تعميم التعريب وتعريب التعليم، وكذا المدرسة القرآنية.

-الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري، فقد غاب في نتائج البحث التاريخ الإسلامي، وكذا الانتماء العربي الإسلامي للجزائر تماما، كما تم تجاهل العمارة والآثار الإسلامية فيها في مقابل الحضور المكثف والفاعل الإيجابي للآخر الفرنسي-المسيحي...، أما الآثار فهي رومانية خاصة وبربرية ابتداء.

-الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي، أعلنت جريدة من جرائد البحث أنها ومن تمثلهم: **نحن غير معنيين بـ16 أفريل**، فيم غاب الكتاب الإسلامي في مقابل عشرات الكتب التي تناولتها جرائد البحث عرضا أو إشارة...، وإلا فهو عن "خط الرعب" فقط.

وبعد،

يبدو أن الاتجاه السلبي الذي سجلته نتائج البحث لم تسجل الرفض للخطاب الإسلامي في

المجال السياسي، وإنما وتجريمه أيضا أو تعييبه وتجاهله في المجال الحضاري والثقافي والتربوي أيضا...

وإذا اعتبر التنظير الغربي ما تتناوله الصحافة الفرنكفونية، لكن وهو الأهم طريقة تناولها ومعالجتها من قبيل حرية التعبير، وأن أصحابها هم طلائع دعاة الحرية، والباحثون عن الحقيقة، والمنفتحون على العالم والرافضون للتقوقع والتخلف، وهي محاور النضال الديمقراطي فرنكفونيا.. وتستدعي بناء على ذلك دعم المنظمات الحقوقية الدولية وإشادتها وحمايتها تحت عناوين حقوق الإنسان وحقوق الأقليات... فإن كل ذلك يستدعي إبداع معاجم جديدة أكثر وضوحا لتحديد معاني الحرية الغائبة وفحوى الحقيقة المنشودة وحدود الانفتاح المقصود، ومسألة أحادية اتجاهه نحو الآخر الغربي فقط، وأسباب التخلف، وتطرح تساؤلات حول حقوق الشعوب في استقلالها، وانتمائها وثوابتها وقيمها وخصوصياتها، من يساندها ويحميها ويدعمها وما هي الحدود بين تشكيل الوعي وتزييفه.

وإذا كان لاستمرار حالة "حوار الطرشان" ومظاهره أكثر من سبب وفاعل عالمي ومحلي، فإن الكل مطالب للعمل لتجسير هذه الحالة، وقد يكون الباحث عن الحقيقة عبر البحث العلمي الكفيل بهذا الإنجاز الذي سيحمل فيه كل طرف مسؤوليته في الإسهام في تصحيح المسار والحفاظ على مستقبل الوطن.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (1): استمارة تحليل المضمون:

أولا–البيانات الأولية: 1 عنوان الجريدة



4 3 2

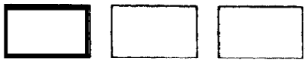

صدور الجريدة

5



رقم العدد

ثانيا–البيانات الكمية :

1-فئة الموقع: 9 8 7 6

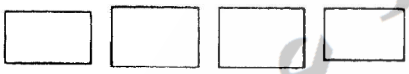

2–فئة القالب الصحفي:

22 21 20 19 18 17 16 15 14 13 12 11 10



3–فئات الموضوع: 23 24 25 26 27 28



23(*) 1/23 2/23 3/23 4/23 5/23 6/23 7/23 8/23 9/23 10/22

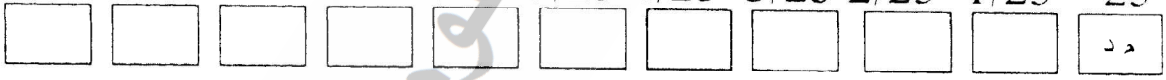

24 (*) 1/24 2/24 3/24 4/24 5/24

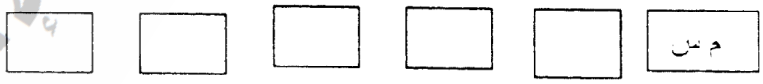

25(*) 1/25 2/25 3/25 4/25



(*)– م د: المجال الديني.

(*)– م س: المجال السياسي.

(*)– م أ: المجال الأمني.

26(*) : 1/26 2/26 3/26 4/26 5/26 6/26

م ت						

27(*) 1/27 2/27 3/27 4/27 5/27

م ث					

28(*): 1/28 2/28 3/28 4/28 5/28 6 /28

م ح						

4-فئة المصدر أو الرجع

29	30	31	32	33	34	35	36	37

5-فئة الاتجاه :

38	39	30	40	41

6-فئة وظيفة المضمون:

42	43	44	45

7-فئة وسيلة الإقناع:

46	47	48	49

ثالثا: الملاحظات

(*)- م ت: المجال التربوي.

(*)- م ث: المجال الثقافي.

(*)- م ح : المجال الحضاري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم (2): دليل استمارةتحليل المضمون:

أولا: البيانات الأولية

-الخانة رقم1تشير إلى عنوان الجريدة.

-الخانة رقم 2-4 تشير إلى تاريخ صدور الجريدة : اليوم،الشهر، السنة.

-الخانة رقم 5 تشير إلى رقم العدد.

ثانيا: البيانات الكمية

1-فئة الموقع: الخانة من 6 إلى 9.

الخانة رقم 6 تشير لى : الصفحة الأولى.

الخانة رقم7 تشير إلى: الصفحة الأخيرة.

الخانة رقم 8 تشير إلى : الصفحات الداخلية

الخانة رقم 9 تشير إلى: صفحة متخصصة.

2-فئة الشكل الاتصالي : الخانة من 10-22 .

الخانة رقم 10 تشير إلى : مقال افتتاحي.

الخانة رقم 11 تشير إلى : الخبر الصحفي.

الخانة رقم 12 تشير إلى : تقرير صحفي.

الخانة 13 تشير إلى : مقال تحليلي.

الخانة رقم 14 تشير إلى: مقال الرأي.

الخانة 15 تشير إلى : حديث صحفي.

الخانة 16 تشير إلى : روبورتاج.

الخانة 17 تشير إلى : عمود صحفي.

الخانة رقم 18 تشير إلى : عنوان صحفي.

الخانة رقم 19 تشير إلى: كاركاتور.

الخانة رقم 21 تشير إلى : صورة صحيفة.

الخانة رقم 20 تشير إلى : رسم صحفي.

الخانة رقم 22 تشير إلى: خطاب رسمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3-فئة الموضوع : وتشمل الخانة من 23 إلى 28.

*الخانة 22 وتشير إلى الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحث [م د] وتشمل الخانات التالية:

الخانة1/23 وتشير إلى القرآن الكريم.

الخانة 2/23 وتير إلى الحديث النبوي.

الخانة3/23 وتشير إلى السيرة النبوية.

الخانة4/23 وتشير إلى حكم شرعي(ستعلق بالحلال والحرام)

الخانة 5/23 وتشير إلىالعبادات الإسلامية.

الخانة 6/23 وتشير إلى قيم أخلاقة إسلامية.

الخانة 7/23 وتشير إلىالاجتهاد الشرعي.

الخانة 8/23 وتشير إلى شخص الرسول-ﷺ-.

الخانة 9/23 وتشير إلى أشخاص الصحبة – رضي الله عنهم-.

الخانة 10/23 وتشير إلى الجهاد.

*الخانة 24 وتشير إلى الخطاب الإسلامي في المجال السياسي[م س] وتشمل الخانات التالية:

الخانة 1/24 وتشير إلى الانتخابات .

الخانة 2/24 وتشير إلى الأحزاب الإسلامية.

الخانة 3/24 وتشير إلى شخصيات حزبية إسلامية.

الخانة 4/24 وتشير إلى الحملة الانتخابية.

الخانة5/24 وتشير إلى مواقف سياسية إسلامية أو لقياداتها.

الخانة 6/24 وتشير إلى نظام الحكم في الإسلام.

الخانة 7/24 وتشير إلى الإسلام والديمقراطية.

*الخانة 25 تشير إلى الخطاب الإسلامي في المجال الأمني [م أ] وتشمل الخانات التالية:

الخانة 25/ وتشير إلى الحرب على الإرهاب.

الخانة 2/25 وتشير إلى العنف

الخانة3/25 وتشير إلى لاقة الخطاب الإسلامي في الجزائر بالقاعدة.

الخانة4/25 وتشير إى جماعات إسلامية مسلحة (إرهابي).

*الخانة 26 وتشير إلى الخطاب الإسلامي في المجال التربوي [م ت] وتشمل الخانات التالية:

الخانة 1/26 وتشير إلى المدرسة القرآنية.

الخانة 2/26 وتشير إلى تعريب التعليم.

الخانة3/26 وتشير إلى تعميم التعريب.

الخانة 4/26 وتشير إلى إصلاح المنظومة التربوية.

الخانة 5/26 وتشير إلى شخصية تربوية إسلامية.

*الخانة27 وتشير إلى الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي [م ث] وتشمل الخانات التالية:

الخانة 1/27 وتشير إلى يوم العلم.

الخانة 2/27 وتشير إلى الكتاب الإسلامي.

الخانة 3/27 وتشير إلى حفلات ومناسبات إسلامية.

الخانة 4/27 وتشير إلى شخصية ثقافية إسلامية.

الخانة 5/27 وتشير إلى تقاليد إسلامية.

*الخانة 28 وتشير إلى الخطاب في المجال الحضاري [م ح] وتشمل الخانات التالية :

الخانة 1/28 وتشير إلى ثوابت الشخصية الوطنية الجزائرية.

الخانة2/28 وتشي إلى التاريخ الإسلامي الجزائري.

الخانة3/28 وتشير إلى الإنتماء العربي الإسلامي للجزائر.

الخانة4/28 وتشير الإنتماء إلى المغرب العربي الإسلامي للجزائر.

الخانة 5/28 وتشير إلى العمارة والآثار الإسلامية في الجزائر.

الخانة 6/28 وتشير إى العلاقة مع الآخر.

4-**فئة المصادر**: وتشمل الخانات من 29 إلى 37:

الخانة 29 وتشير إلى صحفي بالجريدة.

الخانة 30 وتشير إلى شبكة المراسلين.

الخانة 31 وتشير إلى وكالة أنباء (تحدد)

الخانة 32 وتشير إلى مصادر رسمية (تحدد).

الخانة 33 وتشير إلى مصادر حزبية.

الخانة 34 وتشير إلى مصادر أمنية-عسكرية.

الخانة 35 وتشير إلى مصادر أخرى (تحدد)

الخانة 36 وتشير إلى وسائل إعلام أخرى.

الخانة 37 وتشير إلى – دون توقيع

5-فئة الاتجاه : وتشمل الخانات من 38 إلى 41.

الخانة 39وتشير إلى الاتجاهالإيجابي.

الخانة 40 وتشير إلى الاتجاه السلبي.

الخانة 41 شير إلى الاتجاه المحايد.

6-فئة وظيفة المضمون : وتشمل الخانات من 42 إلى 45.

الخانة 42 وتشير إلى إعلام وإخبار.

الخانة 43 وتشي إلى شرح وتفسير.

الخانة 44 وتشير إلى تشجيع على القبول.

الخانة 45 وتشير إلى تحريض على الرفض.

7- فئة وسيلة الإقناع : وتشمل الخانات من46 إلى 49.

الخانة 46 وتشير إلى التعميم.

الخانة 47 وتشير إلى الاستشهاد بمصادر مختلفة.

الخانة 48 وتشير إلى الاستمالات العاطفية.

الخانة 49 وتشير إلى الأسلوب المباشر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 3: "الصفحة الأولى": الجرأة، الفاعلية مادة حرية التعبير!

346 milliards de DA pour assainir les banques

(Page 4)

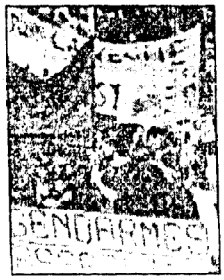

- Le procès des émeutiers d'Aïn Abid reporté
- Manifestants de Kabylie : plusieurs condamnations

(Pages 6 et 7)

LE DROIT DE SAVOIR, LE DEVOIR D'INFORMER

LIBERTE

QUOTIDIEN NATIONAL D'INFORMATION. 37, RUE LARBI BEN M'HIDI ALGER - TEL : (021) 64 34 25 (LIGNES GROUPÉES) - FAX : (021) 64 34 29 - N° 2896 MARDI 16 AVRIL 2002 - ALGERIE 10 DA - FRANCE 0,80 € - GB 1£ 20 - ISSN 1111 - 4250

GUET-APENS CONTRE DJEDDAÏ

Aït Ahmed interpelle Bouteflika

Il lui demande de faire la lumière sur cette affaire qui a vu son premier secrétaire échapper à une tentative d'assassinat. Le chef du FFS a fait part également de son intention de porter plainte contre X. (Page 2)



Archives/Liberté



SADI ET GHOZALI AU FORUM D'*EL YOUM*

"Le problème, c'est le système"





Les deux hommes ont, durant deux heures et demie, parlé du président de la République, de l'armée, des émeutes de la Kabylie et de

الملحق رقم4:

SCANTOUS

Par Youcef Benadouda

SCOOPS ET AUTRES CASSAGES DE SUCRE

RETOUR tout d'abord sur la conférence de presse du directoire de la télévision algérienne à laquelle je n'ai pu assister, étant, comme vous pouvez aisément le deviner, "persona non grata". "Point de presse" donc, sur cette fameuse grille qui fait bien des émules ... Reconduction des émissions religieuses, dont une que le grand boss considère comme une réussite sans pareille et qui ne l'est évidemment pas. Il s'agit du rendez vous quotidien *"Fetwa âla l'hawa"*... Je vous étale le concept : 3 mouftis assis sur de vilains fauteuils, attendent les appels des téléspectateurs, inquiets de savoir si certains de leurs comportements sont conformes à la *Charia*... Les inquiétudes des appelants sont graves, les réponses des détenteurs de la science infuse le sont encore plus... Tiens, j'ai une question type pour les *chouyoukhs*... Imaginons que nous sommes en plein mois de ramadhan. Je suis allongé, la bouche ouverte sur mon lit, ma bouche étant dans l'axe de la gouttière du plafond qui fait fasse à mon gosier béant... Soudain il se met à pleuvoir et la gouttière se mettant en marche, je m'endors la gueule toujours ouverte et je reçois au moment même de l' *adhan* du *fadjer* (le 2e) quelques gouttes d'eau plâtreuse dans la bouche... Suis-je quand même *sayam* ou plutôt *fatar* ? Compliqué, n'est-ce pas !

Le même super-directoire qui s'est d'ailleurs fait applaudir sur toute la longueur, a annoncé le retour des débats à la langue de bois... Ridicule, puisque c'est le fond qui manque le moins. Et pour que vous ayez conscience que je ne suis pas une langue de vipère, faites l'ultime sacrifice de regarder l'ENTV ces jours-ci... Affligeant ! ... Sautons à pieds joints sur tout autre chose. Beaucoup de femmes, journalistes, productrices et animatrices de la TA (Tv Al), se plaignent du retour des agressions... Beaucoup d'entre elles se sont entendu dire par leurs collègues hommes d'arrêter de s'habiller à l'occidentale et de se *sotri*... En plus clair, une bande fait pression sur certaines femmes pour mettre le *hidjab*... Plus grave encore, il est strictement interdit aux femmes de la télé de fumer, comme si la nicotine n'était nocive que pour les poumons des nanas... C'est ainsi que ces dernières investissent, pendant leurs pauses, les waters de la chaîne III pour tirer la "taffe".

Scandaleux, inacceptable ! Les filles de Canal (Al Tv) font de la résistance mais la pression est énorme. Produisez, cerveaux atrophiés au lieu d'attenter à la liberté des femmes, petits complexés...

Allez, un petit scoop avant de vous conseiller, pour ceux qui ont *Canal*, de regarder la rediffusion des 90 minutes consacrées aux nouveaux grands riches en Algérie et au blanchissement d'argent. C'est abrutissant (vendredi 00h26).

Le scoop, maintenant : Athmane Allouet, le sublime artiste qui a refusé d'être coproduit par l'ENTV, finalise un film sur la publicité qui sortira sans doute vers mars...

Pour la suite de "Carnaval *fi dechra*", quelques embrouilles ont freiné le projet.

À demain pour un portrait d'une journaliste exceptionnelle : Meriem Abdou.

Réagissez au benyoufiz@yahoo.fr

Y. B.

علماء الإسلام في خطاب

جريدة "Liberté"

onnaissante

et en Arizona (USA), où il suivait sa formation d'instructeur, témoignaient en sa faveur et s'activaient à prouver son innocence, certains pilotes algériens n'ont pas trouvé mieux que de prendre publiquement leur distance vis-à-vis de leur confrère et compatriote qu'ils ont désigné d'emblée comme un terroriste à partir des seules allégations des policiers américains. Ces pilotes-sauront-ils reconnaître leur erreur ? Sont-ils si sûrs de ne pas être eux-mêmes victimes à leur tour d'un coup du sort dans l'accomplissement de leur mission ?», s'est interrogée la famille Raïssi.

ote, ycotte

nitive, n'en font qu'une comme amoises qui partagent le même e cœur et le même air, devraient rmonie, en parfaite symbiose. dit, tous les fils de l'Algérie se la même histoire et ils sont soit ousins, voisins, proches par les liens du sang, soit unis par les langues en usage dans le pays, ar les mœurs et les coutumes, la Rien en fait ne distingue les l'Algérie qui vote de ceux de ppelle au boycott. Toutefois, tout doigts de la main diffèrent de par et leur longueur, les gens aussi de par la pensée et les choix. ui fait aussi la richesse d'un

L. Baâziz

emplois, etc.» Le ministre de la Justice a clôturé son meeting feignant un air grave : *«Je crains pour la justice sociale.»*

Coopérative des élus

Une coopérative immobilière intitulé El Ghazali à Bordj Menaiel a quelque chose... d'inhabituel. La totalité de ses membres est constituée de femmes. Autre caractéristique de ses adhérentes : elles sont essentiellement des épouses d'élus du peuple, militants d'un parti politique qui a les coudées franches au niveau local : le RND. Sur les six membres, une seule est enseignante. Le reste du groupe est sans profession. La belle mère d'un-ex chef de daïra (né en 1918), une membre de la Such et le conjoint du frère du P/APC sont parmi les heureux bénéficiaires. Cette coopérative est insolite à différents égards. Les élus pensent à leur avenir en introduisant leur conjoint dans des projets de cette nature. Certains habitants de Bordj Menaiel surnomment cette coopérative avec beaucoup d'humour et d'ironie *«La coopérative des femmes d'élus»* au lieu d'El Ghazali. On murmure beaucoup dans la ville au sujet de cette affaire...

HORAIRES DES PRIÈRES

El Fedjr : 03 h 55
Dohr : 12 h 45
El Asr : 16 h 37
El Maghreb : 19 h 55
El Icha : 21 h 28

مواقيت الصلاة في ذيل الصفحة23

في "Liberté"

الملحق رقم 5: "ثقافة الشر" بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف (!)

Liberté 26/05/2002 P24

CONTRECHAMP



M. MHAMMOUCHE

LA CULTURE DU MAL

Je crois que lorsqu'une société réussit un tel consensus pour manifester sa violence, il y a honnêtement lieu de s'inquiéter.

Le festival d'explosions collectivement animé par les Algériens pendant les jours qui ont précédé le Mouloud, a atteint son paroxysme au soir de la fête réputée pieuse et supposée ranimer le souvenir de la naissance du Prophète.

Au lieu de recueillement, les villages et les quartiers ont subi, en plus de l'obligatoire poulet, à une débauche de bruit. Les crépitements groupés et interminables semblaient traire le bonheur d'une population — tout sexe, tout âge et toute catégorie confondus — béate de bonheur dans sa capacité à s'empêcher le repos et à se faire sursauter.

En plus des accidents locaux, certainement très nombreux, il faut noter que c'est le matin de cette orgie d'explosions qu'un terroriste a ciblé, sur l'artère principale de la capitale, un policier de faction devant un édifice public. Quelle vigilance pouvait-il cultiver dans la pétarade ambiante ?

J'espère que le puissant importateur d'explosifs ne feignera pas d'ignorer sa part de responsabilité dans cet attentat. Tout comme les bons parents qui n'ont pas voulu souffrir la frustration de leur progéniture de ne pouvoir participer à la joie commune du tracas mutuel. La police elle-même a, d'ailleurs, reculé devant la colère de la corporation des revendeurs de pétards d'Alger, pour des raisons électoralistes, dit-on. Il semble plus facile de réprimer des manifestations politiques que d'empêcher les délits de droit commun : c'est devenu une spécificité nationale.

Il y a dans cette affaire, comme une convergence État-société vers la culture du pire.

Cette inclination collective à produire et à assumer la violence, au point d'en faire une occupation ludique et festive, est symptomatique d'une régression civique, voire mentale.

Le prétexte de la dictature épidémique des enfants ne tient pas la route : je me souviens d'une époque où nos parents nous avaient, très tôt, convaincus que nous ne pouvions ni nous vêtir ni nous nourrir de la même façon que les voisins et les camarades d'école. Regarder avec fierté son gosse faire tressaillir une dame qui passe — et qui, pour sa part, a fait la même chose avec son gamin — est, à mon sens, un signe de régression intellectuelle de l'adulte. Cette jouissance morbide collective est, à n'en pas douter, symptomatique d'une perversion psychique.

Enseigner ainsi la cruauté, en finançant les pétards de ses enfants malgré les risques et désagréments qu'encourent ses concitoyens, constitue un procédé de formation des générations violentes de demain.

Prétexter du diktat de l'enfant pour le convoquer, chaque année, à jouir du spectacle de la bête qu'on égorge n'est pas un élément d'éducation. C'est un transfert de cruauté.

Il ne faut donc pas s'étonner du résultat de nos propres perversions sur le comportement de nos enfants. La culture du mal est en nous.

Mail : mhammouche@yahoo.fr

M. H.

جامعة الأمير

الملحق رقم 6:

DILEM ali-dilem@caramail.com

16 AVRIL : LES ALGERIENS CÉLEBRENT LA JOURNÉE

DU SAVOIR

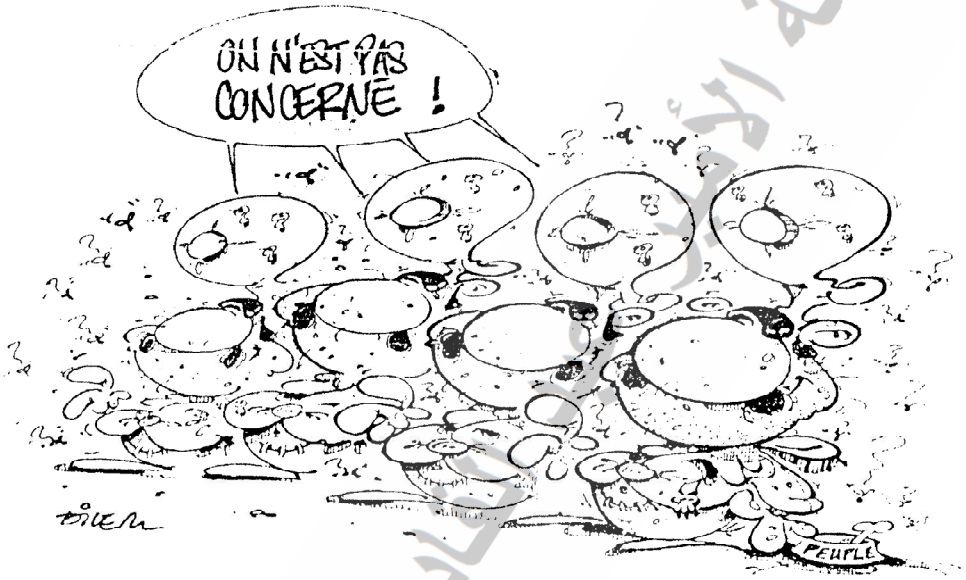

"Liberté" غير معنية بتاريخ 6 أفريل (!)

UNE BANDE DE MALFAITEURS ARMÉS ARRÊTÉE À DRAÂ EL-MIZAN

Ils se faisaient passer pour des terroristes

Une bande [illegible] malfaiteurs qui opérait [illegible] de terroriser vient d'être arrêtée par les services de sécurité dans la région de Draâ El-Mizan (40 km environ à l'ouest de Tizi Ouzou).

Cette bande, qui a créé un climat de terreur dans cette région ouest de la wilaya, a, à son actif, diverses opérations de faux barrages, de violations de domiciles, d'extorsions de fonds [illegible] la précise la même source.

Divers [illegible] deux épées, deux poignards de commandos, un fusil de chasse à canon scié factice, un pantalon militaire et deux fausses barbes ont été récupérés lors des perquisitions opérées en leurs domiciles, a ajouté la même source.

Liberté ! ما يميّز ومتى؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 7: الصفحة الأولى: "El Moudjahid" والمشروع الحضاري للجزائر



pour une visite de travail et d'inspection de deux jours

Bouteflika à Sétif

Les 15% désormais versés en trois tranches de 5% chacune

26 Moharam 1423 - Mardi 9 Avril 2002 — N° 11400 Nouvelle série www.elmoudjahid-dz.com

EL MOUDJAHID

LA REVOLUTION PAR LE PEUPLE ET POUR LE PEUPLE

Un tournant dans l'histoire de la nation et le début d'une étape importante dans le parachèvement des composantes de l'identité nationale

Tamazight consacrée langue nationale

Le projet de loi portant amendement de la Constitution a été adopté hier par les Chambres du Parlement avec 482 voix de oui, 2 abstentions et aucune voix contre

"Nous avons accompli notre devoir devant l'histoire"

Quotidien national d'information — 20, rue de la Liberté - Alger — Tél. : (021) 73.70.81 — Fax : (021) 73.90.43 — 36e Année — Algérie : 10,00 DA - France : 0,80 euro

الملحق رقم 8: مواقيت الصلاة في أعلى الصفحة 23، لكن مع الموت والجريدة والتعزية.

Exposition

Aube de Lumière

L'espace Founoun vous prie d'honorer de votre présence l'exposition *Aube de Lumière* de Badr-Eddine Djeraoui «Badrou» du 11 au 25 avril 2002.

Vernissage : jeudi 11 avril 2002 à 15 h.

Espace Founoun, 67, rue Didouche Mourad - Alger.

Vie religieuse

Horaires des prières de la journée du mardi 26 mouharam 1423 correspondant au 9 avril 2002 :

— Dohr.....12h50
— Assar.....16h28
— Maghreb.....19h20
— Icha.....20h42

Mercredi 27 mouharam 1423 correspondant au 10 avril 2002 :

— Fedjr.....04h51
— Chourouk.....06h22



NECROLOGIE

DECES

La famille Cherrid a l'immense douleur de faire part du décès de

Hocine
CHERRID

à l'âge de 58 ans, père et grand-père, survenu le 8 avril 2002.

La levée du corps se fera aujourd'hui, mardi 9 avril, à 12 h 00, au domicile mortuaire, sis 10, rue Ahmed Chaïb, Alger.

L'enterrement aura lieu au cimetière El-Kettar.

A Dieu nous appartenons et à Lui nous retournons.

CONDOLEANCES

Mlle Alloune Farida de Paris, profondément affectée par le décès de Hakim Chibane, présente à la famille Chibane de Sidi Aïch ses sincères condoléances et l'assure, en cette douloureuse circonstance, de sa profonde sympathie.

Qu'Allah Tout-Puissant accorde au défunt Sa Sainte Miséricorde et l'accueille en Son Vaste Paradis.

A Dieu nous appartenons et à Lui nous retournons.

PENSEE

Il y a 7 ans, le 9 avril 1995, disparaissait à jamais notre très cher et regretté, époux, père, fils, frère et parent

BOUGUEDDA
Youcef

assassiné devant son domicile à Bab-Ezzouar.

En ce douloureux souvenir, sa femme, ses parents, ses frères et sœurs, ses enfants Yacine, Mohamed, Rédha et Rabah demandent à tous ceux qui l'ont connu et aimé d'avoir une pieuse pensée à sa mémoire.

A Allah nous appartenons et à Lui nous retournons.

—o0o—

Triste fut pour nous le 14 mars 2002 où nous a quittés notre très cher et regretté père

HAMIDI BENHAMIDA
Bouzid

Son fils Mounir demande à tous ceux qui l'ont

زرت ص 1 ، الجاردر 9 أفريل 2002

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم9: الصفحة الأولى من جريدة "El Watan"

El Watan

Le Quotidien Indépendant

Prix : Algérie, 10 DA, France, 0,80 — USA, 1,25 $US — ISSN : 1111-0333 — http://www.elwatan.com

L'ADS se rapproche des jeunes

LES MANIFESTATIONS SE POURSUIVENT EN KABYLIE

Imposante marche à Akbou

La manifestation organisée hier à Akbou par la Coordination intercommunale de Béjaïa (CICB) a drainé la [illegible] des grands jours et [illegible] notables.

[illegible]

[illegible] manifestants, jeunes et [illegible] comme à [illegible] sont venus pratiquement de toutes les villes et [illegible] de la vallée de la Soumam et des hauteurs qui [illegible].

[illegible] sont venus aussi, quoi que moins nombreux, des localités voisines, dépendant des wilayas de Bouira et de [illegible].

M. SLIMANI

Suite page 3



La Coordination de Béjaïa a réussi le pari d'organiser une marche grandiose sans incidents

COMMENTAIRE

Immoral

[illegible]

[illegible] un mot des crimes [illegible] et qui sont passibles des tribunaux internationaux. [illegible] exiger de la victime [illegible] absolue [illegible].

L'Amérique, qui prétend défendre les droits de l'homme, [illegible] d'un fasciste de la [illegible] de Beyrouth et [illegible] Milosevic est un [illegible].

La [illegible] américaine ne peut [illegible] à l'échec. Pire. L'attitude injuste et contraire à toute morale de Washington ne peut qu'alimenter les rancœurs et contribuer à développer un sentiment anti-américain, pas seulement dans le monde arabo-musulman.

Et les Américains s'étonneront que des Ben Laden puissent se manifester, [illegible].

LA STRATEGIE DE L'UE 2002-2006

L'Europe jauge l'Algérie

[illegible] à venir, l'Algérie signera avec l'Union européenne (UE) [illegible] d'association qui [illegible] le [illegible] décembre 2001.

BRUXELLES

[illegible] CORRESPONDANT

La coopération effective sera [illegible] engagée sur le moyen et [illegible]. L'Algérie, selon ses [illegible] responsables, saisira cet outil particulier de la coopération pour rejoindre les normes [illegible] de l'économie mondiale et assurer une vie décente aux populations.

Le projet d'une coopération équilibrée avec l'UE et ses retombées économiques et sociales positives en Algérie dépendent désormais de la compétence, du sérieux et de la conviction de nos gouvernants et responsables à tous les niveaux.

Car l'UE de son côté est très claire dans son option pour une zone de [illegible] [illegible] l'Algérie et les résultats qu'elle en attend.

En effet, l'UE a rendu public un «document de stratégie 2002-2006» sur l'Algérie, avec le «programme indicatif national» (PIN) pour 2002-2004, qui ne laisse aucun acte de coopération (aide, prêt, subvention...) à la complaisance ou à la gestion trouble.

M'HAMMEDI BOUZINA

Suite page 4

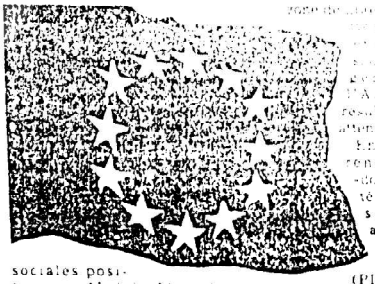

[illegible]

▶ IMPORTATIONS

[illegible] des intrants et des matières premières

▶ NATIONALE UNE

Les Usmistes ont perdu sur leur terrain fétiche de Omar Hamadi devant un Tlemcen volontaire

Bower : Seulement 100 000 PC par an. Tant pis pour les lents d'esprit.

Pour faire partie du réseau de distribution Bower prenez contact avec

ComTronic®

Distributeur exclusif de Bower

Tel : 021 55 05 20 Fax : 021 55 05 19 - info@comtroniconline.com - www.comtroniconline.com

الملحق رقم 10: الغرب يوضح: أين تكمن القضية (!) غربيا في الحرب على الإرهاب

LA LUTTE CONTRE LE TERRORISME, UNE PRÉOCCUPATION M...

MOUNIA ZABOURI, *chercheur à l'université de Montréal*

«L'enjeu est de récupérer la base islamiste»

● Le danger de l'islamisme reste son influence sur la jeunesse ● Le GIA est un micro-Etat avec son armée et son droit fait de *fetwas*.

Entretien réalisé par Salima Tlemçani

Durant ce colloque, de nombreux experts ont mis en exergue la responsabilité des USA dans l'émergence et le développement du mouvement islamiste. Qu'en pensez-vous ?

[illegible] mot islamisme [illegible] ce nouveau du XXIe siècle a Pakistanais Al Maw[illegible]dudi et de l'Egyptien Hassan El Banna pour distinguer l'islamiste du musulman. Il s'agit d'une idéolo[illegible] point [illegible] dont la synthèse et des synthèses ont été [illegible] qui dégagent [illegible] musulmans. [illegible] et tendant du Maroc à l'Indonésie. La première [illegible] des mouvements [illegible] jusqu'à aujourd'hui en [illegible] monde dont le rôle est d'essayer de gagner de nouveaux groupes. L'idée des Frères musulmans a été de créer un troisième pôle durant la guerre froide [illegible] et celui du communisme. [illegible] qui étaient [illegible] conduire la société [illegible] plus fonctionnel [illegible] pyramidale.

[illegible] en une organisation [illegible] qui se présente sous [illegible] nationales [illegible] complexes à plusieurs [illegible] Le premier [illegible] composé de la communauté [illegible] d'idéologues [illegible] dans un [illegible] sont [illegible] et apolitiques qui, d'ailleurs, peut par [illegible] s'accommoder [illegible] alliances, comme avec les USA ou d'autres pays, à condition qu'ils trouvent des [illegible] Cet état [illegible] est la parfaite expression [illegible] politiques comme les Américains. Les [illegible] ou autres, ils deviennent matière à manipulation. Ils sont utilisés dans le cadre de projets politiques particuliers. Les Américains ont par exemple considéré le fondamentalisme comme un [illegible] durant la [illegible] ils pensaient [illegible] derniers allaient s'occuper de barbes et de gandouras pendant qu'eux faisaient leurs affaires dans le pétrole, mais aussi la Chine et la Russie. Mais là où l'analyse s'est révélée fausse, c'est qu'ils n'ont pas compris la distinction entre islamisme et fondamentalisme, même si les deux usent du même langage. Qu'est-ce qui s'est passé ? Les islamistes en Afghanistan, représentés par Al Qaida, ont vite [illegible] les fondamentalistes manipulables, pour les [illegible] à leur projet qui profite de l'humiliation des gens, des difficultés de groupes. Il est important de revenir sur l'humiliation parce que ceux qui adhèrent à l'islamisme ne sont pas forcement les plus pauvres. **Ils viennent souvent des couches moyennes, parfois aisées, mais qui se sentent humiliés par un statut qu'ils estiment ne pas être le leur. Ils pensent que les** [illegible] est une [illegible] dérision derrière [illegible]



Mounia Zabouri

[illegible] selon eux de faire partie des grands centres d'influence. Dernièrement, la situation au Moyen-Orient est de nature à élargir l'influence des islamistes.

Mais où situez-vous tous ces jeunes qui ont basculé dans le terrorisme ? Des fondamentalistes récupérés par les islamistes ou des islamistes tout court ?

Le GIA exprime [illegible] ambiguïté. Il y a [illegible] qui [illegible] mais qui se rejoignent. Dans la mobilisation des forces en Afghanistan contre l'URSS, il y avait un mélange de fondamentalistes et d'islamistes. Le GIA, c'est un peu les [illegible] à la fois. Mais, en même temps, il est victime de ses succès à la suite de sa jonction avec de larges [illegible] sociales et par [illegible] avec la jeunesse [illegible] déstructurée par la restructuration économique. Nous pouvons dire qu'il s'agit de fondamentalistes, avec des idées putschistes et un peu utopiques, qui se défendent avec des pratiques un peu particulières, des petits chefs de quartier et des gangs, mais avec une dimension islamiste puisqu'une partie de ses réseaux, entre dans le cadre du projet islamiste à travers des connexions en Europe dans le but de contribuer à la lutte contre l'hégémonie américaine et la mondialisation.

Cela veut-il dire que l'internationale islamiste existe bel et bien, que ce soit pour le GIA ou pour toute autre organisation islamiste ?

De nombreuses organisations islamistes ont des [illegible] engagements à travers le monde. Le Hizb Allah [illegible] ses réseaux, le FIS à ses ramifications, le MSP à ses réseaux, etc. Mais est-ce qu'ils constituent une organisation pyramidale au sens classique du terme ? Ce n'est pas le cas. Par exemple, à un moment donné, la priorité pour les islamistes était de faire des révolutions dans leurs pays. Aujourd'hui, ils ont décidé, comme dit Nasrellah (leader du Hezbollah libanais), de frapper *«la tête du serpent»*, c'est-à-dire les USA. L'échec des révolutions qu'ils ont tenté de mener leur a fait penser que tous ces gouvernements ne peuvent tomber que si les USA étaient affaiblis. Il s'agit donc d'une série de sous-systèmes en interconnexion à plusieurs niveaux, financier, idéologique et opérationnel.

Pourquoi, selon vous, les Occidentaux et particulièrement les USA présentaient les islamistes armés et même le GIA comme une opposition politique armée ?

C'est un phénomène [illegible] ne s'agit pas de parler [illegible] avec son armée et son [illegible] micro-Etat est [illegible] tional. Il faut aussi préciser que s'il y a eu [illegible] de guerre civile, c'est parce que l'idée de cet [illegible] est très forte en Algérie. En fait, il y a eu un affrontement entre les islamistes et l'Etat national. C'est pour cela qu'une grande partie de la société ne les a pas suivis. Par contre, il ne faut surtout pas sous-estimer leur base sociale [illegible]

Est-ce qu'il s'agit de la même base sociale dans laquelle puise le MSP ?

Tout à fait. [illegible] bataille [illegible] porter [illegible] La dernière [illegible] [illegible] nous faut [illegible] par exemple, que c'est [illegible] de ne pas le faire. C'est [illegible] faut [illegible] de [illegible] [illegible] [illegible]

الملحق رقم 11:

L'envol du poulet

Après avoir flirté avec les 190 DA, au grand bonheur des ménagères, le poulet a pris ces derniers jours des airs pour atteindre les cimes des 145 DA. La cause de cet envol dont on aurait pu se passer, est la fête du Mawlid ennabaoui, qui comme chacun le sait est synonyme de bombance. Avec un plat de trida, de tchekhtchoukha ou d'autres mets traditionnels, la viande est de rigueur, blanche obligatoirement.

Si, dans d'autres circonstances on peut se passer du poulet, ce n'est pas le cas la veille.

Et 12 fabus et poulet. Pourquoi ? Nul ne le sait apparemment.

H. B.

طيران الدجاج بمناسبة المولد الشريف (!)

TELE GRAMMES

J E U D I

TF1

20.45 Mohamed Dib
21.10 Star Academy
17.55 Le Bigdil
19.00 Le journal
19.25 **Commissariat Bastille**

F2

13.40 Le renard
14.05 Flex
14.55 Des chiffres et des lettres
16.30 Âge sensible
17.00 Brigade des mers
17.55 On a tout essayé
18.50 Un gars, une fille
19.00 Journal
19.55 **100 minutes pour convaincre**
21.45 Double je

F3

12.55 C'est mon choix
14.00 Prisonnière de son passé
15.35 T03
16.35 Mon Kanar
16.45 C'est pas sorcier
17.15 Un livre, un jour
17.20 Questions pour un champion
17.50 Le 19-20
19.10 Tout le sport
19.20 Le fabuleux destin de
19.55 **Assassins**
22.35 Passé sous silence

Canal +

15.00 En aparté
15.50 Mes copains
17.25 La météo
17.30 H
18.00 L'hyper show
18.55 Les guignols de l'info
19.05 Le journal des bonnes nouvelles
19.30 Le journal du sport
19.40 Le journal du cinéma
19.55 Zapping
20.00 **Loin**
23.30 Les maîtres de la momie

France 5

11.05 Midi les Zouzous
12.45 Le journal de la santé
13.10 Les intrus
13.40 Aux coufins de l'univers
14.35 Esteqlal, malalai
15.35 Dieux et démons
16.35 100% question
17.05 C dans l'air

Arte

19.40 Le voyage selon Chatwin
22.35 Why are you creative ?

Eurosport

06.00 Eurosport matin
07.30 Golf
08.00 Tennis
08.30 Tennis
09.00 Athlétisme
09.30 Billard
11.00 Cyclisme
11.30 Cyclisme
13.00 Cyclisme
18.00 Eurosportnews flash
21.30 Voile

M6

11.05 La vie de famille
11.35 Docteur Quinn, femme médecin
12.35 Double mensonge
14.15 Les anges du bonheur
15.05 M6 music
16.05 80 à l'heure
16.55 Stargate SG-1
17.55 Charmed
18.45 Caméra café
18.54 Six minutes
19.05 Une nounou d'enfer
19.40 Caméra café
19.40 Six minutes local
19.50 **Popstars**
21.05 Ally McBeal
22.45 E = M6
00.40 M6 music

V E N D R E D I

TF1

12.00 Journal
12.55 Les feux de l'amour
13.45 Sans frontière
19.25 Providence
20.00 **Les enfants de la tele**

F2

13.40 Le renard
14.05 Flex
14.55 Des chiffres et des lettres
16.30 Âge sensible
17.00 Brigade des mers
17.55 On a tout essayé
18.50 Un gars, une fille
19.00 Journal
19.40 D'art d'art
20.00 **Une soirée de polars**
20.55 Les enquêtes d'Eloïse Rome
22.40 Contre-courant

F3

14.00 Un amour particulier
15.35 T03
16.35 Mon Kanar
16.45 C'est pas sorcier
17.15 Un livre, un jour
17.20 Questions pour un champion
17.50 Le 19-20
19.10 Tout le sport
19.20 Le fabuleux destin de
19.55 **Thalassa**
21.55 On ne peut plaire à tout le monde
00.10 Ombre et lumière

Canal +

14.50 L'échange
17.05 7 jours au Groland
17.25 La météo
17.30 H
18.00 L'hyper show
18.55 Les guignols de l'info
19.05 Le journal des bonnes nouvelles
19.25 Hippisme
19.35 **Football : Marseille Ajaccio**
22.00 24 heures chrono
23.25 Golf
00.55 Liberty Heights

France 5

11.05 Midi les Zouzous
12.45 Le journal de la santé
13.05 Les refrains de la mémoir
13.35 Être américain aujourd'hui
14.40 Méditerranée(s)
15.40 Les tribus du monde entier
16.35 100% question
17.05 C dans l'air

Arte

18.00 Tracks
18.45 Journal
19.15 Reportage
19.40 **Le cœur de l'assassin**
21.10 Pour une vie meilleure
22.05 Nana
00.30 Why are you creative ?
00.35 Music Planet
2Nite

Eurosport

06.00 Eurosport matin
07.30 Golf
08.00 Tennis
08.30 Tennis
09.00 Golf
09.30 Billard
11.00 Cyclisme
12.30 Cyclisme
13.30 Cyclisme
16.30 Tennis
18.00 Eurosportnews flash
21.30 Voile

M6

11.05 La vie de famille
11.35 Docteur Quinn, femme médecin
12.35 La rançon de la peur
14.15 Les anges du bonheur
15.10 M6 Music
16.05 80 à l'heure
16.55 Stargate SG-1
17.55 Charmed
18.45 Caméra café
18.54 Six minutes
19.05 Une nounou d'enfer
19.40 Caméra café
19.40 Six minutes local
19.50 **Graines de star spécial Claude François**
22.10 Frofiler
00.05 M6 music

MOTS CROISÉS N° 1459

PAR FOUAD K.

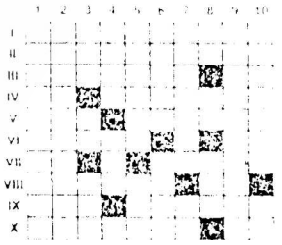

HORIZONTALEMENT

I - Susceptible - **II** - Arbuste - **III** - Méridiennes - **IV** - Préposition - Poésie - **V** - Personnages aliénés - Imbu - **VI** - Posture de yoga - Jours de semaine - **VII** - Points opposés - Harmonie - **VIII** - Étoffe de soie légère - Centre de Malte - **IX** - Période géologique - Représentations d'une divinité - **X** - Subdivision d'un tissu - Électrique - Dans la gamme

VERTICALEMENT

1 - Importunes - **2** - Très petit champignon - **3** - Absorbée - Baryum - Désinvolte - **4** - Glaciation de l'ère quaternaire - Ville de Serbie - **5** - Mauvais en mal - Palmipède - **6** - [illegible] - Langue d'Asie - **7** - Inventeur du tirage photographique - Métal - **8** - Article - Mesures de discipline - Rivière d'Alsace - **9** - Actrices débutantes - **10** - Se disperse pour former de nouvelles colonies - Condition

SOLUTION DU PROBLÈME N° 1458

HORIZONTALEMENT

I - Terbium - **II** - Spermatozoïde - **III** - Ne - Ire - Lac - **IV** - Sue - Mode - Ut - **V** - Odile - E - Tau - **VI** - Gargouille - **VII** - Ac - Ere - Ile - **VIII** - Assise - **IX** - Idée - **X** - Entrées

VERTICALEMENT

1 - Larmoyante - **2** - Bonheurs - **3** - Ne - Ela - Sis - **4** - TNT - Ere - Le - **5** - Item - Goals - **6** - Cid - Ulysse - **7** - Érin - L - S - I. - **8** - Lévitation - **9** - Lue - Ânesse - **10** - Ex - Onglets

LA VIE RELIGIEUSE

Horaires des prières
19 Redjeb 1423
Jeudi 26 septembre 2002

DOHR	12h40
ASSAR	16h04
MAGHREB	18h42
ICHA	20h01

*Prières du matin
20 Redjeb 1423
Vendredi 27 septembre 2002

Fadjr	5h13
Chourouk	6h39

مواقيت الصلاة في ذيل الصفحة بعد برامج القنوات الفرنسية والكلمات المتقاطعة

الفهارس

1-فهرس الآيات

2-فهرس الأحاديث

3-فهرس الأشكال

4-فهرس الجداول

5-فهرس المصادر والمراجع

6-فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-فهرس الآيات

الرقم	الآيات الكريمة	رقمها	الصفحة
	سورة البقرة (مدنية)		
2	﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا...﴾	143	117، 126
	﴿...إنا لله وإنا إليه راجعون﴾	156	609، 618
	﴿...فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه...﴾	194	250
	﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم...﴾	216	
	﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء...﴾	235	20، 23، 54
	﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض...﴾	251	139
	﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه...﴾	285	130
	سورة آل عمران (مدنية)		
	﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو...﴾	18	117
3	﴿إن الدين عند الله الإسلام...﴾	19	130
	﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله...﴾	169	290
	﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾	110	144، 193
	سورة النساء (مدنية)		
4	﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر...﴾	11	371
	﴿فعسى أن تكرهوا شيئا...﴾	19	143
	﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله...﴾	59	118
	﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف...﴾	83	118
	سورة المائدة (مدنية)		
5	﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي...﴾	3	130، 370
	﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر...﴾	90	606
	سورة الأنعام (مكية)		
6	﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾	38	77
	﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه...﴾	104	238
	﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه...﴾	153	371

سورة الأنفال (مدنية)			
8	﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...﴾	61	250
	﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض...﴾	71	
سورة هود (مكية)			
11	﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا...﴾	37	54
سورة يوسف (مكية)			
12	﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه...﴾	51	54
سورة الرعد (مدنية)			
13	﴿إن الله لا يغير ما بقوم...﴾	11	134
سورة الحجر (مكية)			
15	﴿إنا نحن نزلنا الذكر...﴾	9	133
	﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون...﴾	57	85 ،54
سورة الإسراء (مكية)			
17	﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر...﴾	70	250
سورة طه (مكية)			
20	﴿قال فما خطبك ياسامري﴾	95	85 ،54
	﴿قل كل متربص فتربصوا...﴾	135	238
سورة الحج (مدنية)			
22	﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض...﴾	40	140
	﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة...﴾	41	144
سورة المؤمنون (مكية)			
23	﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون...﴾	27	55
سورة النور (مدنية)			
24	﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره...﴾	63	133
سورة الفرقان (مكية)			
25	﴿وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض...﴾	63	55

سورة القصص (مكية)			
28	﴿قال ما خطبكما قالتا لا نسقي...﴾	23	55
سورة الأحزاب (مدنية)			
33	﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله...﴾	36	370، 371
	﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ...﴾	56	619
سورة الشورى (مكية)			
45	﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة...﴾	38	119
سورة الجاثية (مكية)			
45	﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر...﴾	18	238
سورة محمد (مدنية)			
47	﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم...﴾	07	254
	﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم...﴾	38	141
سورة الذاريات (مكية)			
51	﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون...﴾	31	55
سورة النجم (مكية)			
53	﴿وما ينطق عن الهوى...﴾	4-3	144
سورة النبأ (مكية)			
78	﴿لا يملكون منه خطابا﴾	37	55
سورة العلق (مكية)			
91	﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾	1	11
	﴿خلق الإنسان من علق...﴾	2	102
سورة الكافرون (مكية)			
109	﴿قل يا أيها الكافرون...﴾	6-1	250

2-فهرس الأحاديث

طرف الحديث: قال ﷺ	الصفحة
إن أمتي لا تجتمع على ضلالة...	115
إن العلماء [هم] ورثة الأنبياء	101
إن الله يبعث لهذه الأمة ...	133
لا تزال أمتي قائمة على أمر الله...	127
لعن الله الخمر وشاربها وعاصرها...	
لقد تركتكم على مثل البيضاء	140
...يبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد...	376
مثلي أمتي مثل المطر...	127
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده...	144
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ...	
..وأني قد تركت فيكم ما لن تضلوا...	134
...وهو حبل الله المتين	113

3-فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	الفرق بين الخطاب القداسي والخطاب الديني الإسلامي عند "كمال عمران"	111
02	الخطاب التغريبي يصر على الاستمرار رغم الفشل	190
03	موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد موضوع البحث	572
04	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	590
05	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	602
06	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	622
07	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	638
08	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	655
09	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	665
10	نتائج فئة الموقع في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	672
11	نتائج فئة "الشكل الصحفي" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	691
12	نتائج فئة "وظيفة المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	699
13	نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	705
14	نتائج فئة "الاتجاه" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	717
15	نتائج فئة "المرجع" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	725

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4-فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	مادة "خطب" في القرآن الكريم	55
02	بين الخطاب القداسي والخطاب الديني الإسلامي	112
03	دورات الأزمات والاستجابات الأصولية حسب المستشرق هرير ديكميجيان	137
04	فئات التأطير في الوظيفة العمومية في عام 1962 في الجزائر	277
05	فهرس موضوعات العدد 9-10 لمجلة "التهذيب الإسلامي"	366
06	أسماء الأحزاب المشاركة في الانتخابات المحلية سنة 1990، وعدد المقاعد الولائية والبلدية المتنافس عليها	423
07	أهم نتائج الانتخابات البرلمانية في 26 ديسمبر 1991م	426
08	نتائج الانتخابات البرلمانية التي جرت في 5 جوان 1997م ونسبة التمثيل في المجلس الشعبي الوطني فيها	432
09	قائمة الأحزاب الفائزة في الانتخابات التشريعية 30 ماي 2002م	439
10	ملخص بعض الإصدارات باللغة الفرنسية والعربية وعدد سحبها بين 1964-1989 في الجزائر	476
11	العدد الإجمالي المتاح لمجتمع البحث للجرائد موضوع الدراسة	514
12	عينة الجرائد موضوع البحث	514
13	أعداد العينة من جريدة "Liberté" أرقامها وتاريخ صدورها	515
14	أعداد العينة من جريدة "El Moudjahid" أرقامها وتاريخ صدورها	516
15	أعداد العينة من جريدة "El Watan" أرقامها وتاريخ صدورها	517
16	قراءة مسحية لعينة جريدة "Liberté" لأقسامها الدائمة وغير الدائمة ونسبها المئوية فيها	524
17	قراءة مسحية لعينة جريدة "El Moudjahid" وأقسامها الدائمة وغير الدائمة ونسبها المئوية فيها	536
18	عرض أقسام جريدة "El Watan" ونسبها المئوية عبر مجموع صفحات العينة موضوع البحث منها.	549
19	أهم خصوصيات الجرائد موضوع البحث عبر عينة الدراسة وزمانها	550
20	نتائج موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "Liberté"	563
21	نتائج موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Moudjahid"	565
22	نتائج موضوعات الخطاب الإسلامي في جريدة "El Watan"	567

23	موضوعات الخطاب الإسلامي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	570
24	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في جريدة "Liberté"	574
25	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في جريدة " EL Moudjahid"	582
26	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في جريدة "El Watan"	585
27	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال السياسي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	588
28	نتائج الخطاب الإسلامي في جريدة "Liberté"	591
29	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في جريدة "El Moudjahid"	595
30	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في جريدة "El Watan"	597
31	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الأمني في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	601
32	نتائج فئة الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت عبر عينة جريدة "Liberté"	603
33	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني في عينة "El Moudjahid"	608
34	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني البحت في جريدة "El Watan"	613
35	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الديني في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	620
36	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في جريدة "Liberté"	623
37	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في جريدة "El Moudjahid"	629
38	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربيوي في جريدة " El Watan"	631
39	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال التربوي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	636
40	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "Liberté"	639
41	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "El Moudjahid"	645
42	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في جريدة "El Watan"	649
43	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الحضاري في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	653
44	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "Liberté"	656
45	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "El Moudjahid"	659
46	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في جريدة "El Watan"	661
47	نتائج الخطاب الإسلامي في المجال الثقافي في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	664

48	نتائج فئة "الموقع" في عينة جريدة "Liberté"	668
49	نتائج فئة الموقع في جريدة "El Moudjahid"	669
50	نتائج فئة الموقع في عينة جريدة "El watan"	670
51	نتائج فئة الموقع في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	671
52	نتائج فئة "الشكل الصحفي" في عينة جريدة "Liberté"	673
53	نتائج فئة الشكل الصحفي في عينة جريدة "El Moudjahid"	678
54	نتائج فئة الشكل الصحفي في جريدة "El Watan"	680
55	نتائج فئة "الشكل الصحفي" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	688
56	نتائج فئة وظيفة المضمون في عينة جريدة "Liberté"	692
57	نتائج فئة "وظيفة المضمون" في جريدة "El Moudjahid"	693
58	نتائج فئة وظيفة المضمون في جريدة "El Watan"	695
59	نتائج فئة "وظيفة المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	698
60	نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في عينة جريدة "Liberté"	700
61	بيانات ونتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في جريدة "El Moudjahid"	702
62	بيانات ونتائج فئة الوسيلة في جريدة "El watan"	703
63	نتائج فئة "وسيلة تحقيق المضمون" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	704
64	نتائج فئة "اتجاه المضمون" في عينة جريدة "Liberté"	706
65	نتائج فئة "اتجاه المضمون" في عينة جريدة "EL Moudjahid"	708
66	نتائج فئة الاتجاه في جريدة "El Watan"	709
67	نتائج فئة "الاتجاه" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	716
68	بيانات ونتائج فئة "المرجع" في جريدة "Liberté"	718
69	بيانات ونتائج فئة "المرجع" في جريدة "El Moudjahid"	719
70	نتائج فئة المرجع في جريدة "El Watan"	721
71	نتائج فئة "المرجع" في الجرائد الثلاثة موضوع البحث	723

5-فهرس المصادر والمراجع

I-فهرس مصادر الدراسة

أولا: المعاجم القواميس ودوائر المعارف

ثانيا: الوثائق

II-فهرس مراجع الدراسة باللغة العربية والفرنسية

أولا: الكتب باللغة العربية

ثانيا: الدراسات والمقالات العلمية في الدوريات والمجلات والصحف العربية

ثالثا: الكتب باللغة الفرنسية والإنجليزية (المؤلفات-المجلات)

رابعا: الرسائل الجامعية

III-فهرس المؤتمرات والندوات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

I-مصادر الدراسة بالعربية

القرآن الكريم (على رواية ورش)

أولا: كتب التفاسير

1. ابن باديس، عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1982م.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج23، 30، 1984م.
3. الألوسي البغدادي، أبو الفضيل شهاب الدين محمد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المطبعة المنيرية، القاهرة، ج30، دت.
4. الرازي، أبو الفضل محمد بن الحسين بن علي التميمي التيمي البكري الطبري فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ج4، ج7، 1993م.
5. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد،فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ج5، دت.
6. القرطبي، أبو عبد الله بن محمد أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب للطباعة والنشر، القاهرة، ج 15، 1967م.
7. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، م7، ج23، ط2، دت.
8. رضا، محمد رشيد،تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، مصر، ج4، ج5، ط3، 1367هـ.

ثانيا: كتب الحديث

9. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند، مكتب التربية العربية لدولة الخليج، م1، دت.
10. //. صحيح سنن الترمذي باختصار المسند، إشراف: زهير الشاويش، مكتب التربية العربية لدول الخليج، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ج9-10-11.
11. ابن باديس، عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر،1982م.
12. البخاري، عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الطباعة المنيرية، دت، ج1،.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

13. المالكي، ابن العربي، صحيح الترمذي، عرضه الأحوزي بشرح صحيح البخاري، دار العلم للجميع، دت، ج1.

ثالثا: المعاجم، القواميس ودوائر المعارف

14. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، دار المعرفة، دت، م6 من ج إلى د.

15. أميل يعقوب، بركة بسام، مي شيخاني،قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (عربي، إنجليزي، فرنسي)، لبنان، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.

16. البستاني، بطرس،دائرة المعارف العربية، بيروت، دار المعرفة، دت، م7.

17. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف،التعريفات، معجم فلسفي منطقي، صوفي، فقهي، لغوي، نحوي، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، 1991م.

18. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط، تحقيق: جماعي، دار الكتب، ط1، 1994م.

19. الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، ط3، 1969م.

20. زغلول، محمد سعيد بن بسيوني، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، بيروت، عالم التراث، ط1، 1989م،م1،6،8،11.

21. صليبا ، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والإنجليزية واللاتينية، لبنان، الشركة، العالمية للكتاب، ج1، دت.

22. عاصي، ميشال، أميل يعقوب بديع، المعجم المفصل في اللغة والأدب (نحو، صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه لغة، أدب، نقد، فكر، أدب)، لبنان، دار العلم للملايين، م2، (س، ي).

23. // ، المعجم المفصل في اللغة والأدب، لبنان، دار العلم للملايين، 1987م، م1، (أ-ز).

24. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار مطابع الشعب، دت.

25. عثمان، محمود حامد،القاموس القويم في اصطلاحات الأصوليين، دار الحديث، ط1،1996م.

26. عليوش، سعد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار اليضاء، المغرب، 1985م.

27. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مصر، المطبعة الميرية، ط2، 1301هـ، ج1، باب الباء، فصل الخاء.

28. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دمشق، المكتبة العربية، عبيد اخوان، 1957م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

29. الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون، موسوعة السياسة، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م، ج1-2.

30. الليبيدي، محمد سمير،معجم المصطلحات النحوية والصرفية، لبنان، الجزائر، مؤسسة الرسالة، قصر الكتاب، دار الثقافة، دت.

31. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، لبنان، دار الفكر، دت، ج3.

32. جماعي، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، طبعة ليدن، 1943م، ج1-2-4.

رابعا: الوثائق

33. الميثاق الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1976م.

34. دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1976م.

35. الميثاق الوطني للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1986م.

36. دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1989م.

37. دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 1996م.

38. قانون الإعلام 1982م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

39. قانون الإعلام 1990م، الجريدة الرسمية للجمهورية ع14 بتاريخ 9 رمضان 1410هـ الموافق لـ4 أفريل 1990م.

40. دليل ملتقيات الفكر الإسلامي، من الأول إلى العشرين، نشر وجمع مديرية الثقافة الإسلامية، الجزائر، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.

41. مجموعة النصوص التشريعية المتعلقة بالانتخابات الجزائرية، وزارة الداخلية، أوت 1995م.

42. قانون رقم 89-11 المؤرخ بـ5 جويلية 1989م المتعلق بالجمعيات ذات الطابع السياسي.

43. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع26 السنة 26، 24 ذو القعدة 1409هـ/28 جوان 1989م.

44. // ، ع60، السنة 32، الأحد 20 جمادى الأول، 1416هـ/15 أكتوبر 1995م.

45. // ، ع72، السنة 32، الأحد 3 رجب 1416هـ/26 نوفمبر 1995م.

46. //، ع61، السنة 33 (ملحق) الأربعاء 3 جمادى الثانية 16 أكتوبر 1996م.

47. //، ع12، السنة 34، الخميس 27 شوال 1417هـ/06 مارس 1997م.

48. //، ع40، السنة 34، الأربعاء، 6 صفر 1418هـ/11 جوان 1997م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

49. //، ع86، السنة 34، 28 شعبان 1418هـ/28 ديسمبر 1997م.
50. //، ع29 السنة 36، الأربعاء، 5 محرم 142هـ/21 أفريل 1999م.
51. //، ع33، 19 محرم 1420هـ/5 مايو 1999م.

II-مراجع الدراسة باللغة العربية والفرنسية

أولا: الكتب باللغة العربية

52. الإبراهيمي، محمد البشير، في قلب المعركة 1954-1964م، دار الأمة، الجزائر، 1994م.
53. // سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب، الجزائر، دت.
54. // عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.
55. // آثار محمد البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج4، 1985م.
56. الإبراهيمي، أحمد طالب، المعضلة الجزائرية، الأزمة والحل، 1989-1999م، دار الأمة، الجزائر، 1999م.
57. إبراهيم، طه، محمد زغلول، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993م.
58. ابن باديس، عبد الحميد، آثار عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ج4، 1985م.
59. ابن بركة، حسن، أبعاد الأزمة في الجزائر، المنطلقات، الانعكاسات، النتائج، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م.
60. // مبادؤنا بين جموح السياسة وحيار الشعب، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1992م.
61. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
62. ابن رشد، محمد بن أحمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط10، 1988م.
63. ابن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، المؤسسة السعودية، مصر، 1959م.
64. // مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، 1984م.
65. // الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، 1987م.
66. // فكرة الإفريقية الآسيوية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1981م.

67. // فكرة الكومنورث الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1990م.
68. // صراع الأفكار في العالم، دار الفكر، دمشق، ط3، 1985م.
69. /// مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1985م.
70. // ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الناصر شاهين، دار الفكر، دمشق، 1985م.
71. // مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، ط1، 1959م.
72. // شروط النهضة، ترجمة:عمر كامل المسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، لبنان، 1986م.
73. ابن نعمان، أحمد،التعريب بين المبدإ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
74. // فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 1991م.
75. // كيف صارت الجزائر مسلمة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
76. // الجهاد وثورة الاستقلال، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط2، 1982م.
77. // الهوية الوطنية، الحقائق والمغالطات، دار الأمة، الجزائر، 1996م.
78. ابن الهاشمي، فوزي أو صديق، محطات في تاريخ الحركة الإسلامية بالجزائر، 1962-1988م، دار الانتفاضة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1992م.
79. أبو زيد، فاروق، فن التحرير الصحفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، والطباعة، جدة، ط2، 1984م.
80. أبو زيد، نصر حامد،الخطاب الديني، رؤية نقدية، دار المنتخب العربي، القاهرة، 1992م.
81. // مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، منشورات المركز الثقافة العربي، المغرب، بيروت، لبنان، 1992م.
82. أبو حمدان، سمير،الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل، الشركة العالمية للكتاب، دت.
83. أبو سليمان، عبد الحميد،أزمة العقل المسلم، دار الهدى، عين مليلة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن،1981م.
84. إحدادن، زهير،الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1، 1991م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

85. // مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.

86. أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتاب، دار الآداب، بيروت، 1990م.

87. // الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1980م.

88. أرسلان، الأمير شكيب،لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط3، 1358هـ.

89. إسماعيل، محمود، الخطاب الأصولي المعاصر، الآليات والقسمات، لينا للنشر، مصر، 1996م.

90. الأشرف، مصطفى،الجزائر، الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983م

91. الأفغاني، جمالي الدين، وعبده محمد، العروة الوثقي، دار الكتاب العربي، لبنان، 1983م.

92. آل خليفة، محمد العيد، شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

93. أمبيرش، مهدي، في إشكاليات المشروع والمشروع الإسلامي، الجذور الحضارية، دراسة وصفية نقدية مقارنة، شركة ذي قار، ليبيا، 1996م.

94. الآمدي، سيف الدين أبو الحسين علي بن أبي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1980م.

95. أمين، قاسم، تحرير المرأة، القاهرة، ط1، 1899م، موفم للنشر، الجزائر، 1980م.

96. // المرأة الجديدة، مطبعة المعارف، الفحالة، مصر، 1900م.

97. أمين، جلال أحمد، أزمة الديمقراطية في الوطن العربي (تعقيب)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1984م.

98. نجيت، الشيخ، سلم الوصول لشرح نهاية السؤال، المطبعة السلفية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1، 1982م.

99. بديعة، الأميرة بديعة الحسني الجزائري، أصحاب الميمنة إن شاء الله، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، 1997م.

100. البزاز، عبد الرحمن، هذه قوميتنا، دار القلم، القاهرة، دت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

101. برغوث، الطيب، الخطاب الإسلامي وموقف المسلمين منه، دار الامتياز، قالمة، الجزائر، ط1، 1990م.

102. بو الصفصاف، عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1981م.

103. بوعزيز، يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1980م.

104. البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت، ط6، 1973م.

105. البيومي، البيومي، الحركة الإسلامية وأزمة الديمقراطية، دراسة وملف وثائقي وتاريخي، أمة بريس، القاهرة، 1992م.

106. الترابي، حسن، البعد العالمي للحركة الإسلامية، التجربة السودانية، ندوة الحركة الإسلامية، رؤية مستقبلية.

107. تفاحة، أحمد زكي، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م.

108. التهامي، مختار، تحليل مضمون الدعاية في النظرية والتطبيق، دار المعارف، مصر، 1975م.

109. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن عمر، البيان والتبيين، شرح وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ج1، ط5، 1990م.

110. الحيوان، شرح وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1992م.

111. الجابر، محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1994م.

112. جراد، عبد العزيز، العالم العربي بين ثقل الخطاب وصدمة الواقع، ترجمة: صالح بلحاج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988م.

113. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.

114. جدعان، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1981م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

115. الجيلالي، محمد بن العابد، تقويم الأخلاق، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1927م.

116. الجباني، محمد عزيز، رودنسون ، ماكسيم، حميش بن سالم، التشكيلات الإيديولوجية في الإسلام، الاجتهادات والتاريخ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1993م.

117. حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، لبنان، ط5، 1989م.

118. حرب، علي، نقد النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، بيروت، لبنان، ط2، 1995م.

119. // نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1995م.

120. الحداد، الطاهر، امراتنا في الشريعة والمجتمع، تونس، 1930م.

121. حسنة، عمر عبيد، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1991م.

122. الحصري، ساطع، حوليات الثقافة العربية، دار الرياض للطبع والنشر، م2، 1951م.

123. حمادي، إدريس، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م.

124. حنفي، حسن، التراث والتجديد (كتابه الجامع للمقدمات النظرية لمشروعه في أنسنة الدين)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1980م.

125. // جمال الدين الأفغاني، المائوية الأولى 1897-1997م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1999م.

126. // طرائق التأويل"les méthodes d'exégèse" ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

127. حيدر، إبراهيم علي، التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1996م.

128. خان، وحيد الدين، قضية البعث الإسلامي، المنهج والشروط، ترجمة: محسن عثمان الندوي، مراجعة عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1984م.

129. خليفة، إحلال، اتجاهات حديثة في التحرير الصحفي، دار الهنا للطباعة، مصر، ط1، 1972م، ج1.

130. خليل أحمد، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية،

131. خوجة، حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م.

132. الحولي، لطفي، عن الثورة، في الثورة وبالثورة، حوار مع بومدين، منشورات التجمع الجزائري البوميديني الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1975م.

133. خير الدين، محمد، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، دت.

134. دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة، وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ج2، 1971م.

135. دردور، عبد الباسط، أقطار المغرب العربي وتحديات الغزو الثقافي الغربي، دراسة وصفية تحليلية، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 2002م.

136. الدريني، محمد فتحي، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997م.

137. ديكميجيان، ريتشارد هرير، الأصولية في العالم العربي، ترجمة وتعليق: عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط3، 1992م.

138. ذياب، محمد حافظ، سيد قطب، الخطاب والإيديولوجيا، موفم للنشر، الجزائر، 1991م.

139. راشد، سامح، الأحزاب السياسية في الجزائر،المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، 1997م.

140. الرياشي، سليمان وآخرون،الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي11، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

141. زبادية، عبد القادر، حول عملية البدء في تكوين النخبة الجديدة في إفريقيا الوسطى، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1979م.

142. الزبيري، محمد العربي، الغزو الثقافي في الجزائر 1962-1982م، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986م.

143. زغلول، محمد سعيد بن بسيوني، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، عالم التراث، بيروت، ط1، 1989م.

144. زكريا، إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر للنشر، القاهرة، 1976م.

145. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن محمد، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج3، 1354هـ.

146. زوزو، عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1900-1930م، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

147. زينب، عبد العزيز، هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، الحداثة والأصولية، دار الأنصار، القاهرة، 1996م

148. ساري، حلمي خضر، صورة العرب في الصحافة البريطانية، دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1988م.

149. السبكي، علي بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 1984م.

150. السحمراني، أحمد، مالك بن نبي، مفكرا إصلاحيا، دار النفاش، لبنان، 1984م.

151. سعد الله، أبو القاسم، الحركة الوطنية 1900-1930م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج2، 1983م.

152. // الحركة الوطنية 1930-1945، مطبعة الجبلاوي، مصر، ج3، 1975م.

153. // محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف، القاهرة، 1961م.

154. // تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري القرن السادس عشر إلى القرن العشرين الميلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1، 1981م.

155. سمان، نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، لبنان، 1981م.

156. سوادي، حسن عبد الرحمن،عبد الحميد بن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

157. سيف الإسلام، الزبير، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1986م.

158. // علم الإعلام، والسياسات الإعلامية في العالم الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986م.

159. الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

160. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، م2، ج3-4، ط3، 2003م.

161. الشعراني، أحمد علي، الميزان الكبرى، دار الفكر، دمشق، ج1، ط2، دت.

162. صاري الجيلالي، قداش محفوظ، المقاومة السياسية 1900-1954م، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

163. صحراوي، إبراهيم، الخطاب الأدبي لدى جرجي زيدان، تحليل رواية جهاد المحبين، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد اللغة والأدب، جامعة الجزائر، الجزائر، 1993م.

164. صغار، محمد البشير،النخبة السياسية في الجزائر، أعمال المؤتمر الثالث للباحثين الشباب حول النخبة السياسية في العالم العربي، نشر مركز البحوث والدراسات والوثائق، القاهرة، ط1، 1996م.

165. الطالبي، عمار، عبد الحميد بن باديس، حياته وآثاره، دار المغرب الإسلامي، لبنان، ج3، 1983م.

166. طلاس، مصطفى العسلي بسام، الثورة الجزائرية، دار الشورى، لبنان، ط1، 1982م.

167. ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1990م.

168. الطهطاوي، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، بيروت، ط2، 1981م.

169. عادل، رؤوف، الإمام الخميني، الخطاب، الدولة، الوعي، قراءة في مقومات مشروعه الثوري الإسلامي، المركز العراقي للإعلام والدراسات، سوريا، ط1، 2001م.

170. عباس، محمد، الاندماجيون الجدد (3)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993م.

171. عبادة، عبد اللطيف، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1984م.

172. عبد الحميد، محمد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، مصر، 2000م.

173. // تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م.

174. عبد الرحمن، أشرف، الأزمة الجزائرية متابعة لتطور موقف الأطراف المختلفة في حلقة العنف المفزعة (تقرير)، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، 2001م.

175. عبد الكريم، محمد، حمدان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1972م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

176. عبده، محمد، الإسلام بين العلم والمدنية، تقديم: عبد الرحمن الجوزو، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1989م

177. عتيق، عبد العزيز، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، دت.

178. عركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي، لبنان.

179. الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، لندن، 1992م.

180. عزام، محمد، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، دراسة في نقد النقد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003م.

181. العشماوي، محمد زكي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

182. العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1417هـ-1996م.

183. // خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989م.

184. // الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات وعلاج، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1989م.

185. العلوي، محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1988م.

186. عمارة، محمد، الإسلام بين التزوير والتنوير، دار الشروق، مصر، ط1، 1995م.

187. // معالم المنهج الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م.

188. عواطف، عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

189. عوض، صالح، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من 1830-1962م، مطبعة دحلب، الجزائر، ج1، ط2، 1992م.

190. العيادي، تيسير، الحركة الإسلامية في حلبة الصراع العقائدي والحضاري، دروس وعبر من أزمة الخليج والتحولات الدولية الراهنة، ندوة مستقبل الحركة الإسلامية.

191. غازي، يوسف، نصر مجيد، محاضرات في الألسنية العامة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986م.

192. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، دار الفكر، م1، ج1، م2.

193. غلسبي، جوان الجزائر الثائرة، تعريب: خيري حماد، دار الطليعة، لبنان، 1961م.

194. فائزة، سعد، البارود الضائع، عشرة سنوات في كواليس الأنظمة العربية، دار الخيال، القاهرة، لندن، 2000م.

195. فاتان، جون كلود، الأحزاب الديمقراطية والرؤى الغربية للعملية الديمقراطية في الوطن العربي من أعمال الندوة المصرية الفرنسية الثالثة حول التحولات الديمقراطية في الوطن العربي، تحرير: نيفين عبد المنعم مسعد، 1993م.

196. فادي، إسماعيل، الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة، 1878-1987م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1992م.

197. الفاسي، علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م.

198. فانون، فرانتز، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي، جمال الأتاسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط5، 1984م.

199. قارودي، روجيه، البنيوية، فلسفة موت الإنسان، ترجمة جو رج طرابيشي، دار الطليعة لطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1985م.

200. القرضاوي، يوسف، أين الخلل، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2، 1986م.

201. // الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار البعث، قسنطينة، ط2، 1983م.

202. // السنة، مصدرا للمعرفة والحضارة، مركز البحوث الإسلامية، قطر، 1996م.

203. قطب، سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط10، 1983م.

204. قنانش، محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

205. الكبيسي، محمد علي، ميشال فوكو، تكنولوجيا الخطاب، تكنولوجيا السلطة، تكنولوجيا السيطرة على الجسد، دار سيراس للنشر، تونس، 1993م.

206. الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد، ومصارع الاستعباد، الأعمال الكاملة، تقديم: أسعد السمرائي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1976م.

207. الكيلاني، موسى زيد، الحركات الإسلامية، دراسة وتقييم، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، دت.

208. ماركس وإنجلز، حول الدين، ترجمة: زهير حكيم، ياسين الحافظ، دار الطليعة، بيروت، 1974م.

209. مارلين، نصر ،صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1995م.

210. محمصاني، صبحي، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1982م.

211. المدني، أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، وثائق ودراسات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.

212. // حياة كفاح، مذكرات، القسم الثاني 1925-1954م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1988م.

213. المديني، توفيق، المعارضة التونسية، نشأتها وتطورها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001م.

214. مرتاض، عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954م، النهضة الفكرية النهضة الصحفية، النهضة الأدبية، النهضة التاريخية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م.

215. المسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1981م.

216. المسقاوي، عمر، نظرات في الفكر الإسلامي ومالك بن نبي، دار الفكر، لبنان، ط1،1979م.

217. مسلم، سالم صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1985م.

218. معوض، جلال السياسة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، ط1، 1994م.

219. مغيث، كمال حامد، الحركة الإسلامية في مصر في العصر الحديث، مركز الدراسات والمعلومات القانونية، ط1، 1997م.

220. المودودي، أبو الأعلى، نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة،1984م.

221. // موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ترجمة: محمد كاظم سابق، محمد عاصم الحداد، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م.

222. // الحكومة الإسلامية، تعريب: أحمد إدريس، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ط2، 1980م

223. الموسوي، محسن، النخبة الفكرية والإنشقاق، تحولات الصفوة العارفة في المجتمع العربي الحديث، دار الآداب، بيروت، ط1، 2001م.

224. موصللي، أحمد، الأصولية الإسلامية، دراسة في الخطاب الديديولوجي والسياسي عند سيد قطب، بحث مقارن لمبادئ الأصوليين والإصلاحيين، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1993م.

225. مهيبل، عمر، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط2، 1993م.

226. الميلي، محمد المبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مطبعة بدران وشركاؤه، ط2، 1963م.

227. // رسالة الشرك ومظاهره، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ط2، دت.

228. الميلي، محمد، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

229. // ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973م.

230. مينو، جان، الجماعات الظاغطة، ترجمة: بهيج شعبان، دار منشورات عويدات، 1971م.

231. ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية من 1903-1931م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج1.

232. النجار، عبد المجيد، في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية تنزيلا على الواقع الراهن، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1994م.

233. // النهضة الإسلامية، العوائق العوامل، المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، شيكاغو، ط1، 1991م.

234. نحناح، محفوظ، الجزائر المنشودة، المعادلة المفقودة، الإسلام، الوطنية، الديمقراطية، دار النبأ، الجزائر، ط1، 1999م.

235. الندوي، أبو الحسن علي حسن، التفسير والسياسي للإسلام عند المودودي وسيد قطب، دار آفاق الغد، القاهرة، ط2، 1980م.

236. النديم، عبد الله، سلافة النديم، المطبعة الجامعية، القاهرة، 1901م.

237. نصر الدين، عبد الحميد، مصر وحركة الجامعة الإسلامية من عام 1882م إلى عام 1914م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984م.

238. النفيسي، عبد الله وآخرون، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1989م.

239. هويدي، فهمي، القرآن والسلطان، هموم إسلامية معاصرة، دار الشرق، بيروت، 1981م.

240. وناس، المنصف، الخطاب العربي، الحدود والتناقضات، الدار التونسية للنشر، تونس،1992م.

241. يس، السيد، مقدمة التراث وتحديات العصر في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1985م.

242. يوسفي، محمد مصدقي، الأزمة المطروحة والبدائل المطروحة، دار المعرفة، الجزائر، 1998م.

ثانيا: الدراسات والمقالات العلمية في الدوريات، المجلات والصحف العربية

246. إبراهيم، سعد الدين، مصادر الشرعية في أنظمة الحكم العربية، مجلة المستقبل العربي، ع62، س6، 1984م.

247. الأربد، عبد الحكيم، المحاولات الاستعمارية لتفويض الإسلام في الجزائر، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، (مجلة إسلامية ثقافية جامعة)، ع5، 188م.

248. الأمين، محمد حسن، رؤية في تشكيل الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة المنطلق، (مجلة فكرية إسلامية تصدر عن المركز الدولي للخدمات في بيروت، لبنان)، ع108-109، صيف خريف 1994م.

249. البشري، طارق، نحن بين الموروث والوافد، مجلة المستقبل العربي، ع58، س5، كانون الأول، 1983م.

250. بن عمر، محمد الصالح عزيز، أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة الوعي الإسلامي (تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت)، ع321، جمادى الأولى 1413 هـ الموافق نوفمبر 1992م.

251. بن مرسلي، أحمد، أساليب تحليل الخطاب في علوم الإعلام والاتصال، المجلة الجزائرية للاتصال (فصلية متخصصة تعنى بأبحاث الاتصال، تصدر عن معهد علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر)، ع15، جانفي –جوان 1997م.

252. بن نعمان، أحمد، المادة والروح والثورة، مجلة أول نوفمبر (عدد خاص)، رقم 39، 1979م.

253. جابر، حسن، الخطاب الإسلامي المعاصر، قراءة استشراقية، مجلة المنطلق، ع108-109، صيف خريف 1994م.

254. جاسم، عزيز السيد، النخبة والفكر، جريدة العراق، 16 كانون الأول ديسمبر 1990م.

255. حميش، بن سالم، الفرنكفونية والفرنسية، مجلة المستقبل العربي، عدد خاص، 255، س5، أيار- مايو 2000م.

256. الربيعو، تركي علي، الحركات الإسلامية في منظور الخطاب التقدمي العربي، مجلة الاجتهاد (متخصصة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتحديد العربي الإسلامي وتصدر عن دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر)، ع15-16، س4، ربيع، صيف 1412هـ-1992م.

257. // الدين في الخطاب الماركسي العربي، حدود الوضعانية الماركسية في منعطف الألف الثالث، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع94-95، جانفي 1992م.

258. الربيعي، إسماعيل نوري، الخطاب الإسلامي من نطاق الهيمنة إلى وعي الذات، المجلة الثقافية (مجلة ثقافية فصلية تصدر عن الجامعة الأردنية)، ع32، شوال 1414هـ الموافق أفريل 1994، محرم 1414هـ/ يوليو 1994م.

259. الرحموني، عبد الرحمن، أسس الإقناع في الخطاب الإسلامي، مجلة المشكاة (مجلة ثقافية تعنى بالأدب الإسلامي)، ع10، س3، 1409هـ-1989م.

260. الرديسي، حمادي، الخطاب الإسلامي حول الحداثة، الكلية المجزأة، ترجمة: فؤاد شاهين، مجلة الفكر العربي المعاصر (مجلة فكرية مستقلة تصدر عن مركز الإنماء القومي في بيروت)، ع92-93 ، س1998م.

261. الشاوي، علي، إيديولوجية المغلوبين، مجلة الفكر العربي، ع48، ص7، حزيران، 1986م

262. شكري، غالي، لماذا غاب الفكر الكبير، مجلة القاهرة (مجلة الفكر والفن المعاصر شهرية دورية)، ع121، ديسمبر 1992م.

263. الشلفي، أحمد، الخطاب الإسلامي وإشكالية العقل المسلم، مجلة منار الإسلام (مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات العربية المتحدة)، ع5، س24، جمادى الأولى 1414هـ/ سبتمبر 1998م.

264. الضيقة، حسن، في الفكر السياسي الماركسي، مجلة العرفان، ع2، م27، شباط 1984م.

265. عمران، كمال، في تجديد مفهوم الخطاب، المجلة العربية للثقافة، ع28، س14، مارس1995م.

266. عويس، عبد الحليم، الظلاميون العرب وقضية تزوير النص باسم التنوير، مجلة الأدب الإسلامي (مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، ع33، المجلد السابع، 1423 هـ/2002م.

267. فاضل، عبد الصبور، الخطاب الإسلامي في ظل العولمة، مجلة الوعي الإسلامي، ع389، محرم 1419هـ/ ماي 1998م.

268. الفجاري، المختار، تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع100-101، 1993م.

269. قرني، رمضان محمد، الجزائر على أبواب الانتخابات، مجلة السياسة الدولية، ع107، جانفي 1992م.

270. كاظم، فؤاد جابر، الخطاب الإسلامي المعاصر، رؤية نقدية، مجلة الثقافة الإسلامية، ع66، 1416هـ/1996م.

271. الكتز، علي، معطيات لتحليل الانتلجنسيا في الجزائر، مجلة المستقبل العربي، ع104، 2001م.

272. لفتة، خليل، قراءة في كتاب: نظام عبد الواحد الجاسور؛ الجزائر، محنة الدولة، ومحنة الإسلام السياسي، دراسة في الصراعات الداخلية وأبعادها الإقليمية والدولية، مجلة المستقبل العربي، ع273، م11-2001م.

273. المغربي، جمعة، عبد الله، ابراهيم، حول الخطاب الإسلامي، مجلة الرائد، ع8، 1996م.

274. وناس المنصف، الدين والدولة في تونس 1956–1987، مجلة المستقبل العربي، ع3، س12، 1990م.

ثالثا: الكتب باللغة الفرنسية والإنجليزية

A/Livres, Essais, Volumes

275. Abdellah, Cheriet, Opinion sur la politique de l'enseignement et de l'arabisation, SNED, Algérie, 1983.

276. Adam, Schaff, Langage et connaissance, Antropes, Paris, 1967.

277. Ageron, Charles robert, Les Algériens Musulmans et la France 1871-1919, PUF, Paris, 1968.

278. Belcacem, Mostfaoui, L'usage des Medias en question, La presse Algérienne face au debat de Mai 1976 sur L'avant projet de la Charte nationale.

279. Ben Bella, Ahmed, Itineraire, Edition El Wahda, Beyrouth, 1985.

280. Benda, Julien, The Treason of the Intelectuals, W. Worton, New York, 1969.

281. Bergos, Asgeirsdottir, La francophonie dans les pays du Maghreb, Le Maroc, L'Algérie, La tunisie, Université d'Island, 2000.

282. Bourgat, François, L'Islamisme au Maghreb, Edition Kartala, Paris, 1988.

283. Brahimi, Abelhamid, L'économie, Algérienne, OPU, Alger, 1991.

284. Bruno, Etienne, L'Algérie, Culture et revolution, Le seuil, Paris, 1978.

285. Djaballah, Belcacem Ahcen, Aspects du nouvel ordre international de l'information, Etudes et documents, OPU, Alger, 1980.

286. Eveno, Patrik, Plancharo, Jean, La guerre d'Algérie, dossier et temoignages, Edition la découverte, Le monde, Paris, 1989.

287. Gilles, Kraemer, La presse fraucophone en mediterranée, Maissoneuve et Larose, Servedit, 2002.

288. Hardly, Georges, Une Conquête morale= L'enseignement en A.O.F.A colin, Paris, 1917.

289. Hunke, sigrid, L'agression culturelle et ses effets sur la pensée, Bonn, R.F.A, édition, Ministere des Affaires Religieuses, Algrie, 1985.

290. Ihaddadan, Zahir, Histoire de la presse Indigène en Algérie des origines Jusqu'en 1930, ENAL, Algérie, 1983.

291. Ihddadan, Zahir, La presse Algérienne de 1965 à nos jours, thèse de doctorat d'état Université d'économie et des sciences sociales, Paris, 1984.

292. Julien, Charles André, Histoire de l'Algérie contemporaine, T1. Edition3, Paris, 1979.

293. Julien, Charles André, L'Afrique du Nord en Marche, édition 3, Paris, 1973.

294. Merad, Ali, Ibn Badis, Commentateur du coran, SNED , Algérie, 1971.

295. Merad, Ali, Le reformisme Musulman en Algérie de 1925 à 1940, Essais d'Histoire religieuses et sociales, Horaton, ed, La haye, Paris, 1972.

296. Mihoubi, Salah, La Politique de coopération Algéro- Française, Bilan et Perspectives, OPU, Algérie, Paris, Publisud, 1986.

297. Mohammed, Yousfi, Le pouvoir en Algérie 1962-1978, ANEP, Algérie, 1989.

298. Mostefa Boutefnouchet, La culture en Algérie, Mythe et réalités (Etudes Culturelles), SNED, Algérie, 1982.

299. Rebah, M'hammed, La presse Algérienne Journal d'un defi, Chihab Edition, Alger, 2002.

300. Razet et Carette, Algérie, Tunis, Sans date.

301. Safi, Nadji, Essais d'Analyse sociologiques, OPU, ENAL, Alger, 1985.

302. Sartre, Jean Paul, Wretered of the earth by Frantz, Fanon, Grove, Press, 1968.

303. Trippier, Philippe, Autopsie de la guerre de l'Algérie, ed Ampire, Paris, 1972.

304. Yevonne, Turrin, Affrontements culturels dans L'Algérie Coloniale, Paris, 1971.

B/Dictionnaires :

305. Le petit Robert, Dictionnaire alphabetique et analogique de la langue Française, Paris, Edition, 1992.

306. Micro Robert, Dictionnaire du Français, Paris, 1985.

307. Dictionnaire du français, 37000 mots, Editions Hachette, 1995.

308. Greims, A, J, Courtes, Joseph, Semantique, Dictionnaire Raisonné de la Théorie du language, Paris, 1979.

309. Dictionnaire Encyclopedique pour la maitrise de la langue Française, la culture classique et contemporaine, Edition Larousse, 1998.

C/Revues :

310. Revue Internationale des sciences sociales, N°18, nov, 1988.
311. Revue, Révolution africaine, N°1217, 26 Juin, 1987.
312. Revue, l'express Internaional, N°2033, 29 Juin 1990.
313. Revue Le point, N°926, 18 Juin 1990.

D/Journaux

314. El Moudjahid, N°11420, Vendredi 3, Samdi 4 Mai 2002.
315. El Moudjahid, N°11369, Lundi 4 Mars 2002.
316. EL Moudjahid, N°11409, Vendredi 19, Samedi 20 Avril, 2002.
317. Liberté, N°2903, Mercredi 24 Avril 2002.
318. Liberté, N°2934, Vendredi 31 Mai, Samdi 1 Juin, 2002.
319. El Moudjahid, N°11447, Mardi 4 Juin, 2002.
320. El Moudjahid, N°11446, Lundi 3 Juin, 2002.

رابعا: الرسائل الجامعية

321. أحمد بن مرسلي، مفهوم الاشتراكية في التجربة التنموية الجزائرية، دراسة تحليلية لخطب الرئيس بومدين 1965-1978، رسالة دكتوراه دولة، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1995.

322. أحمد حمدي، الخطاب الإيديولوجي عبر الصحافة الجزائرية الصادرة باللغة العربية من سنة 1962 إلى 1988، دراسة تحليلية في المقال الافتتاحي، رسالة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، مارس 1999.

323. محمد أحمد محمد يونس، الخطاب الديني في الصحف المصرية خلال الفترة ما بين عامي 1882 و1914م، رسالة دكتوراه، قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة،2000.

324. محمد منصور محمود هيبة، القضايا الإسلامية في الصحافة المصرية، رسالة كتوراه في الإعلام، قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1996.

325. علية العلاني، حركة الاتجاه الإسلامي في تونس 1970-1987م، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1993.

326. مارلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، دكتورة دولة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1995.

327. Mostfaoui Belkacem, L'usage des Medias en question, la presse Algerienne face au debat de Mai 1976 sur L'avant-projet de la charte Nationale, OPU, Alger, 1982.

328. Salwa Khaddar zarzar, L'image du monde arabo- musulman et la politique Française à travers la presse quotidienne en 1920, Magester en Sociologie, Faculté des Siences Humaines et Sociales, Tunis1, 1999.

III-فهرس المؤتمرات والندوات

329. ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر الذي كانت -تنظمه وزارة الشؤون الدينية الجزائرية في مدينة بجاية بين 18-26 شوال 1405هـ/8-15 جوان 1985م.

330. ندوة قضايا المستقبل الإسلامي، نظمها مركز دراسات المستقبل الإسلامي في الجزائر في الفترة بين 4-7 ماي 1990م.

331. الندوة المصرية-الفرنسية الثالثة حول التحولات الديمقراطية في الوطن العربي، انعقدت في القاهرة في الفترة 29 سبتمبر 01 أكتوبر 1990م.

332. ندوة مستقبل الحركة الإسلامية في ظل التحولات الدولية والأزمة الخليجية، عقدها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والمؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث في الفترة من 19-21 جوان 1991م بواشنطن.

333. ندوة وزارة المعارف الكويتية عن مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل، انعقدت في الكويت في فيفري 1992م.

334. المؤتمر الثالث للباحثين الشباب حول النخبة السياسية في العالم العربي، مركز البحوث والدراسات والوثائق، القاهرة، ط1، 1996م.

335. ندوة اسكندنافيا الثانية عشر حول الخطاب الإسلامي في كوبنهاش في ماي 1996م.

336. المؤتمر العلمي الثالث حول تحليل الخطاب العربي، كلية الآداب، جامعة فيلاديلفيا، الأردن، في الفترة 10-12 ماي 1997م.

337. ندوة مجلة المستقبل العربي حول: تأثير التطورات الجديدة في الكتلة الاشتراكية على الوطن العربي، تحت إدارة السيد يسين.

338. Le comparatisme en histoire des Religions, Actes du colloque International de strasbourg 18-20 septembre 1996, sous la direction de Francois Boespflug et francois Dumon, Les édition de Cerf, Paris, 1997.

328. المؤتمر العلمي الثالث حول تحليل الخطاب العربي، كلية الآداب، جامعة فيلاديلفيا، الأردن، في الفترة 10-12 ماي 1997م.

329. ندوة مجلة المستقبل العربي حول: تأثير التطورات الجديدة في الكتلة الاشتراكية على الوطن العربي، تحت إدارة السيد يسين.

330. Le comparatisme en histoire des Religions, Actes du colloque International de strasbourg 18-20 septembre 1996, sous la direction de Francois Boespflug et francois Dumon, Les édition de Cerf, Paris, 1997.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية